



النحو العربيّ ببلاد شنقيط



يحفظ عمرو إنجيّه محمد عبدالله



النحو العربي ببلاد شنقيط

تأليف

يحفظ عمرو إنجّية محمّد عبد الله



النحو العربي ببلاد شنقيط

يحفظ عمرو إنجيّه محمد عبد الله

الرياض، ١٤٤٦هـ

البريد الإلكتروني: nashr@ksaa.gov.sa

ح / مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، ١٤٤٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

٥٤٢ ص، ١٧×٢٤ سم - (الرسائل الجامعية ٧)

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤٧٢-٣٣-٠

١- النحو العربي ببلاد شنقيط

أ. العنوان

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٤٢٧٦

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤٧٢-٣٣-٠

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو نقله في أي شكل أو وسيلة، سواء أكانت إلكترونية أم يدوية، بما في ذلك جميع أنواع تصوير المستندات بالنسخ، أو التسجيل أو التخزين، أو أنظمة الاسترجاع، دون إذن خطي من المجمع بذلك.

(صدر هذا الكتاب عن مركز الملك عبد الله للتخطيط والسياسات اللغوية، والذي جرى دمجه في مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية).

هذه الطبعة إهداء من المجمع، ولا يُسمح بنشرها ورقياً، أو تداولها تجارياً



أطلق مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية ضمن أعماله وبرامجه مشروع: (المسار البحثي العالمي المتخصص)؛ لتلبية الحاجات العلميّة، وإثراء المحتوى العلمي ذي العلاقة بمجالات اهتمام المجمع، ودعم الإنتاج العلمي المتميّز وتشجيعه، ويضم المشروع مجالات بحثية متنوعة، ومن أبرزها: (دراسات التّراث اللّغوي العربي وتحقيقه، والدّراسات حول المعجم، وقضايا الهوية اللّغوية، ومكانة العربيّة وتعزيزها، واللسانيّات، والتخطيط والسياسة اللّغوية، والترجمة، والتّعريب، وتعليم اللّغة العربية للتّاطقين بها وبغيرها، والدّراسات البيئيّة).

وصدر عن المشروع مجموعة من الإصدارات العلمية القيمة (جزء منها-ومن بينها هذا الكتاب- صدر عن مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز للتخطيط والسياسات اللّغوية والذي جرى دمجها في مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية). ويسعد المجمع بدعوة المختصين، والباحثين، والمؤسسات العلميّة إلى المشاركة في مسار البحث والنشر العلمي، والمساهمة في إثرائه، ويمكن التواصل مع المجمع لمسار البحث والنشر عبر البريد الشبكي: (nashr@ksaa.gov.sa) .

والله ولي التوفيق

هذا العمل عبارة عن أطروحة دكتوراه تّمت مناقشتها يوم ١٦ / ٠٤ / ٢٠١٥م. بمدّرّجات كلّية الآداب/ جامعة القاضي عياض بمراكش/ المغرب. وحصلت على
ميزة (مشرّف جداً). وتكوّنت لجنة المناقشة من السّادة :

- أ. د. محمّد حيلو مشرفاً ومقرّراً.

- أ. د. المصطفى الوظيفي رئيساً.

- أ. د. المنصف الكريسيّ عضواً.

- أ. د. محمّد فوزيّ عضواً.

- أ. د. فيصل الشريبيّ عضواً.

وجاءت الأطروحة في حجم كبير، غير أنّني اضطررت إلى اختصارها، بما يقرب من
مائتي صفحة، وذلك نظراً لمتطلّبات النشر، التي لا تقبل في الغالب رسائل الماجستير
والدكتوراه، دون تنقيحها، وتهذيبها.

فهرست الموضوعات

٩	المقَدِّمَة
٢٣	التَّهْيِيد: الإطار الثقافي لبلاد شنقيط
٢٤	الفصل الأول: مفهوم شنقيط، وانتشار اللّغة العربية، بصحرائها ودور المدن الشنقيطية التاريخية في الإشعاع الثقافي
٣١	الفصل الثاني: المحاضرة الشنقيطية
٣٩	الباب الأول: رحلة النحو العربي إلى بلاد شنقيط
٤١	تمهيد
٤٣	الفصل الأول: النّحو العربيّ ببلاد شنقيط
٤٣	المبحث الأول: بداية وصول المؤلّفات النّحوية إلى شنقيط
٤٤	المبحث الثاني: تزايد بؤادر النشاط النّحويّ ببلاد شنقيط
٤٧	الفصل الثاني: المصادر المغاربية والمشرقية
٤٧	المبحث الأول: المصادر المغاربية
٥٦	المبحث الثاني: المصادر المشرقية

٦٠	الفصل الثالث: التقليد والاجتهاد
٦١	المبحث الأول: التقليد
٦٧	المبحث الثاني: الاجتهاد
٧٧	الباب الثاني: حركة التأليف النحوي ببلاد شنقيط
٧٩	تمهيد
٨١	الفصل الأول: النحاة واللغويون
٨٢	المبحث الأول: مرحلة البدايات والنشأة (من القرن الخامس إلى نهاية القرن العاشر الهجري)
٨٦	المبحث الثاني: مرحلة التأسيس والنضج (في القرنين: الحادي عشر والثاني عشر للهجرة)
١٠٣	المبحث الثالث: مرحلة الازدهار واتساع الحواشي والاجتهاد (في القرنين: الثالث عشر والرابع عشر للهجرة)
٢١٦	المبحث الرابع: مرحلة المراجعة للتراث النحوي وتحقيقه (في القرن الخامس عشر الهجري)
٢٢٩	الفصل الثاني: المباحث والقضايا
٢٢٩	أولاً- المباحث
٢٢٩	المبحث الأول: ظاهرة الأنظمة والطّور والملخصات النحوية
٢٤٥	المبحث الثاني: ظاهرة الألغاز والأحاجي والمناظرات والطّرف النحوية
٢٧٠	المبحث الثالث: ظاهرة الاستدراكات النحوية
٢٨٩	ثانياً - القضايا والمسائل النحوية
٢٨٩	المبحث الأول: مصادر النحو العربي ببلاد شنقيط
٢٩٩	المبحث الثاني: القواعد
٣٠٧	المبحث الثالث: الأصول الاستدلالية

٣١٩	الباب الثالث: النّحو العربي وأثره في العلوم الشرعية ببلاد شنقيط
٣٢١	تمهيد
٣٢١	الفصل الأوّل: النّحو والعقيدة
٣٢٦	الفصل الثاني: النّحو والتفسير
٣٥١	الفصل الثالث: النّحو والقراءات
٣٥٦	الفصل الرابع: النّحو والحديث
٣٦٣	الفصل الخامس: النّحو والفقه والأصول
٣٦٣	المبحث الأوّل : النّحو والفقه
٣٧٠	المبحث الثاني : النّحو والأصول
٣٧٦	الفصل السادس : النحو واللّغة والمنطق
٣٧٧	المبحث الأوّل : النّحو واللّغة
٣٧٩	المبحث الثاني : النّحو والمنطق
٣٨٥	الباب الرّابع: الوضع الراهن للغة العربية ببلاد شنقيط
٣٨٧	تمهيد
٣٨٨	الفصل الأوّل: الوضع الرّاهن للنّحو العربيّ ببلاد شنقيط، ودخول اللّسانيات إليها
٣٩٨	الفصل الثاني: المجال التركيبي
٤٠٩	الفصل الثالث: المجال الصرفي
٤١٨	الفصل الرابع: المجال الصوتي
٤٤٦	الفصل الخامس: المجال الدّلالي

٤٦٥	الباب الخامس: النّحو واللّسانيات المعاصرة، وأوجه التشابه والاختلاف، ومستويات الكفاية في البحث اللّغويّ (ملحق).
٤٦٧	تمهيد
٤٦٧	الفصل الأوّل: النّحو واللّسانيات البنيوية والتوليدية، وأوجه التشابه والاختلاف، ومستويات الكفاية في البحث اللّغويّ
٤٦٧	المبحث الأوّل: النّحو واللّسانيات البنيوية والتوليدية
٤٦٩	المبحث الثاني: التركيب النحوي بين علماء العربية قديماً، وأصحاب النظرية البنيوية
٤٧١	المبحث الثالث: التركيب النحوي بين علماء العربية قديماً، وأصحاب النظرية التوليدية
٤٧٢	الفصل الثاني: اللّسانيّون العرب المعاصرون والنّحو العربيّ — المواقف النظرية والمنهجية
٤٧٣	المبحث الأوّل: تأثّر وانتصار
٤٧٦	المبحث الثاني: الإفادة من مناهج اللّسانيّين الغربيّين، مع الاحتفاظ بأصالة التراث وخصائصه
٤٨٠	الفصل الثالث: النّحو العربيّ بين القديم والحديث
٤٨٠	المبحث الأوّل: النّحو العربيّ في القديم — الأسس النظرية والمنهجية
٤٩٢	المبحث الثاني: النّحو العربيّ في العصر الحديث — الأسس النظرية والمنهجية
٥٠٠	الخاتمة
٥٠٧	قائمة المصادر والمراجع

مقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً على إنعامه وإحسانه، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أخذ الدرس النحويّ يشقّ طريقه إلى الأندلس والمغرب بشكل ملموس في القرن الثاني الهجري، وحصل امتزاج كبير بين الدراسات النحوية واللغوية بالأندلس في القرن الرابع، ممّا مهّد لنشاط نحويّ بالغ الأثر في المغرب، امتزجت فيه عدّة اتجاهات، كالامتزاج بين المذاهب النحوية، وشيوع الاستنباط والتحليل، والتلاقي بين النحو والمنطق مثلاً. وكان انتقال ثقل الدراسات النحوية بشكل واضح من المشرق إلى الأندلس والمغرب في القرن الخامس الهجريّ على أيدي كوكبة من النحاة واللغويين، وفي القرن السابع ظهر على يد شيخ النحويين بالأندلس محمد بن مالك الجبلي (ت ٦٧٢هـ) مذهب نحويّ متميّز بسماته وخصائصه، جامع بين المذاهب النحوية، ناه في أغلب الأحيان منحنى أصحاب المذهبين النحويين الكبيرين: البصري والكوفي، ثمّ أصحاب المذهب البغدادي، مازجاً في فكره النحوي بين توجّهات هؤلاء النحويين وتصوّراتهم، مع ميله الواضح في الغالب العام إلى المذهب البصريّ، مع تميّزه بكثير من السمات والخصائص البارزة^(١).

١ - يراجع الدكتور محمد المختار بن أباه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص ٢٤، ٢٥، ٢٢٣ - ٢٢٥.

وقد اعتمدت بلادُ شنقيط في تحصيل العلوم العربية الإسلامية عموماً، والدراسات النحوية خصوصاً في بدايات نشأتها وتكوُّنها على الروافد المعرفية الوافدة إليها من المغرب والأندلس، ثم مصر. واهتمَّ العلماء والدارسون الشناقطة بالمتون النحوية المغربية والأندلسية اهتماماً كبيراً منذ أن وصلت بلادهم، وتأثروا بها أثماً تأثراً، فتعددت خدمتهم إياها ما بين دارس، وناظم، وشارح ومحاكٍ. وهذا ما استدعى التقديم لهذه الأطروحة على النحو الموالي :

أ- التعريف بالموضوع : هذه الدراسة موضوع أطروحة دكتوراه في النحو العربي، بعنوان : (النحو العربي ببلاد شنقيط)، الذي وسَّعت رِحابه عن قصدٍ فأتسع لي حتَّى ناقشْتُ في أحضانه قضايا النحو والتصريف عبر العصور، واللغة، واللسانيات الحديثة، ببلاد شنقيط، حيث ترك لنا النحاة الشناقطة عبر العصور السَّالفة تراثاً ثراً، وكنوزاً أصيلة غنية، وأودعوها في فيضٍ غزير من تآليفهم النحوية التي ما زال معظمها مخطوطاً، يُخشى عليه من الضياع والسقوط من يد الزمن، ممَّا جعل هذا التراث الغني محتاجاً بالِإلحاح إلى مَنْ يُدلي فيه بدلوه بين الدَّلاء، وذلك بتسليط الضوء عليه، والتعريف به، والتنوُّيه بمكانته، لنفض الغبار عنه، وإيقاظه من سُباته العميق، ومراجعته، وتحقيقه، وإبراز قيمته العلمية الكبيرة، ليكون في متناول أيدي الدارسين وطلاب العلم.

ب- أسباب اختيار الموضوع : تمثَّلت أسباب اختيار موضوع هذه الأطروحة في كَوْن :
١- هذا التراث الغزير (الذي استطعت في دراستي هذه أن أترجم ترجماتٍ موجزةً لـواحد وستين ومائتي عالمٍ نحويٍّ مؤلِّف، أحصيت لهم من التآليف النحوية اثنين وخمسين وأربعمئة، من ضمنها كثير من الموسوعات)، ما زال أغلبه مخطوطاً، يُخشى عليه من السقوط من يد الزَّمن؛ لأنَّه متبعثر في بطون المكتبات الخاصَّة، المنتشرة على نطاق واسع في ربوع الوطن على امتداده الشَّاسع، في الأرياف، والقُرى والمدن، على السواء دون رعاية، بل مع إهمال شديد، ممَّا جعل بقاءه مهدِّداً. وعليه فهو يستحقُّ الكثير من العمل في حقله، للحفاظ عليه وإنقاذه من الضياع.

٢- الحاجة الماسَّة إلى دراسة شاملة تُبرز جهود العلماء النُّحاة الشناقطة في الدِّراسات النحوية، من حيث الحديث عن المؤلِّفين ومؤلِّفاتهم، مع الاعتناء بجمع المادَّة، وقدرٍ من الدراسة والتحليل.

٣- حاجة اللسانيات الحديثة ببلاد شنقيط الملحة إلى دراسة علمية تُبين قدرَ إسهام

الشناقطة فيها، مع تبيان تاريخ وصولها، وأوّل مَنْ نشأت على أيديهم بالبلاد.

٤- رغبة جامحة كانت تحثني إلى ضرورة وضع التراث النحوي الشنقيطي في الميزان،
بتبيان ما له، وما عليه، وكذا اللسانيات الحديثة ببلاد شنقيط.

٥- سمعت يوماً على كراسي الدراسات العليا (سنتي ١٩٩٤ - ١٩٩٥/١٩٩٥

- ١٩٩٦م) بجامعة الفاتح سابقاً/ جامعة طرابلس حالياً بليبيا - أستاذنا

المرحوم الدكتور إبراهيم رفيده^(١) يحث طلابه في قسم اللغويات على

التوجّه إلى بلاد شنقيط للإسهام في تحقيق ما بمكتباتها من المخطوطات من

التراث النحويّ، وتسليط الضوء على جهود علماءها النحويين، الذين تزرخ

محاضر شنقيط ومكتباتها الخاصة والعامة بإسهامهم العلميّ الواسع، فبقي ذلك

التوجيه مدّة هذه السنوات حافزاً يدفعني إلى ضرورة الإسهام في إحياء هذا

التراث والتعريف به.

ج - التعريف بالمصادر والمراجع : استُخدم في هذه الأطروحة فيض غزير متلّون من

المصادر والمراجع المعتمدة، بلغ تعدادها حوالي ثلاثمائة، تمثّلت في :

- مصادر ومراجع مخطوطة.

- مصادر ومراجع مطبوعة.

- أطروحات دكتوراه وماجستير.

- دوريات.

- رسائل جامعية.

- مواقع إلكترونية.

- مقابلات مع شخصيات علمية.

د- المناهج المعتمدة : استخدمت في هذه الأطروحة جملة من المناهج العلمية، أبرزها:

المنهج التاريخي، الوصفي، الاستقرائي، التحليلي التركيبي، المُقارن. إذ عدتُ إلى

المحطّات التاريخية عبر العصور بالبلاد، واستقرأتُ جزئيات المادّة، قارئاً، واصفاً، محلّلاً

مركباً، مُوازنّاً مُقارناً.

١- صاحب كتاب : التحو وكتب التفسير. المتوفى سنة ١٩٩٩م.

هـ - الدراسات ذات الصلة : أقصد بها الجهود التي تحدّثت عن موضوع الأطروحة، المتمثّل في التّراث النّحويّ، واللّسانيات الحديثة ببلاد شنقيط، لا الجهود التي تناولت مؤلّفاً أو تاليفاً خاصّاً، مع أنّ لها قيمتها الكبيرة دون منازع في خدمة هذا التراث، والمآل إليها في تحقيقه وإخراجه، وقد خصّصت لها مكاناً في صلب الدّراسة مع التنويه بها في الباب الثاني . وأبرز هذه الدّراسات وردت في المصادر الآتية، مع تفاؤّت بين في قدر إفادة الأطروحة منها:

أولاً- تاريخ النّحو العربيّ في المشرق والمغرب^(١). للدكتور محمّد المختار ولد أباه. وهذا التّأليف حقيقة دراسة موسوعية مهمّة في تاريخ النّشاط النّحويّ بالوطن العربيّ، خصّص مؤلّفه الباب الرّابع منه لدراسة النّحو العربيّ ببلاد شنقيط، تحت عنوان : (مدرسة ابن مالك في المحاضر الشنقيطية) بلغت صفحاته (ستّاً ومائة ١٠٦ صفحة)^(٢). وأبرز ما تحدّث عنه المؤلّف في هذه الدّراسة : تأثير ألفية ابن مالك في النّشاط النّحويّ ببلاد شنقيط، والإشادة بظاهرة المحظرة الشنقيطية بمقرّراتها وخصائصها، ودور شيوخها من العلماء النّحويّين وتلاميذهم النّابهن، والتّنويه بالعطاء النّحويّ لهؤلاء العلماء، مع شيء ليس باليسير من المناقشة والتحليل.

وهو حقيقة كتاب جدير بالاحترام والتقدير، اكتسب قيمته العلمية من مصادره الأصيلة، من عيون التراث النّحويّ عبر التاريخ منذ عصر الإمام سيبويه (ت ١٨٠ هـ). إذ أطلع المؤلّف على جلّ ما كُتب في النّحو العربيّ عبر العصور، ونقل عنه مباشرة. وذكّر نماذج من ذلك غير مفيد، لشهرة هذه المصادر وتنوّعها، حيث ما أطلع عليه المؤلّف أكثر بكثير ممّا فاتته. لذلك كان فضله كبيراً على هذه الأطروحة.

ثانياً- بلاد شنقيط المنارة والرّباط عرض للحياة العلميّة والإشعاع الثقافيّ والجهاد الدّينيّ من خلال الجامعات البدوية المتنقّلة (المحاضر)^(٣). للأستاذ الأديب الخليل النّحويّ. وهو تأليف موسوعيّ، ذو قيمة كبيرة، من موضوعاته التي تحدّث عنها بإفاضة: المحاضر الشنقيطية وشيوخها، وأنواع العلوم التي تُدرّس بها، والمؤلّفون ومؤلفاتهم ببلاد شنقيط. وممّا تميّز به هذا التّأليف القيم عن غيره من التّأليف الشنقيطية حرصه الكبير على توثيق تواريخ وفيات المؤلّفين الشناقطة، مع الصعوبة البالغة في تحقيق ذلك.

١- مصدر سابق.

٢- ذلك من ص ٤٣٧ - ٥٤٢.

٣- تونس ١٩٨٧ م.

وأبرز مصادره في الثقافة الشنقيطية مصدران اثنان، هما : كتاب (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط) للعلامة الأديب أحمد بن الأمين الشنقيطي (ت ١٣٣١هـ)، وموسوعة العلامة المختار بن حامدن (ت ١٩٩٣م)، خاصة الجزء الثقافي منها: (حياة موريتانيا الثقافية^(١))، فهو مطلع عليهما، مُكثّر من النقل عنهما أو محاكاتها، كما نقل عن غيرهما من المصادر الشنقيطية ذات الصلة. وقد أفدت كثيراً من هذا المصدر القيم.

ثالثاً- حياة موريتانيا (الجزء الثاني - الحياة الثقافية^(٢)). للعلامة المؤرخ الكبير المختار ولد حامدن (ت ١٩٩٣م). الذي استعرض فيه ضروب الثقافة ببلاد شنقيط، من أنواع العلوم والفنون والتصوّف، والمعلّمين والمؤلّفين، والمحاضر العلميّة (مؤسّسات التعليم العتيقة) وشيوخها، واللهجات المحليّة وقواعدها، والأمثال والكنيات، والتقاليد والعادات الشعبية، والألعاب الرّياضية.

فهو تأليف ممتاز، ومصدر أصيل من مصادر الثقافة العربية الإسلامية الشنقيطية. وهو أوّل مصدر موسوعيّ، شامل للحياة العلمية والسياسية والتاريخية والجغرافية والاجتماعية ببلاد شنقيط، أغلبه مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي. وقد طبع منه أربعة أجزاء : الجغرافي، السياسي، التاريخي، الثقافي، الذي هو موضوع حديثنا. ولم يذكر المؤلّف مصادر مكتوبة يمكن أن يكون رجع إليها في تأليف هذا الكتاب الضخم، بيد أنّ مصادره المحتملة بقوة أربعة، هي :

- كتاب (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط) للعلامة الأديب أحمد بن الأمين الشنقيطي (ت ١٣٣١هـ)، إذ لا بُدّ أن يكون من مصادره؛ لأنّه المصدر الأوّل الأصيل الأهمّ في ثقافة بلاد شنقيط وتراث أهلها، فليس من الممكن تجاوزه، وهو متوافر في الساحة.

- المخطوطات المنتشرة على نطاق واسع في الساحة الشنقيطية، وهو خير المطلعين عليها وأفضلهم، لذلك له كتاب مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي في (المؤلّفين ومؤلّفاتهم ببلاد شنقيط).

١- الدّار العربية للكتاب ١٩٩٩م.

٢- الدّار العربية للكتاب ١٩٩٩م.

- المصادر الشفوية، حيث كان كثير الترحال بين القبائل، مهتماً بمقابلات الأشخاص ومراسلاتهم أثناء تأليف موسوعته المذكورة.
- محفوظاته الغزيرة، إذ كان ذاكرة بلاد شنقيط دون منازع، متمتعاً بملكة الحفظ، وميزة الفطنة، وقوة الاستدراك، وجودة الملاحظة.

رابعاً- الخطاب الشّعريّ الحداثيّ في موريتانيا دراسة في أجرؤميّة النصّ^(١). للمختار بن محمد الأمين بن الجيلانيّ، الأستاذ بجامعة انواكشوط. وهو كتاب قيّم للغاية، ناقش فيه المؤلّف بعضاً من الموضوعات اللسانية الحديثة : من الجملة إلى النصّ، ووسائل سنك النصّ، وحبك الخطاب. أفادت منها هذه الأطروحة كثيراً في مجال المستوى التحويليّ التركيبيّ والمستوى الدلاليّ.

ومصادره لسانية حديثة، متلوّنة، عربية، أجنبية. وهو حقيقة أهمّ مصدر شنقيطيّ على الإطلاق وقفت عليه عند الحديث عن جهود الشناقطة في علم اللسانيات الحديثة. لذلك كان فضله كبيراً على الأطروحة.

خامساً- الشعر الموريتانيّ المّلحون (لِغَنَ)، خطوة نحو الاكتشاف، دراسة مقارنة^(٢). لمحمد بن بتار بن الطلبة، الأستاذ بجامعة شنقيط الحرّة. وهو تأليف متميّز حقيقة في الشعر الشعبيّ ببلاد شنقيط، المنظوم باللهجة العربية، المعروفة ب(الحسانية)، الملحونة من الفصحى. وهو عبارة عن دراسة قيمة للهجة الحسانية وأدبها، مع مقارنة متمتعة بينه وبين أدب الفصحى. وأفادت منه الأطروحة كثيراً في مجال الحديث عن هذه اللهجة.

سادساً - الحسانية ألسنيّاً وأدبيّاً دراسة^(٣). للأستاذ محمّدو سالم ولد جدّو. وهو تأليف صغير الحجم (ثمان وخمسون صفحة ٥٨)، غير أنّه ذو قيمة بالغة، إذ درس فيه المؤلّف اللهجة الحسانية دراسة ألسنيّة، أدبيّة، مُوازناً بين أدبها وأدب الفصحى. ولهذا المرجع أيضاً فضل بيّن على الأطروحة في مجال هذه اللهجة.

و- ما أسهمت به الأطروحة ووعدت به من تميّز على مستوى الحصيلة والاجتهاد. أبرز ما تميّز به عملي في هذه الأطروحة أوجزه فيما يلي :

١- الإمارات، موريتانيا : دار يوسف بن تاشفين، ومكتبة الإمام مالك، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٢- القاهرة : دار نجيبويه للبرجمة والدراسات والطباعة والنشر ٢٠١٠م.

٣- انواكشوط : مطبعة المنار بلعصر، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

١- حاولت دراسة النحو العربي ببلاد شنقيط دراسة شاملة، مُعتنياً بحصر المؤلفين النحويين وتأليفهم النحوية قدر المستطاع، حيث تمكنت (كما سبقت الإشارة) من أن أترجم ترجمات موجزة في الغالب لواحد وستين ومائتي عالم نحوي مؤلف، أحصيت لهم من التأليف النحوية اثنين وخمسين وأربعمائة تأليف. وهذا القدر من الإحصاء لم أسبق إليه حسب علمي.

٢- توصلت إلى تحقيق النحويين واللغويين الشناقطة في أربع مراحل، تبين لي أن تراث كل مرحلة يتميز ببعض السمات والخصائص البارزة عن تراث المراحل الأخرى، مع الإكثار من تحليل النصوص ومناقشتها عند الحديث عن كل مرحلة، وفي مواطن عديدة أخرى. وهذا لم أسبق إليه حسب علمي.

٣- وطأت لصلب الدراسة وهيكلها بتمهيد عن الإطار الثقافي، المتمثل في انتشار اللغة العربية، ودور المدن التاريخية، والمحاضرة الشنقيطية في الإشعاع الثقافي ببلاد شنقيط.

٤- توسعت في الحديث عن روافد النحو العربي البارزة ببلاد شنقيط ومصادره المغاربية والمشرقية، معرجاً على قضايا التقليد والاجتهاد فيه، واعتناء القوم بوضع قواعده، واستخدام أصوله الاستدلالية، مع تبيان علاقته بالعلوم الشرعية لديهم، واستعراض كثير من النصوص لإثبات ذلك، مع التحليل والمناقشة.

٥- قدّمت دراسة موسّعة عن شيوع ظواهر الأنظام والطّر والمُلتَصّات والألغاز والأحاجي والمناظرات والمُلمَح والاستدراكات النحوية ببلاد شنقيط.

٦- كما استعرضت جملة من الأخطاء والأوهام لدى بعض الباحثين الشناقطة عند الحديث عن التراث النحوي الشنقيطي، مناقشاً استخدامهم مصطلح (مدرسة نحوية) بدل استخدام مصطلح (مذهب نحوي).

٧- كما خصّصت فصول الباب الرابع : (الوضع الراهن للغة العربية ببلاد شنقيط) (بشكل لم أسبق إليه حسب علمي) للوقوف على جهود الشناقطة في علم اللسانيات الحديثة، متحدّثاً عن الفصحى، واللهجة، ولغة المستعمر الفرنسي، وما حدث بينها من صراع حادّ، مناقشاً وضع اللغة العربية الراهن

بالبلاد، مُفيضاً في الحديث عن المستويات اللسانية الحديثة : التركيبية والصرفية والصوتية والدلالية، مع تبيان تاريخ دخول علم اللسانيات المعاصرة بلادَ شنقيط، ومدى إسهام القوم وجهودهم فيها.

٨ - ثم ألحقت بأبواب الرسالة الأربعة المتخصصة في النحو العربي بلاد شنقيط - باباً خامساً : (النحو واللسانيات المعاصرة، وأوجه التشابه والاختلاف، ومستويات الكفاية في البحث اللغوي)، إذ رأيت من المناسب والمفيد أن أختم به الدراسة، مُستعرضاً فيه موازنةً بين النحو العربي واللسانيات البنيوية والتوليدية، وأوجه التشابه والاختلاف، ومستويات الكفاية في البحث اللغوي، متحدّثاً عن اللسانيين العرب المعاصرين، والنحو العربي، معرّجاً على المواقف النظرية والمنهجية، مُعتنياً بعرض موسّع عن النحو العربي بين القديم والحديث، ملاحظاً في الاعتبار الأسس النظرية والمنهجية، موازناً، مقارناً بين وجهات النظر في هذه المحاور جميعها.

٩ - توسّعت في مناقشة مواقف النحويين، واللسانيين العرب المعاصرين من قواعد النحو العربي وضوابطه، ومناهج النحويين العرب القدماء، موازناً بين موقفين اثنين، رأيتها متباينين.

١٠ - احتوت الدراسة على ستّة عشر ١٦ شكلاً، وجدولاً؛ لتوضيح بعض من الظواهر النحوية، واللغوية.

١٢ - بذلتُ جهداً كبيراً في سبيل الوقوف على المخطوطات بأماكن وجودها قدر الإمكان، وتقييد بطاقتها التعريفية المسجّلة تحتها، وفي حالة تعذر الوصول إليها كنت أعرفها عن طريق مصادرها، مبيناً ذلك، سواء أكانت موجودة أم مفقودة.

١١ - نظراً لما سبق جاءت هذه الأطروحة دراسةً شاملة لقضايا النحو والتصريف والأدب واللغة واللهجة العربية الحسانية، الملحونة من الفصحى، واللسانيات الحديثة، ومستويات الخطاب لدى المحاضرين والخطباء والقضاة والمحامين والصحافة ببلاد شنقيط، والنحو واللسانيات المعاصرة.

١٢- قمت باستقراء المادّة العلميّة الغزيرة، التي هي صلب هذه الدّراسة وهيكلها من المخطوطات والوثائق المودّعة بالمعهد الموريتانيّ للبحث العلميّ، ومّا تمّ طبعه، وهو قليل جدّاً، ومّا حصلت عليه من شتات المادّة وشذراتها المتناثرة في بطون المكتبات المخطوطة الخاصّة لدى الأسر والأفراد والزّوايا، والمحاضر المنتشرة على نطاق واسع في ربوع الوطن، ثمّ أفرغتها في مباحث الأطروحة، مع شيء ليس باليسير من المناقشة والتحليل.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الدّراسة لم تُحط بالتّراث النّحويّ العربيّ ببلاد شنقيط، من حيث حصر المؤلّفين النّحويّين ومؤلّفاتهم، خصوصاً في القرن الخامس عشر الهجريّ، ولا ينبغي لها أن تدّعي ذلك، لأسباب كثيرة شكّلت جزءاً كبيراً من الصّعوبات العديدة التي واجهتني أثناء البحث، إذ أنّ :

- كثيراً من هذا التراث ضاع وسقط من يد الزّمن للأسف عبر مفازات الصحراء، وحياة التّرحال، وظروف البداوة القاسية، وهو ما سنلحظه في تضاعيف الأطروحة عند محاولة الوقوف على أسماء المؤلّفين النّحويّين، وتحقيق تواريخ وفياتهم، والحديث عن تراثهم النّحويّ الثّر، وتبيان الموجود منه وأماكن وجوده إن أمكن.

علماً بأنّ الحديث عن هذه الجوانب تحقّقه صعوبات جمّة، منها مثلاً أن المجتمع الشنقيطي كان مجتمعاً بدوياً، دائب التّرحال، بحثاً عن مظانّ المياه والمراعي لمواشيه التي هي عصب حياته، فهذا التراث المجيد حصّله في هذه الحال، وهذه الظروف الصعبة، وكان ذلك مصدر فخرهم وتميّزهم، ممّا جعل المختار بن بونا (ت ١٢٢٠هـ) يُعبّر عنه قائلاً^(١) :

ونحنُ ركبٌ من الأشراف مُنتظمٌ أجلُّ ذا العصرِ قدراً دونَ أذنانا
قد اتّخذنا ظهورَ العيسِ مدرسةً بها نُبيّنُ دينَ اللهِ تَبَيّانا.

وهو الذي كان رحمه الله كثير التّرحال في فصول السنة، غير أنّ نشاطه العلميّ مع ذلك ظلّ متواصلاً، لم ينقطع، ممّا جعل أحد تلاميذه يقول، وكأنّه عاتب عليه^(٢) :

١- هذان البيتان من قصيدة له أوردها الدكتور محمد المختار بن إياه في كتابه : الشّعر والشّعراء في موريتانيا، ص ٣٤٢.

٢- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص ٢٨٢.

لَكَ اللهُ مِنْ شَيْخٍ إِذَا مَا تَبَوَّاتُ تَلَامِيذُهُ مَأْوَى لِنَصَبِ الْمَدَارِسِ
تَيَّمَمَ مَيِّمُونَ الْخِصَاصَةَ فَاتِرًا عَلَى ظَهَرِ مَفْتُولِ الذَّرَاعَيْنِ عَانِسِ
يُفَزِّعُ نَوْنَ الْبَحْرِ طَوْرًا وَتَارَةً يَهْدُمُ جُحَرَ الضَّبِّ فِي رَأْسِ (مَادِسِ).

- زد على ذلك إهمال المصادر العربية غير الشنقيطية تماما لهذا التراث الغني الزاخر، وقلة وسائل التدوين لدى الشنقيطيين مما حفّزهم على استظهار العلوم وحفظها في الذاكرة دون الكتابة والتقييد. ذلك كله سبب مشقة بالغة لمن أراد الوقوف على المؤلفين ومعرفة تواريخ وفياتهم، وأدى إلى ضياع كثير من تراثهم النحوي، لذا لم يسلم جلّ الباحثين الشنقيطيين، ممن حاولوا تناول هذا الموضوع، من الوقوع في تضارب كثير من المعلومات، أدى إلى تحريف ملحوظ في أسماء بعض المؤلفين وأنسابهم، ونسبة مؤلفاتهم وتواريخ وفياتهم.

من ذلك مثلا :

- ما وقع في بعض المصادر من الوهم في تحقيق نسب محمد بن أبيه بن أحمد بن عثمان المزمريّ التّوّاقيّ (ت ١١٦٠ هـ)، صاحب نظم (عَبِيدُ رَبِّهِ) ^(١) في التّحو، إذ جعله بعض أصحاب هذه المصادر قلاويا، من سكّان (توات)، كما جعله بعضهم هو وابن الحاج حمى الله القلاوي، صاحب نظمي الأخصري والرسالة المعروفين في الفقه المالكي شخصا واحدا، بينما هما شخصان اثنان.
- في بعضها أيضا : السّالك بن البشير العلويّ (ت ق ١٣ هـ)، وفي بعضها الآخر: السّالك بن البشير القلاوي.
- كثيرا ما يذكر أصحاب هذه المصادر المؤلّفين دون تواريخ وفياتهم، ولهم معذرة في ذلك إلى حدّ كبير؛ لما ذُكر من الأسباب .
- قد تُطلق فيها تسميات لعدّة كتب، بينما هي عُنوانات لكتاب واحد. وهو شيء عادة ما يحدث بسبب أوهام النّساخ، ويفوت على بعض الباحثين. وإن كنت لا أدعيّ لنفسي الإفلات من هذه الأوهام للأسباب المذكورة سالفًا.

١- عَبِيدُ رَبِّهِ : نظم لمتن الأجروميّة في التّحو. وهو نظم يتناسب مع قدرات المبتدئين لخصّة معلوماته، وسلاسة نظمه، وجودة سبكه. وتبلغ أبياته حوالي (خمسین ومائة بيت، ١٥٠ بيتا). وأصل الأجروميّة النثرية لابن أجزوم الصنهاجي. وهذا النظم أوّل متن في التّحو يبدأ به طلاب العربية في المحاضر الشنقيطية.

وبعض أصحاب^(١) هذه المصادر قاموا بوضع قوائم للتحوين الشنقيطين ومؤلفاتهم النحوية، وبذلوا جهداً كبيراً في سبيل ذلك، وحاول المتأخرون منهم زيادة قوائم من سبقوه، بيد أنها مع ذلك جاءت ناقصة في نواح مهمة، ولهم العذر في ذلك أيضاً لتشعب المادة المدروسة وشخّ مصادرها، وقلة ما كتبت عنها إذا ما قورن بغزارتها، غير أن تكامل الجهود يؤدي إلى مقاربة مرضية بعون الله تعالى.

وقد ضمنت قوائم هؤلاء، وزدت عليها حتى جاءت قائمتي من أكمل القوائم، بعون الله تعالى، وأكثرها توثيقاً، حسب علمي. إذ حرصت على ذكر تواريخ الوفيات قدر المستطاع، ومن عجزت عن الوقوف على تواريخ وفياتهم ختمت بهم المباحث في قوائم خاصة بغية الاستيعاب والاستقراء.

وعليه أرى أنني قدّمت إسهاماً في خدمة هذا التراث العظيم، بإلقاء الضوء على غزارته، وقيمتها العلمية، وما يعانيه من إهمال شديد، ويهدده من ضياع، مما ينير الطريق أمام الباحثين الجادّين، ويحفّزهم على القيام بتحقيقه وإخراجه للنور.

وينبغي هنا التنويه بما يبذله المعهد الموريتاني للبحث العلمي من جهد طيب للمحافظة على هذا التراث العظيم، وذلك مع تواضع الوسائل التي بأيدي القائمين عليه، وهو ما يحتم على الدولة ضخ أموال باستمرار في حساب هذا المعهد لأجل التفتيش عن المخطوطات في مظان وجودها، وجمعها وصيانتها، وتمكين الباحثين من الاطلاع عليها، والإفادة منها، لغرض تحقيقها وإخراجها للعلماء والدارسين وطلاب العلم.

ز - تصميم الأطروحة : راعيت طبيعة المادة المدروسة وتنوعها في خطة الدراسة ليتم استيعابها استيعاباً كاملاً، وتوزيعها بطريقة مناسبة حسب الموضوعات والتفريعات، فجاءت في تمهيد، وخمسة أبواب :

- التمهيد : (الإطار الثقافي لبلاد شنقيط)، وتكون من فصلين اثنين :
- الفصل الأول : مفهوم شنقيط، وانتشار اللغة العربية بصحرائها، ودور المدن الشنقيطية التاريخية في الإشعاع الثقافي.
- الفصل الثاني : المحاضرة الشنقيطية.

١ - من أمثال : المختار بن حامدن في الحياة الثقافية، ص ٦٣، فما بعدها، والخليل التّحوي في المنارة والرباط، ص ٥٣٥، فما بعدها، وقائمة المخطوطات التّحوية في بلاد شنقيط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، المسجلة تحت أرقام ١٠٢ -

الباب الأوّل : (رحلة النّحو العربيّ إلى بلاد شنقيط)، وشمل ثلاثة فصول :

- الفصل الأوّل : النّحو العربيّ ببلاد شنقيط.

- الفصل الثاني : المصادر المغاربية والمشرقية.

-الفصل الثالث : التقليد والاجتهاد.

الباب الثاني : (حركة التأليف النحويّ ببلاد شنقيط)، تألّف من فصلين اثنين، هما لبّ الرّسالة وهيكلها :

- الفصل الأوّل : النّحاة واللّغويّون

- الفصل الثاني : المباحث والقضايا

الباب الثالث : (النّحو العربيّ والعلوم الشرعية)، اشتمل على فصول ثلاثة :

- الفصل الأوّل : النّحو والتفسير والقراءات والحديث

- الفصل الثاني : النّحو والفقه والأصول

- الفصل الثالث : النّحو واللّغة والمنطق

أمّا الباب الرابع : (الوضع الرّاهن للغة العربية ببلاد شنقيط)، فجاء مشتملاً على خمسة فصول :

- الفصل الأوّل : الوضع الرّاهن للنّحو العربيّ ببلاد شنقيط، ودخول اللّسانيات إليها.

- الفصل الثاني :المجال التركيبيّ.

- الفصل الثالث : المجال الصرفيّ.

- الفصل الرّابع : المجال الصوتيّ.

- الفصل الخامس : المجال الدلاليّ.

— ثمّ ختمت الرسالة ب (باب خامس : ملحق) : (النّحو واللّسانيات المعاصرة، وأوجه التشابه والاختلاف، ومستويات الكفاية في البحث اللّغويّ (ملحق)، من ثلاثة فصول، هي :

الفصل الأوّل : النّحو واللّسانيات البنيوية والتوليدية، وأوجه التشابه والاختلاف، ومستويات الكفاية في البحث اللّغويّ.

الفصل الثاني : اللّسانيّون العرب المعاصرون والنّحو العربيّ — المواقف النظرية والمنهجية

الفصل الثالث : النّحو العربيّ بين القديم والحديث

الختامــة:

- كما قمتُ بترتيب الفهارس على النحو الآتي :
- فهرستُ الموضوعات في البداية قبل المقدمة.
- فهرستُ الآيات القرآنية.
- فهرستُ الأحاديث والآثار.
- فهرستُ الشعر وأقوال العرب.
- فهرستُ الأشكال
- فهرست الجداول
- فهرستُ المصار والمراجع.

ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم
وما توفّيقى إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب

د/ يحفظ عمرو إنجيّة محمّد عبد الله
بتاريخ ١٥ / ٠١ / ٢٠١٥ م. انواكشوط.

التمهيد الإطار الثقافي لبلاد شنقيط

الفصل الأول : مفهوم شنقيط، وانتشار اللغة العربية بصحرائها،
ودور المدن الشنقيطية التاريخية في الإشعاع الثقافي
الفصل الثاني : المحظرة الشنقيطية

سيناقش هذا التمهيد مفهوم شنقيط، وانتشار اللّغة العربية بصحرائها، ودور المدن الشنقيطية التاريخية، والمحاضرة الشنقيطية، في الإشعاع الثقافيّ بالبلاد، في فصلين اثنين.

الفصل الأوّل : مفهوم شنقيط، وانتشار اللّغة العربية بصحرائها، ودور المدن الشنقيطية التاريخية في الإشعاع الثقافيّ

أ- مفهوم شنقيط : أطلقت على الصحراء الموريتانية عدّة تسميات^(١)، أبرزها : (بلاد شنقيط)، و(شنقيط) في الأصل مدينة من مدن (آدرار)، الواقع في الوسط الشمالي من موريتانيا الحالية، ثمّ أطلقت على القطر كلّ، فقبل : (بلاد شنقيط)، فكان ذلك «من باب تسمية الشيء باسم بعضه»^(٢).

وهذه المدينة من أقدم مدن شنقيط التاريخية، وكان تأسيسها سنة ٦٦٠هـ-١٢٦١م قرب مدينة (آبیر)، التي تأسست سنة ١٦٠هـ-٧٧٦م، ثم أخذت في الاضمحلال، حتّى اندثرت، فصار أهلها إلى مدينة شنقيط الجديدة فعمرّوها^(٣).

ويبدو أنّ إطلاق (بلاد شنقيط) على المساحة التي يقطنها مجتمع البيضان^(٤)، المتّحد لغة وزيّاً وعادات، الممتدّة من المحيط الأطلسي غرباً إلى أزواد وأروان شرقاً، ومن حدود السنغال ومالي جنوباً إلى حدود المغرب شمالاً - كان ناشئاً عن كثرة قدوم الحجاج من مدينة شنقيط إلى البلاد المقدّسة، ومكانتهم العلمية، فأطلق المشرقيون اسم المدينة على القطر كلّ، فشاع اسم (الشناقطة)، و(بلاد شنقيط)^(٥).

وهذا هو المجال الذي كان مسرحاً لعمليات الحركة المرابطية، الذي عرف أيضاً حلول اللّغة العربية فيه محلّ اللّهجات البربرية منذ القرن الثامن الهجري؛ لذلك فإنّ المجال المدروس يشمل بالإضافة إلى موريتانيا الحالية مناطق أخرى مجاورة تربطها بها وحدة اللّغة والعادات والتقاليد والنسب والتاريخ. وهذه المناطق هي من الشمال :

١- يراجع مثلاً تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، ص ١٠.

٢- الوسيط في ترجم أدباء شنقيط، ص ٤٢٢.

٣- المصدر نفسه، ص ٤٢٥.

٤- البيضان : اسم أطلقه الشناقطة قديماً وحديثاً على الجنس الأبيض في بلاد شنقيط . والأكثر أن يكون بالطاء المعجمة المشالة، وقد يكون بالضاد المعجمة (البيضان).

٥- الوسيط في ترجم أدباء شنقيط، ص ٤٢٦.

«إقليم الساقية الحمراء ووادي الذهب وإقليم تندوف»، ومن الشرق «إقليم أزواد»^(١).

ب — انتشار اللغة العربية : أخذت مجموعة من قبائل بني حسان العربية — منذ أن أجلاها ملوك بني مرين^(٢) من جنوب المغرب في مستهل القرن الثامن الهجري — في النزوح إلى صحراء شنقيط، وكان دخولهم الصحراء بداية تحوّل في تاريخها، حيث بدؤوا سلسلة من الحروب ضدّ قبائل صنهاجة، تمكّنوا أثناءها من فرض سيطرتهم على الصحراء نهائياً مع حلول القرن التاسع الهجري^(٣)، ممّا مكّنهم من «أن يعطوا الصحراء طابعا اجتماعيا، ومع مرور الوقت أصبحت الحسانية^(٤) لغة الصحراء»^(٥).

وبدأ عهد جديد لاح بالحضور العربي، وإحلال العربية محل البربرية^(٦). ووقع امتزاج لافت، وانصهار كبير بين العرب القادمين والقبائل المحليّة البيضاء من البربر وصنهاجة، وذلك نتيجة لما حصل من الحروب والاحتكاك^(٧)، والمصاهرة بين الطرفين، فتولّد عنه تعرّب شامل للقبائل المحليّة البيضاء قاطبة بدون استثناء^(٨).

ج — دور المدن الشنقيطية التاريخية في الإشعاع الثقافي : اعتنى الشناقطة بالثقافة عبر العصور اعتناءً كبيراً، فشيّدوا المدارس العلمية في المدن والأرياف، التي ازدهمت بطلّاب العلم والدارسين لتحصيل العلوم والمعارف. وقد بدأ النشاط العلمي بالصحراء الشنقيطية أولاً في المدن التاريخية منذ نشأتها في وقت مبكر من الفتوحات الإسلامية، والتي اندثر بعضها، وبقي بعضها الآخر شاهداً على إسهامها الكبير في الإشعاع الثقافي عبر العصور، وكانت هذه المدن أهمّ المراكز الثقافية والدينية في الصحراء، مُسهمّة بنصيب وافر من هذا الإشعاع قبل أن ينتقل منها إلى الريف. وقد تأسّس بعضها، وبدأ فيه نشاط علمي قبل العهد المرابطي، بينما تأسّس بعضها الآخر في

١ - تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ص ١٩، ١٨.

٢ - مازْمُول، قيام دولة بني مرين في إفريقية، ص ٣٧٣.

٣ - التاريخ السياسي، ص ٨٠.

٤ - هي اللهجة العربية المحوثة من الفصحى، والتي يتكلّمها الآن المجتمع العربي قاطبة ببلاد شنقيط.

٥ - التاريخ السياسي، ص ٨١.

٦ - موسوعة التاريخ الإسلامي، ص ٥٠٢.

٧ - تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ص ١٤.

٨ - تاريخ موريتانيا عبر العصور، ص ١٢٥.

حقبة الدولة المرابطية. وهي :

١ - مدينة (ولانة)، التي تأسست في القرن الثاني الهجري، كان لها دور كبير في ازدهار الثقافة العربية الإسلامية عموماً، وبلاد شنقيط خصوصاً، ما تزال قائمة إلى الآن شاهدة على عطائها المجيد، التليد. يصفها الدكتور حماد الله قائلاً : «ولانة : الحاضرة العتيقة، الواقعة في أقصى (جنوب الشرق الموريتاني الحالي، ضمن ولاية الحوض الشرقي)، تأسست في القرن الثاني الهجري، وهي من كبريات حواضر الإسلام والثقافة العربية في غرب الصحراء والسودان، ثم صارت منذ القرن التاسع الهجري دار علم لامثيل لها في البلاد...»^(١).

٢ - أودغست : المدينة المندثرة، وهي : «عاصمة قديمة للصنهاجيين، وصل إليها حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع في حملته سنة ١١٦ هـ ، وفتحها المرابطون سنة ٤٤٦ هـ... كان بها جامع ومساجد كثيرة، أهلة، في جميعها المعلمون للقرآن»^(٢).

٣ - كومبي صالح : المدينة المندثرة، الواقعة في شرقي البلاد (٦٠ ميلاً جنوبي تندغة)، ويرجح أن تكون «عاصمة دولة غانه القديمة، التي تأسست في القرن الثاني الميلادي... و- كانت - مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجداً، أحدها يُجمعون فيه، ولها الأئمة والمؤذنون... وفيها فقهاء وحملة علم»^(٣).

وكانت فترة هذا النشاط العلمي والديني بهاتين المدينتين المندثرتين في القرن الرابع الهجري^(٤).
٤ - تيمبكتو : تأسست مدينة تيمبكتو في أوائل القرن الخامس الهجري، الموافق سنة ١٠٨٠ م، وهي تقع شرقي بلاد شنقيط حسب تحديد الإطار الثقافي للبلاد، شمالي دولة مالي الحالية. وكان أكثر ما تزدهر به في ذلك الوقت هو التجارة فقط، غير أن أهميتها ازدادت يوماً بعد يوم، حينما صارت إلى جانب تلك الميزة عاصمة للعلم والعلماء، والمكتبات الزاخرة بالمخطوطات. وهي اليوم مُدرجة في سلم الماضي السحيق، إذ لم يبقَ منها سوى ذكر تاريخها المجيد^(٥).

١ - تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ص ١٦٤، فما بعدها.

٢ - البكري أبو عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص ١٥٨ - ١٦٨.

٣ - بلاد شنقيط، ص ٦٩.

٤ - المصدر نفسه، ص ٦٦.

٥ - تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ص ١٣٦، والموسوعة الحرة على الشبكة المعلوماتية.

٥- (تَارَختْ) : المدينة المندثرة، الواقعة بالقرب من ولاتة، على ميلين جنوب غربها^(١). ولا يُدرى متى تأسست هذه المدينة، غير أنَّ بعض الإشارات تفيد تأسيسها في وقت مبكر منذ الفتح الإسلامي، حيث اتجهت بعض المجموعات التي كانت تقطنها قبل تخريبها إلى مدينة (ولاتة)، فشكّلت نسيجاً من سكّانها الأقدمين. يقول الدكتور حماد الله عن ذلك، مشيراً إلى علمائها، وهو ما يهّمنا هنا :

«لقد وفد أولاد يونس - هم من عرب المعقل - إلى شمال الحوض الشرقي منذ القرن التاسع الهجري، واستقرّوا في الحيّز الغربي من الإقليم، غرب ولاتة، ودخلوا في صراعات مع سكّانها من البيض والسود، ثم قاموا بتخريب مدينة (تَارَختْ) الشهيرة لأسباب لم تذكرها المصادر... وقد خرج من تَارَختْ مائة رجل من أعيانها، بعضهم من العلماء، محتمين برئيس ولاتة : (أعلي أسر بن الفاروق المحجوبي)، الذي أمتهم لدى رئيس أولاد يونس... وكانت قرية علم ودين... ولما خرّبها أولاد يونس دخل بعض أهلها ولاتة، وصار في عداد المحاجيب»^(٢).

بمعنى أنّه كان بها نشاط علمي ملحوظ، حيث وُصفت بأنّها قرية علم، ودين، وكان من أعيانها بعض العلماء.

ويذكر صاحب فتح الشكور^(٣) عن العالم الولائي، الوافي بن محمد بن شمس الدين القلاوي (ت ١٠٤٠ / ١٠٤٥ هـ)، أنّه سكن تَارَختْ عشرين سنة قبل خرابها، ثم أربعين سنة في ولاتة، لم تفته تكبيرة الإحرام. وهذا النصّ أيضاً يفيدنا أنّ عطاء المدينة العلمي امتدّ حتّى خرابها المتأخّر زمناً طويلاً عن تاريخ تأسيسها.

٦- آزوكي المندثرة : الواقعة في «أرض (أركين وتيدرة)، التي وُلد فيها، وانطلق منها ابتداءً من ١٠٣٧ م مؤسسو الدولة المرابطية، الذين شيّدوا عاصمتهم الأولى (آزوكي) في جبل (لمتونة) قرب (أطار)، فظلّت عاصمة للمرابطين، وبها قلعتهم المشهورة، حيث قبر قاضي الدولة المرابطية، ومتكلّمها محمد بن الحسن المرادي المتوفّي سنة ٤٨٩ هـ»^(٤).

١- حياة موريتانيا الثقافية، ص ٢٠٨.

٢- المصدر نفسه، ص ١٧١-١٧٣.

٣- البرتلي، فتح الشكور، ص ٣٧٩.

٤- تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ص ٤٣.

٧- (تينيكى) المندثرة^(١): ممّا يدلّ على مكانتها العلمية الكبيرة قول المختار بن حامدن: « تينيكى : بنتها قبيلة تجكانت في القرن السادس الهجري، وقامت فيها دولة علم ودين وثروة تزيد على ثلاثة قرون... ومثل المدلّش الذين كان الغلام فيهم يحفظ المدونة قبل بلوغه، ومثل تجكانت في قرية (تينيكى)، قيل إنّ كانت توجد فيهم ثلاثمائة جارية تحفظ موطأ مالك، فضلاً عن غيره من المتون، فضلاً عن الرجال»^(٢).

العلاقة العلمية بين مديني ولاتة وتيمبكتو

أرى أنّ تسليط الضوء على هذه العلاقة مهمّ لإثبات أنّ مدينة (تيمبكتو) مدينة شنقيطية بعلمائها ومعارفها، داخلة الإطار الثقافي لبلاد شنقيط. ففي المستهلّ أشير إلى تلك الرحلات المسجّلة من تيمبكتو إلى ولاتة، وما أحدثته من الاحتكاك المعرفي الكبير بين علماء المدينتين، مع أنّ أسرة الأقيتين (أسرة العلماء الكثيرين)، هي أسرة شنقيطية، نازحة من مدينة (وادان) الشنقيطية، زد على ذلك أنّ سكّان هذه المدينة العرب (وهم الأغلبية) من القبائل والأسر الشنقيطية، ما يزال بعضهم محتفظين بأسماء أصولهم، وألقابهم الشنقيطية^(٣).

وعليه فإنّه من وجهة نظري لا يصحّ التأريخ للنشاط النحوي ببلاد شنقيط دون عدّ مدينة (تيمبكتو) من أهمّ مدنها الثقافية. وللتدليل على العلاقة المذكورة نجد مُحقق فتح الشكور عند الحديث عن حياة الحاج أحمد (ت ٩٤٣هـ)، يقول: «جدّ أحمد بابا التيمبكتي لأبيه، وقد ترجم له (نيل الابتهاج ١٣٧، وكفاية المحتاج ١٣٥)، ونقلها عنه السعدي (تاريخ السودان ٣٧)، وفيها أنّ صاحب الترجمة أخذ عن أهل (ولاتن)، ممّا قد يعني أنّه درس على علماء (ولاتة) لما هاجر إليها مع أبيه^(٤) وأخويه، وخاله المختار النحوي^(٥) حين احتلّ (سني علي) تيمبكتو سنة ٨٧٣هـ»^(٦).

١ - «بنتها قبيلة تجكانت في القرن السادس الهجري، وتقع بين شنقيط وودان في آدرار». تاريخ موريتانيا السياسي، ص ٥٩.

٢ - المصدر والصفحة نفسها.

٣ - ككتته وتجكانت مثلاً. يراجع الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص ٥٨.

٤ - أبوه: عمر. (لم أقف على تاريخ وفاته)، وأخواه: عبد الله (ت ٩٢٩هـ)، ومحمود (ت ٩٥٥هـ).

٥ - المتوفى ٩٢٢هـ.

٦ - حاشية ٤، من ص ٤٨.

فهذا النصّ معبرٌ حقّاً عن العلاقة العلمية الوثيقة التي كانت قائمة بين علماء المدينتين، التي من الممكن أن نقف على شيء منها غير يسير أثناء ترجمات صاحب فتح الشكور لبعض علمائهما، فمثلاً عند حديثه عن حياة عمر (الجدّ الأكبر لأسرة الأُفَيَّيَّين بتمبكتو) بن محمد أُقيت بن عمر بن علي الصنهاجي التيمبكتي^(١) يقول :

كان فقيها عالماً صالحاً.. رحل إلى (ولادة) لما رحل إليها فقهاء (سنكري)، من أجل خوفهم من الظالم الفاجر (سني علي)، لما دخل تيمبكتو في رابع رجب الفرد، أو خامسه عام ثلاثة وسبعين وثمانمائة.. وعمل فيها فساداً عظيماً.. رحل بأولاده الثلاثة المباركين : الحاج أحمد^(٢)، وهو أكبرهم سنّاً، والفقيه عبد الله^(٣)، والفقيه محمود^(٤)، وهو أصغرهم، وهو يومئذ ابن خمس سنين، ومشى معهم خالهم الفقيه التّحوي المختار^(٥).. فأدرك الإمام الزّموري^(٦) رحمه الله تعالى، وأجازه كتاب الشفاء للقاضي عياض^(٧)، ثم رجع ابنه الفقيه محمود بن عمر من (ولادة إلى تيمبكتو) سنة خمس وثمانين وثمانمائة، وأمّا والده الفقيه عمر فلم يرجع من ولادة حتّى توفي فيها رحمه الله، وكذا ابنه عبد الله^(٨).

نصّ مهمّ جداً لإعطاء صورة واضحة لحجم الاحتكاك العلمي الوثيق، الذي كان قائماً بين علماء المدينتين، وقدر الاستفادة المتبادلة بينهما في المجالات المعرفية. وفي هذا المضمار يقول بول مرقى : «وفي بداية القرن الثالث عشر الميلادي سقطت غانة تحت نير رئيس قبائل الصّوصو، وبعد برهة من الزمن، أي في ١٢٢٤م، هاجر وُجهاؤُها.. إلى (بيرو) الواقعة إلى شملها... ثم جاء تدمير غانة على يد الزعيم صونكاتا سنة (١٢٤٠م)، ممّا جعل (ولادة) فريدة دون منافس، حيث ورثت حياة ونفوذ غانة القديمة»^(٩).

١- لم أقف على تاريخ وفاته.

٢- المتوفّى ٩٤٣ هـ.

٣- المتوفّى ٩٢٩ هـ.

٤- المتوفّى ٩٥٥ هـ.

٥- المتوفّى ٩٢٢ هـ.

٦- عبد الله بن أحمد بن سعيد، كان حيّاً سنة ٨٨٨ هـ. ينظر فتح الشكور، ص ٢٠٠، حاشية المحقّق رقم ٥.

٧- المتوفّى ٥٤٤ هـ.

٨- فتح الشكور، ص ٣١٤، ٣١٥.

٩- في كتابه : القبائل البيضانية، ص ٣٠٤.

وَيُذَكِّرُ «أَنَّ مُحَمَّدَ أَقِيْتُ»^(١) الْجَدُّ الْأَكْبَرُ لِأُسْرَةِ أَحْمَدَ بَابَا (ت ١٠٣٦ هـ) كَانَ مِنْ أَهْلِ (مَاسَنَةِ). يَقُولُ أَحْمَدُ بَابَا : مَا رَحَّلَهُ عَنْهَا إِلَى بِيرو : (وَلَا تَهْ) إِلَّا بِغَضِ الْفَلَانِيِّنَ، وَهُمْ مُتَجَاوِرُونَ فِي سَكْنَاهَا. وَقَالَ عَنْهُ إِنَّهُ مُتَأَكَّدٌ مِنْ عَدَمِ مُنَاكَحَتِهِمْ، وَلَكِنَّهُ يَخَافُ ذَلِكَ عَلَى أَوْلَادِهِ لَثَلَا يَتَنَاسَلُوا مَعَهُمْ»^(٢). وَيَقُولُ الْخَلِيلُ النَّحْوِيُّ : «وَفِي الْقَرْنِ النَّاسِعِ الْهَجْرِيِّ... اسْتَقْبَلَتْ وَلَا تَهْ شُرَفَاءُ وَعُلَمَاءُ قَادِمِينَ مِنْ تَيْمَبِكْتُو»^(٣).

هَذَا كُلُّهُ يُؤَكِّدُ مَا سَلَفَ ذَكَرَهُ مِنْ أَنَّ (وَلَا تَهْ) كَانَتْ مَلْجَأً لِعُلَمَاءِ تَيْمَبِكْتُو، يَقْصِدُونَهَا عِنْدَ الْأَزْمَاتِ، ثُمَّ فَسَحَ الْمَجَالُ لِلتَّلَاقِي بَيْنَ عُلَمَاءِ الْمَدِينَتَيْنِ عَلَى نِطَاقٍ وَاسِعٍ، وَأَنَّ مَدِينَةَ تَيْمَبِكْتُو مَدِينَةُ شَنْقِيطِيَّةٍ سَكَّانًا، وَثِقَافَةً، زِدْ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ أُسْرَةَ الْأَقْيَتِيِّينَ الصَّنَهَاجِيَّةِ، الَّتِي انْحَدَرَتْ مِنْهَا هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ، وَالْقَاطِنَةُ بِتَيْمَبِكْتُو وَدَانِيَّةُ الْأَصْلِ، إِذْ هِيَ مِنْ سَكَّانِ مَدِينَةِ (وَادَانَ) الشَنْقِيطِيَّةِ، حَيْثُ تَدُلُّ بَعْضُ الْوُثَائِقِ عَلَى أَنَّهُمْ مِنْ تَجْمَعٍ (إِيدُوْلِحَاجِ)، سَكَّانِ الْمَدِينَةِ الْأَصْلِيِّينَ^(٤).

وَهَذَا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ كَلَامُ الْمُؤَرِّخِ الْمُخْتَارِ بْنِ حَامِدٍ : «مَدْرَسَةُ وَدَانَ... وَقَدْ تَفَرَّعَ مِنْهَا مَدْرَسَتَانِ بَدَوِيَّتَانِ: الْأُولَى فِي إِيدُوْلِحَاجِ الَّذِينَ نَزَحُوا إِلَى الْقِبْلَةِ فِي الْقَرْنِ الْعَاشِرِ الْهَجْرِيِّ. الثَّانِيَّةُ فِي إِيدُوْلِحَاجِ النَّازِحِينَ إِلَى الرُّقْبِيَّةِ فِي عَجْزِ الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ الْهَجْرِيِّ. كَمَا تَفَرَّعَتْ مِنْهَا مَدْرَسَةُ الْأَقْيَتِيِّينَ فِي تَيْمَبِكْتُو، الَّذِينَ رَجَعُوا مِنْهُمْ إِلَى وَدَانَ بَنُو الْفَقِيهِ مُحَمَّدٍ^(٥) بْنِ عَمْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَقِيْتُ : قُضَاةُ وَدَانَ وَأَثَمَتُهُ»^(٦).

وَهَذَا التَّحْقِيقُ فِيمَا يَبْدُو هُوَ مَا جَعَلَ الدُّكْتُورَ يَحْيَى بْنَ الْبَرَاءِ يَقُولُ مُحَقِّقًا عِنْدَ حَدِيثِهِ عَنِ الْفَقِيهِ أَحْمَدَ بَابَا بْنِ مُحَمَّدٍ أَقِيْتُ التَّيْمَبِكْتِي : «فَقِيهِ جَلِيلُ الْقَدْرِ، وَمُدْرَسٌ مَشْهُورٌ، مِنْ قَبِيلَةِ (إِيدُوْلِحَاجِ)، (أَهْلُ مُحَمَّدٍ أَقِيْتُ) الْقَاطِنِينَ بِتَيْمَبِكْتُو»^(٧).

وَشَهِدَتْ الْفَتْرَةُ الَّتِي تَمْتَدُّ مِنْ نِهَآيَةِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ إِلَى بَدَايَةِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ الْهَجْرِيِّ

١- لم أقف على من أَرخَ لوفاته فيما بحوزتي من المصادر.

٢- الكلام لصاحب تاريخ السودان، ص ٣٥، ٣٦، ينسبه لأحمد بابا التيمبكتي. عن محقق فتح الشكور، ص ٦٠، الحاشية ٥.

٣- المنارة والرباط، ص ٩٩.

٤- من ذلك مثلاً وثيقة كتبها أعيان قبيلة (إيدو الحاج) سنة ١٠٧٢ هـ. توجد بمكتبة الشريف عبد المؤمن بتشيت.

٥- ت ٩٥٥ هـ.

٦- حياة موريتانيا الثقافية، ص ١٩٨.

٧- كتابه : المجموعة الكبرى الشاملة للفتاوي، ج ٢، ص ٣٣.

زيادة في نشاط التمدّن في البلاد، حيث بُنيت فيها مدن، هي (علاوة على مدينتي ولاتة، وتيمبكتو) أهم وأقدم ما بُني في الصحراء من المراكز الثقافية والدينية، وهي : (ودان - تأسست سنة ٥٣٦ هـ)، و(تَشَيْتْ - تأسست سنة ٥٣٦ هـ)، و(شنقيط - تأسست سنة ٦٦٠ هـ)^(١). وهي، علاوة على مدينتي (ولاتة، وتيمبكتو)، سالفتي الذكر ما تزال حاضرة، وإن كان حضورها متواضعا، إذ شاخ عطاؤها العلمي الإشعاعي بعد ازدهار شامخ عبر التاريخ، وهي الآن جميعاً مصنّفة ضمن المُدن العالمية الأثرية وفاء لها، وتقديرا.

الفصل الثاني : المحاضرة الشنقيطية

المحاضرة الشنقيطية : المحاضرة : مصطلح شنقيطي بحت، يقابله في الحواضر العربية الإسلامية مصطلحات : (كتاب، خلوة، زاوية، مدرسة). وقد عرّفها الشناقطة عدّة تعريفات، منها عند وزارة الشؤون الإسلامية الموريتانية : « المحاضرة : هي المؤسسة التي حملت مشعل الحضارة الإسلامية، والثقافة العربية منذ تسعة قرون ونيف، وما زالت تتابع رسالتها »^(٢).

وحسب ما جاء في منشورات المدرسة الوطنية للإدارة : « المحاضرة : جهاز للتعليم المتكامل.. يتمتع بوسائل بشرية ومادية هامة، كالأساتذة والطلبة والكتب »^(٣).

وعند الأستاذ المختار محمد موسى : « المحاضرة : مؤسسة تعليمية تقوم بأدوار جميع المؤسسات التعليمية، من رياض الأطفال حتّى الجامعة، وترتكز على شيخ واحد يتولّى التدريس، متبرّعا بدروسه حسبة منه لوجه الله تعالى، إلى جانب أنّه يقوم بالسهر على طلابه أخلاقيا »^(٤).

ويصفها الدكتور محمد بن مولاي بأنّها « ظاهرة متميّزة، اخترعها الشنقيطيون لنشر الإسلام في إفريقيا السوداء، وللمحافظة على إقامة الدين والقيم والتراث الإسلامي

١- بول مرتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تعريب محمّد محمود ودّادي، ص ٣٠٤، والتاريخ السياسي، ص ٥٩، وتاريخ موريتانيا، ص ١٦٥، فيما بعدها.

٢- وزارة الشؤون الإسلامية، كتاب التهذيب، ص ١.

٣- إعداد مجموعة من الأساتذة، انواكشوط، ١٩٨١م، ص ٦.

٤- بحث بعنوان : المحاضر الإسلامية في موريتانيا. منشور في مجلّة الجاهريّة العربية للتربية والعلوم والثقافة. العدد ٣٢ ديسمبر ١٩٨٧م. ص ٤٠.

الحضاري في بلادهم. فهي تختلف عن الكتابيب التي عرفتها البلاد الإسلامية الأخرى»^(١).

وإذا كان ابن خلدون يرى التعليم صناعة من الصناعات، لا تكثر وتنمو وتزدهر إلا حيث العمران والحضارة^(٢)، فإنّ الشناقطة قد أبطلوا هذه المقولة، وهم البدو الرحّل، بتشبيدهم مؤسّسة المحظرة، التي لا مثيل لها، في حلّهم وترحالهم، محافظين بها منذ نشأتها على استمرار الإشعاع الثقافي العربي الإسلامي، مزدهراً عبر العصور؛ لذلك حقّ للأستاذ الخليل النّحوي أن يصفها بقوله :

«مؤسّسة من مؤسّسات التربية العربية الإسلامية الأصيلة، تحمل بعض خصائص وسمات النظام التربوي، الذي نشأ وازدهر في أحضان مُدن الثغور وحوضر الخلافة والثقافة، ولكّنها تتميّز بسمات، هي فيها أبين وأبرز، أوهي خالصة لها دون غيرها من المؤسّسات التربوية العتيقة» كما أنّها «جامعة شعبية، بدوية، متنقلة، تلقينية، فردية التّعليم، طوعية الممارسة»^(٣).

والمحظرة : بالطاء المشالة هي الاستعمال الشائع بين الشنقيطين، وهي من الحظيرة والاحتظار، فالقوم كانوا أهل بادية يستخدمون (الحظيرة) حمايةً لخيامهم ومواشيهم، وسكناً لطلبة العلم لتقيهم شدّة الحرّ وقساوة البرد، وهم عاكفون في العراء لتحصيل شتى المعارف والفنون. وقد ينطقها بعضهم بالضاد (المحضرة)، وهي من الحضور أو المحاضرة. ولكلا المصطلحين أنصار يستخدمونه، ويدافعون عنه، ولكل أدلةً بيّنة الدلالة^(٤).

مقرّرات المحظرة: الموادّ المدرّسة في المحظرة الشنقيطية هي العلوم الإسلامية جميعها، المعروفة في مراكز العلم بالحوضر الإسلامية، مثل القرآن الكريم حفظاً وتجويداً، علومه، العقيدة، الحديث الشريف، علومه، الفقه، أصوله، اللغة، النّحو،

١ - التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، ص ٣٤.

٢ - المقدّمة، ص ٥٢٠.

٣ - المنارة والرباط، ص ٥٣.

٤ - المصدر نفسه، ص ٦١.

التّصريف، فنون البلاغة، علم العروض والقوافي، المنطق، علم الكلام، التّصوّف، الأخلاق وآداب السلوك، السّير والتاريخ، علم الأنساب، الحساب، علم الفلك، علم الجغرافيا، الطّب...^(١).

إذن المحاضرة الشنقيطية فعلاً «ظاهرة غير مألوفة، إذ كيف تتصوّر جامعة يُدرس فيها بتعمّق وإتقان جميع العلوم الإسلامية التقليدية من علوم القرآن والتجويد والسيرة النبوية والفقه وأصوله وقواعده، وعلوم اللّغة من نحو وصرف وبلاغة وأدب. وفي أغلب الأحيان يقوم عالم واحد بتدريس هذه الموادّ على مدى أكثر من اثنتي عشرة ساعة في اليوم الواحد. أمّا الطلبة فإنّهم كما يقول : أحدهم :

تلاميذ شتّى ألف الدهر بينهم لهم هممٌ قصوى أجلّ من الدهر
يبتون لا كنّ لديهم سوى الهوا ولا من سرير غير أزمنة غبر
يتعاقبون في الصباح على شيخ المحاضرة جماعة أو فرادى لتلقّي دروسه الشّفوية، متنقّلاً من مادة إلى مادة دون أن يضطرب إلقاؤه نتيجة لاختلاف الفنون التي يقرئها^(٢).
وليس لشيخ المحاضرة طريقة محدّدة في إلقاء الدروس على طلابه، «فتراه يدرّس ماشياً مسرعاً، ومرةً جالساً في بيته، ومرةً في المسجد، ومنهم من يدرّس أثناء الارتحال من جهة إلى أخرى، سواء كان راجلاً أو^(٣) راكباً^(٤). كما أنّه «كثيراً ما يقدّم دروسه وهو يتجوّل في الحيّ، يصل الأرحام أو يرعى ماشيته أو يحضر سقيها أو يطلبها خارج الحيّ، لا يشغله ذلك عن التدريس... وكذلك يعلّمون ويتعلّمون، خاصّةً والوقت يستعصي على البرمجة في حالات كثيرة، فيضطرّ الشيخ لأداء عدّة مهامّ في آنٍ واحد، ويساعده في ذلك أنّه يشرح ويفسّر، ويملي غالباً من ذاكرته، وربّما فتح أحدهم الكتاب للتثبت أو لتحقيق مسألة معيّنة... وعادة ما ينتهي الدرس بدعوتين متبادلتين : يقول الطالب لشيخه : غفر الله لي ولك، ويقول الشيخ للطالب : علّمني الله وإياك حسن الأدب»^(٥).

١ - حياة موريتانيا الثقافية، ص ٣٨، والمنازة والرباط، ص ٥٣، فما بعدها.

٢ - تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص ٤٣٧.

٣ - الأفضح العطف ب(أم) بعد سواء، بأن يقال : سواء أكان راجلاً أم راكباً.

٤ - الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص ٥١٩.

٥ - بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص ١٧٤.

أو عِلْمُ التُّقَى والأدب. وتتم العملية التدريسية بعفوية تامة، إذ «ليس للشيخ كرسى يجلس عليه ساعة التدريس، وليس على الطلبة إلا أن يكونوا حوله في هيئة لائقة تمكنهم من متابعة الدرس، ولا تُحَلَّ بوقار المجلس»^(١).

وتسير العملية التربوية في المحاضرة الشنقيطية حسب أسس ومبادئ، من أبرزها:

- التدرُّج في أخذ العلوم، حيث يبدأ الطالب من المتون الصغرى، ثم يتدرَّج فيها حتى يصل إلى المتون الكبرى، فمثلاً في تخصُّص النحو يدرس الطالب مختصر ابن أجروم، أو منظومة عبيد ربه (نظم الأجرومية)، وملحة الإعراب للحريري، وألفية ابن مالك، وتكمل ابن بونا لها معها، أو الكافية لابن مالك^(٢). ولا مية الأفعال في التصريف له، وتكمل الحسن بن زين عليها^(٣).
- الاختصار على دراسة كل متن على حدة، والتفرُّغ له حتى الانتهاء من استيعابه وإتقانه، ثم الانتقال إلى آخر، وهكذا^(٤).
- يُستحسن لطالب العلم «تقليل الحصّة الدراسية، للطالب الكلمة الفصل في تحديد مقدار الحصّة الدراسية في ضوء قدرته على الحفظ والاستيعاب.. وقد تدخلت المحاضرة في كبريات المتون خاصّة، فاعتمدت لها حصصاً دراسية موزونة، حدّرت الطلبة من تجاوزها، كما هو الشأن في مختصر خليل، فقد تحكّمت المحاضرة في دراسته فوزّعته إلى وحدات، تُشكّل الوحدة منها أكبر درس يمكن السماح للطلاب بتلقينه في يوم واحد»^(٥).
- كما أنّ الطالب في طريقة التحصيل «يتتبع في الدراسة تسلسلاً معيّناً، لا ينبغي أن يخلّ به إذا كان حريصاً على إتقان درسه، فهو يكتب النصّ على اللوح أولاً ثم يقرؤه على (الشيخ) ليُجيزه، أي ليُصحّح له ما يردّ على لسانه من أخطاء حتى يحفظه بصيغة سليمة، ثم يُقبل على قراءة النصّ المرّة تلو المرّة حتى يُتقن حفظه، ثم يقرؤه على شيخ المحاضرة سرّداً من ذاكرته على الأحسن حتى يتأكّد من سلامة

١- المصدر نفسه، ص ١٧٣.

٢- المصدر نفسه، ص ١٧١.

٣- سيأتي الحديث عن هذه المتون في محالّها، بمباحث الباب الثاني.

٤- بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص ١٧٢.

٥- المصدر نفسه، ص ١٧٢.

النصّ، ويضبط حجم الدرس، ثم يعود لقراءته مجزّأً، جملة جملة، أو بيتاً بيتاً، أو شطراً شطراً، و(الشيخ) يفسّر له، ولا يبقى بعد هذه المراحل إلا التكرار لترسيخ المعلومات في الذّهن.. وأهمّ هذه الحلقات حفظ المتن، وحفظ المعاني^(١).

- مرحلة التخرّج والإجازة: أحياناً قد يستعجل الطالب ويغادر المحاضرة بعد أن يأخذ ألواناً من معارفها، لا توصله إلى درجة التضلّع، وأخذ الإجازات فيها، بينما يوجد من بين الطّلاب من يحطّ رحاله بالمحاضرة، ويُلقي عصا الترحال بها حتّى يتضلّع في شتّى معارفها وفنونها، ويستحقّ حيازة إجازات شيوخها. يقول الأستاذ الخليل النحوي:

الصف الأول: قوم نهلوا من معارف المحاضرة ولم يتعمّقوا فيها، أخذوا من كلّ فنّ بنصيب... انسحبوا من المحاضرة وانشاقوا إلى الحياة النشطة، حياة الكدّ والتدبير، ولا يتلقّى هؤلاء إجازة، وإنّما يحملون ألقاباً فيها... أمّا الصف الثاني، فهم قوم تدرّجوا في الدراسة المحظرة صُعوداً إلى درجة التعمّق في دروبها والتخصّص في معارفها أو في بعضها، وهؤلاء هم خريجو المحاضرة الحقيقيّون، وهم الذين يحسبون عرفياً في عداد المتصدّرين منها، ولهم دون غيرهم يمنح الشيخ الإجازة. ومثل هؤلاء يخرجون من المحاضرة مهيين لتبوؤ مراكز علمية سامية... ومنهم من يتخرّج من المحاضرة وهو شيخ محظرة فعلاً، فإذا لفت أحد الطلبة نظر زملائه بكفاءته، وقرّر مغادرة المحاضرة لم يجد الطلبة غضاضة في الانسحاب من المحاضرة، ومرافقة زميلهم، الذي يصبح شيخاً لهم من ذلك الحين^(٢).

وقد اعتنى الشناقطة في أشعارهم بتسجيل هذه الأجداد المحظرة. يقول الشاعر البحّثة الأكاديميّ الدكتور سيدي عبد القادر بن الطّفيّل مثلاً في قصيدة طويلة يستعرض فيها ذكريات محظرة المرباط أباه بن محمّد الأمين اللّمتونيّ العريقة، التي كان يدرس بها أيّام صباه، واصفاً الإشعاع الثقافي بها، وهي نموذج للمحظرة الشنقيطية الجادة، يقول في مطلعها^(٣):

١- المصدر نفسه، ص ١٧٤.

٢- بلاد شنقيط المنارة والزباط، ص ١٧٨، ١٧٩، والوسيط في تراجم أدياء شنقيط، ص ٢٧٩.

٣- مخطوطة، ضمن مجموعة شعرية ونظمية، لشعراء وعلماء شناقطة، مودّعة بمخطوطات المعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. اناكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠٩. ص ١.

منازلٌ للأرض العريضة زينةً من الذهب الإبريز فوق المناحر
منازلٌ بين الوُنَجَتَيْنِ^(١) وفيهما مساحبٌ للألواح حول المحابر
وللعلم والطلاب فيهنّ ملتقى ومُزْدَحِمٌ فوق الحصى والحصائر
تَفَجَّرَ من أرجائها العلم صافيا وبَحَثَ به عَصراً ألوف الحناجر
والمحاضر الشنقيطية نوعان :

١- المحاضر المتخصصة، وهي المشتهرة بتحفيظ القرآن العظيم، أو بتدريس بعض الفنون، مثل علوم العربية، أو الفقه وأصوله وقواعده مثلاً.

٢- المحاضر الجامعة، وهي التي يقوم شيخها بتدريس جميع الفنون المحظرة، (لا يردّ لَوْحاً) كما يقول الشنقيطيون^(٢)، أي لا يرفض تدريس أي فنّ من الفنون المحظرة، وذلك لاستعداده العلمي.

وقد «اشتدّت عناية الزوايا(هم من اشتغلوا بطلب المعارف) بالعلم، واستجلبت المتون من بلاد الإسلام، وعني الطلاب بدرسها، والعلماء بالتعليق عليها واختصارها ومحاذاتها بمصنّفات منثورة أو منظومة...»^(٣).

ثم علا شأن المحاضر وذاع صيتها بعد سيطرة قبائل بني حسان العربية على صحراء شنقيط، ورجحان كفة العربية والتعرب في القرن الثامن، ومطلع التاسع الهجري، فدور بني حسان في ازدهار هذه العلوم يكمن في تغلب لهجتهم الحسانية الملحونة من العربية الفصحى على اللهجات المحليّة، وفي التعرب الشامل لسكان بلاد شنقيط^(٤).

يقول المختار بن حامدن عن ازدهار الثقافة في هذه الفترة : «شهدت ازدهارا ملحوظا في الثقافة والفكر، فقد عكف أهل الزاوية على دراسة آداب اللغة العربية والعلوم الشرعية، وخلفوا لنا تراثا ضخما من المؤلفات والدواوين»^(٥).

١- هما واديان.

٢- تنظر أمثلة لها في المنارة والرباط، ص ٢٧٠، فما بعدها، وتاريخ التحو العربي، ص ٤٣٨.

٣- حياة موريتانيا، الحياة الثقافية، ص ٦٠، ٦٥.

٤- التاريخ السياسي، ص ٨٠.

٥- المصدر والصفحة نفسها

وتطوّرت المحاضر بشكل ملحوظ، وازدهرت ازدهارا كبيرا في القرن العاشر الهجري. يقول الخليل التّحوي: «لقد شهدت بلاد شنقيط منذ القرن العاشر الهجري خاصّة نهضة ثقافية شاملة، وانتشرت المحاضر (الجامعات الأهلية) في أرجاء البلاد، وأقبل الناس عليها بشغف، فكان لهم في رحابها رهبانية علم، وجهاد ثقافي كبير، وعطاء ثرّ: شعرا ونثرا»^(١).

ثمّ بلغ هذا الازدهار أوجه في القرون الأربعة الموالية حتّى أضاء ربوع الصحراء الشنقيطية كلّها، وامتدّ إشعاعه خارجها إلى بعض الحواضر العربية الإسلامية في إفريقيا وآسيا^(٢). هذا وقد انتشرت هذه المحاضر وتمدّدت فروعها على نطاق واسع عبر بلاد شنقيط^(٣).

وقد أنجبت هذه المحاضر كثيرا من العلماء الكبار، الذين كانوا رافدا حيّا للثقافة العربية الإسلامية ببلاد شنقيط، وخارجها ببعض الحواضر الإسلامية في إفريقيا وآسيا، إذ سافر كثير منهم إليها، وأصبحوا بها سفراء للثقافة العربية الإسلامية، أساتذة محاضرين، مؤلّفين في مراكز العلم والثقافة بتلك الحواضر^(٤)، من أمثال محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنقيطي (ت ١٣٢٢هـ)، وأحمد بن الأمين العلوي الشنقيطي (ت ١٣٣١هـ) في القاهرة، ومحمد الأمين الشنقيطي، الملقّب بآبّه بن اخطور الجكني (ت ١٣٩٣هـ) في المملكة العربية السعودية، مثلاً. كما مثّل خرّيجو هذه المحاضر ذاكرة الصحراء الشنقيطية وعبقريّتها أحسن تمثيل، في استظهار العلوم المحظرة وضبطها. وهو ما سيّضح من مباحث الأبواب الثلاثة الموالية، بعون الله تعالى.

١ - المنارة والرباط، ص ١١.

٢ - المنارة والرباط، ص ٢٦٩ وما بعدها.

٣ - قد خصّص المختار بن حامدن لذلك حيزاً كبيراً من كتابه (حياة موريتانيا - الحياة الثقافية)، من ص ١٩٧ - ٣٧٤، إذ قام بحصر أشهرها، مشيراً إلى أماكن توزّعها بين القبائل والمجموعات، وبسط القول في أبرز شيوخها، وكذا فعل الأستاذان: الخليل التّحوي في المنارة والرباط، ص ٤٢٩، فما بعدها، والدكتور محمد المختار بن أبيه في تاريخ التّحو العربي في المشرق والمغرب، ص ٤٣٧، فما بعدها.

٤ - ينظر مثلاً المنارة والرباط، ص ٢٦٩، فما بعدها، حيث ذكر مؤلّفه نماذج من هؤلاء العلماء الموسوعيّين.

الباب الأول

رحلة النحو العربي إلى بلاد شنقيط

تمهيد

الفصل الأول : النحو العربي ببلاد شنقيط

الفصل الثاني : المصادر المغاربية والمشرقية

الفصل الثالث : التقليد والاجتهاد

تمهيد

أخذ النشاط النحوي يشقّ طريقه إلى الأندلس والمغرب بشكل ملموس في القرن الثاني الهجري، النشاط الذي بدأ كوفياً، إلى أن أصبح بصرياً في القرن الثالث، وحصل امتزاج كبير بين الدراسات النحوية واللغوية بالأندلس في القرن الرابع الهجري، ممّا مهّد لنشاط نحويّ بالغ الأثر في المغرب، وفي القرن الخامس الهجريّ انتقل ثقل الدراسات النحوية، بشكل واضح من المشرق إلى المغرب والأندلس، ثمّ في القرن السابع الهجريّ قدّم إمام النحويين بالأندلس محمد بن مالك الجبالي (ت ٦٧٢هـ) مذهباً نحويّاً، متميّزاً بسماته وخصائصه، جامعاً بين المذاهب النحوية، ناحياً في أغلب الأحيان منحنى أصحاب المذهبين النحويين الكبيرين: البصري والكوفي، ثمّ أصحاب المذهب البغدادي، الجامع بينهما، ما زجاً في فكره النحوي بين توجّهات هؤلاء النحويين وتصوّراتهم، مع شيء من التفاوت، والميل الواضح في الغالب العامّ إلى المذهب البصري، ممّا جعل مذهب النحويّ امتداداً لآراء أصحاب المدرسة البصرية، مع تميّزه بكثير من السمات والخصائص البارزة. ثمّ انتقل هذا المذهب إلى بلاد شنقيط التي احتضنته محاطاً خير احتضان، وتوطّدت معالمه في رحابها، وبين ربوعها^(١).

ولا يعلم بالضبط متى دخل النحو بلاد شنقيط. ويرى الأستاذ الخليل النحوي أنّه ربّما يكون دخل إليها في القرن السادس الهجري على يدي تلميذي القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) : الشريف عبد المومن، مؤسس مدينة تشيت سنة (٥٣٦ هـ) والحاج عثمان، مؤسس مدينة وادان سنة (٥٣٦هـ)، اللّذين قدما إلى شنقيط من أغمات بالمغرب، حيث يقول : «فلعلّ تلميذي القاضي عياض.. قد جلبا النحو ضمن ما جلبا من علوم اللّغة»^(٢).

ويبدو لي أنّه من المحتمل أن تكون بدايات دخوله البلاد قبل ذلك على أيدي معلّمي شنقيط الأوائل : عبد الله بن ياسين (ت ٤٥٠هـ)، الذي قدم إليها سنة (٤٣٠هـ)، والإمام الحضرمي (ت ٤٨٩ هـ)، وإبراهيم الأموي (ت ٥٢٠هـ)، اللّذين قدما إليها سنة (٤٦٥هـ) من أغمات بالمغرب، فهؤلاء فقهاء مدرّسون، وأصحاب حلقات علمية،

١- يراجع الدكتور محمد المختار بن أبيه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٤٤.

٢- كتابه : المنارة والرباط، ص ٢٠٦.

قدموا إلى البلاد من أجل بث العلم، فمن المحتمل جداً أن يكون النّحو ضمن المعارف التي اهتمّوا ببثّها في المجتمع.

وفي القرن السادس الهجري قدّم يحيى الكامل^(١) (جدّ المحاجيب) إلى ولّاته، وهو رجل علم وصلاح، وكان قدومه إليها محطة بارزة في حركة الإشعاع الثقافي. يقول ابن حامد: «وكذلك قدم على ولّاته يحيى الكامل.. فانتشر على يده علم كثير في تلك النواحي»^(٢). ويؤكد الخليل النّحوي انتشار الإشعاع العلمي بالبلاد في القرن السادس بقوله: «وفي القرن السادس الهجري أيضاً تصدّعت أركان مملكة غانا تحت ضغط أمراء صوصو فهاجر علماءؤها إلى ولّاته»^(٣).

وربّما يكون النّحو دخل البلاد قبل ذلك كلّه، وحلّ بالمدينتين المندثرتين بشرقي صحراء شنقيط:

- أودغشت: حيث كانت «عاصمة قديمة للصنهاجيين، وصل إليها حبيب بن أبي عبيدة في حملته سنة ١١٦ هـ، وفتحها المرابطون سنة ٤٤٦ هـ... كان بها جامع ومساجد كثيرة، أهلة، في جميعها المعلّمون للقرآن»^(٤).

- كُومبي صالح: التي رُجّح أنّها «عاصمة دولة غاناه القديمة.. تأسّست في القرن الثاني الميلادي... و(كانت) مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجداً، أحدها يُجمّعون فيه، ولها الأئمّة والمؤدّنون... وفيها فقهاء وحملّة علم»^(٥).

بمعنى أنّ النشاط العلمي والديني بهاتين المدينتين الشنقيطيتين المندثرتين كان مشهوداً في القرن الرابع الهجري^(٦)، وعليه فلا يستبعد أن يكون النّحو ضمن هذا النشاط، خصوصاً أنّ العلوم الشرعية مرتبطة بالنّحو العربيّ، ارتباط الروح بالجسد، حيثما وُجدت فهو موجود؛ لأنّه علم الآلة الذي لا يستغني عنه غيره من حقول الثقافة العربية الإسلامية.

١- المنارة والرباط، ص ٦٩، وتاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ص ١٦٩. ولم أقف على تاريخ وفاته.

٢- الحياة الثقافية، ص ٦.

٣- المنارة والرباط، ص ٦٩.

٤- المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص ١٥٨-١٦٨.

٥- بلاد شنقيط، ص ٦٩.

٦- المصدر نفسه، ص ٦٦.

الفصل الأول : النحو العربيّ ببلاد شنقيط

تبيّن ممّاسبق قبل قليل اعتماذ الشنقيطيّين في بدايات حياتهم العلمية على جهود العلماء المغاربة، من أمثال عبد الله بن ياسين، والإمامين : الحضرمي، وإبراهيم الأموي، فكان هؤلاء - فيما أرى - النواة الأولى للمحظرة الشنقيطية التي ازدهرت فيما بعدُ عبر العصور ازدهارا منقطع النظير، إذ كانوا في المجتمع مدرّسين، مفتين، واعظين. ثم أخذت المتون النحوية تفد من المغرب والأندلس، ثم المشرق. وفيما يلي تبيان ذلك :

المبحث الأول : بداية وصول المؤلفات النحوية إلى شنقيط

ولست هنا بقاصد الخوض كثيرا في الحديث عن متى وصلت هذه المتون، وشروحيها ببلاد شنقيط، ومَن أوصلها؛ لأنّ المصادر التي بأدينا لا تسعفنا كثيرا بمعلومات جادة عن الموضوع، غير أنّه من المؤكّد وصولها في أوقات مبكّرة، متفاوتة، عن طريق العلماء والقوافل، حيث أقدم مثن عرفته البلاد هو (متن الملحّة) للحريري، ثم مؤلّفات ابن مالك النحوية، وفريدة السيوطي والأجروميّة^(١).

وعليه فمما يُركن إليه أنّ هذه المتون وصلت البلاد في وقت مبكّر، وأنّ الثقافة العربية الإسلامية عموما، والدراسات النحوية خصوصا ببلاد شنقيط كانت تعتمد في بدايات نشأتها وتكوّنها على الروافد المعرفية الوافدة إليها من المغرب والأندلس أولا، ثم مصر. غير أنّ الحديث عن الدرس النحوي لا نلحظه إلّا في القرن التاسع الهجري، ففيه نجد، كما يقول الأستاذ الخليل النحوي : «التواصل الذي تجسّده رسالة محمد بن علي اللّمتوني^(٢) إلى جلال الدين السيوطي^(٣)، وطلبه منه كتابا عن الحروف، ممّا يوحي بأنّ النّحو كان في البلاد في القرن التاسع الهجري»^(٤).

وهذا ما تؤكّده ترجمات صاحب فتح الشكور لبعض علماء بلاد شنقيط في المنطقة الشرقية (ولاتة وتيمبكتو)، فعند معرض حديثه مثلا عن حياة أحمد بابا التيمبكتي (ت ١٠٣٦هـ)، وذكر شيوخته، ذكر أنّه قرأ النّحو على عمّه الرجل الصالح،

١ - مثلا التاريخ السياسي، ص ٨٠، والحياة الثقافية، ص ٦، ٥.

٢ - لم أقف على تاريخ وفاته.

٣ - المتوفّى ٩١١هـ.

٤ - المنارة والرباط، ص ٢٠٦.

أبي بكر بن أحمد بن عمر بن محمد أُقِيَّت (ت ٩١١هـ^(١))، ووصفَ الفقيه المختار النحوي (ت ٩٢٢هـ)، خالَ جدَّ أحمد بابا التيمبكتي لأبيه بـ «العالم بكلِّ فنٍّ من فنون العلم»^(٢). وعند حديثه عن حياة الحاج أحمد بن عمر بن محمد أُقِيَّت الصنهاجي التيمبكتي (ت ٩٤٣هـ)، ذكر أنَّه كان : «فقيها نحويا، لغويا، عروضيا، محصّلا، اعتنى بالعلم طول حياته... وترك نحو سبعمائة مجلد... وحجَّ في عام تسعين وثمانمائة، ولقي جلال الدين^(٣) السيوطي، والشيخ خالد الأزهرى^(٤) إمام النحو، وغيرهما، ورجع في فتنة الخارجى (سني علي)»^(٥) (٦).

فهذا النص يفيد بجلاء أنَّ الشَّاطِط النُّحويَّ بصحراء شنقيط كان موجوداً بقوة في القرن التاسع الهجري، حيث كان تمكَّن بعض العلماء من النحو، وظهور تأليفهم فيه شيئاً ملحوظاً. وهو ما يستلزم قبل ذلك بفترة ليست بالقصيرة، وصول بعض مؤلفاته إلى البلاد، حتَّى يتمكَّن العلماء والدَّارسون من هضمها، والقيام بعملية التأليف فيه.

المبحث الثاني : تزايد بؤادر النشاط النحوي ببلاد شنقيط

هذا النشاط النحوي المشار إليه كان في القرن التاسع الهجري، أمّا إذا ما انتقلنا إلى القرن العاشر فإننا نجد نشاطا نحويا كبيرا في مدينتي ولّاتة وتيمبكتو، يظهر جليا من ترجمات صاحب فتح الشكور لبعض علماء المدينتين. من ذلك مثلا قوله عند حديثه عن حياة عبد الله بن أحمد برّي التيمبكتي (ت ١٠١٠هـ) : « كان فقيها متفتمنا في زمنه، نحويا، لغويا»^(٧).

وعند حديثه عن حياة محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب ابن الفقيه المختار التيمبكتي (ت ١٠١٤هـ) يقول : «له من التأليف عدّة : شرح رحمه الله تعالى ألفية السيوطي في النحو

١- فتح الشكور، ص ٦١.

٢- المصدر نفسه، ص ١٩٩، ٢٠٠.

٣- المتوفى ٩١١هـ.

٤- المتوفى ٩٠٥هـ.

٥- «ملك بلاد السودان الذي تميّز عهده المضطرب - ٨٦٩-٨٩٨- بمعارضة فقهاء تيمبكتو الصنهاجين له، وتنكيله بهم، ممّا أدّى إلى هجرة نخبتهم إلى ولّاتة». محقّق فتح الشكور، ص ٤٩، حاشية ٧. نقلًا عن تاريخ السودان، ص ٦٤-٧١.

٦- فتح الشكور، ص ٤٨.

٧- المصدر نفسه، ص ٢٨١.

شراحا غريبا مفيدا، سَمَّاهُ ب(المنح الحميدة في شرح الفريدة)^(١). وعند حديثه عن حياة عبد الله الملقَّب باند عبد الله بن سيدي أحمد بن محمَّد المحجوبي الولاقيّ (ت ١٠٣٧هـ) يقول : «كان فقيها نحويا، شرح الأَجْزُومِيَّةَ شرحا حسنا مختصرا... كان حيّا عام سبعة وثلاثين وتسعمائة.. فهو من المعمرين»^(٢).

وعند الحديث عن حياة أحمد بابا التيمبكتي (ت ١٠٣٦هـ) يقول : «جدّ واجتهد في بداية أمره في خدمة العلم حتّى فاق جميع معاصريه، ولا يناظره إلّا أشياخه، وشهدوا له بالعلم.. وسلّم له علماء الأمصار في الفتوى.. وقرأ النّحو على عمّه أبي بكر^(٣)، والتفسير والحديث والفقه والأصول، والعربية والبيان وغيرها، على شيخه العلامة محمَّد بغيغ^(٤).» (قال أحمد بابا في ترجمة شيخه هذا) : فختمت عليه مختصر خليل بقراءتي، وقراءة غيري ثمان مرّات، وختمت عليه الموطأ قراءة تفهّم، وتسهيل ابن مالك قراءة تحقيق مدّة ثلاث سنوات»^(٥).

فهذا الإشعاع الثقافيّ النحويّ بمدينتي (ولانة وتيمبكتو) كان في القرن العاشر الهجري، وهؤلاء العلماء وصفهم صاحب فتح الشكّور بالنحويّين مثل ما رأينا، وبعضهم قدّم لنا إسهاماً نحوياً، تمّ الاطّلاع عليه، ممّا يعني أنّ الدراسة النحوية بالمدينتين في القرن العاشر الهجري كانت نشطة جدّاً. وفي المنطقة الشّالية لم تظهر التّأليف النّحوية بشكل واضح إلّا في القرن الحادي عشر الهجري لدى ثلاثة من كبار علماء مدينتي (تشت وشنقيط)، هم :

١ - الطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي (ت ١١٠٧هـ) بكتابه:

(المَنّ العديدة في إيضاح مسائل الفريدة) للسيوطي (ت ٩١١هـ)^(٦).

٢ - أبو بكر بن الطُّفيل بن أحمد بن محمد مسلم المسلمي التشتي (ت ١١١٦هـ) بنظمه:

(قطر الندى) لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)^(٧).

١ - ينظر فتح الشكّور، ص ١٩٨.

٢ - فتح الشكّور، ص ٢٨٣.

٣ - أبو بكر بن أحمد بن عمر، المتوفّى ٩١١هـ.

٤ - محمد بن محمود بغيغ الونكري (ت ١٠٠٢هـ).

٥ - فتح الشكّور، ص ٦٠ - ٦٢.

٦ - المنارة والرباط، ص ٥٩٨.

٧ - فتح الشكّور، ص ١٣٩.

٣- سيدي محمد بن موسى بن أيحجل الزيدي نسباً، التشيتي وطنا (ت ١١١٧هـ)^(١) بتأليفه :

- معين الطلاب على كشف النقاب عن قواعد الإعراب .

- منظومة الأدوات في الجمل النحوية لابن هشام، مع شرحها^(٢).

وليس هؤلاء وحدهم من ألفوا في هذا القرن بالقطر الشنقيطي، بل سترى في الفصل الأول من الباب الثاني أنّ التأليف النحوية أخذت في الاتساع والتّمُدّد في هذا القرن بالبلاد، خاصّة في المناطق الشرقية، الشمالية. أمّا النشاط النحوي بالمنطقة الغربية الجنوبية (الكبلة) من بلاد شنقيط فيذكر أنّ محمد سعيد بن تكديّ اليدي^(٣) : «درس في تافلات (سجلماسة) بجنوب المغرب خلال القرن العاشر الهجري، وعاد إلى منطقة (الكبلة) من بلاد شنقيط، فنشر النحو هناك حتّى لقّب النحوي... ومّا يُذكر أنّ اليدي قدم بشرح المكودي^(٤) على الألفية، وبالبسط والتعريف في فنّ التصريف»^(٥).

غير أنّه لم يوجد نشاط للتأليف النحوي بشكل واضح في المنطقة الغربية (منطقة الكبلة) إلّا في منتصف القرن الثاني عشر الهجري على أيدي ثلاثة من العلماء، هم :

١- المختار أنجبّان، بن محمّذ، الحَيْبَلِيّ، المتوفّي حوالي (ت ١١٦٠هـ)^(٦) بكتابه : شافي الغليل في علوم الخلاصة والتسهيل^(٧).

٢- منيرة الطالب سيدي بن حبيب الله التشمشي، الأنفقي (ت ١١٦٢هـ) بكتابه : حَبّ الدّلاصة في ترتيب التوضيح على الخلاصة لابن مالك^(٨).

١- المنارة والرباط، ص ٥٥٨، وفتح الشكور، ص ١٩٤.

٢- مخطوط، مودّع تحت رقم ١١٥، بالمعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط / بوحديدة.

٣- لم أقف على تاريخ وفاته فيما أطلعت عليه من المصادر.

٤- عبد الرحمن المكودي الفاسي (ت ٨٠٧هـ).

٥- المنارة والرباط، مصدر سابق، ص ١١٢.

٦- المؤلّفون الموريتانيون ومؤلّفاتهم، مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، ص ٣٨، والمختار أنجبّان بن محمّد الشنقيطي، أسّ الإسلام.

٧- ورد ذكره في تاريخ النحو، ص ٤٥٠، ٤٥١.

٨- سيأتي الحديث عن هذا التأليف في الفصل الأوّل من الباب الثاني. بعون الله.

٣ - محمد اليدالي بن المختار بن محمد بن سعيد اليدالي (ت ١١٦٦ هـ) بكتاييه^(١) :

- رسالة في النحو على غرار نحو الأجرومية.

- تعليق في الفرق بين الجمع واسم الجنس وعلم الجنس.

الفصل الثاني : المصادر المغاربية، والمشرقية

اهتم الدارسون والعلماء الشناقطة بالمتون النحوية المغاربية، ثم المشرقية، اهتماما كبيرا منذ أن وصلت بلادهم، وتأثروا بها أثرا، فتعددت خدمتهم لها، ما بين دارس لها، وناظم، وشارح، ومحاك، مع شيء من التفاوت ليس باليسير في الاعتناء بها. وفيما يلي تبيان ذلك :

المبحث الأول : المصادر المغاربية

أ- المصادر المغربية : وصل المحظرة الشنقيطية في وقت مبكر من بلاد المغرب عدة مؤلفات نحوية، حظيت باعتناء العلماء الشناقطة، مع شيء من التفاوت، وهي :

١- الأجروميّة : لأبي عبد الله محمد بن محمد آجرّوم الصنهاجي، الفاسي (ت ٧٢٣ هـ)، وهي من المتون النحوية التي وصلت بلاد شنقيط في وقت مبكر، كما سلف ذكره^(٢). وهي متن صغير الحجم، كثير الفائدة، مزج فيه مؤلفه بين المذهبين النحويين الكبيرين : البصري والكوفي . فمن بصريته مثلا قوله : « الفاعل هو الاسم المرفوع قبله فعله »^(٣).

إذ اشترط في الفاعل أن يسند إلى عامل قبله، بمعنى وجوب تأخره عن عامله، وهذا مذهب بصري، أما الكوفيون فيجيزون تقديمه عليه، ولا يشترطون تأخره عنه، واستدلوا لذلك بقول الشاعر^(٤) : (ما للجمال مشيها وئيدا...)، حيث جعلوا (مشيها)

١- ورد ذكرها في المنارة والرباط، ص ٥٢٩، ٦٠٥، والألفية وتأثيرها، ص ١٨. ويوجد (تعليقي في الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس وعلم الجنس) مخطوطاً تحت رقم ١١٦، بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط / بوحديدة.

٢- حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٣.

٣- شرح الأجرومية للسيد أحمد زيني دحلان، ص ٦٤٣.

٤- بعده : (أجنடلاً يحملن أم حديدا). من الرجز نسبته ابن هشام (في المغني بحاشية الشيخ محمد الأمير، ج ٢، ص ١٤٥، للزّباء بنت عمرو، ملكة (تدمر)، في قصة طويلة ذكرها الأمير في حاشيته هذه.

فاعل (وئيدا). ومن كوفيته قوله : «والأمر مجزوم أبدا»^(١). فهذا مذهب كوفي، إذ هو عندهم معرب مجزوم^(٢). وهذا المتن هو أوّل ما يبدأ به الدارس لعلم النّحو بالمحظرة الشنقيطية، وقد اعتنى الشنقيطيون بخدمته كثيرا، وتنوّعت أعمالهم عليه، كما سيأتي.

٢- شرح عبد الرحمن المكوّدي الفاسي (ت ٨٠٧هـ) لألفية ابن مالك، الذي يذكر أنّه أوّل من شرحها بفاس، وانتشرت بسببه، وكان يقرأ كتاب سيبويه بـ «مدينة العطارين»^(٣). وقد قدم به إلى بلاد شنقيط محمد سعيد بن تكديّ اليدالي^(٤)، الذي درس في تافلاّت (سجلماسة) بجنوب المغرب في القرن العاشر الهجري، وعاد إلى منطقة (الكبلة) من بلاد شنقيط، فنشر النّحو هناك حتّى لقّب النحوي^(٥).

٣- البسط والتعريف بما جُهل من التصريف، (منظومة عبد الرحمن المكوّدي في التصريف «ت ٨٠٧هـ»)، قدم به محمد سعيد بن تكديّ اليدالي أيضا مع شرح الألفية من المغرب^(٦).

٤- المجراية في أحكام الجمل والمجرورات والظروف، لأبي عبد الله محمّد بن محمّد الفزاري المجراد السّلاوي (ت ٧٧٨هـ). وهي منظومة معروفة بـ (لامية المجرادي)، جمع فيها المؤلّف أنواع الجمل والظروف والمجرورات^(٧).

٥- منظومة السّلطان المولّي عبد الحفيظ^(٨)، العلوي المغربي (ت ١٣٥٦هـ)، لمُغني اللّيب، المسماة (السّبك العجيب لمعاني حروف مُغني اللّيب)^(٩). ولهذا الأمير العالم صلاتٌ وثيقة بعلماء شنقيط، لذا كانت له جهود على بعض من تراثهم

١- الأجرّومية بشرح السيّد أحمد زيني، ص ٣٤. وينظر مزيد من هذا مثلا في ص ٤٠، فما بعدها، ٥١.

٢ - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويّين البصريّين والكوفيّين، ج ٢، ص ٥٢٤.

٣ - الصّبّان محمد بن علي، حاشية الصّبّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ج ١، ص ١٨.

٤ - لم أقف على تاريخ وفاته فيما اطّلت عليه من المصادر.

٥ - المنارة والرباط، ص ١١٢.

٦ - المصدر والصفحة نفسها.

٧ - المجموع الكبير من المتون فيما ذُكر من الفنون، ص ٤٣٤.

٨ - ترجمته في الأعلام، ج ٣، ص ٢٧٧.

٩ - وهذا النظم مطبوع بمطبعة فاس عام ١٣٣٠هـ، كما طُبِع مع شرح محمّد لَغظف الشنقيطي عليه بمطبعة بولاق عام ١٣٢٦هـ. يراجع تاريخ النّحو، ص ٤٢٤، الحاشية ٥. وص ٤٢٥، الحاشية ٢.

التَّحْوِي، منها مثلاً شرحه لألفية ابن مالك واحمرار ابن بونا الشنقيطي عليها،
الممزوج بها (ت ١٢٢٠ هـ^(١))، وحاشية على اختصار المواهب التَّحْوِي لسيدي
محمد بن حبت الشنقيطي (ت ١٢٨٨ هـ)، طُبِعَ منها جزآن بفاس^(٢).

وقد عبّر الدكتور محمد المختار بن أباه عن العلاقة العلمية الوثيقة التي كانت سائدة
بين هذا الأمير والعلماء الشناقطة بقوله: «ولقد توفّقت صلته العلمية بالشيخ الشناقطة،
واستحسن طُرُقهم في البحث، وصنّيعهم في نظم المسائل التَّحْوِي، فكان عارفاً بأنسابهم
ومشاربهم، مميّزاً لكل واحد منهم باسمه ووَسْمِهِ...»^(٣).

وسيأتي حديث مفصّل في الفصل الأوّل من الباب الثاني عن خدمة العلماء الشناقطة
المتنوّعة لهذه المتون الوافدة من المغرب. بعون الله تعالى.

ب- المصادر الأندلسية: تلقت المحظرة الشنقيطية التراث التَّحْوِي واللَّغْوِي لشيخ
النَّحَاة محمد بن مالك الطائي الجياني الأندلسي (ت ٦٧٢ هـ)، بالقبول والرضا،
فاحتضنته خير احتضان، وازدهر في ربوعها ازدهاراً منقطع النظير، واهتمّ به
العلماء والدارسون اهتماماً لا مثيل له، وتأثروا به تأثراً بالغاً، فهم له ما بين دارس
ومعلّق وشارح ومحاك... وفيما يلي إلقاء الضوء على حضور أبرز هذا التراث في
المحظرة الشنقيطية، وما أحدثه من التأثير والتأثر:

١- الألفية أو الخلاصة: عدد أبياتها ألف بيت، من كامل الرجز، وهي أهمّ متن،
وأبرزه على الإطلاق في علم النَّحْو بالمحظرة الشنقيطية، فهي في النَّحْو مثل
مختصر خليل في الفقه المالكي عند الشناقطة، اهتمّ بها الدارسون والعلماء على
نطاق واسع، ومن لم يدرسها دراسة فهم وإتقان لا يعدّ من أهل النَّحْو في
الثقافة المحظريّة الشنقيطية.

يقول الأستاذ محمد يحيى بن سيدي أحمد: «لقد كان للخلاصة حضور في أذهان
الشناقطة لأنغراسها في نفوسهم لمعايشتهم لها الطويلة، وتدوّقهم لمعانيتها، واستعذابهم
لجودة سبكها، وكثرة الأمثلة فيها والشواهد، واستعمال العبارات القابلة لعدّة قراءات

١- صدر منه جزآن، وصلا إلى حروف الجرّ. يراجع تاريخ النحو، ص ٤٢٣.

٢- المنارة والرباط، ص ٥٦٠، والألفية وتأثيرها، ص ٤٥، وتاريخ النحو، ص ٥٤٠.

٣- تاريخ النحو، ص ٤٢٤.

دلالية وفُهوم شتى، استعملوها على كل الأصعدة العلمية والأدبية، فضمّنوا أبياتها وأسطارها وفقراتها في نظمهم ونثرهم، بل وكلامهم في لغة التخاطب بينهم»^(١).

فلها فعلا حضور كبير، قوي، لدى القوم في جميع مجالات الحياة الثقافية والاجتماعية. وقد تحدّث الدكتور يحيى بن البراء عن ذلك حديثا وافيا في (ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية)^(٢)، والدكتور محمد المختار بن أباه في (تاريخ النحو)^(٣)، والأستاذ محمد يحيى بن سيدي أحمد في (الأزهار الشذية بأعلام وأخبار المجلسية)^(٤)، ممّا يُغني عن بسط الحديث فيه هنا، سوى أمثلة قليلة تُوجي بذلك. فمما يُعبر عن حضورها مثلا في الجانب الثقافي صنيع التّابغة القلاوي (١٢٤٥هـ) في أرجوزته الطويلة في رثاء شيخه: أحمد بن محمد العاقل الدياني (١٢٤٤هـ)، التي تبلغ أبياتها حوالي تسعين بيتا، حيث ضمّن أسطارها الثانية من كل بيت شطرا من ألفية ابن مالك. منها مثلاً^(٥) :

لَمَّا نَعَوْهُ وَذَكَرْتُ فَضْلَهُ (كَلِي بُكَيِّ بُكَاءَ ذَاتِ عَضْلِهِ)^(٦).
وَبِتُّ سَاهِرًا بِلَيْلِ أَلِيلٍ (مُرَوَّعَ الْقَلْبِ قَلِيلِ الْحِيلِ)^(٧).
قُلْتُ لِحِلْدٍ مُضْمَرٍ أَيْ جَزَعٍ (فَلَا تَكُنْ جَلْدًا وَتُضْمِرَ الْجَزَعُ)^(٨).
وَقُلْتُ لَمَّا قَالَ لِي أَيْنَ الْمَقَرِّ (أَيَا ابْنِ أُمِّ يَابْنِ عَمٍّ لَا مَقَرِّ)^(٩).
حَيَاتُهُ عَارِضَةٌ وَصَفِيَّةٌ (فَالْعِيَّةُ عَارِضٌ الْوَصْفِيَّةُ)^(١٠).

١- في كتابه : الأزهار الشذية بأعلام وأخبار المجلسية. مخطوط، مودّع تحت رقم (١٠٨) بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة. ص ٦٥.

٢- عبارة عن رسالة تخرّج من المدرسة العليا للأساتذة، سنة ١٩٨١/١٩٨٢ م. مخطوط، مودّع بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠١. ص ١١٤، فما بعدها.

٣- ص ٤٤٣، فما بعدها.

٤- مرجع سابق، ص ٦٥، فما بعدها.

٥- يراجع الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص ٩٣.

٦- من البيت رقم ١٢، من باب المفعول المطلق.

٧- من البيت رقم ٥، من باب الإضافة.

٨- من البيت رقم ١٣، من باب إعراب الفعل.

٩- من البيت رقم ٢، من باب المنادى المضاف إلى ياء المتكلم.

١٠- من البيت رقم ٥، من باب (ما لا ينصرف).

لَوْ كَانَ غَيْرَ اللَّهِ حَيًّا قَدْ بَقِيَ لَكَانَ أَوَّلَى مِنْ سِوَاهُ بِالْبَقَا^(١).
أَوْ كَانَ يُفَدَى بِكَذَا مَا ذَهَبًا (لَوْ كَانَ مِثْلُ مِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا)^(٢).
لَكِنَّ مِثْلَ الشَّيْخِ عِنْدَ مَنْ غَبَرَ (مُلْتَزِمٌ فِيهِ تَقَدُّمُ الْخَبَرِ)^(٣).
مَنْ ذَا الَّذِي مِنْ بَعْدِهِ يَقُولُ (مَنْ) يَصِلُ إِلَيْنَا يَسْتَعِينُ بِنَا يَعْنِ^(٤).
لَمْ يَبْقَ لِلْمَعْرُوفِ بَعْدُ سَرْمَدٌ (مَا لِلنَّدَا يَصْلُحُ نَحْوُ أَحَدٍ)^(٥).
مَنْ ذَا الَّذِي إِذَا ذَكَرْتَ الْخَبْرَا (حَدَّثَ أَنْبَاءَ كَذَاكَ خَبْرًا)^(٦).
فهذا النمط من تضمين أخطارها، وعباراتها، كثير، شائع في إنتاجهم الثقافي الغزير، المتنوع^(٧).

ومما يُعبر عن حضورها في أمثالهم وأحاديثهم اليومية مثلاً ما يرد على ألسنتهم كثيراً من أقوالهم^(٨):

وَحَذَفُ مَا يُعْلَمُ جَائِزٌ ...^(٩).
وإن بِشَكْلِ خِيفَ لَبَسٌ يُجْتَنَبُ ...^(١٠).
فَمَا أُبَيِّحُ أَفْعَلٌ وَدَعُ مَا لَمْ يُبَيِّحْ ...^(١١).
وَعُلُقَةٌ حَاصِلَةٌ بِتَابِعٍ كَعُلُقَةٍ بِنَفْسِ الْإِسْمِ الْوَاقِعِ^(١٢).

-
- ١ - من البيت رقم ٤٠ ، من باب جمع التكسير.
 - ٢ - من البيت رقم ٤ ، من باب التمييز.
 - ٣ - من البيت رقم ٢٠ ، من باب الابتداء.
 - ٤ - من البيت رقم ٨ ، من باب البدل.
 - ٥ - من البيت رقم ١٢ ، من باب الترخيم.
 - ٦ - من البيت رقم ٥ ، من باب (أَعْلَمَ وَأَرَى).
 - ٧ - يراجع مزيد في ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية، ص ١١٤ ، فما بعدها، وفي الأزهار الشدية، ص ٦٥ ، فما بعدها.
 - ٨ - تاريخ النحو، ص ٤٤٥ .
 - ٩ - من البيت رقم ٢٤ من باب المبتدأ والخبر. وهو : وحذف ما يُعْلَمُ جائزٌ كما تقول زيدٌ بعد مَنْ عِنْدَكُمَا .
 - ١٠ - الشطر الأول من البيت رقم ٧ من باب النائب عن الفاعل. والشطر الثاني : وما لباعٌ قد يُرى لِنَحْوِ حَبٍّ .
 - ١١ - الشطر الثاني من البيت رقم ٩ ، من باب الاشتغال. والشطر الأول : وَالرَّفْعُ فِي غَيْرِ الَّذِي مَرَّ رَجَحٌ .
 - ١٢ - البيت رقم ١٢ ، من باب الاشتغال.

كذا لها حضور كبير في مجالات الأدب، والنقد الاجتماعي، والنصح والإرشاد، والإخوانيات والمداعبة، والتوسّل والدعاء، والفخر والمدح والهجاء، والألغاز والأحاجي، والوصف، والتّنذّر والتّنكيث، واللّحن والتّلحين، والإفتاء والحُكم. وقد أتى يحيى بن البراء بأمثلة مُناسبة من ذلك^(١).

وأرى أنّ تدريسها في المحاضر الشنقيطية ساد منذ القرن العاشر الهجري، إذ أخذ أحمد بابا التيمبكتي (ت ١٠٣٦هـ)، منها دروساً على شيخه العلامة محمّد بن محمود بغيع الونكري (ت ١٠٠٢هـ)^(٢)، وله ثلاثة شروح عليها لم تكمل^(٣) (سيأتي ذكرها في الباب الثاني بعون الله)، ممّا يوحى بوجودها في المنطقة الشرقية في وقت مبكّر قبل حضورها في المنطقة الغربية، وهذا ما استنتجه يحيى بن البراء^(٤).

أمّا في المنطقة الغربية فقام محمد سعيد بن تكدّي اليدالي^(٥)، وهو من علماء القرن العاشر الهجري، بإحضار شرح المكوّدي^(٦) عليها من المغرب، حيث «درس في تافلاّت (سجلماسة) بجنوب المغرب خلال القرن العاشر الهجري، وعاد إلى منطقة (الكبلة) من بلاد شنقيط فنشر التّحو هناك حتّى لقّب النحويّ»^(٧).

وكلّ ذلك فعلاً كان في القرن العاشر، لكن هناك فرق بين عبارة سيادتها وانتشارها في الوسط الدراسي بالمنطقة الشرقية، وعبارة إحضارها إلى المنطقة الغربية.

والشيء المرجّح هو وصولها البلاد في وقت مبكّر، كما أشار المؤرّخ المختار بن حامدن: «وأما التّحو فأقدم متن عرفوه فيه هو ملحة الإعراب للحريري، ثم ألفية ابن مالك وكافيته وتسهيله، ولامية الأفعال له، وفريدة السيوطي والآجرومية»^(٨).

١ - الألفية وتأثيرها، ص ١٤١.

٢ - فتح الشكور، ص ٦٠ - ٦٢.

٣ - المصدر نفسه، ص ٧٢.

٤ - الألفية وتأثيرها، ص ٣٨.

٥ - لم أقف على تاريخ وفاته فيما أطلعت عليه من المصادر.

٦ - عبد الرحمن المكوّدي الفاسي (ت ٨٠٧هـ).

٧ - المنارة والرباط، الخليل التّحوي، ص ١١٢.

٨ - المصدر نفسه، ص ٦٣.

وقد أطبق العلماء والدارسون على قيمتها العلمية، فمن مظاهر اهتمامهم بها أنَّ غايتهم القصوى كانت تتمحور حول تبين مجملها، وتفسير إيجازها، وما استغلق من تراكيبيها، كما يقول ابن هشام: «كتاب صغر حجماً، وغزر علماً، غير أنَّه لإفراط الإيجاز قد كاد يعدّ من جملة الألغاز، وقد أسعِف طالبيه بمختصر... أحلّ به ألفاظه، وأوضَح معانيه، وأحلّل به تراكيبه، وأنقَح مبانيه، وأعذّب به موارده، وأعقل به شوارده»^(١).
وقد وضع الله لها القبول كلّهُ بين الناس، يقول ابن حمدون: «ويدلّك على خلوصه (ابن مالك) أن الله جعل الإقبال على هذه الألفية، واعتكف الناس عليها في جميع الأقطار»^(٢).

ولابن مالك رحمه الله مذهبه التّحوي المتميّز بسِمات بارزة، أهمّها أنه أوّل من استشهد من النحويّين المتأخّرين بالحديث الشريف على نطاق واسع لتأصيل المسائل النحوية^(٣)، وأنّه وإن كان بصريّاً، أفاد كثيراً من مذاهب النحويّين، فيعرضها، مازجاً بينها، مناقشاً إيّاها، مختاراً منها ما يراه صواباً. وأسباب سيادة الخلاصة في المحاضر الشنقيطية كما يقول الدكتور محمد المختار بن أباه: «كونها تلائم حاجة المثقّف الشنقيطي إلى نظم شامل يسهل حفظه، نظراً لتعدّد وجود وسائل الكتابة وبالأخصّ الورق، واستحالة الكتابة ليلاً لعدم توفّر وسائل الإنارة، فكان لا بدّ من الاعتماد على الحفظ»^(٤).

وقد عكف الشنقيطيون على خدمتها وكتبوا عليها كتابات غزيرة، متنوّعة، ما بين تعليقات، وطُرر، وشروح، وحواشٍ... يأتي الحديث عنها مفصّلاً في الفصل الأوّل من الباب الثاني، بعون الله تعالى.

٢- الكافية: عدّة أبياتها (ثمانون وسبعمئة وألفان، ٢٧٨٠)، من كامل الرجز، وهي أصل الخلاصة، كما قال رحمه الله في ختام الألفية: (أَخَصَى مِنَ الْكَافِيَةِ الْخُلَاصَةَ). وإن كانت الخلاصة اشتملت على جُلِّ مهمّات النّحو وأغراضه ومقاصده، فإنّ الكافية تزيد بآبواب كاملة، لا توجد بالخلاصة، كأبواب:

١- في كتابه التوضيح على ألفية ابن مالك بحاشية التصريح، لخالد بن عبد الله الأزهرى، ج ١، ص ١٥.

٢- ابن الحاج في حاشيته على شرح المكوّدي لألفية ابن مالك، ج ١، ص ١٢.

٣- السيوطي، الاقتراح في علوم أصول النّحو، ص ٤٦-٥٢، وعبد القادر البغدادي، خزائن الأدب، ج ١، ص ٤، فما بعدها.

٤ - تاريخ النّحو، ص ٤٤١.

ضمير الفصل، وضمير الشأن، والقسم، والتقاء الساكنين، والتاريخ^(١). يقول في مقدمتها^(٢) :

قال ابن مالكٍ حمداً وقد نوى إفادةً بما فيه اجتهد
وبعد فالتحوى صلاح الألسنة والتفسر إن تعدم سناه في سنه
به انكشاف حجب المعاني وجذوة المفهوم ذا إذعان
وهذه أرجوزة مستوفيه عن أكثر المصنفات مُغْنِيه
تكون للمبتدئين تبصرة وتظفر الذي انتهى بالتذكرة
فليكن الناظر فيها واثقاً بكونه إذا مجارى سابقاً
فمُعْظَمُ الفن فيها مضبوط والقول في أبوابها مبسوط
وكم بها من شاسع تقرباً ومن عوبص انجلى مُهْذَباً
ومنتهى آياتها ألفان مع مئين سبع وثمانين تبع.

وقد اعتنى العلماء والدارسون الشناقطة بها اعتناءً كبيراً، حيث خلفوا لنا بعضاً من الشروح عليها. يأتي ذكرها في الفصل الأول من الباب الثاني، بعون الله تعالى.

٣- التسهيل: يمثل التسهيل قمة النضج في الفكر التحوي عند ابن مالك، وعلو كعبه في ذا الفن. يقول في مستهله: «هذا كتاب في النحو جعلته بحمد الله مستوفياً لأصوله، مستولياً على أبوابه وفصوله، فسميته لذلك تسهيل الفوائد، وتكميل المقاصد»^(٣).

وقد زاد بعض الأبواب على الكافية^(٤)، كما زاد على ما في الألفية «أكثر من خمسين موضوعاً من قواعد النحو، وأحكام التصريف»^(٥).

١- حاشية الصبان على الأشموني، ج ٢، ٢٦٧.

٢- شرح الكافية لابن مالك نفسه، ج ١، ص ٤٤٣.

٣- ص ٢ من مخطوطة للتسهيل بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي. تحت رقم ٤٣.

٤- كبابي (حبذا)، و(مخارج الحروف). يراجع يحيى بن البراء، ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية، ص ٣٢.

٥- مثلاً المصدر والصفحة نفسها.

وهو كتاب جليل القدر، أُلّفه للعلماء، جعله أبو حيّان النحوي (ت ٧٥٤هـ) في مقدّمة تفسيره : البحر المحيط، مقابلاً في الجودة والحسن لكتاب سيبويه، وأحسن ما وضعه المتأخرون في علم النّحو، حيث يقول : «ويؤخذ ذلك من علم النّحو، وأحسن موضوع فيه، وأجلّه كتاب أبي بشر سيبويه، رحمه الله تعالى، وأحسن ما وضعه المتأخرون من المختصرات، وأجمعه للأحكام كتاب تسهيل الفوائد لأبي عبد الله محمد بن مالك الجياني الطائي»^(١).

وكان اعتناء العلماء الشناقطة به كبيراً. وهو ما سنقف عليه بعون الله تعالى في الفصل الأوّل من الباب الثاني، خصوصاً عند الحديث عن جامع المختار بن بونا (ت ١٢٢٠ / ١٢٣٠هـ) على ألفية ابن مالك.

٤- لامية الأفعال في التصريف: عدّة أبياتها (مائة وأربعة عشر بيتاً)، من البسيط التامّ، ومع صغر حجمها جمعت كثيراً من فوائد هذا الفنّ، وهي المقرّر الأوّل والأهمّ لمادّة التصريف في المحاضر الشنقيطية، لذا اعتنى بها العلماء والدارسون اعتناء خاصّاً، حسب ما يأتي بيانه في الفصل الأوّل من الباب الثاني. بعون الله تعالى.

٥- تحفة المودود في المقصور والمدود: منظومة مفيدة، في اللّغة والتصريف، تبلغ عدّة أبياتها سوى المقدّمة (واحدًا وستين ومائة بيت، ١٦١)، من البحر الطويل، كلّ بيت يضمّ أربع كلمات، في كلّ من صدره وعجزه اثنتان، الأولى مقصورة، والثانية ممدودة، متّحدتان في اللفظ، مختلفتان في المعنى. يقول المؤلّف في مطلع المنظومة :

أَطَعْتَ الْهَوَى فَاَلْقَلْبُ مِنْكَ هَوَاءٌ قَسَا كَصَفَا مُذْ بَانَ عَنْهُ صَفَاءٌ^(٢).

وسياتي كلام مفصّل عن خدمة بعض الشناقطة له، في الفصل الأوّل من الباب الثاني، بعون الله تعالى.

٦- منظومة فيما ورد من الأفعال بالواو والياء : عدد أبياتها تسعة وثمانون بيتاً^(٣).

١- البحر المحيط في التفسير، ج ١، ص ١٤، ١٥.

٢- الشيخ سيدي المختار الكنتي الشنقيطي، فتح الودود شرح المقصور والمدود، ص ٢٤.

٣- الألفية وتأثيرها، ص ٢٨.

٧- إكمال الإعلام بمثلث الكلام : أرجوزة معروفة ب(مثلث ابن مالك)، تبلغ عدّة أبياتها خمسة وخمسين وسبعمائة وألفي بيت (٢٧٥٥)^(١).

٨- الإعلام بمثلث الكلام : منظومة، عدد أبياتها خمسة عشر وثمانمائة وألفا بيت (٢٨١٥). وقد سمّي ب(المثلث المنظوم، والمثلث في اللغة)^(٢).

٩- ثلاثيات الأفعال: يتضمّن ما جاء من الأفعال على (فَعَلَ وأفْعَلَ) بمعنى واحد^(٣). ونظراً لما سبق يمكن القول إنّ المحظرة الشنقيطية احتضنت مذهب ابن مالك النحوي احتضاناً خاصاً، حيث كان لمؤلّفاته النحوية واللّغوية حضورٌ بارزٌ، ومشهود بين الدارسين والعلماء، من أبناء هذه المؤسّسة العلمية الشاخنة. وإن كان ابن مالك رحمه الله قد ارتحل إلى المشرق فإنّ تراثه النحوي قد ورثه المغاربة، الذين استلموا الراية فور سقوطها بالأندلس، مهتمّين به اهتماماً لافتاً، متميّزاً، استظهاراً في الصدور، ودراسة، وتدريساً، ومحاكاة، وتعليقاً، وشرّحاً...

المبحث الثاني : المصادر المشرقية

نشأ النّحو العربيّ بالعراق منذ منتصف القرن الثاني الهجري، وترعرعت به مذاهبه، وازدهرت عدّة قرون، إلى أن انتقل ثقل دراساته بشكل واضح إلى الأندلس والمغرب في القرن الخامس الهجري . وقد وقع تحت أيدي العلماء والدارسين الشناقطة بعضٌ من التّأليف النّحوية القادمة من بلاد العراق ومصر، كان اهتمامهم بها مُتفاوتاً إلى حدّ كبير. وفيما يلي توضيح ذلك :

أ- المصادر العراقية: لم يفد الشناقطة من التّأليف النحوية العراقية إلّا عن طريق إفادة المغاربة والأندلسيّين منها، إذ لم تصل أيديهم، ولم يقرؤوها مباشرة عند نشأة النّحو ببلادهم، باستثناء :

١- الألفية وتأثيرها في الثقافة الموريتانية، ص٢٨، والحسن بن زين الشنقيطي، الطّرة - توشيح لامية الأفعال لابن مالك، بخياطة وترشيح الشيخ محمد سالم بن عدّود، ج١، ص٤٩. عن فوات الوفيات، ج٢، ص٤٥٣.

٢- مقدّمة تحقيق طّرة الحسن بن زين، ص٤٨.

٣- المصدر والصفحة نفسها. عن فوات الوفيات، ج٢، ص٤٥٣، والألفية وتأثيرها، ص٢٨.

١- ملحّة الإعراب: لأبي محمّد القاسم بن علي، الحريري البصري، صاحب المقامات (ت ٥١٦هـ)، وهي أقدم نصّ نحويّ عرفه الشنقيطيّون، كما يقول المختار بن حامدن: «وأما النّحو فأقدم متنّ عرفوه فيه هو ملحّة الإعراب للحريري»^(١). وهي متن متوسّط الحجم، أحد مقرّرات النّحو بالمحظرة الشنقيطية، يدرّسونه عادة بعد متن الأجرّومية، أو معه.

٢- (ليس) في كلام العرب: لابن خالويه أبي عبد الله الحسين بن أحمد (ت ٣٧٠هـ). كما وصل المحظرة الشنقيطية من بلاد الشام كتاب (التّحفة الوردية في مشكلات الإعراب)^(٢)، لزين الدين عمر بن الورد المتوفّي بحلب سنة (ت ٧٤٩هـ).

ب- المصادر المصرية: انتقل ثقل الدراسات النحوية من بغداد والأندلس إلى مصر بعد تراجع ازدهارهما، وانكماش العطاء الثقافيّ بهما، إذ «استقطبت مصر مجموعة من عليّة علماء النّحو، أمثال ابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، وأبي حيّان (ت ٧٥٤هـ)، نشروا معارفهم وكتبهم بها، وبرز من بين أتباعهم مجموعة من أكابر النحويّين، أمثال ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، والمراديّ (ت ٧٤٩هـ)، وابن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، وجمال الدين الإسني (ت ٧٧٢هـ)، وابن ناظر الجيش (ت ٧٧٨هـ). ثمّ ظهرت من بعدهم طبقة الدماميني (ت ٨٢٧هـ)، والسيوطيّ (ت ٩١١هـ)، والأشموني (ت ٩٠٠هـ). وبهؤلاء استكملت مدرسة ابن مالك صورتها النهائيّة، التي انتقلت فيما بعد إلى الحواضر المغربيّة، والمحاضر الشنقيطية»^(٣).

فتلقّف العلماء والدارسون الشناقطة التراث النحوي لجمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) بشغفٍ لافتٍ، وحظي بقبولهم ورضاهم، وتأثّروا به تأثراً بالغاً، فانتشر بين ربوع المحاضر، وازدهر في رحابها ازدهاراً كبيراً، فهم له ما بين دارس ومعلّق وشارح وناظم. وقد انتشر هذا التراث أولاً في شرق البلاد وشمالها طيلة القرنين: (العاشر والحادي عشر للهجرة). يقول الدكتور محمّذن بن أحمد المحبوب:

١- المجموعة الكبرى، ص ٦٣.

٢- ورد ذكر هذا الشرح في حياة مورتانيا، ص ٦٦، والمنازة والرباط، ص ٥٧١، وتاريخ النحو، ص ٥٤١.

٣- تاريخ النحو، ص ٣٢١. علماً بأنّ هؤلاء الأعلام ورد ذكرهم هنا في هذا المصدر بدون ذكر لتواريخ وفياتهم.

«نودّ الإشارة إلى أنّ الدراسات النحوية قد بدأت في شرق البلاد وشمالها الشرقي خلال القرنين (١٠ و ١١هـ)، مع المؤلفات (البنهشامية)، لتمدّد إلى جنوب البلاد، وجنوبها الغربي مع المؤلفات (البنهالكية) خلال القرون (١٢، و ١٣، و ١٤)»^(١). وفيما يلي إلقاء الضوء على حضور هذا التراث في المحظرة الشنقيطية، وما أحدثه من التأثير والتأثر :

١- مغني اللبيب عن كتب الأعراب: وهو أهمّ كتب ابن هشام النحوية، ومن أروع ما كتب في علم النّحو، صاغ فيه دُرر هذا العلم، ومقاصده، من القواعد والفروع، بأسلوب رفيع، جزل، عصيّ فهمه على غير العلماء، أبدع فيه وأفاد رحمه الله، وعبر عن ذلك هو نفسه، إذ قال : «فدونك كتابا تشدّ الرحال فيما دونه، وتقف عنده فحول الرجال ولا يعدونه، وإن كان الوضع في هذا الغرض لم تسنح قريحة بمثاله، ولم تسنح على منواله»^(٢).

وله مذهبه النحويّ المتميّز، حيث يعرض مذاهب النحويين، مقارنة بينها، مرجّحاً ما يراه صواباً، كقوله مثلاً : «كالكلام في اشتقاق اسم، أهو من السّمة، كما يقول الكوفيون، أم هو من السّموّ كما يقول البصريون، والاحتجاج لكل من الفريقين، وترجيح الراجح من القولين». وقد رجّح هنا مذهب البصريين^(٣).

وصف ابن خلدون هذا الكتاب القيم، ومؤلفه وصفاً لا ثقا، إذ قال : «ووصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر، منسوب إلى جمال الدين بن هشام من علمائها، استوفى فيه أحكام الإعراب مجمل ومفصلة، وتكلّم على الحروف والمفردات والجمل، وحذف ما في الصناعة من المتكرّر في أكثر أبوابها، وسماه بالمغني في الإعراب، وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلّها، وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظمت سائرهما، فوقفنا منه على علم جمّ يشهد بعلوّ قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها، وكأنّه ينحو في طريقته منحى نحاة أهل الموصل، الذين اقتفوا أثر ابن جنّي، واتّبعوا مصطلح تعليمه،

١- الدكتور محمّد بن أحمد المحبوب، النّحو الشنقيطي بين دروس التعمّق ومباحث التخصّص (مقال)، مجلّة المنهل، العدد ٥٤٨، ذي الحجة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م. ص ١١٠.

٢- مغني اللبيب عن كتب الأعراب بحاشية الأمير الشيخ محمد، ج ١، ص ٣.

٣- مغني اللبيب، بتحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمّد الله، ص ٢٠.

فأتى من ذلك بشيء عجيب دالٌّ على قوّة ملكته وإطلاعه»^(١).

واشتمل مغني اللبيب على ثمانية أبواب، منها :

- تفسير المفردات وذكر أحكامها.

- تفسير الجمل وذكر أحكامها.

- ذكر الظروف والجار والمجرورات وأحكامها.

فهو فعلاً كتاب جليل القدر، للمختصين والعلماء .

٢- قطر الندى لابن هشام. وهو عبارة عن مقدّمة في النحو، صغيرة الحجم، كثيرة الفوائد، عرفت في المحظرة الشنقيطية، دراسة وتدرّيساً ونظماً.

٣- الفريدة في النحو لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) : يقول السيوطي نفسه في مستهلّها : «هذه الألفية لخصت فيها ما في ألفية ابن مالك في ستمائة بيت، وزدتها أربعمائة بيت، فيها من القواعد والزوائد ما لا يستغني طالب العلم عنه»^(٢). ويمدحها في المقدمة، ويصفها بالحسن قائلاً :

فأثقتُ ألفيةَ ابنِ مالكٍ لكونِها واضحةَ المسالكِ
وجمعتها من الأصول ما خلّت عنه وضبطُ مرسلاتٍ أُهملتِ
تزيينها لم يحوِ غيري صنعه مُقدّماتٌ ثم كُتِبَ سبعة^(٣).

ومع هذا فهي لم تستطع مزاحمة ألفية ابن مالك لدى الدارسين والعلماء، وفي مستوى القبول والرضا عندهم، غير أنّها نالت حظاً لا بأس به من العناية بمُبدن (تيمبكتو وولاته وتشيت) في المنطقتين الشرقية، والشمالية من البلاد.

٤- همع الهوامع شرح جمع الجوامع : لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)^(٤).

هذه أبرز المتون الوافدة إلى بلاد شنقيط، وقد كانت عمدة الدرس النحوي في المحاضر، حيث اشتدّت عناية الشنقيطيين بها حفظاً وفهماً، ممّا جعلها تحدث فيهم كثيراً من التأثير

١- المقدّمة، سبق ذكرها، ص ٥٠٣.

٢- ألفية السيوطي النحوية، ص ١.

٣- المصدر نفسه، ص ٢.

٤- مطبوع بتحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، في ستة مجلّدات.

والتأثير، فهم لها ما بين دارس ومعلّق وشارح، وملخص، وناظم ومحاذٍ، حتّى بلغوا في علم النحو مبلغا لافتا. كما أنّهم استوردوا مبكرا بعضا من شروح هذه المتون، خصوصا شروح ألفية ابن مالك، مثل التوضيح لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، وشرح ابن عقيل بهاء الدين أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي (ت ٧٦٩هـ)، وشرح عبد الرحمن المكودي الفاسي (ت ٨٠٧هـ)، وشرح الأشموني لأبي الحسن علي المصري (ت ٩٠٠هـ)، وحاشية التصريح على التوضيح لخالد الأزهري المصري (ت ٩٠٥هـ)، وحاشية الصبّان على الأشموني لمحمد بن علي الصبّان المصري (ت ١٢٠٦هـ).

وسنقف في الفصل الأوّل من الباب الثاني على شيء ليس باليسير من أعمال الشناقطة على هذه المتون، بعون الله تعالى.

الفصل الثالث : التقليد والاجتهاد

التقليد لغة «مأخوذ من القلادة، التي يقلّد شخصٌ غيره بها، فكأنّ المقلّد جعل ذلك الحكم الذي قلّد فيه المجتهد كالقلادة في عنق من قلّده، وفي الاصطلاح هو العمل بقول الغير من غير حجّة، أو قبول قول بلا حجّة»^(١).

والاجتهاد «في اللّغة مأخوذ من الجهد، وهو المشقّة والطاقة، أي استفراغ الوسع في فعل من الأفعال، ولا يستعمل إلّا فيما فيه كلفة وجهد»^(٢). وفي الاصطلاح هو «استفراغ الوسع في النظر فيما لا يلحق فيه لوم، مع استفراغ الوسع فيه. وهو سبيل مسائل الفروع. ولهذا تسمّى هذه المسائل مسائل الاجتهاد، والناظر فيها مجتهدا.. وقيل هو في الاصطلاح بذل الوسع في نيل حكم عمليّ بطريق الاستنباط»^(٣).

ولا بدّ للمجتهد من معرفة أصول التخصّص الذي يجتهد فيه، وعلى رأس هذه الأصول في مجال اللّغة والتشريع علوم القرآن والسنة^(٤).

١- الشوكاني، محمّد بن علي بن محمّد، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، ص ٣٩١، والشيخ محمّد الحصري، أصول الفقه، ص ٣٨٠.

٢- إرشاد الفحول، ص ٣٧٠، والشيخ محمّد الحصري، أصول الفقه، ص ٣٦٧.

٣- إرشاد الفحول، ص ٣٧٠.

٤- المصدر نفسه، ص ٣٧١، فما بعدها.

المبحث الأول: التقليد

أشرت سالفاً إلى أنّ تراث محمد بن مالك الأندلسي (ت ٦٧٢هـ) النحوي واللّغوي حظّ رحاله بالمحظرة الشنقيطية، فاحتضنته بين ربوعها، وانتشر في رحابها، وازدهر فيها ازدهاراً منقطع النظير، وكان عمدة الدرس، ومحطّ اهتمام العلماء والدارسين بها، علاوة على المتون النحوية الأخرى التي وصلت البلاد، وعكف النّحاة الشناقطة على خدمتها، دراسة وتدرّيساً، وتعليقاً، وشرحاً، ونظماً.

وأشير إلى أنّ آراء شيخ النّحاة سيبويه لم تصل المحظرة الشنقيطية إلّا عن طريق هذه المتون، وليس عن طريق سجلّه الحافل، المسمّى الكتاب، الذي يعدّ المصدر الأوّل للنحو العربي عموماً، وللنحو البصري خصوصاً، إذ لم نجد له حضوراً مباشراً في المحظرة الشنقيطية. كما يشير الدكتور محمد المختار بن أباه : «ولكن قد نتساءل هل عرفوا كتاباً في النحو قبل كتب ابن مالك. إنّنا لا نرى أثراً يُذكر لكتاب سيبويه»^(١).

ومع ذلك فللكتاب في نفوس الشناقطة مكانة رفيعة، فهم يُجلّونه، ويقدّرونه حقّ قدره، حتّى إنّهم قد يستندون إليه في بعض فتاويهم الشرعية. من ذلك مثلاً «أنّ بعض المدرّسين للنحو قرّر في بعض مجالس التدريس أنّ العامل في المُستثنى هو ما قبل (إلّا)، فعارضته قعيدة بيته قائلة إنّ العامل (إلّا)، فأثار ذلك حفيظته، وحلف بالطلاق على صحّة ما قرّر في الدرس، فأفتى علماء الحيّ بالطلاق بناء على مذهب سيبويه، وهو أنّ العامل (إلّا)»^(٢).

كما تجلّى مظهر التقليد والمتابعة عند القوم في تعامل العلماء والدارسين بالمحظرة الشنقيطية مع (الخلاصة)، تعاملًا خاصاً، إذ لم يتناولوا مادّتها على أنّها مادّة علمية فحسب، بل أصبح تناول بعض أبياتها أحياناً يشكّل لوناً من ألوان التّرف الفكري، والأدبي، حتّى صار لهم حولها حكايات وأحاديث متداولة، وذلك كلّ في سبيل تذليل ما استغلق منها عن الأفهام، واعتزازهم باستيعابه إلى حدّ النّشوة والافتخار. من ذلك مثلاً :

١- كتابه : النحو العربي في المشرق والمغرب، مصدر سابق، ص ٤٤٢.

٢- محمد بن بّثار، حولة جامعة شنقيط العصرية، بحث منشور بعنوان (النحو في النوادي الشنقيطية)، السنة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م. العدد ١. ص ١٦٤.

١ - كثرة تعليقاتهم على قول ابن مالك : (وشبه ذين) في باب جمع المذكر السالم^(١) :

وارفع بواو وبيا اجزُرْ وانصبِ سالمَ جمعِ عامرٍ ومُذنبٍ
وشبه ذين...

أي: شبه (عامر ومذنب)، من كلِّ علَم جامد، استجمع شروطه، وكلَّ صفة له، استجمعت أيضا شروطها^(٢)، والتي لم يصرَّح بها ابن مالك، مع حاجة الدارسين الملحة إلى ذلك.

فكتب المختار بن بونا في طرته^(٣) على احمراره، وألفية ابن مالك تعليقا يوضح هذه الشروط، ومخرجاتها، سُمي لدى الدارسين في المحظرة الشنقيطية بطُرة (شبه ذين)^(٤)، وقد صُعب فهمها على غير المتخصصين. لذلك اهتم الشنقيطيون بتوضيح مضمون هذه الطُرة في شروحهم وتعليقاتهم وأنظماهم. من ذلك مثلا قول محمد بن سيدي بن محمد الفاضلي الديباني (ت ١٣٠٦هـ) :

نظمتُ من طُرة (شبه ذين) منظومة كالذرِّ واللَّجَيْنِ
نافعة قاصِرَ الأصغرينِ وذا جهالةٍ وشبه ذينِ
وشبه ذينِ مُشبه المَسلَمِ من جمع كلِّ صفةٍ أو علَمِ
لعاقِلٍ مذكَرٍ كالعاشقِ والعُمُرِ لا كصاهلٍ وواشِقِ
وزينبٍ وحائضٍ ويُسْتَرَطُ في جمع ذا التَّصغيرِ عندَ مَنْ فَرَطُ.
إلى آخر الأبيات، التي بلغت (٢٦ بيتا)^(٥).

وقول محمد سالم بن أُلما اليدالي (ت ١٣٨٣هـ) :

مُذكَرٌ وعاقِلٌ وخالٍ خرَّجَ بها تسعاً على التَّوالي
هندٌ وشذَقمٌ وما كطلحه وحائضٌ وصاهلٍ وربُّعه

١ - الألفية وتأثيرها، ص ٣٤، فبا بعدها، وتاريخ النحو، ص ٤٤٣، فبا بعدها.

٢ - شرح ابن عقيل، تحقيق إميل يعقوب، ج ١، ص ٤٢.

٣ - تقريب طُرة ابن بونا على ألفية ابن مالك في النحو، أحمد بن محمد المامي اليعقوبي، ج ١، ص ٣٠.

٤ - تاريخ النحو، ص ٤٤٣.

٥ - الألفية وتأثيرها، ص ٦٨.

كَذَا رُمِيحٌ وَجَمِيلٌ وَزِدَ عُيَيْنَةٌ، تَمَّتْ بِلَا تَرَدِّدٍ^(١).

٢- قال ابن مالك في باب التنازع في معرض حديثه عن وجوب الإتيان «بمفعول الفعل المهمل ظاهراً إذا لزم من إضماره عدم مطابقتها لما يفسره، لكونه خبراً في الأصل عما لا يُطابق المُفسِّر»^(٢) :

وَأَظْهَرُ إِنْ يَكُنْ ضَمِيرٌ خَبَرًا لَغَيْرِ مَا يُطَابِقُ الْمُفَسِّرَا .
وهو بيت من أصعب أبيات الألفية على الإطلاق؛ لذلك شرحه ابن مالك بالأمثلة في البيت الذي يليه :

نَحْوُ أَظُنُّ وَيُظَنَّنِي أَخَا زَيْدًا وَعَمْرًا أَخَوَيْنِ فِي الرَّخَا .
ومع هذا الشرح فإن البيت، وإن كان قد خرجت المسألة فيه من باب التنازع^(٣) عند البصريين، بقي على شيء لا يُستهان به من الصعوبة لدى الدارسين، مما جعلهم يعتنون كثيراً باستيعاب مضمونه، وما يرمي إليه. لذلك كانوا يُسمّونه بـ «بيت الزامل» (وهو الحصان) في اللهجة العربية الحسانية الشنقيطية. وسبب التسمية أن رجلاً ركب حصاناً وقال إنه يُعطيه لمن درّسه هذا البيت^(٤).

لذا كثرت تعليقاتهم عليه، منها مثلاً قول أحمد بن كدّاه (ت ١٣٣٧ هـ) :

وَأَخَا أَظْهَرُ عِنْدَ إِعْمَالِ الْأَوَّلِ	وَأَخَوَيْنِ حَيْثُ لِلثَّانِي الْعَمَلُ
وَكَاظُنُّ وَتُظَنَّنِي نَبِيَّهُ	أُمَامَةً نَبِيَّهُ فَلَتَنَتْنِيهِ
نَبِيَّهَا أَظْهَرُ عِنْدَ إِعْمَالِ الْأَوَّلِ	نَبِيَّهُ إِنْ كَانَ لِلثَّانِي الْعَمَلُ
وَكَاظُنُّ وَتُظَنَّنِي نَبِيلُ	غِلْمَانِ زَيْدٍ نُبَلَاءَ يَنْبِيلُ
نَبِيلاً أَظْهَرُ عِنْدَ إِعْمَالِ الْأَوَّلِ	وَنُبَلَاءَ حِينَ لِلثَّانِي الْعَمَلُ
وَكَاظُنُّ وَيُظَنَّنِي غِرُّ	هَرُّ وَدَعْدُ غِرَّتَيْنِ فَاعْتَبِرُ

١- محمد محفوظ بن أحمد، أنظام الطرّة في الفوائد النحوية على حاشية ألفية ابن مالك وإحمرار ابن بونا، ص ٢٥.

٢- شرح ابن عقيل، ج ١، ص ٢٨٠.

٣- المصدر والصفحة نفسها.

٤- الألفية وتأثيرها، ص ٣٥.

وغيراً أظهر عند إعمال الأول وغرتين حين للثاني العمل^(١).
 ٣- قال ابن مالك في باب (أفعل التفضيل):

ورفعه الظاهر نزر، ومتى عاقب فعلاً فكثيراً ثبَتَا.
 بمعنى أن (أفعل التفضيل) إذا كان لا يصلح لإحلال فعل بمعناه محله فلا يرفع إلا ضميراً مستتراً، نحو: (زيدٌ أذكى من خالدٍ)، أي هو، ولا يرفع اسماً ظاهراً، «إلا في لغة ضعيفة»^(٢).

أمّا إذا صلح لإحلال فعل بمعناه محله فإنه يرفع اسماً ظاهراً، وهو حكم مطرد عند النحويين «في كل موضع وقع فيه (أفعل) بعد نفي أو شبهه، وكان مرفوعه أجنبياً مفضلاً على نفسه»^(٣).

وقد مثل النحويون^(٤) لهذه المسألة بقولهم: «ما رأيت رجلاً أحسن في عينه الكحل منه في عين زيد»^(٥). وهذا البيت من أبيات الألفية التي حظيت باعتناء الشنقيطين؛ لصعوبة فهمه لدى الدارسين. من ذلك مثلاً قول محمد يحيى بن أبوه اليعقوبي (ت ١٣٤٥ هـ):

وإنما اشترط كـوْنُ الأجنبي مرفوعَ هذا الوصفِ دون السببي
 لأنَّ رَفْعَهُ لِأجنبيٍّ يُخْرِجُهُ عن وضعِهِ الأصليِّ^(٦).
 وقول محمد سالم بن المأ (ت ١٣٨٣ هـ):

ما إن رأيت رجلاً أحسن في عينه هذا الكحل من زيد الوفي
 لكن أتى النفي فوجه إلى قيد الزيادة الذي قد حصلا
 يدلُّ لولا النفي أن الرجلاً أحسن من زيد إذا ما اكتحلا
 إلى أن قال:

١- أنظام الطّرة في الفوائد النحوية، ص ٩٥، ٩٦.

٢- حكاه سيبويه. يراجع شرح ابن عقيل، ج ٣ ص ١٦١.

٣- المصدر والصفحة نفسها.

٤- مثل «به سيبويه في الكتاب، باب ما يكون من الأسماء صفة مفرداً، وليس بفاعل ولا صفة تشبّه بالفاعل كالحسن وأشباهه». نقلاً عن تقريب الطّرة، ج ٢، ص ٤٨٢.

٥- تقريب طّرة ابن بونا، ج ٢ ص ٤٨٢.

٦- المصدر والصفحة نفسها.

في هذه الصورة أَفْعَلٌ يَحِلُّ مَحَلُّه الفَعْلُ على ما قد نُقِلَ
إِذْ ما رَأَيْتَ رَجُلًا في عَيْنِهِ يَحْسُنُ هَذَا الْكُحْلُ مِثْلَ حُسْنِهِ
في عَيْنِ زَيْدٍ صَادِقٍ بِالِاسْتِوَا إِذَا خَلَا مِمَّا مِنَ النَّفْيِ حَوَى.
إلى آخر أبياته التي بلغت (١٥ بيتاً) ^(١).

٤- من بديع ما يُذكر من طرائف الشنقيطيّين تَضْمِينُ المختار بن الأمين الفاضلي ^(٢)
معنى بيت ابن مالك هذا في بيتين اثنين، ثانيهما بيت ابن مالك محلّ التعليق، بعث
بهما إلى مريم بنت بدّي العلوية ^(٣)، يسألها فيها كُحْلًا، فقال :

لا يَرْفَعُ المُرِيدُ للأشْيَاخِ مِنْ حَاجَاتِهِ إِلَّا الَّذِي مِنْهَا بَطْنُ
وَرَفَعَهُ الظَّاهِرُ نَزَرٌ وَمَتَى عَاقَبَ فِعْلًا فَكَثِيرًا ثَبَتًا ^(٤).
وقد سَمَى الشنقيطيّون هذا البيت بيت (الكحل)، اقتباساً من المثال المذكور ^(٥).
٥- قال ابن مالك في باب الإبدال :

وافتَحْ وَرْدَ الهمزِ ياً فيما أُعْلُ لَاماً، وفي مِثْلِ هِرَاوَةٍ جُعِلْ
واواً...

يقصد أنّ اللَّفْظَ الذي تُبدل فيه المَدَّة الزَّائِدَةُ في الواحد همزةً في حالة وقوعها بعد
ألف الجمع، كـ (صحيفة وصحائف). والذي إذا وقع أَلِفٌ مَفَاعِلٌ فيه بين حرفين لَيْتَيْنِ
قَلْبَ الثَّانِي منهما همزةً كـ (نَيْفٌ ونَيْائِفٌ)، و (أَنَّهُ إِذَا اعْتَلَّ لَامٌ أَحَدِ هَٰذَيْنِ النُّوعَيْنِ فَإِنَّهُ
يُخَفَّفُ بِإِبْدَالِ كسرة الهمزة فتحةً، ثمَّ إِبْدَالِهَا ياءً، كـ (قَضِيَّةٌ وقَضَايَا)، وحاوية وحوايا.

فَحَوَايَا مثلاً أصلها : حَوَائِي بِإِبْدَالِ الواو الواقعة بعد أَلِفِ الجمع همزةً، ثمَّ حَوَاءِي،
ثمَّ حَوَاءً، ثمَّ حَوَايَا. وأمَّا إِذَا كَانَتِ اللَّامُ في المسألة واواً سَالِمَةً في المفرد فَإِنَّ الهمزة لا
تُقَلَّبُ ياءً، بل تُقَلَّبُ واواً، كـ (هِرَاوَةٍ وهِرَاوَى)، إِذْ الْأَصْلُ : هِرَائُوٌ، ثمَّ هِرَاءُوٌ، ثمَّ هِرَاءً،

١- أنظام الطَّرة في الفوائد النحوية، ص ١٤٦.

٢- لم أقف على تاريخ وفاته.

٣- لم أقف على تاريخ وفاتها.

٤- تاريخ النحو، ص ٤٤٥. مع التنبيه إلى أنّ البيت الثاني هو بيت ابن مالك، سالف الذكر، محلّ الحديث.

٥- الألفية وأثرها، ص ٣٥.

ثُمَّ قُلِبَتِ الْهَمْزَةُ وَآوًا فَصَارَتْ (هَرَآوَى)^(١).

فبسبب هذه الصعوبة، التي منشؤها كثرة الإلغال والإبدال في هذه المسألة سَمِيَ الشنْقِيطِيُّونَ هذا البيتَ بِاللَّهْجَةِ الْحَسَانِيَةِ (بَيْتِ الدُّبُّوسِ)، أَيِ الْعَصَا، أَوِ الْهَرَآوَةِ^(٢).

وَمِنْ طَرَائِفِهِمْ تَضْمِينُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَسَنِيِّ الْبَنَعْمَرِيِّ^(٣) هَذَا الْمَعْنَى أَيْبَاتًا يَتَحَدَّثُ فِيهَا عَنْ إِحْجَامِهِ عَنِ الزَّوْاجِ مِنْ سَيِّدَةٍ رَغِبَ فِيهَا، بَعْدَ مَا وَصَلَهُ تَهْدِيدٌ بِالضَّرْبِ مِنْ بَعْضِ أَقَارِبِهَا إِذَا مَا أَقْدَمَ عَلَى ذَلِكَ، حَيْثُ يَقُولُ :

خَوْفُ الْهَرَآوَى وَإِنْفَاذُ الْوَعِيدِ بِهَا مِنْ آلٍ لَيْلَى حَمَانِي مِنْ أَلَمِّ بِهَا
وَقَدْ حَمَانِي مِنْ مَرَأَى حَوَاجِبِهَا مَرَأَى الدَّبَابِيسِ فِي أَيْدِي حَوَاجِبِهَا
كَيْ لَا تَعْمَلَ فَيَمَنْ كَانَ يُعْمَلُهَا إِعْمَالُ تَصْرِيفِهَا لِلْمَوْعِدِينَ بِهَا
فَالضَّرْبُ مِنْهُمْ لَيْلَى لَا يَلِيقُ بِهِمْ بَلْ لَا يَلِيقُ بِنَا بَلْ لَا يَلِيقُ بِهَا.

وَالْتَهْدِيدُ مِنْ بَعْضِ أَقَارِبِهَا هُوَ الْوَاضِحُ مِنْ سِيَاقِ الْآيَاتِ، وَلَيْسَ مِنْ طُلَّابِهِ، كَمَا ذَكَرَ الدُّكْتُورُ يَحْيَى بْنُ الْبَرَاءِ، وَالدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ الْمُخْتَارُ بْنُ آبَاهُ^(٤).

وَقَدْ عُرِفَ فِي الْمَحَاطَرِ الشَّنْقِيطِيَّةِ أَنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ «إِذَا رَكِبَ الْفَرَسَ، وَاكْتَحَلَ، وَأَخَذَ الْهَرَآوَةَ، فَقَدْ عَرَفَ النَّحْوَ»^(٥). لِأَنَّ ذَلِكَ يَعْنِي تَمَكُّنَهُ مِنْ أَبْوَابِ: التَّنَازُعِ، وَأَفْعَلِ التَّقْضِيلِ، وَالْإِبْدَالِ، حَسَبَ مَا سَلَفَ تَوْضِيحُهُ. وَكَانَ أَصْحَابُ هَذِهِ الْمَتُونِ كُلُّهُمْ بَصْرِيِّينَ، بِاسْتِثْنَاءِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَجْرُومَ الصَّنَهَاجِيِّ (ت ٧٢٣هـ)، صَاحِبِ الْآجُرُّومِيَّةِ، فَكَانَ بَصْرِيًّا، كُوفِيًّا، مَا زَجَا بَيْنَ مَذْهَبَيْهِمَا. وَعَلَيْهِ كَانَ النَّحْوَةُ الشَّنْقِيطِيَّةُ بَصْرِيَّةً، تَلَقَّوْا مَذْهَبَهُمْ عَنْ طَرِيقِ هَذِهِ الْمَتُونِ، كَمَا أَخَذُوا مَا فِيهَا مِنْ مَفْرَدَاتِ الْمَذْهَبِ الْكُوفِيِّ، وَمَسَائِلِهِ. فَكَانَ أَغْلِبُهُمْ مَقْلَدًا لِنَحْوَةِ الْمَذْهَبِ الْبَصْرِيِّ، مُلْتَزِمًا بِآرَاءِ أَصْحَابِهِ، وَتَوَجَّهَاتِهِمْ، مُعْجِبًا بِهَا، مُدَافِعًا عَنْهَا.

وَهُوَ مَا يَفْسِّرُ لَنَا مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِي اعْتِنَاءَهُمُ الْكَبِيرَ بِالتَّعْلِيلِ عَلَى هَذِهِ الْمَتُونِ، أَوْ اخْتِصَارِهَا وَتَلْخِيصِهَا، أَوْ مُحَادَاثِهَا، أَوْ نَظْمِهَا، مَعَ التَّسْلِيمِ بِهَا فِيهَا، وَالْإِقْتِصَارَ عَلَيْهِ،

١ - مَلَخَصٌ مِنْ شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ، ج ٤، ص ٥٧٥، ٥٧٦.

٢ - الْأَلْفِيَّةُ وَأَثَرُهَا، ص ٣٥.

٣ - لَمْ أَقِفْ عَلَى تَارِيخِ وَفَاتِهِ.

٤ - الْأَلْفِيَّةُ وَتَأْثِيرُهَا، ص ٣٥، وَتَارِيخُ النَّحْوِ، ص ٤٤٥.

٥ - تَارِيخُ النَّحْوِ، ص ٤٤٤.

دون مناقشته والاعتراض عليه، فهم لذلك نصّيون، يرتبطون في الغالب بالنصوص التي يعلّقون عليها، مكتفين بإيضاح مضامينها، وما ترمي إليه. وسنجد تجلّيات هذا التوجّه باديةً في ظاهرتي (الطُرر والتلخيصات) عند القوم في الفصل الثاني من الباب الثاني، بعون الله.

المبحث الثاني : الاجتهاد

يتجلّى الاجتهاد عند النّحاة الشناقطة من وجهة نظري في مظهرين اثنين، أولهما: الميل إلى استنباط^(١) الأحكام، والتحرُّر من قيود التقليد، وعدم الارتباط والتقيّد بمضامين النصوص المعلّقة عليها، وثانيهما: اجتهاد في المنهج والطريق، متمثّل في ميل الشّراح إلى الإكثار من المناقشة والتحليل، والاتّساع في الشروح والحواشي، التي تشيع فيها ظواهر الأنظام والأحاجي والألغاز، والاستدراكات، والمناظرات. وفيما يلي عرض بعض النماذج للتدليل على ما ذُكر :

أ- الميل إلى الاستنباط، والتحرُّر من التقليد : من ذلك مثلاً :

١- مسألة (صَرَف عُمَر)، التي أحدثت ضجّة مُزلزلة بين الأوساط العلمية بالقاهرة، وكان صاحبها فحلاً من فحول علماء بلاد شنقيط، وسفرائها العلميين إلى المشرق العربي، هو محمّد محمود بن التلاميذ التّركزيّ الشنقيطيّ (ت ١٣٢٢هـ). فقد رآه جمع (عمرة)، وعليه فهو علّم منقول، ولا داعي لمنعه من الصّرف، وليس بمعدول عن عامر، حسب ما رأى التّحويّون ودرجوا عليه منذ أيّام نشأة التّحو العربي إلى يوم إثارة المسألة، ورأى أنّ التّحويّين غلطوا في ذلك، وغفّلوا عنه. وحجّته في المسألة أنّه وجد مائة بيت للعرب، مصروفاً فيها عُمَر، وأنّ العرب لم تمنعه نظماً ولا نثراً، وقال في ذلك من ميمته المشهورة :

كما خَرَقُوا لِلْعَرَبِ ذَا الْمَنْعِ مُفْتَرِي	عليهم بلا نشرِ رَوُؤُهُ وَلَا نَظْمِ
ففي سائر الأمثال إثباتُ صَرَفِهِ	وإبطالُ مَنْعِ الصَّرَفِ وَالْعَدْلِ بِالْقَمِ
وقد غَفَلُوا عَنْ كَوْنِهِ جَمْعَ عَمْرَةٍ	له الصَّرَفُ قَبْلَ النَّقْلِ لِلْعَلَمِ الْإِسْمِ

١- هو استخراج الأحكام بوقدة الذهن. يراجع إرشاد الفحول، ص ٣٧٠.

فدعواهم مُنْعٌ وعدلٌ مُقدَّرٌ وعن عامرٍ مُحضُ التَّقْوَلِ بِالْقَمِ^(١).
وصرَّحَ بأسَاءِ بعضِ أسلافه من النَّحاة الكبار، الذين غفلوا عن كَوْنِ (عمر)
مصرفاً بقوله :

رددت على عمرو ويحيى وغيرهم بصرف وعدل لا بكذبٍ ولا ظلمٍ
مقألهم بالمنع والعدل مفترئٌ على عُمرٍ ذي الصِّرفِ رغماً على رِغمٍ
مضى عُمرٌ بالصرف من عهد نابت وعاد وكلُّ العرب في الحلِّ والحرم^(٢).
كما امتدَّ عتبه إلى كبار النَّحاة ببلده شنيط، الذين قلَّدوا أسلافهم من نحاة
العربية في القول بعدم صرف (عمر)، فعُدَّ منهم أعلاماً كباراً، من أمثال المختار
انجُبَّان (ت، حوالي ١١٦٠هـ)، والمختار بن بونا (ت ١٢٢٠/١٢٣٠هـ)، وعبد الودود
بن عبد الله (ت ١٢٦٨هـ)، وبُلاً الشقروي (ت ١٢٧٣هـ)، واجدود بن اكتوشن
العلوي (ت ١٢٨٩هـ) ... إلخ. فقال :

ولم يشعر المختار مُنشئاً أحمراه لنفع عباد الله من بحرهِ الطِّمِ
ولا شيخه انجُبَّانٌ من كان عنده له فتح الرحمن في النَّحو والعلم
ولا ابنُ ابنه عبد الودود الذي غدا له نحوه إرثاً مباحاً بلا قسم
ولا شيخه بُلاً ولا ابنُ حبيبنا ولا حُرمة الرحمن ذو العلم والفهم
ولا شيخنا البحر الخضم جدودنا ولا شيخه أبوه في العلم والحلم
ولا غيرهم من كلِّ أروع جهبذٍ عليم بعلم النَّحو ذي أدب جمٍ
فكنت بحمد الله أول مُرشد إليه أقود الناس باللُّجم والخطم
فهذا منه رحمه الله استنباط مثير، واجتهاد لافت في مسألة نحوية درج عليها نحاة
العربية عبر العصور منذ نشأة النَّحو العربي، لذلك أثارت مناظرة ممتعة، سيأتي الحديث
عنها بمناسبة أخرى، مفصلاً أكثر ممَّا هنا، بعون الله، في الفصل الثاني من الباب الثاني.

١- الوسيط في تراجم أدباء شنيط، ص ٣٨٣.

٢- الدكتور محمَّد بن أحمد بن المحبوب، النَّحو الشنيطي بين دروس التعقُّق ومباحث التخصُّص، ص ١٠٦، ١٠٧.

٢- كان أحمد بابا التنبكتي (ت ١٠٣٦هـ) يقول بوجوب تخصيص الفاعل بإحدى مسوِّغات الابتداء، ويبدو أنَّه تحدَّث عن ذلك في كُراسيْن، ذكرهما صاحب فتح الشُّكُور^(١)، ولم أقف عليهما، وهما :

- غاية الإفادة في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة.

- النكت المستجادة في مساواتهما في سرِّ الإفادة . ولعلَّهما عنوانان لتأليف واحد.

وسار المختار بن بونا (١٢٢٠هـ) على منواله في المسألة، إذ قال : (... وَخُصِّصَ الفاعلُ فَهُوَ مُلْتَزَمٌ)^(٢). وهذا استنباط من أحمد بابا التيمبكتي، وترجيح من ابن بونا لاستنباط التيمبكتي (فيما يبدو)، استناداً إلى ما هو ثابت عند التحوِّيْن في باب المبتدأ من كَوْن المحكوم عليه لا يصحَّ إلاَّ أن يكون معلوماً في الأغلب^(٣). وقد اعترض مَحْنُصُ بابا بن اعييد الديباني (ت ١٢٧٧هـ) على هذا الاستنباط، مُعْذِلاً شَطْرَ ابن بونا، سالف الذكر، إذ قال : (وَخُصِّصَ الفاعلُ وَهُوَ مَا التَزَمَ)^(٤).

كما استدرك أجْدُود عبد الوهَّاب بن اَكْتُوشِن العلوي (ت ١٢٨٩هـ) على أحمد بابا بأنَّ ذلك ليس بِمُلْتَزَمٍ، وقال ناظماً :

وَقَوْلُ مَنْ يَسْتَوْجِبُ التَّخْصِيصَ بِفَاعِلٍ لَيْسَ يُرَى مَنصُوصًا
وَإِنْ يَكُنْ أَحْمَدُ بَابَا قَدْ جَزَمَ بِهِ فَمَا تَخْصِيصُهُ بِمُلْتَزَمٍ^(٥).

وقد تعمَّق الحوار في المسألة بين أتباع المذهبين من العلماء والدارسين، من ذلك مثلاً ما جرى بين الشيخين : مَحْنُصُ بابا بن اعييد الديباني (ت ١٢٧٧هـ)، و(معي) محمَّد عالي بن سيدي بن سعيد (ت ١٣١٠هـ)، حيث يقول الأخير في كتابه (تنبيه الصغار بشرح الاحمرار)^(٦) : « التقيت ذات ليلة مع محنص بابا فقال : أنت كأشياخك

١- ص ٧٢.

٢- الشَّطْرُ الثَّانِي من آخر بيت من أُمِّهِراره على الألفية، في باب الفاعل. يراجع تقريب الطُّرَّة، ج ١، ص ٢٧١.

٣- الدُّكْتُور عَبَّاس حَسَن، التَّحْوِ الوافي، ج ١، ص ٤٤٢، ٤٤٣.

٤- التَّحْوِ في التَّوَادِي الشَّنْقِيطِيَّة، ص ١٦٠.

٥- الوسيط في تراجم أدباء شَنْقِيط، ص ٨٢.

٦- تحقيق اميريكَة بنت محمد محمود، للحصول على الإجازة من جامعة انواكشوط سنة ١٩٩١م. مودَّع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٠٢٤١. وحقَّقت منه أبواب عديدة في رسائل تخرَّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. مثلاً قام أحمد بن محمَّد عبد الله بتحقيق بابي الحال والتميز، في رسالة تخرَّج من المعهد نفسه. السنة الدراسية ١٩٩٣/١٩٩٤م. مودَّع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه تحت رقم ٥٩٠.

في إيجاب تخصيص الفاعل؟ فقلت : نعم، قال : ما تقول في قوله تعالى : (قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌۭ ۙ ٩٠ ، الملك)، قلت : لعلّ تقديم المفعول من المُسَوِّغات، فلم يُسَلِّمْ، ولم يَعِب. ولما كان بعد ثلاث أتاني، فقال : من غير ترجمة ^(١) :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحِسَانِ طَرُوبٌ بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيبٌ.
فلما كان بعد ثلاث أخرأتيته فقلت لعله موصوف تقديرًا، أي مَشِيبٌ منك ^(٢).

٣- اختار الشيخ محمد اليدالي (ت ١١٦٦هـ) جواز تقدّم معمول المصدر عليه، حيث يقول : «وأما قولهم إنّ المصادر لا تعمل عمل الفعل إلا إذا تقدّمت، أما إذا تأخّرت فتكفّ عن العمل، فذلك تحكّم من جمهور النحويين غير مَرَضِيٍّ في التعليل» ^(٣).

٤- ميّز عبد الله بن أحمد بن الحاج حمى الله القلاوي (ت ١٢٠٩هـ) في منظومته المسماة الرَّبَّانِي ^(٤) الاسم ببعض المميّزات التي لم تكن متداولة بين النحويين، إذ قال : (فَمَيِّزُ الْأَسْمِ بِحَسٍّ وَلَعْلٍ ...) ^(٥). وقال في الشرح : «فميّز الاسم بحسٍّ، أي ما يدرك بإحدى الحواس الخمس.. ويُعرف الاسم ب(لعلّ)، وبها يُعرف اسمية جلّ الضمائر، نحو : لعلنا ولعلّهم..» ^(٦).

ثمّ يدلّ على تحرّر فكره من حيّز التقليد، وميله إلى الاجتهاد والاستنباط. والجديد في حديثه عن (لعلّ) هو الاستعانة بها على تمييز اسمية جلّ الضمائر، أمّا كونها من حروف الجرّ فمذكور عند القدماء، وأنّ الجرّ بها لغة عُقِيل ^(٧). هذا إذا لم يكن مسبوقاً بذلك من غيره من النحويين، ولم نقف عليه.

١ - مطلع بائية الشاعر الجاهلي علقمة الفحل، أحد أصحاب الطبقة الأولى. يراجع الموسوعة العالمية للشعر العربي، على الشبكة المعلوماتية.

٢ - النحو في النوادي الشنقيطية، ص ١٦٠.

٣ - المصدر نفسه، ص ١٥٩.

٤ - توجد منه نسختان في مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ١٠٤، ١١٥، وثالثة على (مكروفلم) المعهد نفسه، تحت رقم ٤٧٦. مع شرحه.

٥ - المخطوطة، ص ٢.

٦ - المصدر والصفحة نفسها.

٧ - شرح ابن عقيل، ح ١، ص ٣٤٢.

٥- من ملامح الاجتهاد عند شيخ النّحة الشناقطة المختار بن بونا (ت ١٢٢٠هـ)، قوله ^(١) :
 وشَادِنِ رَمَى الْحَشَى طَرْفُهُ بِفَاتِرٍ أَضْعَفَ مِنْ حُجَّيْتِي.
 حيث «جعل قوله (حُجَّيْتِي) مرادفا لقولهم (حُجَّة نحويّ)». ونظير هذا قول
 العلامة الصّبّان إنّ الإضافة في قول ابن مالك ^(٢) : كلامنا لفظ ... إلخ، إشارة إلى أنّه
 من مجتهدِي النّحة» ^(٣).

٦- للنّحة رأيان في لفظ (الأَجْدَلِ «لِالصَّقَرِ»)، من حيث الصرف والمنع، فأغلبهم
 يراه مصروفا؛ لأنّه ليس بصفة حقيقية، فحقّه أن لا يمنع من الصرف، ومنعه
 بعضهم من الصرف لِتَحْيُلِ الوصف، المتمثّل في معنى القوّة، المنضاف إلى وزن
 الفعل ^(٤). فاستنتج الشيخ محمّد فال أباه بن عبد الله (وهو أحد النّحة الشناقطة
 المعاصرين (ما يزال حيّا): «أنّ الأجدل يمكن كونه من الجدّل بمعنى إحكام
 القتل، فيكون وصفا حقيقيا» ^(٥).

وفعلا جاء في لسان العرب «الجدّل : شدّة القتل، وجدّلت الحبل أجْدله جدّلا إذا
 شددت قتلّه، وقتلته فتلا مُحْكَمًا. ومنه قيل لزمام الناقة : الجديل» ^(٦).
 وهذا منه اسنباط لعلّة حقيقية مانعة من الصرف، مؤيّد لرأي المانعين، وهم الأقلّ.
 ب-اجتهاد في المنهج والطريق : متمثّل في ميل العلماء إلى الإكثار من نظم المناقشات
 والتحاليل المعمّقة للمسائل والتفريعات، والاتّساع في الشروح والحواشي، التي
 تشيع فيها ظواهر الأحاجي والألغاز، والاستدراكات، والمناظرات. وسيأتي
 الحديث عن هذه الظواهر مفصّلا بعون الله في الفصل الثاني، من الباب الثاني. وقد
 مثّل هذا الاتّجاه أحسن تمثيل شيخ نحة الشناقطة المختار بن بونا (ت ١٢٢٠هـ)،
 والناهبون من تلاميذه من بعده.

١- النحو في النوادي الشنقيطية، ص ١٦٢.

٢- البيت الأوّل من باب الكلام وما يتألف منه، في الخلاصة.

٣- بحث النحو في النوادي الشنقيطية، ص ١٦٢.

٤- شرح ابن عقيل، ج ٣، ص ٣٠٧.

٥- بحث النحو في النوادي الشنقيطية، ص ١٦٢.

٦- مادّة (جدل).

فبعد أن تجاوز النحاة الشناقطة مرحلة التقليد والمحاكاة مالوا إلى لون من ألوان الاجتهاد في المنهج والطريق حسب رأيي، متمثل في تتبعهم واستقراءهم للمسائل والأحكام في المتون النحوية، وشروحها، بنظم الفوائد والتوضيحات، والاستدراكات، والتحاليل والمناقشات المعمقة، مما نتج عنه فيض غزير من هذا اللون. وفيما يلي عرض أمثلة تفيد ما ذكر :

١- محمد سالم بن المختار « أُلِّمَّا » (ت ١٣٨٣هـ)^(١) له مجموعة أنظام نحوية ولغوية^(٢). منها مثلاً :

- نظمهُ أَوْجُهُ إِعْرَابٍ (كلتا) :

أَعْرَبَ إِذَا أَضِيفَ لِلضَّمِيرِ	كِلْتَا بِالْأَحْرَفِ عَلَى الشَّهِيرِ
أَعْرَبَ بِشَكْلِ فَوْقَ ذَاكَ الْأَلِفِ	مُقَدَّرًا مَهْمَا لَغَيْرٍ تُضْفِ
ومطلقاً بذي الحروف أعرباً	فيما إلى كنانة قد نسباً
ومطلقاً بالحركات تُعَرَّبُ	فيما إلى لغةٍ أخرى تُنسَبُ ^(٣) .

٢- محمد بن محمد (مَيِّمِيَّة) بن المحبوب (ت ١٣٩٩هـ)^(٤) له مجموعة أنظام نحوية ولغوية^(٥). والناظم رحمه الله يمتاز في هذه المجموعة النظامية بأمانة علمية تامة، حيث نجده في الغالب ينظم ما هو مُرتسم في مصادر نظمهِ حرفياً، مع التصريح بها في الغالب، وهو شيء نادر عند ذوي الأنظام.

- منها مثلاً قوله في اختلاف النحويين في جازم الفعل عند التّعري من أداة الجزم :

وَأَجْزَمَ بِشَرْطٍ قُدِّرَ الْجَوَابُ مِنْ	نَحْوِ اسْتَقَمَ تَكُنْ بِجَنَّةٍ قِمْنُ
وَقِيلَ بِالْمَجَابِ ذَا مِنْ بَعْدِهَا	ضَمَّنَ مَعْنَى حَرْفٍ شَرْطٍ جَزَمًا

١- مكانة أصول الفقه في الثقافة المحظرة الموريتانية، ص ٢٠٨، وأنظام الطُّرَّة في الفوائد النحوية، ٢٨٦، والمجموعة الكبرى، ج ٢، ص ٢١٠.

٢- تحقيق هذه المجموعة النظامية، لسدي بن آتاه، في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. السنة الدراسية ٢٠٠٤/٢٠٠٥م. مودّع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه، تحت رقمي ٤٦/٢٦. ص ٣١، فما بعدها.

٣- ص ٣١، من تحقيق المجموعة.

٤- أنظام الطُّرَّة في الفوائد النحوية، ص ٢٨٨.

٥- تحقيق محمد بن أبوه، في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. السنة الدراسية ٢٠٠١/٢٠٠٢م. مودّع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه، تحت رقم ٧٣. ص ٣٢-٣٩.

وَقِيلَ لَا بَلْ ذَا الْمُجَابِّ نَابَا عَنْهُ لِذَاكَ جَزَمَ الْجَوَابَا
وَقِيلَ بَلْ بِلَامٍ أَمَرٍ قُدِّرَا جُزِمَ وَالْمَشْهُورُ مَا قَدْ صُدِّرَا

فهذا نظم لما جاء في حاشية الصَّبَّان على الأشموني، إذ قال فيه : «ف قيل إنَّ لفظ الطلب ضُمَّن معنى حرف الشرط فجزم... وقيل إنَّ الأمر والنهي وبقائها نابت عن الشرط، أي حذف جملة الشرط وأُنِيت هذه في العمل منابها فجزمت.. إلخ»^(١).

٣- المختار بن المحبوب اليدالي (ت ١٣٩٢هـ)^(٢) له مجموعة أنظام نحوية^(٣)، عدد أبياتها (١٠٧) أبيات، موزعة على (١٦) وحدة مستقلة. وهو في هذه المجموعة كثير الإسناد إلى مصادر أنظامه، مما أكسبه أمانة علمية جديرة بالتقدير.

- منها مثلاً قوله في جمع (نَهَار) :

وَلِلنَّهَارِ كَانَ جَمْعًا أَنَهْرُ فِي قِلَّةٍ وَلِلْكَثِيرِ نُهْرُ
وَمَا لَهُ جَمْعٌ بِمَا قَدْ اطرَدَ (في اسم مُذَكَّرٍ رُبَاعِيٍّ بِمَدٍّ)^(٤)

يقصد الناظم من البيتين أنَّ (نَهَاراً) إذا جُمع فإنه يُجَمَّع جَمْعَ قِلَّةٍ على (أَنَهْرُ، أي أَفْعُلُ)، وجمع كَثْرَةٍ على (نُهْرُ، أي فُعْلُ)، ولا يُجَمَّع الجَمْعُ المَطْرَدُ لكلِّ اسم مُذَكَّرٍ رُبَاعِيٍّ بِمَدٍّ كَقَدَالٍ وَأَفْذَلَةٍ على وزن (فَعَالٍ وَأَفْعَلَةٍ)، وأتى بشرط ابن مالك ليستدل به على مراده^(٥).

٤- مجموعة أنظام نحوية ولغوية. لعلماء شنقيطين^(٦)، وهي مجموعة كبيرة، تبلغ أبياتها حوالي (ستمائة ٦٠٠ بيت تقريباً)، مرتَّبة حسب أبواب ألفية ابن مالك، مُتَّبَعَةً إِيَّاهَا، إمَّا بالتوضيح أو الاستدراك، أو التصويب. منها مثلاً قول المختار بن بونا الجكني (ت ١٢٢٠هـ)، في أحكام الجُمَل :

١- مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٣٢.

٢- الألفية وتأثيرها، ص ١١٠.

٣- مخطوطة. مودعة بقسم المخطوطات بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠٣. ص ٢، فما بعدها.

٤- الشطر الأول من البيت رقم ٧، من باب جمع التكسير في الخلاصة.

٥- شرح ابن عقيل، ج ٤، ص ٤٦٨.

٦- مخطوطة، مودعة بقسم المخطوطات بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠٤. ص ١، فما بعدها.

صَلَّى وَسَلَّم عَلَى خَيْرِ الرُّسُلِ ثُمَّ مِنَ الْمُهَمِّ أَحْكَامُ الْجُمْلِ
 ذَاتُ ابْتِدَاءٍ أَوْ اغْتِرَاضٍ أَوْ صِلَةٍ لَيْسَ لَهَا مَحَلٌّ أَوْ مُقَصِّرٌ لَهُ
 كَذَا جَوَابُ الشَّرْطِ إِنْ لَمْ يُجْزَمْ وَلَمْ يَكُنْ مَعَ كَفَا أَوْ قَسَمٍ
 مَا اتَّبَعَتْ كَذَا جُمْلَةً الْخَبَرُ وَالْحَالِ وَالنَّعْتِ مَحَلٌّ اسْتَفْرَ
 وَمَا بِهَا جَزَتْ كَأَنَّ أَوْ حُكِيَتْ أَوْ مَا لَهُ أُضِيفَ أَوْ مَا اتَّبَعَتْ

...إلخ.

يقصد أَنَّ الجُمْلَ التي لا محلَّ لها من الإعراب سبعة، وهي : الابتدائية، والمُعترضة، وجملة صلة الموصول، والتفسيرية، وجملة جواب القسم، وجملة جواب الشرط، غير الجازم مطلقاً، أو الجازم ولم تقترن بالفاء، ولا ب(إذا) الفجائية، والتابعة لما لا محلَّ له من الإعراب. والجُمْلَ التي لها محلٌّ من الأعراب سبعة أيضاً، وهي : الجملة الواقعة خبراً، والواقعة حالاً، والواقعة مفعولاً، والمضاف إليها، والواقعة بعد (الفاء أو إذا) جواباً لشرط جازم، والتابعة لمفرد، والتابعة لجملة لها محلٌّ من الإعراب، و«أَنَّ الجملة تكون اسمية وفعلية وظرفية، وأَنَّها تكون كُبرى : وهي الاسمية التي خبرها جملة، نحو : خالد جاء أبوه، وعمرُّو أبوه مسافر، وصُغرى : وهي المبنية على البتداء، كالجملة المخبر بها في المثالين»^(١).

فهذا النشاط من وجهة نظري يمثل لوناً من ألوان الترف الفكري، المتجسّد في التعمّق والتحليل والاستيعاب لمسائل النَّحو وقضاياها المتشعّبة، لكن على طريقة الشناقطة، بنظم المسائل، والقضايا العلمية المهمة عندهم.

ج - اجتهاد متمثّل في الاتّساع في الشروح والحواشي : الغرض من هذا العنوان هنا هو الإشارة فقط إلى الجانب الاجتهادي في المنهج، أمّا الحديث عن الاتّساع في الشروح والحواشي، الذي يمثل مظهراً من مظاهر ازدهار النَّحو ببلاد شنقيط فسيأتي الحديث عنه مفصّلاً بعون الله تعالى في الفصل الأوّل من الباب الثاني. لذلك سأقتصر على إيراد جزء من مقدّمة كتاب (المواهب التّحوية على الخلاصة والألفاظ البونية) لسيدي محمّد بن أحمد بن حَبْت القلاوي (ت ١٢٨٨هـ)، العالم الجليل^(٢). وهو موسوعة في أربعة

١ - مغني اللبيب، ص ٣٦٣، فإبعدها.

٢ - حياة موريتانيا، ص ٦٧، والمناورة والرباط، ص ٥٥٧، وتاريخ النَّحو، ص ٥٤٠. وهذه الموسوعة مخطوطة في أربعة أجزاء كبيرة. توجد أجزاءها الثلاثة الأولى بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام ٢٨٤٧، ٢٨٤٨، ٣٥٣٠، على التوالي. كما توجد كاملة على (مكرو فلم) المعهد نفسه، تحت رقمي ١٧، ١٣٤.

أجزاء كبيرة. يقول فيها، محدداً دواعي تأليفه إيّاها، مشيراً إلى ما أودع فيها من دُرر أئمة الفنّ، وفوائدهم الجمّة :

«ثمّ إنّّه لما كانت تلك الكتابات ممزوجة بالخلاصة امتزاج الماء بالراح، وامتزاج الأجسام ذوات النفوس بالأرواح، شرعت في الشرح لجميع ما هنالك والإيضاح، ضامّاً إلى ذلك من الفوائد ما ينشرح له الصدر أيّ انشراح، ناقلاً عليه من كلام الأئمة ما يتبيّن به المرام، وينكشف عن وجوه خرائد مخدّراته اللثام، ويروي كلّ غليل نحو ذلك المشرب وظام»^(١).

وحّدّد مصادر هذه المدوّنة الشاملة قائلاً : «إنّني اعتمدت في النقل على التسهيل، وعلى ثلاثة من شروحه، وهي الدماميني، والمساعد، ونتائج التحصيل، وعلى الأشموني، وعلى محشيه الصبّان، وربّما نقلت من حاشية الشُّمْنِي، والرّصاع، وعلى النُّكْت للسيوطي، والأشباه والنظائر له أيضاً، والارتشاف لأبي حيّان، وشرح الكافية للمؤلّف. فما اعتمدت عليه في النقل هذه الكتب، وربّما نقلت عن غيرها ك(العيني)، وخزانة الأدب، والحماسة، والقاموس، والجوهري، وغير ذلك»^(٢).

فهذا الفيض الغزير من أمّهات مصادر النّحو واللّغة يعبرّ بجلاء عن قيمة هذه المدوّنة. وقد اعتنى المؤلّف في هذه الموسوعة النّحوية بدراسة الشواهد الشعرية، مستقصياً وجوه رواياتها المتعدّدة، شارحاً ما استغلق من لغتها، رابطاً بين الشاهد وسابقه، أو لاحقاً، أوهما معاً^(٣).

وتما يعبرّ عن قيمة هذه الموسوعة المعرفية، وشمولها لقضايا النّحو واللّغة والأدب قول حفيد مؤلّفها : الشيخ محمد بن حبت القلاوي (ت ١٢٩٩هـ) في مقدّمة اختصاره إيّاها : «إنّ تصنيف الوالد رحمه الله تعالى المسّمى ب(المواهب النّحوية على الخلاصة والكتابات البونية)، لا شكّ أنّه في التصانيف غرّة الزمان، في غاية الحسن عند من تداوله من الإخوان، لم يأت مصنّف ممّن سبقه بمثاله، ولم ينسج على منواله... لكنّه في هذا الفنّ من الكتب الطوال، باستجلاب الشوارد، وكثرة العزو للرجال، وبالغوص في مفاوز

١ - مقدّمة هذه الموسوعة.

٢ - المصدر والصفحة نفسها.

٣ - تاريخ النحو العربي، ص ٥٠٢.

مسائل الفنّ لتبيان غوامضها والمشكلات، وربّما طمح به لسان القلم إلى سائر علوم الأدب لأمر اقتضى ذلك في بعض النفحات، فكان ملجأ وموتلاً للجلّة أُولي الانتباه^(١). وستكون لي وقفة مع هذين التّأليفين الفذّين (موسوعة الوالد، واختصار الحفيد) في الفصل الأوّل من الباب الثّاني، بإذن الله تعالى.

١ - يوجد هذا الاختصار بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلميّ، تحت رقم ٢٩٦٦، وبمخطوطات مركز أحمد بابا بتمبكتو، تحت رقمي ٨٢١٨، ٣٥٩٠، وبمكتبة أهل سيدي عثمان بولاية تحت رقم ٥٠، وعلى (مكروفلّم) المعهد الموريتاني للبحث العلميّ، تحت رقم ٢٨٩، وبمكتبة أهل حدّي بتشيت. تراجع مقدّمة الاختصار.

الباب الثاني

حركة التأليف النحويّ ببلاد شنقيط

الفصل الأوّل : النّحاة واللّغويّون

الفصل الثاني : المباحث والقضايا

تمهيد

عُرِفَ الشناقطة بَوْلِعِهِم الشديد بعلم النّحو العربي، وكثرة اهتمامهم به، وانشغالهم بالبحث فيه، والتنقيب عن مسائله وقضاياها. كان محمد النابغة القلاوي (ت ١٢٤٥هـ) في نظمه المسمّى (بوطليحية^(١)) ينكر كثيراً على من يتصدّى للفتوى، وهو ليس من أهل النّحو، حيث يقول :

وبعضهم يفتي وهو جاهلٌ	إعراب بسم الله عنه ذاهلٌ
فليس من أهل اللسان العرب	وفي الأصول ماله من أرب
فمثل هذا لا يكون مُرشداً	لجهله النّحو ومما أنشداً
عليك بالنّحو فإن النّحووا	لحن الخطاب ملكه والفحوى
وكلمة ابن مالك كافيّة	إذ قال في بيتين في الكافيّة ^(٢)
وبعدُ فالنّحو صلاحُ الألسنة	والنفس إن تعدّ سنه في سنه
به انكشاف حُجب المعاني	وجلوة المفهوم ذا إذعان.

ويقول الشيخ محمّد بن حنبل الحسني (ت ١٣٠٠هـ) في الحصّ على تعلّم علم الإعراب، وأنّ من يجهله مثل الغراب :

كُلُّ فتى شَبَّ بلا إعراب	فهو عندي مثلُ الغراب
وإن رأيته لحودٍ عاشقاً	فقل لها اتقي الغراب النّاعقاً
وإن مررت بعروبٍ تستبي	تنازع الحديث غير المغرب
فقل رأيّ العجب العجّاباً	هذا غزال غازل الغراباً
ما للغراب وشذى الحسان	شان الغراب جيف الغربان
حلي الفتى إعرابه لا ماله	ولا تجارّه ولا جماله.

فالذي يجهل علم الإعراب هو عنده كالغربان، التي لاشأن لها بغير الجيف. ويقول محمّد بن مّثالي التندغي (ت ١٢٨٧هـ) :

١ - نظم بوطليحية على ما اعتُمد من الكتب والأقوال، تحقيق وشرح الدكتور يحيى بن البراء. مودّع بمخطوطات المعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة، تحت رقم ١١٧. ص ١٢٦، فيما بعدها.

٢ - هما بيتان من مقدّمة كتابه : الكافية الشّافية. يراجع شرح الكافية الشّافية للمؤلّف، ج ١، ص ٤٤٣.

تَعَلَّمِ اللِّغَةَ شَرْعاً فَضَّلِ عَلَى التَّخَلِّي لِعِبَادَةِ الْعَلِيِّ
يُؤْخَذُ ذَا مِنْ قَوْلِهِ وَعَلِمَا أَدَمَ الْأَسْمَاءَ الزَّمِ التَّعَلُّماً^(١).

وقد ذكر الدكتور محمد المختار بن أباه أنَّ المؤلفات النحوية ببلاد شنقيط لم تظهر إلا في عهد العالمين : الطالب محمد بن المختار بن الأعمش (ت ١١٠٧ هـ) بكتابه : (المنن العديدة في إيضاح مسائل الفريدة للسيوطي)، والمختار أنجبنا بن محمد بن الحبيبي المتوفي حوالي (ت ١١٦٠ هـ)^(٢) بكتابه : شافي الغليل في علوم الخلاصة والتسهيل^(٣).

فقال : «من أوائل النحاة في أقطار شنقيط : تحدّث المؤرّخون عن الفقيه المختار النحوي بن الفقيه اندغ محمد الولاتي (ت ٩٢٢ هـ)، كما ذكروا محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب الله (ت ١٠١٤ هـ)، ولكن لم تظهر المؤلفات إلا في عهد ابن الأعمش وانجبنا..»^(٤).

وقد ذكرت سابقا في (الفصل الأوّل من الباب الأوّل) المختار النحويّ في معرض الحديث عن جهود علماء النحو في القرن التاسع الهجري ببلاد شنقيط، كما ذكرت محمد بابا (ت ١٠١٤ هـ) ضمن النحويين المؤلّفين في القرن العاشر الهجري بالبلاد، وسيأتي ذكرهما في المبحث الموالي ضمن أربعة من علماء المنطقة الشرقية، هم أوّل من ألّف في النحو العربيّ ببلاد شنقيط.

وفيما يلي بعض تحقيق تحتاجه هذه المسألة، حيث أرى أنّ أوّل من ألّف في النحو ببلاد شنقيط هم أربعة علماء بالمنطقة الشرقية، وليس الغربية، مؤلفاتهم النحوية أطلع على جلّ المفقود منها بعض المؤرّخين، ووصفوها ببعض الأوصاف التي تفيد وقوفهم عليها. وهم : عبد الله الملقّب اندغ عبد الله بن سيدي أحمد المحجوبي الولاتي (ت ١٠٣٧ هـ)، ومحمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب بن الفقيه المختار التيمبكتي (ت ١٠١٤ هـ)، وأحمد بابا التيمبكتي (ت ١٠٣٦ هـ)^(٥)، وسيدي أحمد بن اندغ محمد بن أحمد التيمبكتي (ت ١٠٤٥ هـ). سيأتي الحديث قريبا عن تأليفهم.

١- الأزهار السّديّة، مرجع سابق، ص ٣ من أدب المحظرة. لم أقف على اسم صاحب هذه الأبيات.

٢- أسس الإسلام، ص ٢٩.

٣- ورد ذكره في تاريخ النحو، ص ٤٥٠، ٤٥١.

٤- تاريخ النحو، ص ٤٤٩.

٥- هذه التّأليف مثلا في فتح الشكور، ص ٧٢، فما بعدها.

وعليه فمحاولة الدكتور التأريخ ل بدايات التأليف في علم النحو ببلاد شنقيط غير دقيقة، حيث يقول : «وفي أواسط القرن الحادي عشر ألفت أوائل الكتب النحوية في هذا القطر، مثل شرح فريدة السيوطي للطالب محمد بن الأعمش العلوي... وفي هذا العهد يظهر كتاب... شافي الغليل في علوم الخلاصة والتسهيل، للعالم المختار المعروف بانجُبنان»^(١).

كما أنّ جعله تأليف هذين الكتابين في أواسط القرن الحادي عشر هو شيء غير دقيق أيضاً؛ لأنّ ابن الأعمش متوفى سنة (١١٠٧هـ)، وانجُبنان حوالي^(٢) (١١٦٠هـ). فالثاني عاش نصف قرن بعد وفاة الأوّل.

وإن سلّمنا جدلاً باحتمال تأليف ابن الأعمش كتابه هذا قبل وفاته بنصف قرن، فمن غير الممكن أن تسلم بكون انجُبنان ألف كتابه المذكور (شافي الغليل) في هذا التاريخ (أواسط القرن الحادي عشر)؛ لأنّه سيكون بين وفاته وتاريخ تأليف الكتاب حوالي قرن من الزمن.

وقد ترك لنا العلماء النحاة ببلاد شنقيط تراثاً نحويّاً غزيراً، متنوّعاً، يدلّ دلالة قاطعة على قوّة إسهام الشناقطة في استمرار ازدهار الدراسات النحوية. وهذا الباب هو صُلب هذه الدراسة وهيكلها؛ لذلك كثرت مباحثه، واتّسعت مسأله، وقضاياها.

الفصل الأوّل : النحاة واللغويّون

خطا النحو العربي ببلاد شنقيط خطوات عدّة، من النشأة، إلى النضج والاكتمال، إلى الازدهار والاتّساع، وصولاً إلى مرحلة المراجعة والتحقيق. فهذه المحطّات الأربع هي موضوع هذا الفصل. وسأقوم في كلّ طور منها بعرض نماذج من تأليف أبرز النحاة الشناقطة، للوقوف على القيمة العلمية لها، ثمّ أسرد قوائم بأسماء بقية المؤلّفين وتأليفهم النحوية (باستثناء الطور الرابع) دون تحليلها، اكتفاءً بتحليل تلك النماذج؛ وذلك لأنّ الوقوف على حجم الإنتاج النحويّ ببلاد شنقيط غرض أساسيّ في هذه الأطروحة.

١- كتابه : تاريخ النحو، ص ٤٤٩، ٤٥٠.

٢- أسنّ الإسلام، ص ٢٩.

المبحث الأول : مرحلة البدايات والنشأة

(من القرن الخامس إلى نهاية القرن العاشر الهجري)

أ- كانت بدايات النشأة فيما أرى على أيدي المعلمين الأوائل لبلاد شنقيط، القادمين من المغرب، من أمثال :

- عبد الله بن ياسين (ت ٤٥٠ أو ٤٥١ هـ)^(١)، الذي سلف ذكر أنه قدم إلى صحراء شنقيط سنة (٤٣٠ هـ) بصحبة الأمير الصنهاجي يحيى بن إبراهيم الكدالي (ت ٤٤٧ هـ)، وفور وصوله قام بتكوين رباط نهض بأدوار التعليم والإصلاح والتربية والجهاد حتى استشهد في إحدى^(٢) الملاحم الجهادية.

- الإمام الحضرمي أبي بكر محمد بن الحسن (ت ٤٨٩ هـ)، صاحب كتاب (الإشارة في تدبير الإمارة)، الذي قدم صحراء شنقيط صحبة الأمير أبي بكر بن عمر اللمتوني (ت ٤٦٨ هـ) أثناء عودته الأخيرة سنة ٤٦٥ هـ من منتصف الطريق بين مراكش وأغمت إلى الصحراء^(٣). وهو معلم الدولة المرابطية ببلاد شنقيط، وقاضيتها ومتكلمها الثاني بعد ابن ياسين.

- إبراهيم الأموي (ت ٥٠٠ هـ)، الذي اصطحبه الأمير اللمتوني أبوبكر بن عمر، صحبة الإمام الحضرمي أثناء مروره سالف الذكر ب (أغمت وأريكة)^(٤)، فكان قاضيا، معلما في مجلس الأمير.

وعليه أرى أنه من الممكن التأريخ لانطلاق النشاط التّحوي في صحراء شنقيط، وتحديد مساره بشكل فعلي، بالرباط الذي أسسه عبد الله بن ياسين بعد قدومه إلى البلاد سنة ٤٣٠ هـ، إذ كانت حلقاته العلمية والإفتائية نواة حيّة في تاريخ نشأة المحظرة الشنقيطية، ثمّ بقدوم المعلمين الآخرين : الحضرمي والأموي. ثمّ أخذت المحاضر بعد هؤلاء في التكوّن والانتشار السريع في الحواضر والبوادي على السواء. ثمّ شهدت فترة

١- تاريخ ابن خلدون، ج ٦، ص ٢١٥، ٢١٧، والأعلام، ج ٤، ص ١٤٤.

٢- هي ملحمة برغواطة في المغرب، وذلك سنة (٤٥٠ أو ٤٥١ هـ)، وقبره جنوب الرباط. يراجع تاريخ ابن خلدون، ج ٦، ص ٢١٧، والأعلام، ج ٤، ص ١٤٤.

٣- التاريخ السياسي، ص ٥١.

٤- المنارة والرباط، ص ٦٥.

سيطرة بني حسان على الصحراء الشنقيطية في القرن الثامن الهجري ازدهارا ملحوظا في الثقافة والفكر^(١). فمن الممكن جدًا أن يكون النَّحو ضمن هذا النشاط المعرفي، باعتباره الآلة المعتمدة لدى المسلمين، المؤدية لفهم الكتاب والسنة، التي لا تنفك عن نشاطهم الفكري، المعرفي.

ب- الطُّور الذي كانت المحظرة الشنقيطية فيه تستند في تعلُّم النَّحو، وتعليمه، استنادا واضحا إلى إنتاج التَّحويين في المغرب والأندلس، ثمَّ المشرق، حيث توجَّه الدارسون في المحظرة إلى دراسة هذا الإنتاج وهضمه وتدريسه من المؤلَّفات النَّحوية الوافدة من هذه الأقطار، أبرزها مثلا متن الأَجْرُومِيَّة لابن أَجْرُوم الصنهاجي (ت ٧٢٣هـ)، وملحة الإعراب للحريري البصري (ت ٥١٦هـ)، وكافية ابن مالك (ت ٧٦٩هـ)، وتسهيله، وألفيته في النَّحو، ولاميته في التصريف، ثمَّ ألفية السيوطي (ت ٩١٥هـ)، ومُغني اللَّيب، وقطر النَّدى لابن هشام (ت ٧٦١هـ)، والبسط والتعريف بما جهل من التصريف : (منظومة عبد الرحمن المَكودي في التصريف ت ٨٠٧هـ)، وشرح المَكودي على ألفية ابن مالك.

والكتابان الأخيران قدَّم بهما مُحَمَّد سعيد بن تَكْدِّي اليدالي^(٢) من (تافلات) بالمغرب، وهو من علماء القرن العاشر الهجري. ففي هذه المرحلة اقتصر الدارسون والمعلِّمون إلى حدٍّ كبير على فهم هذه المتون واستيعابها أثناء العملية التدريسية، مع شيء من التفاوت البيِّن في الاهتمام بها، إذ حظيَ مَتْنُ الملحة والأَجْرُومِيَّة بالاهتمام الأوَّل لدى الدارسين المبتدئين، ثمَّ ألفية ابن مالك، ولاميته عند المختصِّين، دون منافسة من أيِّ مَتْنٍ آخر لهما إلى يومنا هذا، ثمَّ جاءت بقية المتون والشروح الأخرى في سُلَّم الاهتمام، مع شيء من التفاوت بينها أيضا لدى القوم.

وقد بدأ نشاط التأليف في النَّحو — كما أشير سالفاً — على أيدي أربعة من علماء القرن العاشر الهجري، كلَّهم من المنطقة الشرقية (ولادة، تيمبكتو)، هم :

١ - عبد الله الملقَّب اند عبد الله بن سيدي أحمد بن محمد بن عبد الله، الفقيه النحوي، المحجوبي الولاتي (ت ١٠٣٧هـ)، وهو جدُّ لسلسلة من الأحفاد العلماء، وبيته من

١ - التاريخ السياسي، ص ٨٢، ٨٣.

٢ - لم أقف على تحديد تاريخ وفاته فيما أطلعت عليه من المصادر، سوى أنَّه عاش في القرن العاشر الهجري.

أبرز بيوت العلم بولاته. وأول من أُلّف في النّحو ببلاد شنقيط، إذ أنّه «كان حيّا عام سبعة وثلاثين وتسعمائة (٩٣٧هـ)، فهو من المعرّين»^(١).

فعمره لهذا يزيد على قرن من الزمان، وقد عاش في الثلث الأوّل من القرن العاشر، ممّا يجعلنا (حسب ما بأيدينا من المصادر) نقطع بكونه أوّل مؤلّف نحويّ في القطر الشنقيطيّ لقدم مولده، وإن شاركه بعض المؤلّفين النحويين في تاريخ الوفاة^(٢)، إذ أُلّف شرحاً على متن الأجرّومية، قال عنه صاحب فتح الشكور: «وكان فقيهاً نحويّاً، شرح الأجرّومية شرحاً حسناً مختصراً»^(٣).

وهو إلى حدّ الآن مفقود، غير أنّ وصفه بالحسن يوحى بوجوده في فترة ما، والاطّلاع عليه. وعليه فلا مطعن على وجوده بسبب فقده؛ لأنّ ما هو مفقود اليوم من التراث النحوي ببلاد شنقيط أكثر ممّا هو موجود، ولا يمكن التشكيك فيه بسبب ذلك.

٢- محمد بابا بن محمد الأمين^(٤) بن حبيب بن الفقيه المختار التيمبكتي (ت ١٠١٤هـ). يقول صاحب فتح الشكور: «له من التّأليف عدّة : شرح رحمه الله تعالى ألفية السيوطي في النّحو شرحاً غريباً مفيداً، سمّاه ب(المنح الحميدة في شرح الفريدة)»^(٥). وفي المعهد الموريتاني للبحث العلمي يوجد مخطوط بهذا العنوان نفسه منسوب لأحمد بابا التيمبكتي (ت ١٠٣٦هـ)، مسجّل على (الميكروفلم، رقم ٥٦). والراجح فيما يبدو أن يكون لمحمد بابا، وليس لأحمد بابا، وذلك لتسجيله باسم الأوّل في العديد من المكتبات العالمية^(٦)؛ ولأنّ صاحب فتح الشكور ذكره في تآليف محمّد بابا، ولم يذكره في تآليف أحمد بابا^(٧). وهو متوافر الآن في بعض المكتبات الوطنية والعالمية، كما ذكر.

١- فتح الشكور، ص ٢٨٣.

٢- مثل محمد بابا بن محمد الأمين التيمبكتي ت ١٠١٤هـ، وأحمد بابا التيمبكتي ت ١٠٣٦هـ.

٣- المصدر والصفحة نفسها.

٤- تُرجم له، وذُكر هذا الشرح في فتح الشكور، ص ١٩٦، ١٩٨.

٥- فتح الشكور، ص ١٩٨.

٦- توجد له نسخ مخطوطة، واحدة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٤٧٦، وثانية بالخزانة العمريّة بباريس تحت رقم ١٦٠ - ١، ٥٤٦٧، وثالثة بمكتبة أهل حبت بشنقيط تحت رقم ٤٨٨، ورابعة بمكتبة أهل الكتاب تحت رقم ٣٣. عن محقّق فتح الشكور، ص ١٩٨، الحاشية ١. نقلاً عن ولد محمد يحيى، الفهرست، ص ٢٠٥، ٣٥٢.

٧- فتح الشكور، ص ١٩٨.

٣- أحمد بابا التيمبكتي الفقيه بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد بن أُقَيْت بن عمر الصنهاجي (ت ١٠٣٦هـ)، علامة عصره في فنون الثقافة العربية الإسلامية، نقله السعديون سنة ١٠٠٢هـ إلى مراكش لعدم اعترافه بسيطرتهم على تيمبكتو، وأُفرج عنه سنة ١٠٠٤هـ، فجلس للتدريس حوالي إحدى عشرة سنة بجامع الشرفاء بمراكش، وأقبل عليه العلماء، وطلبة العلم ينهلون من علمه الثر^(١). ترك من التّأليف التّحوية :

أ - الفتوح القيومية في شرح الأجرّومية^(٢).

ب- النكت الوافية بشرح الألفية. لم يكمل.

ج - النكت الزكية. لم يكمل.

د - تعليق على أوائل الألفية.

هـ- غاية الإجادة في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة (كُرّاس).

و - النكت المستجادة في مساواتها (الفاعل والمبتدأ) في سرّ الإفادة (كُرّاس). وأغلب الظنّ أنّها عنوانان لتأليف واحد.

ز - التحديث والتأنيس في الاحتجاج بابن إدريس (الشافعي). يريد بالفاظه في العربية. وهو كُرّاس في ورقات^(٣).

٤- سيدي أحمد بن اندغ محمد بن أحمد التيمبكتي (ت ١٠٤٥هـ)، نحويّ، لغويّ ، فقيه، قاض، له حظّ في الأصول والبلاغة، الذي ربّما يكون قد عاش جزءا من حياته العلميّة في النصف الثاني من القرن العاشر. له : (الفتوح القيومية في شرح الأجرّومية^(٤)). وقد وصفه صاحب فتح الشكور بقوله : «له شرح حسن على الأجرّومية، سمّاه : (الفتوح القيومية)، فيه فوائد مهمّة وفروع وتنبّهات يتشوّف لها عالي الهمة، يدلّ على وسع باعه في العربية وكثرة اطلاعه على دقائقها»^(٥).

١- ترجمته ومؤلفاته في فتح الشكور، ص ٦٠، فما بعدها.

٢- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو، تحت أرقام : ١٩٢٧، ١٩٢٨، ٢٠٠٨.

٣- تراجع هذه التّأليف مثلا في فتح الشكور، ص ٧٢، فما بعدها.

٤- توجد منه نسخة بخطوط مركز أحمد بابا التيمبكتي تحت رقم ٣٦٨٦.

٥- ص ٧٧.

وعليه يتبيّن لنا عدم صحّة ما ذهب إليه الدكتور المختار بن أباه في حديثه عن أوّل من ألف في النّحو ببلاد شنقيط.

المبحث الثاني : مرحلة التأسيس والتّضج

(في القرنين : الحادي عشر والثاني عشر للهجرة)

أخذت حركة التّأليف في هذين القرنين في الاتّساع والتمدّد، ومالت إلى التأسيس لنشاط نحويّ كبير في البلاد، يتّسم بالتّضج والاكتمال، فترعرع في أحضان المحاضر، واتّسع نشاطه وتمدّد بين ربوعها. ومن أبرز أصحاب هذه المرحلة :

٥- المختار أنجبنا بن محمّد بن الحبيّليّ (ت/ حوالي ١١٦٠هـ^(١))، وهو من شيوخ المختار بن بونا الجكني (ت ١٢٢٠ أو ١٢٣٠هـ). له :

- شافي الغليل في علوم الخلاصة والتسهيل^(٢). وهو شرح لألفية ابن مالك، لخص فيه بعضاً من شروحها وشروح التسهيل. تحدّث الدكتور محمد المختار بن أباه عن قيمته العلمية ومصادره، ومنهجه، قائلاً : «وأهميّة هذا الكتاب تكمن في كونه جمع في مجلّد واحد مضمون أمّهات كُتِب مدرسة ابن مالك، فلخصّ في شرحه للخلاصة توضيح ابن هشام، وتصريح خالد الأزهرّي، ونصوص الأشموني وتنبهاته، التي كانت مرجعه الأوّل، وآراء ابن الدّماميني في شرح التسهيل، ورُبّما نقل من مساعد ابن عقيل. وقد كانت نقوله محكمة، متكاملة وشاملة...»^(٣).

فمن هذا يتبيّن لنا أنّه ذو قيمة عالية، اكتسبها من اعتماده على مصادر معتبرة من أمّهات النّحو، مُلخصاً مادّته منها بمهارة كبيرة. لذلك حُقّق للدكتور محمد المختار بن أباه أن يقول : «وهذا الكتاب يحتاج إلى تحقيق ونشر، نظراً لأهمّيته التاريخية وقيّمته العلمية، فمن الغريب أن يظلّ مجهولاً إلى الآن، وأن يبقى مؤلّفه مغموراً، مغموص الحقّ، بالرغم ممّا يميّز به من إحكام في المنهج، وصحّة في المعارف»^(٤).

١- أسّ الإسلام، ص ٢٩.

٢- ورد ذكره في تاريخ النّحو، ص ٤٥٠، ٤٥١.

٣- المصدر والصفحة نفسها.

٤- المصدر نفسه، ص ٤٥٢.

لذلك فثّبت عنه كثيراً، لعلّي أحظى بالاطّلاع عليه، غير أنّي لم أوفق في ذلك؛ لأنّه غير متوافر في الساحة حقيقةً.

وقال الدكتور يحيى بن البراء: «(شافي الغليل شرح التسهيل)، لسيدي بن انجُبنان الحيلي (ت ق ١٢ هـ)»^(١). وقال الأستاذ الخليل النحوي: «سيدي بن انجُبنان الألفغي (ق ١٢ هـ): (شافي الغليل في شرح التسهيل) لابن مالك»^(٢).

فكلاهما يقصد من نصّه فيما يبدو المختار انجُبنان، سالف الذكر، وأنّ له شرحاً على تسهيل ابن مالك هذا العنوان. وهذا حقيقة غير صحيح، بل تأليفه بعنوان: (شافي الغليل في علوم الخلاصة والتسهيل). وهو عبارة عن شرح لألفية ابن مالك، لخصّ فيه بعضاً من شروحاتها وشروح التسهيل، كما سلف ذكره، وليس شرحاً للتسهيل. وهو واضح أيضاً من نصّ الدكتور محمد المختار بن إياه، المنقول سالفاً. إذ سلّم من هذا الوهم.

٦- محمد بن أبّه بن أحمد بن عثمان بن أبي بكر المزمرى نسباً، التّواتي منشأً وداراً، (ت ١١٦٠ هـ)، عدّه صاحب فتح الشكور من شيوخ الحاج أبي بكر بن الفقيه الطالب محمّد بن الطالب عمر البرتلي الولاقيّ (ت ١١٧٩ هـ). إذ قال عند الحديث عن حياته: «وقرأ بنافع على السيّد عمر بن أحمد بن محمّد بن أبوه الإيديلي (ت ١١٥٢ هـ)، وقرأ الرسالة على شيخنا سيدي الطالب الأمين بن الطالب الحبيب (ت ١١٦٦ هـ)، وألفية ابن مالك على شيخ أشياخنا سيدي منيرة بن حبيب الله التشمشاوي (ت ١١٦٢ هـ)، ولامية الأفعال على سيدي محمّد بن أبّه (ت ١١٦٠ هـ)»^(٣).

ولهذا العالم متن في النّحو مهمّ جدّاً، وهو نظم الأجرّومية^(٤)، لعبد الله محمد بن محمد آجرّوم الصنهاجي، الفاسي (ت ٧٢٣ هـ)، عُرِفَ بالمحظرة الشنقيطية بنظم (عُبَيْدِ رَبّه)، وربّما يكون قد تمّ نظمه ببلاد شنقيط؛ وذلك لِعيش مؤلّفه بها حقبةً من

١- الألفية وتأثيرها، ص ٤٢.

٢- المنارة والرباط، ص ٦١٧.

٣- فتح الشكور، ص ١٤٣، ١٤٤.

٤- يسمّى ببلاد شنقيط (عُبَيْدِ رَبّه)، باسم مؤلّفه مصغراً.

الزمان بعد أن وصلها قادما من إقليم اتوات، حسب ما في فتح الشكور. وهؤلاء العلماء المذكورون قبل ابن أبيه كلهم من بلاد شنقيط، ولاتيون، باستثناء منيرة، فهو من منطقة الترازة (القبة)، قدم إلى ولاته.

وقد رأى الدكتور جمال بن الحسن، والدكتور عبد الودود بن عبد الله، محققا فتح الشكور، أن أغلب الباحثين الشنقيطيين وقعوا في وهم كبير لدى حديثهم عن تحقيق نسب ابن أبيه هذا ونسبته، إذ جعلوه من علماء شنقيط، بل حدد بعضهم أسرته الشنقيطية من وجهة نظره، فمثلا ابن حامدن في كتابه (الحياة الثقافية، ص ٦٥) جعله قلاويا من ذرية الحاج الأمين بن المختار القلاوي التواتي، وتبعه في ذلك الدكتور يحيى بن البراء في (الألفية وتأثيرها، ص ٤٣)، كما جعله الخليل التحوي في (المنارة والرباط، ص ٦٢٠) هو وعبد الله بن الحاج حمى الله القلاوي (صاحب نظمي الأضرى والرسالة في الفقه المالكي) شخصا واحداً، وكذا فعل الحاج بن فحفو في شرحه لنظم الأجزومية: (دليل الطلاب، ص ٩، طبعة دار يوسف بن تاشفين)، ولم ينتبه لهذا الوهم محقق هذا الشرح: سيدنا عالي بن الشنكي (بالمدرسة العليا للتعليم ٨٤ / ٨٥، انواكشوط)، كما وقع فيه زائد الأذان في شرحه لنظم الأجزومية: (مصباح الساري، طبعة جدة، ١٤١٤ هـ).^(١)

هذا ما نبه إليه هذان الباحثان الكبيران، وهما في الحقيقة لم يقدموا في هذا التنبيه دليلاً حاسماً في مسألة كهذه شاعت وذاعت بين العلماء والدارسين بالقطر الشنقيطي، سوى أن الرجل من إقليم (اتوات) بالجزائر، وأنه مزمرى نسباً، تواتي منشأ وداراً. وهذا لا يكفي، فكان عليهما البحث عن دليل مُقنع، يصح الركون إليه، فربما يقال لهما: إنه من المعروف البيهقي أن الأسر والقبائل الشنقيطية البيضانية، المتفقة في الزي والعادات والتقاليد واللهجة الحسانية، الملحونة من العربية، منتشرة من بلاد شنقيط غرباً، إلى بلاد النيجر شرقاً، مروراً بشمال مالي، وجنوب الجزائر، فربما يكون الرجل من إحدى هذه الأسر أو القبائل.

وعلى كل حال فهذا التذبذب في نسب العلماء ونسبتهم في الأقاليم المتجاورة أمر لا مفر منه أحياناً؛ لأنّ تداخل الرحلات بين علماء هذه الأقاليم كان أمراً شائعاً، فصاحبنا انتقل من إقليم اتوات إلى بلاد شنقيط، خصوصاً مدينة ولاته في الحوض الشرقي،

١ - المحققان: أستاذان في جامعة انواكشوط سابقاً. وذلك في تحقيقهما لفتح الشكور، ص ١٤٤، الحاشية رقم ٥.

التي أخذ عنه بها بعض علمائها، حسبما ذكر صاحب فتح الشكور^(١)، كما أخذ هو عن بعض علماء اتوات، وأخذ عنه بعضهم قبل رحيله عنها إلى بلاد شنقيط. يقول محققا فتح الشكور : « أخذ بها (اتوات) عن محمد الصالح بن المقداد، وعن عمر بن محمد المصطفى بن سيدي أحمد الرقادي (ت ١١٥٧هـ) شيخ الزاوية الكنتية في اتوات، وعن سيدي أحمد التوجي الصوفي. أخذ عنه صاحب الترجمة (الحاج أبو بكر البرتلي الولائي الشنقيطي/ ت ١١٧٩هـ)، وأحمد بن صالح بن الوافي الأرواني، ومن التواتيين ابنه ضيف الله بن محمد بن أبيه، وعبد الرحمن بن عمر التتلاي التواتي»^(٢).

علماً بأن أغلب هؤلاء العلماء المذكورين هم أبناء أسر شنقيطية (رقادية، كنتية، أروائية، ولاتية)، سكن بعضهم إقليم اتوات، أو زاره. ومما يجعل من المحتمل أن يكون صاحبنا (ابن أبيه) شنقيطياً هو كثرة الشناقطة القاطنين بهذا الإقليم، أو الزائرين إياه، كما سبقت الإشارة، وأن هذا الاسم (أبيه) من الأسماء الشنقيطية، الشائعة بالقطر، وكذا العلاقة العلمية الوثيقة بين هذا الإقليم وبلاد شنقيط، وتداخل رحلات العلماء بينهم.

فعلاوة على ما سلف ذكره رأيتُ صاحب فتح الشكور ذكر علماء آخرين قدموا من (اتوات) إلى بلاد شنقيط، واستقروا بها، حتى ماتوا ودُفِنوا. من ذلك مثلاً قوله: « الطالب سيدي أحمد التواتي (ت ١١٣٨هـ) ... من بني التسابيت (إقليم في منطقة اتوات) الشهير بالتواتي ... توفي بتشيت»^(٣).

وقوله : «سيدي أبو القاسم التواتي (ت ٩٢٢ / ٩٣٥هـ) .. وكان إمام المسجد الجامع في تيمبكتو... ودُفِن في المقبرة الجديدة... وقيل إنَّ معه هناك خمسين رجلاً، تواتيين، أمثاله في الصلاح»^(٤).

وعدد أبيات هذا النظم (عَبِيد رَبِّهِ) تسعة وأربعون ومائة ١٤٩ بيتاً، من الرجز الكامل، وهو سهل الحفظ، قريب المعنى، وكان كما أراد ناظمه فعلاً بقوله :

١- ص ١٤٤.

٢- ص ١٤٤، الحاشية رقم ٥.

٣- ص ٨٣، ٨٤.

٤- ص ١٣٢، ١٢٣.

وبعد فالقصد بهذا المنظوم تسهيل منشور ابن آجرّوم
لمن أراد حفظه وعسّرا عليه أن يحفظ ما قد نثرا.

وقد اهتمّ به الدارسون بالمحظرة الشنقيطية اهتماما خاصّا، فهو (علاوة على متن
الآجرّومية النثريّ)، أوّل ما يبدأ به دارسو النحو بالمحظرة الشنقيطية. وهو مطبوع
متداول.

٧- منيرة الطالب سيدي بن حبيب الله الشمشي، الأتفيقي (ت ١١٦٢هـ). ذكر صاحب
فتح الشكور أنّه: «كان أستاذا فاضلا جليلا نحويا لغويا أديبا، له حظّ في القراءة
والفقه والأصول وغير ذلك، حسن الخلق جميل العشرة، شاعرا ناثرا»^(١).

وهو من المنطقة الغربية (الكبلة)، انتقل منها إلى المنطقة الشرقية (ولاتة). وله
شرح على ألفية ابن مالك، سمّاها: (حَبّ الدَّلَاصة في ترتيب التوضيح على الخلاصة)^(٢).
وهو عبارة عن تنسيق توضيح ابن هشام، مع مسائل ألفية ابن مالك، وترتيبه عليها،
وصفه صاحب فتح الشكور بقوله: «شرح حسن مفيد رتب فيه توضيح ابن هشام على
الخلاصة»^(٣).

وقد استنتج الدكتور يحيى بن البراء (فيما يبدو) من حديث صاحب فتح الشكور
عن الشيخ منيرة، وعن شرحه على ألفية ابن مالك، ومن رحلته إلى ولاتة استنتاجاً
غير صحيح فيما أرى، إذ قال: «لعلّ هذا الرجل أكبر نحويّ نشر علم النّحو في المنطقة
الشرقية... ومن خلال استقراء تراجم فتح الشكور أمكننا ردّ أكثر دارسي النّحو
والمتخصّصين فيه من أهل المنطقة الشرقية إلى هذا الرّجل»^(٤).

والدليل على عدم صحّة هذا الاستنتاج هو :

- أنّ هذا الاستقراء الذي ذكر أنّه مكّنه من ردّ أكثر دارسي النّحو والمتخصّصين فيه
من أهل المنطقة الشرقية إلى الشيخ منيرة لم يتجاوز ثلاثة أشخاص (حسب علمي)،

١- ص ٢٢٩.

٢- الحَبّ بفتح الحاء: تنضّد الأسنان، وطرائق ريقها. والحَبّ بكسرها: ما جرى على الأسنان من الماء. لسان العرب،
مادة (حب). والدَّلِيس والدَّلِص والدَّلَاص والدَّلَاص: اللّين، الأملس، وذَهَبْ له بريق. لسان العرب مادة (دلص).

٣- ص ٢٢٩.

٤- الألفية وتأثيرها، ص ٩١.

صرّح صاحب فتح الشكور بأسمائهم، وأنهم قرؤوا الألفية عليه، وإن احتمل أسلوبه غيرهم، وهم :

١- الحاج أبو بكر بن الطالب محمد بن الطالب عمر البرتلي (ت ١١٧٩هـ).

٢- أحمد بن سيدي عثمان بن مولود القلاوي (ت ١١٧٩هـ) .

٣- الإمام عمر بن محمد بن أبي بكر الولاقي (ت ١٢٠١هـ) .

ثم قال صاحب فتح الشكور معقّباً : «وغيرهم، وقد انتفعوا به..»^(١).

فهذه القلّة لا تصلح لأن تُسمّى استقراءً في الموضوع، خصوصاً إذا ما نظرنا بعين الإنصاف إلى كثرة علماء ولادة وتيمبكتو، وقوّة النشاط النحويّ بهاتين المدينتين تدريساً وتأليفاً منذ القرن التاسع الهجريّ قبل ظهور الشيخ منيرة بزمن طويل.

- زد على ذلك أنّ هؤلاء قد درسوا النحو في ولادة على شيوخ آخرين قبل قراءتهم الألفية على منيرة، إذ جاء في فتح الشكور في معرض حديثه عن حياة الحاج أبي بكر بن الفقيه الطالب محمد : «قرأ النحو أولاً على الفقيه النحوي سيدي عمر بن بابا الولاقي (ت ١١٤٥هـ)، ثم قرأ ألفية ابن مالك على الشيخ العالم الأديب سيدي منيرة..»^(٢).

وعند حديثه عن حياة أحمد بن سيدي عثمان بن مولود قال : «وقرأ ألفية ابن مالك على شيخ أستاذنا سيدي منيرة... ولامية الأفعال على سيدي محمد بن أبّه (ت ١١٦٠هـ)، برع في التصريف..»^(٣).

- ما أسلفت في المبحث الذي قبل هذا من أنّ النشاط النحوي في مدينتي ولادة وتينبكتو كان قائماً منذ وقت مبكر قبل أن يولد الشيخ منيرة، حيث كان مشهوداً منذ القرن التاسع الهجري، وكان كبيراً في القرن العاشر، واتّسم بالنضج والاكتمال والاتّساع والتّمّدّد في القرن الحادي عشر الهجري في المنطقتين : الشرقية والشمالية من البلاد.

١- ص ١٢٩.

٢- ص ١٢٩.

٣- ص ١٤٤.

- ممّا يُبطل هذا الاستنتاج أيضاً قول أحمد بابا التيمبكتي (ت ١٠٣٦هـ) عند حديثه عن سرد المتون التي درس على شيخه محمد بن محمود الونكري (ت ١٠٠٢هـ) : «وختمت عليه... تسهيل ابن مالك قراءة تحقيق مدّة ثلاث سنوات»^(١).

علماً بأنّ وفاة التيمبكتي سبقت وفاة منيرة بستّ وعشرين ومائة سنة (١٢٦)، مع التنبيه إلى ما سلف ذكره في المبحث الذي قبل هذا من أنّ لأحمد بابا التيمبكتي (ت ١٠٣٧هـ) نفسه على خلاصة ابن مالك ثلاثة شروح، أو تعاليق لم تكمل.

- وعليه فلا يُستنتج من مجمل كلام صاحب فتح الشكور سوى أنّ الرجل كان يُدرّس الخلاصة بولاته، وأنّ أشخاصاً من أهلها كانوا يدرسونها عليه فقط، ممّا يُعطينا عدم صحّة ذلك الاستنتاج، وبعده عن الصواب. وقد حصل الأستاذ عبد الفتاح بن آبه الشنقيطيّ على (الماجستير) من كلّية الدعوة الإسلامية بليبيا سنة ١٩٩٩م، بتحقيقه كتاب : (حَبَب الدَّلَاصَةِ على الخلاصة) هذا، من باب الكلام إلى باب الفاعل.

٨- محمد اليدالي بن المختار بن محمد بن سعيد اليدالي (ت ١١٦٦هـ)، عالم، شاعر، متصوّف. له من التآليف النحوية^(٢) :

أ - رسالة في النحو على غرار نحو الأجرّومية .

ب - الذّهب الإبريز على كتاب الله العزيز (تفسير فيه إعراب وتصريف)^(٣). سيأتي الحديث عنه في الفصل الثاني، من الباب الثالث، بعون الله تعالى.

ج - تعليق في الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس وعلم الجنس^(٤)، في ورقات قليلة، تبلغ ستّ عشرة ١٦ صفحة، مخطوط، تتبّع المادّة فيه واستقصاها، مستوعبا، مناقشا، محلّلاً. يقول في مقدّمته : «هذا تعليق على الفرق بين الجمع واسم الجمع، واسم الجنس وعلم الجنس، فإنّه عُسّر على كثير من أهل العصر.

١- فتح الشكور، ص ٦٠ - ٦٢.

٢- تُرجم له، وذكّرت هذه التآليف في المائة والرباط، ص ٦٠٥، وتاريخ النحو، ص ٥٤١.

٣- توجد منه أجزاء بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام : ١٠٤٦، ١٧١٧، ٢١٤٩، ٣٠٤٢، ١٤٦، ١٥٠، ١٥١.

٤- مودّع بمخطوطات المعهد الاتّحادي، بانواكشوط، تحت رقم ١١٦.

قال القرافي : الفرق بينها عسير، من نفائس المباحث، ومشكلات المطالب...
الجمع ما وُضع للآحاد المجتمعة، دالاً عليها دلالة تكرير الواحد بالعطف،
كرجال، فإنّك تقول : رجل ورجل، فيوافق رجالاً في دلالة على المعنى، وهذا
مما له واحد في لفظه أو لا واحد له، ولكن جاء على وزن خاص بالجمع، كأبائيل
وعباديد، كأنّه جمع عبيد أو عبدود، ولم يكن خاصاً بالجمع، ولكنّه غالب فيه،
كأعراب وشعوب.. إلخ»^(١).

وعرّف اسم الجمع قائلاً : «وأما اسم الجمع فهو الموضوع لمجموع الآحاد، دالاً
عليها دلالة المفرد على جملة أجزاء مُسمّاه، وهو نوعان : الأوّل : ما خالف أوزان الجمع
المذكورة، نحو قوم ورهط وذود وإبل، ممّا لا واحد له من لفظه، ورُكّب وصَحْب وطير
وأشياء وقصباء ورجلة، ممّا له واحد من لفظه.. والقسم الثاني : ما وافق المجموع، ولكنّه
خالفها في التذكير، والنسبة إليها؛ لأنّ الجمع لا يذكّر ولا ينسب إليه، بل إلى مفرده، إلّا
إذا أهمل مفرده كعباديد، وأما إن ذكر الجمع، أو نُسب إليه دون قُبْح فهو اسم جمع..
إلخ»^(٢).

وعرّف اسم الجنس بقوله : «فهو الموضوع للحقيقة الذهنية بلا اعتبار قيد ولا فردية،
فخرج بالأوّل علّم الجنس، كأسامة، فإنّه يعتبر فيه قيد الحضور في الذهن، وبالثاني
الجمع واسم الجمع لدالتهما على الأفراد، ودخل علّم الجنس لأنّه تُعتبر أفرادها. واسم
الجنس نوعان : إفراديّ، وهو الذي يطلق على القليل والكثير، كماء وعسل.. وجمعيّ، لا
يطلق إلّا على أكثر من اثنين. ولذا لا ينتفي القليل بنفيه كتمر، فلا تنفي التمرة والتمرّتان
بنفي التمر؛ لأنّ التاء في التمرة للتنصيص على الوحدة. والجمعيّ أنواع... إلخ»^(٣).

وعرّف علّم الجنس قائلاً : «وأما علّم الجنس : فهو الموضوع للحقيقة الجنسية
الذهنية باعتبار حضورها في الذهن، الذي هو نوع تشخّص لها، مع قطع النظر عن
أفرادها، كأسامة فيصدق على كلّ أسد... إلخ»^(٤).

١ - الصفحة الأولى من المخطوطة.

٢ - الصفحة ٢، ٣ من المخطوطة.

٣ - الصفحة ٤، ٥ من المخطوطة.

٤ - الصفحة ٦، من المخطوطة.

ثم أخذ في تعميق مباحث هذه الموضوعات كلها، بمناقشتها مناقشة مستفيضة، وتحليلها تحليلًا موسَّعًا، مُكثَّرًا من الأمثلة، معللاً لما يصل إليه من الأحكام، مستندا إلى الأدلة والبراهين، مستعرضا أقوال العلماء وآراءهم، في أسلوب رفيع مُحكَّم، ممَّا يفيد علوَّ كعب هذا العالم في ذا الفنِّ.

٩- عبد الله بن الفقيه الطالب أحمد بن الحاج حمى الله القلاوي، صاحب نظمي الأخصري والرسالة المشهورين في الفقه المالكي، وغيرهما من المؤلفات المفيدة (ت ١٢٠٩ هـ)، من أبرز أعلام الثقافة الشنقيطية، متفنن في علوم العربية والفقه وأصول الدين، شاعر مجيد. له من التأليف النحوية^(١) :

أ- شرح على الألفية .

ب - شرح على الكافية^(٢) .

ج - نظم مغني اللبيب عن كتب الأعراب^(٣). ورد في فتح الشكور : «نظم جمع فيه كثيرا من أحكام مغني اللبيب»^(٤).

د - قصيدة رملية في النحو.

هـ - مقدمة في النحو للمبتدئين، سماها (الاستعانة).

و - منظومة في إعراب منصوبات القرآن.

ز - نظم في النحو مع شرحه^(٥).

ح - نظم في الحذف، يبلغ عدد أبياته مائة ١٠٠ بيت.

ط - تعليق على الشواهد النحوية^(٦).

١- تُرجم له، ودُكرت هذه التأليف في فتح الشكور، ص ٣٠٢، ٣٠٥، والوسيط، ص ٩١، والمناصرة والرباط، ص ٥٨١، وتاريخ النحو، ص ٤٦٧.

٢- دُكرت في حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٥، والمناصرة والرباط، ص ٥٨١، وتاريخ النحو العربي، ص ٥٣٩.

٣- دُكر في فتح الشكور، ص ٣٠٥، والمناصرة والرباط، ص ٥٨٢، وتاريخ النحو، ص ٥٤١.

٤- ص ٣٠٤.

٥- يوجد على (ميكروfilm) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٧٩٦.

٦- حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٥، والمناصرة والرباط، ص ٥٨١، وتاريخ النحو، ص ٥٣٩.

ي - الرّبّاني : (أرجوزة في النّحو)، تربو على مائة ١٠٠ بيت، حاذى فيها ترتيب ألفية ابن مالك، ومزجها بأشطارها، وشحّنها بأبياتها وألفاظها^(١). فبدأ بالحديث عن الكلام وعلامات الأسماء والأفعال، والمعرّب والمبنيّ، وعلامات الإعراب، والنكرة والمعرفة، والموصول، ثمّ تحدّث عن المبتدأ ونواسخه، والفاعل ونائبه، ثمّ المفاعيل، والاستثناء والحال والتمييز، ثمّ إعمال المصادر وأسماء الفاعلين والمفعولين، ثمّ التوابع والنداء والعدد، مع عقده فصلاً للقواعد الكلّية الشاملة للمسائل والجزئيات. وله عليه شرح موجز^(٢)، ممزوج بعبارات النظم. يقول في مستهلّه :

«(دونك) أي خذ (في) علم (الإعراب) كتاباً صغيراً مناسباً للمبتدئين، يكون لهم (ربّانياً)، به إلى المطوّلات يُهتدى كترية الصبيّ بصغار الآنية حتّى تكون فيه قوّة... ومَن طلب الكلّ فاتته البعض، ومَن تصدّر قبل أوانه فقد تعرّض لهوانه، والاثم على مناوئه لتكليفه من العمل ما لا يطيق، وهو منافٍ لما قال تعالى : ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران : ٧٩]. أي بصغار العلم قبل كبار، أي بجزئيات العلم قبل كليّاته، أو ما وضح من مسائله قبل ما دقّ منها.. وأقتصر على هذا القدر للرفق بالمتعلّم ذي البداية، أي للمبتدئين؛ لأنّ كثرة الأحكام تُشوشُ الذّهن وتورث الملل والكسل»^(٣).

ثمّ تحدّث عن المصادر التي استقى منها نظمه، قائلاً : «(ضمّنته) أي جمعت فيه ما احتوى عليه التّأليف المسمّى (المفيد) لوالدنا أحمد بن الحاج .. (و) ضمّنته (النّقاية) للشيخ الإمام السيوطي»^(٤).

وللّزّين بن الإمام بن سيدي محمّد القلاوي (وُلِدَ ١٣٤٠هـ - ١٩٢٠م) شرح عليه، سمّاه (نيل الأمانى شرح الرّبّاني^(٥)). يقول في مستهلّه :

١ - توجد منه نسختان في مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ١٠٤، ١١٥، وثالثة على (مكروفلم) المعهد نفسه، تحت رقم ٤٧٦. حقّقه محمد الأمين بن عبيدي في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، مودّع بقسم الرسائل تحت رقم ٤٨.

٢ - مرجع سبق ذكره، مخطوط، مودّع تحت رقم ١١٠. بالمعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة.

٣ - ص ١، ٢، من مخطوط شرح المؤلّف على نظمه الرّبّاني.

٤ - المرجع نفسه، ص ١.

٥ - قام أيّذه بن محمّد الإمام بتحقيقه من (باب الكلام إلى باب الفاعل) في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية سنة ٢٠٠٠ / ٢٠٠١م. وتحقيقه مودّع تحت رقم ٤٩، بقسم الرسائل بالمعهد.

يقول عبد الله بعد حمدِه مصلياً على النبي عبده
دوَنَكَ في الإعراب ربّانيا أَرْجُوهُ أَنْ يُوسِّطَ الذِّكْيَا
ضَمَّتْهُ المفيد والتُّقَايَه بِالْجِدِّ مِنْهَا لِذِي الْبَدَايَه^(١)
ويقول في أبواب الكلام والاسم والفعل :

كلامنا الحسن فيه الوقفُ إمَّا اسمٌ أو فعلٌ وإمَّا حرفٌ
فمميّز الاسم بحسٍّ ولعلّ (والجرّ والتوين والتّدا وألّ)^(٢)
أَمَارَةُ الْمُضْي تَاءٌ سَكَنْتْ لَامِرَةً وَتَا ضَمِيرٌ حُرِّكَتْ
وَمِزْ مَضَارِعاً بِسِينٍ وَأَحَدٌ هِجَاءٌ نَيْتٌ وَتَشَارَكَ بِقَدْ
مِثَالُهُ يَخْشَى وَيَدْعُو يرمي (والألِفَ انو فيه غير الجزم)^(٣)
وَحَرْفُهُ يَضُمُّ وَهُوَ خَامِسٌ وَافْتَحَهُ وَهُوَ رَابِعٌ أَوْ سَادِسٌ
وَأَشْتَرَكَ الْأَمْرُ مَعَ الْمُضَارِعِ فِي نَوْنِي التَّوَكُّيدِ عِنْدَ السَّامِعِ^(٤).

والربّاني : نظم رائع، جامع كثيرا من أمّهات النحو ومسائله، مع رقة في الأسلوب، ودقة في التعبير، وجودة في السبك، ولا غرو فصاحبه رحمه الله، عالم كبير، فقيه، لغوي، نظامة، ماهرٌ معروف. مع ميل مؤلفه الواضح إلى الإيجاز الشديد في بعض الأحيان. وهو حقيقة تأليف ممتاز، ضمّنه مؤلفه كثيرا من مسائل النحو وقضاياها، مع وجازته واختصاره، ممّا يفيد علو كعبه في هذا الفن.

١٠- الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاقي، صاحب فتح الشكور (ت ١٢١٩هـ)، عالم كبير، مؤرخ، ضابط، ثبت. له من التأليف النحوية^(٥) :
أ- شرح الأجرومية الصغير .

١- ص ١، فمّا بعدها من المخطوطة، بشرح المؤلف نفسه.

٢- الشطر الثاني من الألفية، البيت رقم ٣، من باب الكلام.

٣- الشطر الثاني من الألفية، البيت رقم ٣٦، من باب المعرب والمبني.

٤- ص ٢، فمّا بعدها من المخطوطة، بشرح المؤلف نفسه.

٥- ترجمته وتأليفه في المنارة والرباط، ص ٥٧٩، ومقدمة تحقيق فتح الشكور، للأستاذين : أحمد جمال بن الحسن، وعبد الودود بن عبد الله. ص ٢٠.

ب - شرح الأجرومية الوسط .

ج - شرح الأجرومية الكبير .

د - مختصر المواهب السنية والمنح الربانية في شرح الأجرومية .

هـ - فتح الرب الرؤوف في شرح (قصيدة معاني الحروف) لعبد الله بن الطالب أبي بكر بن علي الولاقي (ت ١١٢٢هـ) ^(١) .

وهو شرح لذي القصيدة التي نظمها صاحبها في معاني حروف الجرّ، وختمها بالموضوعات التي يطرد فيها حذف حرف الجرّ، وقد عدّها ثلاثة عشر موضعاً، حجّمه حوالي ستّ ورقات من متوسّط الورق، سطور الصفحة منه تزيد على الثلاثين سطراً. وقد أطلعت عليه فوجدته شرحاً قيماً، جلّه مأخوذ من مغني اللبيب لابن هشام، إمّا حرفياً وإمّا تلخيصاً، غير أنّه كان أميناً في توثيق نقوله عنه، كما هو الحال مع بقية مصادره الثانوية، كالأشموني وابن عقيل مثلاً. وأهمّ سمات منهجه فيه أنّه :

- يناقش آراء التّحويين مُخصّصاً، محلّلاً. من ذلك مثلاً قوله في بعض معاني الباء: «وهذه الباء التي مثلها الأشموني في التعليل في هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿فَبْظَلَمَ﴾ [١٦٠، النساء]، للشّبه بآء السببية، ويؤيّد كونها للسببية قوله في ذي الجلالين ^(٢): فَبْظَلَمَ، أي بسبب ظلم، ولعلّ ما في الأشموني سبق قلم من الناقلين؛ لأنّه أتى به في أمثلة المعاني التي ذكرها ابن مالك، مع أنّ ابن مالك لم يذكره في نصّه» ^(٣).

- قد يكفي بنقل اختلاف العلماء، وذكر آرائهم، من مصادره كما هي دون الإدلاء برأي، كما ورد في حديثه مثلاً عن أحد معاني (عن)، حيث قال: «المعنى الأوّل المجاوزة، وهي الأصل فيها، ولم يذكر البصريون سواه، نحو: سافرت عن البلد، ورميت عن القوس، وهي أي المجاوزة كما قال الرضي ^(٤): بُعْدُ الشّيءِ عن المجرور بها بواسطة مصدر الفعل المُعدّي بها.. أي بُعْدُ السّهم عن القوس بسبب الرمي في نحو قولك: رميت عن القوس. قال في التصريح: والمثال الأوّل (يعني سافرت عن البلد) متّفق

١ - مخطوط بالمعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط / بوحديدة. تحت رقم ١١٣.

٢ - تفسير الجلالين. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١هـ - ١٩٨١م. ج ١، ص ٩٢.

٣ - ص ٣ من المخطوط. مرجع سابق.

٤ - رضي الدين محمد بن الحسن الأسترباذي (ت ٦٨٦هـ).

عليه، والثاني (وهو رميت عن القوس) مختلف فيه. قال ابن مالك هي فيه للاستعانة بمعنى الباء؛ لأنهم يقولون: رميت بالقوس، وعن القوس، حكاها الفراء^(١) وفيه ردّ على الحريري^(٢) في إنكاره أن يقال ذلك إلا إذا كانت القوس هي المرمية^(٣).

- قد ينقل حرفياً من مصادره، مع التصريح بذلك في الغالب، كقوله مثلاً عن أحد معاني الباء أيضاً: «الإلصاق، قيل: وهو معنى لا يفارقها، ولهذا اقتصر عليه سيوييه. قال في المغني: والإلصاق حقيقي، نحو أمسكت بزيد، أي قبضت على شيء من جسمه... ولو قلت: أمسكته احتمال ذلك، وأن تكون منعتة من التصرف، ومجازي، نحو: مررت بزيد، أي ألصقت مروري بمكان يقرب من زيد»^(٤).

فهذا النصّ كلّ منقول حرفياً من المغني^(٥). وزيادة في التوثيق غالباً ما يذكر عبارة (انتهى) في خاتمة نقوله.

- أحياناً ينقل النصّ حرفياً مع ترك التصريح ببعض المصادر المنقول منها، كقوله مثلاً: «التبعض أثبتّه الأصمعي والفارسي وابن مالك، قيل: والكوفيون، وجعلوا منه قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [٦، الإنسان]. أي منها، ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ...﴾ [٦، المائدة]. قال في التصريح^(٦). ومنه^(٧):
شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ مَتَى لَجَجِ خُضْرٍ لَهْنٌ نَيْيَجٌ^(٨).
فهو نقل حرفي من المغني^(٩).

١- أبو زكريّا الفراء (ت ٢٠٧هـ).

٢- أبو محمّد القاسم بن علي، الحريري البصري، صاحب المقامات (ت ٥١٦).

٣- ص ٨، من المصدر نفسه. وللوقوف على مصادره التي لخص منها هذا النصّ يُراجع مغني اللبيب، ص ١٥٤.

٤- ص ٣، من المصدر نفسه.

٥- ص ١١٠.

٦- حاشية التصريح على التوضيح، ج ٢، ص ٢.

٧- من الطويل لأبي ذؤيب الهذلي، يصف سحياً. يراجع في مغني اللبيب، ص ١١٤، وشرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهرى، بحاشية الشيخ ياسين بن زين الدين العليمي الحمصي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ج ٢، ص ٢.

٨- ص ٣، من المخطوط.

٩- ص ١١٤.

- قد يلخص معنى الحرف منها دون التصريح بذلك، كقوله مثلاً عن أحد معاني الباء أيضاً : «التعويض : ويسمى باء المقابلة، وهي الداخلة على الأعواض والأثمان كبعثك هذا الثوب بهذا.. بدخول الباء على الثمن، أو معنى، نحو : كافأت إحسانه بضعف... ومنه : ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.. ٣٢﴾ النحل»^(١).

فهذا تلخيص من المغني^(٢)، والأمثلة منقولة منه.

- شواهد: استدلاله بالقرآن العظيم فائض جداً ومتسع، فصفحاته مليئة بالأساليب القرآنية، ثم القراءات، والرواية والاستشهاد عن علماء النحو واللغة بواسطة مصادره التي ينقل منها، واستدلاله بالشعر كثير أيضاً، غير أنه أتى ضمن الرواية عن العلماء. وما سبق من النقول يدلّ على بعض ذلك.

- من استدلاله بالقراءة قوله في أحد معاني (على) : «موافقة الباء، كقوله تعالى : ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ [١٠٥، الأعراف]. أي بأن لا أقول... وبذلك قرأ أبي رضي الله عنه، وهي قراءة^(٣) السبعة، إلا نافعاً»^(٤).

يتبادر إلى الذهن من كلام المؤلف أن أبا مثل السبعة قرأ بمدّ (على) حرف جرّ، وهذا وهم كبير، فقراءة العشرة سوى نافع بمدّ (على)، مع تخفيف الياء، على أنها حرف جرّ، وهي قراءة صحيحة، متواترة، وقراءة أبي ب (الباء) بدل (على)، قراءة شاذّة^(٥). والنص واضح في مغني اللبيب^(٦)، غير أن المؤلف وقع في هذا الوهم أثناء التلخيص، أو كان واعياً للمعنى بيد أن أسلوب التلخيص جاء ركيكاً.

وفيما يلي أورد مزيداً من أصحاب هذه المرحلة، دون التعرّض لمناقشة تأليفهم، اكتفاءً بما سبق :

١- المصد والصفحة نفسها.

٢- ص ١١٣.

٣- قراءة نافع بفتح الياء المشددة بدخول حرف الجرّ على ياء المتكلم، ووافقه الحسن البصري، وباقوا القراء قرؤوا (على) بمدّ الألف، حرف جرّ، داخلاً على (أن)، وعلى هذا تكون بمعنى الباء، أي حقيق بقول الحق. ينظر الإنحاف، ص ٢٨٦.

٤ - ص ٥، من المخطوط. وينظر مغني اللبيب، فالنص منقول عنه، ص ١٥١.

٥- البحر المحيط، ج ٥، ص ١٢٨.

٦- ص ١٥١ منه.

- ١١- الطالب بركة اليونسي (ق ١١هـ)، له : شرح ألفية ابن مالك^(١).
- ١٢- الطالب محمد بن المختار بن الأعمش (ت ١١٠٧هـ)، عالم مدينة شنقيط الكبير، ومفتيها الشهير. له من التأليف^(٢) :
- أ- المنن العديدة في إيضاح مسائل الفريدة للسيوطي (ت ٩١١هـ)^(٣).
- ب - نظم مغني اللبيب لابن هشام.
- ١٣- أبو بكر بن الطفيل بن أحمد بن محمد مسلم المسلمي التشيتي (ت ١١١٦هـ)، نحوي، فقيه، متفّن، جيّد الشعر، حسن النظم. له^(٤) :
- نظم قَطْر النَّدى لابن هشام. جاء في فتح الشكور : «نظم قَطْر النَّدى... نظماً بديعاً حسناً في نحو أربعمائة بيت»^(٥). وشرّحه الشريف محمد بن الإمام التشيتي (ت ١٢٠٨هـ) شرحاً متوسطاً^(٦)، وصفه صاحب فتح الشكور^(٧) بالمفيد.
- ١٤- سيدي محمد بن موسى بن أيّجلّ الزيدي نسباً، التشيتي وطناً (ت ١١١٧هـ) عالم، نحوي، لغوي، شاعر، ناثر. له^(٨) :
- أ- معين الطلاب على كشف التّقاب عن قواعد الإعراب، مع شرحه. جاء في فتح الشكور^(٩) : «وله في التّحو أوراقه المشهورة، التي انتفع الطلبة بها، المسماة (كشف التّقاب عن قواعد الإعراب، وشرحها)^(١٠).

١- المصدر : مقابلة شفوية مع الأستاذ محمد الأغظف بن الدّاه بن أيّذه الولاتي، في مكتبته بوزارة التعليم الأساسي، انواكشوط ٢٠١٢م.

٢- حياة موريتانيا، ص ٦٥، والمنازة والرباط، ٥٢٧، وتاريخ النحو، ص ٤٤٩.

٣- توجد له نسخة على (ميكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٢١٩.

٤- توجد منه نسخة على (ميكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٧٢.

٥- ص ١٣٩.

٦- الآن بحقّه الدكتور حماد الله بن مايايى بانواكشوط.

٧- ص ٢٤٩.

٨- تُرجم له، ودُكر هذان التأليفان في فتح الشكور، ١٩٤، والمنازة والرباط، ص ٥٥٨.

٩- ص ١٩٤.

١٠- توجد منه نسخة على (ميكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١١٢٦.

ب - منظومة الأدوات في الجمل التَّحوية لابن هشام، مع شرحها^(١).

١٥ - عبد الله بن الطالب أبي بكر بن علي بن الشيخ المحجوبي الولاقي (ت ١١٢٢هـ)، نحوي، فقيه، قاضٍ، بصير بالأحكام والوثائق. له^(٢) :

- قصيدة لامية نحو (ثلاثين بيتاً) في معاني حروف الجرّ. وقد استوفى فيها ما أتى به الأشموني أبو الحسن علي المصري (ت ٩٠٠هـ) من معانيها في شرحه على ألفية ابن مالك. وشرحها صاحب فتح الشكور بشرح سمّاه (فتح الربّ الرؤوف في شرح قصيدة معاني الحروف)، وصفه بقوله : «وشرحتها شرحاً حسناً مفيداً»^(٣).

وقد مرّ بنا ليس ببعيد عرض مفصّل لهذا الشرح.

١٦ - أحمد بن أحمد الديلمي (ت صدر القرن ١٢هـ). له^(٤) : مجموعة أنظام في النَّحو.

١٧ - محمد بن علي بن الطالب أبي بكر بن علي بن الشيخ المحجوبي الولاقي (ت ١١٣٧هـ)، له^(٥) : شرح الفريدة في النَّحو للسيوطي.

١٨ - الطّالب محمد بن الطّالب اغمر الخطّاط الولاقي (ت ١١٦٥هـ)، له^(٦) : قصيدة في نقل الهمز ووصله.

١٩ - الإمام عمر مُؤمّن بن محمد بن أبي بكر بن اندعبد الله المحجوبي الولاقي (ت ١٢٠١هـ)، له^(٧) :

أ - المنحة الرّبّانية. وهي أرجوزة في النَّحو تبلغ أبياتها (٢٦٧ بيتاً).

ب - شرح على (المنحة الرّبّانية)، سمّاه (المفاتيح الرحمانية على المنحة الرّبّانية). ذكر صاحب فتح الشكور^(٨) أنّه شرح شافٍ، مفيد، نقل فيه نقولاً عديدة من بعض أمّهات كتب النَّحو.

١ - توجد نسخة مخطوطة من هذا الشرح عند الدكتور أبي عليبة، الأستاذ بجامعة انواكشوط.

٢ - تُرجم له، ودُكر هذا النظم في فتح الشكور، ص ٢٨٦، ٢٨٨، والمنارة والرباط، ص ٦١٩.

٣ - فتح الشكور، ص ٢٨٦.

٤ - تُرجم له، ودُكرت هذه المجموعة في المنارة والرباط، ص ٥٣٩.

٥ - تُرجم له، ودُكر هذا الشرح في حياة موريتانيا، ص ٦٥، والمنارة والرباط، ص ٥٥٨، وتاريخ النحو، ص ٥٤٠. وتراجع حياته في فتح الشكور، ص ٢١٨.

٦ - تُرجم له، ودُكر هذا التأليف في فتح الشكور، ص ٢٢٩، ٢٣٣، والمنارة والرباط، ص ٥٧٨.

٧ - فتح الشكور، ص ٣٣٧، ٣٢٩، وفهرس مخطوطات التّعمة وولاته، بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، ص ٢٨٤.

٨ - ص ٣٣٧.

٢٠- بَوْبَه بن أحمد مولود الزعيمى (ت ١٢٠٨هـ)، له ^(١) : شرح سَمَاه : هِبَة اللَّطِيف شرح : البسط والتعريف بما جُهِل من التصريف «منظومة عبد الرحمن المَكُودِي في التصريف» ^(٢).

٢١- الشَّريف مُحَمَّد بن الإمام أحمد التَّشْتِي (ت ١٢٠٨هـ)، له من التَّأليف ^(٣) :

أ- شرح على (البسط والتعريف بما جُهِل من التَّصريف (منظومة عبد الرحمن المَكُودِي في التصريف) ^(٤).

ب- شرح متوسط على نظم (قطر النَّدى) لأبي بكر بن الطفيل المسلمي (ت ١١١٦هـ)، وصفه صاحب فتح الشكُور (٥) بالمفيد.

ج- قصيدة في المشهور بالضمّ والفتح من مضارع (فَعَلَ).

٢٢- الطالب أحمد بن مُحَمَّد رَاة التنواجيوي (ت ١٢١٠هـ)، متفَنّ في علوم العربية والقراءات. له ^(٦) : شرح أَلْفِيَة ابن مالك.

٢٣- أحمد الجَيِّد بن الطَّالِب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاقي (ت ١٢١٨هـ)، له من التَّأليف ^(٧) :

أ- بزوغ الهلال على لامية الأفعال لابن مالك ^(٨). لسيدى عثمان بن عمر بن عثمان اليونسي الولاقي (ت ١٢٣٧هـ) ^(٩) شرح عليه، سَمَاه : (فَتَح الرَّبِّ الجلال على بزوغ الهلال بتنزيل لامية الفعال) ^(١٠).

١- تُرْجَم له، وُذِّكِر هذا الشرح في حياة موريتانيا، ص ٦٦، والمنارة والرباط، ص ٥٥١.

٢- توجد منه نُسخ بمخطوطات مركز أحمد بابا بتييمبكتو تحت أرقام: ٩٧٣، ١٧٤٩، ٣٥٨٨.

٣- ورد ذكر هذه التَّأليف في فتح الشكُور، ص ٢٤٩، والمنارة والرباط، ص ٥٥٩، وتاريخ النحو، ص ٥٤١، ٥٤٢.

٤- وقع بعض المترجمين له من الباحثين الشنقيطيين في شيء من الوهم، إذ نسبوا (منظومة البسط والتعريف في التصريف) (التي قام بشرحها) للمجرادي، بينما هي للمكودي، أمّا المجرادي فله (لامية في الجُمْل، تُسمّى لامية المجرادي). هذا التنبية سبقني إليه مُحَقِّقًا فتح الشكُور، ص ٢٤٩، حاشية ٥. والمصادر التي ورد فيها هذا الوهم، منها مثلاً : فتح الشكُور، ص ٢٤٩، والمنارة والرباط، ص ٥٥٩، وحياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٨.

٥- ص ٢٤٩.

٦- تُرْجَم له، وُذِّكِر هذا التَّأليف في فتح الشكُور، ص ١١٧، ١٢٠، وحياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٤، والمنارة والرباط، ص ٥٧٧.

٧- تُرْجَم له، وُذِّكِر هذا التَّأليف في حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٤، والمنارة والرباط، ص ٥٤٠.

٨- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتييمبكتو تحت رقم ٢٥٠.

٩- يراجع فتح الشكُور، ص ٣٤٠، والمنارة والرباط، ص ٥٥٧.

١٠- توجد منه نسخة بمخطوطات مركز أحمد بابا بتييمبكتو تحت رقم ١١٤٦.

ب - فتح الأقفال على لامية الأفعال لابن مالك.

ج - شرح الأجرّومية^(١).

د - تقرير المعنى والمثال لقراء لامية الأفعال^(٢).

٢٤ - الطالب محمد بن الشيخ العابد (ت ١٢١٩ هـ). له^(٣) :

أ - شرح الأجرّومية.

ب - قصيدة في معاني حروف الجرّ.

٢٥ - الطالب عبد الله بن الحاج محمد الرقيق العلّوشي (ت ١٢٢٠ هـ). له^(٤) : شرح الفريضة في النحو.

فكما هو واضح من هذه العنوانات فإنّ الإنتاج النحويّ في هذه المرحلة عند القوم اقتصر في غالبه على الشروح والتعليقات، والتلخيصات، والأنظمة لبعض المتون الوافدة. ويصدق على هذا الطور ما عبّر عنه الدكتور محمد المختار بن أباه إلى حدّ كبير أثناء حديثه عن بعض جهود علماء النّحو بالمحاضرة الشنقيطية بقوله : «لقد قام علماء المحاضر بصناعة تحويلية، انتزعوا أصولها الأولى من كتب ابن مالك، ثم استمدّوا فروعها من أدوات ابن هشام، وأعادوا إليها تنبيهات الأشموني، وتخريجات ابن الدماميني، فصنعوا من هذا المزيج مجموعة هائلة من القطع المتنوّعة، قدّموها بضاعة منظومة في دروسهم الشفوية، حتّى استطاعوا بذلك خلق ثقافة نحوية»^(٥).

المبحث الثالث : مرحلة الازدهار واتّساع الحواشي والاجتهاد

(في القرنين : الثالث عشر والرابع عشر للهجرة)

في هذه المرحلة ظهر عند النّحويين إطلاق العنان للاجتهاد وحرّية التفكير، فكان من مظاهر ذلك أن ازدهرت البحوث النّحوية باتّساع الحواشي، وتمدّدّها، وظهور

١ - يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتميمكتو تحت رقم ٥٦٢٩.

٢ - يوجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١١٩٠.

٣ - تُرجم له، وذُكر هذان التّأليفان في المنارة والرّباط، ص ٦١٩.

٤ - تُرجم له، وذُكر هذا الشرح في المنارة والرّباط، ص ٥٧٨، وتاريخ النحو، ص ٥٤٠.

٥ - تاريخ النحو العربي، ص ٤٣٨.

الشروح الموسوعية، خاصة على مؤلفات ابن مالك النحوية باهتمام بادٍ، وعناية أكبر، وإن نال غيرها من المتون حظ لا بأس به من الشروح والخواشي، لكن بعناية أقل. وسيكون الحديث في هذا الطور عن الموضوعات الآتية :

أ- المختار بن سعيد، المعروف بابن بونا الجكني (ت ١٢٢٠ أو ١٢٣٠ هـ)، وجهوده النحوية.

ب - المؤلفون والمدرّسون الناهيون من طلبة ابن بونا، وتلاميذهم.

ج - توجّه نحويّ مُوازٍ للخطّ البونيّ.

أوّلا- (٢٦) المختار بن سعيد، المعروف بابن بونا الجكني (ت ١٢٢٠ أو ١٢٣٠ هـ)، وجهوده النحوية : يمكن التأريخ لتطوّر الدراسات النحوية في البلاد حقيقة بظهور جهود العلامة المختار بن بونا، أبرز أصحاب هذه الطبقة، والعلماء الناهيين من طلبته وتلاميذهم. والمختار عالم جليل، نحويّ متبحّر، لغوي، أصولي، مدرّس لعلوم العربية، ثاقب الذهن، جيّد النظر. يقول أحمد بن الأمين الشنقيطي مشيدا بمكانته العلمية : «وكان من أجَلِّ قبائل الزوايا في العلم قبيلة إدَيْقُب، خصوصا في علم العربية، فاستجلبوه إليهم، ليأخذوا عنه علم النحو والكلام، وكان لا يجارى فيهما... تاج العلماء، الذي طوّق بحليّ علمه كلّ عاطل، ووردت هيئُ الرجال زلاله فصدر عنه كلّهم، وهو ناهل، ولا يوجد عالم بعده إلّا وله عليه الفضل الجزيل بما استفاد من مصنّفاته، وتلقّى من مُسنّداته»^(١).

ويقول الدكتور محمد المختار بن أباه : «جمع ابن بونا في محظّراته المتميّزة كلّ ما وجد من شروح كتب ابن مالك... والتفّ حوله فريق من نبهاء الطلبة الذين كانوا له خير عون على تحقيق مشروعه النحوي. لقد درس على ابن بونا جمع غفير، كان المتصدّرون للتدريس منهم يُعدّون بالعشرات...»^(٢).

وذلك بأعماله النحوية القيّمة، خاصة عمله الممتاز، الذي خلّل به ألفية ابن مالك، وسماه (الاهمرار)، الذي جمع فيه ما لم يرد في خلاصة ابن مالك من كتابيّه : الكافية

١- الوسيط، ص ٢٧٧، ٢٧٩. وتراجع ترجمته، وهذه التآليف أيضا في فتح الشكور، ص ٢٥٤، فما بعدها، وحياة موريتانيا، ص ٦٧، فما بعدها، والمنارة والرباط، ص ٦٠٨، فما بعدها، وتاريخ النحو، ص ٤٥٢.

٢- تاريخ النحو، ص ٤٥٥.

والتسهيل. والحاشية المسماة (الطُّرّة)، التي وضعها شرحاً للألفية ابن مالك، والاحمرار المزوج بها، المذكور آنفاً). وهما عملان جليان أصبحا عمدة المقررات الدراسية النحوية في المحاضر الشنقيطية إلى الآن دون منازع. وصار ابن بونا بهذا العمل المتميز صاحب أكبر مذهب نحويّ ببلاد شنقيط، لذا كثرت الشروح، واتسع نطاقها على عمله هذا، واهتمّ به الشنقيطيون اهتماماً منقطع النظير، كما كثرت المؤلفات النحوية المستقلة بشكل لافت، التي يتبين فيها للدارس قدر كبير من التميز ليس باليسير لدى القوم، ومدى نُضج النشاط النحوي واستقلاله عندهم.

ومن أبرز شيوخه المختار انجُبْنان، صاحب كتاب (شافي الغليل)، سالف الذكر. يقول الدكتور محمد المختار بن أباه، متسائلاً: «هل اطلع العلامة المختار بن بونا على هذا الكتاب (شافي الغليل)، وما هو مدى تأثره به، في جامعه؟ ولعلنا نجد جزءاً من الجواب عند العلامة محمد محمود بن التلاميذ التركي، الذي يقول في ميميته المشهورة:

ولم يشعر المختارُ مُنْشي احمراره لسقي عباد الله من نحوه الظمي
ولا شيخه انجُبْنانُ مَنْ كان عنده له فتح الرحمن في النحو والعلم.

إذ تقرّر أنّ انجبنان من أسيّاح المختار بن بونا»^(١).

وقد استغرب ابن أباه عدم عزو ابن بونا في تأليفه النحوية لشيخه انجُبْنان، حيث يقول: «كما نستغرب أيضاً أنّ ابن بونا، الذي نعتقد أنّه من تلاميذه لم يصرّح بالعزو له»^(٢).

وفي الحقيقة لا أرى وجهاً للاستغراب؛ لأنّه من المحتمل أن يكون ابن بونا قد اطلع على المصادر التي رجع إليها انجُبْنان، وفي هذه الحال فلا يحسن به أن يجعل بينه وبينها واسطة، بل المنهج العلمي أن يأخذ منها مباشرة دون المرور بشيخه انجُبْنان أو غيره. وأبرز تأليف ابن بونا النحوية:

١- المصدر نفسه، ص ٤٥٠.

٢- المصدر نفسه، ص ٤٥٢.

أ- سُلِّمَ الطَّالِبِينَ إِلَى قَوَاعِدِ النُّحَوِيِّينَ^(١). وَلِلتَّائِهِ الْمُخْتَارَ (ت ١٤٠٩هـ) بِنَ يُحْظِيهِ
بَنَ عَبْدِ الْوُدودِ طُرَّةً عَلَيْهِ^(٢). كَمَا شَرَحَهُ أَيْضًا مُحَمَّدُ عَبْدِ اللَّهِ بِنَ الْبَشِيرِ الْمَالِكِيِّ
(ت ١٣٧٥هـ)^(٣).

ب - الْمُقَدِّمَةُ فِي التَّحْوِ (إِرْشَادُ الصَّغَارِ وَشَذُورُ النَّصَارِ)^(٤).

د - اُمْلِيُوجِيَّةٌ^(٥). اسْمُ أُطْلِقَ عَلَى الطُّرَّةِ الْمَشْهُورَةِ، الْآتِيَةِ بَعْدَ قَلِيلٍ، الشَّارِحَةِ لِأَحْمَرِ
الْمُؤَلَّفِ الْآتِي ذِكْرَهُ، مَجْرَدَةً مِنْ زِيَادَاتِ الْمُدْرَسِينَ النَّاهِيْنَ مِنْ طُلَّابِ ابْنِ بُونَا
وَتَلَامِيذِهِمْ. وَقَدْ طُبِعَتْ بِمِصْرَ سَنَةِ ١٣٣٠هـ.

هـ - الْأَحَاجِي^(٦).

و- نَظْمُ إِعْرَابِ الْجُمْلِ وَشَبْهَهَا مِنَ الظُّرُوفِ وَحُرُوفِ الْجَزْرِ^(٧). لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
بِنِ إِبْرَاهِيمِ الْعُلُويِّ (ت ١٢٥٠هـ) (وَهُوَ أَحَدُ تَلَامِيذِ صَاحِبِ النِّظْمِ) تَعْلِيْقٌ
عَلَيْهِ^(٨)، كَمَا شَرَحَهُ زِيَادُ بْنُ حَامِدَتَوِّ الدِّيَّانِيِّ (ت ١٢٤٨هـ)^(٩).

ز- التَّذْكِيرُ وَالتَّائِيْثُ مِنْ طُرَّةِ ابْنِ بُونَا^(١٠).

غَيْرَ أَنَّ أَبْرَزَ مُؤَلَّفَاتِهِ أَثْرَانِ اثْنَانِ، هُمَا :

ح - الْأَحْمَرُ (الْجَامِعُ بَيْنَ التَّسْهِيلِ وَالْخُلَاصَةِ) : هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ (ثَمَانِيَةِ وَسَبْعِينَ
وَأَلْفَ ١٠٧٨ بَيْتًا، تَقْرِيْبًا) نَظْمَهَا مِنَ التَّسْهِيلِ، وَوُشِّحَ بِهَا أَلْفِيَّةُ ابْنِ مَالِكٍ،
مُمَيِّزًا الزِّيَادَةَ الْمُتَمَثِّلَةَ فِي الْأَحْمَرِ عَنِ الْخُلَاصَةِ بِالْحُمْرَةِ. يَقُولُ أَحْمَدُ بْنُ الْأَمِينِ

١- يَوْجَدُ بِمَخْطُوطَاتِ الْمَعْهَدِ الْمُورِيتَانِيِّ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ، تَحْتَ رَقْمِ ٦٠٣.

٢- حَقَّقَهُ مُحَمَّدُ مُحَمَّدٍ وَلَدُ مُحَمَّدٍ مَحْفُوظٌ فِي رِسَالَةِ خَتْمِ دُرُوسِ (الْمَاسْتَر) بِجَامِعَةِ أَنْوَكَشُوطِ سَنَةِ ٢٠١٠-٢٠١١ م.

٣- حَيَاةُ مُورِيتَانِيَا : الْحَيَاةُ الثَّقَافِيَّةُ، ص ٦٧.

٤- يَوْجَدُ بِمَخْطُوطَاتِ الْمَعْهَدِ الْمُورِيتَانِيِّ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ، تَحْتَ رَقْمِ ٣٣٣٠.

٥- تَوْجَدُ بِمَخْطُوطَاتِ الْمَعْهَدِ الْمُورِيتَانِيِّ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ، تَحْتَ رَقْمَيْ ٣٠٤٨، ٣٠٨٥.

٦- يَوْجَدُ بِمَخْطُوطَاتِ مَكْتَبَةِ الْأَسْتَاذِ هَارُونَ بْنِ الشَّيْخِ سِيدِيَا / بَوْتَلَمِيْتِ.

٧- حَقَّقَهُ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى. تَوْجَدُ مِنْهُ نَسْخَةٌ بِقِسْمِ الرِّسَالَاتِ بِالْمَعْهَدِ الْعَالِيِّ لِلدِّرَاسَاتِ وَالبَحْثِ الْإِسْلَامِيَّةِ،
تَحْتَ رَقْمِ ٢٣١٣.

٨- حَقَّقَ فِي رِسَالَةِ تَخْرُجَ مِنَ الْمَعْهَدِ الْعَالِيِّ لِلدِّرَاسَاتِ وَالبَحْثِ الْإِسْلَامِيَّةِ ٢٠٠٩ - ٢٠١٠ م.

٩- حَقَّقَ هَذَا الشَّرْحَ فِي رِسَالَةِ تَخْرُجَ مِنَ الْمَعْهَدِ الْعَالِيِّ لِلدِّرَاسَاتِ وَالبَحْثِ الْإِسْلَامِيَّةِ، تَوْجَدُ مِنْهُ نَسْخَةٌ بِقِسْمِ الرِّسَالَاتِ بِالْمَعْهَدِ.

١٠- يَوْجَدُ بِمَخْطُوطَاتِ مَكْتَبَةِ أَهْلِ مُحَمَّدٍ سَالِمِ بْنِ الْمُحِبُّوبِ، بَانَوَاكْشُوطِ / بُوْحَدِيدَةِ، تَحْتَ رَقْمِ ٣٠٤.

الشنقيطي، مشيدا بهذا الأثر الخالد، مشيرا إلى ما فيه من الزيادات على ألفية ابن مالك : «وكان المختار رحمه الله مكبّا على تحرير العلوم، ومن أنفع ما ألف نظمه الذي سمّاه بالأحمرار، عقد فيه من تسهيل ابن مالك ما لم يذكره في الألفية، ومزجه بها مزجا جيّدا، يدلّ على مهارة تامة، وفيه أبواب كثيرة تُركت منها، كالقسم وجوابه، والتسمية بلفظ (كائن ما كان)، وتتميم الكلام، والإلحاق، ومخارج الحروف والهجاء، وغير ذلك من الفصول الكثيرة»^(١).

نصّ معبر حقّا عن قيمة هذا التأليف الفذّ.

- وأهمّ المصادر التي استقاه منها تسهيلُ ابن مالك، وهو المصدر الأول والأهمّ، ثمّ كافيته، التي نقل منها حرفيًا في باب الاستثناء قوله :
ونحو ما في دار زيدٍ رجلٌ إلا أبوك صالحٌ يُحتمَلُ.

- وشرح الدماميني على التسهيل. يقول ابن الأمين الشنقيطي : «ولمّا أراد نظم التسهيل لم يجد شرحا له يستعين به، فذكر له الدماميني عند محمّذن بن بابانا العلوي^(٢)، فقصده، وقال :

أتيتكم يا قضاة العلم والدين وليس لي غرض سوى الدماميني
عن كلّ حبٍّ به قد كنتُ ذاكلفٍ وكاد زائدةٌ قد كاد يسلييني
كانتكم وهي للتحقيق ترتفعوا على ظنون فؤاد ذات تحسين
فقال محمّذن المذكور : أعطوه له على قبح أبياته»^(٣). ذوق نقديّ سليم.

- وفريدة السيوطي (ت ٩١١هـ)، التي نقل منها أبيات الموصول الحرفي نصّا، التي مطلعها :

موصولنا الحرفيُّ ما أوّل مع صلتِه بمصدرٍ حيثُ وقّع.

١ - الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص ٢٨١.

٢ - لم أقف على تاريخ وفاته.

٣ - المصدر نفسه، ص ٢٨١.

ط - الطُّرَّة : الطُّرَّة لغةً كما في لسان العرب^(١) : «كُفَّة الثوب، وهي جانبه الذي لا هُذْب له». واصطلاحاً : «هي عبارة عن مجموعة من الحواشي، وضعت في جمل مختصرة، تتكرّر فيها مصطلحات تشير إلى مواضيع الإطلاق والتقييد، ومحال الوفاق والخلاف، وتبيّن الاستعمالات الشاذة والنادرة والمؤوّلة، وشواهدا. وهذه الطُّرَّة يمكن أن نشبّنها بعقبات الحواجز التي توضع عن قصد في ميادين السباق، واجتيازها يستدعي تمرّساً في مقاصد النّحاة، وتمرّناً على البحث في تذييل صعوباتها»^(٢).

إذن هي مجموعة من الحواشي في شكل شرح وجيز، مُقْتَضَب، مركّز، على نمط الشبكات العنكبوتية، يُؤدّي إلى حلّ ما استغلق من ألفاظ النصّ وتراكيبه، باستخدام رموز، أو إشارات أو منحنيات، تربط المتن المشروح بالطُّرَّة الشارحة. وقد وضّعها ابن بونا رحمه الله شرحاً لألفية ابن مالك، واحمراره هو عليها. وهي طُرّة مفيدة، غير أنّ الاستفادة منها تستعصي على غير المتخصّصين؛ لذا كثرت التعليقات والشروح على هذين العمليّن، ممّا يدلّ على قيمتهما العلمية.

وأهمّ مصادرها، التي استُفِيَتْ منها شروح التسهيل، خاصّة شرح ابن مالك نفسه، وشرح الدماميني عليه، وشروح الألفية، كشرح الأشموني، ثمّ توضيح ابن هشام^(٣). وعليه ف(الاحمرار والطُّرّة) من أجلّ نشاط ابن بونا، وعمدة فكره، وإنتاجه العلميّ على تراث ابن مالك النحوي ببلاد شنقيط في هذين القرنين. وهو ما عبّر عنه أحمد بن الأمين الشنقيطي في إشادته بالمؤلّف وأثره الخالدين هذين بقوله : «ويكفيه أنّه هو الذي نشر النّحو بعد دفنه، وكفى الناس مشقّات مُؤنه، وكانوا لا يتجاوزون قبله ما في الألفية وشروحها، مع عدم معرفة الخطّة التي يمكن للطالب أن يخزّن في ذهنه بها ما يكون قريب التناول عند الحاجة إلى ذلك، حتّى نظم لهم ما تخلّف عن الألفية، ممّا تضمّنه التسهيل، وألصق كلّ شذرة بما يناسبها، وضمّ إلى ذلك طُرّته المفيدة، وأتى على

١ - مادة (طرر).

٢ - تاريخ النحو، ص ٤٥٨.

٣ - الإسهام الشنقيطي في درس أصول النحو، التعليق على جامع ابن بونا وشروحه نموذجاً، لمحمد بن محمد يحيى بن الدوّه. بحث لنيل شهادة الماستر في الآداب، جامعة شنقيط العصرية، السنة الدراسية ٢٠٠٧/٢٠٠٨. ص ٤١.

كل مسألة بالشواهد من كلام العرب»^(١).

ولأهمية الطُّرّة عند العلماء والدارسين الشناقطة - حيث أصبحت المقرّر الأوّل في الدراسات النحوية دون منازع في المحظرة الشنقيطية - انبرى العلماء لتذليل ما استغلق منها، وتوضيح رموزها، وحلّ أقفالها، وهو ما مثّل غرارة نظم مسائلها، وتدقّق شروحها، والتعاليق عليها. يقول الدكتور محمّد المختار بن أباه: «وخلاصة القول إنّ جامع المختار أصبح في بلاد شنقيط كلّها المرجع الأساسي في التدريس، والمنطلق المعتمد في البحوث النحوية، فصارت كلّ الدراسات تدور حوله، تفسّر غوامض ألفاظه، وتبيّن دقاتق معانيه، وتخصّص عموميه، وتقيّد إطلاقه، وتشرح شواهده، من الحديث والشعر، حتّى نشأ عن هذه الحركة مجموعة من المصنّفات، تفرّعت كلّها من بحر الجامع البوني»^(٢).

ونظراً لما سبق أرى أنّ (الطُّرّة) تتميّز بسمتين بارزتين، تستحقّان الوقوف عندهما:

الأولى: استيعابها لكثير من بحوث النحو ومسائله وقضاياها، الواردة في كتب ابن مالك، وشروحها، في أسلوب موجز، مركّز، وهو ما يفسّر سرّاً ما أشرت إليه سالفاً من كثرة التعاليق، والشروح عليها، واهتمام العلماء بتبيين مواطن الإطلاق والتقييد فيها، وإجلاء مضامينها، وما ترمي إليه إيجاءاتها ورموزها، حسب ما سيأتي عرضه من أعمال تلاميذ ابن بونا النابهين على هذا الأثر القيم، بعون الله تعالى.

ثانيتهما: غزارة شواهدها، من القرآن الكريم والقراءات، والأحاديث الشريفة والآثار، والشعر، حيث بلغت شواهدها من الأساليب القرآنية حوالي (ستّة وتسعين وألف ١٠٩٦)، ومن الأحاديث والآثار حوالي (واحد وأربعين ومائة ١٤١)، ومن الشعر والأراجيز حوالي (خمسة وتسعين وألفين ٢٠٩٥)^(٣). وغزارة الاستدلال بهذه الأساليب من أبرز أسرار تميّز (الطُّرّة)، وحضورها في المحظرة الشنقيطية. كما أنّ استدلال ابن بونا بهذا الكمّ المعتبر من الأحاديث والآثار يوحى بتأثره بمذهب شيخ التّحاة ابن مالك، الذي يعدّ أوّل من توسّع في الاستدلال بالأحاديث التّبوية على نطاق واسع. وفيما يلي عرض نموذج من الطُّرّة، للتدليل به على ما ذكر.

١ - الوسيط، ص ٢٧٧.

٢ - تاريخ النحو، ص ٤٥٩.

٣ - تقريب الطُّرّة على ألفية ابن مالك، للأستاذ أحمد بن محمد المامي العيقوبي، ج ٢، ص ٨٢٤ - ٨٤٣.

قال ابن مالك في باب جمع المذكر السالم، وما ألحق به :

وارْفَعِ بَوَاوٍ وَبِيا اجْرُزْ وانْصِبِ سَالِمِ جَمْعِ عَامِرٍ وَمُذْنِبِ
وَشِبْهِ ذَيْنِ وَبِـهْ عِشْرُونَا وَبِـابَةِ الْحِقِّ وَالْأَهْلُونَا.
فقال ابن بونا :

(وارفع بواو) نيابة عن الضمة، (وبيا اجرز) نيابة عن الكسرة، (وانصب) نيابة عن الفتحة، (سالم جمع عامر ومذنب)، ويسمى هذا الجمع جمع المذكر السالم، لسلامة بناء واحده، والمجموع على حدّ المثني؛ لأنّ كلاًّ منهما يعرب بحرف علّة، بعده نون تسقط للإضافة، (وشبه ذين) من كلّ علّم أو صِفَة أو مُصَغَّر لمذكر عاقل خالٍ من تاء التأنيث، ويشترط في العلّم الخلوّ من التركيب على التفصيل السابق، ومن الإعراب بحرّفين، وفي الصفة قبولُ التاء، أو الدلالة على التفضيل. وشذّ قوله ^(١) :

مِنَّا الَّذِي هُوَ مَا إِنْ طُرَّ شَارِبُهُ وَالْعَانِسُونَ وَمِنَّا الْمُرْدُ وَالشَّيْبُ.
وقوله ^(٢) :

فَمَا وَجَدَتْ نِسَاءً بَنِي تَيْمٍ حَلَالٌ أَسْوَدَيْنِ وَأَحْمَرَيْنَا.
ويستثنى ممّا فيه هاء التأنيث ما كان علّماً من الثلاثي المَعْوِض من فائه أو لامه هاء التأنيث، كَعِدَّة وَزَنَة وَهَبَة، مالم يُكْسَر قبل العَلَمِيَّة تكسيراً يُعَرِّب بالحركات، كَشَفَة، أو يعتلّ ثانيه، كَدِيَّة... إلخ ^(٣).

هكذا على هذا المنوال جال المؤلف، وصال في المسألة، محللاً، مناقشاً، مُكثراً من الشواهد الشعرية أكثر شيء، مُستغرقاً بحُثّه فيها وحدها عدّة صفحات. وقد اقتصرت على نموذج قصير من هذا النصّ الطويل، المفيد، خشية الإطالة؛ للتدليل به فقط على ما ذُكر من سمات تميّز بها هذه (الطّرة)، من ضغط المعلومات، وتركيزها، مع استيعاب المسائل والتفريعات، وصعوبة النصّ واستغلاقه على الأفهام، وغزارة الشواهد، وتنوّع الاستدلال، ولأنّ صاحبها يعدّ شيخ المراحل النحوية ببلاد شنقيط، وأستاذها دون

١- من بحر البسيط، لأبي قيس بن رفاعة اليهودي. يراجع مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، الشاهد رقم ٥٦٦.

٢- للحكيم بن عيّاش في هجاء مضر، من الوافر. يراجع شرح الأشموني، ج ١، ص ١٨.

٣- تقريب الطّرة، ج ١، ص ٣٠، فما بعدها.

منازع، فكلّ نحويّ شنقيطي جاء بعده تلميذ له، وعالة على ما ارتسمه، واختطّه في هذه (الطّرة) الفدّة، فطفقوا جميعاً في خدمتها، ما بين معلّق، وشارح لخفاياها، وما استغلق من رموزها، وناظم لقضاياها، وما توزّع من شتات مسائلها.

وهذا ما عبّر عنه النصّ الموالي : «الجامع بين التسهيل والخلاصة، المانع من الحشو والخصاصة، المعروف ب(طّرة ابن بونا)، الذي عكف عليه الطلبة في هذه الأزمن، واشتغلت به الفكر والأفهام، وصار الناس فيه ما بين شارح ومختصر ومقتصر، ومُبين لُنُكته، وما بين مُشتغل به، حفظاً وتدريساً»^(١).

وأرى أنّ إقبال الشناقطة الكبير على (احمرار) ابن بونا، الذي اتّسمت مادّته بالتركيز والاكتمال، والاستعصاء على الأفهام، ربّما يعود إلى عدم توافر (كافية ابن مالك) في الساحة الشنقيطية، حيث هي مصدرُ الخلاصة، وأوسع منها وأشمل، وتسمّ بسهولة النظم وسلاسته، ومّا يدعم هذا فيما أرى تأخّر شروح القوم عليها عن فترة ابن بونا. وعليه فلو كانت متوافرة لديهم لأخذها من أراد التوسّع عن الخلاصة، كما اقتصر على الخلاصة من أراد عدم التوسّع.

وقد عمل الناهون من طلبة ابن بونا، وتلاميذهم على تشييد مشروعه النحوي، وتطويره، وكانوا في ذلك فريقين: فريقاً اشتغل بالتأليف، أو التأليف والتدريس معاً، وفريقاً أكبّ على التدريس واشتغل به. وذلك في منطقة (الكبلة = الجنوب الغربي)، ثمّ في الشمال، وفي الوسط، أمّا في شرق البلاد فقد كان للنّحلة مذهب مواز لما انتهجه ابن بونا، وتلاميذه في دراسة النّحو. سيأتي الحديث عنه فيما بعد. بعون الله تعالى.

ثانياً - المؤلّفون والمدرّسون الناهون من طلبة ابن بونا وتلاميذهم :

أ- المؤلّفون : من اشتهروا بالتأليف، أو التأليف والتدريس معاً، في هذه المرحلة من النّحلة الشناقطة كثيرون جدّاً، من أبرزهم :

٢٧- عبد الودود بن عبد الله بن محمّذ بن أنجُبْنان الحيليّ (ت ١٢٦٨هـ)، نحوي لامع متميّز، يقول عنه أحمد بن الأمين الشنقيطي : «نحويّ شهير، انفرد به من غير كبير، وأوضح للناس أسرارهم، وأعلى منارهم.. وبرّز فيه، وبلغ مبلغاً لم يبلغه غيره في

١- تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص ٤٥٩. مخطوطة.

عصره.. ماترك.. عويصة في النحو إلا نظمها أسلس نظم وأتقنه»^(١).

وتحدّث عنه الدكتور محمد المختار بن أباه قائلاً: «انتشر صيته وعلمه، وانتظمت حوله محطرة مشهورة، وشاعت أنظامه وقصائده ومؤلفاته، وكان كلّ نشاطه مرتكزا على علوم اللّغة والنحو»^(٢).

وهو حفيد المختار أنجبّان، صاحب كتاب (شافي الغليل)، الذي سبق الحديث عنه، وتلميذ بلّا بن الفاضل الشقروي الحسني (ت ١٢٧٣ هـ^(٣))، وأوّل نحويّ مؤلّف كبير، خدم طرّة ابن بونا خدمة متميّزة، معتمداً منهجه في الدراسات النحوية. له من التآليف النحوية^(٤):

أ- نظم في تصريف الأفعال .

ب - قصيدة في المصادر العربية.

ج- كثير من الأنظام الضابطة للمسائل النحوية.

د- رَوْضُ الْحَرُونَ على مقابل الأصحّ من طرّة ابن بون^(٥). هو أهمّ تأليفه، التي أودعها فكره النحوي، وصفه أحمد بن الأمين الشنقيطي بقوله: «صغير الحجم، إلاّ أنّه كبير الفائدة، ولا يستغني عنه نحويّ»^(٦).

وأشاد الدكتور محمّذن بن المحبوب به، وبمؤلّفه، موضّحاً مضمونه، قائلاً: «الذي راض الجليل النحوي الأوّل، فقد تمكّن من ناصية اللّغة والنحو، وأحاط بنماذج ابن بونا ليتجاوزها، ممّحصاً طرّته، متتبّعاً أقواله بدقّة، وقد أوضح ذلك ضمن كتابه النحوي الفريد في بابهِ، والذي أسماه (رَوْضُ الْحَرُونَ من طرّة ابن بون)، وهو كاسمه فعلاً، فقد سعى خلاله إلى رياضة كلّ صعب، ممتنع، حرون، من طرّة الشيخ المختار، وقد تتبّع في هذا الكتاب طرّة الرجل بشيء من الدقّة والصرامة النحوية، متعقّباً عبارات (الترجيح،

١- الوسيط، ص ٣٧٤، والمنارة والرباط، ص ٦٢٠.

٢- تاريخ النحو العربي، ص ٤٧٣.

٣- الوسيط، ص ٣٣٩.

٤- الوسيط، ص ٣٧٣، والمنارة والرباط، ص ٦٢٠.

٥- توجد منه نسخ بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام (٥٩٨، ناقصة البداية والنهاية)، (٢٥٩٤، ناقصة النهاية)، (٣٠٢٦، ناقصة، غير منظمسة)، ونسخة بمخطوطات مركز أحمد بابا بتييمبكتو تحت رقم ٣٥١١.

٦- الوسيط، ص ٣٧٤.

والأصح، والأظهر، والمطلق، والمؤول)، فبين مقابل كل هذه التخريجات»^(١).

وكذلك نجده أيضاً معقّباً على (عبارات المشهور)، وغيرها.

وهذا ما تحدّث عنه المؤلّف نفسه في مقدّمة هذا الكتاب القيم، مُبيّناً جانباً من منهجه، قائلاً : «فلما كان تقييد الشيخ المختار بن بونا على الألفية وعلى توشّحه إياها ظاهر الإفادة والمزّية، وبه اشتغال أهل هذه الجهة الغربية، إلّا أنّ فيه إطلاقات وتأويلات تركها سُدىً، وتصحيحات واحتمالات، وتخريجات لا يدرى مقابلها أبداً، سألتني بعض أهل العصر تأليفاً، يُبيّن لغزّه ويفتح عويصه ورمزه، حتّى شرح الله صدرى لما ندبني إليه»^(٢).

وقد اعتمد في تأليفه على جملة من أمّهات المصادر النحوية، ذكرها بقوله : «اعتمدت في هذا الكتاب شرح الدماميني، وشرح ابن عقيل التسهيل (المساعد)، وشرح الشيخ خالد الأزهري لتوضيح ابن هشام، وإن نقلت من غير هؤلاء عرّفته باسمه أو كنيته أو لقبه أو نسبته»^(٣).

مشيراً للدماميني ب(د)، وللمساعد ب(ع)، ولخالد الأزهري ب(خ). وقد استغرب الدكتور محمد المختار بن أباه^(٤)، مُحققاً عدم عزو المؤلّف هنا لكتاب جدّه المختار انجُبّنان : (شافي الغليل)، الذي سبق عنه الحديث، مع أنّ مصادر تأليفهما واحدة. وكما ذكرت سابقاً، فلا وجه للاستغراب عندما نعرف أنّ الرجل رجّع إلى المصادر التي أخذ منها جدّه، فالخلل المنهجّي هو الأخذ من المراجع الثانوية، وترك المصادر الأولى، خصوصاً أنّه صرّح بالرجوع إليها، وأخذ مادّة منها.

وفيما يلي عرض نماذج من رَوْض الحُرُون، تفيد علوّ كعب مؤلّفه في هذا الفنّ، ومدى سعة اطلاعه، واستيعابه المسائل، وكثرة استعراضه آراء النّحاة ومذاهبهم، التي يستند إليها استناداً واضحاً أثناء تحصيله عبارات الشيخ ابن بونا. فمثلاً عند قول ابن بونا معلّقاً في طُرّته على نصّ ابن مالك : (أل حرف تعريف : «صدر البيت الأوّل، من

١- النحو الشنقيطي بين دروس التعمّق ومباحث التخصص، مجلّة المنهل، جدّة، العدد ٥٤٧، شوال ١٤١٨ هـ. ص ١٣٦.

٢- الصفحة الأولى من المخطوطة.

٣- ص ١، المخطوطة.

٤- تاريخ النحو، ص ٤٥٢.

باب المعرّف بأل) : «وفاقا للخليل وسيبويه، وليست الهمزة زائدة خلافا لسيبويه»^(١).

علّق الشيخ عبد الودود على هذا الإطلاق بقوله :

«قال ابن مالك لا خلاف بين الخليل وسيبويه أنّ أل مُعرّفة، وإنّما الخلاف بينهما في الهمزة أزائدة أم أصلية؟ وقال الموضّح : والمشهور عن النحويّين أنّ المعرّف أل عند الخليل، واللام وحدها عند سيبويه. ونقل ابن عصفور الأوّل عن ابن كيسان، والثاني عن بقية النحويّين، ونقله بعضهم عن الأخفش»^(٢).

ثمّ تحدّث عن ما في المسألة من المذاهب، فقال :

«واعلم أنّ في المسألة أربعة أقوال، أريد أن أذكرها مع حججها تكميلا للفائدة، أحدها أنّ المعرّف أل، والألف أصلية، وحجّة هذا القول فتح الهمزة، وأنّهم يقولون: الأحمر بنقل حركة همزة أحمر إلى اللام قبلها، فيثبتونها مع تحريك ما بعدها، ويثبتونها في القسم والنداء، نحو: الله لأفعلنّ بقطع الهمزة، ويأله بإثبات الألفين، ويثبتونها إذا تذكروا ما هي فيه كالكتاب، فيقولون : أل، كما يقولون : قدّ، ويثبتونها مسهلة في نحو: ﴿الذّكرَيْن﴾ [الأنعام : ١٤٤]. الثاني من المذاهب أنّ المعرّف أل، والألف زائدة، وحجّة هذا القول سقوطها في الدرج، أي الوصل، وأمّا فتحها عند صاحب هذا القول فلاّتها خالفت القياس بدخولها في الحرف، وأمّا ثبوتها مع الحركة فلاّ أنّ الحركة عارضة فلاّ يعتدّ بها...»^(٣).

وهكذا على هذا النّحو من التحليل والمناقشة ذكر القولين الآخرين، مُستنداً على أقوال العلماء، ومذاهبهم.

وعند قول ابن مالك في باب المبتدأ والخبر : (وأخبروا بظرفٍ أو بحرف جرّ. البيت رقم ١١)، علّق ابن بونا قائلاً : «إذ هو (متعلّقهما) الخبر حقيقة على الأصحّ». فقال عبد الودود، مستدركاً على عبارة (الأصحّ^(٤)) : «مقابله قول الكوفيّين وابنني طاهر وخروف، إنّّه لا تقدير، لكن اختلفوا، فقال ابنا طاهر وخروف : الناصب لهما المبتدأ، وزعما أنّه

١- تقريب الطّرة، مصدر سابق، ج ١، ص ١٢٩.

٢- ص ٥، من المخطوطة.

٣- ص ٥، ٦، من المخطوطة.

٤- ص ٦، من المخطوطة.

يرفع الخبر إذا كان عينه، نحو زيد أخوك، وينصبه إذا كان غيره، نحو زيد عندك، وقال الكوفيون: الناصب لهما معنوي، وهو كونهما مخالفين للمبتدأ، قاله خالد الأزهري^(١).

وفي مستهل باب المفعول المطلق قال ابن بونا في ناصبه: «بمثله، أو فعل تام، أو ناقص على الأظهر»^(٢). فعلق عبد الودود على عبارة (الأظهر)، قائلا: «لم يذكر (د) ولا (ع) ولا (ح) قولا بنصب الفعل الناقص المصدر، لكن ذكر السيوطي أن السيرافي وطائفة أجازوا ذلك، نحو كان زيد قائما كونا»^(٣).

هكذا يسير الشيخ عبد الودود في تتبعه عبارات الشيخ ابن بونا على هذه الوتيرة من الدقة والتمحيص والصرامة، مُستندا في ذلك على أقوال كبار النحاة وآرائهم.

٢٨- سيدي محمد بن أحمد بن حَبَّ القلاوي (ت ١٢٨٨ هـ)، عالم، جليل^(٤)، صاحب مكتبة كبرى بمدينة شنقيط، له من المؤلفات النحوية:

أ- منظومة في أحكام التقاء الساكنين. شرحها محمد يحيى بن سليمة اليونسي الولاتي (ت ١٣٥٤ هـ)^(٥).

ب- المواهب النحوية على الخلاصة والألفاظ البونية. وهو موسوعة في أربعة أجزاء كبيرة، مخطوطة^(٦)، شارحة لألفية بن مالك، واحمرار ابن بونا عليها، تمثل فيما أرى ذروة تطوُّر النحو العربي، وقمة ازدهاره ببلاد شنقيط، لم تنل حظها، وتُقدَّر حق قدرها من الباحثين، والدارسين الشناقطة، حيث اعتنوا بتأليف وأشادوا بها، بينها وبين هذه الموسوعة الممتازة بون شاسع، لا يسمح بالموازنة. وهو وإن كان في الأصل شرحا للخلاصة والاحمرار، فإنَّه حقيقةً شرحٌ وافٍ للطَّرة، وإن كان بطريقة غير مباشرة؛ لأنَّ مصادرها ملخَّصة فيه، علاوة على استناده إلى غيرها من المصادر، حسب ما يأتي بعد قليل.

١- تقريب الطَّرة، ج ١، ص ١٤٢.

٢- المصدر والجزء نفسها، ص ٢٩٣.

٣- ص ١٦، من المخطوطة.

٤- حياة موريتانيا، ص ٦٧، والمنازة والرباط، ص ٥٥٧، وتاريخ النحو، ص ٥٤٠.

٥- يوجد هذا الشرح على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٣٠٥.

٦- وهي مخطوطة في أربعة أجزاء كبيرة، توجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام ٢٨٤٨، ٢٨٤٧، ٣٥٣٠، ٢٧٩٣، على التوالي. كما يوجد كاملا على (مكرو فلم) المعهد نفسه، تحت رقمي ١٧، ١٣٤.

يقول المؤلف في مقدّمة هذه المدوّنة الرائعة، محدّدا دواعي تأليفه إيّاها، مشيرا إلى ما أودع فيها من دُرر أئمة الفنّ، وفوائدهم الجمّة : « ثمّ إنّهُ لما كانت تلك الكتابات مُتمتّجة بالخلاصة امتزاج الماء بالراح، أو امتزاج الأجسام ذوات الحواسّ بالأرواح، شرعت في الشرح لجميع ما هنالك والإيضاح، ضامّا إلى ذلك من الفوائد ما ينشرح له الصدر أيّ انشراح، ناقلا عليه من كلام الأئمة ما يتبيّن به المرام، وينكشف عن وجوه خرائد مخدّراته اللثام، ويروي كلّ غليل نحو ذلك المشرب، وظام»^(١).

وحّد مصادره قائلا : « إنّني اعتمدت في النقل على التسهيل، وعلى ثلاثة من شروحه، وهي الدماميني، والمساعد، ونتائج التحصيل»^(٢)، وعلى الأشموني، وعلى محشيه الصّبّان، وربّما نقلت من حاشية الشُّمْنِي^(٣)، والرّصاع^(٤)، وعلى الثُّنْكَت للسيوطي، والأشباه والنظائر له أيضا، والارتشاف لأبي حيّان، وشرح الكافية للمؤلف. فما اعتمدت عليه في النقل هذه الكتب، وربّما نقلت عن غيرها ك(العيني^(٥))، وخزانة الأدب، والحماسة، والقاموس، والجوهري، وغير ذلك»^(٦).

فهذا الفيض الغزير من المصادر النحوية واللّغوية الموسوعية الأصيلة، يعبر بجلاء عن القيمة العلمية لهذه المدوّنة، وعلوّ كعب مؤلّفها في هذا الفنّ، كما أنّه يكشف عن سرّ موسوعيتها، واتّساع حواشيتها، حيث أتاحت هذه المصادر المتنوّعة الموسوعية للمؤلف أخذ سبيل غزير من النقول الممتازة، الغنية، المتلوّنة.

ثمّ تحدّث عن فضل علم النّحو وشرفه، ذاكراً طبقات النحويّين واللّغويّين، مؤرّخا لهم، من الخليل بن أحمد الفراهدي (ت ١٧٥ هـ)، إلى عصر أبي حيّان النحوي الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)^(٧).

١- ج ١، ص ١٠٢، من المخطوطة.

٢- لأبي عبد الله محمّد المرباط الدلائي المغربي، من علماء القرن الحادي عشر الهجري. وهو موسوعة ضخمة، نادرة النوع، في اتّساعها وشمولها، إذ أخذت من شروح التسهيل، وغيرها من المصادر النحوية المهمة، ربّت في مجملها على أكثر من مئة وسبعين مرجعا. يراجع تاريخ النحو العربي، ص ٤٠٨.

٣- هو أبو العباس تقي الدين أحمد بن محمد، ت ٨٧٢ هـ. له : حاشية الشُّمْنِي على شرح الدماميني، على مغني اللبيب لابن هشام.

٤- هو أبو عبد الله الرّصاع محمد بن قاسم الأنصاري التونسي، ت ٨٩٤ هـ. له : الجمع الغريب في ترتيب أي مغني اللبيب.

٥- هو أبو محمد بدر الدين العيني الحنفي، ت ٨٥٥ هـ. من تأليفه النحوية : المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، المعروف بالشواهد الكبرى. وفرائد القلائد مختصر شرح شواهد الألفية، المعروف بالشواهد الصغرى.

٦- المصدر نفسه، ص ٣.

٧- ص ٦٧، من المخطوطة.

وطريقته في الشرح أن يبدأ بعرض أبيات الألفية والاحمرار، معقبا عليها تعقيبا مختصرا، مناسبا للطلاب والدارسين، ثم يأخذ في الشرح الموسع، والاستقصاء والتبُّع، والتحليل والمناقشة، واستعراض الآراء والمذاهب، مُلبِّياً بذلك حاجات العلماء والباحثين، مُوازناً، مرجحاً بين الآراء والتوجهات، مُعتنِياً بدراسة الشواهد الشعرية، مستقصياً وجوه رواياتها المتعددة، شارحاً ما استغلق من لغاتها، رابطاً بين مناسباتها.

فهو تأليف قلّ نظيره، وأجود ما أنتجته القرائح ببلاد شنقيط، لحواشيه الغنية، ومناقشاته الضافية، وتحليله الشاملة. وهذا الاتساع، والتنوع في البحوث يوحى بهما قوله: «وإنّا تكلمنا على مدلول الاسم وقسيميه على اصطلاح البيانيين والنحويين والمنطقيين»^(١).

وهو رحمه الله أمين، كثير التوثيق، والضبط، وإسناد النقول إلى أصحابها. ونظراً لما سبق فهذا التأليف مدونة شاملة لقضايا النحو واللغة والأدب والتاريخ، جدير باعتماد العلماء والباحثين المحققين لإخراجه. ومن المستغرب بحق أن يبقى إلى الآن بعيداً عن الأضواء، واهتمام الباحثين!!

ومّا يعبر عن قيمة هذه الموسوعة المعرفية، وشمولها لقضايا النحو واللغة والأدب قولٌ حفيد مؤلفها: الشيخ محمد بن حبت القلاوي (ت ١٢٩٩هـ) في مقدمة اختصاره إيّاها: «إنّ تصنيف الوالد رحمه الله تعالى المسمّى ب(المواهب النحوية على الخلاصة والكتابات البونية)، لا شكّ أنّه في التصانيف غرة الزمان في غاية الحسن عند من تداوله من الإخوان، لم يأت مصنّف مّن سبقه بمثاله، ولم ينسج على منواله، وهو المستعمل في بلادنا: بواديهما والحضر، لتفسير الخلاصة ونظم ابن بونا معها، وما وضع عليها من الطّرر، لكنّه في هذا الفنّ من الكتب الطوال، باستجلاب الشوارد، وكثرة العزو للرجال، وبالغوص في مفاوز مسائل الفنّ لتبيان غوامضها والمشكلات، وربّما طمح به لسان القلم إلى سائر علوم الأدب لأمر اقتضى ذلك في بعض النفحات، فكان ملجأ وموثلاً للجلّة أولى الانتهاء»^(٢).

١- المصدر نفسه، ص ٤٠

٢- يوجد هذا الاختصار بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلميّ، تحت رقم ٢٩٦٦، وبمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبوكتو، تحت رقمي ٣٥٩٠، ٨٢١٨، وعلى (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلميّ، تحت رقم ٢٨٩.

وأورد فيها يلي نموذجا من هذا الشرح الفذّ عند قول ابن مالك ^(١) :
وفي اختيارٍ لا يجيء المنفصلُ إذا تأتى أن يجيء المتصلُ.
إذ قال :

قال الصّبّان : مفهوم قوله : (في اختيار) أنّه في حال الضرورة يجيء المنفصل، مع إمكان المتصل، وهو صحيح على قول الجمهور إنّ الضرورة ما وقع في الشعر، وإن كان للشاعر عنه مندوحة، أمّا على قول الناظم : إنّها ما ليس للشاعر عنه مندوحة فمشكل.. والمعنى إذا تأتى فيكون ذكر الشرط ضائعا؛ لأنّه عند عدم التأتي لا يكون في الاختيار. كذا قال بعضهم. وإنّما منع مجيء المنفصل مع تأتي مجيء المتصل؛ لأن الغرض من وضع المضمّرات الاختصار، والمتصل أخصر من المنفصل، نحو قمت وأكرمتك، لا يقال فيها : قام أنا، ولا أكرمت إيّاك؛ لأنّ التاء أخصر من (أنا)، والكاف أخصر من (إيّاك). فصل في الأماكن التي يجب فيها انفصال الضمير. (ويُفصل الضمير العاملُ فيه مُبتدأ)، كما إذا كان فاعلا ساذّا مَسدّ الخبر، نحو أقائم أنت، كما سيأتي. وعبارته في التسهيل : أو رفع صفة جرت على غير صاحبه. وهو أصوب من قوله : (يُفصل العامل فيه مُبتدأ)؛ لأنّ المبتدأ قد يعمل في الضمير، ولا يتعيّن فصله، كما إذا كان مفعولا له، ومضافا، أو غير ذلك. ومن فَصل الضمير خبر عن (كأن) :

فكأنّها هي يوم غبّ كلالها أو أسفَعُ الخدين شاة إرّان ^(٢).

(هي) خبر كأنّها، يصف ناقة، إذ ما بعد كلالها وتعبها نفسها قبل الكلال في النشاط والقوّة، أو كأنّها أسفَع الخدين... وهو يسمّى شاة، والإرّان، بالكسرة نشاط، وهو من أرّن كفرح. وشاة بدل من أسفع. وقال قوم : هي كناية عن سفينة، شَبّهت الناقة بها في السرعة. والبيت من قصيدة لبيد ^(٣).

وهكذا سارَ عرضُ المسألة، ومناقشتها، وما تمّ نقله هنا هو جزء قليل جدّا ممّا كتبه المؤلّف في شرح هذه المسألة، وذلك خشية الإطالة، إذ توسّع في التحليل والمناقشة،

١ - البيت رقم ١٢، من باب النكرة والمعرفة.

٢ - من البحر الكامل، من قصيدة للشاعر لبيد، كما ذكر المؤلّف. يشبّه الشاعر ناقته بالسفينة في الضخامة، والثور الوحشيّ في الخفّة والسرعة. يراجع مختار الشعر الجاهلي، مصطفى السقا، ج ٢، ص ٤٣٨.

٣ - ج ١، ص ١٣٥، ١٣٦، من المخطوطة.

وأفاض في العرض، مُكثرًا من الأدلة والشواهد، مُستدعيًا آراء العلماء، ومذاهبيهم من أمّهات مصادرهم الأصيلّة.

٢٩- اختصار مواهب سيدي محمد بن حَبَّ (ت ١٢٨٨هـ) النحوية، للشيخ محمد بن حبت القلاوي (ت ١٢٩٩هـ). وقد طُبِعَ منه جزآن طباعة حجرية بفاس، مع حاشية للسلطان المغربي مولاي عبد الحفيظ (ت ١٣٥٦هـ). وهو اختصار وافٍ، شامل لكثير من أمّهات التّحو ومساائله، مع الاعتناء بكثرة المناقشات والتحليلات، لذلك فهو من أوفى الاختصارات وأنفعها. وقد بيّن في مقدّمته منهجه، وجهوده، وما أضاف فيه من الزيادات، حيث قال :

فلأجل ما ذكر أشار عليّ باختصاره بعض ذوي البصائر ظانًا من ستر الله عليّ أنّ لي قابلية في خوُصّ لجُج تلك الزواجر، فلم أجد بُدًّا من إسعافه بمطلوبه، فجزيت على منهاج مرامه وأسلوبه، فشرعت في الاختصار، متكفلاً فيه بإيضاح التّظمّين وطُرّرها، خصوصاً محامل الإطلاقات والأشهرية ممّا سواهما، فيما اشتملت عليه من أنواع الخلافات، ومحالّ الشواهد من الآيات والأبيات، وأذكر غالباً طرفاً من توجيهاته والتعليقات، وأزيد تاراتٍ من الأمثلة للإيضاح والكشف عن حقيقة المسألة، وأذكر مسائل فيه من الأحكام جلبها اقتضاء المقام.. عن فوائد لا تحصى ونكتٍ وذخائر لا تستقصى، وربّما ترك المصدر في بعض المواضع ما يحتاج للتبيين من تلك الطّرر فأثبتته ونبتّه عليه، وقد آتي به غير منبّه عليه، لإمكان أن يكون مسطوراً في نسخة غير التي بيدي، فجعلته في المتن، مقتصرًا على العزو لمن نسب إليه، فجاء مختصرًا، مصحوباً بالإفصاح وبها أمكن من الإيضاح^(١).

وفيما يلي أورد نموذجاً مختصرًا من هذا الاختصار، في باب إعراب المثني :

«المثنى وما ألحق به يرفع بالألف، ويجزّ وينصب بالياء المفتوح ما قبلها. تنبيهان : الأول : في المثنى وما ألحق به لغة أخرى، وهي لزوم الألف رفعا ونصبا وجرًا، وهي لغة بني الحارث بن كعب.. وأنكرها المبرد (ت ٢٨٦هـ)، وهو محجوج بنقل الأئمة، فقال الشاعر^(٢) :

١ - طبعة فاس الحجرية، ص ٥.

٢ - من الطويل، للشاعر المتلمّس. ينظر في طرّة ابن بونا مع تقريبها، ج ١، ص ٢٧.

فَأُطْرِقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ رَأَى مَسَاغًا لِنَابَهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا.
وَجُعِلَ مِنْهُ ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ﴾ [٦٣، طه]، و(لا وَتَرَانِ فِي لَيْلَةٍ)^(١). الثاني : لو
سُمِّيَ بالمشئي، ففي إعرابه وجهان : إعرابه قبل التسمية، والثاني يُجَعَلُ كـ(عمران) فيلزم
الألف، ويمنع الصرف. وقَيِّده ابن مالك في التسهيل بأن لا يجاوز سبعة أحرف، فإن
جاوزها.. لم يجز إعرابه بالحركات^(٢).

فهذا نموذج ممتاز للاختصارات الممتازة، التي تُفيد الدارسين والعلماء على السواء،
وتعتني كثيرا أثناء التلخيص بالتحليل والمناقشة، وعرض أقوال العلماء وآرائهم. ومن
الأمثلة الدالة أيضا على هذا تلخيصه كلام الشارح عن بيت ابن مالك في جمع المذكر
السالم وصفته :

وارفَعُ بَوَاوِ وَيَا أَجْرُزُ وانصِبِ سَالِمَ جَمْعِ عَامِرٍ ومُذْنِبِ
وَشِبْهِ ذَيْنِ...

إذ قال : «تنبيهات : الأول : أجاز الكوفيون أن يجمع نحو(طلحة) هذا الجمع،
الثاني : يُسْتَنَى مما فيه التاء ما جُعِلَ عَلَماً على الثلاثي المعوَّض من فائه تاء التأنيث، نحو
: عِدَّة، أو من لامه، نحو : بُتَّة، فإنه يجوز جمعه هذا الجمع. الثالث : يقوم مقام الصفة
التصغير، نحو : رُجِيل، يقال فيه : رُجِيلُونَ . الرابع : لم يشترط الكوفيون الشرط
الأخير، مستدلّين بقوله^(٣) :

مِثْلَ الَّذِي هُوَ مَا إِنْ طَرَّ شَارِبُهُ وَالْعَانِسُونَ وَمِمَّا الْمُرْدُ وَالشَّيْبُ.
ف(عانس) من الصفات المشتركة التي لا تقبل التاء عند قصد التأنيث؛ لأنها تقع
للمذكر والمؤنث بلفظ واحد. ولا حجة لهم في البيت لشذوذه^(٤).
والنموذج الموالي يفيد أيضا جودة هذا التلخيص وحسنه. فعند قول ابن مالك :

١- من حديث قيس بن طلق، رواه أبو داود في سننه، تحقيق صدقي محمد جميل، ج ١، ص ٣٣٧، رقم (١٤٣٩). والترمذي
في سننه، تصحيح صدقي محمد جميل، ج ٢، ص ١٥، رقم (٤٦٩). والنسائي في سننه، ضبط صدقي جميل العطار، ج ٣،
ص ٢٨، رقم ١٦٧٥.

٢- ص ١ من المخطوط.

٣- من البسيط. وهو لأي قيس دثار بن رفاعة اليهودي. ينظر معني اللبيب، البيت رقم ٥٦٦، ص ٣٠٠. وطرة ابن بونا،
مع تقريبها، ج ١، ص ٣٠.

٤- ص ١ من المخطوط.

... في كُتُّهُ الخُلفُ انْتَمَى

كَذَاكَ خِلْتَنِيهِ وَاتَّصَالًا أختارُ غيرِي اختارَ الانفصالًا.

يقول : «وفي هاء (كتته) وبابه الخلف الآتي ذكره.. وكذلك في هاء (خِلْتَنِيهِ) وما أشبهه من كل ثاني ضميرين، أولهما أخصّ، وغير مرفوع، والعامل فيها ناسخ الابتداء، و(الانفصال) أختار في البابين؛ لأنّه الأصل. ومن الاتصال في باب (كان) قوله عليه السلام : (إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِ ، وَإِلَّا يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ) ^(١). وقول الشاعر ^(٢) :
فَإِنْ لَا تَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ أَخُوها غَدَّتْهُ أُمُّهُ بِلَبَانِها.
وأما الاتصال في باب (خال) فلمشابهة خِلْتَنِيهِ وظننتكه لأعطيتكه، وهو ظاهر، ومنه قوله ^(٣) :

بُلِّغْتُ صُنْعَ امْرِئٍ بَرٍّ إِخَالَكُهُ إِذْ لَمْ تَزَلْ لِاِكْتِسَابِ الْحَمْدِ مُبْتَدِرًا.

وأما (غيري) : سبويه والأكثر فإنّه اختار الانفصال فيها؛ لأنّ الضمير في البابين خبر في الأصل، وحقّ الخبر الانفصال، وكلاهما مسموع... وما اختار الناظم هنا هو مختار الرُّمّاني وابن الطَّراوة ^(٤).

قد اختصرت التلخيص اختصاراً، خشية الإطالة، غير أنّ ما تمّ نقله يفيد بجلاء نضجه، وجودته، وتميّزه.

٣٠- محمد عالي بن سيدي بن سعيد معي الألفغي الديباني (ت ١٣١٠هـ)، عالم كبير، شيخ محظرة نحوية، من تلاميذ عبد الودود بن عبد الله بن انجُبَنان (ت ١٢٦٨هـ)، وابن عمّه. الذي كان معجباً به، حيث يقول في مقدّمة تنبيهه الآتي : «إنّ الخبر الذي ليس في منقوله غمز، والبحر الذي ليس في منقوده كَمَز» ^(٥).

كما كان الشيخ عبد الودود يشعر بنبوغ التلميذ وذكائه، ممّا جعله يهتمّ بتوجيه

١- أخرجه الخمسة إلّا النسائي عن ابن عمر.

٢- من الطويل، لأبي الأسود الدُّؤلي. ينظر في طرّة ابن بونا، مع تقريبها، ج ١، ص ٦٣.

٣- من البسيط، ولم أقف على قائله. وقد ورد ذكره في منحة الجليل بشرح ابن عقيل، ص ٥٤، وطرّة ابن بونا بالتقريب، ج ١، ص ٦٤.

٤- ص ٨، من المخطوط.

٥- مقدّمة تنبيه الصغار الآتي.

الأحاجي والألغاز إليه، وهي شهادة علمية، وتركية مهمة من أستاذ لتلميذه. من ذلك مثلاً قوله ^(١) :

قل للذي كان بالتصريف مشتغلاً لم يخلُ من درسه يوماً وتكرارِ
ما وزُنْ نكتلُ وآرامِ وأثْفِيَّةِ وأثْنُقِ وعَرِيبِ ثمَّ دَيَّارِ ^(٢).
ويقول فيه أحد تلاميذه، مشيداً بمكانته العلمية، المتميزة ^(٣) :

لِ(مَعِي) الهمامِ اللُّوذَعِي الأَلْمَعِي سِرٌّ واجْمَعَنَّ علومُهُ في جَمْعِ
لا تَطْمَحَنَّ عَيْنَاكَ لغيرِهِ وأنْسِ بكلِّ حديثِهِ وتَسْمَعِ
وكنِ الوعاءَ لما يفوهُ (مَعِي) بِهِ لا تَفْلُتَنَّ كلمةً من في مَعِي.
والشيخ مَعِي مَن جمعوا من الشناقة بين التدريس والتأليف، فمن أبرز تأليفه النحوية:
أ- المنيّة على (عَبِيد رَبِّهِ) ^(٤).

ب- تنبيه الصغار على الاحمرار لابن بونا ^(٥). هو أهمّ تأليفه، وضعه شرحاً لجامع

١- تاريخ النحو العربي، ص ٥٠٧.

٢- نَكْتَلُ : من قوله تعالى (فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكَتَلُ ... ٦٣، يوسف)، وزنها : نَفْتَعِلُ. بكسر العين؛ لأنّه من الكيل، أصله : نَكْتَلِيل، فقلبت الياء ألفاً لتحركها، وافتتاح ما قبلها، ثمّ حذفت الألف لوقوعها قبل سكون اللام بعد الجزم، فصارت نَكْتَلُ. وقد غلط ابن السكّيت في وزنه، عندما سأله أبو عثمان المازني، بحضرة المتوكّل. و(آرَام) : وزنها : أَعْفَال؛ لأنّها مقلوب أَرَام، وهي جمع رُثْم، بالكسر، أي الخالص من الطباء، أو ولد الظني. و(أَثْفِيَّة) : وزنها : أَفْعُولَة، أو فُعْلُوِيَّة. في لسان العرب : «يُقَالُ : أَثْفَيْتُ الْقَدْرَ، أَي جَعَلْتُهَا الْإِثْنَانِي، وَثَفَيْتُهَا إِذَا وَضَعْتُهَا عَلَيْهَا.. قَالَ الزَّخْشَرِيُّ : الْأَثْفِيَّةُ وَجْهَان، تَكُونُ فُعْلُوِيَّةً وَأَفْعُولَةً. تَقُولُ : أَثْفَيْتُ الْقَدْرَ وَثَفَيْتُهَا، وَتَأَثَّفْتُ الْقَدْرَ». و(أَيْثُق) : وزنها أَيْفُل، وقيل : أَعْفُل. قال ابن جني : ذهب سيبويه في قولهم : أَيْنُق مذهبين، أحدهما أن تكون عين أَيْنُق قلبت إلى ما قبل الفاء في التقدير، فصارت أُونُق، والآخر أن تكون العين حذفت، ثمّ عُوْضت الياء منها قبل الفاء، فمثالها على هذا القول أَيْفُل، وعلى القول الأول أَعْفُل. وهي جمع ناقة. و(عَرِيب) : وزنه : فعيل. ولا يستعمل إلّا في النفي. و(دَيَّار) : وزنه : فَيَعَال؛ لأنّه من دار يدور. وأصله دَيَّوَار، حيث وقعت الواو بعد ياء ساكنة، قبلها فتحة، فقلبت ياء، وأدغمت. ولا تستعمل إلّا في النفي وشبهه. تاج العروس، لسان العرب، موادّ : (نوق، أثف، رأم، كيل، عرب، دور).

٣- تاريخ النحو العربي، مصدر سابق، ص ٥٠٧. لم أقف على اسم قائل هذه الأبيات.

٤- يوجد على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٨١١.

٥- تحقيق امبريكة بنت محمد محمود، للحصول على الإجازة من جامعة انواكشوط سنة ١٩٩١م. مودّع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٠٢٤١. وحقّقت منه أبواب عديدة في رسائل تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. مثلاً قام أحمد بن محمّد عبد الله بتحقيق بابي الحال والتمييز، في رسالة تخرّج من المعهد نفسه. السنة الدراسية ١٩٩٣/١٩٩٤م. مودّع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه تحت رقم ٥٩٠.

المختار بن بونا، تحدّث في مقدّمته عن بصريّته في المذهب، ذاكرًا قدامى النّحاة الذين اعتمد عليهم في شرحه، من أمثال ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، وابن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، والشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، والمكودي (ت ٨٠٧هـ)، وابن الدماميني (ت ٨٢٧هـ)، والأشموني (ت ٩٠٠هـ)، وخالد الأزهري (ت ٩٠٥هـ)، والسيوطي (ت ٩١١هـ)، والصّبّان (ت ١٢٠٦هـ)، والخضري، مكثرا فيه من عرض الأمثلة والآراء والمذاهب النحوية، والاستدلال بالقرآن الكريم، والحديث، وأساليب العرب، من شعر ونثر، وأمثلة للنّحاة. وفيما يلي عرض نماذج من هذا الشرح للتدليل بها على ما ذكر.

- قال المختار بن بونا في طرّته عند حديثه عن الحال : «وتذكر وتؤنّث لفظا ومعنى...»^(١). فقال (معي)، معلقا، مقتصرًا على الأشرطة الأوّل من شواهد ابن بونا الشعرية : «قال الشاعر: (على حالةٍ لو أنّ بالقوم حاتمًا ...^(٢). قال : إذا أعجبتك الدهر حالٌ من امرئ ...^(٣). وقال : فما تدوم على حالٍ تكون بها ...^(٤)). قال ابن هشام^(٥): والحال تذكر وتؤنّث، كما في هذا البيت، وهو فضلة، دالة على هيئته صاحبها، نحو جاء زيد ضاحكًا، ف(ضاحكا) فضلة دالة على الهيئته التي جاء عليها زيد. وخرج بالفضلة العمدة، نحو زيد ضاحك، وبدالة على هيئته الصاحب، سائر المنصوبات، إلّا المصدر النوعي، وبصاحبها، رجع القهقري، فإنّه يدلّ على هيئته الرجوع، لا على هيئته الصاحب، ولا يقدح في جعله فضلة عدم الاستغناء عنه في بعض المواضع؛ لأنّه عارض، كما لا يقدح في العمدة عروض الاستغناء عنها...»^(٦).

١- تقريب الطّرة، ج ١، ص ٣٣٦.

٢- تمامه : (على جوده لَصْنٌ بالاءٍ حاتمٌ). وهو من البحر الطويل، للفرزدق. يراجع تقريب الطّرة، ج ١، ص ٣٣٦. عن ديوان المتنبي، ص ٦٠٣.

٣- تمامه : (فَدَعُهُ وواكِلُ أَمْرُهُ وَاللِّبَالِيَا). وهو من البحر الطويل، لم يعرف قائله. يراجع تقريب الطّرة، ج ١، ص ٣١٩.

٤- تمامه : (كَمَا تَلَوْنُ فِي أَثَوَابِهَا الْغَوْلُ). وهو من البحر البسيط، لكعب بن زهير، من قصيدته المشهورة، التي مطلعها : بانث سعادٌ فقلبي اليوم مَبْنُوعٌ مُنْجِيٌّ إِنْهَا لَمْ يُفَدَّ مَكْبُوعٌ. يراجع المصدر نفسه، ص ٣٣٧.

٥- ابن هشام الأنصاري، ت ٧٦١هـ. يراجع توضيحه على ألفية ابن مالك، ج ٢، ص ٢٩٣. وشرحه على قطر الندى وبلّ الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص ٣٢٧.

٦- تحقيق باي الحال والتمييز من التنبيه، ص ١٤، فما بعدها.

- الشيخ مَعِي كثيرا ما يعرض المذاهب والآراء دون الاعتناء بمناقشتها، أو الترجيح بينها، غير أنه يستعرضها بأمانة، ناسباً إياها لأصحابها. من ذلك مثلاً قوله في مبحث دلالات الحال : «ودلالته على ترتيب، نحو : ادخلوا رجلاً رجلاً. وفي نصب الثاني من المكرّر خلاف، قال أبو حيان^(١) : الذي اختاره أن كليهما منصوب بالعامل السابق؛ لأن مجموعهما هو الحال، لا أحدهما. وقال لو ذهب ذاهب إلى أن النصب بالعطف على تقدير حرف الفاء، أي رجلاً فرجلاً، ونحو ذلك لكان وجهها حسناً عارياً عن التكلف، قال في الجمع^(٢) : وهو المختار عندي لظهورها في بعض التراكيب، كحديث (لَتَبْعَنَّ سَنَنْ مَنْ قَبْلَكُمْ بَاعاً فَبَاعاً^(٣)). وذهب ابن جنّي^(٤) إلى أنه في مواضع الصفة للأول، وتقديره (باعاً ذاباع)، وقال الزجاج^(٥) : الثاني تأكيد للأول؛ لأن التكرار للتأكيد ثابت في كلامهم^(٦).

وهكذا يسير على هذه الوتيرة من الإكثار من عرض الأمثلة والاستقصاء والتسّع، في أسلوب سهل، مناسب.

٣١- الحسن بن زين بن سيدي أسليمان القناني (ت ١٣١٥هـ)، العالم النحوي، اللغوي الكبير، شيخ الصرّيين الشناقطة، تخرّج على يد الشيخ عبد الودود بن انجُبَنان الألفغي (ت ١٢٦٨هـ)، كما تخرّج على يديه هو النحويُّ الكبيرُ يحظيه بن عبد الودود (ت ١٣٥٨هـ). وهو نظام، حادّ الذهن، بعيد الغور^(٧)، وشيخ محظرة على مدى أربعين سنة. وقد اعتنى بعلم الصرف حتّى بلغ فيه مبلغاً بعيداً. وسبب ذلك : «أنّه خرج في رفقة عام جذب، يريدون الميرة، فنزلوا على قرية من القرى، فسألهم أهلها : هل هم من طلاب العلم؟ فقالوا : نعم، فقالوا : أي علم تدرسون؟

١- أبو حيان النحوي الأندلسي، صاحب تفسير البحر المحيط. ت ٧٤٥هـ.

٢- أي جمع الجوامع في النحو، للسيوطي.

٣- أخرجه الحاكم في المستدرک، من رواية أبي هريرة : (باعا فباعا، وذراعا فذراعا، وشبرا بشبرا). وهو على شرط مسلم. يراجع مستدرک الحاكم. ج ١، ص ٣٧.

٤- عثمان بن جنّي، ت ٣٩٢هـ.

٥- أبو إسحاق الزجاج، ت ٣١١هـ.

٦- تحقيق بابي الحال والتميز، ص ١٦.

٧- الوسيط، ص ٣٧٨.

فذكروا أنهم كانوا يدرسون الألفية، فلم يمتحنوهم في النحو؛ لأنه من العلوم السهلة، وإنما سألوهم سؤالاً في التصريف، فسألهم شخص عن وزن (ازعوى) فلم يعرفوه، فرفع الحسن من وقته ذلك، وتخصّص في دراسة التصريف، ثم ألف طرّته، فلما بلغ في نظمه قوله :

عن الأحم والألمى نحّ بُنية ذا والعيب واللون معناه به انعزلا
وعن مداه ازعوى كاحوَّ خارجة وارقدّ وارورّ عن معناته انفصلا.

يقال : إنه انطفأت الجمرة التي كانت في قلبه من امتحان أولئك القوم؛ لأنه أجاب سؤالهم^(١).

وله من التآليف التّحوية^(٢) :

أ- الجمع واسمه^(٣).

ب- نظم اسم الجنس واسم الجمع^(٤).

ج - تعليق على نظم المعاني السبعة^(٥).

د - احمرار (لامية الأفعال لابن مالك). وهو عبارة عن نظم جمعه من كتب التصريف، ومعاجم اللّغة، خلّل به اللّامية، مُستدرّكاً به على عمل ابن مالك فيها، مميّزاً بالحمرة عن أبيات متن اللّامية، متممّاً به ما أهمله مؤلّفها من «معاني الأوزان.. فأدمج كلّ قاعدة، أو معنى في مكانه الأصليّ من اللّامية، فتحدّث فيها عن مستثنيات الأفعال المجردة والمزيدة، ومعانيها، واسم المصدر غير الميميّ، ثمّ المثلث من المفعّل، والمضموم منه، ثمّ الباقي من صيغ آلة العمل، ثمّ خاتمة النظم. وقد بلغت أبياته (واحداً وسبعين ٧١ بيتاً) على نسق اللّامية بحراً وروياً^(٦).

١ - تحقيق الأستاذ عبد الحميد الأنصاري لطّرة الحسن بن زين، ج ١، ص ١٠٩.

٢ - الوسيط، ص ٣٧٧، وحياة موريتانيا، ص ٦٨.

٣ - يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٣٣٩٥.

٤ - يوجد بخطوطا بمكتبة أهل محمد سالم بن المحبوب بانواكشوط تحت رقم ٣٠٣.

٥ - يوجد بخطوطا بمكتبة أهل محمد سالم بن المحبوب بانواكشوط تحت رقم ٣٠٥.

٦ - تحقيق الأستاذ عبد الحميد الأنصاري لطّرة الحسن بن زين، ج ١، ص ١١٠، فما بعدها.

وقد استدرك الحضرمي في فتح الأقفال^(١) على ابن مالك شواذ مضارع (فعل) بكسر العين، و(فعل) بفتح العين، فنظمها في ثمانية أبيات، مُخللاً بها أبيات ابن مالك، فقام الحسن بن زين بدمجها في عمله على اللامية في موضعها^(٢)، كما أضاف الحاج بن الحسن بن زين، المعروف بـ(حَيّ) «بيتين في صياغة المفعول من غير الثلاثي»، فأصبحت أبيات اللامية، مع زياداتها (خمس وتسعين ومائة بيت ١٩٥)، لابن مالك منها (أربعة عشر ومائة بيت ١١٤)، وللحضرمي (ثمانية ٨ أبيات)، وللحسن بن زين (واحد وسبعون ٧١ بيتاً)، ولـحَيّ بن الحسن (بيتان)^(٣).

ومن ضمن احمرار بن زين رحمه الله زيادة فصل مستقل على مثنى اللامية، في اسم المصدر غير الميمي، يتكوّن من ثمانية أبيات، جامعاً إيّاه من كتب اللغة والتحو^(٤).

هـ- توشيح (لامية الأفعال لابن مالك)، المعروف، بـ(الطُرّة^(٥)). وهي عبارة عن حاشية موجزة، مركّزة، يرمي منها ابن زين إلى توضيح غوامض لامية الأفعال، واحمراره هو عليها، وما استغلق منها. وهو نمط من الشروح ذائع وشائع في المحظرة الشنقيطية، سبق حديث عنه مفصّل عند الكلام عن طُرّة المختار بن بونا على الألفية، في الترجمة رقم ١، من هذا الطور.

تحدّث الأستاذ عبد الحميد الأنصاري، محقّق طُرّة الحسن بن زين بدقّة وتفصيل عن المصادر التي استقى منها بن زين مادّة عمله على لامية الأفعال، فذكر أنّه لم يصرّح بمراجعته^(٦)، سوى كتاب (تحفة الأطفال بحلّ عقد لامية الأفعال^(٧)) للشيخ سيديا

١- فتح الأقفال وحلّ الإشكال بشرح لامية الأفعال، المشهور بالشرح الكبير، للجمال الدين محمّد بن عمر الحضرمي، المعروف بـ(بَحْرَق)، ص ٣٢، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٧.

٢- طُرّة الحسن بن زين على اللامية، بتحقيق الأستاذ عبد الحميد الأنصاري، مصدر سابق، ج ١، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٤٣، ٢٧٢، ٢٥٨.

٣- المصدر نفسه، ص ٤٨٦.

٤- المصدر نفسه، ص ٤٥٧.

٥- المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٠.

٦- المصدر نفسه، ص ١١٢، فمّا بعدها.

٧- ورد ذكره في حياة موريتانيا، ص ٦٧، والمناصرة والرباط، ص ٥٦٣. توجد منه نسخ بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ١١٥٣، ٢٥٣٠، ومركز أحمد بابا بتمبكتو تحت رقمي ١١٣٦، ٣٠٥٨. وقد حُقّق بالمدرسة العليا للأساتذة ٨٣/ ١٩٨٤ م.

الكبير (ت ١٢٨٤ هـ)، حيث يقول في ختام نظمه :

فِيهِ افْتَفَيْتُ أَبَا الْأَنْوَارِ سَيِّدَنَا سَيِّدِي قُطِبَ الرَّحَا بَدْرُ الدُّجَى الْمَثَلَا.

ورأى محققاً أنّ جلّ عمله في الاحمرار والطُّرّة مأخوذ حرفياً من شرح (فتح الأقفال) للحضرمي على لامية الأفعال، مصوغ بأسلوب موجز، مركّز. هذا إجمالاً، أمّا تفصيلاً فقد قسم الأستاذ عبد الحميد مصادر بن زين في عمله على اللامية، من حيث طريقة الأخذ إلى قسمين :

الأوّل : اطلع عليه، ونقل منه مباشرة، وهو :

- فتح الأقفال للحضرمي على اللامية، إذ نقل منه جلّ عمله على اللامية « نظماً وشرحاً، تكميلاً وتوضيحاً، ولم يخرج عنه حتّى في نطاق الأمثلة، فأكثر من (تسعة وتسعين (في) المائة) من أمثله منقولة عنه... وبالجملّة لم يأت بشيء خارج فتح الأقفال، غير الشواهد الشعرية، التي أفادها من بعض معاجم اللغة، ودواوين الشعر الجاهلي، مع أنّه لم يصرّح بالنقل عنه إلّا في أحد عشر موضعاً»^(٨).

- القاموس المحيط للفيروز آبادي، أفاد منه فيما يزيد على ثلاثة وعشرين موضعاً، نقل بعضها مباشرة عنه بدون واسطة.

- شرح الدماميني على تسهيل ابن مالك نقل عنه في موضعين اثنين.

- المصباح المنير للفيومي نقل عنه في موضعين اثنين.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، نقل عنه في موضع واحد.

القسم الثاني: أفاد منه بواسطة الحضرمي، إذ هو موجود حرفياً في فتح الأقفال له، وهو:

- القاموس المحيط للفيروز آبادي، حيث نقل عنه فيما يزيد عن ثلاثة وعشرين موضعاً، جلّها من طريق الحضرمي في فتح الأقفال.

- شرح التسهيل لابن مالك، فنقله عنه من طريق فتح الأقفال، وذلك في خمسة مواضع.

٨- تحقيق عبد الحميد الأنصاري طُرّة الحسن ولد زين، ج ١، ص ١١٢-١١٤.

- شرح بدر الدين ابن الناظم على لامية الأفعال، أفاد منه في أكثر من خمسة مواضع، عن طريق فتح الأقفال.

- الصحاح للجوهري، أفاد منه في أربعة مواضع، عن طريق فتح الأقفال.

- ألفية ابن مالك، نقل عنها في موضع واحد، عن طريق فتح الأقفال^(١).

ونبه الأستاذ عبد الحميد الأنصاري على اهتمام ابن زين بشرح ما ورد في لامية الأفعال من غريب اللغة المهجورة، الواردة في الألفاظ والأوزان، غير المستعملة اليوم، فعمل على شرحها، وضبط مبانيها. من هذا الغريب مثلاً قول ابن مالك :

زَهْرَقْتُ هَلَقَمْتُ رَهْمَسْتُ أَكْـوَأَلَّ تَرَهْشَفْتُ أَجْفَأْتُ اسْلَهَمْتُ قَطَرْنَ الْجَمَلَا.

كما قام بإحصاء دقيق لشواهد بن زين في الطُّرَّة، فنَّبه على أنَّها متنوِّعة، وزادت الشعرية منها على (مائة وعشرين شاهداً)، (أربعة منها تقريباً مأخوذة من الحصري على اللامية، والباقي من جمعه)، وبلغت شواهد من القرآن الكريم

(مائة وثمانية شواهد)، كما استشهد بالقراءات الشاذة، وكان ينبّه على شذوذها، ومن الحديث الشريف (أحد عشر شاهداً)، ومن آثار الصحابة والتابعين (سبعة آثار)، ومن أمثال العرب كذلك أيضاً (سبعة شواهد)، ويقول فقهي واحد^(٢).

وهذان العَمَلان (الاحمرار والطُّرَّة) من أجل نشاط ابن زين العلمي، وعمدة فكره في المجال الصرفي، عملهما من أجل خدمة (لامية الأفعال) لابن مالك. وهما أهم مقررات مادة التصريف على الإطلاق في المحظرة الشنقيطية، بل بقياً دون منافس منذ تأليفهما. وعمل ابن زين هذا على اللامية ما يزال بحاجة ماسة إلى من يحقق شروحه المخطوطة بالمكتبات الشنقيطية؛ وذلك لما يتَّسم به هذا العمل من الصعوبة والاستغلاق على أفهام الدارسين، بسبب أسلوب الطُّرَّة الموجز، المركز. وللتدليل على ذلك نورد النموذج الآتي، الممزوج من الاحمرار والطُّرَّة :

بعد قول ابن مالك في اللامية :

بِفَعْلَلِ الْفَعْلُ ذُو التَّجْرِيدِ أَوْ فَعْلَا يَآي وَمَكْسُورَ عَيْنٍ أَوْ عَلَى فَعْلَا.

١- المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٣، ١١٤.

٢- المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٠، فما بعدها.

تَضْعِيفُ ثَانٍ أَوْ أَنَّ الْيَاءَ آخِرُهُ أَوْ عَيْنُهُ كَالْوُقُوعِ فَلَمَّا نَقَلَا.

تضعيف ثان، قلما نُقِلَ عن العرب، كَلَبِيتَ لَبَابَةً، بالفتح، لانظير له، فأنت لَبِيب ومَلْبُوب : ذو لُبٍّ، وجاء كَفَرِح. وَدُمْتُ دِمَامَةً فأنت دَمِيم، أي حقير، ويثَلَّث مفتوحه، كَصَدَّ. وَفَكَّكَتْ فَكَّةً : حَمَقْتُ، وَضَبَبْتُ الْأَرْضُ. وَعَزَزَتِ النَّاقَةُ : ضَاقَ إِحْلِيلُهَا، كَأَعَزَّتْ فِيهِ عَزْوَزٌ، وَمُعِزٌّ. أَوْ أَنَّ الْيَاءَ آخِرَهُ مُتَصَرِّفًا، لَا كَرَمَوْ فِي التَّعَجُّبِ، كَنَهَوْ بِالْإِعْلَالِ، لِأَصَالَةِ اللَّامِ فِيهِ، فَهُوَ نَهْيٌ، جَمْعُهُ أَنْهَاءٌ، أَوْ نَهٍ، بِالْفَتْحِ، وَبِالْكَسْرِ، لِلِإِتْبَاعِ، جَمْعُهُ نَهَوْنٌ : كَامِلُ التُّهْيَةِ. أَوْ عَيْنُهُ كَهَيْئُوً بِالتَّصْحِيحِ، تَبْيَهُاً عَلَى الْأَصْلِ : حَسُنْتَ هَيْئَتُهُ، ق : وَيَثَلَّثَ. لَا فَاؤُهُ، كَيَمُنَ يُمْنًا، فَهُوَ أَيْمَنُ، وَكَعْنِي، فَهُوَ مَيْمُونٌ. وَلَا الْوَاوُ مُطْلَقًا، كَوَضُّوْ، وَطَالُ، وَسَرُّوْ، ق : وَيَثَلَّثَ : شَرُّفَ. كَالْوُقُوعِ، أَيْ وَقُوعِهِ، أَيْ تَعَدِّيهِ، بِتَضْمِينِ، ك(رَحَّبَكُمُ الدُّخُولَ فِي طَاعَةِ الْكَرْمَانِي^(١))، وَ(إِنْ بُشِّرَ أَقْدَ طُلُعَ الْيَمْنِ^(٢))، أَيْ وَسِعَكُمُ، وَبَلَغَهُ. وَهُوَ مِنَ الْمَعَانِي كَمَا تُرْشَدُ إِلَيْهِ الْكَافُ^(٣).

وهكذا يسير على هذه الوتيرة، من الاقتضاب والإيجاز، رحمه الله. ممَّا جعل فهم الطُّرَّة مستعصيا على طلاب العلم، والدارسين، وحتى على كثير من المتخصصين، وهو ما أدَّى بالعلماء الشناقطة إلى الإكثار من التعليقات والشروح عليها.

٣٢- الشيخ محمد تقي الله بن الشيخ ماء العينين (ت ١٣٢٠هـ)، له في النَّحْوِ^(٤) :

- تبين ما يعنون من الألفية وابن بون^(٥). وهو شرح لألفية ابن مالك، واحمرار ابن بونا الممزوج بها. وهو شرح قيِّم، يصفه الدكتور محمد المختار بن أباه، مشيداً بقيمته العلمية، قائلاً : «والكتاب بديع في صنيعة، جامع بين بيان المشكل وتوضيح الغامض،

١- كلام قاله نصر بن سَيَّار لأتباع الكرمانى من البيانية، حين وقع بينها وبين التُّزَارِيَّة اختلاف بخراسان سنة ١٢٦هـ، وأظهر الكرمانى الخلاف لنصر بن سَيَّار.. وقتل نصر بن سَيَّار الكرمانى سنة ١٢٩هـ، وصلبه. يراجع لسان العرب، والقاموس المحيط، مادة (رحب).

٢- هذا من أثر مروى عن عليّ كَرَمَ الله وجهه، قاله حين أرسل معاوية بُسْرَ بن أَرْطاة إلى اليمن لقتال شيعة علي، فقال: «نُبِّئْتُ أَنَّ بُشْرًا قَدْ طُلِعَ الْيَمْنَ». يراجع البداية والنهاية، ابن كثير أبو الفداء الحافظ الدمشقي، ج ٤، ص ٣٣٤. طُلُعَ بِالضَّمِّ فِي هَذَا الْأَثَرِ ذَكَرَهَا بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ، مِنْهُمْ الْحَسَنُ بْنُ زَيْنٍ، أَمَّا الْمَاجِمُ الْعَرَبِيَّةُ فَتَذَكَّرَهَا بِالْفَتْحِ (طُلُعَ). يراجع اللِّسَان، مادة (طلع).

٣- طُرَّةُ الْحَسَنِ بْنِ زَيْنٍ، بِتَحْقِيقِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْأَنْصَارِيِّ، مُصَدَّرٌ سَابِقٌ، ج ١، ص ١٥٠ - ١٦٠.

٤- حياة مورتانيا، ص ٦٧، والمناورة والرباط، ص ٥٦٩، وتاريخ النحو، ص ٥٤٠.

٥- مخطوط، تحت رقم ١١٤، بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط / بوحديدة.

واستعراض أقوال الأئمة، وشرح الشواهد، وإيراد المناسبة التي قيلت فيها، فكان كتاب نحو ولغة وأدب»^(١).

وفيما يلي أورد جزءاً من نموذج، من مبحث (كي) الناصبة للمضارع، لنقف منه على قيمة هذا الشرح، وسمات منهج الشارح فيه. يقول الشيخ محمد تقّي الله :

وأما (كي) فيشترط في نصبها للمضارع أن تكون مصدرية، كما في الآية السابقة، وهي (لِكَيْلَا تَأْسَوْا ... ٢٣، الحديد)، فإنّ (كي) فيها مصدرية، وهي الناصبة للفعل بعدها بنفسها، فإن لم تكن مصدرية، بأن كانت جارة، وهي التي بمنزلة لام التعليل معنى وعملاً، فليس النصب بها نفسها، بل هو ب(أن) مضمرة بعدها غالباً، نحو جئت كي أتعلّم، ف(كي) حرف، و(أتعلّم) منصوب ب(أن) محذوفة، أي لأنّ أتعلّم، ومن غير الغالب قوله^(٢) :

فَقَالَتْ أَكُلُّ النَّاسِ أَصْبَحَتْ مَانِحاً لِسَانِكَ كَيْمَا أَنْ تَغَرَّ وَتَحْدَعَا.

الشاهد في (كَيْمَا أَنْ تَغَرَّ) حيث أظهرت (أن) الناصبة بعد كي الجارة، وهو قليل، ومنهم من جعله خاصاً بالضرورة، وقد مرّ الكلام على البيت في صدر حروف الجرّ. وتتعيّن كي الأولى، وهي المصدرية إذا وقعت بعد اللام على رأي سيويه والجمهور، نحو ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا...﴾ [الحديد : ٢٣]. لئلا يدخل الجارّ على الجارّ، ومطلقاً على رأي الكوفيّين، أي فإنّهم يرون أنّ (كي) ناصبة مطلقاً، تقدّمها اللام أم لا. ورُدّ بقولهم : إذا سألوها عن علّة الشيء : كَيْمَه، بحذف ألف (ما) الاستفهامية، وإلحاق هاء السكت، وألفها لا يحذف إلا إذا جُرّت... إلخ^(٣).

ما تمّ نقله حوالي ربع مبحث (كي)، إذ هو مبحث طويل جدّاً، ونقلت هذا الجزء منه على طوله لنقف منه على بعض من ملامح هذا الشرح الممتاز، إذ الشارح رحمه الله أطلق العنان لقلمه في المناقشة والتحليل، والاستقصاء والتتبّع، مركّزاً على دراسة الشواهد الشعرية، فيذكر البحر، والمناسبة، التي قيلت فيها، ومَن القائل، إن أمكن، والإعراب، ناسباً الأقوال والآراء إلى أصحابها، ممّا يوحي بأمانة علمية ليست باليسيرة، في كتاب فذّ

١- تاريخ النحو العربي، ص ٥١٠.

٢- من بحر الطويل، وهو جميل. يراجع في مغني اللبيب، الشاهد رقم ٣٣٣. عن ديوان الشاعر، ص ١٢٥.

٣- مخطوطة : (تبيين ما يعنون من الألفية وابن بون)، ص ٢٢٥.

فيما يبدو، مكتوب بأسلوب سلس، رفيع. لذلك أصاب الدكتور محمد المختار بن أباه عند ما قال: «لم يزل مع الأسف مخطوطا، مع أنّه جدير بالاهتمام، فعسى أن يُرسل إليه من يقوم بتحقيقه ونشره»^(١).

٣٣- محمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي (ت ١٣٢٣هـ)، فقيه كبير نظامه، من تلاميذ مَعِي، محمد عالي بن سيدي بن سعيد (ت ١٣١٠هـ)، والحسن بن زين (ت ١٣١٥هـ)^(٢). له من التأليف التَّحْوِيَّةُ^(٣) :

أ- طَّرَّة على الألفية.

ب- شرح نظم الأجرومية (عُبَيْد رَبِّهِ)^(٤).

ج - العين الثَّوَّة في مهمَّ لغات الطَّرَّة^(٥). ركَّز فيه المؤلِّف على شرح ما استغلق من لغات طَّرَّة ابن بونا على الخلاصة والاحمرار، خصوصا الربع الأخير منها. يقول في مقدِّمته: «أمَّا بعد فإنَّ طَّرَّة المختار بن بونا في النَّحو كادت على فرط اختصارها تحيط بما في جميع كتبه، طواها وقصارها، فلذلك نكص كلَّ غَوَاص عن خوض بحارها، وأحجم كلَّ جانٍ عن قطف ثمارها، وكان من أصعب ما اشتملت عليه من اللِّغة من باب التَّأْنِيث إلى آخرها... فلمَّا كانت هكذا جمعت تلك اللِّغة إلَّا نادرا»^(٦).

د- إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النَّحو من الأخبار والآثار. تأليف نادر النوع بالمحظرة الشنقيطية، حيث لم يهتم العلماء كثيرا بإفراد شواهد النَّحو من

١- تاريخ النَّحو العربي، ص ٥١٠،

٢- تاريخ النَّحو العربي، ص ٥٢١، ومحمد مولود ولد أحمد فال اليعقوبي، إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النَّحو من الأخبار والآثار، تحقيق عبد الله ولد خيَّار، ص ٢٥.

٣- الوسيط في تراجم أديب شنقيط، ص ٢٢٠، والمنازة والرِّباط، ص ٥٢٨، وتاريخ النَّحو العربي، ص ٥٤٢، ومقدِّمة تحقيق كتاب المؤلِّف (إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النَّحو من الأخبار والآثار)، ص ٢٣، فما بعدها.

٤- توجد منه نسختان، إحداها بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٥٩٥، وأخرى بمخطوطات المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية تحت رقم ١٣٦. وقد حقَّق في رسالة تخرُّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، مودَّع بمخطوطات المعهد تحت رقم ١٩.

٥- حقَّقَه محمَّد عبد الله بن محمَّد سالم في رسالة تخرُّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية (السنة الدراسية ١٩٩٨م/ ١٩٩٩م)، مودَّع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه تحت رقم ٢.

٦- المصدر نفسه، ص ٢٠.

الأحاديث الشريفة، والآثار بالتأليف، فقام محمد مولود بالتقاط هذه الشواهد، وجمعها من الكتب التَّحوية في أسلوب مقتضب، مركَّز في بعض الأحيان، على نَمَط الطَّرَر الشائعة في المحظرة الشنقيطية. وسيأتي في نهاية هذا المبحث ذكر تأليف آخر من هذا اللون لمحمد بن الغزالي الشقروي (ت ١٣٦٢هـ). وقد تحدَّث الشيخ محمد مولود عن سبب قيامه بهذا العمل، قائلاً :

«إِلَّا إِنِّي رَأَيْتُ إِقْبَالَ النَّاسِ عَلَى شَوَاهِدِ النَّحْوِ مِنَ الشَّعْرِ ضَبْطًا وَشَرْحًا، وَتَرْكَهُمْ غَيْرَهُ، فَشَقَّ عَلَيَّ ذَلِكَ التَّرَكُّ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، وَاعْتَرَّتْنِي لَهَا غَيْرَةٌ، فَهَمَمْتُ بِهِمَا، وَوَعَدْتُ بَعْضَ الْإِخْوَانِ بِذَلِكَ وَغَدًا... فَأَتَيْتُ بِمَا تيسَّرَ لِي فِي الْأَحَادِيثِ، وَجَرَّ الْكَلَامُ فِيهَا إِلَى الْكَلَامِ فِي الْآثَارِ، الَّتِي هِيَ كَلَامُ الصَّحَابَةِ، وَعَلَى غَيْرِهَا مِنَ النَّثْرِ. وَفِي ذَلِكَ فَائِدَتَانِ: تَمْيِيزُ الْحَدِيثِ، حَتَّى لَا يَبْقَى رَيْبٌ، فَرَبَّمَا حَسَبَ الطَّالِبِ غَيْرَ الْحَدِيثِ حَدِيثًا، أَوْ ظَنَّ الْحَدِيثَ غَيْرَهُ، وَرَبَّمَا تَرَدَّدَ فِي شَاهِدٍ، هَلْ قُرْآنٌ، أَوْ خَبَرٌ، أَوْ غَيْرُهُمَا، وَأَخَذَتْهُ حَيْرَةٌ. الثَّانِيَةُ: شَرْحُ مَا يَحْتَاجُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ»^(١).

وفيما يلي أورد نموذجًا، نتبيَّن منه سمات منهج المؤلِّف في كتابه، حيث يقول في باب الكلام :

أ- باب الكلام : (ما بين دَفْتِي المصحف)^(٢) إلخ. ذكره كتب النَّحْوِ. (أصدق كلمة قالها شاعر، كلمة لبيد : أَلَا كُلُّ شَيْءٍ. إلخ)^(٣). قال الصَّبَّانُ^(٤) : الظاهر من إيراد العلماء هذا الشطر أَنَّهُ الواقع في الحديث. قلت : ولم يذكر البخاري^(٥)، والترمذي^(٦) في الشمائل غيره. ويفيده قول عثمان^(٧) رضي الله عنه، لما سمع ما بعده : (كَذَبَ لَبِيدٌ، نَعِيمُ الْجَنَّةِ لَا يَزُولُ)، حَتَّى سَمِعَ قَوْلَهُ بَعْدَهُ : (نَعِيمُكَ فِي الدُّنْيَا غُرُورٌ، وَحَسْرَةٌ).

١- إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النحو من الأخبار والآثار، ص ٣١.

٢- هذا الأثر ينسب لعائشة رضي الله عنها، وهو بتامه (ما بين دَفْتِي المصحف كلام الله). ولم أقف عليه إلَّا في كتب النَّحْوِ. يراجع مثلاً تقريب الطَّرَّة، ج ١، ص ٥، وإنارة الأفكار والأبصار، ص ٣١.

٣- من بيت لبيد : (أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا يَحَالَةُ زَائِلٌ). يراجع في مختار الشعر الجاهلي، شرح وتحقيق مصطفى السَّقَّا، ج ٢، ص ٤٨٣.

٤- محمد بن علي الصَّبَّان، ت ٧٩٢هـ.

٥- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صاحب الصحيح، ت ٢٥٦هـ.

٦- محمد بن عيسى، صاحب السنن، ت ٢٧٩هـ.

٧- توفي رضي الله عنه سنة ٣٥هـ.

البيت، عرف أنّ قصده نعيم الدنيا، فقال : صدق. ورواية البخاري : أصدق، إلخ. والترمذي : إن أصدق، إلخ. (نَصَّرَ الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأذاها كما سمعها) ^(١). كذا رواه النووي في الأربعين، ورواه السيوطي في خصائصه : سمع مقالتي فبلّغها فوعاها، إلخ. والشعراني ^(٢) في يواقيته : رحم الله امرأً، إلخ.. ما روى النووي ^(٣)، والحديث رواه ابن ماجه ^(٤)، وغيره ... و(نَصَّرَ) بشدّ الضاد، وقد تخفّف، من النصارة، وهي الحُسن... إلخ» ^(٥)

هذا جزء قليل من نصّ طويل في المسألة، أكثر فيه المؤلّف من استعراض شواهد الأحاديث، والآثار، وتبيين ما فيها من اللّغات، مع ذكر المراجع والمصادر، محللاً، مناقشاً، وهو يكفي لإبراز سمات منهج المؤلّف في هذا التّأليف. حيث يلحظ أنّه :

- يبدأ بوضع عنوانات للأبواب التّحوية، ثمّ ذكر الشواهد، والتعليق عليها.
- غالباً ما يقتصر على جزء أو جملة من الشاهد، ويختم التعليق عليه أحياناً بإعراب بعض الكلمات، وشرح بعضها لغويّاً.

- عدم الاعتناء كثيراً بتنقيح الشواهد، ممّا أدّى إلى إيراد بعض الأحاديث الضعيفة دون التنبيه إلى ذلك، وعدم إسنادها أحياناً إلى مصادرها الحقيقية من كتب الحديث، والاكْتفاء بإسنادها إلى المصادر التّحوية. غير أنّ ذلك ربّما يعود إلى شُحّ مصادر الحديث بالبلاد آنذاك. وهو ما عبّر عنه المؤلّف نفسه بقوله : «والحديث شواهد يسيرة، وشروحه هنا نزيرة» ^(٦).

ب - المدرّسون الناهيون من طلبة ابن بونا، وتلاميذهم : غلب على أنشطتهم التّحوية التدريس، فتخرّج على أيديهم أجيال من العلماء المؤلّفين والمدرّسين، وعُرف بعضهم بغزارة الأنظمة الضابطة للمسائل النحوية، لتسهيل حفظها واستيعابها

١ - رواه الإمام أحمد والترمذي وابن حبان، عن ابن مسعود، في الجامع الصغير، ج ٢، ص ١٨٧.

٢ - عبد الوّهّاب بن أحمد الشعراني، صاحب البحر المورود وكشف الغمّة. ت ٩٧٤.

٣ - شيخ الإسلام الحافظ، محيي الدين أبو زكريّا يحيى بن شرف النووي. ت ٦٧٦هـ.

٤ - أبو عبد الله، صاحب السنن، ت ٣٧٣هـ.

٥ - إنارة الأفكار والأبصار، ص ٣٥ - ٣٩.

٦ - المصدر نفسه، ص ٣١.

على الدارسين. من أبرز هؤلاء :

٣٤- حرمة بن عبد الجليل العلوي (ت ١٢٤٣هـ)، من أقدم تلاميذ الشيخ ابن بونا (ت ١٢٢٠ أو ١٢٣٠هـ). يقول عنه صاحب فتح الشكور : « مهر في علم الكلام والنحو والمنطق، وله حفظ تام في الفقه والحديث والتفسير والحساب، وكان رحمه الله شاعرا مجيدا، أخذ عن المختار بن بونا الجكني، وهو من أول تلاميذه »^(١).

ويقول عنه صاحب الوسيط : « علامة عصره، وأعجوبة دهره، جد واجتهد حتى ظفر بمناه.. ويحكى عنه من الاجتهاد في طلب العلم، وتحمل المشاق والصبر شيء عجيب.. ومن أشهر مشايخه المختار بن بونا، وكان عليه اعتماد من كل طلبته، ولم يحمل عنه أحد من علمه ما حمل »^(٢).

ويذكر أنه ساعد شيخه ابن بونا في نظم احمراره من التسهيل، يقول أحمد بن الأمين الشنقيطي : « وكان يساعده في نظم التسهيل، حتى قيل إنه قال : لو أخذت ما يخصني لم يبق منه ما يسمى به »^(٣).

ومما يدل على أن اشتغاله كان منصبًا على التدريس قول ابن الأمين أيضاً : « وكان حرمة هذا رحمه الله من عجائب الدهر، ولما تزلّع من ابن بونا جلس لإفادة الناس، وضربت إليه أكباد الإبل، وانتفع به خلق كبير.. وكانت له اليد الطولى في جميع العلوم، أمّا النحو فاشتهر به بعد ابن بونا »^(٤).

وقد مرّ يوما برُبّع خالٍ، فعنّت له ذكريات طلب العلم فيه على شيخه ابن بونا، فقال^(٥) :

دِمْنُ دَعَتْكَ إِلَى الْقَرِيضِ فَإِنْ تُجِبْ	فَلِمَثْلِهَا يُهْدَى الْقَرِيضُ وَيُنْدَبُ
وَإِذَا سَكَتَ عَنِ الْجَوَابِ لِشَرَّةٍ	فَاضْتُ فَذَاكَ مِنَ الْإِجَابَةِ أَصُوبُ
أَمَّا النِّسِيبُ فَلَا يَسْوَغُكَ ذِكْرُهُ	عَصْرُ التَّعْلُمِ وَالْمَشَايخِ يَعْذُبُ

١- فتح الشكور، ص ١٧٠.

٢- الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، ص ٢٤.

٣- المصدر نفسه، ص ٢٥.

٤- المصدر والصفحة نفسها.

٥- المصدر والصفحة نفسها.

كُنَّا مَعَ الْبُونِيِّ فِي عِرْصَاتِهَا هَالَاتٍ بِدْرِ لَمْ يَشْبِهَا غَنَهِبُ
فِيهَا تَجَمَّعَ سِيَّوِيهِ وَيُوسُفُ وَالْكَاتِبِيُّ وَالْأَشْعَرِيُّ وَأَشْهَبُ
شَاقْتُكَ أَطْلَالَ بَلِينَ لَهُمْ وَمَا شَاقْتُكَ سُعْدَى إِذْ نَأْتُكَ وَزِينُ.

٣٥- ابن عَبدِ اللهِ بن عبد الله بن الأمين (ت ١٢٨٦هـ)، النحوي الكبير، «الشهير، الذي شاع ذكره وذاع، وانتشر في تلك الأصقاع»^(١). وقد أخذ عن بلاّ الشقراوي (ت ١٢٧٣هـ)، وأفاد من عبد الودود بن عبد الله (ت ١٢٦٨هـ)، وهو من العلماء الكبار المدرّسين، تخرّج على يديه «علماء تابعوا منهجه وتقاليده»^(٢). وترك العديد من الأنظمة الضابطة لكثير من المسائل النحوية. من ذلك مثلاً قوله في نوني التوكيد^(٣):

إِنْ تُسْنِدَ الْفَعْلَ لَوَاوٍ أَوْ لِيَا وَلَا تُمْنُهُ إِحْدَاهُمَا فَأَوَّلِيَا
كُلًّا مِنَ الْحَرْفَيْنِ حَرْفًا وَصِلَ بِالنُّونِ عَيْنَ الْفَعْلِ وَالْأَمْرِ جَلِي
أَمَّا لَدَى اتِّفَاقِ لَامٍ وَالضَّمِيرِ لَفْظًا فَلَا إِشْكَالَ وَالْأَمْرُ شَهِيرُ
وَعِنْدَ مَا يَخْتَلِفَانِ فَاتِ بِشَكْلَةٍ لِمُضْمَرٍ تَوَاتِ
كَارُؤْمَنٍ يَاقُومُ بِضَمِّ الْمِيمِ وَارْؤَمَنٍ يَاهِنْدُ بِكَسْرِ الْمِيمِ.
وغيرها كثير^(٤)، كما أنّ له أيضاً تعليقاً على ألفية ابن مالك^(٥).

٣٦- محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنقيطي (ت ١٣٢٢هـ)، علامة جليل، لغويّ نحويّ، أحد سفراء العلم الشناقطة الموسوعيين إلى المشرق، ومصر خصوصاً، إذ كان بها مدرّساً، مؤلفاً، التفّ حوله العلماء والدارسون ينهلون من علمه الغزير. وقد ذكر أحمد بن الأمين في الوسيط أنّه لازم إجدود (عبد الوهاب) بن أكتوشني بن السيّد العلوي (ت ١٢٨٩هـ)، وتخرّج على يديه قبل رحيله إلى المشرق^(٦). له من

١- المصدر نفسه، ص ٢٣٨.

٢- تاريخ النحوي العربي، ص ٤٩٤، ٤٩٥.

٣- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص ٢٣٨.

٤- تاريخ النحوي العربي، ص ٤٩٦. وحاشية الصبّان على الأشموني، ج ١، ص ١١٤.

٥- حياة مورتانيا الثقافية، ص ٦٤، وأنظمة الطّرة في الفوائد النحوية، ص ٢٧٧، والمناصرة والرباط، ص ٥٣٧.

٦- الوسيط، ص ٣٨١، والأعلام، ج ٧، ص ٨٩.

التأليف التَّحْوِيَّة :

أ- كشف الغطاء عن الاسم وأخويه^(١).

ب - تأليف في مسألة صرف (عُمَر). الذي قال به، وأثار به نقاشاً حاداً في القاهرة، إذ رآه جمع (عمرة)، وعليه فهو علم منقول، ولا داعي لمنعه من الصرف، وليس بمعدول عن عامر، حسب ما رأى التَّحْوِيَّون ودرجوا عليه منذ أيام سيبويه إلى يوم إثارة المسألة، ورأى أَنَّ التَّحْوِيَّين غلطوا في ذلك، وغَفَلوا عنه^(٢). وسيأتي حديث مفصّل عن هذه المسألة بعون الله في الفصل الثاني من هذا الباب، عند الكلام عن المناظرات التَّحْوِيَّة.

ج - رسالة نحوية، انتصر فيها لقول الإمام مالك في كتاب الأيمان والنذور بالموطأ: (وعليه هذِي بَدَنَةٍ أو بقرة أو شاة، إن لم يجد إلّا هي). وذلك لأنَّ السيّد أحمد البرزنجي بمصر كان يُلَحِّن الإمام مالكا في قوله: (إلّا هي)، إذ رأى ذلك لحناً. وقد ردّ التركيز الشنقيطيّ على البرزنجي ردّاً مطوّلاً، رأى فيه أن (يجد)، فعل لازم بمعنى (يستغني)، و(إلّا هي) مبتدأ، حُذِف خبره، وجواب الشرط محذوف أيضاً، وتقدير الكلام: فهي عليه، و(عليه) المتقدّم هو خبر (إلّا هي)^(٣).

٣٧- أحمد بن الأمين الشنقيطي (ت ١٣٣١هـ)، مؤلّف كتاب (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط)^(٤)، عالم جليل، أحد سفراء شنقيط في مراكز العلم بالشرق العربي، عالي الكعب في علوم العربية وآدابها، أخذ قبل رحيله إلى المشرق (سنة ١٣١٥هـ) عن العلامة محظيه بن عبد الودود (ت ١٣٥٨هـ)، وهو مدرّس متميّز، ومؤلّف كبير. أبرز ما ترك من التأليف التَّحْوِيَّة واللُّغوية^(٥) :

أ- شرح «ليس» في كلام العرب: لابن خالويه أبي عبد الله الحسين بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، طبع بالقاهرة سنة (١٣٢٧هـ).

١- يوجد بمخطوطات المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية تحت رقم ١٢٥.

٢- الوسيط، ص ٣٨٣.

٣- الوسيط، ص ٣٨٢.

٤- حياته في الأعلام، ج ١، ص ١٠١.

٥- ورد ذكر تأليفه التَّحْوِيَّة في الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ٣٨٣، والمنازة والرباط، ص ٢٧٢، وتاريخ النحو العربي، ص ٥٢.

ب - الدَّرَر في مَنْع (عُمَر). طبع في القاهرة سنة ١٣٢١. سيأتي حديث عنه مفصّل بعون الله في الفصل الثاني من هذا الباب، عند الكلام عن الماظرات التَّحوية.

ج - شرح المقصور والممدود لابن مالك (تصريف ولغة)^(١).

د - شرح على (هَمْعُ الهوامع شرح جَمْع الجوامع) لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)^(٢)، سَمَاه (الدَّرَر اللّوامع على هَمْع الهوامع شرح جَمْع الجوامع)، وهو عبارة عن إكمال شواهد هَمْع الهوامع، وشرّحها. يقول ابن الأمين في مقدّمته عن دواعي تأليفه إياه :

«إِنَّ الحافظ جلال الدّين السّيوطيّ خَدَم لغة العرب خِدمةً قَصَرَ عنها معاصروه، ولم يفتّه فيها سابقوه، وقد أَلَفَ فيها كُتُباً كثيرة، منها ما خَصَّ به أصولها، ومنها ما خَصَّ به فروعها، وقلّما ما غاصَّ في جُذّةٍ إلّا استخرج ما فيها من الدَّرَر، وإن فاتته نُكْتةٌ في كتابٍ فما ذاك إلّا لأنّه أدرجها في غيره من كُتبه. ومن أجمع ما أَلَفَ، وأنفع ما صَنَّفَ (هَمْعُ الهوامع على جَمْع الجوامع)، لولا بَترُهُ لشواهد، فإنّه كثيراً ما يأتي بشرط بيت، أو بكلمة أو كلمتين منه، وكان الشاهد فيما بقي، وإنّما فَعَلَ ذلك اتِّكالاً على الحفظ؛ لما يُعلم في أهل زمانه من سيلان الأذهان، والحرص على العلم، ولأنّه أَلَفَ كتابه هذا للعلماء، ولم يُؤَلِّفه لصغار الطّلبة، فندبني من حَرَكَته محبّته لنشر الكتب المفيدة إلى تذييله بما يُوَضِّح شواهد، وربّما أتيت ببحث اقتصره أو تركّه اعتماداً على ما مرَّ بيانه، مع نسبة الشّاهد إلى قائله»^(٣).

- شرح الإعلام بمثلث الكلام لابن مالك. عدد أبياته خمسة عشر وثمانمائة وألفاً بيت ٢٨١٥. وقد سَمِّي ب(المثلث المنظوم، والمثلث في اللّغة)^(٤).

٣٨- أحمد بن كدّاه الكميلي (ت ١٣٤٠هـ)، عالم كبير، مدرّس ماهر، من أبرز تلاميذ الشيخ يحظيه بن عبد الودود (ت ١٣٥٨هـ)، ترك كثيراً من الأنظمة التَّحوية،

١ - النحو الشنقيطي بين دروس التعمّق ومباحث التخصص، مجلّة المنهل، العدد ٥٤٨، ذي الحجة ١٤١٨هـ، ص ١٠٨.

٢ - مطبوع بتحقيق الدكتور عبد العال سالم مَكْرَم، في ستة مجلّدات، بمطبعة مؤسّسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، بيروت.

٣ - الدَّرَر اللّوامع، ج ١، ص ٦٩.

٤ - مقدّمة تحقيق الأستاذ عبد الحميد بن محمّد الأنصاري، لطرة الحسن ولد زين على لامية الأفعال لابن مالك، ج ١، ص ٥٨.

الضابطة للمسائل النحوية^(١). وأنظامه هذه تسمى (المحبوك)، عبارة عن (كُنَّاش) في النحو، عُرف ب(الكذاهية)، وهي مجموعة من الأنظام النحوية، جمعها من إنتاجه، وإنتاج بعض معاصريه، من أمثال : عبد الودود بن عبد الله بن أنجبتان الألفغي (ت ١٢٨٦هـ)، والحسن بن زين (ت ١٣١٤هـ)، ومحمد فال (ببها) بن محمد بن أحمد العاقل الديباني (ت ١٣٣٤هـ)^(٢).

ومجموعته النظامية كثيرة جداً^(٣)، أكتفي منها بالنموذج الآتي :

وَيُعْرِفُ الْأِسْمَ بَعْدَ مُضْمَرٍ	لَهُ كَ « مَا أَجْمَلَ أَمَّ مَعْمَرٍ »
كَذَا إِذَا أَبْدَلَ مِنْهُ اسْمٌ صَرِيحٌ	كَكَيْفَ أَنْتَ أَسْقِيْمٌ أَمْ صَحِيحٌ ؟
كَذَاكَ الْإِخْبَارُ بِهِ إِنْ بَاشَرَا	فَعَلَا كَكَيْفَ كَانَ سَيْرٌ مِّنْ سَرَى ؟
كَذَاكَ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ زَنْتُهُ	قَدْ وَافَقْتُ مَا ثَبَّتَ إِسْمِيَّتُهُ
كَذَاكَ إِنْ وَافَقَهُ فِي الْمَعْنَى	مِنْ غَيْرِ مَا مُعَارِضٍ قَدْ عَنَّا
فَقَدْ بِمَعْنَى حَسْبُ جَا وَشَكَانَا	كَمِثْلٍ سَكَرَانَ أَتَى وَزَانَا
وَعَكْسُ الْإِسْنَادِ وَوَضْعُ الْأَحْرِفِ	عَارِضُ بَذَيْنٍ وَآوَمَعُ وَمِنْ تَفْيِ ^(٤) .

٣٩- يحظيه بن عبد الودود بن أوبك الجكني (ت ١٣٥٨هـ). نحوي كبير، فقيه شهير، مدرّس متميّز، تخرّج على أيدي عدد من العلماء الأجلّاء، من أبرزهم المختار بن المُنَّا اليدالي (ت ١٣٠٨هـ)، والحسن بن زين القناني (ت ١٣١٥هـ)، وأحمد بن محمد بن محمد سالم المجلسي (ت ١٣٣٩هـ)، وغيرهم^(٥). وهو صاحب محظرة كبيرة، ذات عطاء عريض، ومجد تليد، تأسست سنة ١٢٨٧هـ، تقريبا، فتقاطر عليها طلاب العلم من كلّ حذب وصوب، ينهلون من معين علوم شيخها الثرة، خصوصا علوم اللّغة العربية، فتخرّج على يديه أجيال من العلماء

١- المنارة والرباط، ص ٥٤٣، وتاريخ النحو، ص ٥٤٢، وأنظام الطّرة في الفوائد النحوية، ص ٢٧٥.

٢- هذه المجموعة النظامية مودّعة بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٥٩٣.

٣- يراجع بعضها مثلاً في تاريخ النحو العربي، ص ٥٣٠.

٤- المصدر نفسه، ص ٨.

٥- نظم ابن عبد (ت ١٢٨٦هـ)، في حياة يحظيه، بشرح الأستاذ محمد يحيى بن سيدي أحمد. مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٣٤٩٢. ص ١، فما بعدها. وأنظام الطّرة في الفوائد النحوية، ص ٢٧٨.

المؤلفين والمدرّسين، وأصحاب المحاضر الكبيرة^(١) من أمثال أحمد بن الأمين الشنقيطي (ت ١٣٣١هـ)، وأحمد بن كدّاه الكمليلي (ت ١٣٤٠هـ)، وممّ بن أحمد الجكني (ت ١٣٦٢هـ)، ومحمّد سالم بن أُلّا (ت ١٣٨٣هـ)، ومحمّد بن محمد بن المحبوب (ت ١٣٩٩هـ)، ومحمد حامد بن آلاء الحسني (ت ١٣٧٨هـ)، ومحمّد عالي بن عبد الودود المبارك (ت ١٤٠١هـ)، والتّاه المختار (ت ١٤٠٩هـ) بن محمّد عالي بن عبد الودود، الذي تسلّم إدارة محظرة أبيه بعد وفاته.

وشيخُ محظيه الحسنُ بن زين كان عُمدته في التّحو والصّرف، كما كان بن زين معجبا بتلميذه، مطّلعاً على نبوغه، وفطنته ودقّة تأمّله، وغزارة علمه، وسرعة استحضاره للمسائل، ممّا جعله يسند إليه جلّ الألغاز والعويصات من مسائل التّحو والصّرف، التي تردّه من طلاب المحظرة، ومن خارجها، ويكلّفه بالمشاركة في تدريس طلابه^(٢).

وكان للعلامة محظيه منهج خاصّ في الدراسة والتدريس بمحظرته، يتّسم بالتّبّع، والاستقصاء أثناء دراسة النصوص، والتوسّع، والغوص في أعماق شروح الخلاصة، والحرص على استظهار المعلومات وترسيخها في الأذهان^(٣). ولم يترك الشيخ محظيه مؤلّفات؛ نظراً لاشتغاله بالتدريس فيها ييدو، سوى :

أ- تحريرات لمسائل من احمرار ابن بونا، وهي ربّما تكون تعليقاته المسجّلة على حواشي طرّة ابن بونا، التي سمّيت الطّرة معها ب (أمّ الحواشي^(٤)). و (أمّ الحواشي) هي ما سجّله الشيخ محظيه والعلماء التّاهيون من تلاميذه من التعاليق والتحقيقات والفوائد المهمّة على حواشي طرّة ابن بونا.

ب- مجموعة أنظمة نحوية كبيرة^(٥)، جمعها من أنظامه الخاصّه، وأنظام بعض النحويّين، من أمثال : المختار بن أُلّا اليدالي (ت ١٣٠٨هـ)، والحسن بن زين القناني (ت ١٣١٤هـ)، وأحمد بن كدّاه الكمليلي (ت ١٣٣٧هـ)، وممّ

١ - نظم ابن عديم في حياة محظيه، ص ٢١، فما بعدها.

٢ - المصدر نفسه، ص ٢٥، فما بعدها.

٣ - تاريخ النحو العربي، ص ٥٢٤، وتحقيق نظم ابن عديم في حياة محظيه بن عبد الودود، ص ٤٠.

٤ - توجد على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٥٥٠.

٥ - مخطوطة، مودّعة بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢١٩١.

أحمد بن محمود الجكني (ت ١٣٦٢هـ)، ومحمد حامد بن عبد الله بن آل الحسن (ت ١٣٧٩هـ)، وغيرهم. وقد جعل هذه المجموعة في (كُتَّاش)، عُرف في المحظرة الشنقيطية ب (إقراء يحظيه).

فمن أنظامه النحوية مثلاً قوله في تأخير العطف :

وقدّرَن تأخيرَه أو اَحذفِ لخبرٍ مِن قبْلِهِ لتقتني
وإن على المنصوب منصوبٌ عطف تأخيراً أو عطفًا أجزُ في المنعطف.
وقوله :

قول ابن مالك إمام الملة أفعلْهُ أفْعُلْ ثم فَعْلُهُ
ثُمَّتْ أفعالٌ جموعٌ قِلْهُ ثُمَّتَ ذا المعطوفُ ليس جُمْلُهُ
وقولُ شاعرٍ أخِي تَهْيَام فإن تكنْ سوابقُ الحِمامِ
ساقِثُهم للبلدِ الحرامِ فبالسلامِ ثُمَّتَ السلامِ^(١).
كما ترى فأنظامه، رائعة، رائقة، تتسم بالسلاسة، والخفة.

ومن أبرز النّابيين من تلاميذ الشيخ يحظيه، علاوةً على ما سلف ذكره :

٤٠- مَمُوح أحمد محمود بن أحمد بن عبد الحميد، الموسائي الجكني (ت ١٣٦٢هـ)، عالم كبير، واسع الاطلاع، من أبرز تلاميذ الشيخ يحظيه بن عبد الودود (ت ١٣٥٨هـ). يقول عنه الدكتور محمد المختار بن أباه : « مكث في مدرسة الأستاذ يحظيه عشرين سنة، فاستوعب مقرراتها، وأغنى بحوثها ودراساتها، وقيد شواردها بأنظامه البديعة، ثم تصدر للإقراء في حياة أستاذه، وتخرج على يده علماء مرموقون^(٢) .

وقد ترك مجموعة أنظام نحوية، كثيرة مفيدة^(٣)، منها مثلاً قوله :

هَلِ المَحَلُّ في أوائلِ الشُّوَرِ رَفَعُ أوِانِصَابٍ أوِ مَحَلُّ جَزْ
بِخَبَرٍ ومُبْتَدَأٍ رَفَعُ يُؤْم والنَّصْبُ بِإِفْرَأْ وانجِراً بالقَسَمِ
وقيلَ لا مَحَلَّ والبناءُ حَلْ إذ لم يكنْ لها ولا فيها عَمَلْ

١- إقراء يحظيه، مصدر سبق ذكره، ص ١٤.

٢- تاريخ النحو العربي، ص ٥٣٢.

٣- أنظام الطُّرة في الفوائد النحوية، ص ٢٩١، وإقراء يحظيه بن عبد الودود، مثلاً ص ١٥، ٢١، ٢٦، ٣٢.

وهي إذن لشبه الإهمال قد ساقها مثلاً ابن مال^(١).

- وله طرّة على المقصور والممدود لابن مالك^(٢).

٤١ - محمد حامد، الملقّب (الشيخ بابا) بن عبد الله بن ربيعة، المشهور ب (آلاء) الحسني الأعمري (ت ١٣٧٨هـ)، أستاذ مدرّس، ترك مجموعة أنظام نحوية^(٣). أبياتها حوالي (ستين ٦٠ بيتاً) من الرجز، مقسّمة إلى وحدات، كلّ وحدة منها تعالج موضوعاً معيّناً، له علاقة وثيقة بمعالجات ابن مالك في ألفيته، مُتبّعة ترتيب أبوابها، وابن بونا في جامعهم، بل أغلبها كان توضيحاً لما استغلق من طرّة ابن بونا واحمراره على ألفية ابن مالك، أو تصويبا لبعض مسائلها، أو استدراكاً عليهما. وقد أسلفت نماذج منها في الباب الأوّل عند الكلام عن تأثير ألفية ابن مالك في النّحة الشناقطة، وأعمالهم عليها. وفيما يلي نماذج أخرى غير التي سلف ذكرها :

- منها مثلاً حديثه عن بعض جوانب التنوين :

وعنه أيضاً أنّها لا ينصّرف	يُنَوَّى له تنوينُ الاسمِ المنصّرفِ
دلّ له الرّجوعُ في الشعرِ إليه	فَحَكَمُوا لِذَا الْمَقْدَرِ لَدَيْهِ
في كَ «جَوَارٍ» حُكْمُهُمْ لِمَا ظَهَرَ	فَحَذَفُوا الْيَاءَ لَهُ رَفْعاً وَجَزْ
تَوَهَّمَا أَنْ سَاكِنَانِ التَّقْيَا	تَنَوْنُهُ الْمَنَوِيُّ فِيهِ مَعَ يَا
فكان في تنوينه المعرُوفِ	تَعْوِضُهُمْ مِنْ يَائِهِ الْمَحْذُوفِ ^(٤) .

٤٢ - محمد سالم بن المختار (ألسّا) اليدالي (ت ١٣٨٣هـ)، العالم النّحوي الكبير، الأستاذ المدرّس الشهير^(٥)، الذي يقول فيه تلميذه محمد بن ألفغ عبد الله الأبهمي^(٦) :

في النّحو والفقّه شيخه لا نظير له وكلّ قَرَمٍ إلى إقرائه قَرَمٌ

١- تاريخ النّحو، ص ٥٣٣، وأنظام الطّرة في الفوائد النّحوية، ص ٨٤.

٢- توجد بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٠٠٤.

٣- تحقيق أنظامه النّحوية لفاطمة بنت يَسْلَم، في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، سنة ٢٠٠٦/٢٠٠٧ م. ص ١، فما بعدها. مودّعة بقسم البحوث بالمعهد، تحت رقم ٢٩.

٤- مجموعة أنظامه المحقّقة، ص ٣٣، ٣٤، ٤٠.

٥- المنارة والرباط، ص ٥٨٩، وتاريخ النّحو العربي، ص ٥٤١، وأنظام الطّرة في الفوائد النّحوية، ص ٢٨٦.

٦- لم أقف على تاريخ وفاته.

فإن أتت طُرّة المختار يُقَرُّها حتى يرى الحاضرون النارَ تضطُّرمُ
(وإن أتاه خليلٌ يومَ مسألةٍ يقولُ لا غائبٌ مالي ولا حَرِمٌ^(١)).

ترك من التآليف النحوية :

أ- نَظْماً وَطُرّة، على نَظْمٍ مَحْنُصٍ بابا بن اعبيد الديباني («ت ١٢٧٧ هـ» محفوظات
الجموع)، سَماهما (المجموع على محفوظات الجموع).

ب - شافي الزائر في حصر الضمائر^(٢).

ج - كشف الحجاب على طُرّة الإعراب^(٣).

د - النقلة المعلّة في تبين الكلام والكلم والكلمة.

هـ - مجموعة أنظام نحوية^(٤). بلغت أبياتها (أربعة وثلاثين ومئتي ٢٣٤ بيت)،
مُصنّفة إلى (اثنتين وستين ٦٢) وحدة، كلّ واحدة منها تعالج موضوعاً محدداً، مُعلّقة
على كثير من الأبواب النحوية بالخلاصة، مُحافضة على عرض المسائل حسب ترتيب
أبوابها. منها مثلاً قوله في باب سنين :

بابُ سِنينَ حَدُّهُ اللَّذُّ عُلِمَا	إن أنت قد نَظَرْتَهُ يَخْرُجُ ما
كَزَيْنِبٍ وَثَمَرَةٍ وَعِدَةٍ	وَكَيْدٍ واسمٍ وَبِنْتٍ شَفَةِ
لِكَثْرَةِ الحُرُوفِ والتَّامِ	والحَذْفِ أَيِّ لِلْفَاءِ لا لِلِلامِ
وَعَدَمِ التَّعْوِيضِ أَيِّ تَعْوِيضُ ما	لَمْ يَكْ هاءٌ أَوْ كَتَكْسِيرِ السَّما
شَذَّتْ إِوْرَةَ أَضَاءٍ وَلِـدَهُ	أَبُّ كذا ابْنُ ظُبَّةٍ وَواحدَهُ
لم تدخل الشذوذُ وهي بنتُ	وَرَبَّتُنْ جَهْمِيْعَ ما بَيَّنْتُ ^(٥) .

١- البيت الأخير لزهير بن أبي سُلمي. ينظر مختار الشعر الجاهلي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٦٠.

٢- يوجد بمخطوطات مكتبة أهل محمد سالم بن المحبوب بانواكشوط تحت رقم ٣٠١.

٣- يوجد بمخطوطات مكتبة أهل محمد سالم بن المحبوب بانواكشوط تحت رقم ٢٩٨.

٤- حقّقها سيدي ولد التّاه في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية سنة (٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ م).

يوجد بقسم الرسائل بالمعهد تحت رقمي ٤٦، ٢٦. وعددها (٢٣٤ بيتا) .

٥- مجموعة أنظامه، ص ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٩.

٤٣- المختار بن المحبوب (ت ١٣٩٢هـ)، النحوي^(١). ترك مجموعة أنظام نحوية^(٢)، أبياتها (١٠٧ سبعة ومائة بيت)، مشتملة على (ست عشرة ١٦) وحدة مستقلة، اهتمت بالتتبع والتعليق على بعض من موضوعات ألفية ابن مالك، وما استغلقت من طرّة ابن بونا، واحمراره على الخلاصة. وقد أسلفت منها نماذج في الباب الأول عند الحديث عن تأثر الشناقطة بألفية ابن مالك، واعتنائهم بها. منها مثلاً :

- نَظَنهُ مَا فِي لَفْظِ (سَحَر) مِنَ الْأَوْجِهَةِ التَّحْوِيَةِ^(٣) :

وَسَحَرَ اَمْنَعُ إِنْ يَكُنْ مُسَجَّرِدَا	ظَرْفًا لِمَاعِيْنٍ فِي وَقْتِ غَدَا
لِلْعُرْفِ وَالْعَدْلِ كَزُرِّيٍّ مَوْم	عُرْوِيَّةٍ سَحَرِ غَرِّ الْقُومِ
وَوَجْهٌ مَعْرِفَتِهِ إِنْ عَلِمَا	تَضْيِيرُهُ لِلْوَقْتِ هَذَا عَلِمَا
وَعَدْلُهُ عَنْ سَحَرٍ مُحَلَّى	بِأَلْ لَدَى جَمَاهِرٍ أَجْلَا
لَأَنَّ الْأَصْلَ فِيهِ مَهْمَا تُرِدِ	بِهِ الَّذِي عُيِّنَ مِنْ وَقْتٍ قَدْ
ذَكَرَكَ مُعَرِّفًا بِأَلْ وَأَلْ	عَنْهُ بِذَا الْمَقَالِ ذُو النُّطْقِ عَدَلْ

وهي تبلغ عشرين بيتاً، اكتفيت بهذا القدر منها للتمثيل فقط.

٤٤- محمد بن محمد (ميتيه) بن المحبوب (ت ١٣٩٩هـ)، نحويّ مدرّس. خلف لنا مجموعة من الأنظام التحوية واللغوية^(٤)، بلغت أبياتها (أربعة وعشرين ومائتي ٢٢٤ بيت) من الرجز، موزّعة على (اثنتين وستين ٦٢) وحدة، كلّ وحدة منها تتحدّث عن موضوع معيّن، يلامس معالجات ابن مالك في ألفيته، وابن بونا في جامعهم، مع شيء ليس باليسير من المناقشة والتحليل. منها مثلاً :

- نَظَمَهُ بَعْضًا مِنْ أَحْكَامِ الظَّرْفِ :

وَبَاخْتَوَاءِ الظَّرْفِ مَعَ تَحْيِيزِ مَظْرُوفِهِ الظَّرْفِ الْحَقِيقِيِّ مَيِّزِ

١ - المجموعة الكبرى، ج ٢، ص ٢٩٦.

٢ - مودعة بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط / بوحديدة. تحت رقم ١٠٣.

٣ - المجموعة النظامية، سبق ذكرها، ص ٧.

٤ - حقّقها محمد بن إتيوه في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية (سنة ٢٠٠١/٢٠٠٢م). توجد بقسم الرسائل في المعهد، تحت رقم ٧٣.

وفاقدُ الأمرينِ ذينِ أوأحدُ ذينِ بهِ الظرفُ المجازيُّ يُحدُ
فَذَا كَانِ فِي الْعِلْمِ الْمُنْفَعِ وَمَنْ تَكُنْ فِي صَدْرِهِ فَنِي سَعَاهُ
وإنْ تُرِدْ مِثَالَ ذَلِكَ فَقُلْ بِطَبِئَةِ الْعَرَاءِ خَاتَمِ الرُّسُلِ
أَبَانَ ذَا الصَّبَّانِ فَاسْتَبَّانَا فَاَنْظُرْ لَهُ إِنْ شِئْتَهُ الصَّبَّانَا^(١).

-وقوله في بعض شروط (لا) العاطفة، وفي لزوم عود الخافض مع الضمير المعطوف:

وَاشْتَرَطُوا فِي عَطْفِ «لَا» شَرْطَيْنِ عَلَى الَّذِي فِي النَّصِّ مَرْوِيَيْنِ
تَغَايُرٌ فِي الْمُتَعَاظِفَيْنِ وَنَفْيٌ عَاطِفٍ بِدُونِ مَيْنِ
وَإِنْ يَكُ الْمَعْطُوفُ مُضْمَرًا فَلَا خَفَاءَ فِي لُزُومِ عَوْدِ مُسَجَّالَا^(٢).
أنظامه رقيقة، بها عذوبة بادية.

٤٥- محمد عالي بن عبد الودود المباركي (ت ١٤٠١هـ)، العلامة النحوي، تخرّج على يدي يحظيه بن عبد الودود (ت ١٣٥٨هـ)، وهو شيخ محطرة تليدة، خلفه عليها ابنه العلامة محمد سالم بن عدود (ت ١٤٣٠هـ)، ما تزال إلى الآن مورودة من طلاب العلم، تُخرّج صفوف العلماء والباحثين. والشيخ محمد عالي من العلماء المدرّسين، الذين اشتغلوا بالتدريس عن التأليف. يقول الدكتور محمد المختار بن أباه عن شيخه محمد عالي: «الذي كان المجلّي في ميدان التدريس والآداب والشعر، وقد تخرّج على يده كثير من مئات التلاميذ، وكان يحظيه يفخر بتلميذه هذا الذي بلغ رتبة الاجتهاد في حياة شيخه»^(٣).

من أنظامه الضابطة للمسائل النحوية قوله في إعراب (أولى له):

أَوَّلَى لَهُ مُبْتَدَأُ جَاءَ عَلَى فَعَلَى بِالْحَاقِ وَقِيلَ أَفْعَلَى
وهو على ذين من الأعلام لَذَاكَ لَا يُصَرَفُ فِي الْكَلَامِ
وقد أتى أولاً غير منصرف فَدَلَّ أَنَّهُ فِي الْأَعْلَامِ عُورِفَ

١- حاشية الصّبان على الأشموني، ج ٢، ص ٢٨٦، عند قول ابن مالك (وزيدَ والظرفية استبينَ ببا...)، بيت الخلاصة رقم ١٠، من باب حروف الجز.

٢- المجموعة المحقّقة، ص ٣٥، ٤٠، ٣٤، ٢٨.

٣- تاريخ النحو العربي، ص ٥٢٤.

أو هو من أسماء الأفعال يُعدُّ واللام تبين لمن له يُعدُّ
ونشرُ ذا يَفْـوُحُ مِنْ تَلْقَاءِ كتاب إعراب أبي البقاء^(١).

وكنْتُ قد ذكرت أنَّ التوجُّه النَّحوي عند المختار بن ابونا، الذي انتهجه في جامعه،
قد وصل ذروة تطوُّره وازدهاره على يد ابن حبت (ت ١٢٨٨هـ) في موسوعته الفدَّة
(المواهب)، حيث وصل فيه إلى أبعد ما يمكن من تعميق البحوث النحوية، واستيعاب
المسائل واستقصائها، إذ هو تأليف متفرَّد في مجاله، لم يُتجَّ العلماء الشناقطة مثيلاً له إلى
وقتنا هذا. وأذكر هنا أنَّ الخطَّ البوني قد بلغ أوجَه، وذروة ازدهاره برصد الظواهر
النحوية، وجمع المسائل وضبطها نظماً، والتفنُّن في ذلك، على يد العلامة يحظيه بن عبد
الودود، والتَّابِهين من تلاميذه، حيث واصلوا جميعاً نهج ابن بونا، وارتقوا به إلى أبعد ما
يمكن، فخلَّفوا لنا تراثاً ضخماً من الأنظمة الضابطة للمسائل النحوية، يدلُّ على مذهب
نحويٍّ، اختطُّوا معالمه، له سماته وخصائصه البارزة.

ثالثاً- توجُّه نحويٍّ، مُوَازٍ للخطِّ البُونيِّ : يوجد ببلاد شنقيط خطُّ
نحويٍّ آخرٌ مُوازٍ لما ارتسمه المختار ابن بونا، واختطه في الدراسات النحوية، وعمِّقه
تلاميذه النابهون من بعده، منطلقاً هذا الخطُّ من مؤلَّفات ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) مباشرة،
ومؤلَّفات ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)،
وغيرهم، مؤسَّساً لتوجُّه نحويٍّ، له خصائصه وسماته، لا نجد فيه ذلك الاستقصاء،
المرصَّع بالأنظام الغزيرة، الضابطة لمباحث النَّحو ومسائله. وأغلب أصحاب هذا
التوجُّه من المنطقة الشرقية. وفيما يلي عرض نماذج من إنتاج أبرز هؤلاء :

٤٦- الشيخ سيدي المختار الكُنتي (ت ١٢٢٦هـ). العالم الجليل، الشاعر الوليِّ،
العابد، الزاهد، كان مؤلفاً علماً صالحاً^(٢). جاء في فتح الشكور : «القطب الربَّاني،
الوليِّ الصالح، ذو البركات الشهيرات، وشيخ الأشياخ السادات... وله تأليف
كثيرة»^(٣).

١- المصدر نفسه، ص ٥٢٥.

٢- تُرجم له، وذُكر هذان التأليفان في فتح الشكور، ص ٢٧٢، والوسيط، ص ٣٦١، والمنارة والرباط، ص ٥٦١، ٥١٧.

٣- ص ٢٧٢.

وهو من علماء المنطقة الشرقية. من تأليفه التَّحْوِيَّة، اللُّغْوِيَّة :

أ- ألفية في العربية^(١).

ب- فتح الودود شرح المقصور والممدود^(٢) لابن مالك. وهذا الشرح من الحواشي الإضافية، المتسعة، يُكثر فيه المؤلّف من التحليل والمناقشة والاستطراد. عبّر الشارح نفسه عن ذلك قائلاً :

«زاد بهاءً وبهجةً على كلّ شارح، جيء به على المقصور والممدود، إذ جاريت مصنّفه، وطاولته في جميع المسالك، حتّى غطّى بحري نهره، واجتاح ثمري زهره، إلّا أنّ دهرى لا يوازي دهره، إذ له رتبة السابق. فأبرزت مخدرات عرائسه، والتقطت من قاموس بحره يواقيت نفائسه، وهذبت ما فيه من دسائسه (الإشارات الخفية)، وأجهزت على كلّ ما أثنخه من فرائسه، فأربيت على كلّ شارح... فحبرت كتابه بأيّ التنزيل تحبيراً، وطرّزته بغرائب اللّغات تنويراً، فجئت منه بالمواعظ الهائلة، والغرر السائلة.. وبحكايات الأجداد، وروايات الأجواد، وبنفائس الأعراب، وغرائب الإعراب، ونُبت من الآداب والأدباء...»^(٣).

وفيما يلي أورد نموذجاً من هذا الشرح الممتاز. يقول ابن مالك في مطلع المقصور :

أَطَعْتُ الهوى فالقلبُ منك هواءٌ قَسَا كَصَفَا مُذْ بَانَ عَنْهُ صَفَاءٌ.

أورد الشيخ الکتبی على شرح هذا البيت (ثماناً وعشرين ٢٨ صفحة)، أورد منها سطوراً فقط ملخّصة. يقول الشارح :

قوله : أطعت الهوى، فيه نوع من البديع، يقال له التجريد، وهو أن يجرد الإنسان من نفسه شخصاً يخاطبه، والطواعية الانقياد والإذعان معنى. فإن قيل الهوى معنى، والمعنى لا يتأتى منه الخطاب حتّى يستحقّ الطواعية والانقياد، فالجواب أنّ الأكوان كلّها مرتّبة على أربعة أنواع : الحسّ، والمعنى، والعرض، والجوهر. ثمّ الحسّ على أربعة أقسام : كثيف كجسم الإنسان، وجرم الأرض، وأنواع الناميات، وخفيف، كالهوى، ومخلخل كالماء والنار، وشفاف كالسّماء والرّجاج. والأجسام مُنفَعلة للمعاني، ولذلك

١- توجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيبكتو تحت رقم ٨٣٦١.

٢- يوجد على (ميكروfilm) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١١٣٣، وهو مطبوع بتحقيق مأمون محمد أحمد.

٣- ص ٢٧٢.

صار الجسم تابعا للقلب، أي للمعنى الحاصل.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا إن في الجسم مُضغَةً إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)^(١). وقال الله تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج، ٤٦..]، ومعناه أن العمى المضر ليس هو عمى الأبصار المتعلقة بالمحسوسات، وإنما هو عمى البصائر المتعلقة بالمعاني والمعنويات، وذلك أن الله تبارك وتعالى خلق الأكوان كلها دفعةً، ثم رتبها على حكمته في الأزل... إلخ^(٢).

ما نقلته على طوله في كلمة (أطعت) وحدها، وهو يكفي لإيقافنا على ملامح هذا الشرح وسماته البارزة، فتبين أنه يبدأ بالشرح اللغوي للمفردات، للوصول إلى المعنى، ثم التحليل الموسع، والنقاش الشامل، والكثير من التتبع والاستقصاء، وتقلب الموضوع الواحد، والتنقل فيه من محطة إلى أخرى، والإكثار من الاستدلال بشواهد القرآن والحديث والآثار، وأساليب العرب، الشعرية والنثرية. فهو إذن موسوعة شاملة لقضايا اللغة والأدب، والسيرة والتاريخ والقصص، والتربية والتوجيه. يُعدّ هذا الشرح موسوعة، جليّة القدر، مفيدة إلى حد كبير، غير أنه من اللافت للنظر أن بها كثيراً مما يحتاج إلى تحقيق.

٤٧- المرواني بن الطالب عبد الله النّفاع بن أحمد، الولاتي (ت ١٢٢٩هـ)^(٣)، ترك في النحو: أ - شرحاً بعنوان (تكميل المراد على لامية عمر المجراد)^(٤). ويقصد ب(لامية عمر): المجردية في أحكام الجمل والمجرورات والظروف، لأبي عبد الله محمد بن محمد الفزاري المجرد السلاوي (ت ٧٧٨هـ)، وهي منظومة معروفة ب(لامية المجردية)، جمع فيها مؤلفها أنواع الجمل، والظروف والمجرورات^(٥).

١- حديث صحيح، رواه الشيخان وغيرهما، من حديث النعمان بن بشير، أوله (الحلال بين والحرام بين ...). يراجع فتح الباري على صحيح البخاري، ج ١، ص ١٢٦.

٢- فتح الودود شرح المقصور والمدود، ص ٢٤ - ٤٣.

٣- المنارة والرباط، ص ٦١٣.

٤- ورد ذكره في مقدّمة (فتح الربّ الرؤوف على المجردية في أحكام الجمل والمجرورات والظروف). لعثمان بن عمر اليوسي (ت ١٣٣٧هـ).

٥- بحث (الجملة العربية) للدكتور محمد بن أحمد بن المحبوب، ص ١٧. نقلاً من المجموع الكبير من المتون فيما ذكر من الفنون. دار الفكر. ص ٤٣٤.

ب - المنح في شرح ألفية ابن مالك^(١). أهم سمات منهجه فيه :
 - أنه حدّد مصادره التي جمعه منها، في قوله : «وجمعته من شرح الدرّفن^(٢) بن الفقيه محمّد، وشرح الأشموني، وشرح المرادي^(٣) وبعض الشواهد من غير عزو لأحد ما»^(٤).
 وهو شرح تعليمي، رام المؤلّف فيه سبيل التوسّط بين الإيجاز والإطناب، أسلوبه سهل مباشر، يتناسب مع قدرات طلبة النّحو المتوسّطين، اقتصر فيه على ما يوحى به المتن ويقتضيه، بعيدا عن الخوض في المسائل الجدلية، مع عدم إهماله إكمال ما رآه من نقص بسبب ضيق النظم عن استيعاب بعض الأحكام. من ذلك مثلا تعليقه على قول الناظم في شروط إعراب الأسماء الستّة :

وشرط ذا الإعراب أن يَضْفَنَ لا لليا كجـا أخو أبـيك ذا اعتـلا :
 «أي شرط هذا الإعراب بالأحرف الثلاثة في الكلمات الستّ إضافتهنّ، وأن يكون المضاف إليه غير ياء المتكلّم.. قوله : أن يَضْفَنَ : احترز به من غير المضافة فتعرب بالحركات.. واحترز بقوله : لا لليا ممّا أضيف إلى ياء المتكلّم فإنّه يعرب بحركة مقدّرة على ما قبل الياء منع من ظهورها اشتغال محلّ الإعراب بالكسرة المناسبة للياء، نحو قوله تعالى : (وَإِخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ.. ٣٤، القصص)، وبقي على المؤلّف شرطان : كونها مفردة ومكبّرة، فلو كانت مثناة تعرب إعراب التثنية.. ولو كانت مجموعة أعربت إعراب الجمع، ولو كانت مصغّرة أعربت بحركات ظاهرة، نحو هذا أبـيـك وأخـيـك»^(٥).
 - اهتمّ فيه بعرض أقوال العلماء، وعزو الآراء والمذاهب إلى أصحابها، كقوله مثلا عند قول ابن مالك :

... وما أشبهه في كتبه الخلف انتمى

كـذاك خـلـتـنـيه وأتـصـالا اختار غيري اختار الانفصالا

١ - يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٣٤٧٦.

٢ - النحويّ ابن الفقيه محمد بن محمد أنظمت السوقى الأقدزي منشأ ووطناً (أكذ : المدينة المعروفة في النيجر)، (كان حيّاً سنة ١١١١هـ). فله شرح على ألفية ابن مالك. ورد ذكره في فتح الشكور، ص ١٧٥.

٣ - الحسن بن القاسم المرادي، يقصد شرحه على ألفية ابن مالك.

٤ - ص ١ من المخطوطة.

٥ - المصدر نفسه، ص ٩.

«يعني أنا ابنُ مالك مع الرَّماني^(١) وابن الطراوة^(٢) اختار الاتصال في باب (كنته)، و(خلتنيه)، كقوله عليه الصلاة والسلام: (إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِ، وَإِلَّا يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ)^(٣). غيري: وهو سيبويه، والأكثر اختار الانفصال فيهما، أي كنته وخلتنيه، كقول الشاعر في (كان):

لئن كان إِيَّاهُ لقد حَالَ بعدَنَا عَنِ الْعَهْدِ، وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ^(٤).
- كبير الاهتمام بالاستشهاد بالقرآن الكريم، وكذا الأحاديث الشريفة، مثل مذهب الناظم^(٥).

- أكثر من الاستشهاد بالشعر، مع تصريحه بعدم عزوه، مثل قوله: «ومعاني بعض الشواهد من غير عزو لأحدٍ ما»^(٦).
وهو دقيق التحليل، كثير المناقشة أثناء الاستدلال به، ذاكراً لغة المفردات، ومحلّ الاستشهاد، من ذلك مثلاً قوله:

يعني أن باب سنين قد يرد حال كونه مثل حين، الإعراب يكون بالحركات الظاهرة على النون منونة مع لزوم الياء، ولا تحذف النون للإضافة، نحو هذه سنين... ومنه قول الشاعر^(٧):

دَعَانِي مِنْ نَجْدٍ فَإِنَّ سَنِينَهُ لَعَيْنَ بِنَا شَيْبًا وَشَيْبِنَنَا مُرْدًا.
يخاطب خليله، ومن عاداتهم خطاب الواحد بصيغة التثنية. عن نجد: أي من ذكر نجد، وهو اسم لبلاد أعلاها تهامة وأسفلها العراق والشام. والشاهد في (سنينه) لأنّه أعرب بالحركة على التّون، ولم يحذف للإضافة... يعني أن إجراء سنين وبابه مجرى حين

١- أبو الحسن علي بن عيسى، السّامرائي، المتوفى ٣٨٤هـ.

٢- أبو الحسين سليمان بن محمّد، المتوفى ٥٢٨هـ.

٣- أخرجه الخمسة إلّا النسائي عن ابن عمر.

٤- ص ٢١ من المصدر نفسه. هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة المخزومي. ينظر الأشموني بحاشية الصّبّان، ج ١، ص ١٣٠، والتوضيح بحاشية التصريح، ج ١، ص ١٠٧.

٥- المخطوطة، ص ٩، ١٢، ٢١.

٦- المصدر نفسه، ص ١.

٧- الصّمّة بن عبد الله، أحد شعراء العصر الأمويّ. ينظر الأشموني بحاشية الصّبّان، ج ١، ص ٩٧، والتوضيح بحاشية التصريح، ج ١، ص ٧٧.

يُطَرَّد عند قوم، بل جُمِعَ المذكَرُ السالم وما ألحق به يجري مجرى حينٍ عند قوم، ومنه قوله^(١):
رُبَّ حَيٍّ عَرَنْدَسٍ ذِي طَلَالٍ لَا يَزَالُونَ ضَارِبِينَ الْقِبَابَا.

العرنديس : الشديد، وطلال : الحالة الحسنة، القباب : جمع قُبَّة، وهي التي تتخذ من الأديم والخشب واللبن. والشاهد في (ضاربين) حيث أعرب بالحركة على النون، ولم تحذف نونه للإضافة^(٢).

إنَّه شرح جيّد، متوسّط، وافٍ، بأسلوب سهل، سلس، يستحقّ العناية لإخراجه لطلاب النحو ذوي القدرات المتوسطة.

٤٨- انبويه أعمّر بن الإمام محمد عبد الله المحجوبي الولاقي (ت ١٢٦٠هـ). العالم، النحوي، اللغوي، الأصولي، الزاهد. له^(٣) :

أ- منظومة العقيلة البهية في النحو وشرحها.

ب - جمانة الإعراب في معاني الحروف (نظم الباب الأول من مغني اللبيب لابن هشام، مع شرحه)^(٤).

ج - شرح الفريدة للسيوطي، سمّاه (الغنيمة العتيدة في حلّ ألفاظ الفريدة)، لم يكمله^(٥).

د - عمدة السالك على ألفية ابن مالك^(٦). قال عنه صاحب منح الربّ الغفور :
«جمع فيه من كلام الأشموني والهبة (هبة اللطيف : شرح البسط والتعريف على منظومة المكودي في التصريف) ما يشفي الغليل مع وجازة واختصار»^(٧).
وقد اطلعت عليه فوجدته مع وجازته شرحاً جيّداً. ومن أهمّ سمات منهجه فيه أنّه :

١- ورد ذكره في الأشموني بحاشية الصبّان، ج ١، ص ٩٧، والتوضيح بحاشية التصريح، ج ١، ص ٧٧.

٢- ص ١٢، من المخطوط. وللمزيد ينظر ص ٢١.

٣- حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٤، والمنازة والرباط، ص ٥٤٦، وتاريخ النحو العربي، ص ٥٣٩.

٤- يوجد بكتبة أهل الطالب بوبكر بولالة تحت رقم ٣٩٢.

٥- ورد ذكره في المنازة والرباط، ص ٥٤٧، وتاريخ النحو، ص ٥٤٠.

٦- يوجد منه نسخ : إحداها على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١١٢٨، وآخران بمركز أحمد بابا بتمبكتو تحت رقمي ٣٥٥٦، ٥٠٣.

٧- ص ١٢٦.

- شرح مختصر، موجز، بيد أنه مع هذه الوجازة أجاد فيه وأفاد، يوضح المتن توضيحا شافيا، شاملا مضامينه ومراميه، لا يتوسّع عنها كثيرا. من ذلك مثلا ما سجّله من شرح التنوين عند قول الناظم :

بالجرّ والتنوين والنّدا وألّ ومُسندٍ لِّلاسم تميّزُ حصل.
«وهو نون يلفظ بها في الآخر لغير توكيد. وأنواعه أربعة : تنوين التمكين الدالّ على تمكين الاسم من بابه كزيد ورجل. وتنوين التنكير اللاحق لبعض المبتنيات للدلالة على التنكير، كتّوين سيبويه.. وتنوين التعويض، وهو إمّا عن حرف كتّوين جوارٍ وغواشٍ، أو عن مفرد ككلّ وبعض، أو عن جملة كتّوين (إذ) المعوّض عن مضافها الجملة نحو: ﴿وَأَنْتُمْ حِينَتِ تَنْظُرُونَ﴾ [٨٤، الواقعة]، وتنوين المقابلة، كتّوين مسلماتٍ، المقابل للّنون في المسلمين»^(١).

أسلوبه سهل، سلس، مع إيجاز غير مُخلّ، ممّا يدلّ على أنّه كتاب تعليمي، أعدّ منهجاً لتدريس طلاب الألفية.

- غالبا ما ينبّه إلى آراء النّحويين واصطلاحاتهم، كقوله مثلاً في باب الضمائر عند قول الناظم : (كأنتَ وهُوَ سَم بالضمير) :

«والمضمّر في اصطلاح البصريين، وكناية ومكنّيّا عند الكوفيين»^(٢). وكتعليقه على قول الناظم :

... فِي كُنْتُهُ الْخُلْفُ أَنْتَ مَي

كَـذَلِكَ خَلْتَنِيهِ وَأَتَّصَلَا أختارُ غيري اختارَ الانفصالا.

«غيري : وهو سيبويه، والأكثر اختار الانفصال في البابين...»^(٣).

وكما ذكر عند قول الناظم في باب الضمائر : (وقد يُبيحُ الغيبُ فيه وَصْلاً) :

«بشرط اختلاف لفظهما، كحكاية الكسائي : (العرب هم أحسنُ الناسِ وجوهاً وأنضرَ هموها)»^(٤).

١- ص ٣، من المخطوط.

٢- ص ١٧، من المصدر نفسه.

٣- ص ١٩، من المصدر نفسه.

٤- ص ٢٠، من المصدر نفسه. وقد ورد في طرّة ابن بونا بتقريبها، ج ١، ص ٣٦٢ : بلفظ (قريش ... بدل العرب).

ومّا يؤخذ عليه رحمه الله عدم اعتنائه بمناقشة هذه الآراء، والترجيح بينها، كتعليقه مثلاً (علاوة على ما سبق)، عند قول الناظم في الترتيب بين الاسم واللقب : (وإنَّ يَكُونَا مُفْرَدَيْنِ فَأَصِفْ حَتْمًا) :

« إن لم تمتنع الإضافة، نحو : هذا سعيدٌ كُرْز، على تأويل الأوّل بالمسمّى، والثاني بالاسم. وأجاز الكوفيون الإتيان على البدل، أو البيان والقطع بوجهيه»^(١).

- الرواية والاستشهاد عنده : امتاز هذا الشرح عن كثير من الشروح الموجزة بميزة بارزة، هي غزارة شواهد، وتنوعها، من الأساليب القرآنية، والآثار، وأشعار العرب، ونثرهم، فهو عند الاستدلال بالشواهد يخرج عن الاختصار والإيجاز إلى التوسّع في التوضيح والشرح، من ذلك مثلاً ما سجّله على قول الناظم :

(...) وَكَلِمَةٌ بِهَا كَلَامٌ قَدْ يُؤْم

بالجرّ....)

أي يقصد. قال تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [١٠١، المؤمنون]، إشارة إلى (رَبِّ ارْجِعُونِ... ١٠٠، المؤمنون). وقال عليه السلام : أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد^(٢) :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ .

بالجرّ : وهي كسرة يحدثها عامله في آخر الاسم، فخرج الفعل، نحو^(٣) :

وَاللَّهِ مَا لِي لِي بِنَامٍ صَاحِبُهُ وَلَا مَخْطِطٍ لِي بِنَامٍ جَانِبُهُ .

ويشمل المجاورة، وهو مسموع في النعت والتوكيد، فالنعت : (هذا جُحْرٌ ضَبٌّ خرب)^(٤). وقوله^(٥) :

١- ص ٢٢، من المخطوط.

٢- في مختار الشعر الجاهلي، ج ٢، ص ٤٨٣.

٣- ورد ذكره في الدرر اللوامع على هَمْعِ اللوامع شرح جمع الجوامع، لأحمد بن الأمين الشنقيطي، ج ١، ص ٧٦. وفي العيني على الأشموني، ج ٣، ص ٢٧ : منسوب إلى القناني.

٤- قول سائر لبعض العرب. يراجع إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النحو من الأخبار والآثار، ص ٨٦.

٥- من الطويل، لامرئ القيس من معلّته المعروفة (قفا نبك...) . أبان : اسم جبل، الأفانين : الأنواع، والودق : المطر، والبجاد : الكساء المخطّط، والتزميل : التلّيف. أي يشبه الجبل والتفافه في غيوم المطر بكبير قوم متلفّ في كساء مخطّط. ينظر شرح المعلّقات السبع للزوزني، ص ٥٤.

كَأَنَّ أَبَانَا فِي أَفَانِينَ وَذَقِهِ كَبِيرٌ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مُّرْمَلٍ .
والتوكيد كقوله ^(١) :

يَا صَاحِ بَلِّغْ ذَوِي الزَّوْجَاتِ كُلَّهُمْ أَنْ لَيْسَ وَصَلٌ إِذَا انْحَلَّتْ عُرَى الذَّنْبِ .
والتَّوَهُّمُ كقوله ^(٢) :

بَدَا لِي أَنِّي لَسْتُ مَدْرَكَ مَا مَضَى وَلَا سَابِقٍ شَيْئًا إِذَا كَانَ جَائِيًا .
وقوله ^(٣) :

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ صَاعِدًا وَلَا هَاسِبًا إِلَّا عَلَى رَقِيبٍ ^(٤) .
إنَّه تحليل نادر في كثير من الشروح بهذا المكان، خصوصاً المختصر منها. وبه يتبين لنا حسن هذا الشرح وجودته.

٤٩- الشيخ سيديا الكبير المختار بن الهيبه ^(٥) الولي الصالح، العالم الجليل (ت ١٢٨٤ هـ).
ترك من التأليف التحوية واللغوية :

أ- شرح المقصور والمدود لابن مالك ^(٦) .

ب- النفحة القيومية بتفسير الأجرومية ^(٧) . وهو شرح تعليمي، توسّط فيه مؤلفه بين الإيجاز والإطناب، مكثفياً ببسط مضمون المتن، وما يرمي إليه، مُعْرِضاً عن المناقشات المعمّقة، التي تخرجه عن مستوى المبتدئين. ومن أهمّ سمات منهجه فيه :

١- من البسيط، لأبي غريب الأعرابي. قال ابن هشام في المغني، ص ٦٤٦، الشاهد رقم ١١٦٠ : (قال الفرّاء : أنشدني أبو الجراح بخفض كلّهم...) . وأبو الجراح العقيلي هو أحد الأعراب الذين أخذ عنهم الكسائي العربية ، وشايعوه ضدّ سيبويه في المسألة الزنوبرية المعروفة .

٢- من الطويل، لزهير بن أبي سلمى . ينظر مختار الشعر الجاهلي، ج ١، ص ٢٨٢ .

٣- ورد ذكره في الأشموني بحاشية الصّبان، ج ٢، ص ٢٤١، غير منسوب، بصحبة بيت آخر، وهو :

وَلَا سَالِكٌ وَخِدِي وَلَا فِي جَمَاعَةٍ مِنْ النَّاسِ إِلَّا قَيْلٌ : أَنْتَ مَرِيْبٌ .

وقد أوردهما الشارح للتدليل بها على جواز الأعراب على التوهّم، وذلك في قوله (سالك)، حيث ورد مجروراً، معطوفاً على خبر (ليس) : صاعداً. على توهّم جرّ خبرها بالباء، وهو شيء كثير .

٤- ص ٢٢٣، فما بعدها، من المخطوط .

٥- ترجم له أحمد بن الأمين في الوسيط، ص ٢٤٠، وابن حامدن في حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٥ .

٦- ذكره الدكتور محمد المختار ولد إياه في كتابه : تاريخ النحو العربي، ص ٤٨٣ .

٧- توجد منه نسخ بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ٢١٠٧، ١٣٨٩، ومركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٣٥٦٩ . وقد حقّق بالمدرسة العليا للأساتذة ٨٧/ ١٩٨٨ .

- دقة التحليل، مع الاعتناء بكثرة التبسيط والتوضيح، كقوله مثلا :

الكلام في اصطلاح النحويين عبارة عما اجتمعت فيه هذه القيود الأربعة المشار إليها بقوله : هو اللفظ، أي الصوت المنقطع من اللسان، المشتمل على بعض الحروف الهجائية، واحترز باللفظ من الخط والإشارة وحديث النفس، وما يفهم من حال الشيء، وإن كان يطلق عليه الكلام لغة، كقول عائشة رضي الله عنها : (ما بين دفتي المصحف كلام الله)^(١) ولقول الشاعر^(٢) :

إذا كلّمتني بالعيون الفواتر رددتُ عليها بالدموع البوادر .
وقوله^(٣) :

إنّ الكلام لفي الفـؤاد وإنّما جعل اللسان على الفؤاد دليلا .
وقوله^(٤) :

شكا إليّ جملي طول السرى مَهْمَهْلا رُويدا فكِلانا مُبْتَلَى .
المركب : من كلمتين فأكثر تركيبا إسناديا كقام زيد، ومنه أنّ الكلمة الواحدة في قوّة كلمتين كقم وأقوم ويازيد فإنّها في قوّة قم أنت وأقوم أنا وادعوا زيدا، وكذلك نَعَمْ وبلى لكونها في قوّة جملة الجواب...^(٥).

- كما أنّه لا يهتم كثيرا بالتعرّض لمناقشة الآراء سوى بعض الإماءات المقتضبة، كقوله مثلا : «وما قبل (إن) من أدوات الجزم حروف لا تقتضي إلّا فعلا واحدا، وما بعدها تقتضي فعلين، أولهما يسمّى شرطا، والآخر جوابا وجزاء، وهي أسماء ما عدا (إن) اتّفاقا، و(إذا) على الأصحّ»^(٦).

١- لم أقف على هذا الأثر إلّا في كتب النحو، كما في إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النحويين من الأخبار والآثار، ص ٣٥، وتقريب طرّة ابن بونا على ألفية ابن مالك، للأستاذ أحمد بن محمّد المامي العقبوي. انواكشوط : ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. ج ١، ص ٥.

٢- لم أقف على قائله، وقد ذكره ابن بونا في طرّته. ينظر تقريب الطرّة، ج ١، ص ٥. والبيت من الطويل، ومحلّ الاستدلال به استعماله بمعنى ما يفهم من حال الشيء.

٣- لم أقف على قائله. وقد ورد ذكره في المصدر والصفحة نفسها. وهو من البحر الكامل، ومحلّ الاستدلال به استعماله بمعنى حديث النفس.

٤- ورد في لسان العرب، مادة (شكا) دون عزو. كما ورد في تقريب الطرّة، ج ١، ص ١٥٩ دون نسبة أيضا.

٥- ص ١٢، من المخطوط.

٦- المخطوطة، ص ٨.

- كثير الاستدلال بالقرآن الكريم، وآثار الصحابة، والشعر، مقدّمًا الاستشهاد بالذكر الحكيم عند تعدّد الشواهد، وقد رأينا في النصّ السابق ما يفيد غزارة شواهد، ومّا يدلّ عليه أيضًا قوله في نواصب المضارع: « فالنواصب عشرة، وهي (أَنْ) في نحو: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ [الزمر: ٥٦]، و(لَنْ) نحو: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا﴾ [الحج: ٣٧]. و(إِذَنْ)، نحو: (إِذَنْ أَكْرَمَكَ) جوابا لمن قال: آتيك غدا، وشرط عملها التصدّر واستقبال منصوبها، واتّصاله بها. وجاز فصله بالقسم، كقوله ^(١):

إِذَنْ وَاللَّهِ نَرْمِيهِمْ بِحَرْبٍ تُشِيبُ الطِّفْلَ مِنْ قَبْلِ الْمَشِيبِ .

وكذا الظرف والمجرور والنداء والدعاء ومفعول معمولها عند بعضهم ^(٢).

- هو بصريّ المذهب، يظهر ذلك جليّا من حديثه عن فعل الأمر عند قول صاحب المتن: «والأمر مجزوم أبدا». وهذا من صاحب المتن مذهب كوفي؛ إذ هو عندهم معرب مجزوم ^(٣)، بينما هو عند البصريين مبنيّ مثل ما ذكر الشارح معلقًا على هذا النصّ بقوله: «أي مبنيّ على ما يجزم به مضارعه من سكون أو حذف كاضرب وقم وادع وارم واخش وافعلوا وافعلوا ^(٤)».

وبهذا يتبيّن لنا أنّه شرح مناسب للمبتدئين، بوجازته، وضغط معلوماته بلا إخلال، مع سلاسة الأسلوب وسهولته.

ج- تحفة الأطفال بحلّ لامية الأفعال ^(٥). ومصادر المؤلّف التي استقى منها هذا الشرح متعدّدة، أهمّها (فتح الأفعال) للحضرميّ على لامية الأفعال لابن مالك، فجلّ ما فيه مأخوذ منه، وإن لم يصرّح بذلك، مع أنّه قد يتّبه على هذا الأخذ. كقوله مثلاً عند ذكر ابن مالك شواذ الفعل الثلاثيّ (فعل مفتوح العين،

١- حسن بن ثابت، في ديوانه، ص ٣٠. تحقيق د - أحمد الفاضل، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م. بيروت: دار الفكر اللبناني. والبيت من الوافر.

٢- ص ٨، من المخطوط.

٣- تفصيله في الإنصاف، ج ٢، ص ٥٢٤.

٤- ص ٨، من المخطوط.

٥- ورد ذكره في حياة موريتانيا، ص ٦٧، والمثارة والرباط، ص ٥٦٣. توجد منه نسخ بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ١١٥٣، ٢٥٣٠، ومركز أحمد بابا بيتيمبكتو تحت رقمي ١١٣٦، ٣٠٥٨. وقد حُقّق بالمدرسة العليا للأساتذة ٨٣/ ١٩٨٤م.

المضعف اللازم) : «وقد بقي على الناظم من هذا الضرب ثمانية أفعال... وقد نظمها صاحب فتح الأقفال»^(١).

كما ينقل من القاموس المحيط، ثم الصّحاح للجوهريّ. وهو شرح قيّم، من سمات منهجه فيه علاوة على ما سبق أنّه :

- يتتبع المتن بالشرح والتحليل، والمناقشة والاستطراد بالأمثلة المستفيضة، مع ذكر لغة الشواهد والأمثلة، متناولاً كلّ مسألة على حدة، غير مازجٍ معها غيرها حتّى يُشبعها كلاماً. كقوله مثلاً عند بيت الناظم :

بِفَعْلَلِ الْفَعْلُ ذُو التَّجْرِيدِ أَوْ فُعْلاً يَأْتِي وَمَكْسُورَ عَيْنٍ أَوْ عَلَى فَعَلًا :

«أي الفعل المجرد من الزوائد يأتي في حال كونه رباعياً على وزن فَعْلَلٍ، وثلاثياً على وزن فَعْل بضمّ العين، فمثال الأوّل لازماً : حَشَرَجٌ عند الموت : غرغر وتردد نفسه.. وعزّبد : ساء خلقه على نديمه.. ومثاله متعدّياً : قَرَضَ به : صرعه. وقَرَضَ به : قطعه، ومنه سمّي السيف قرضاباً... وقد يصاغ من اسم رباعي لعمل مسماه كقَمْطَرَتِ الْكُتُبِ اتَّخَذَتْ لَهَا قِمَطَرًا، وَقَبِلَتْ الْخَيْلَ وَجَحَفَلَتْهَا : جعلتها قنابل وجحافل، أو لمحاكاته كَعَقَرَبِ الصِّدْغِ : لواه كَعَقَرَبَ.. أو لجعله في شيء كَفَلَفَلَ الطَّعَامَ، وَعَصَفَرَ الثَّوبَ، أَوْ لِإِصَابَةِ كَعَرَقَبِهِ : أصاب عرقوبه.. أو لِإِصَابَةِ بِهِ.. كَعَرَجَنَهُ : أصابه بالعرجون، أَوْ لِإِظْهَارِ كَعَسَلَجِ الشَّجَرِ : أخرج عساجله وبراعمه، والعسلوج : ما لَانَ وَاخْضَرَ مِنْ قُضْبَانِ الشَّجَرِ، وَالْبَرْعَمِ : الزرع قبل أن يفتتح، أو لستر به، كَقَرَمَدِ الْبِنَاءِ : طلاه بالقمرمد بالفتح، أي الجصّ..»^(٢).

هذا جزء فقط ممّا ذكره في شرح هذا البيت، يوضّح طريقته في التحليل والشرح. وهو أيضاً شرح منهجيّ، تعليميّ.

٥٠- ميلود بن المختار خي بن عبد الله بن يعقوب الديباني، كان حياً سنة (١٢٨٩هـ)، له في التّحو^(٣) :

١- ص ٥، فما بعدها، من المخطوط.

٢- ص ٢١، من المخطوط.

٣- المجموعة الكبرى، مصدر سابق، ص ٣٠١، ومعجم المؤلفين ومؤلفاتهم في ولاية اترارزة، إعداد محمد بن أحمد بن بابا، رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة الدراسية ٩٠ - ١٩٩١م، ص ١٧٣. مودّع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه تحت رقم ١١١.

أ- شرح ألفية ابن مالك.

ب- شرح على ملحّة الإعراب للحريري^(١). وهو شرح صغير الحجم، تبلغ صفحاته (أربعا وأربعين)، أسلوبه جيّد، سلس، مناسب، خالٍ من الإطناب، واضح أنّه كتاب تعليمي، أريد له أن يكون ملائما لطلاب المحظرة المبتدئين. وهو ما عبّر عنه بقوله: «فما ذكره الناظم إجمال، هذا تفصيله باختصار؛ لأنّ في هذا شروطا تركنا ذكرها خشية الإطالة»^(٢). وهو ما يتّضح من تعليقه على قول الناظم في بناء الأمر:

والأمر مبنيّ على السكونِ مثالـه احذرْ صَفَقَةَ المَغْبُونِ.

حيث يقول: «يعني أن الأمر مبنيّ على السكون، وذلك إذا كان مضارعه يجزم بالسكون فهو مبنيّ على السكون أبدا على ما يجزم به مضارعه من سكون أو حذف حرف، نحو يضرب، الأمر منه اضربْ، ونحو لم يرم ولم يخشَ ولم يدعْ بحذف حروف العلة من آخرها للجزم، الأمر منها ارم واخشَ وادعْ، ونحو ليقوموا وليقوما ولم تقومي بحذف نون الرفع فيها للجزم، الأمر منها قوموا وقوما وقومي»^(٣).

وللمؤلّف شخصية بارزة في هذا الشرح، إذ نجده أحيانا يناقش صاحب المتن، وقد يصوّب رأيا غير رأيه، كما في تعليقه مثلا على بيت المتن:

وتلحقْ النونُ ما قد تشي من المفارد لجبرِ الوهنِ.

«المفارد جمع مفرد، أخبر أن سبب إلحاق النون للمثنى جبر الوهن، أي الضعف الحاصل له بإزالة التنوين والحركات. هذا قول، والأصحّ أنّها لرفع توهم الإضافة في نحو: جاءني خليلان موسى وعيسى، ولرفع توهم الإفراد»^(٤).

- يكثر من عرض الأمثلة المعبّرة أثناء مناقشة المسائل النحوية، كما في قوله مثلا: «كم تأتي استفهامية وخبرية، معناها التكثير والتعظيم، وتجبرّ بالإضافة على الأصحّ، لا بـ(من) مقدّرة، ويأتي تمييزها مفردا، نحو: كم مالٍ أفدتم، وجمعا نحو: كم إماءٍ ملكت

١ - يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٣٠٩.

٢ - ص ١٥، من المخطوط.

٣ - ص ٤ من المخطوطة. وتنتظر ص ٢٥ منها.

٤ - المصدر نفسه، ص ١٠.

وأعيد، وربما نُصِبَ تمييزها حملاً على الاستفهامية كقوله^(١) :

كَمَ عَمَّةٌ لَكَ يَا جَرِيرٌ وَخَالَةٌ فَدَعَاءٌ قَدْ حَلَبْتُ عَلَيَّ عِشَارِي.

على رواية النصب. وقد يجزّ مفصّلاً بظرف، كقوله^(٢) :

كَمْ دُونَ مِئَةِ مَوْمَاتٍ يَهَالُ بِهَـذَا إِذَا تَيَمَّمَهَا الْخَرِيتُ ذُو الْجَلَدِ^(٣).

- وهو كثير الاعتناء بعرض الآراء ومناقشتها، والترجيح بين المذاهب، دون التصريح بنسبة الآراء لأصحابها، مع التنبيه على أنّه بصريّ المذهب كصاحب المتن، وإن لم يصرّح بذلك، إلّا أنّه يتّضح من مناقشاته المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين وتصويبه آراء البصريين، كقوله مثلاً : «المبتدأ هو الاسم المرفوع المجرد من العوامل اللفظية.. فإن ابتدأت النطق بالاسم فارفعه بالابتداء على الأصحّ أيضاً»^(٤).

فما ذكره عن المبتدأ مذهب بصريّ^(٥).

- قد يصرّح بنسبة الآراء المذهبية لأصحابها، كقوله مثلاً : «وزعم بعض الكوفيين أنّ (لَيْسَ جُنَّةً) {يوسف : ٣٥}، فاعل (بدا) في قوله تعالى : (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّةً)، مؤوّل بالسجن. وفهم منه أنّ الفاعل لا يتقدّم، وهو الأصحّ. واحتجّ الكوفيون على جواز تقديمه بقوله : ما لِلْجَمَالِ مَشْيُهَا وَبَيْدًا...^(٦) وهو مؤوّل بأنّ (مشيها) مبتدأ، حذف خبره، أي يوجد.. فإن لم يوجد الفاعل في اللفظ فهو ضمير مقدر، كما قدر عند البصريين في قوله : ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ... الآية، أي بَدَأَ لَهُمْ هُوَ...»^(٧).

١- البيت للفرزدق في ديوانه، تحقيق عمر فاروق الطّباع، ص ٣٥٩. والفدع : اعوجاج في رسغ اليد أو القدم من كثرة الحلب أو الرعي. والعشار : جمع عشاء، وهي الناقة التي بلغ حملها الشهر العاشر. اللسان مادة (فدع)، (عشر).

٢- من البحر البسيط. وورد ذكره دون نسبة في حاشية الصّبان، ج ٤، ص ٥٩، وتحقيق محمد محيي الدين للإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ج ١، ص ٣٠٠. ومومة : المفاضة، وهي تمييز. ويهال : أي يفزع منها. وتيتمها : قصدها. والخريّت بكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء بعدها تاء فوقية : الماهر الحاذق في الطريق.

٣- المخطوط، ص ١٤. ينظر مزيد في ص ١٥، ١٦، ١٨ منه.

٤- المصدر نفسه، ص ١٤. ينظر مزيد في ص ١٦، ١٨، ٢٢.

٥- الإنصاف في مسائل الخلاف، ج ١، ص ٤٤.

٦- تمامه : (أجندلاً يحملن أم حديدا). من الرجز، نسبة ابن هشام في المغني، بحاشية الشيخ محمد الأمير، ج ٢، ص ١٤، للزّباء بنت عمرو، ملكة تدمر في قصة طويلة، ذكرها الأمير في حاشيته هذه.

٧- ص ١٦، من المخطوط.

ومشيئها : عند البصريين مبتدأ، خبره محذوف، أي مشيئها يكون وئيداً، أو يوجد وئيداً، وعند الكوفيين فاعلٌ (وئيدا) متقدّم عليه، و(وئيدا) حال من الجمال. وقد اختار ابن هشام^(٨) مذهب البصريين^(٩). ومن هذا يتبيّن لنا نضج مناقشاته المسائل النحوية، ودقّة تلخيصه الآراء المذهبية.

٥١- الشيخ ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين (ت ١٣٢٨هـ)، العلامة، الوليّ الصالح الربّاني^(١٠). يقول أحمد بن الأمين الشنقيطي عنه : «العلامة الوحيد، له معرفة بعلوم الشرائع، من الحديث، والتفسير والفقه، وغير ذلك.. وكان هذا الشيخ فاضلاً كريماً، لا يوجد أحد أحسن منه أخلاقاً»^(١١)

وهو شيخ مجاهد، من أبرز أعيان شنقيط، درس على والده في الحوض الشرقي، ثم اتّخذ السمارة في إقليم الصحراء مقرّاً له. له من التّأليف النحوية^(١٢) :

أ- تأليف في بيان الأوزان الصّرفية التي يبنى فعل الأمر منها على حرف واحد.
ب- منظومة في أوزان الفعل وتصريفه.

ج - هداية المبتدئين (أرجوزة في النّحو). طبع بالمغرب.

د - مفيد الرجال والنّساء فيما يجوز من الإبدال .

هـ- إبراز اللّآلئ المكنونة في الأسامي المضمرة. طبع في المغرب.

و- منظومة في أوزان أفعال من اللّفيف المفروق.

وقد أحصى الصرفيون عشرين فعلاً من أفعال اللّفيف المفروق، الذي يبنى الأمر منه على حرف واحد، هو عينه، نظّم ابن مالك منها عشرة في أبيات عشرة، ونظم الشيخ ماء العينين العشرة الباقية في عشرة أبيات أيضاً. وذكر الأستاذ عبد الحميد الأنصاري في تحقيقه لطرّة الحسن بن زين هاتين المنظومتين مُنقّحتين في شكل ملحق في نهاية هذا

٨- مغني اللّبيب، ص ٥٤٧. تحقيق مازن المبارك، دار الفكر.

٩- تفصيل ذلك في الأشموني بحاشية الصّبتان، ج ٢، ص ٤٣.

١٠- المنارة والرباط، ص ٥٦٤، وتاريخ النحو، ص ٥٤١.

١١- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص ٣٦٥.

١٢- تُرجم له، ودُكرت هذه التّأليف في كتاب : (الشيخ ماء العينين، علماء وأمرء في مواجهة الاستعمار الأوروبي)، ج ١، ص ١٤٤، ١٤٣، والمنارة والرباط، ص ٥٦٤، وتاريخ النحو، ص ٥٤١.

التحقيق^(١). ومنظومة الشيخ ماء العينين هي :

أَسْرِعْ إِلَى الْخَيْرِ وَأْمُرْ مَنْ نُحِبُّ وَقُلْ
وَلَا تَكُنْ خَادِشًا وَابْذُلْ لِمَنْ لَفَظًا
وَأَقْصِدْ إِلَهَكَ فِي الَّذِي أَهَمَّ وَقُلْ
وَمَنْ رَمَى الصَّيْدَ وَالْعَدُوَّ قُلْتَ لَهُ
وَأَجَمْعْ بِشَعْرِكَ وَابْذُلْ بِالشَّرِيعَةِ قُلْ
وَأَعْطِ مُوسَى لِمُوسَى قُلْ لَهُ عَجَلًا
وَمَنْ يَصِلْكَ وَمَعْرُوفًا يُرِيدُ فَقُلْ
وَقُلْ لِمَنْ بِالْعَنَاءِ جَهْرًا يُصَوِّتُهُ
وَارْبِطْ لِسُوءٍ وَقُلْ لِمَنْ يَجِيءُ بِهِ
وَأِنْ تَزِدْ لِكَمَالِ الْعِزِّ مُرْتَفَعًا
ح يَا أَخِي حَيَاهُ حُوهُ حِي حِينَا
ذَذَا الْمَتَاعِ ذِيَاهُ دُوهُ ذِي ذِينَا
خ يَا أَخِي خِيَاهُ حُوهُ خِي حِينَا
رِمَا رَمَيْتَ رِيَاهُ رُوهُ رِي رِينَا
ز يَا أَخِي زِيَاهُ زُوهُ زِي زِينَا
سِ الرَّأْسِ وَئِكَ سِيَاهُ سُوءِ سِي سِينَا
صِ الْحُبِّ عُرْفًا صِيَاهُ صُوهُ صِي صِينَا
غِ بِالْإِلَهِ غِيَاهُ غُوهُ غِي غِينَا
لِ السُّوءِ عَنَّا كِيَاهُ كُوهُ كِي كِينَا
هـ كَالسَّحَابِ هِيَاهُ هُوهُ هِي هِينَا.

٥٢- محمد يحيى الفقيه بن محمد المختار بن الطالب عبد الله الولاقي (ت ١٣٣٠هـ)،
عالم جليل، حج بيت الله الحرام، وفي طريقه كانت له حوارات مع بعض العلماء،
وَأَلَّفَ كتاباً عن هذه الرحلة^(٢)، له من التأليف النحوية :

أ- شرح الأجرومية^(٣).

ب- نظم الأجرومية، مع شرحه^(٤).

ج - نظم مباحث الحروف من مغني اللبيب لابن هشام^(٥).

د - نظم اختصار الألفيتين مع شرحه^(٦).

١- ج ٢، ص ٦٩٠، وما بعدها.

٢- حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٥، والمنازة والرباط، ص ٦٠٥.

٣- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتمبكتو تحت رقم ٣٧١.

٤- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتمبكتو تحت رقم ٣٩٦.

٥- دُكِرَ في المنازة والرباط، ص ٦٠٥، وتاريخ النحو، ص ٥٤١.

٦- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتمبكتو تحت رقم ١٢٢٠.

هـ- منظومة في التصريف، مع شرحها^(١).

و- منظومة في علوم العربية^(٢).

ح- المواهب التليدة على الفريدة للسيوطي^(٣). وهو شرح متوسط الحجم، يميل إلى الإيجاز، غالباً ما اقتصر فيه المؤلف على تفكيك ألفاظ المتن وتوضيحها، دون الخوض والتعمق في التحليل والمناقشة. من ذلك مثلاً شرحه قول الناظم في بناء الأفعال :

... والماضي بُني والأمر والثالث مُعَرَّبٌ إِنَّ
يَعْرِ مَنْ الْإِنَاثِ وَالتَّوَكِيدِ إِنَّ بِأَشْرُهُ...

حيث يقول : «وكذا فعل الأمر فإنه مبني على ما يُجزم به المضارع المقتضب منه من سكون، نحو : قم، أو حذف، نحو : اخش. والقسم الثالث من أقسام الفعل، وهو المضارع معرب ، أي مستحق للإعراب بشرطين، أشار إليهما بقوله : إِنَّ يَعْرِ، أي يتجرّد من نون الإناث، ولا يكون إلاّ مباشراً له، فإن لم يَعْرِ منه، نحو : [يَتَرَبَّصْنَ...] {٢٢٨، البقرة}، فإنه يبنى على السكون حينئذٍ، ومن نون التوكيد خفيفة كانت أو ثقيلة فإنه يبنى حينئذٍ على الفتح إن باشر، أي المضارع لنون التوكيد بأن لم يفصل بينه مع المضارع واو الجماعة ولا ياء المؤنثة المخاطبة، ولا ألف التثنية، وإلاّ أعرب بالنون المحذوفة. مثال ما استوفى الشروط قوله تعالى : [لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِّنَ الصَّاغِرِينَ] {٣٢، يوسف}»^(٤).

يقصد ما استوفى شروط البناء في حالة اتصال نون التوكيد به.

وكما في شرح قول الناظم في اتصال الضمائر وانفصالها :

... فَإِنَّ تَقَدَّمَ الْأَخْصَ أَجْزُ وَفِي كَانَ وَظَنَّ الْفَصْلُ خَصَّ.

«فإن تقدّم الضمير الأخصّ، أي الأعلى رتبة أجز الوجهين : الفصل والوصل،

١- توجد منه نسخ بمركز مخطوطات أحمد بابا بتيمةكتو تحت أرقام ٣٩١٠، ٨٤٤٦، ٨٤٧٤، كما يوجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١١٨٥.

٢- توجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمةكتو تحت رقم ١٠٠٨.

٣- يوجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٧٣.

٤- ص ٧، من المخطوطة .

نحو : أعطيتك إياه أو أعطيتكه، والوصل أرجح عند ابن مالك. وفي باب ظنّ وباب كان الفصل لثاني الضميرين المنصوب الكائن خبراً في الأصل نصّ، أي ظهر ووجب عند سيويوه لوجوب الفصل قبل الناسخ فكذلك بعده، نحو خلّثك إياه وكنت إياه، وكقوله^(١) :

ليس إِيَّايَ وإِيَّاكَ ولا نَحْـشَى رَقِيـباً^(٢).

فمن هذه النصوص نجده كما سلف ذكره يقتصر على تفكيك النصّ، وتوضيح مايرمي إليه، دون اللجوء إلى التحليل والمناقشة في الغالب. غير أنّه قد يناقش المسألة علاوة على تفكيك مفردات النصّ، ويحلّلها تحليلًا جيّدًا، مُكثرًا من الاستدلال بالشواهد، كما في شرحه مثلاً قول الناظم في مسألة الفاعل الذي يُغني عن الخبر ويسدّ مسدّه :

ومنه وصفٌ رافعٌ لما كَفَى يسبِّـقه مُسْتَفْهِمٌ أو ما نَفَى
لِكونِهِ قامَ مقامَ الفعلِ لا تُخْبِرُ لَهُ ومُفْرَدًا قد جُعِلَا
فإن يُطابقَ فلما بعدُ خَبَرٌ في مفردٍ ونحوهِ الأمرانِ قَرُ.

ومنه، أي من المبتدأ وصفٌ رافعٌ لما كَفَى، أي رافعٌ لفاعل كَفَى، أي أغنى عن الخبر لتمام الفائدة به، يسبّقه، أي الوصف مُسْتَفْهِمٌ، أي أداة استفهام، نحو : أقائم زيدٌ، أو يسبّقه ما نَفَى، أي أداة نفي، نحو : ما قائم زيدٌ لكونه، أي الوصف المستند على استفهام أو نفي قام مقام الفعل في الاكتفاء به مع فاعله، أي تمام الفائدة بهما. لا تُخْبِرُ له : أي لا تأت له بخبر بعد فاعله؛ لأنّه مُغْن عنه. ومُفْرَدًا قد جُعِلَا : أي جُعِل الوصف الكائن مبتدأ، الرفع فاعلاً أغنى عن الخبر مفرداً ولو كان فاعله مثني أو مجموعاً، كقوله^(٣) :
خَلِيلِي مَا وَا فِ بَعْهَدِي أَنْتَمَا إذا لم تُكونا لي على مَن أَقَاطِعُ.

١ - لم أقف على قائله. وقد ورد ذكره في منحة الجليل بتحقيق محمد محيي الدين، ص ٥٤.

٢ - ص ١٦، من المخطوط.

٣ - من الطويل، ولم أقف له على قائل. ورد ذكره في منحة الجليل، بشرح ابن عقيل، ج ١، ص ٩٨، وطرة ابن بونا مع التقريب، ج ١، ص ١٣٦.

وقوله^(١) :

غَيْرُ لَاهٍ عِدَاكَ فَاطَّرِحَ اللّهُوَ وَلَا تَعْتَرِزْ بِعَارِضٍ سَلَمٍ .

وقوله^(٢) :

أَقَاطِنُ قَوْمٍ سَلَمَى أَمْ نَوَوْا ظَلَعَنَا إِنْ يَطْعُنُوا فَعَجِيبٌ عَيْشٌ مَنْ قَطْنَا .

وقوله^(٣) :

أُمْنَجِزْ أَنْتُمْ وَغَدًا وَثِقْتُ بِهِ أَمْ أَقْتَفَيْتُمْ جَمِيعًا نَهْجَ عُرُقُوبٍ^(٤) .
يُلحظ من هذا العرض أنّ المؤلّف يقوم أثناء الشرح بمزج كلامه بكلام الناظم، وأنّه كثير الاستدلال بالأساليب القرآنية، والشعرية دون عزو. ويمكن أن يوصف الشرح بأنّه تعليمي، سلس الأسلوب، يتسم بالإيجاز والاقتضاب.

٥٣- عثمان بن عمر بن سيدي عثمان بن عمر بن الأمين بن غانم بن المختار اليونسي الولاقي (ت ١٣٣٧هـ^(٥)). له شرح على المجردية، لأبي عبد الله محمّد بن محمّد الفزاري المجرد السلاوي (ت ٧٧٨هـ^(٦)) سمّاه : (فتح الرّبّ الرؤوف على المجردية في أحكام الجمل والمجرورات والظروف)^(٧).

يقول اليونسي في مقدّمة هذا الشرح، مبيناً مصادره : «هذا تعليق لطيف وضعته على تأليف الأستاذ النحويّ اللّغوي، رحمه الله تعالى، المعروف ب(المجردية في أحكام الجمل والمجرورات والظروف)، رجاءً لنفع الطالبين، وتيسيراً للمبتدئين، ملتقطاً له من شرح شيخنا سراج الأدباء، وتاج الجلّة الكرماء، فريد عصره، ووحد دهره : المرواني

١ - من الخفيف، ولم أقف له على قائل. ورد ذكره في طرّة ابن بونا، ج ١، ص ١٣٦، وابن عقيل، بتحقيق محمّد محيي الدين، ص ٩٦.

٢ - من البسيط، ولم أقف على قائله. ورد ذكره في طرّة ابن بون، مع تقريبها، ج ١، ص ١٣٥.

٣ - من البسيط، ولم أقف له على قائل. ورد ذكره في منحة الجليل، بتحقيق محمد محيي الدين، ص ٩٨، وطرّة ابن بونا، مع تقريبها، ج ١، ص ١٣٥.

٤ - ص ٢٥، من المخطوط.

٥ - المنارة والرباط، ص ٥٨٣، والمجموعة الكبرى، ج ٢، ص ١٦٢.

٦ - بحث (الجملة العربية)، للدكتور محمّدن ولد أحمد ولد المحبوب، ص ١٧. نقلاً عن المجموع الكبير من المتون فيما ذكّر من الفنون. دار الفكر. ص ٤٣٤.

٧ - توجد منه نسخة بمخطوطات مركز أحمد بابا بتمبكتو تحت رقم ٤٧٧٣، كما توجد له أخرى بحوزة الأستاذ محمّد الأغظف بن الدّاه الولاقي. بانواكشوط. وقد أطلعت عليها.

بن الفقيه النزيه، النحوي اللغوي النبيه، عبد الله النَّفَّاع بن أحمد (ت ١٢٢٩ هـ)، المسمّى ب(تكميل المراد على لامية عمر المجراد) وغيره، وسمّيته (فتح الربّ الرؤوف على المجردية في أحكام الجمل والمجرورات والظروف)»^(١).

وهو شرح مُقتصد بين الإيجاز والإطناب. من أهمّ سماته المنهجية :

- استدلال المؤلف كثيراً بالأساليب القرآنية، والعربية، مقتصرّاً على تبين ما يتضمّنه المتن ويرمي إليه، مُزوِّراً عن الاستطرادات المطوّلة، مازجا الشرح بالمتن. من ذلك مثلاً قوله :

فصل في بيان الجملة، واللفظ المركّب من فعل واسم، نحو: جاء زيد، أو من اسمين... وتسمّى.. كلاماً لوجود الفائدة، وجملة لوجود التركيب الاسنادي. ثمّ صرّح بمفهوم (إن أفادت) فقال : وإلّا، أي وإن لم تفد إفادة تامّة يحسن سكوت المتكلّم عليها، نحو : إن قام زيد فتسمّى جملة فقط... وسواء كان متصرّفاً كما مثلنا، أو جامداً كقوله تعالى : [نِعْمَ الْعَبْدُ] {٤٤، سورة ص}، وسواء كان تامّاً كما مثلنا.. أو ناقصاً، نحو: كان زيد قائماً.. وسواء كان مبنيّاً للفاعل كما مثلنا.. أو مبنيّاً للمفعول كقوله تعالى : [قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ] {١٠، سورة الذّاريات}. وإن لم يكن الفعل صدرها، بل كان الاسم صدرها بأن بدأت باسم فتسمّى جملة اسمية، سواء كان الاسم صريحاً كزيد قائم، والفتى العلى، أو مؤوَّلاً كقوله تعالى : [وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ] {١٨٤، سورة البقرة}، أي صومكم خيرٌ لكم، أو وصفاً رافعاً لمكتفى به عن الخبر، نحو : أقائم الزيدان، أو اسم فعل، نحو^(٢) : هيهات العقيق..^(٣).

وقد نقلت هذا النصّ على طوله لأدّله به على ما ذكرت. ثمّ أخذ في شرح أنواع الجمل على هذا النسق، غير حائِدٍ عنه غالباً.

- يستدلّ بالقراءة لحكم نحوي، دون التوسّع في مناقشتها، من ذلك مثلاً حديثه عن جملة الموصول : «كقولك أتى الذي قد خاف ممّا ضربته، فجملة (خاف) لا محلّ لها؛ لأنّها صلة الموصول... والموصول وحده له محلّ بحسب ما يقتضيه العامّ بدليل ظهور الإعراب في نفس الموصول، نحو قوله تعالى : (لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ... ٦٩،

١ - الورقة الأولى من المخطوط.

٢ - هذه الجملة ربّما تكون من بيت من الطويل لجريير. وهو : (فهيّهات هيّهات العقيقُ ومَنْ بهُ وهيّهات خِلْ بالعقيقِ نُواصلُهُ). ورد ذكره في التصريح على التوضيح، ج ٢، ص ١٩٩.

٣ - ص ٦٥، من المخطوط.

مریم) في قراءة^(١) النصب^(٢).

- أحيانا يأتي بأقوال العلماء وآرائهم، دون مناقشة أو ترجيح، كحديثه مثلا عن الجُمْل التي لا محل لها من الإعراب: وقال أبو إسحاق الزجاج^(٣) وأبو محمد عبد الله بن جعفر بن دُرُسْتَوَيْه^(٤): إنَّ الجملة.. محلّها الجزّ، أي في موضع جرّ ب (حتّى) إذا وقعت من بعد.. حتّى الابتدائية، كقول جرير^(٥):

فما زالت القناتمي بماء الآ بدجلة حتّى ماء دجلة أشكاه^(٦).

وكما في تحليله المفصل عن الجملة التفسيرية: «جملة الاستفهام الصوري، وهي: [هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ] {٣، الأنبياء}، مفسّرة ل (النَّجْوَى)^(٧)، فلا محل لها من الإعراب.. و (هل) هنا للنفي بمعنى (ما)، ولذلك دخلت (إلا) بعدها. ف (الذين ظلموا) مبتدأ مؤخر، و (أسروا النجوى) خبر مقدّم، وقيل: (الذين ظلموا) فاعل (أسروا)، والواو حرف دالّ على الجملة، لا ضمير. وهي لغة ركيكة، قليلة. وقيل: إنّ جملة الاستفهام الصوري بدل من (النجوى) فيكون محلّها نصبا على أنّ ما فيه معنى القول يعمل في الجملة، وهو رأي الكوفيين، وهو إبدال جملة من مفرد^(٨).

تحليل يفيد حسن الشرح وجودته. وهذه اللغة التي وصفها رحمه الله بالركاكة، يصفها النحويون عادة بالقليلة، ويعبرون عنها بلغة (أكلوني البراغيث)، وهي مذهب طائفة من العرب، هم (بنو الحارث)، ويعبر عنها ابن مالك بلغة (يتعاقبون فيكم ملائكة...) ^(٩).

١ - هي قراءة شاذة منسوبة لطلحة بن مصرف ومعاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء، وزائدة عن الأعمش، والحركة حركة إعراب على مذهب الخليل ويونس. أمّا الرفع فهو قراءة الجمهور المتواترة، والحركة حركة بناء على مذهب سيبويه. ينظر تفصيل ذلك في البحر المحيط في التفسير، ج ٧، ص ٢٨٧، ٢٨٨.

٢ - ص ١٠، من المخطوط.

٣ - إبراهيم بن السري بن سهل، العالم النحوي اللغوي (ت ٣١١هـ). يراجع الأعلام، ج ١، ص ٤٠.

٤ - عالم لغوي، توفّي ببغداد سنة ٣٤٧هـ.

٥ - لم أقف عليه في مصادر شعره.

٦ - ص ١٠، من المخطوط.

٧ - الأصل: (وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ... من الآية ٣ من سورة الأنبياء).

٨ - ص ١٢، من المخطوط.

٩ - حديث شريف. يراجع في صحيح البخاري بشرح فتح الباري، باب فضل صلاة العصر، ج ٢، ص ٢٢١. كما يراجع التفصيل النحوي للمسألة في شرح ابن عقيل على الألفية، وحاشية المحقق محيي الدين، ص ٢٣٢، فبا بعدها.

- يعتني كثيرا بتسجيل الفوائد والتبّات، كقوله مثلا : «وإلاّ فتمسى جملة فقط». فائدة : في قَطّ خمس لغات : أوّلها وأفصحها فتح القاف وضَمّ الطاء مشدّدة، والثانية فتح القاف وتشديد الطاء مكسورة على أصل التقاء الساكنين، والثالثة إبتاع القاف للطّاء في الضمّ، والرابعة تخفيف الطاء مع الضمّ، والخامسة تخفيف الطاء مع السكون»^(١).

وكقوله في نهاية حديثه عن جملة الموصول الاسميّ : «تتمّة : الموصول الحرفي ستّة: أن تُفتح الهمزة وتُشدّد النون، نحو: يُعجبني أنّ زيدا قائم، أي قيام زيد، وأن تُفتح الهمزة وتُسكّن النون، نحو: يعجبني أن تقوم، أي قيامك، و(لو) كقوله تعالى : (وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ... ١٠٢، سورة النساء)، أي غفلتكم، و(كي)، نحو : جيئ كي أكرمك، أي لإكرامك، و(ما)، نحو : يُعجبني ما صنعت، أي صنعك، و(الذي) على قول...»^(٢).

وبهذا يظهر أنّه شرح تعليمي، موجّه لطلاب المحاضر، وذلك من أسلوبه المركز، الواضح السلس.

٥٤- عبد القادر بن محمّد بن محمّد سالم المجلسي (ت ١٣٣٧هـ). له في التّحوي^(٣) :

أ- شرح على ألفية ابن مالك. توفي قبل الانتهاء منه.

ب- المشرب الظلال لشرح لامية الأفعال^(٤). ويتبادر إلى الذهن لأوّل وهلة أنّه شرح ل(لامية ابن مالك) فقط، غير أنّه شرح لها ولاحمرار الحسن بن زين (ت ١٣١٥هـ) عليها. وهو شرح كبير، تبلغ صفحاته (سبعين ٧٠ صفحة)، من الورق الكبير، وتصل سطور الصفحة منه إلى حوالي (أربعين ٤٠ سطرا). من سمات منهجه فيه أنّه :

- شرح ضافٍ، شامل كثيرا من أمّهات التصريف ومسائله، بأسلوب سلس، مُناسب، دقيق التعبير. كما في شرحه مثلا بيت اللامية : بفعلّ الفعل ذو التجريد أو فعلا يأتي ومكسور عينٍ أو على فعلا.

١- ص ٦٠، ٥، من المصدر نفسه.

٢- ص ١١، من المصدر نفسه.

٣- تُرجم له، وذُكر هذا التأليف في الألفية وتأثيرها، ص ٤٤، والمنارة والرباط، ص ٥٨٢، والمجموعة الكبرى، ج ٢، ص ١٥٠.

٤- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٢١٩.

«أي الفعل المجرد يأتي رباعيا على وزن فعَلَل، وثلاثيا على وزن فَعَّل بضم العين، أو فعل بكسرهما، أو فعَل بفتحها. فالفعل مبتدأ، وذو التجريد نعتة، و(يأتي) خبره، وبفعلل في موضع الحال المتقدمة من فاعل (يأتي) المستتر، وكذا قوله : أو مكسور عين، أو على فعلا، حالان منه»^(١).

ثم أخذ في مناقشة كثير من المسائل الصرفية المتعلقة بهذه الأفعال.
- مما يفيد جودة هذا الشرح وحسنه تعليقه القيم على بيت الحسن بن زين، الذي يُعدّ من أبيات الأحرار الصعبة :

تَضْعِيفُ ثَانٍ أَوْ أَنَّ الْيَاءَ آخِرُهُ أَوْ عَيْنُهُ كَالْوَقُوعِ قَلَّمَا نَقَلَا :
تضعيف : مبتدأ. وقَلَّمَا نَقَلَا : خبره. يعني أَنَّ تَضْعِيفَ الثَّانِي مِنَ الْأَوْزَانِ، وَهُوَ (فَعْل) المضموم قَلَّ مَا نُقِلَ مِنْهُ عَنِ الْعَرَبِ. فَحَكَى الْجَوْهَرِيُّ عَنْ يُونُسَ : لَبِيتُ يَارْجُلَ صَرْتِ لَبِيَا. قَالَ : وَهُوَ نَادِرٌ، لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الْمَضَاعِفِ، وَزَادَ فِي الْقَامُوسِ، فِي حَرْفِ الْكَافِ : فَكُكْتُ كَكُرُمْتُ.. وَالْفَكَّةُ : الْحَمَقُ فِي اسْتِرْخَاءٍ. وَفِي حَرْفِ الْمِيمِ : دَمَّ يَدَمٌ دِمَامَةً بِمَعْنَى : قُبِحَ... أَوْ أَنَّ الْيَاءَ آخِرُهُ : يَعْنِي أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فَعْلُ الْمَضْمُومِ مُتَصَرِّفًا يَأْتِي اللَّامُ إِلَّا قَلِيلًا، كَقَوْلِهِمْ : نَهْوُ الرَّجُلِ غَيْرَ مَهْمُوزٍ، أَيْ صَارَ عَاقِلًا ذَا نَهْيَةٍ، وَهِيَ الْعَقْلُ، وَجَمَعَهَا النَّهْيُ. وَالْوَاوُ فِي (نَهْوٍ) : أَصْلُهَا يَاءٌ، وَإِنَّمَا قَلَبْتُ وَآوَا لَانْضِمَامَ مَا قَبْلَهَا. وَاحْتَرَزَ (مُتَصَرِّفٌ) مِنْ (قَضَوْ، وَرَمَوْ)، وَهُوَ بِمَعْنَى : مَا أَقْضَاهُ وَمَا أَرَمَاهُ، فَإِنَّهُ مَطْرَدٌ فِي بَابِ التَّعَجُّبِ. وَقَوْلُهُ : أَوْ عَيْنُهُ : يَعْنِي أَنَّ فَعْلَ الْمَضْمُومِ لَمْ يَرِدْ يَأْتِي الْعَيْنَ إِلَّا قَوْلُهُمْ : هَيَّؤُ الرَّجُلَ إِذَا حَسَنْتَ هَيْئَتَهُ... وَقَوْلُهُ كَالْوَقُوعِ : أَلْ، خَلْفَ عَنِ الضَّمِيرِ... يَعْنِي أَنَّ وَقُوعَ فَعْلِ الْمَضْمُومِ، أَيْ تَعْدِيهِ بِتَضْمِينِ قَلِيلٍ، لَكِ (رَحُبُكُمُ الدُّخُولَ فِي طَاعَةِ الْكِرْمَانِي، وَإِنْ سَرَاةَ طُلُعَ الْيَمْنِ، أَيْ وَسِعَكُمْ، وَبَلَّغَهُ)^(٢).

فقد شرح هذا البيت شرحاً جيّداً، سالماً من الركاكة التي قد يقع فيها بعض طرّره.
- ينقل كثيرا عن المعاجم اللغوية، كالقاموس المحيط والصّحاح للجوهري، وعن علماء اللغة، كيونس والخليل، مع عمق التحليل والمناقشة، وكثرة الاستطراد، كما أنّه كثير الملحوظات والتنبيهات والاستدراكات أثناء الشرح، كما رأينا في النصّ.

١ - ص ٤، من المخطوط.

٢ - ص ٤، ٥، من المخطوط.

ولأجل تبين كل ما له علاقة بالمتن كثيرا ما يذكر لغة الأمثلة، التي تحتاج إلى توضيح، مع الاستدلال لها بالشواهد، كما يتعرّض لإعراب ما استغلق من المتن لحله وتسهيله على الدارسين. وشواهد غزيرة، في طليعتها القرآن العظيم، والشعر العربي، وأقوال العرب^(١)، ممّا جعله شرحا ذا قيمة كبيرة.

٥٥- محمد يحيى بن سليمة اليونسي (ت ١٣٥٤هـ)، عالم جليل، مجتهد، غزير التأليف، كثير اختصار المصنّفات. ترك من المؤلفات النحوية^(٢):

أ- قصيدة في التصريف مع شرحها^(٣).

ب- الأجوبة المقنعة على الأسئلة العربية.

ج - بهجة الأخيار على ألفية الاحمار^(٤).

د - منظومة حسن التفسير في النحو.

هـ - شرح ألفية ابن مالك واحمرارها لابن بونا^(٥). وهذا ربّما يكون هو نفسه : (بهجة الأخيار على ألفية الاحمار)، سالف الذكر. ومع هذا فالْيُونُسِيُّ يبقى من أصحاب التوجّه الموازي للخطّ البوني، وهو ما يوحى به أغلب تأليفه.

و- شرح منظومة سيدي محمّد بن حَبْت القلاوي (ت ١٢٨٨هـ) في أحكام التقاء الساكنين^(٦).

ز- منظومة نحو شهرين مع شرحها المطوّل^(٧).

ح - منظومة نحو شهرين مع شرحها الموجز^(٨).

١ - مثلا أمثلة لذلك في ص ١٠، فما بعدها من المخطوط.

٢ - يراجع حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٥، والمنازة والرباط، ص ٦٠١.

٣ - توجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتييمكتو تحت رقم ٥١٣٩.

٤ - يوجد منه نسخ بمخطوطات مركز أحمد بابا بتييمكتو تحت أرقام ٤٩٤، ٤٩٦٣، ٦١٤٢.

٥ - يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتييمكتو تحت رقم ٤٧٧٠.

٦ - يوجد على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٣٠٥.

٧ - يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتييمكتو تحت رقمي ١٣٢٠، ٤٢٣٠.

٨ - يوجد بمركز أحمد بابا بتييمكتو تحت رقم ١٧٢٤.

ط - نزهة الألباب في شرح تحفة الأحياء^(١).

ي - نظم قواعد النحو مع شرحه.

ك - الفوائد الزكية على نظم متممة الأجرومية (النظم والشرح له)^(٢).

ل - شرح منظومة عُبيد ربّه للأجرومية^(٣).

م - نظم الأجرومية^(٤).

كان رحمه الله ميّالا إلى الاجتهاد في تصانيفه المتنوّعة، المفيدة في العلوم العربية، الإسلامية، ففي النحو مثلا يقول في منظومته المسماة^(٥) (قرّة العَيْنين على نحو الشهرين)، عند حديثه عن علامات الأسماء :

فالاسم يعرف بحسّ وبألٍ والخفض والتنوين والنّدا وعَلّ.

فالجدید عنده في هذا البيت هو زيادته علامتين، رآهما من علامات الأسماء، لا وجود لذكرهما عند أسلافه من نحاة العربية، أولاها : (الحسّ)، أي إدراك بعض الأسماء بالحواس. وثانيتهما (عَلّ). يقول الدكتور محمد المختار بن أباه معلّقا : «ثمّ أورد (عَلّ) من علاماته، وهذا أيضا جديد في منهج النحاة؛ لأنّهم يكتفون غالبا بعموم الإسناد»^(٦). وفي الحقيقة هاتان العلامتان سبقه إلى ذكرهما ابن الحاج حمى الله القلاوي (ت ١٢٠٩هـ)، كما مرّ بنا في قوله ب (نظم الرّبّاني) :

فَمَيِّزِ الْاسْمَ بِحَسٍّ وَلَعْلَ ...

إلا إذا كان اليونسيّ لم يطلع على قوله هذا، مع أنّ التشابّه الحاصل بين نظميها يوحى بغير ذلك، فيما أرى.

١ - يوجد بمركز أحمد بابا بتيبكتو تحت رقم ٦١٤٠.

٢ - يوجد بمركز أحمد بابا بتيبكتو تحت رقمي ١٨٤٤، ٤٦٩٦.

٣ - يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيبكتو، تحت رقمي ٢٨٣١، ٤١٩٠.

٤ - يوجد بمخطوطات مركز أحد بابا بتيبكتو تحت رقم ٣٩٧١.

٥ - له (منظومة نحو شهرين)، مع شرحها المطوّل. يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيبكتو تحت رقمي ١٣٢٠،

٤٢٣٠. و(منظومة نحو شهرين) مع شرحها الموجز، يوجد بمركز أحمد بابا بتيبكتو تحت رقم ٤١٧٢.

٦ - تاريخ النحو العربي، مصدر سابق، ص ٤٩٢.

٥٦ - أحمد فال بن محمدو (آدو) بن الأمين^(١) الجكني (ت ١٣٥٤هـ)، له :

- شرح على ملحّة الإعراب للحريري^(٢). وهو شرح مفيد، متوسط الحجم، تبلغ صفحاته المحقّقة (مائة وأربعين ١٤٠) صفحة، كتبه فيما يبدو للمتعلّمين المتوسّطين. يقول في مقدّمته : «وبعد فهذا شرح مفيد وضعته على ملحّة الإعراب»^(٣). ركّز فيه كثيرا على تبين دلالة المفردات، لغة وتصريفا. كقوله مثلا عند قول الناظم في باب الكلام :

حدّ الكلام ما أفاد المستمع نحو سعى زيدٌ وعمرو متّبع
ونوعه الذي عليه يُبنى اسمٌ وفعلٌ ثم حرفٌ معنّى

«حدّ الكلام : الحدّ الجامع لأفراد الشيء المحدود، المانع من دخول غيره فيه... والكلام : هو اللفظ المركّب للقصد. وفسّر حدّ الكلام بقوله : ما أفاد المستمع إفادة تامّة بحيث لا يكون منتظرا للكلام آخر، وواحد كلمة، وجمعها كلم. وقد تطلق الكلمة على أكثر من واحدة مجازا عند أهل اللغة، كقوله تعالى : (كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا... ١٠١، المؤمنون) إشارة إلى قوله تعالى : (رَبِّ ارْجِعُونِ... ١٠٠، المؤمنون). وقول النبي صلى الله عليه وسلّم : أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد^(٤) :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ^(٥).

نحو سعى زيدٌ : هذا مثال الكلام المركّب من فعل واسم، والمركّب من اسمين، نحو عمرو متّبع. ونوعه : النوع الجزء من الجنس؛ لأنّ الكلام اسم جنس. وقوله : نوعه : جميع أنواعه؛ لأنّه مفرد مضاف يعمّ كلّ نوع. الذي عليه يُبنى : يصنع، بُني الشيء بُنى وبُنيانا وبُناء وبُنيةً وبُنيّةً، جمعه أبنيّةٌ : صنّعه. اسم وفعل ثم حرف معنّى : يعني أنّ الكلام لا يوجد منه شيء مركّب إلّا من هذه الكلمات الثلاث، قال ابن مالك : ...

١- ترجم له مُحقّق شرحه هذا في مُستهلّ القسم الدّراسي من التحقيق.

٢- حقّقه أحمد ولد شامخ في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة الدّراسية (٢٠٠٥/٢٠٠٦هـ)، يوجد تحت رقم ١٢ بقسم الرسائل بالمعهد.

٣- ص ١٧، من التحقيق.

٤- الحديث من رواية أبي هريرة، في صحيح البخاري، في كتاب الأدب، باب ما يجوز من إنشاد الشعر والرجز. ج ١٢، ص ١٧١.

٥- من الطويل. ينظر في مختار الشعر الجاهلي، ج ٢، ص ٤٨٣.

واسمٌ وفعلٌ ثمَّ حرفٌ معنًى^(١).

فهذا يفيد أنّه تصنيف من الشروح التعليمية، التي تميل إلى الإيجاز في المناقشة والتحليل، اكتفاءً بإيضاح مضامين المتن.

٥٧- سيدي عيسى بن محمد المختار بن أهل أحمادو الولاقي (ت ١٣٦٠ أو ١٣٧٠ هـ)،

له^(٢) شرح على نظم الأجرّومية: (عُبَيْدِ رَبِّهِ). طبع بمراجعة عبد الكريم إقبال.

وهو شرح مهمّ للمبتدئين في مادّة النّحو لجودته وحسنه. من سمات منهجه فيه:

- أنّه متوسّط الحجم، يبسط القول فيه قدر ما يحتاج طالب النّحو المبتدئ، من توضيح مقتضى المتن، وما يرمي إليه ولو ضمنا، مُزَوِّراً فيه عن الإيجاز المقتضب والمناقشة المطوّلة. من ذلك مثلاً شرحه قول الناظم:

أقسامه التي عليها يُبنى اسم وفعل ثمَّ حرف معنًى.

يعني أنّ أقسام الكلام المبنيّ عليها ثلاثة، اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، قدّم الاسم لشرفه؛ لأنّه يُسند ويُسند إليه. وحدّه: ما دلّ على معنى في نفسه، ولم يقترن بأحد الأزمنة الثلاثة. وحكمه: الإعراب إلّا ما شابه الحرف شَبَّهًا يُقَرِّبه منه، كالضمائر بنيت لشبَّهها للحرف في الوضع؛ لأنّ الحرف وضع على حرف واحد أو حريفين أو ثلاثة قليلاً، وكذلك الضمائر. وكأسماء الاستفهام وأسماء الشرط بنيت لشبَّهها للحرف في المعنى. وك(إذ) و(إذا) و(حيث) والموصولات لشبَّهها للحرف في الافتقار الأصلي. وكأسماء الإشارة لشبَّهها للحرف في المعنى، لكن لم تضع له العرب حرفاً، ومن حقّهم أن يضعوه له. وأقسامه، أي: الاسم ثلاثة، إمّا ظاهر أو مضمّر أو مبهم، وهو اسم الإشارة. وأتبعه بالفعل لتوسّطه بين الاسم والحرف، ولكونه يُسند ولا يُسند إليه، أي يخبر به ولا يخبر عنه. والفعل حدّه: ما دلّ على معنى في نفسه واقترن بأحد الأزمنة الثلاثة. وحكمه: البناء، وإعراب المضارع لشبَّهه بالاسم في الإبهام والتخصيص وقبول لام الابتداء إذا اتصلت به نون التوكيد أو نون الإناء فيرجع لبنائه... إلخ^(٣).

١- ص ٢٣، من التحقيق.

٢- حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٥، والألفية وتأثيرها، ص ٤٣. والشرح مطبوع، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٠ هـ، الدار البيضاء.

٣- المصدر نفسه، ص ١٠.

- قد يتوسّع في الشرح ويذكر مسائل لا يتضمّنهما المتن، كقوله مثلاً عند قول الناظم :
الفاعل ارفع وهو ما قد أسندا إليه فعلٌ قبله قد وُجدا.

يعني أنّ الفاعل مرفوع.. سواء كان إسناد الفعل حقيقة لوقوعه منه، نحو: قام زيد، أو^(١) مجازاً لقيامه به، نحو: علم زيد. ويتنزّل منزلة الفعل ما هو في تأويله، وهو عشرة: اسم الفعل، نحو: هيّهات العقيق، واسم الفاعل، نحو: زيد ضارب أبوه عمرا. وأمثلة المبالغة، قال ابن مالك^(٢):

فَعَالٌ أَوْ مَفْعَالٌ أَوْ فَعُولٌ فِي كَثَرَةٍ عَنْ فَاعِلٍ بَدِيلٌ
فَيَسْتَحِقُّ مَالَهُ مِنْ عَمَلٍ وَفِي فَعِيلٍ قَلٌّ ذَا وَفَعِيلٍ.

نحو: زيد ضَرَّابٌ ومِضْرَابٌ وضَرُوبٌ وضَرِيبٌ وضَرْبٌ. والصفة المشبهة، نحو: زيد حَسَنٌ وجهه. والمنسوب إليه، نحو: جاء رجل قرشيّ أبوه، أي: منسوب إلى قریش. واسم التفضيل، نحو: ما رأيت رجلاً أحسنَ في عينه الكحلُّ منه في عين زيد، فاسم التفضيل (أحسن) و(الكحل) فاعله. والمصدر، كقوله^(٣):

أَلَا إِنَّ ظُلْمَ نَفْسِهِ الْمَرْءُ بَيِّنٌ إِذَا لَمْ يَصْنُهَا عَنْ هَوَى يَقْلِبِ الْعَقْلَا.

واسم المصدر، نحو: عَجِبْتُ مِنْ عَطَاءِ الدنانيرِ زيدٌ. ف(المراء) فاعل، (ظلم) مصدر مضاف لمفعوله. والظرف وعديله، المعتمدان على نفي أو استفهام، نحو: أعندك زيد أو في الدار محمد. والاسم الموضوع للفعل، نحو إِيَّاكَ أنت وزيد أن تخرجا؛ لأنّه موضوع موضع اخذ^(٤).

- لا يهتم كثيرا بالتعرّض للخلافات النحوية، ولا الوقوف عند الآراء، سوى بعض الإشارات المقتضبة، التي قد يستدعيها توضيح بعض ما قد يرد في المتن. من ذلك مثلاً قوله عن (فعل الأمر) عند قول الناظم :

فالماضي مفتوح الأخير أبداً والأمر بالجزم لدى البعض ارتدّى :

١ - الأفضح العطف ب(أم) بعد (سواء). ولم ينبّه مُراجع الشرح على ذلك. ينظر مغني اللبيب، ص ٥٣. مبحث (أم).

٢ - البيتان : (الخامس والسادس) من باب إعمال اسم الفاعل، من الخلاصة.

٣ - ورد ذكره في التوضيح بشرح التصريح، ج ٢، ص ٦٣، وطوّره ابن بونا، بتقريبها، ج ٢، ص ٤٤١.

٤ - ص ٣٤ من الشرح.

«يعني أنّ الأمر مجزوم عند بعض النحاة، وعبارة الجزم تدلّ على أنّه معرب، وذلك رديء، أي ضعيف، والمشهور أنّه مبنيّ على ما يُجزم به مضارعه من سكون إن كان صحيحاً، أو حذف إن كان معتلاً»^(١).

يقصد (ببعض النحاة) الكوفيين، فهذا مذهبهم^(٢). فالناظم نظم نثر الأجرومية كما هو :

(والأمر بالجزم أبداً)، وقد ذكرت سالفاً عند الحديث عن متن الأجرومية، في النقطة (ب) أنّ صاحبها يمزج بين المذهبين : البصريّ والكوفيّ. وقد وصف الشارح هنا مذهب الكوفيين بالرداءة، وهو في الحقيقة تجاوز، إذ لا ينبغي وصف مذهب بها؛ لأنّه مذهب مقصود عند أصحابه، مختار بالأدلة. وبصرية الشارح واضحة، جلية.

- شواهد القرآنية غزيرة، فصفحاته مملوءة بالاستدلال بها، كما استشهد بالشعر دون عزو له في الغالب، وأورد بعض الأنظمة النحوية، فبلغت شواهد الشعرية حوالي (٤٦) بيتاً، والأنظمة النحوية (٢٨) بيتاً. وبهذا يمكن أن يقال : إنّ شرح قيم، مناسب لطلبة النحو المبتدئين، شامل كثيراً من مقاصد النحو ومسائله، بأسلوب سلس، واضح.

وقد استغربت من وصف عبد الكريم إقبال للمغاربة في تقديمه لهذا الشرح، الذي قام بإخراجه مشكوراً، بأنهم مُقلّون في التأليف النحوي، إذ قال : «ومن جهة ثانية ليُعلم جهد المغاربة المتأخرين في هذا العلم المفتاح، وأنهم أهل التصنيف، وإن كانوا مقلّين»^(٣).

كلام غير صحيح على الإطلاق، بل جانب الصواب، ويبدو على صاحبه أنّه لم يكن مطلعاً على جهود المغاربة، وما تركوه من كنوز ثرة في هذا العلم، فضلاً عن غيره من العلوم الأخرى، خذ مثلاً جهود الشناقطة في علم النحو، فستجد أنّي ترجمت ترجمات موجزة في دراستي هذه (لاثنين وستين ومائتي ٢٦٢ عالم نحويّ)، مؤلف، أحصيت لهم من التأليف النحوية (واحداً وخمسين وأربعمئة ٤٥١)، من ضمنها كثير من الموسوعات. مع العلم أنّي لم أتمكن من حصر المؤلفين جميعهم، ومؤلفاتهم النحوية.

١ - المصدر نفسه، ص ٢٦.

٢ - الإنصاف في مسائل الخلاف، ج ٢، ص ٥٢٤.

٣ - ص ٣، من تقديمه لهذا الشرح. الطبعة الأولى سنة ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩، الدار البيضاء : دار الرشد الحديثة.

وعليه فإنني أقول لأخينا هذا : فهل تستطيع أن تذكر لي قطرا واحدا صغيرا بحجم القطر الشنقيطي من غير المغاربة استطاع الاقتراب من إنتاج هذا الكم الثر من التراث النحوي؟. إنه فقط عدم الاطلاع على جهود المغاربة في هذا الميدان، والحكم المتسرع المبني على عدم الاستقرار والتبع!! هذا ناهيك عن إنتاجهم الغزير في بقية فروع الثقافة العربية الإسلامية، المدروسة في المحاضرة الشنقيطية.

٥٨- محمد المختار بن أحمد بن امباللة الششتي (ت ١٣٦٤ هـ^(١))، فقيه، لغوي. له شرح (عُبَيْد رَبِّهِ^(٢))، وهو شرح قيم للغاية، يسترسل فيه أثناء تحليل المسائل ومناقشتها باتساع وشمول، مع غزارة في الاستدلال بالشعر، كما يستشهد بالأساليب القرآنية، وآثار الصحابة، ويورد الأنظام النحوية. من أمثلة ذلك شرحه مثلاً بيت الناظم :

إِنَّ الْكَلَامَ عِنْدَنَا فَلْتَسْتَمْعَ لَفْظٌ مُرَكَّبٌ مَفِيدٌ قَدْ وُضِعَ.

يعني أن الكلام عند أهل النحو، وأرجع الضمير على نفسه معهم؛ لأنه مشارك لهم في معرفته، لفظ مستعمل، واللفظ في اللغة هو الطرح، تقول : أكلت التمرة، ولفظت النواة، أي طرحتها، وفي الاصطلاح هو : الصوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية، والصوت هو ما يقع بين القارع والمقروع. واحترز به من الخط، كقوله : (ما بين دفتي المصحف كلام الله)^(٣)، والإشارة، كقول الشاعر^(٤):

إذا كلمتني بالعيون الفواتر رددتُ عليها بالدموع البوادر.

وقال الآخر^(٥):

أشارتُ بطرف العين خيفةً أهلها إشارةً محزونٍ ولم تتكلّم
فأيقنتُ أنّ الطرفَ قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المُتيم

١- تُرجم له في الألفية وتأثيرها، ص ٤٣، والمنازة والرباط، ص ٥٩٨.

٢- حققه محمد بن مولاي (ليس الدكتور محمد بن مولاي المعروف)، في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، (السنة الدراسية ٢٠٠٠/٢٠٠١م)، مودّع تحت رقم ١٩ بقسم الرسائل بالمعهد.

٣- وهو منسوب إلى عائشة رضي الله عنها، ولم أقف عليه إلّا في كتب النحو، كما في إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النحويين من الأخبار والآثار، ص ٣٥، وطرة ابن بونا على ألفية ابن مالك، مع تقريبها، ج ١، ص ٥.

٤- لم أقف على قائله، وقد ذكره ابن بونا في طرّته مع التقريب، ج ١، ص ٥. وهو من الطويل.

٥- هو يزيد بن معاوية (ت ٦٤هـ)، حسبما ورد في الموسوعة العالمية للشعر العربي على شبكة (الأنترنت). والبيتان من قصيدة له ذُكرت في الموسوعة نفسها، رقم : ٦٤٩٩٢.

ومن لسان الحال، كقوله^(١):

شكا إليّ جليّ طول السرى مهلاً رويداً فكـ _____ لانا مُبتلى .
وقوله^(٢):

امتلاً الحوض فـ قال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني
ومن حديث النفس، كقوله^(٣):

إن الكلام لفي الفؤاد وإنـ _____ جعل اللسان على الفؤاد دليلاً.

وخرج بقولنا (مُسْتَعْمَل الألفاظ) المهمل كديز.. فلا يُسمّى شيء من هذه المحترزات كلاماً. قوله : مركّب، أي ما تركّب من كلمتين فأكثر، إمّا من اسمين كزيد قائم، أو من اسم وفعل كقام زيد، واحترز به من المفرد فقط فلا يُسمّى كلاماً. قوله : مفيد، أي مُتضمّن فائدة يحسن السكوت عليها كجاء زيد للجاهل بمجيئه. واحترز من المعلوم عند المخاطب كالسما فوقنا والأرض تحتنا، ومن المتوقّف على غيره كجملة الشروط دون الجزاء، نحو : إن قام زيد، ومن المركّب الإضافي كغلام زيد، وعبد الله بن عمر، والمزجي كمعدي كرب، وبعليك، والإسنادي لمجعول علماً كبرق نحره، وتأبط شراً... إلخ^(٤).

تحليل غاية في الجودة والحسن.

- يتّسم أسلوبه بالسلاسة والوضوح والدقّة في التعبير، كشرحه مثلاً مصطلحي الخفض والتنوين في بيت الناظم :

فالاسم بالخفض والتنوين أو دخول أل يُعرف فاقفوا ما قفوا.
حيث يقول :

يعني أنّ الاسم، يتميّز عن قسميه بالخفض، والمراد به الكسرة التي يجلبها عامل

١ - ورد في لسان العرب، مادة (شكا) دون عزو، كما ورد في طرّة ابن بونا مع التقريب، ج ١، ص ١٥٩، دون نسبة أيضاً.

٢ - رجز، لم أقف على قائله. ينظر في طرّة ابن بونا، ج ١، ص ٦٨.

٣ - من الكامل، وهو للأخطل، أحد شعراء الدولة الأموية. وقد ورد ذكره في طرّة ابن بونا مع التقريب، ج ١، ص ٥، وشرح المفصل لابن يعيش، ج ١، ص ٢١.

٤ - ص ١٧، ١٦، من التحقيق.

الجرّ في آخر الاسم، سواء كان الخفض بالحرف، أو بالإضافة^(١)، أو التبعية، وقد جمعت في (البسملة)، فلفظ (اسم) مجرور بالحرف، واسم الجلالة مجرور بالإضافة، و(الرحمن الرحيم) مجروران بالتبعية، ويدخل فيه الجرّ بالمجاورة، كقوله في الفريضة^(٢) :
 مَنْ أَثْبَتَ الْجَرَّ عَلَى الْمَجَاوِرَةِ فِي النِّعَتِ وَالتَّوَكِيدِ فَاقْفُ نَاصِرَةً.
 كقوله^(٣) :

كَأَنَّ أَبَانَا فِي أَفَانِينَ وَذُقِهِ كَبِيرٌ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مَزْمَلٍ.
 فَجَرٍّ (مَزْمَلٍ) بِمَجَاوِرَةِ (بَجَادٍ)، وَهِيَ نَعْتٌ لَ (كَبِيرٍ). وَمِنْهُ الْجَرُّ بِالتَّوَهُّمِ، كَقَوْلِهِ^(٤) :
 بِدَالِي أَنِّي لَسْتُ مُدْرِكُ مَا مَضَى وَلَا سَابِقُ شَيْئًا إِذَا كَانَ جَائِيًا.
 فَجَرٍّ (سَابِقٍ) لِتَوَهُّمٍ أَنَّهَا عَطْفٌ عَلَى خَبَرٍ (لَيْسَ)، الَّذِي أَصْلُهُ يَجْرُ بِالْبَاءِ... وَأَنْوَاعُهُ أَرْبَعَةٌ...^(٥).

وقد نقلت هذا النصّ على طوله لأدلل به على حسن الشرح وجودته، فهو فعلا شرح جيّد للغاية، خلّله مؤلّفه أثناء المناقشة بشيء غير يسير من مسائل التحو وطرائفه، قد لا يتوافر في بعض الشروح المطوّلة.

٥٩- محمّدو سالم بن عبد الله بن الشين الدكوجي (ت ٨- ١٣٨٧هـ)، لغويّ كبير، شاعر، مدرّس، متميّز، مؤلّف قدير، كان مدرّساً لعلوم العربية بمحظرة أهل بيّه العريقة بضواحي مدينة تمبذغة في الحوض الشرقي، فتخرّج على يديه بها ثمّ بمدينة تمبذغة علماء كبار، من أبرزهم العلامة الدكتور الشيخ عبد الله بن بيّه المسوميّ، النحويّ، اللّغويّ، الأصوليّ، المفكّر الإسلاميّ، ذو العطاء العالميّ، شيخ المحظرة المذكورة آنفاً، ورئيس (المركز العالميّ للتّجديد والتّرشيد. ما يزال حيّاً)، ثمّ استقرّ بابن الشين المطاف بمدينة تمبذغة، التي توفي بها. ترك هذا العلامة اللّغويّ كثيراً

١- الأفضح العطف ب(أم) بعد (سواء) .

٢- يقصد فريدة السيوطي في النحو. والبيت مذكور فيها بعد باب الإضافة تحت عنوان (خاتمة)، ص ٤٣ من المتن.

٣- من البحر الطويل. أبانا : جبل. والأفانين : الأنواع والضروب. والوذق : المطر. والبجاد : كساء مخطّط. والمزمل : الملفّف بالثياب. أي : كأنّ جبلاً في بدايات المطر سيّد قوم متلفّ بكساء مخطّط. ينظر مختار الشعر الجاهلي، شرح وتحقيق مصطفى السقا. ج ١، ص ٣٣.

٤- من الطويل، لزهري بن أبي سلمى. ينظر في مختار الشعر الجاهلي، ج ١، ص ٢٨٢.

٥- ص ١٩٠، ٢٠.

من التآليف في اللغة العربية، أبرزها^(١):

أ- استدراك على لامية الأفعال لابن مالك، وعلى زيادة الحسن بن زين عليها (ت ١٣١٥هـ)^(٢).

ب- قصيدة فيقال بالواو والياء، مثل (طاح يطوح، يطيح) مع شرحها^(٣).

ج - قصيدة في الأوزان التي على (فعلان) بتثليث الفاء، مع شرحها^(٤).

د - قصيدة في الجموع التي جاءت على (فعلان وفُعلان) بفتح الفاء وضمها، مع شرحها^(٥).

هـ - منظومة في أوزان الجموع التي أهمل ابن بونا.

و - منظومة مع شرحها في المشهور من المضارع الحلقي.

ز - ألفية في القلب اللغوي (الاشتقاق الكبير)^(٦).

ح - أنظام نحوية عديدة^(٧).

٦٠- عبد الحي بن محمد بن التائب الأنتابي (ت ١٤٠٤هـ). له من التآليف النحوية^(٨):

أ- نظم في الجمل.

ب- شرح نظم الأجرومية (عُبَيْد رَبِّهِ)^(٩). وهو شرح متسع، ضاف، قيم. من سمات منهجه:

١- حياة موريتانيا الثقافية، ص ٢٩، ٦٠، ٦٨، والشعر والشعراء في موريتانيا، ص ٧٨. والمؤلفين الموريتانيين ومؤلفاتهم، ص ٣٠٥.

٢- يوجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٢٥٥.

٣- يوجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٢٩٢.

٤- توجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ١٢٥٦، ومركز أحمد بابا بيتيمبكتو تحت رقم ٢٧٦.

٥- يوجد بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ٢٧١٥، ٢٧١٦، وعلى (مكروفلم) المعهد نفسه، تحت رقم ١٢٥٤.

٦- محمد السالم بن الشين حياته وآثاره، إعداد محمد سالم بن عبد الحي، رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، سنة ١٩٩٩م، ص ١٥. مودّع بقسم الرسائل بالمعهد تحت رقم ١٣٦.

٧- المصدر نفسه، ص ٣٥.

٨- تُرجم له، ودُكر هذا التأليف في المجموعة الكبرى الشاملة، ص ١٤٣.

٩- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١١٤٠.

- أنه يستفيض كثيرا في المناقشة والتحليل والاستطراد، مع غزارة الاستدلال بالقرآن العظيم، والشعر دون عزو، وأحيانا بالقراءات، وآثار الصحابة^(١). وهو ما يُلاحظ من الأمثلة الموالية :

يعني أنّ الكلام في اصطلاح النحويين عبارة عما اجتمعت فيه هذه القيود المشار إليها بقوله : لفظ إلخ. قوله لفظ : أي صوت يشتمل على بعض الحروف، ملفوظ به كزيد، أو مقدر كالضمير المستتر. وقوله مركّب : أي من كلمتين فأكثر تركيبا إسناديا، ومنه : قم وقمت ويازيد فإنّها في قوّة كلمتين.. وكذلك بلى ونعم لكونهما في قوّة جملة الجواب. واحترز بهذا القيد من المفرد والمركّب تركيب الإضافة، والمركّب تركيب مزج، وهو كلّ اسمين نزل ثانيهما ممّا قبله منزلة تاء التأنيث ممّا قبلها، كبعلبك وحضر موت، وحكمه أن يعرب الجزء الأخير منه إعراب ما لا ينصرف إلّا أن يكون مختوما ب(ويه) فينبئ حيثئذ على الكسر، أمّا البناء فلاّن (ويه) اسم صوت، وأمّا الكسر فللتقاء الساكنين.. وأخرج بقوله (لفظ) الخطّ والإشارة وحديث النفس، وما يفهم من حال الشيء، وإن كان يطلق عليها كلام لغة، كقول عائشة رضي الله عنها : (ما بين دفّتي المصحف كلام الله)^(٢).

وقال :

إذا كلمّني بالعيون الفواطر رددتّ عليها بالدموع البوادي^(٣).

وقال :

شكا إليّ جملي طول السرى صبراّ جميلاّ فكلانا مُبتلى^(٤).

قوله مفيد : أي إفادة يحسن السكوت عليها بحيث لا يصير السامع منتظرا كلاما آخر، احترازا من غير المفيد.. ومن المفيد فائدة لا يحسن السكوت عليها، نحو: إن قام زيد^(٥).

١ - مثلا ص ٢٥، ٦، من المخطوط.

٢ - سبق ذكره.

٣ - سبق ذكره.

٤ - سلف ذكره.

٥ - ص ٦٥، ٦، من المخطوط.

نقلت هذا النصّ على طوله لأدّله به على ما ذكرت من السمات التي يمتاز بها هذا الشرح، فالاستطراء، وكثرة المناقشة والتحليل شيء مستفيض بين صفحاته، والسمة الغالبة عليه.

- يهتم كثيرا بذكر الآراء والمذاهب النحوية، كقوله مثلا في إعراب المركّب تركيب مزج كعلبك وحضر موت : «وقال الجرمي^(١) : اختار أن يُعرب غير منصرف، وقال أبو حيان: القياس البناء لا اختلاط لاسم بالصوت وصيرورتها اسما واحدا»^(٢).

وهو مولع باستعراض الآراء، والموازنة والتصويب. كقوله مثلا :
«وقال الرؤاسي^(٣) من الكوفيين: فصحاء العرب ينصبون ب(أن)، ودونهم قوم يرفعون، ودونهم قوم يجمون بها. ومن رفع الفعل بعدها :

أن تقرأ على أسماء ويحكمنا مني السلام وأن لا تُشعرا أحدا»^(٤).
وقال الكوفيون هي مخففة من الثقيلة، وتأتي زائدة، نحو: (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ... ٩٦، يوسف)، وتأتي مفسّرة، نحو: (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ... ٢٧، المؤمنون)^(٥).
فمما سبق يتبيّن لنا قيمة هذا الشرح، وتميّزه حقيقةً.

وفيمّا يلي أرد قائمة ببقية النحويين واللّغويين من ذوي الاتجاهين، من أصحاب هذه المرحلة، مع سرّد مؤلّفاتهم النحوية، دون التعرّض في الغالب لمناقشتها، اكتفاء بما سبق :

٦١- سيدي عثمان بن أعمر بن سيداتي اليونسي الولاتي (ت ١٢٢٧هـ) : له^(٦) :

أ- شرح الأجرّومية المطوّل.

ب - شرح الأجرّومية الموجز.

١- هو أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي (ت ٢٢٥هـ).

٢- المصدر والصفحة نفسها.

٣- هو أبو جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي، النحوي الكوفي، أستاذ الكسائي والفراء (ت ١٩٠ هـ). تنظر ترجمته في الأعلام، ج ١، ص ٨٩٧.

٤- من البسيط، وقد ورد ذكره في التوضيح بشرح التصريح، ج ٢، ص ٢٣٢. دون عزو، وجاء فيه : « فَإِنَّ الْأَوَّلَى والثانية مصدرتان، غير مخفّفتين من الثقيلة، وقد أهملت الأولى وأعملت الثانية». كما ذكره ابن هشام في المغني رقم ٣٥ دون عزو.

٥- ص ٢٦، من المخطوط.

٦- ترجم له، وذكرت هذه التاليف في فتح الشكور، ص ٣٤٠، وحياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٤، والمنازة والزباط، ص ٥٥٧، والمؤلّفين الموريتانيين ومؤلّفاتهم، ص ٧٢.

ج - فتح الرَّبِّ الجلال على بزوغ الهلال بتنزيل لامية الأفعال، ل (أحمد الجيد البرتلي
الولائي/ ت ١٢١٨ هـ) ^(١).

٦٢- المأمون بن محمد اليعقوبي (ت ١٢٣٨ هـ) ^(٢). له : شرح ألفية ابن مالك ^(٣).

٦٣- الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت ١٢٤١ هـ)، عالم جليل.
له ^(٤) : كتاب أسماء الأفعال.

٦٤- مولود بن أحمد الجواد بن محمد بن عبد الله بن أحمد اليعقوبي (١٢٤٣ هـ) : عالم،
شاعر، له ديوان شعر. أخذ عن المختار بن بونا (ت ١٢٢٠ أو ١٢٣٠ هـ)، وخاصمه
مع محمد حبيب الله المجيدري (ت ١٢٠٦ هـ)، حيث كان المجيدري يتزعم مدرسة
سلفية تدعو إلى التبصر في المذهب الفقهي، والعودة إلى الكتاب والسنة، بينما كان
أستاذهما ابن بونا يرفض ذلك ويدعو إلى التمسك بالعقيدة الأشعرية، والمذهب
الفقهي في البلاد كما هو ^(٥). له :

أ- طُرة على الألفية ^(٦).

ب- سقاية المعتل من عين مُطلق ثلاثي الفعل ^(٧).

٦٥- زياد بن حامد تَو الديباني (ت ١٢٤٨ هـ). له ^(٨) : شرح إعراب الجمل لابن بونا.

٦٦- سيدي محمد بن سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (ت ١٢٥٠ هـ)، له ^(٩) :

١- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ١١٤٦.

٢- ترجمته في الوسيط، ص ٢١٧، والشعر والشعراء في موريتانيا، الدكتور محمد المختار بن أباه، ص ٧٣، والمنازة والرباط،
ص ٥٢٢.

٣- ورد ذكره في السلفية وأعلامها في موريتانيا، ص ٢٦٣.

٤- المنازة والرباط، ص ٥٦٢، ٦١٨، والمجموعة الكبرى، ص ١٢١، والمؤلفون الموريتانيون ومؤلفاتهم، ص ٨٩. لم أقف
على من ذكر له هذا التأليف سوى صاحبي المصدر الأخير.

٥- ترجمته في الوسيط، ص ١٩٠، والمنازة والرباط، ص ٥٣٢، والشعر والشعراء في موريتانيا، ص ٧٣.

٦- ورد ذكرها في الألفية وتأثيرها، ص ٤٤، والمجموعة الكبرى، ص ٣٠١. وكلاهما للدكتور يحيى بن البراء.

٧- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٥٣١.

٨- تُرجم له في المنازة والرباط، ص ٦١٧، والمجموعة الكبرى، ج ٢، ص ٩٠. وقد حُقق هذا الشرح في رسالة تخرج من
المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. مودع بقسم الرسائل بالمعهد.

٩- تُرجم له، وُذكرت هذه التأليف في الوسيط، ص ٨٣، والمنازة والرباط، ص ٥٥٨.

أ- سواطع الجُمان في ذكر المعاني من الأوزان (منظومة في تصريف الأفعال). مطبوع، عدد أبياته (١١٢ بيتاً)، من الرجز الكامل. ولمحمد محمود بن عبد الفتاح الأبييري (ت ١٢٩٧هـ) طُرّة عليه. وقد حدّد مصادره التي استقاه منها، وأهمّها بعض كتب ابن مالك، وشروحها في التصريف، إذ قال فيه :

حرّرتَه متّبعاً للأكرم محمد بن مالك والحضرمي
وربّما أتيتُ بالشوارد من الدماميني والمساعد.
يقصد بالحضرمي شرحه (بحرق) على لامية الأفعال لابن مالك، وبالدماميني والمساعد شرحيهما على تسهيل ابن مالك.

ب - نجم الحيران (شرح سواطع الجمان) . يقول محمد بن الأمين الشنقيطي (ت ١٣٣١هـ) في الوسيط ^(١) : «ومن آثاره الحميدة : نجم سواطع الجمان، وشرحه (نجم الحيران)... ما ترك شاذّة ولا فاذّة في نظمه هذا وشرحه إلّا جمعها، وهو في الأفعال، جمع ما في التسهيل، ولامية الأفعال.. وقد احتوى على أكثر ممّا في شرح بحرّق الياني» ^(٢).

٦٧- أحمّتي، أحمد بن الطالب محمود بن عمر إدوعيشي (ت ١٢٥٧هـ)، له ^(٣) :
أ- شرح الأجرّومية.

ب - المواهب السّنية في شرح الألفية لابن مالك.

ج - شرح الفريدة في النحو للسيوطي ^(٤).

٦٨- الشيخ محمد سيدنا بن أحمد محمود محمّ بن بابا الأبييري (ت ١٢٥٠هـ)، له (٥) :
أ- شرح احرار المختار بن بونا.

١ - الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص ٨٣.

٢ - يقول الأستاذ عبد الحميد محقّق طرّة الحسن بن زين على لامية الأفعال عن هذا الشرح : «وهو شرح نفيس للغاية، عندي منه نسخة مخطوطة، تقع في ١٣٢ صفحة، في كلّ صفحة ٢٧ سطراً... نسخها المؤلف بخط مغربي واضح، وفرغ من نسخها ضحوة يوم الجمعة التاسع عشر من رمضان ١٢٣٨».

٣ - تُرجم له في الحياة الثقافية، ص ٣٧، والمنارة والرباط، ص ٥٤٥.

٤ - دُكرت في حياة موريتانيا، ص ٦٥، والمنارة والرباط، ص ٥٤٥.

٥ - المؤلّفون الموريتانيون ومؤلّفاتهم، ص ١٢٧، والمنارة والرباط، ص ٦١٩.

ب - شرح ألفية ابن مالك.

٦٩- أحمد بن الشريف المختار بن محمد التشيتي (ت ١٢٦١هـ)، له ^(١) :

- شرح على الربّاني. (هو نظم في التّحو لعبد الله بن الحاج حمى الله القلاوي. ت ١٢٠٩هـ).

٧٠- محمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي بكر البرتلي الولاتي (ت ١٢٦٣هـ)، له ^(٢) :

أ- مختصر المواهب السّنية والمنح الرّبّانية في شرح الأجرّومية ^(٣).

ب - نظم في التصريف ^(٤).

٧١- محمّد عبد الله بن عبد الله سيدي أحمد بن محمّد بن أبي كَفّ (ت ١٢٦٩هـ)، له ^(٥) :
منحة المالك إلى ألفية ابن مالك ^(٦).

٧٢- إِدْيَيْجَه بن عبد الله الكَمْلِيلِي (ت ١٢٧٠هـ)، عالم، شاعر، له ^(٧) : سقاية الظمآن في أبنية الفعل.

٧٣- أحمد الصغير التشيتي (ت ١٢٧٢هـ)، عالم، نظامة، له ^(٨) : منظومة طويلة في التّحو.

٧٤- محمد بن الطُّلُبَة بن محمّد الأمين بن المختار اليعقوبي (ت ١٢٧٢هـ)، لغوي، شاعر، عالم بارز، بيته من أبرز بيوت العلم والقضاء، له ^(٩) : تسهيل التسهيل لابن مالك (شرح على تسهيل ابن مالك).

١ - حياة موريتانيا، ص ٦٦، والمنارة والرباط، ص ٥٤١، وتاريخ النحو، ص ٥٤٢.

٢ - فهرس مخطوطات التّعمة وولاته، بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، ص ٢٥٤.

٣ - يوجد بمكتبة أهل الطالب بوبكر بولاتة تحت رقمي ٤٠٧، ٤٠٨.

٤ - يوجد بمكتبة الفقيه محمّد بن حَمَى الله بتشيت.

٥ - أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي، منح الرّبّ الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور، تحقيق الدكتور الهادي المبروك الدّالي. ص ١٠١، وفهرس مخطوطات التّعمة وولاته، مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، ص ٢٨٤.

٦ - يوجد بمكتبة أهل الطالب بوبكر بولاتة، تحت رقم ٤٢٠.

٧ - الوسيط، ص ٣٦٨، والمنارة والرباط، ص ٦١٦.

٨ - حياة موريتانيا، ص ٦٦، والمنارة والرباط، ص ٥٤٢.

٩ - تُرْجَم له، وذُكِر هذا الشرح في المنارة والرباط، ص ٥٢٦، ٦٢٢، والوسيط، ص ٩٤، والشعر والشعراء في موريتانيا، ص ٧٤.

٧٥- بُلاً بن مَكْبَد بن أبي الفاضل البوحسني الشقروي (ت ١٢٧٣هـ)، عالم مشهور، نحويّ كبير، أخذ عن المختار بن بونا الجكني (ت ١٢٢٠ / ١٢٣٠ هـ)، كما كان أستاذا لعبد الودود بن عبد الله الحبيلي (ت ١٢٦٨هـ). يقول أحمد بن الأمين الشنقيطي: « كان بُلاً هذا عالماً مشهوراً، ونحوياً كبيراً، وهو ممّن تخرّجوا على المختار بن بونا الجكني، وتخرّج عليه هو عبد الودود، النحويّ المشهور»^(١).

ولم أجد له سوى بيت واحد، ذكره ابن الأمين^(٢)، قاله في قوم ضربوه. وهو:
لَا يُؤْلَمُ الضَّرْبُ مِمَّنْ لَا يُمَيِّزُ لِلزُّ زَيْدُونَ يَدْعُونَ وَالهِنْدَاتُ يَدْعُونَ.
يقصد أنّ واو (يدعون) الأولى لجماعة الذكور، وهو فاعل، ونونها علامة رفع الفعل، بينما واو (يدعون) الثانية حرف علة، ولام الفعل، ونونها للنسوة، وهي فاعل. ممّا يعني أنّه كان من النحويّين المدرّسين.

٧٦- أحمد بن محمّد بن البخاري اللّمتوني (ت ١٢٧٥هـ)، له^(٣): ألفية في النّحو مع شرحها.

٧٧- أحمد بن المعمر التندغي (ت ١٢٧٥هـ)، له من التّأليف النحوية^(٤):
أ- ألفية في النّحو.

ب - نظم الصّفة المُشَبَّهة.

ج - أنظام نحوية.

٧٨- سيدي أحمد بن محمد بن أحمد، المكنّى أباكفّ المحجوبي الولائي (١٢٧٥هـ)، له من التّأليف^(٥):

أ- منهج السالك إلى ألفية ابن مالك^(٦).

ب - تبين المقاصد على تسهيل الفوائد .

١ - الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص ٣٣٩.

٢ - المصدر والصفحة نفسها.

٣ - المنارة والرباط، ص ٦١٦، والألفية وتأثيرها، ص ١٨.

٤ - حياة موريتانيا، ص ٦٦، والمنارة والرباط، ص ٥٤٥.

٥ - منح الربّ الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور، ص ١٢٩، والمجموعة الكبرى، ص ١٧٤.

٦ - يوجد بمكتبة أهل الطالب بوبكر بولاتة تحت رقم ٤٢٢.

جـ نظم في التصريف^(١). يظهر من كلام محقق منح الرب الغفور أنه نظم قيم، حيث يقول : « ومنظومته في التصريف التي بلغت في الحسن مبلغاً.. والذي نفسي بيده لولا خشية الوقوع في الكذب لأقسمت بأن لا جامعة لعلم التصريف مثلها »^(٢).

هكذا عبارته!! فهي حقيقة عبارة غير مستقيمة المعنى، إذ لو حلف على ذلك لكان كاذباً، فوقع في ذم التأليف من حيث يريد مدحه.

٧٩- مريم بنت الأمين الحسينية (ت ١٢٧٦هـ)، لها^(٣) : شرح الكافية لابن مالك.

٨٠- زين بن الأمين اليدالي (ت ١٢٨٠هـ)، له^(٤) : الطرة الحمراء على جامع ابن بونا.

٨١- كبند بن سيدي محمد الجملي (ت ١٢٨٠هـ)، له^(٥) : نخبة الإعراب.

لم أقف على من ذكر له هذا التأليف سوى المختار بن حامدن، وهو مسكي كما في الحاشية. وأغلب المصادر الشنقيطية تنسب هذا العنوان لابنه محمد المختار بن كبند الجملي (ت ١٢٨٥هـ)، حسبما هو مبين عند ترجمته الآتية قريباً. وبما أن التأليف مفقود إلى حد الآن فليس بالإمكان الجزم، هل لكل منهما تأليف بهذا العنوان، أو هو تأليف واحد لأحدهما، ونُسب للآخر وهما؟.

٨٢- محنض بن محمد (مبين) بن الأمين الديباني (ت ١٢٨٠هـ)^(٦). له : (إكسير التيسير)، وهو عبارة عن طرة على نظم الجموع ل(محنض بابا بن اغبند الديباني (ت ١٢٨٧هـ)^(٧).

٨٣- الشيخ محمد الملقب «باي» بن الشيخ سيدي اعمر الكتتي (ت ١٢٨١هـ)، له^(٨) :

١- يوجد بمكتبة أهل الطالب بوبكر بولادة تحت رقم ٤٢٤.

٢- الدكتور الهادي الدالي، ص ١٦٦، حاشية ١. تراجع ترجمته في المصدر والصفحة نفسها.

٣- ترجم لها، وذكر هذا الشرح في المنارة والرباط، ص ٦٢٤، والألفية وتأثيرها، ص ٤٢.

٤- المنارة والرباط، ص ٦١٧، والألفية وتأثيرها، ص ٤٥.

٥- المؤلفون الموريتانيون ومؤلفاتهم، ص ١٦٦.

٦- المنارة والرباط، ص ٦٢٤، والألفية وتأثيرها، ص ١٨.

٧- توجد منه نسخ بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام ١٨٦٢، ٢٣١١، ٢٧١٨.

٨- محمد سالم بن أحمد، الشركة والقراض والكراء والإجارة والجغل من نوازل الشيخ باي الكتتي، بحث لنيل الإجازة من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ١٩٩٨ - ١٩٩٩ م. ص ٤، فما بعدها، وحياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٥، والمنارة والرباط، ص ٥٧٦.

- أ- شرح الآجرّومية.
- ب - شرح الجامع لابن بونا.
- ج - وقاية المتكلّم من اللّحن^(١).
- ٨٤- الشيخ محمد المامي المباركى يعقوبى (ت ١٢٨٢هـ)، عالم كبير، شاعر، له^(٢):
- أ- الأجمّ (نحو، بيان، أصول، منطق).
- ب - الأقرن (نحو، بيان، أصول، منطق). ربّما يكونان عنوانين لتأليف واحد.
- ج - نظم الحروف النحوية والكلمات المبنية مع طرّة عليه^(٣).
- د - نظم المشهور من الأفعال بالضمّ والكسر^(٤).
- هـ - منظومة الياقوت (لغة وتصريف).
- و - الزُّبدة في معاني الحروف.
- ز - تكميل الزُّبدة في معاني الحروف.
- ح - نظم في النحو^(٥).
- ٨٥- محمّد عثمان بن محمّد بن المختار بن أغشّمتم الأحمدي المدلشي (ت ١٢٨٥هـ)^(٦).
- له : نظم إعراب : (لا إله إلاّ الله)^(٧).
- ٨٦- محمّد المختار بن كبّد الجملّي (ت ١٢٨٥هـ)، له^(٨) :
- أ- شرح لامية الأفعال.
- ب - نخبة الإعراب.

١- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمةكتو تحت رقم ١١٤٢.

٢- حياة موريتانيا، ص ٦٨، والمنارة والرباط، ص ٥٧٤، وتاريخ النّحو، ص ٥٤١، والألفية وتأثيرها، ص ١٩.

٣- يوجد مخطوطا بمكتبة أهل محمّد سالم بن المحبوب بانواكشوط تحت رقم ٢٩٦.

٤- توجد منه نسختان بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ١٠١٥، ٢٠١٠.

٥- توجد منه نسختان بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ١٢٧٦، ١٣٧٣.

٦- الوسيط، ص ٣٥٨، والمنارة والرباط، ص ٥٩٣.

٧- توجد منه نسخ بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام ١٠٨، ١٧٨٠، ٢٣٨٣.

٨- المنارة والرباط، ص ٥٩٩، والمؤلّفون ومؤلفاتهم، ص ٢١٨.

٨٧ - مَحْنُصُ بابا بن اَعْبِيدُ الديباني (ت ١٢٨٧هـ)، عالم جليل وقاضٍ، وشيخ محظرة كبيرة دامت ستين ٦٠ سنة. له ^(١) :

أ- طُرّة على الألفية.

ب - مِنيّة المتمني في نظم قواعد المغني (نظمٌ للقواعد الإحدى عشرة، التي ذيل بها ابن هشام كتابه مغني اللبيب. يقع في نحو مائتي بيت، وله تعليق عليه ^(٢)).

ج - سقاية الظمان في أبنية الأفعال ومعانيها. يقع في نحو تسعين بيتاً، وله تعليق عليه.

د - نظم إعراب الجمل التي لا محل لها من الإعراب ^(٣).

هـ - نظم في محفوظات جموع التكسير: يقع في نحو مائة بيت. للشيخ محمد سالم بن ألسا (ت ١٣٨٣هـ) شرح عليه. ولمَحْنُصُ بن مَينُنُ الديباني (ت ١٢٨٠هـ) طُرّة عليه، سماها: (إكسير التيسير)، كما مرّ بنا ^(٤).

٨٨ - إجدوذ (عبد الوهاب) بن اَكْتُوشْنِي بن السيّد العلوي (ت ١٢٨٩هـ)، نحوي، شاعر، فقيه، له ^(٥) :

أ- نظم أدوات النحو.

ب - الحلقي من الأفعال.

ج - جامع المعاني (منظومة في التصريف مع شرحها) ^(٦).

٨٩ - محمد امبارك بن حبيب الله بن الأمين اللمتوني (ت ١٢٩٣هـ)، عالم كبير، مؤلف، له ^(٧) : شرح ألفية ابن مالك.

١ - حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٤، والوسيط، ص ٢٣٦، والمنارة والرباط، ص ٦٠٧.

٢ - مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٩٢٩. وقد حقّقه الدكتور محمد بن أحمد بن المحبوب في رسالة تخرّج من المدرسة العليا للأساتذة سنة (١٩٨٥/١٩٨٦ م).

٣ - يقع في نحو مائة بيت. يوجد بمخطوطات مكتبة أهل محمد سالم بن المحبوب بانواكشوط / بوحديدة تحت رقم ٣٠٦.

٤ - توجد منها نسخ بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام ١٨٦٢، ٢٣١١، ٢٧١٨.

٥ - الوسيط، ص ٨١، والمنارة والرباط، ص ٥٣٨.

٦ - يوجد بمركز أحمد بابا بتييمبكتو، تحت رقم ٥٣٥٩.

٧ - تُرجم له، ودُكر هذا الشرح في الألفية وتأثيرها، ص ٤٤، والمجموعة الكبرى، ج ٢، ص ٢٣٩.

٩٠- محمد محمود بن عبد الفتاح الأبييري (ت ١٢٩٧هـ)، له من التآليف النحوية ^(١) :

أ- نزهة الطَّلَّاب في حلِّ تراكيب ملحّة الإعراب للحريري في النَّحو.

ب - الغيث المتهون على طرّة ابن بون (شرح جامع ابن بونا) ^(٢).

ج - نظم سلّم الإعراب لمبتغي الرّقّي إلى الصواب ^(٣).

د - فتح الوهّاب على سلّم الإعراب ^(٤).

هـ - التّضال الميمون على لام (إِلَّا لِيَعْبُدُونَ). ذلك من قوله تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ.. ٥٦، والذّاريّات) ^(٥).

و- طرّة على سواطع الجُمان في التصريف (منظومة في تصريف الأفعال لسيدي محمد بن سيدي عبدالله العلوي ت ١٢٥٠هـ).

ز- سواطع الجُمان في ذكر المعاني والأوزان (نظم في التصريف).

ح - أكاسير التيسير لمحفوظات جُمع التفسير (شرح لنظم مَحْنُصُ بابا بن اغبّيد الديباني (ت ١٢٨٧هـ) لمحفوظات جموع التفسير) ^(٦).

٩١- الشّيخ محمّد محفوظ بن الشّيخ أحمد تاج العارفين. له ^(٧) : شرح ألفية ابن مالك واحمرار ابن بونا.

٩٢- السالك بن البشير بن عمار العلوي (ت ق ١٣هـ)، له ^(٨) : شرح على احمرار ابن بونا. في بعض نُسَخه زيادة (ثلاثين ٣٠ بيتا) في جمع التفسير لا توجد في غيرها ^(٩).

١ - المنارة والرباط، ص ٥٩٧، ٦٢٣، والألفية وتأثيرها، ص ١٩، ٤٥.

٢ - يوجد بمكتبة هارون بن الشيخ سيديا/ بوتلميت.

٣ - يوجد بخطوطا بمكتبة أهل محمد سالم بن المحبوب بانواكشوط تحت رقم ٢٩٠.

٤ - يوجد بمكتبة هارون بن الشيخ سيديا/ بوتلميت.

٥ - يوجد بمكتبة هارون بن الشيخ سيديا/ بوتلميت.

٦ - التّأليفان الأخيران تفرّد بذكرهما حسب ما اطّلت عليه عبد الرحمن بن يوسف في تحقيقه (إيضاح الأنقال اختصار ترجمان المقال على منح الفعال) لمحمّد محمود بن عبد الفتاح الأبييري، ص ١١.

٧ - تُرجم له، ودُكر هذا الشرح في حياة موريتانيا، ص ٦٧، والمنارة والرباط، ص ٥٧٦، وتاريخ النحو، ص ٥٤٠. ولم أقف على تاريخ وفاة هذا الشّارح.

٨ - المنارة والرباط، ص ٦١٧، والألفية وتأثيرها، ص ٤٥.

٩ - المجموعة الكبرى، ج ٢، ص ٩٤.

٩٣- محمد عبد الله بن أنبؤي بن الإمام المحجوبي (ت ق ١٣ هـ^(١)). له : شرح الأجزل المنقّص^(٢).

٩٤- الغلام بن حَبَت القلاوي (ت آخر القرن ١٣ هـ) ، له^(٣) : منظومة في تصريف الأفعال.

٩٥- العَمّ بن أحمدُو فال بن أحمد بن عَمّ، الملقَّب لِعمَيْم، العلوي (ت ق ١٣ هـ)، له^(٤) : احمرار مع شرح على (لامية الأفعال)^(٥).

٩٦- اعلِ بن جُدُو الجُماني (ت ق ١٣ هـ)، له^(٦) : مقدّمة الإعراب في النّحو.

٩٧- عثمان بن الطالب الأمين البوفايدي (ت ق ١٣ هـ) له^(٧) : شرح الألفية.

٩٨- الإمام بن سيدي المتقي بن إمام الهدى (ت ق ١٣ هـ) ، له^(٨) : شرح الألفية.

٩٩- الشيخ محمدُو بن حنبل الحسني (١٣٠٢ هـ)، له^(٩) : نظم العرب في النّحو.

١٠٠- محمد بن محمد سالم بن محمد سعيد المجلسي (ت ١٣٠٢ هـ)^(١٠). له : (الرّيان في تفسير القرآن). اهتمّ فيه بالإعراب. سيأتي الحديث عنه في الفصل الثاني من الباب الثالث.

١٠١- محمّذن بن سيدي أحمد المالكي التندي (ت ١٣٠٤ هـ)، شاعر،^(١١) ، له : منظومة في التصريف، منها :

إذا أتاك مَفْعَلٌ مِن نَصْرٍا سيان كان موضعاً أو مصدراً

١- فهرس مخطوطات النعمة وولادة، ص ٧٧، ٢٤١، ٣١٤، والمنارة والرباط، ص ٥٩١.

٢- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ١١٣٣.

٣- المنارة والرباط، ص ٦٢٠، والألفية وتأثيرها، ص ١٩.

٤- يوجد على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٨٨٠.

٥- المنارة والرباط، ص ٥٨٤، وحياة موريتانيا، ص ٦٨.

٦- المؤلفون ومؤلفاتهم لابن حامدن واتشومسكي، ص ٣٢.

٧- تُرجم له، وذكر هذا الشرح في المنارة والرباط، ص ٦٢٠، والألفية وتأثيرها، ص ٤٤.

٨- تُرجم له، وذكر هذا التأليف في الألفية وتأثيرها، ص ٤٤، والمنارة والرباط، ص ٦١٦.

٩- المنارة والرباط، ص ٥٧١، ٥٧٢، وتاريخ النحو، ص ٥٤١.

١٠- المنارة والرباط، ص ٥٩٥، التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، ص ٣٠٧، والحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، ص ٩٩.

١١- المنارة والرباط، ص ٦٠٦، ومعجم المؤلفين ومؤلفاتهم في ولاية اترارزة، ص ١٥٢.

- ففتَحُ عَيْنَهُ مَقِيسٌ مُنْجَلٌ من غير تفصيل كمثّل المَدْخَلِ
وقلَّ كسرُ العينِ للأَسْمَاءِ وجاءَ للفرقِ بلا امْتِراءٍ .
- ١٠٢ - المختار بن أَلَمَّا اليدالي (ت ١٣٠٨ هـ)، نحوي كبير، شيخ محظرة^(١)، له : مصباح
الظّلام في شرح الكلمة والكلم والكلام^(٢).
- ١٠٣ - المختار بن بَيَدُخُ الديباني (ت ١٣٠٩ هـ). له^(٣) : منظومة في وزن الفعل المزيد.
- ١٠٤ - بابا بن محمّذ بن أحمد بن الحاجي (ت ١٣١٥ هـ)، له^(٤) : مقدّمة في مبادئ النحو.
- ١٠٥ - بابا بن محمّذ بن محمّدي الحاجي (ت ١٣١٥ هـ)، له^(٥) :
أ- فتح المالك شرح ألفية ابن مالك.
ب - شرح (لامية الأفعال)^(٦).
- ١٠٦ - عبد الودود بن حَمِيّة الأبييري (ت ١٣١٦ هـ)، له^(٧) : شرح على (لامية الأفعال)
(مقدّمة المقال في لامية الأفعال)^(٨). وقد ذكر له المختار بن حامدن^(٩) شرحين
للامية الأفعال.
- ١٠٧ - أحمد بن محمّد أبّا بن الطّالب أحمد جدّو بن الطّالب عبد الله التّزاري
(ت ١٣١٨ هـ)، له^(١٠) :

-
- ١ - الوسيط، ص ٢٣٩.
- ٢ - يوجد بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٣٤٩٨.
- ٣ - الألفية وتأثيرها، ص ١٩، والمنارة والرباط، ص ٦٠٩.
- ٤ - حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٤، والمنارة والرباط، ص ٥٤٨، والألفية وتأثيرها، ص ٤٤.
- ٥ - تُرْجِمَ له، وذُكِرَ هذا التّأليف في حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٤، والمنارة والرباط، ص ٥٤٨، والألفية وتأثيرها، ص ٤٤.
- ٦ - يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٦٢٢.
- ٧ - محمّد صفيّ الله بن محمّد محفوظ، المنهج التفسيري عند الشناقطة - عبد الودود بن حمية نموذجاً. رسالة تخرّج من المعهد العالي
للدراسات والبحوث الإسلامية. ٢٠١٠ هـ - ٢٠١١ م. ص ٤٧ - ٦١، والتفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، ص ٤٢٨، فيما بعدها.
- ٨ - يوجد على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٠٢٠.
- ٩ - المؤلّفون ومؤلّفاتهم في موريتانيا، ص ١٦٣.
- ١٠ - تحقيق المختار بن السّيدي (نُقِلَ في عدم اعتبار الشّروط في النّكاح) لأحمد بن أبّا، لنيل الإجازة من المعهد العالي
للدراسات والبحوث الإسلامية ١٩٩١/١٩٩٢ م. ص ٣، وما بعدها، والمنارة والرباط، ص ٥٣٨، وتاريخ النحو،
ص ٥٤٠. والمؤلّفون الموريتانيون ومؤلّفاتهم، ص ٨٠٩.

- أ- نظم أدوات النَّحو .
- ب - نظم في الحلقِيّ من الأفعال^(١).
- ١٠٨- الحارث بن محنض الشقروني (ت ١٣١٩هـ)، له ^(٢) : اختصار المواهب لابن حبت القلاوي (ت ١٢٨٨هـ).
- ١٠٩- محمد الأمين بن الربّاني بن محمد المختار القلاوي (ت ١٣٢٠هـ)، له ^(٣) : نثر الدرّ اللّطيف في مُهمّات النَّحو والتصريف.
- ١١٠- أحمد بن زياد الديباني (ت ١٣٢٢هـ)، له ^(٤) : حاشية على جامع ابن بونا.
- ١١١- أحمد سالم بن سيدي محمد الأبهمي (ت ١٣٢٢هـ)، له ^(٥) : تعليق على أجزاء من جامع ابن بونا.
- ١١٢- عبد الرحمن بن الشيخ بن متالي التندغي (ت ١٣٢٢هـ)، له ^(٦) : الزرقاء : شرح تبصرة ابن بونا واحمراره.
- ١١٣- ابن كنان الكنتي (ت ١٣٢٣هـ)، له ^(٧) :
- أ- فتح العزيز على نظم الوجيز.
- ب - شرح منظومة ابن أبّه للأجرومية.
- ١١٤- محمد بن أحمد الصغير بن امبوجة التشيتي (ت ١٣٢٣هـ)^(٨)، عالم، نظامه، له :
- أ- تعليق على الأجرومية.
- ب - المصباح في العربية.

١- يوجد بمكتبة أسرة المؤلّف بالرشيد/ تكانت.

٢- المنارة والرباط، ص ٦١٧، والألفية وتأثيرها، ص ٤٥.

٣- المنارة والرباط، ص ٥٨٧، والألفية وتأثيرها، ص ١٩.

٤- الألفية وتأثيرها، ص ٤٥، والمنارة والرباط، ص ٦١٥.

٥- المنارة والرباط، ص ٦١٥، والألفية وتأثيرها، ص ٤٥.

٦- المنارة والرباط، ص ٥٨٢، والمجموعة الكبرى، ج ٢، ص ١٤٦.

٧- مخطوطات مركز أحمد بابا بتمبكتو، تحت رقم ٢٧٢٥.

٨- تُرجم له ودُكر هذا الشرح في حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٥، والمنارة والرباط، ص ٥٨٤.

ج - نظم أدوات مغني اللبيب وشرحه^(١).

١١٥ - الشيخ محمد بن أحمد بن الحسيني (ت ١٣٢٣هـ)، له^(٢) : طُرة على الألفية.

١١٦ - عبد الله بن محمد بن حبلّ التمكلاوي (ت ١٣٢٦هـ)، له^(٣) :

- نظم مغني اللبيب . يقول الدكتور محمد بن أحمد المحبوب^(٤) : « الذي نظم المغني نظماً رائعاً ».

١١٧ - أحمد بن أمين بن الفراء بن المازري التندغي (ت ١٣٢٧هـ)، له^(٥) :

أ - شرح ألفية ابن مالك.

ب - نظم الصفة الشبهة.

ج - أنظام في النحو.

١١٧ - محمد العاقب بن مايابى الجكني (ت ١٣٢٧هـ)، عالم جليل، إخوته علماء كلهم، هاجر في فترة الاحتلال الفرنسي للبلاد واستقرّ بالمغرب بعد أدائه فريضة الحج، وتوفي بفاس. له^(٦) : منظومة في إعراب الجمل مع شرحها.

١١٨ - عبد الله بن إريّة الديباني (ت ١٣٢٨هـ)، له^(٧) :

أ - تحفة الأطفال في تصريف الأفعال.

ب - منظومة في النحو (المعين للطلاب في نوعي التمييز والإعراب)^(٨).

١١٩ - أحمد بن المختار بن الأمين المالكي التندغي (ت ١٣٢٨هـ). له^(٩) : شرح على

١ - ذكر في الألفية وتأثيرها، ص ٤٣.

٢ - ترجم له، وذكر هذا التأليف في حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٤، والألفية وتأثيرها، ص ٤٤، والمنازة والرباط، ص ٥٦٩.

٣ - النحو الشنقيطي بين دروس التعمق ومباحث التخصص، ص ١١٠.

٤ - المصدر والصفحة نفسها.

٥ - حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٤، والألفية وتأثيرها، ص ٤٤، والمنازة والرباط، ص ٥٣٩.

٦ - ترجم له، وذكر هذا التأليف في المنازة والرباط، ص ٥٧٣، وتاريخ النحو، ص ٥٤١.

٧ - المنازة والرباط، ص ٥٨٠، وتاريخ النحو، ص ٥٤٢، والألفية وتأثيرها، ص ١٩.

٨ - يوجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٦٣٨.

٩ - المؤلفون ومؤلفاتهم في موريتانيا، ص ٢٩.

ألفية السيوطي، سمّاه (مفتاح مقفل المعاني). يقول في مقدّمته : «لما تفضّل الله بما تفضّل به عليّ طالعت الأرجوزة، ووقفت على بابها، فإذا هي معطّلة الجيد بين أترابها، بحسب ما هي عليه من فخر مبانيها، وتهذيب معانيها، أردت أن أضع عليها شرحاً وجيزاً تزهو به على كلّ عزيز...».

١٢٠- الشيخ أحمد بن اتفاغة التاكنيتي (ت ١٣٣٠هـ)، له ^(١) : رسالة في التصريف.

١٢١- محمّد فال (ببّها) بن محمّذ بن أحمد العاقل الديباني (ت ١٣٣٤هـ)، له ^(٢) :

أ- تحفة الأطفال في توكيد الأفعال بالنون.

ب - (دُمية المحراب في المهمّ من التصريف والإعراب). هو تأليف في إعراب القرآن وتصريفه، في مجلّد كبير مخطوط، يتألّف من جزأين، الأوّل في الإعراب، والثاني في التصريف ^(٣). سيأتي الحديث عنه في الفصل الثاني من الباب الثالث.

ج - مختصر في النحو.

د - العديد من الأنظمة التّحوية.

١٢٢- محمّد بن أنفع عبد الله بن محمّذ بن ألف الديباني (ت ١٣٣٥هـ)، له ^(٤) :

أ- إبراز الدّفين على باب (سنين) ^(٥). هو شرح لنظم شيخه محمّد سالم بن ألتا

(ت ١٣٨٣هـ) لباب (سنين) من ألفية ابن مالك. هكذا ورد في بعض المصادر ^(٦)،

مع لفت الانتباه إلى بقاء الشيخ حيّاً بعد تلميذه بما يقرب من نصف قرن.

ب - كشف الحجاب عن طرّة الإعراب ^(٧).

ج - أنظمة في النّحو.

١- كتاب ابن حامدن واتشومسكي في المؤلّفين الموريتانيين ومؤلّفاتهم، ص ٨٣.

٢- المنارة والرباط، ص ٥٩٣، وحياة موريتانيا، ص ٦٩، وتاريخ النحو، ص ٥٤٢، والألفية وتأثيرها، ص ١٩.

٣- على (مكروفل) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٦٧٣، وأخرى بمخطوطات المعهد نفسه تحت رقم ٢٥٥٠.

٤- المجموعة الكبرى، ج ٢، ص ١٧٢.

٥- يوجد مخطوطاً بمكتبة أهل محمّد سالم بن المحبوب بانواكشوط، تحت رقم ٣٠٠.

٦- المجموعة الكبرى، ج ٢، ص ١٧٢.

٧- يوجد بمخطوطات مكتبة أهل محمد سالم بن المحبوب بانواكشوط، تحت رقم ٢٩٧.

١٢٣ - محمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني (ت ١٣٣٥ هـ)، له ^(١) : شرح الاحرار لابن بونا.

١٢٤ - محمد الأمين بن أبي المعالي يعقوبي (ت ١٣٣٦ هـ)، شاعر، فقيه، له ^(٢) :

أ - نظم ل (رَوْضُ الْحَرُونِ مِنْ طَرَّةِ ابْنِ بُونٍ). لعبد الودود بن عبد الله الحيلي (ت ١٢٦٨ هـ) ^(٣).

ب - أنظام في النَّحو والصرف ^(٤).

ج - نظم الفعل الثلاثي.

١٢٥ - الشيخ حبيب الله بن حُرْمَة التاكنيتي (ت ١٣٣٧ هـ)، له ^(٥) :

أ - حاشية على ألفية ابن مالك.

ب - رسالة في التصريف.

١٢٦ - الشيخ التَّعَمَّة بن الشيخ ماء العينين (ت ١٣٣٩ هـ)، له ^(٦) :

أ - تعليق على ألفية ابن مالك.

ب - نور الغسق في الاسم هل هو مرتجل أو مشتقّ.

١٢٧ - عبد الله العتيق بن محمد بن ذي الخلال بن حبيب الله يعقوبي (ت ١٣٣٩ هـ)، له ^(٧) :

- شرح على المقصور والممدود لابن مالك، سَمَاهُ : (تيسير الورود إلى تحفة المودود لابن مالك) ^(٨).

١ - المنارة والرباط، ص ٥٨٦، والألفية وتأثيرها، ص ٤٥، وتاريخ النحو، ص ٥٤٠.

٢ - المجموعة الكبرى، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٧٩.

٣ - يوجد بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط / بوحديدة، تحت رقم ١١٨.

٤ - مودع بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط / بوحديدة، تحت رقم ١١٩.

٥ - المنارة والرباط، ص ٥٦٠، والألفية وتأثيرها، ص ٤٤.

٦ - المنارة والرباط، ص ٦١٩، والألفية وتأثيرها، ص ٤٤.

٧ - حياته في مقدّمة تحقيق كتابه (تيسير الورود إلى تحفة المودود لابن مالك)، إعداد محمد معمّر بن محمد عبد الرحمن، لنيل شهادة التريز من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة الجامعية ١٩٩٧/٩٦ م. مودّع بقسم الرسائل بالمعهد تحت رقم ٩٧. ص ٤، فما بعدها.

٨ - المصدر السابق. والنصّ المحقّق هنا ستة وسبعون بيتاً فقط. ويوجد مخطوطاً في المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٥٢٨.

- ١٢٨ - الشريف بن سيدي أحمد بن الصَّبَّار المجلسي (ت ١٣٤٠هـ)، له ^(١) :
 أ- طُرَّة على لامية الأفعال لابن مالك.
 ب - قصيدة في المشهور بالضَّم أو الكسر من مضارع فعل مفتوح العين.
 ١٢٩ - اَحْمَد بن أحمد يُورَه الديباني (ت ١٣٤٠هـ)، الفقيه، الشاعر، المؤرِّخ، له ^(٢) :
 منظومة في الإبدال ^(٣).
 ١٣٠ - محمَّد عبد الله بن دَحَّود المجلسي (ت ١٣٤٤هـ)، له ^(٤) : أنظام في النَّحو.
 ١٣١ - سيديا بن بابا الأبييري (ت ١٣٤٥هـ)، له ^(٥) :
 أ- تأليف في أسماء الأفعال.
 ب - حاشية على طرَّة الحسن بن زين على لامية الأفعال.
 ١٣٢ - محمَّد بن فال بن أحمد فال التندغي (ت ١٣٤٥هـ)، له ^(٦) : منظومة في النَّحو والتَّصريف.
 ١٣٣ - محمد الخضر بن حبيب الله التشمشي يعقوبي (ت ١٣٤٦هـ)، له ^(٧) : الفرد في الأدوات النحوية.
 ١٣٤ - محمَّد بن الصَّفِّي بن أحمد و بن محمَّد بن حبيب بن محمد التندغي (ت ١٣٤٧هـ)، له ^(٨) : شرح على جامع ابن بونا.
 ١٣٥ - أحمد بن محمَّد الحاجي (ت ١٣٥١هـ)، له ^(٩) :

١ - حياة موريتانيا، ص ٦٧، والمنارة والرباط، ص ٥٥٨.
 ٢ - الشعر والشعراء في موريتانيا، ص ٧٤، ومكانة أصول الفقه في الثقافة المحظرة الموريتانية، ص ٢٣٨، وأنظام الطُّرَّة في الفوائد النَّحوية، ص ٢٩٠.
 ٣ - توجد بمخطوطات مكتبة أهل محمد سالم بن المحبوب بانواكشوط تحت رقم ٣١٢.
 ٤ - أنظام الطُّرَّة في الفوائد النَّوية، ص ٢٨٦.
 ٥ - المؤلَّفون ومؤلَّفاتهم في موريتانيا، ص ٦٦.
 ٦ - المنارة والرباط، ص ٦٠٦، والألفية وتأثيرها، ص ١٩، وتاريخ النحو، ص ٥٤١.
 ٧ - المؤلَّفون ومؤلَّفاتهم في موريتانيا، ص ١٨٦.
 ٨ - المنارة والرباط، ص ٦٢١، والألفية وتأثيرها، ص ٤٥.
 ٩ - حياة موريتانيا، ص ٦٦، والمنارة والرباط، ص ٥٤٣، وتاريخ النحو، ص ٥٤١، والألفية وتأثيرها، ص ١٩.

أ- منظومة عون الطالبين في النحو^(١).

ب - المفيد في النحو، أو التمييز في النحو (منظومة)^(٢).

١٣٦ - محمد المختار بن محمد يحيى الولائي (ت ١٣٥٢ هـ)، له^(٣): نظم الآجرومية.

١٣٧ - أحمد بن محمد الكميلي (ت ١٣٥٣ هـ)، له^(٤): رسالة في التصريف.

١٣٨ - الشيخ محمد أحمد بن الرباني التندغي (ت ١٣٥٣ هـ)، شاعر، نظامه، له^(٥): نظم في طبقات النحويين.

١٣٩ - البشير بن عبد الله بن مبارك اليدمسي (ت ١٣٥٤ هـ)، له^(٦):

أ- تعليق على الألفية. وقد اطلعت عليه، فوجدته تعليقا خفيفا، تعليميا، معداً للطلاب، وإلقاء الدروس.

ب - تعليق على لامية الأفعال.

ج - شرح المقصور والممدود لابن مالك.

د - كشف الأستار عن بعض ما في القرآن من الإضمار. وهو تأليف قيم، تحدّث فيه المؤلف عن الحذف النحوي في الذكر الحكيم، ذاكراً في مقدّمته أسباب تأليفه إيّاه، وعمله فيه^(٧). سيأتي حديث عنه مفصّل في الفصل الثاني، من الباب الثالث، بعون الله تعالى.

١ - يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ٢١١٥، ٣٥٥٣.

٢ - يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٨٧٥. ولمحمد أغريبيظ بن المختار الحاجي (ت ق ١٤ هـ) تعليق عليه.

٣ - تُرجم له، وذُكر هذا التأليف في المنارة والرباط، ص ٥٩٩.

٤ - المنارة والرباط، ص ٥٤٥، وحياة موريتانيا، ص ٦٨، وتاريخ النحو، ص ٥٤٢.

٥ - المنارة والرباط، ص ٥٦٩، وتاريخ النحو، ص ٥٤١.

٦ - القسم الدراسي من تحقيق كتابه (كشف الأستار عن بعض ما في القرآن من الإضمار)، للأستاذ أحمد بن محمد فال بن إدودو، في رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير من جامعة أم درمان بالسودان سنة ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٩ م. ص ٩٨، والمجموعة الكبرى، ج ٢، ص ٧٣، وحياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٤، والألفية وتأثيرها، ص ٤٤، والمنارة والرباط، ص ٥٥٠، ٥١٦.

٧ - الجزء المحقّق من كشف الأستار، ص ١٣٠.

١٤٠- المرواني بن أحمادو الداودي الجعفري (ت ١٣٦٨ هـ)، له ^(١): شرح لامية الأفعال لابن مالك.

١٤١- أبوبكر بن أحمدو بابا بن عبد الله التندغي (ت ١٣٥٨ هـ)، له ^(٢): احمرار، مع شرحه على لامية الأفعال لابن مالك.

١٤٢- زين بن محمد بن أحمد بن إدومو اليدالي (ت ١٣٥٨ هـ) : نظام، فقيه، له من المؤلفات ^(٣) :

أ- شرح على ألفية ابن مالك.

ب - نظم (إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في القرآن) ^(٤) لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـ). سيأتي حديث عنه مفصل في الفصل الثاني من الباب الثالث، بعون الله تعالى.

١٤٣- أحمد بن أحمد اليدالي (ت ١٣٥٨ هـ)، له ^(٥) :

أ- مجموعة أنظام، ضبّط فيها كثيرا من مسائل النحو والتصريف ^(٦).

ب - منظومة في التصريف وزنا ومعنى ^(٧).

- له في عين مضارع (هـ) :

كسر يهـب السيف يهتز ألم والعين في النوم وفي الريح تُضم

١- تُرجم له، وذكر هذا الشرح في حياة موريتانيا، ص ٦٧، والمنازة والرباط، ص ٦١٣.

٢- حياة موريتانيا، ص ٦٨، والمنازة والرباط، ص ٥٣٨.

٣- حياة موريتانيا، ص ٤٣، والمنازة والرباط، ص ٥٥٣، وتحقيق خطري بن حامد ل(نظم زين العابدين بن أحمد لكتاب مُفَهِّمَاتُ الْأَقْرَانِ فِي مُهَمَّاتِ الْقُرْآنِ لجلال الدين السيوطي)، في رسالة تُخرِّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ١٩٩٥/١٩٩٦ م. ص ١، فما بعدها.

٤- الآن يشتغل على تحقيقه ثلاثة باحثين موريتانيين، مُوزَّعين بينهم، للحصول به على درجة الدكتوراه من جامعة مولاي إسماعيل بمكناس / المغرب.

٥- المنازة والرباط، ص ٥٣٩، والألفية وتأثيرها، ص ١٨، وأنظام الطُزّة في الفوائد النحوية، ص ٢٧٥.

٦- مجموعة نظمية وشعرية، لعلماء وشعراء شناقطة. مودعة بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة. تحت رقم ١٠٩. ص ١٨.

٧- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٦٨٧.

١٤٤ - الشَّيْه بن ابّوه اليعقوبي الموسوي (ت ١٣٥٩هـ)، له^(١): شرح (نظم الأجرّومية): (عُبَيْد رَبّه).

١٤٥ - الشيخ سداقي بن الشيخ ماء العينين (ت ١٣٦٠هـ)، له^(٢):

- (معين الإخوان شرح سقاية الظمآن في تصريف الأفعال). لمولود اليعقوبي .

١٤٦ - الشيخ محمد العربي بن زين الجمّاني (ت ١٣٦٠هـ)، له^(٣): شرح الجامع لابن بونا : (كشف الأستار على ألفية ابن مالك والاحمرار).

١٤٧ - سيدي محمد (الراجل) بن الدّاه بن دادّاه الأبييري (ت ١٣٦٠هـ) ، له^(٤): طُرّة على ألفية ابن مالك.

١٤٨ - محمد عالي بن أحمدو بن زياد الديباني (١٣٦١هـ)، له^(٥): نظم فيما جاء من كلام العرب على (فعل وأفعل) متساويين في المعنى والتعديّة.

١٤٩ - الشيخ محمّد سيدينا بن أحمد محمود الأبييري (ت ١٣٦١هـ)، له^(٦): شرح ألفية ابن مالك.

١٥٠ - بارك الله بن محمّد بن محمّد بن بابا بن اعبيد الديباني (ت ١٣٦٢هـ)، له^(٧): تقييدات في النّحو، منها زيادة على مقدّمة ابن بونا.

١٥١ - عبد الرزّاق بن سيدي محمد الديباني (١٣٦٢هـ)، له^(٨): حاشية على طُرّة ابن بونا.

١ - المؤلفون الموريتانيون ومؤلفاتهم، ص ٧٦.

٢ - المنارة والرباط، ص ٥٦٢، وتاريخ النّحو، ص ٥٤٢، والألفية وتأثيرها، ص ١٨.

٣ - المنارة والرباط، ص ٦١٩، والألفية وتأثيرها، ص ٤٥.

٤ - تُرْجِم له، ودُكِر هذا التّأليف في المجموعة الكبرى، ج ٢، ص ١٠٥، ١٠٦، والمنارة والرباط، ص ٦١٧، والألفية وتأثيرها، ص ٤٤.

٥ - المجموعة الكبرى، ج ٢، ص ٢١٨.

٦ - تُرْجِم له، ودُكِر هذا التّأليف في الألفية وتأثيرها، ص ٤٤، والمنارة والرباط، ص ٦١٩.

٧ - المنارة والرباط، ص ٥٤٨، والألفية وتأثيرها، ص ١٩، والمجموعة الكبرى، ج ٢، ص ٧٠.

٨ - المنارة والرباط، ص ٦٢٠، والألفية وتأثيرها، ص ٤٥.

١٥٢- عبد الودود بن الحضرمي المجلسي (ت ١٣٦٢ هـ)، له ^(١): منظومة في تصريف الأفعال.
١٥٣- محمد بن الغزالي الشقروي الحسني (١٣٦٢ هـ)، له ^(٢): (عَقْلُ الشواهد على شرح الشواهد من الحديث). وسبق في مستهل هذا المبحث ذكر تأليف آخر من هذا اللون بعنوان : (إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النحو من الأخبار والآثار) لمحمد مولود اليعقوبي (ت ١٣٢٣ هـ).

١٥٤- أحمد بن محمود بن نافع اليعقوبي (ت ١٣٦٣ هـ)، له ^(٣): شرح نظم الآجرومية: (عَيْدُ رَبِّهِ).

١٥٥- الشيخ سيديا بن الشيخ أحمد بن اسليمان الديباني، الملقب (ديديا) (ت ١٣٦٣ هـ)، الذي يقول الخليل النحوي عنه : «هاجر إلى السّوس، وهو من رجالات العلوم، فإنّه علامة جليل، مُحَصِّل، أديب، مُشارك في المنقول والمعقول، وله مساجلات مع علماء وأدباء السّوس» ^(٤).

له : تعليق على ألفية ابن مالك ^(٥).

١٥٦- الشيخ محمد حبيب الله بن ما يابى الجكني (ت ١٣٦٤ هـ بالقاهرة)، عالم جليل، له من التأليف النحوية ^(٦):

أ- شرح (عَيْدُ رَبِّهِ).

ب - شرح الكافية لابن مالك ^(٧).

ج - حاشية على البهجة المرضية في النحو.

د - شرح سواطع الجمان في التصريف لسيدي محمد بن سيدي عبد الله العلوي (١٢٥٠ هـ).

١- المنارة والرباط، ص ٥٨٣.

٢- حياة موريتانيا، ص ٦٧، والمنارة والرباط، ص ٥٩٣، وتاريخ النحو، ص ٥٤٢.

٣- تُرْجِمَ له، وُذِّكر هذا التأليف في فهراس مخطوطات مركز أحمد بابا بتمبكتو، ج ٣، تحت رقم ٤١٧٠.

٤- المنارة والرباط، ص ٢٨٢.

٥- تُرْجِمَ له، وُذِّكر هذا التعليق في حياة موريتانيا، ص ٦٤، والألفية وتأثيرها، ص ٤٤، والمنارة والرباط، ص ٥٦٣.

٦- حياة موريتانيا، والمنارة والرباط، ص ٥٧٠.

٧- دُكِرَ في حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٦، والألفية وتأثيرها، ص ٤٢، والمنارة والرباط، ص ٥٧٠، ٥٧١.

هـ - شرح على (التُّحفة الوردية في مشكلات الإعراب^(١)) لزين الدين عمر بن الورد (ت ٧٤٩هـ، في حلب).

و - شرح الفريدة للسيوطي^(٢).

١٥٧ - سيدي بن خليل السَّمْسِدِي (ت ١٣٦٥هـ)، له^(٣):

أ - رسالة في الإعراب.

ب - نظم النكرة والمعرفة.

١٥٨ - محمد محمود بن أحمد الوائلي التندغي (١٣٦٨هـ) : نحوي، فقيه، شيخ محظرة، له^(٤):

أ - تعليق على ألفية ابن مالك .

ب - نظم في مشاهير أوزان الفعل الثلاثي.

١٥٩ - محمد بن عبد الله الجكني، القناني وطناً (١٣٦٩هـ)، له^(٥):

أ - حاشية على الجامع لابن بونا.

ب - احمرار وتعليق على لامية الأفعال لابن مالك .

١٦٠ - عبد القادر (قارّي) بن عبد الله بن محمد بن محمد سالم المجلسي (ت ١٣٧٠هـ)، له^(٦):

- شرح الجامع البوني وألفية ابن مالك، سمّاه (قُرّة العَيْنَيْنِ على شرح التَّظْمِينِ).

١٦١ - أحمد فال بن محمد بن سيدي أحمد الجكني (ت بمكة ١٣٧١هـ)، له^(٧): منظومة في التصريف.

١ - ورد ذكر هذا الشرح في حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٦، والمنارة والرباط، ص ٥٧١، وتاريخ النحو العربي، ص ٥٤١.

٢ - ورد ذكره في حياة موريتانيا، والمنارة والرباط، ص ٥٧٠.

٣ - المؤلفون الموريتانيون ومؤلفاتهم في موريتانيا، ص ٦٨، والمنارة والرباط، ص ٥٥٦.

٤ - حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٤، والمنارة والرباط، ص ٥٩٦، والألفية وتأثيرها، ص ٤٤.

٥ - حياة موريتانيا، ص ٦٨، والمنارة والرباط، ص ٥٩٢.

٦ - تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في المجموعة الكبرى، ج ٢، ص ١٤٧، ١٤٨.

٧ - حياة موريتانيا، ص ٦٨، وتاريخ النحو، ص ٥٤٠.

- ١٦٢- محمد عبد الله بن البشير المالكي (ت ١٣٧٥هـ)، له ^(١).
 أ- شرح سلّم الطالبين في قواعد النحويين لابن بونا .
 ب - مكتوب في الصفة المشبهة باسم الفاعل .
- ١٦٣- ماء العينين بن العتيق بن محمد فاضل بن مامين (ت ١٣٧٦هـ)، ^(٢)، له : سلّم الإعراب مع شرحه ^(٣).
- ١٦٤- محمد الأجد بن محمد الأمين بن أبي المعالي يعقوبي (ت ١٣٧٦هـ)، له ^(٤): مجموعة أنظام نحوية ^(٥).
- ١٦٥- محمّد مختار بن محمّد الأمين بن محمّد مختار بن أحمد بن حبيب الله يعقوبي (ت ١٣٧٧هـ)، له ^(٦):
 - شرح نظم الأجزّومية (عُبَيْد رَبّه).
- ١٦٦- عبد الرحمن بن حدّامة بن محمّد بن عبّاس المالكي (ت ١٣٧٧هـ)، له ^(٧): شرح على ألفية ابن مالك.
- ١٦٧- أحمد محمود بن أحمد بن محمد (يدادّه) بن محمّد الحسني (ت ١٣٨٢هـ)، له ^(٨): شرح نظم (عُبَيْد رَبّه).
- ١٦٨- محمد عبد الصمد المالكي (ت ١٣٨٢هـ)، له ^(٩): شرح على ألفية ابن مالك.
- ١٦٩- ابو بن عبيد بن الجيّد (ت ١٣٨٣هـ)، له ^(١٠): منظومة مشتهرات الضمّ، مع
-
- ١- حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٧، والمنازة والرباط، ص ٥٩١.
 ٢- المجموعة الكبرى، ج ٢، ص ١٦٨.
 ٣- يوجد على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٠٥٦.
 ٤- المجموعة الكبرى، ج ٢، ص ١٧٨.
 ٥- مخطوطة ضمن مجموعة أنظام نحوية وشعرية، تحت رقم ١٠٩، بالمعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط / بوحديدة.
 ٦- معجم المؤلّفين في القطر الشنقيطي، ص ١٤١.
 ٧- تُرجم له، ودُكر هذا التّأليف في الألفية وتأثيرها، ص ٤٤، والمنازة والرباط، ص ٦١٩.
 ٨- المنازة والرباط، ص ٥٤٤، والمجموعة الكبرى، ج ٢، ص ٥٩.
 ٩- تُرجم له، ودُكر هذا التّأليف في الألفية وتأثيرها، ص ٤٤، والمنازة والرباط، ص ٦٢٢.
 ١٠- المؤلّفون الموريتانيون ومؤلّفاتهم، ص ٣٣.

شرحها. غير كامل.

١٧٠ - محمد عبد الله بن عبد القادر المجلسي (ت ١٣٨٦هـ)، له ^(١): تعليق على الجامع لابن بونا.

١٧١- الشيخ محمد عبد الله بن أحمد ذي الحسني (ت ١٣٩٠ هـ)، له ^(٢): المُفَصَّل والمُقَسَّم في شرح نظم القَسَم من احمرار ابن بونا.

١٧٢- محمد الأمين بن محمد بن باريك العلوشي الولاتي (ت ١٣٩١هـ)، له (٣): عقد اللآلئ المشرق بنظم درر بحرق^(٤).

١٧٣- أحمدو بن محمد بن حبيب اليدمسي (ت ١٣٩٢هـ)، له ^(٥) :
أ- منظومة في النحو والتصريف ^(٦).

ب - نظم في التصريف^(٧).

ج - منظومة في كلمات معربة من ثماني لغات.

١٧٤- حمّودي بن المرباط النّاصري (ت ١٣٩٢ هـ)، له ^(٨): مفيد الطّلاب (نحو).

١٧٥- سيدي محمد بن عبد الرزاق الأبهمي (ت ١٣٩٣ هـ)، له ^(٩):

أ- شرح لأوّل جامع ابن بونا إلى باب الابتداء.

ب - بحث في «لو».

١- المنارة والرباط، ص ٦٢٢، والألفية وتأثيرها، ص ٤٥.

٢- المؤلفون ومؤلفاتهم لابن حامدن واتشومسكي، ص ٨٩، والمنازة والرباط، ص ٥٧٣.

٣- تحقيق محمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن أبي حمزة في (مصطلح الحديث وتاريخ الرواة)، في رسالة تخرج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ٢٠٠٨/٢٠٠٩، ص ١١.

٤- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٤٦٥٧.

٥- المنارة والرباط، ص ٥٣٩، وتاريخ النحو، ص ٥٤٠.

٦- يوجد على (مكروفلوم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٥٣٥.

٧- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٤٤٨، وعلى (مكروفلم) المعهد نفسه، تحت رقم ٥٤٤.

٨- المؤلفون ومؤلفاتهم، ص ٥٨.

٩- المنارة والرباط، ص ٦١٧، والألفية وتأثيرها، ص ٤٥.

١٧٦- الشيخ محمد الأمين (آبَه) بن اخطور الجكني (ت ١٣٩٣هـ)، العلامة، الموسوعي، المتميز، المفسر، اللغوي الأصولي، حج بيت الله الحرام سنة ١٣٦٨هـ، واستقرّ بالمملكة العربية السعودية، واشتغل فيها بالتدريس والتأليف، وصدر عن حلقاته العلماء والمدرسون^(١). له من المؤلفات :

أ- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (مطبوع). وهو تفسير من أهم كتب التفسير وأنضجها، قل نظيره، فهو دائرة معارف، شاملة لجوانب التفسير، مما جعله كتاب تفسير، وفقه، وأصول، ولغة، وأدب، ونحو، وقراءات. سيأتي حديث عنه في الفصل الثاني من الباب الثالث، بعون الله تعالى.

ب - شرح اللامية واحرارها للحسن بن زين (ت ١٣١٥هـ).

١٧٧- محمد بن محمد المامي بن عبد الله اليعقوبي (ت ١٣٩٣هـ) : عالم، نحوي، شاعر، له (٢) : طرّة على نظم (عُبَيْد رَبّه) (٣).

١٧٨ - محمد بن المختار السالم بن عبد الله بن عباس الأبييري (ت ١٣٩٣هـ)، له (٤) : تفصيل الضمائر (٥).

١٧٩- عبد الله بن سيدي محمد بن داداه الأبييري (ت ١٣٩٤هـ) ، له (٦) :
أ- طرّة على لامية الأفعال لابن مالك.

ب - نظم المضغف من (فعل) بكسر العين.

١٨٠- أبو الخير بن عبد الله بن مرزوق بن الحلة الأرواني (ت ١٣٩٧هـ)، له (٧) :

١ - حياة موريتانيا، ص ٤٣، ٦٨، والمنارة والرباط، ص ٥١٧، ومكانة أصول الفقة في الثقافة المحظرة الموريتانية، ص ٢٥٦، والتفسير والمفسرون ببلاد شقيقت، ص ٣٩٣، فما بعدها.

٢ - معجم المؤلفين ومؤلفاتهم في ولاية الترازة، إعداد محمد بن أحمد بن بابا، رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية سنة ٩٠ / ١٩٩١ م. ص ١١٦. مودّع بقسم البحوث بالمعهد تحت رقم ١١١.

٣ - يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٤٨.

٤ - المجموعة الكبرى، ج ٢، ص ٢٠٢.

٥ - يوجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٩٤١.

٦ - المؤلفون ومؤلفاتهم لابن حامدن واتشومسكي، ١٥٧، والمجموعة الكبرى، ج ٢، ص ١٥٥.

٧ - تحقيق محمد سالم ولد أحمد، للشركة والفراض والكراء والإجارة والجعل من نوازل الشيخ باي الكنتي، ص ٦.

- فتح الكريم على منظومة محمد يحيى بن سليم (ت ١٣٥٤هـ) ^(١).

١٨١ - محمد محمود بن سيدي أحمد بن الهادي التمدكي اللمتوني (ت ١٣٩٧هـ). له ^(٢) :
شوارق الأنوار على ما عقده المختار ^(٣).

وهو شرح على احرار ابن بونا، يقول في مقدّمته : « فقد طلب منّي بعض مدرّسي النّحو أن أضع له شرحا على نظم العالم، العلامة، محيي علم المعقول، المختار بن بونا، مجرّدا عن نظم ابن مالك، فأحجمت عن ذلك زمنا طويلا لعلمي بجهلي وقصور باعي، وصعوبة تلك المسالك، ثم طلب منّي بعض آخر ذلك فأجبت طالباً من الله تعالى العون» ^(٤).

وتحدّث المؤلّف في المستهلّ عن واضعي النّحو، وطبقات النّحاة منذ النشأة، إلى ابن مالك، ذاكرًا مصادر تأليفه، التي استقاه منها، مقسّمًا إيّاها إلى قسمين، قسم أخذ منه بلا واسطة، وقسم آخر أخذ منه بواسطة، ثمّ تكلم عن « شيء ممّا ذكره الأئمّة في فضل النّحو ترغيبا لطالبه » ^(٥).

وطريقته في الشرح أن يذكر جملة من ألفية ابن مالك، مرتّباً عليها ما يقابلها من احرار ابن بونا، ثمّ يبدأ بالشرح، الذي يقتصر فيه على التبيين والتوضيح، دون الخوض كثيرا في المناقشة والتحليل. كقوله مثلاً : « بالجرّ والتنوين والنّدا وأل.. البيت ^(٦) : (وهو لعين أو لمعنى على عين ^(٧))، أي ذات بلا قيد، نحو زيد ورجل، أو يدلّ على معنى، وهو ما يدلّ على غير ذات بلا قيد، نحو قراءة وفهم، وفي كلّ منهما إمّا أن يكون اسماً أو صفة. فصفة العين هي ما تدلّ على قيد زائد في الذات، نحو قائم، وصفة المعنى تدلّ على قيد في غير الذات، كجليّ وخفيّ. وفي الاسم عشر لغات... إلخ» ^(٨).

١ - يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٤١٩.

٢ - المنارة والرباط، ص ٥٩٧، وتاريخ النّحو، ص ٥٤٠.

٣ - مودّع بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط / بوحديدة. تحت رقم ١١٢.

٤ - ص ١، من المخطوطة.

٥ - ص ٣، من المخطوطة.

٦ - الشطر الأوّل من البيت الثالث، من باب الكلام وما يتألّف منه، في ألفية ابن مالك .

٧ - ما بين القوسين صدر بيت من احرار ابن بونا. ص ٣، من المخطوطة، ج ١، ص ٧، من تقريب طرّة ابن بونا.

٨ - ص ٤، من المخطوطة.

١٨٢- الحاج محمود با (ت ١٣٩٨ هـ)، عالم بولاري، أسس (جمعية دراسة القرآن الكريم)، ثم (مدرسة الفلاح)، التي انتشرت فروعها في العديد من الدول الإفريقية، وكان له دور بارز في نشر علوم العربية والدراسات الإسلامية^(١). له: شرح الأجرومية.

١٨٣- محمد بن محمد (مَيِّمٌ) بن المحبوب (ت ١٣٩٩ هـ). له^(٢) : مجموعة أنظام نحوية ولغوية.

١٨٤- الحاج البشير بن عبد الحي، الرقيبي داراً (ت أواخر ق ١٣، أو أوائل ق ١٤ هـ)، له^(٣) : طرّة على الألفية.

١٨٥- بابا حسن بن مولاي عبد الله الشريف النعمي (ت صدر ق ١٤ هـ)، له^(٤) : ألفية في التحو.

١٨٦- محمد البوصيري بن سيدي المختار الجكني (ت ق ١٤ هـ)، له^(٥) : شرح على نظم (عُبَيْد رَبّه).

١٨٧- ابن حنبل بن البشير اليدمسي (ت ق ١٤ هـ)، له^(٦) : تعليق على الألفية.

١٨٨- محمد اغزيّظ بن المختار الحاجي (ت ق ١٤ هـ)، له^(٧) :

أ- نظم في إعراب الجمل.

ب - تعليق على المفيد في التحو (نظم لأحمد بن محمد الحاجي (ت ١٣٥١ هـ)).

١٨٩- محمد الأمين بن الشيخ محمد عبد الله بن أحمد الجكني (ت ١٤٠٠ هـ)، له^(٨) :

١- المنارة والرباط، ص ٥١١، ٦١٦، والألفية وتأثيرها، ص ٤٣.

٢- أنظام الطرّة في الفوائد النحوية، ص ٢٨٨، ومقدّمة تحقيق مجموعة المؤلّف التّظمية هذه، ص ١، فما بعدها. حيث حقّقها محمد بن ابّوه في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة الدراسية ٢٠٠١/٢٠٠٢ م. مودّعة بقسم البحوث بالمعهد ٧٣.

٣- تُرجم له، ودُكر هذا التّأليف في حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٤، والمنارة والرباط، ص ٥٥١، والألفية وتأثيرها، ص ٤٤.

٤- المنارة والرباط، ص ٦١٦.

٥- الألفية وتأثيرها، ص ٤٣، والمنارة والرباط، ص ٥٨٨.

٦- تُرجم له، ودُكر هذا التّأليف في المنارة والرباط، ص ٥٣٧، والألفية وتأثيرها، ص ٤٤.

٧- المنارة والرباط، ص ٦٢٤.

٨- حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٦، والألفية وتأثيرها، ص ٢٠، والمنارة والرباط، ص ٥٨٧، ٥٨٨، والمجموعة الكبرى، ج ٢، ص ١٨٢، ١٨٣، وتاريخ النحو، ص ٥٤١.

١٩٥- محمّد الشفيع بن محمّد (مَيِّمِيَّة) بن محبوب البجلي (ت ١٤٠٧ هـ): لغوي وفقيه، له ^(١):

أ- نبراس الهداة في النّحو (نظم مغني اللّبيب لابن هشام). عدد أبياته ثلاثة آلاف ٣٠٠٠ بيت ^(٢).

ب - أجوبة في النّحو ^(٣).

ج - مكتوب في معاني «لو» النّحوية واللّغوية.

١٩٦- حمّود بن متّار القلاوي (ت ١٤٠٨ هـ) ^(٤) له :

أ- تعليق على لامية الأفعال، وطوّرتها للحسن بن زين (ت ١٣١٥ هـ) ^(٥).

ب - نظم في مبادئ النّحو ^(٦).

١٩٧- محمد يحيى بن محمّد المامي (ت ١٤٠٨ هـ)، له ^(٧) :

أ- فتح الباب عن إيضاح الإعراب ^(٨).

ب - كشف النقاب عن معاني الحروف ^(٩).

ج - سقاية الظمآن ^(١٠).

د - نظم الجمل ^(١١).

١- تحقيق عائشة بنت أحمد للجزء الأوّل من نظم الشّمال لمحمّد الشفيع بن محمّد (مَيِّمِيَّة) بن محبوب، في رسالة تحرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ١٩٩٧-١٩٩٨ م. ص ٧، فما بعدها، والألفية وتأثيرها، ص ٤٣، والمجموعة الكبرى، ص ٢٧٦.

٢- على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٩٧١.

٣- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٩٥٣.

٤- مصطلح الحديث وتاريخ الرواة، ص ١١.

٥- على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٨٣٠.

٦- يوجد على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٨٣١.

٧- معجم المؤلّفين ومؤلّفاتهم في ولاية اترارزة، ص ١٤٩.

٨- حقّقته مريم بنت محمد المامي في رسالة تحرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، وهو مودّع بقسم الرسائل بالمعهد تحت رقم ٤٣. كما توجد نسخة مخطوطة لأصله قبل التحقيق بمخطوطات المعهد نفسه، تحت رقم ٢٨٤١.

٩- يوجد بمخطوطات المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، تحت رقمي ٢٤٤، ٢٨٤. وقد قامت المامية بنت محمد بتحقيق الجزء الثاني منه في رسالة تحرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، مودّع بقسم الرسائل بالمعهد تحت رقم ٢٨.

١٠- يوجد بمخطوطات المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، تحت رقم ١١٩١.

١١- يوجد بمخطوطات المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، تحت رقم ٢٨٤٤.

١٩٨ - التّاه المختار بن يحظيه بن عبد الودود (ت ١٤٠٩ هـ)، عالم مدرّس، نجل العلامة يحظيه (ت ١٣٥٨ هـ)، وخليفته على محظّره، له^(١) :

أ - طرّة على (سُلم الطّالّين إلى قواعد النّحويّين) للمختار بن بونا (ت ١٢٢٠ هـ)^(٢).
ب - أنظام مفيدة.

١٩٩ - أحمد بن محمّد بن الطالب بن اعل العلوي (ت ١٤١٧ هـ)، الفقيه الشاعر النّحويّ، التّظامه الشهير^(٣). ترك في النّحو :

أ - شرحاً لنظم الأجرّومية، المسمّى (عُبَيْد رَبِّه)، سمّاه : تحفة الطّالّاب القاصدين للإعراب^(٤). يقول في مقدّمته، مع شيء من تواضع العلماء : «أما بعد، فإنّي قد طلب منّي بعض الإخوان أن أضع شرحاً لنظم الأجرّومية فتهيأت لإجابته.. مستعينا بالله، ومتكلاً عليه، مع علمي بعدم الأهلية... وبعد، فيقول العبد الفقير.. إلخ»^(٥).
ب - العديد من الأنظام الضابطة للمسائل النّحوية. أورد منها مايلي :

- يقول في أنواع الطلب :

والأمر والنّهْي والاستفهام والعرض والتحضيض في أقسام
طلب الدعاء والتمنّي لا زَيْدَ فخذْ نظماً لها مُكَمِّلاً.

- المواضع التي حذف فيها الواو، الواقعة في نهاية الكلمة في القرآن، دون داعٍ نحويّ :
وحذفوا الواو فَبُئِلَ الجازم في خمسة ولم يكن بلازم
في قَمَرٍ يَدْعُ^(٦) وفي الإسراء^(٧) وَيَمْحُ^(٨) في الشورى بلا امتراء

١ - أنظام الطرّة في الفوائد النّحوية، ص ٢٧٩.

٢ - حقّقها محمّد محمود بن محمّد محفوظ في بحث لإنهاء دروس الماسّتر بجامعة انواكشوط ٢٠١٠ / ٢٠١١ م.

٣ - ترجمته في بحث لابنه : السالك بن أحمد، عن حياته، بعنوان : (جمع وتحقيق فتاوي وفوائد فقهية للعلامة أحمد بن محمد بن الطالب بن اعل العلوي). وهو رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، سنة ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ م.

٤ - حقّقه محمّد بن إدودو، في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، سنة ١٩٩٨ / ١٩٩٩. مودّع في قسم الرسائل بالمعهد، تحت رقم ١٦.

٥ - الصّفحة الأولى من التحقيق.

٦ - من الآية رقم ٦، سورة القمر : (يَوْمَ يَدْعُ الدّاع ي).

٧ - الآية رقم ١١، سورة الإسراء : (وَيَدْعُ الإنسانُ بالشرِّ دُعَاءَهُ بالخير).

٨ - من الآية ٢٢، سورة الشورى : (وَيَمْحُ اللهُ الباطلَ وَيُجَيِّقُ الحقَّ بِكَلِمَاتِهِ).

كذلك صالح^(١) قُبِلَ المؤمنِينَ سَنَدُغ^(٢) بالعلق مثل ذا تَبِين.

- دخول الغاية وعدم دخولها مع إلى وحتى :

وفي دخول الغاية الأصح لا تَدْخُلُ مع إلى وحتى تَدْخُلُ^(٣).
أنظامه فيما يبدو سلسلة، رقيقة.

٢٠٠- الحاج بن السالك بن فحفو المسموي (ما زال حيًا). له فقيه كبير، نحوي شهير، صاحب محضرة عريقة في تكانت، بوسط البلاد، مورودة من طلاب العلم. له من التأليف النحوية^(٤):

أ- شرح نظم الأجرومية، المسمى (عَبِيد رَبِّهِ)، سَمَاه (دليل الطلاب على ما قصدوا من ظاهر الإعراب)^(٥).

ب- شرح ألفية ابن مالك، سَمَاه (تنوير الحوالك على ألفية ابن مالك)^(٦).

ج- شرح المقصور والمدود. (الإمارات، أبوظبي : مكتبة الصفا، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م).

٢٠١- عمّويه الطالب عمر بن أحمدنا الله الطلابي (ما زال حيًا) له : فتح القَيوم شرح نظم آجروم^(٧).

٢٠٢- الشيخ محمد بن محفوظ الشنقيطي (ما زال حيًا)، له شرح على المقصور والمدود لابن مالك. حققه الأستاذ عبد الحميد بن محمد الأنصاري^(٨).

وفيما يلي ثبت بأسماء نحويين آخرين لم أتمكن من الوقوف على تواريخ وفياتهم، أو

١- من الآية ٤، سورة التحريم : (وصالح المؤمن).
٢- من الآية ١٩، سورة العلق : (سَنَدُغُ الزَّبَانِيَّة).

٣- مزيد في بحث (جمع وتحقيق فتاوي وفوائد فقهية)، مرجع سابق، ص ٨٤، فيما بعدها.

٤- حياته، وتأليفه النحوية في حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٤، والألفية وتأثيرها، ص ٤٣، ٤٤، والمنارة والرباط، ص ٥٥٢.

٥- طُبِعَ بمطبعة دار يوسف بن تاشفين، تحقيق سيدنا عالي بن الشنكي، بالمدرسة العليا للتعليم العالي، السنة الدراسية ٨٤ / ١٩٨٥م. انواكشوط.

٦- حصل محمد أحمد بن الحسين على الإجازة من جامعة انواكشوط، سنة ١٩٨٤م، بتحقيق جزء منه، مودع بقسم الرسائل بالجامعة تحت رقم ٨٠١٩٢٢.

٧- مطبوع بتحقيق يسلم محمد بوياء.

٨- مقدمة تحقيق عبد الحميد بن محمد الأنصاري، لَطَرَةُ الحسن بن زين على لامية الأفعال، لابن مالك. ج ١، ص ٥٠.

- تحديد عصورهم، مع ما أمكن من الوقوف عليه من مؤلفاتهم النحوية :
- ٢٠٣- أبو بكر بن إنابلس^(١). له : منظومة في التصريف.
- ٢٠٤- أبو بكر بن محمد بن الحسين^(٢). له : قصيدة في المقصور والممدود.
- ٢٠٥- أحمد بن الحسين الحاجي^(٣). له : نَظْم في التصريف.
- ٢٠٦- أحمد الديباني. له^(٤) : سعد السعود شرح المقصور والممدود.
- ٢٠٧- أحمد بن محمد الأمين الحنشي^(٥). له : نَظْم في ضبط الأسماء والأفعال.
- ٢٠٨- أحمد بن موسى بن محمد الفوقي. له^(٦) : إعراب قوله تعالى : (رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي .. ١٠٠ ، المنافقون).
- ٢٠٩- الإمام بن البشير العلوي. له^(٧) : شرح على احرار ابن بونا.
- ٢١٠- الأمين بن الغزالي الشقروي الحسني^(٨). له : شرح شواهد احرار ابن بونا.
- ٢١١- ابن عمر بن سيدي المصطفى التندغي، له^(٩) : تأليف في النحو.
- ٢١٢- ابن الفقيه، له^(١٠) : شرح على الخلاصة.
- ٢١٣- الحاج فودى سولا سيسي^(١١). له :
- أ - شرح لامية الأفعال.
- ب - تأليف على حلّ ألفاظ الملحة.

-
- ١- مخطوطات أحمد بابا بتيبكتو، تحت رقم ٢٣٠١.
- ٢- مخطوطات أحمد بابا بتيبكتو، تحت رقم ٣٢٧٩.
- ٣- توجد منه نسختان على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، إحداها تحت رقم ١٠٨١. والأخرى تحت رقم ٢٠٥٨.
- ٤- توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة حمى الله بتشيت، تحت رقم ٢٠٦.
- ٥- مخطوطات أحمد بابا بتيبكتو، تحت رقم ١٢١٥.
- ٦- أربع صفحات، يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيبكتو، تحت رقم ٦١١٥.
- ٧- تاريخ النحو، ص ٥٤٠.
- ٨- المنارة والرباط، ص ٥٤٦، وتاريخ النحو، ص ٥٤٠، والألفية وتأثيرها، ص ٤٥.
- ٩- المنارة والرباط، ص ٥٣٧.
- ١٠- مخطوطات المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية/ انواكشوط، تحت رقم ٢٨.
- ١١- توجد هذه التأليف الثلاثة على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام : ١٦٣٤، ١٦٣٥، ١٦٣٦.

ج - تأليف في مبادئ الصرف.

٢١٤- حبيب الله بن محمد محمود اليعقوبي الباري، له^(١): شرح لامية الأفعال.

٢١٥- سعيد بن أبيه، له^(٢): شرح القصيدة اللغزية في المسائل النحوية.

٢١٦- سيدي بن سيدي أحمد بابا. له^(٣) :

أ- شرح آجروم. التزم فيه إعراب الأبيات.

ب - نَظَمَ إعراب الجُمْل.

٢١٧- سيدي بن الشيخ بن حَبْت القلاوي^(٤) له :

أ- تقريب المعاني في النحو.

ب - مثورة القلاوي على منظومة الخبر الشيرازي.

٢١٨- سيدي بابا بن محمد الأمين حبيب الله^(٥). له : المنح الحميدة في شرح الفريدة.

٢١٩- سيدي محمد بن حبيب الله الجكني، له^(٦) : نَظَمَ الآجرومية باللّهجة الحسانية.

٢٢٠- سيدي محمد بن عبد الرحمن العلوي^(٧) . له : شرح احمرار ابن بونا.

٢٢١- سعيد بن يعقوب المِكلّاتي^(٨) . له : شرح لامية الأفعال.

٢٢٢- الشيخ أحمد التيجاني الفوتي^(٩). له: المنهاج للمحتاج في عقد ما نَظَمَه الصنهاجيّ

(شرح الآجرومية). وقد ورد على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي

تحت رقم (١٤٨٧) العنوان نفسه، سوى إبدال لفظة (نَظَمَه) بلفظة (نَثَرَه)،

منسوباً لمحمد بن أبي بكر بن عثمان القاضي الفوتي. وعليه فهل هما عنوانان، لكلّ

١- معجم المؤلفين ومؤلفاتهم في ولاية اترارزة، ص ٦٦.

٢- يوجد مخطوطاً بمدينة شنقيط، ص ٥٠٨، بخط المؤلف، في ثماني ورقات.

٣- يوجد التأليفان على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي (١٥٥٨، ١٥٥٢).

٤ - المؤلفون ومؤلفاتهم لابن حامدن واتشومسكي، ص ٦٨.

٥ - مخطوطات أحمد بابا بتييمكتو، تحت رقمي ٤٢٩، ١٥٦٣.

٦- المؤلفون الموريتانيون ومؤلفاتهم لابن حامدن واتشومسكي، ص ٧٤، والمنازة والرباط، ص ٥٥٨.

٧- المنازة والرباط، ص ٦١٧.

٨- توجد منه نسخة على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٤٦٣.

٩- توجد منه نسخة على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٥١٩.

واحد عنوانه، أم هما تأليف واحد لأحد المذكورين؟. مع التنبيه إلى أن العنوان الأول لا يستقيم، إذ كأن المعنى يصير (في نظم ما نظمته)، والمنظوم لا يُنظم، زد على ذلك أن الأجرومية للصنهاجي نثر، لا نظم.

٢٢٣- الشيخ علي بن مبارك الروداني الإدريسي^(١). له :

أ- حاشية (فتح الصمد) على شرح لمحمد الأغظف بن أحمد مولود الوصري^(٢) وضعه على نظم (السبك العجيب لمعاني حروف مُغني اللبيب)^(٣) للأمير السلطان عبد الحفيظ العلوي المغربي (ت ١٣٥٦هـ).

ب - كشف الأستار على ألفية ابن مالك والاحمرار.

٢٢٤- ضابط بن محمد الأمين العلوي^(٤)، له : قصيدة في ضبط الحروف.

٢٢٥- الطالب أحمد بن الديده الجماني، له^(٥):

أ- أوضح المسالك على يائية ابن مالك في التصريف.

ب - السراج المنير على بحرق الكبير.

ج - مفيد الطلاب في معرفة التمييز والإعراب.

٢٢٦- عبد المهيم بن محمد الأمين الحضرمي، له^(٦): فتح الأقفال وضرب الأمثال بشرح لامية الأفعال.

٢٢٧- علي بن إبراهيم بن علي، له^(٧): تأليف في المقصور والممدود.

١٢٨- محمد بن أحمد. له^(٨): شرح المقصور والممدود.

١ - حياة موريتانيا، ص ٦٨، ٦٦، والمنارة والرباط، ص ٥٧١، ٥٤٥، وتاريخ النحو، ص ٥٤٢..

٢ - النحو العربي، ص ٤٢٤. وحياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٦، وتاريخ النحو، ص ٤٢٤، ٥٤١.

٣ - طبعته الأولى ١٣٢٥هـ بولاق، القاهرة، في مجلدين.

٤ - توجد منه نسخة في مركز أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم ٧٦٨.

٥ - المؤلفون ومؤلفاتهم، ص ١٤١، ومخطوطات المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، رقم ٧١.

٦ - مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام: ١٠١٧، ١٧٧٨، ٢٦١١.

٧ - مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو، رقم ٤٠٠٠.

٨ - توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة أهل بوعسرية، بتشيت.

٢٢٩- محمد الهاشمي بن أحمد سعيد الفوقي. له^(١): الهبات اللطيفة في الكلمات : الاسمية والفعلية والحرفية.

٢٣٠- محمد بن أحمد بن يعلى الحسني^(٢). له : الدرة النحوية في شرح الأجرومية.

٢٣١- محمد بن بابا الملقب بأشدكن. له^(٣):

أ- منظومة في اللغة العربية والنحو.

ب- منظومة في أسباب البناء على الحركة.

٢٣٢- محمد بن بابا بن محمد عثمان. له^(٤): منظومة في الألغاز النحوية.

٢٣٣- محمد بن بوكم الكميلي ، له^(٥): مقدمة في النحو.

٢٣٤- محمد إبراهيم بن محمد المصطفى، المعروف بحمّنف^(٦). له : قصيدة في النحو.

٢٣٥- محمد الأمين بن خليفة له^(٧):

أ- شرح مقدمة ابن بونا في النحو.

ب- شرح المفيد في النحو.

٢٣٦- محمد الأمين بن المختار الكنتي ، له^(٨): نظم متن الأجرومية.

٢٣٧- محمد الحبيب بن المنير الشنقيطي^(٩). له : شرح لامية الأفعال.

٢٣٨- محمد زين العابدين بن محمد بن علي بن أحمد^(١٠). له : إفادة الطالبين ومثمن القاصدين.

١- توجد منه نسخة على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٥٢٦.

٢- توجد منه نسخة من عشر ورقات بمكتبة الفقيه محمد بن حمى الله \ تشيت.

٣- مخطوطات أحمد بابا بتييمبكتو، تحت أرقام ١٨٧٨، ٨٥٢٥، ١٩٨٩.

٤- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتييمبكتو، تحت رقم ٥٣٢٧. وترجم لمؤلفه في فهارس هذه المخطوطات نفسها، ج ٤، المودعة بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي.

٥- مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، ٥٩١.

٦- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتييمبكتو، تحت رقم ٤٢٢٧. وترجم لمؤلفه في فهارس هذه المخطوطات نفسها، ج ٣، المودع بالعهد الموريتاني للبحث العلمي.

٧- مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ٢٧٤٢، ٢٣٧٧.

٨- توجد منه نسخة في مخطوطات مركز أحمد بابا بتييمبكتو، تحت رقم ٨٤١٤.

٩- مخطوطات مركز أحمد بابا بتييمبكتو، تحت رقم ٣٢٩٣.

١٠- مخطوطات أحمد بابا بتييمبكتو، تحت رقم ٢٤٩٥.

٢٣٩- محمد السالك بن خي بن محمد بن عمار التنواجيوي^(١). له : نظم قطر الندى وبلّ الصدى مع شرحه.

٢٤٠- محمد سالم بن عبد الله بن الحبيب اليونسي^(٢). له : مُثَلَّثَات الأفعال في علم التصريف.

٢٤١- محمد عبد الله بن أحمد بن أبي الأعراف. له^(٣):

أ- مناظرة في علم التصريف.

ب- حفظ الموجود وطلب المفقود من تحرير ما تَضَمَّنَتْه تحفة المودود (تعليق).

يقصد : تحفة المودود في المقصور والممدود لابن مالك، وهي القصيدة الهمزية المعروفة، التي مطلعها :

أَطَعْتَ الْهَوَى فَاَلْقَلْبُ مِنْكَ هَوَاءٌ قَسَا كَصَفَا مُذْ بَانَ عَنْهُ صَفَاءٌ.

٢٤٢- محمد بن علي الشريف السوقي^(٤). له : فتح الأقفال على لامية الأفعال.

٢٤٣- محمد بن ماعه بن محمد المصطفى^(٥). له : شرح على نظم قطر الندى.

٢٤٤- محمد بن محمد الأمين بن حبيب الله^(٦). له :

أ- المنح الحميدة شرح الفريدة.

ب - نظم في المصدر الميمي، الوارد على وزن المفعّل.

٢٤٥- محمد بن محمد بن عمر الماسني^(٧). له : شرح قصيدة ابن مفرع^(٨) في النحو.

١ - مخطوطات أحمد بابا بتيبكتو، تحت رقمي ١٣٤٩، ٤٦٣٩.

٢- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيبكتو، تحت رقم ٤٦١٨. وترجم المؤلفه في فهارس هذه المخطوطات نفسها، ج ٤، ص ٨٢، المودعة بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي.

٣ - مخطوطات أحمد بابا بتيبكتو ٥٢١١، و(مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، رقم ١٠٨٧.

٤ - مخطوطات أحمد بابا بتيبكتو، تحت رقم ٦٢٩٢.

٥ - يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيبكتو، تحت رقم ٤١٧٣. وترجم المؤلفه في فهارس هذه المخطوطات نفسها، ج ٣، المودعة بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي.

٦- المنارة والرباط، ص ٦٢٢، ومكتبة هارون بن الشيخ سيديا / بوتلميت.

٧- مخطوطات أحمد بابا بتيبكتو، تحت رقم ٣١٢٩.

٨- لم أقف على معلومات عنه.

٢٤٦- محمد بن محمد فال بن أبْنُو^(١). له : تقريب البعيد من منظومة عُبيد (شرح منظومة عُبيد ربّه).

٢٤٧- مُحَمَّد لَقْظَفْ بن أحمد مولود الوَسْري الشنقيطي^(٢). له شرح على منظومة السلطان المَوْلى عبد الحفيظ^(٣)، العلوي المغربي (ت ١٣٥٦هـ) لمُغْنِي اللَّيْب، المسماة (السَّبْك العجيب لمعاني حروف مُغْنِي اللَّيْب)^(٤). وللشيخ علي بن مبارك الرّوداني الإدريسي^(٥) حاشية على هذا الشرح^(٦).

٢٤٨- محمد مختار بن محمد الأمين اليعقوبي^(٧). له : شرح نَظْم الآجُرّومية (عُبَيْد رَبّه).

٢٤٩- محمد مولود بن التّاء، له^(٨): نَظْم في التصريف .

٢٥٠- محمد يعقوب بن أحمد مولود بن الطالب محمد المهاجري الزعيمي، له^(٩): (شرح البسط والتعريف بما جُهل من التصريف) لعبد الرحمن المكوّدي (ت ٨٠٧هـ).

٢٥١- محمد ينجح بن بدّي، له^(١٠): مسائل نحوية.

٢٥٢- محمد بن المختار^(١١). له : نَظْم مَتْن الآجُرّومية.

٢٥٣- المختار بن الدعكوري، له^(١٢) : منحة الجبّار في شرح الاحمرار.

١- مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، رقم ٣٥٥٦.

٢- لم أقف على تاريخ وفاته. غير أنّه ربّما يكون من علماء القرن الرابع عشر الهجري؛ لأنّه قام بشرح منظومة السلطان عبد الحفيظ، الذي تُوفّي سنة ١٣٥٦هـ. يراجع تاريخ النحو العربي، ص ٤٢٤، وقد تُرجم له أيضا في حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٦. وقد ورد فيها ذكر هذا الشرح.

٣- ترجمته في الأعلام، ج ٣، ص ٢٧٧.

٤- وهذا النظم مطبوع بمطبعة فاس عام ١٣٣٠هـ، كما طُبِع مع شرح محمّد الأغظف الشنقيطي عليه بمطبعة بولاق عام ١٣٢٦هـ. يراجع تاريخ النحو، ص ٤٢٤، الحاشية ٥، وص ٤٢٥، الحاشية ٢.

٥- لم أقف على تاريخ وفاته. يراجع المؤلفون الموريتانيون ومؤلفاتهم، ص ٧٢.

٦- طُبعت معه بمطبعة بولاق بالقاهرة سنة ١٣٢٥هـ في جزئين. يراجع المؤلفون الموريتانيون، ص ٧٢.

٧- المنارة والرباط، ص ٦٢٣.

٨- مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، رقم ٢٨٢٦.

٩- مخطوطات أحمد بابا بيتيمبكتو، رقم ٤٩٦٥.

١٠- توجد منها نسخة على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٨٨٧.

١١- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بيتيمبكتو، تحت رقمي ٦٢٢٤، ٨٤١٢.

١٢- مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، رقم ٢٨٥٠.

٢٥٤- المختار المحمدي بن سيدي بن هيبه^(١). له :

- شرح تحفة الأطفال بحلّ عقد لامية الأفعال، للشيخ سيدي الكبير بن المختار بن الهيبة (ت ١٢٨٤هـ).

٢٥٥- المختار بن علي الكتتي ، له^(٢) : تسهيل حفظ الحذف في النحو.

٢٥٦- موسى بن عبد الله بن جبريل^(٣). له : الشافي الكامل على الجامع الشامل.

٢٥٧- نوح بن الطاهر بن أبي بكر بن موسى الفلاني^(٤). له : شرح لامية الأفعال.

٢٥٨- هارون سيسي. له^(٥) :

أ- شرح ملحّة الإعراب.

ب - شرح نَظْم الأَحْرَومِية.

٢٥٩ - يحيى بن الشيخ محمد الحاجي^(٦). له : شرح ملحّة الإعراب.

وتجدر الإشارة إلى أنّ مركز ثقل الدراسة النحوية انتقل من المنطقة الشرقية إلى (الكِبلة) المنطقة الغربية الجنوبية، في القرن الثالث عشر الهجري، وذلك بازدهار الدراسة النحوية على يد شيخ النحاة ببلاد شنقيط بها، المختار بن بونا (ت ١٢٢٠ / ١٢٣٠هـ)، وجهود العلماء النّاهيين من طلبته وتلاميذهم. يقول الدكتور يحيى بن البراء مُحَقِّقاً في معرض حديثه عن بدايات الاعتناء بمتن ألفية ابن مالك في منطقة (الكِبلة) : « أمّا في القرن الثالث عشر فقد خبت نارها في المنطقة الشرقية، وازداد نشاطها والاهتمام بها في المنطقة الغربية، خاصّة مع ميلاد المدرسة البونية وتشعّبها... »^(٧).

١ - مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم ٥١٣.

٢ - مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم ١٨٦٠.

٣ - مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم ٣٤٥٤.

٤ - مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم ٣١٢٦.

٥ - يوجد شرح الملحّة على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٦٣٩، كما توجد نسخة من شرح نَظْم الأَحْرَومِية، على (مكرو فلم) المعهد نفسه، تحت رقم ١٦٤٣.

٦ - يوجد على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٧٩١.

٧ - الألفية وتأثيرها، ص ٤١.

المبحث الرابع : مرحلة المراجعة للتراث النحوي وتحقيقه

(في القرن الخامس عشر الهجري)

في هذه الحقبة انصبَّ عمل بعض العلماء والباحثين الشناقطة في الدراسات النحوية على مراجعة التراث وتحقيقه، ونفض الغبار عنه، وتنقيحه وإخراجه في ثوب حسن يليق به، لحفظه وتأمينه، وتسهيله على الطلبة والدارسين؛ لأنَّ أغلبه للأسف ما زال مخطوطاً، معرّضاً للضياع، والسقوط من يد الزمن. وهو توجُّه ما زال محدوداً، لصعوبة التعامل مع المخطوطات، وقلة الإمكانيات، وفقد المؤسسات المهتمة بالتراث. ومع هذه الصعوبات فقد انبرى بعض الباحثين المتمكّنين لمراجعة بعض أمّهات هذا التراث، وأهمّها حضوراً في المحاضرة الشنقيطية، مثل طُرة ابن بونا على الاحمرار والألفية، وطُرة الحسن بن زين على الاحمرار والألمية مثلاً، وشواهد هذين الكتابين، باعتبارهما أهمّ مقرّرات مادّي النحو والتصريف في المحاضر الشنقيطية، على الإطلاق.

لذلك سأتناول في هذا المبحث أربعة أعمال، أراها أحسن ما كُتب في مراجعة هذا التراث المجيد، هي :

- تحقيق الطُرة على (الجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشو والخصاصة).
- تحقيق توشيح الحسن بن زين على الاحمرار ولامية الأفعال، المعروف ب(الطُرة).
- جُمع أنظام الطُرة في الفوائد النحوية لعدد من العلماء الشناقطة.
- تسجيل التكرار بشرح الاحمرار.

أ- تحقيق الأستاذ الفاضل، الباحث الكبير، أحمد بن محمّد المامي اليعقوبي، للطُرة على (الجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشو والخصاصة). و(الجامع بين التسهيل والخلاصة) - كما سبق توضيحه - عبارة عن ألفية نظمها المختار بن بونا من التسهيل، وخلّل بها ألفية ابن مالك، مميّزاً إيّاها بالحمرة عن الخلاصة، لذلك سُمّيت ب(الاحمرار)، وسُمّيت الخلاصة ب(الاكحلال)؛ لأنّها تكتب بالحبر الأسود، ثمّ قام بوضع حاشية على الألفيتين، سمّاها (الطُرة)، فغلبت تسميتها على العملين. وسمّى المحقّق عمله (تقريب طُرة ابن بونا على ألفية ابن مالك في النحو).

وقد تحدّثتُ في مستهلّ البحث المنصرم عن قيمة هذين العاملين في المحظرة الشنقيطية، واهتمام العلماء والدارسين بهما إلى يومنا هذا، وعن استعصاء الاستفادة منهما على طلاب العلم، حتّى قيّض الله لهذا العمل الفدّ هذا الباحث العالم، فقام بإخراجه إلى النور سنة ٢٠٠٥م، مشكورا، وهو الآن متوافر في المكتبات الشنقيطية. وهو عمل صعب، يحتاج إنجازه إلى فريق من الباحثين المتخصّصين، المتمرّسين، لصعوبة التعامل مع المخطوطات، المكتوبة بنظام الطرر، المتمثّل في الحواشي المقتضبة في الغالب، المربوطة بالمتن عن طريق الرموز والأرقام والمنحنيات، ممّا يفتح الباب واسعا أثناء الإخراج للوقوع في الأخطاء والأوهام.

وقد عمل المحقّق على إخراج عمله في أحسن ثوب، فاهتمّ بإخراج الشواهد من الآيات والأحاديث والآثار، والأرجاز والشعر، والتعليق على الشواهد الشعرية على غزارتها تعليقا مناسبا، من حيث الحديث عن القائل والمناسبة، والبحر واللّغة، وذَكَر محلّ الشاهد، مع الاقتصار على محلّ الاستدلال به، الذي أورد ابن بونا الشاهد من أجله، ولو كان غيره استشهد به لغير ذلك. كما اعتنى بالتعريف بالأعلام والقبائل والمجموعات. وقد وضع فهرس شاملة لهذه الموضوعات كلّها.

كما أثار كثيرا من المسائل النحوية، إمّا بالحديث عن الجوانب الخلافية، التي طواها ابن بونا، فلم يذكرها، وإمّا بياضاح معنى رآه غامضا، أو بإعراب يؤدّي إلى معنى زائد، أو بذكر نوادر، أو وجوه نحوية، مع الميل إلى ما يراه ابن بونا من وجوه الخلاف. ومن ميزات هذا التحقيق حسب رأيي، اقتصار المحقّق على الضروري من الأمور أثناء تعليقاته في الحواشي على بعض ما يرد في المتن، دون إثقال هذه الحواشي بكثرة التحليلات والمناقشات. وعليه تمّ إخراج الطرّة إخراجا حسنا، يليق بمكانتها العلمية، ويروي ضمّا الدارسين والعلماء، حسب ما أراد المؤلّف.

وفيما يلي أورد نماذج من تعليقاته على الشواهد الشعرية، لأدّل بها على ما ذكر :

١ - «مطلع قصيدة من الوافر، لعنّرة بن شدّاد العبسي، في هجاء عمارة بن زياد - أشعار الشعراء السّنة ٤٨٥. وهو والشاهد رقم ١٧٧٨، من قصيدة واحدة. المذروان : طرفا الأليتين، يقال : جاء ينفّض مذكرويه، أي باغيا، مهذّدا. الشاهد فيه فصل اسم الإشارة عن هاء التنبيه بضمير الرفع المنفصل في (ها أناذا).

٢- لعبد الله بن الزعبري، من قصيدة من الرمل، قالها يوم أُخذ قبل إسلامه. شرح الشواهد للسيوطي ٣٢٣. المغني ٣٦٦. ابن عقيل ٢٢٣. المساعد ١٩٢. المدى : الغاية والمنتهى. القَبْل، بفتحتين : الطريق الواضح. الشاهد في (ذلك) حيث ورد للمثنى، وهي في الأصل للمفرد، وذلك قليل.

٣- لامرئ القيس بن حجر، من قصيدة من الطويل، يذكر فيها سفره إلى بلاد الروم، مطلعها: سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوْ فَعَزَّعَرَا.
أشعار الشعراء الستة ٦٢. المكرعات : النخلات، المغروسات على الماء. الصفا والمشرق: قطران بناحية اليمامة. الشاهد فيه (اللائي) حيث وردت بالياء في جمع التي^(١).
ومع هذا الجهد الكبير الذي بذله المحقق في سبيل إنجاح مشروعه، وإخراجه في أحسن ثوب (وقد وُفق في ذلك إلى حد كبير) فَإِنَّ الطَّرَةَ ما تزال بحاجة ماسة إلى دراسة علمية كبيرة، تأخذ في الحسبان اختلاف النُّسخ، وما بينها من تعليقات وفروق وإيضاحات، ودراسة هذه الفروق، مع التركيز على الدواعي التي أدت إليها، والظروف التي قيلت فيها، مع أَنَّ المحقق مشكوراً كان له جهد طيب في الموضوع.

ب - تحقيق الأستاذ عبد الحميد بن محمد الأنصاري الشنقيطي، لتوشيح لامية الأفعال لابن مالك، المعروف، ب(الطَّرَة) للحسن بن زين (ت ١٣١٥هـ). وللحسن بن زين على لامية الأفعال (حسب ما سلف توضيحه) عملان اثنان، هما :

١- الاحمرار : وهو عبارة عن نظم جمعه من كتب التصريف ومعاجم اللّغة، خلّل به اللّامية، مُستدرِكاً به على عمل ابن مالك فيها، مميّزاً بالحمرة عن أبيات متن اللّامية، متممّاً به ما أهمله مؤلّفها، وقد بلغت أبياته (واحداً وسبعين ٧١ بيتاً) على نسق اللّامية، بحراً وروياً^(٢).

٢- الطَّرَة : وهي عبارة عن حاشية موجزة، مركّزة، يرمي منها ابن زين إلى توضيح غوامض (لامية الأفعال، واحمراره) هو عليها، وما استغلق منها. وهو نمط من الشروح شائع في المحظرة الشنقيطية، حسب ما سبق تبيان^(٣).

١- تقريب طَّرَة ابن بونا على ألفية ابن مالك، ج ١، ص ٩١، ٩٣، ١٠٢.

٢- تحقيق الأستاذ عبد الحميد الأنصاري لطَّرَة الحسن ولد زين، مصدر سابق، ج ١، ص ١١٠، فما بعدها.

٣- المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢١.

وطرّة ابن زين أهمّ مقرّرات مادّة التصريف في المحظرة الشنقيطية، والمقرّر الأول، إن لم تكن المقرّر الوحيد. كما هو الحال مع طرّة المختار بن بونا على ألفية ابن مالك، والاحمرار، في النحو. ولصعوبة فهم الطرّة على الدارسين قام العلامة محمد سالم بن عدّود (ت ١٤٣٠هـ) بعمل عليها، سمّاها (خياطة وترشيحا)، وهو عبارة عن حلّ ألغاز التوشيح (الطرّة)، وإيصال «الألفاظ بالمعاني، والمعاني بالألفاظ»^(١).

ثمّ قام المحقّق الكبير عبد الحميد الأنصاري الشنقيطي بتحقيق هذه الطرّة تحقيقاً ممتازاً (سنة ٢٠٠٨م)، قلّ نظيره حقيقة، سمّاها (قرّة العين على توشيح ولد زين)، وهو متوافر الآن في المكتبات الشنقيطية. وقد أشاد المحقّق بما بذله من الجهد في هذا العمل، وحقّق له ذلك، إذ قال: «لقد قمت بعمل لم أسبق إليه في هذا الكتاب، وذلك لأهميته كمقرّر محظري أساسي ووحيد في البلد، ثمّ لشدّة وعورة فهمه، ونبوّ ألفاظه، ودقّة معانيه. فاشتغلت به مدّة غير قصيرة من العمل الجادّ، الذي لم يعرف التعطّل، ولا الكلال؛ لأقدمه زُبدة صافية لطلبة المحاضر، الذين أعمّتهم المخطوطات المتشابكة»^(٢).

ومن أبرز جهوده في هذا العمل الفدّ، أنّه ركّز على تبويب كلّ محتويات الكتاب، وتقسيمها إلى فصول محدّدة، وتوضيح مقاصد الشرح، وتخريج الآيات والأحاديث والآثار، وشرح الشواهد الشعرية شرحاً مفصّلاً، من حيث ضبطها في الحواشي، وذكر القائل، والمناسبة ما أمكن، والبحر، وتبيين محلّ الاستدلال، كما عمل على إضافة حواش لغوية ضافية، الغرض منها إثراء مادّة اللّغوية بضبطها، أو الاستدلال لها، والترجمة للأعلام والقبائل والمجموعات، الواردة في الكتاب، ووضع فهرس شاملة لهذه الموضوعات كلّها.

وإضافة الحواشي الموجودة في طرّة محظرة (تنجماجك)، و(بلغربان)، وترصيع الحواشي أحياناً بالعديد من الأنظام، «تقيّد وزناً، أو تضبط معنى»، والإتيان في نهاية الكتاب بجداول توضّح المادّة، وتسهّلها على الطّلاب، وتذييل الكتاب بما لم يرد فيه من مخزون التراث الصرفي، كما قام بتذييله بملحق يتضمّن أمثلة بحرق في شرحه على لامية الأفعال، المسمّى (فتح الأقفال، المشهور بالشرح الكبير)؛ لإفادة الدارسين^(٣).

١- المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٠.

٢- المصدر نفسه، ص ١٢٧.

٣- المصدر نفسه، ص ١٢٨، ١٢٩.

وعليه أرى أنّ هذا التحقيق متميّز، جدير بالتقدير، بحواشيه الضافية، وتعاليقه الغنية الممتعة، ممّا جعل الكتاب كتابَ تصريف ولغة وأدب، أكثر المحقّق في حواشيه من الاستقصاء والتتبّع والمناقشة والتحليل. وعليه فقد أبدع هذا المحقّق الكبير، بإتحافه المحظرة الشنقيطية بهذا العمل الممتاز، الذي أثبت فيه أنّه عالم بَحَاثَة، متمكّن من أدوات التحقيق الفنّية، البحثية.

ج - جمع أنظام الطُرّة في الفوائد النحوية لعدد من العلماء الشناقطة : هذا عنوان عمَلٍ مُهمٍّ، قام به باحث كبير، متمكّن، هو الأستاذ محمّد محفوظ بن أحمد. فقد ذكرتُ في المبحث الذي قبل هذا أنّ ظاهرة الأنظام النحوية، التي سيأتي الحديث عنها بتوسّع في الفصل الموالي ازدهرت ازدهارا كبيرا، لا مثيل له على أيدي العلماء النابهين من طلاب المختار بن بونا (١٢٢٠/ ١٢٣٠هـ)، وتلاميذهم، إذ تتبّعوا مسائل أبيات احمرار ابن بونا، وألفية ابن مالك، فرصّعوها بكمّ غزير من الأنظام، إمّا تفسيراً وتوضيحاً، وإمّا استدراكاً وتتميماً، فشكّلت إضافاتٍ وفوائد جَمَّة، وملحقاتٍ وحواشيَ ضافية ممتعة.

والطُرّة هنا كما سلف ذكره هي الحواشي الشارحة لألفية ابن مالك والاحمرار عليها. وقد أشار الباحث إلى الحاجة الماسّة إلى هذا العمل، وصنّيعه فيه، فقال : «ولمّا كان التركيز منصبّاً على نصّيّ نظم ابن مالك، وتذييل ابن بونا، وكلّ ما يوضّح معانيهما ويُعمّق فهمهما، فقد حذفنا بضعة أنظام قليلة تتعلّق بمسائل أجنبية، مرتبطة فقط ببعض حواشي (الطُرّة)، وفي مقابل ذلك أثبتنا بعض أنظام الطُرّة القليلة المقتطفة من كتب أخرى قديمة، نظراً لأهمّيّتها في توضيح المعنى أو زيادة الفائدة»^(١).

ثمّ قام محمّد محفوظ مشكوراً بجمع هذه المادّة الضخمة من الأنظام، وحضّر ما أمكنه تتبّعه منها، واستقصاؤه، وترتيبها ترتيباً رائعاً مع الألفية والاحمرار، جاعلاً إيّاهما في المتن، مميّزاً بينهما بلون الخطّ، وشكله، واضعاً الأنظام في الحاشية تحت الخطّ، مستخدماً الأرقام في الإحالات. واستطاع الباحث أن يجمع من هذه الأنظام ما غطّى به أبيات الألفية والاحمرار من بدايتها حتّى النهاية، فبذلك أفاد وأجاد، إذ أتى بعمل جليل لم يسبق إليه، كما قال :

١ - أنظام الطُرّة في الفوائد النحوية لعدد من العلماء الموريتانية، ص ٣.

«ونظرا للطابع التعليمي لعملنا هذا فقد حرصنا على جمع وتصحيح التعليقات المنظومة التي أدرجها الموريتانيون في الطُّرَّة، مع نصِّ نظم ابن مالك، ونصِّ توشيح ابن بونا، وذلك لاستكمال المادَّة النظامية، التي هي أساس المنهج التربوي التعليمي في المحظرة، وهو أمر نحسب أنَّه مضاعف الأهمية، إذ لم نقف على أيِّ مجهود بُذل فيه من قبل، ونأمل بالتالي أن يقود إلى جمع وتحقيق.. هذه الأنظام، وإعطائها قيمتها العلمية والتعليمية الكبيرة... فقد بذلت الوسع في سبيل جمع تلك الأنظام.. الموزونة من النُّسخ المختلفة التي حصلت عليها، وفي البحث عن تحقيق أسماء أصحابها، ثم التعريف بهم ما أمكن ذلك»^(١).

وتحدَّث الباحث عن دواعي عمله هذا، والحاجة الملحة إليه، فقال : «وإذا كانت (الطُّرَّة) قد أمنت من الضياع بسبب كثرة نُسخها، وانتشارها، وفوزها أخيراً ببعض أيادي المحقِّقين، فإنَّها ما تزال بحاجة إلى جهود علمية ودراسات توثيقية، ليس بسبب اختلاف النسخ والتباين الكبير في حجم ونوع التعليقات عليها، والإضافات الملحق بها فحسب، ولكن أيضاً بسبب الظروف التي اكتنفت إنتاج تلك التعليقات والإضافات، وظروف إدراجها في الكتاب، التي تختلف من نسخة إلى أخرى»^(٢).

وفيما يلي أورد نموذجاً لإيضاح ما ذُكر. قال ابن مالك في نهاية المعرب والمبني، وابن بونا في احمراره الممزوج بالخلاصة في الموضع نفسه، مع صنيع الباحث في الأنظام النحوية بالحاشية^(٣) :

مِنْ نون توكيدٍ مُباشرٍ (١) ومن	نونٌ إناثٍ (٢) كَيَرُغْنَ مِنْ فُتْنٍ
وكلُّ حرفٍ مستحقٌّ للبنا	والأصلُّ في المبني أن يُسَكَّنَا
ومنه ذو فُتْحٍ وذو كَسْرٍ وضمٍّ	كأَيِّنَ أَمْسٍ حَيْثُ والساكِنُ كَمْ.
حرَّكَ مِنْ أَجْلِ وَحْدَةٍ والساكِنِ	والشَّيْبَةِ الْمَبْنِيِّ وَالتَّمَكُّنِ
وافْتَحَ لِحَقْفَةٍ وَلِلأَصْلِ كَذَا	فَرَّقُ وَإِتْبَاعُ فَرَاغِ الْمَاخِ ذَا
واكْسَرَ لِذِي الثَّلَاثِ وَاضْمَمَ وَاكْسَرَ	لِلْحَمْلِ وَالسَّاكِنِ مِنْ حَيْثُ يُرَى

١ - المصدر نفسه، ص ٣، ٢٧٥، فما بعدها.

٢ - المصدر نفسه، ص ٢.

٣ - المصدر نفسه، ص ١٩، ٢٠.

تَنَاسَبٌ وَاضْمٌ لِحُلْفِ الْمُغْرَبِ وَكَوْنُهُ كَالْوَاوِ فَاغْلَمْ تُصَبِّ (٣).
١ - أَبَاهُ بْنُ أَبَوِهِ (مَا يَزَالُ حَيًّا) :

مَا اتَّصَلَتْ فِي اللَّفْظِ وَالتَّقْدِيرِ نُونٌ لَتَبْلَوْنَ يَا سَمِيرِي
وَلَا يَصُدُّكَ فِي التَّقْدِيرِ مَا اتَّصَلَتْ بِهِ بِلا نَكِيرٍ.
٢ - وَلِبَعْضِهِمْ :

نُونُ الْإِنَاثِ مَا بَهَا قَدْ اتَّصَلَ
وَمَعَهُ نَجْلٌ دَرَسَتْ وَوَيْهِ
فَنَجْلٌ طُلُوحَةُ بِنَاءُهُ خَظْلٌ
كَذَا الشَّهْلِي هَكَذَا لَدَيْهِ.
- أَحْمَدُ بْنُ كَدَّاهُ (ت ١٣٣٧ هـ) :

لَمْ تُكْسَرْ الْكَافُ وَلَا وَائِ الْقَسَمُ
فَالْكَافُ عِنْدَ الْعَرَبِ تُظْهَرُ سُمًا
إِذْ لَيْسَ جَرْزٌ بِهِمَا بِمُلْتَزَمٍ
وَالْوَاوُ لِلْعُطْفِ وَغَيْرِهِ انْتَمَى.
٣ - أَبَاهُ بْنُ مُحِيطِيَّةِ بْنِ عَبْدِ الْوَدُودِ (ت ١٣٥٨ هـ) :

إِبْدَاءُ مَا نَاسَبَ لَا الْإِثْبَاتُ لِثَابِتِ الْأَحْكَامِ تَوْجِيهَاتُ.
فعلى هذا النسق الواضح المفيد يسير الأستاذ الباحث محمد محفوظ من بداية الألفية والاحمرار حتى نهايتها، مُعْطِيًا بهذه التعليقات والاستدراكات النظمية أبياتها. فرشح بذلك من جديد خلاصة ابن مالك، واحمرار ابن بونا عليها، وقدمها في ثوب جديد حسن، مفيد للدارسين والعلماء. فهو لم يسبق إلى هذا التطريز الرائع، والترصيع الفريد من نوعه في المحظرة الشنقيطية، كما قال.

د- تسجيل التكرار بشرح احمرار^(١) الشيخ المختار بن بونا الجكني الشنقيطي (ت ١٢٢٠ أو ١٢٣٠ هـ). للعلامة محمد فال (ابن) بن عبد الله العلوي الشنقيطي، شيخ محظرة النباغية المشهورة (ما يزال حيًا). يقول في مقدمته : «وكنت كتبت هذا التعليق في حال استعجال واشتغال بال، ثم أعدت النظر فيه»^(٢).

١ - مطبوع في ثلاثة أجزاء.

٢ - تسجيل التكرار، ج ١، ص ١.

وكتاب (تسجيل التكرار) موزّع على كثير من الأبواب والفصول، مرتبةً حسب ترتيب ألفية ابن مالك، واحمرار ابن بونا، وهو شرح متوسط الحجم، خالٍ من الحشو، مُزَوَّرٌ عن الإطالة والإطناب المملّين، دقيق التعبير، سلس الأسلوب، أكثر فيه المؤلف من المناقشة والتحليل، واستعراض آراء العلماء ومذاهبهم النحوية، قديماً وحديثاً في المشرق والمغرب، واعتنى فيه بتوضيح الإشكالات والمستغلات، وتقييد الإطلاقات، وتخصيص العموميات، فهو لذلك شَرْحٌ ذو قيمة كبيرة لدى الدارسين والباحثين، «يروم شرح احمرار ابن بونا، متتبعاً أبياته.. بشيء من الدقة والتفصيل، يرمي من ورائه إلى تقييد المطلق، وتوضيح الغامض، ورصد المقيس المسموع، والتنبيه على المطرد المستعمل، غير مُهمِّل الإشارة إلى النادر من اللغات والشاذ من الاستعمالات»^(١).

وفيما يلي أورد بعض النماذج للوقوف على منهجية مؤلفه :

المراجعة والتمحيص : نجده يعتني كثيراً بمراجعة آراء شيخ النحاة ببلاد شنقيط المختار بن بونا في الاحمرار والطُرة وتمحيصهما، مُصَوِّباً، مُرَجِّحاً. من ذلك مثلاً :

- تعليقه على قوله في الاحمرار، مُمَحِّصاً، مُحَقِّقاً^(٢) :

لَا بُدَّ أَنْ يُشَارَكَ الْمَفْضُولُ فِي فَضْلِهِ الْفَاضِلُ لَذَا الْمَنْقُولُ :

« وفي بعض النسخ (وعليها قرأنا على بعض الشيوخ) رواية بيت الناظم هكذا :

لَا بُدَّ أَنْ يُشَارَكَ الْمَفْضُولُ فِي فَضْلِهِ الْفَاضِلُ عِ الْمَقُولِ .

.. ولا يخفى أن ما في النسخة الأولى أولى^(٣). إذ « لأن المعهود والأليق أن يكون المفضول هو الذي يُشارك الفاضل؛ لأنه أولى منه بالفضل، لا العكس كما في النسخة الثانية»^(٤).

- وكتعليقه على قول ابن بونا في الاحمرار^(٥)

١ - محمد بن محمد يحيى بن الدّوه، الإسهام الشنقيطي في درس أصول النّحو، بحث مقدّم لنيل شهادة الماستر في الآداب، من جامعة شنقيط العصرية، سنة ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ م. ص ٩٧، ٩٨.

٢ - البيت الثاني من الاحمرار، الوارد بعد البيت الثالث من باب (أفعل التفضيل)، في الخلاصة.

٣ - تسجيل التكرار، ج ٢، ص ٣٦٣.

٤ - الإسهام الشنقيطي في درس أصول النحو، ص ٩٨.

٥ - البيت الرابع من الاحمرار، الوارد بعد البيت الرابع من باب النعت في الخلاصة. يراجع تقريب الطُرة، ج ٢، ص ٤٧٨.

وَإِنْ يَكُ الْمُتَكَّرُ الْمُضَافُ لَهُ مِنْ الْجَوَامِــــدِ فَطَبَقًا أَجْعَلْهُ :

« وفي بعض النسخ رويانا عن بعض الشيوخ البيت هكذا »^(١) :

مُنْكَرٌ لَهُ أَضِيفَ طَابَقَا مَوْضُوفُهُ وَأَفْرَدُوهُ مُشْتَقَا .

- الشارح حادّ الذهن، كثير الاستيعاب، والإحاطة بالتراث النحوي الشنقيطي .
من ذلك مثلاً تعليقه على قول ابن بونا في الاحمرار^(٢) :

كَثُرَ بِرُبِّ وَبَهَا يُقَلَّلُ وَحَيْرَ مَا كَرُبَّ مَا تُشْتَعْمَلُ :

« وفي نسخة بدل البيت »^(٣) :

كَثُرَ بِرُبِّ قَلَّلَنْ قَلِيلًا كَرَبَّ مَنْ أَتَى هَذَا ثَقِيلًا .

- قد يستدرك على بعض أبيات احمرار ابن بونا، مُشيراً إلى أنّ ما في الطُّرّة الشارحة لها فيه ما يكفي عن ذكرها . من ذلك مثلاً تعليقه على قول ابن بونا في الاحمرار^(٤) :

وَزِدْ فِي الْأَخْبَارِ عَلَى الْمَاهِيَةِ إِنَّ وَجَدْتَ فِي الْمُبْتَدَأِ جَلِيَّةً :

« هذا البيت ساقط من بعض النسخ، ومؤخّر عن المسوّغات في بعضها، ويُعني عنه تمثيله في الطُّرّة، لتام الفائدة بمتعلّق الخبر بالآية : (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ .. ٤٩ ، النمل) .
يعني أنّه إذا فُهِمَت ما هية المبتدأ حال كونها جلية فيه لم يصحّ الإخبار عنه بها، إلّا مع زيادة متعلّق تتمّ به الفائدة، كالصفة في الآية المذكورة آنفاً »^(٥) .

استدراك وتصحيح :

- قد يستدرك على ابن بونا، مصحّحاً، مستعينا بأقوال العلماء وأرائهم . من ذلك مثلاً أنّ ابن بونا عند قوله في الموصول الحرفي^(٦) :

وَذَلِكَ أَنَّ الْوَصْلَ فِعْلٌ صُرِّفَا وَكَيْ بِمَا ضَارَعَ لِإِلَامٍ قَفَا .

١- تسجيل التكرار، ج ٢، ص ٣٦٥ .

٢- البيت الثاني من الاحمرار، الوارد بعد البيت رقم ١٧، من باب حروف الجرّ، في الخلاصة . يراجع تقريب الطُّرّة، ج ١، ص ٣٨٤ .

٣- تسجيل التكرار، ج ٢، ص ٢٢٩ .

٤- ورد هذا البيت بعد قول ابن مالك في باب المبتدأ والخبر، في الخلاصة : (والخبرُ الجزءُ المُتِمُّ الفائدةَ كَاللهُ بَرٌّ وَالْأَيَادِي شَاهِدَةٌ) .

٥- تسجيل التكرار، ج ١، ص ١٢٣ .

٦- البيت الثاني من الموصول الحرفي، في الاحمرار .

قال في الطُّرَّة، متحدِّثاً عن صلة الموصول الحرفيَّ: «ماضيا كان، أو مضارعاً اتِّفاقاً»^(١). فعلق الشارح على هذا الاتِّفاق الوارد في الطُّرَّة قائلاً: «وقوله في الطُّرَّة (ماضيا كان، أو مضارعاً اتِّفاقاً)، أمّا بالمضارع فمُجمَع عليه، وأمّا حكاية الاتِّفاق بالماضي ففيها نظر؛ لأنَّ ابن طاهر^(٢) مخالف فيها، مدَّعي أنَّ الموصولة بالماضي ليست الموصولة بالمضارع؛ لأنَّ (أنَّ) الناصبة تُخلِّص المضارع للاستقبال فلا تدخل على غيره، كالسين وسوف، ولأنَّها لو كانت الناصبة لحكم على موضعه بالنصب كما حكم على موضع الماضي بالجزم بعد (إنَّ) الشرطية»^(٣).

- قال ابن بونا في (باب أفعال المقاربة) في كَوْن الفعلِ الواقعِ خبراً يرفع ضميرَ الاسم، ونُدُورِ رَفْعِهِ السببيِّ، أي الاسم الظاهر المتصل به الضمير الذي يعود إلى الاسم^(٤):

وارْفَعْ ضميرَ الاسمِ حتماً بالخبرِ ورفْعُهُ ذا سببيَّةٍ نَدَرَ.
وقال في الطُّرَّة: «ورفعه ذا سببيَّةٍ نَدَرَ في عسى، مؤوَّل في غيرها»^(٥).

فرأى الشارح أنَّ التَّدور في (عسى)، وعدم السماع في غيرها، فقال مستدرَكاً: «قلتُ: ففي قول الطُّرَّة (ندر في عسى خاصَّةً) نظر، فظاهرها التَّدور في عسى، وعدم السماع في غيرها، وليس كذلك كما علمت...»^(٦).

- قد يذكر ابن بونا الإجماع في مسألة ما، فيتعبَّبه الشارح، مبيناً أنَّه ليس بإجماع. قال ابن بونا في باب الظرف^(٧):

ولم يُصَفْ شهرٌ لَدَى الجميعِ إلَّا لِذِي القُرآنِ والرَّبيعِ.
فعلق الشارح قائلاً: «وكون لفظ (شهر) لا يضاف إلَّا لأحد هذه الثلاثة صرَّح به

١- تقريب الطُّرَّة، ج ١، ص ٩٣.

٢- أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي الأثري، ت ٥٠٧هـ.

٣- تسجيل التكرار، ج ١، ص ٨٩.

٤- أوَّل بيت من الاحمرار، في باب أفعال المقاربة.

٥- تقريب الطُّرَّة، ج ١، ص ٢٠٠.

٦- تسجيل التكرار، ج ١، ص ١٧٦.

٧- البيت ما قبل الأخير من الاحمرار، في باب الظرف، الوارد قبل البيت الأخير من باب الظرف، في الخلاصة.

ابن عصفور^(١)، وهو المشهور بين الناس، كما في شرح ناظر الجيش^(٢)، لكن مقتضى كلام المصنّف (ابن مالك) جواز إضافة (شهر) إلى جميع الشهور، وهو قول أكثر النحويّين^(٣). وللأمانة ينبغي التنبيه إلى أنّ ابن بونا رحمه الله أشار في الطُّرّة إلى عدم الإجماع في المسألة، إذ قال: «إلاّ لذي القرآن رمضان، والربيع الأوّل، أو الثاني ورجب، قيل وذي القعد، وقيل في الجميع»^(٤).

- قد يستدرك الشارح على ابن بونا توجيهها نحويا، لا يرى تعليله وجيها، ثمّ يذكر ما يراه صوابا. قال ابن بونا في الفصل بالضمير^(٥):
وافصل إذا أو ليت منصوبا باللام مَقْرُونًا به وجوبا.

وقال في الطُّرّة شارحا: «نحو إن كان زيد هو القائم، إذ لا يمكن جعله مبتدأ لنُصِبَ ما بعده، ولا بدّ لدخول اللام عليه»^(٦). فعلق الشارح قائلا: «لكنّه يتوقّف على جواز إبدال المضمر من الظاهر، وسيأتي قوله: (لم يُبدَلِ المُضْمَرُ مِمَّا أُضْمِرَا ولا مِنَ الظَّاهِرِ)^(٧)»، فالصواب في تعليل تعيّن الفصلية في المثال أن يُقال: لا امتناع الابتدائية لنصب ما بعده، والتوكيد؛ لأنّ الضمير لا يُؤكّد الظاهر.. والصواب في المثال: إن كنت لأنت القائم»^(٨).

- وقال ابن بونا في الفصل بالضمير أيضا^(٩):
أو تالِيًا لِمُظْهِرٍ قَدْ نُصِبَا وَبِإِتِّدَاعٍ عَنْ بَعْضِهِمْ قَدْ أُعْرِبَا.
وأضاف في الطُّرّة: «كظننت زيدا هو القائم؛ لا امتناع الابتدائية والبدلية؛ لنصب ما

١- أبو الحسن الإشبيلي، ت ٦٦٩هـ.

٢- محبّ الدين محمد بن يوسف ناظر الجيش، ت ٧٧٨هـ. / صاحب شرح التسهيل، المسمّى: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد.

٣- تسجيل التكرار، ج ٢، ص ١٠٥.

٤- تقريب طرّة ابن بونا، ج ١، ص ٣١٧.

٥- البيت السادس من فضل ضمير الفضل، من الاحرار. في باب النكرة والمعرفة، من ألفية ابن مالك.

٦- تقريب الطرّة، ج ١، ص ٧٨.

٧- البيت الأوّل من الاحرار بباب البدل. يراجع تسجيل التكرار، ج ٢، ص ٤٤٤.

٨- تسجيل التكرار، ج ١، ص ٦٨.

٩- البيت السابع من فضل ضمير الفضل، من الاحرار. في باب النكرة والمعرفة، من ألفية ابن مالك.

قبله وما بعده»^(١). فعلق الشارح مستدركا : «لم تظهر فائدة اشتراط النصب.. لأنه لا يجوز إبداله من الظاهر ولا توكيده، نُصِبَ أم لا.. وأما إن تلا مضمرا فلا تتعين فصليته لجواز تأكيده به»^(٢).

- يهتم كثيرا بفك رموز كلام ابن بونا، وتفسير ما استغلق منه. قال ابن بونا في باب العدد^(٣) :

ولا يُضَاف ما كَانَنِي عَشْرًا وَكُلُّ ما أُضِيفَ لَن يُفَسَّرَا.
وأضاف في الطُّرَّة : «وكل ما أُضيف من غيرهما إلى مستحق العدد لن يُفسَّر بالتمييز لِتعيينهما»^(٤). فعلق الشارح قائلا : «وقول الناظم (وكل ما أُضيف لن يُفسَّر)، يعني أنَّ كل ما أُضيف من العدد إلى مستحقَّ المعداد لن يُفسَّر بالتمييز لاستغنائه عنه؛ لأنَّك إذا قلت : عِشْرُوكَ، فقد خاطبت من يعرف العشرين المنسوبة إليه، ولا تقول : عِشْرُو زيد، إلَّا لمن يعرف زيدا وعشريه، كما أنَّك لا تقول : غلام زيد، إلَّا لمن يعرف الغلام وزيدا.. يعني أنَّ الإضافة على معنى العهد... أقول : وقد يُجاب بأنَّ كَوْن الإضافة للعهد.. يقتضي العهد في جنس المعداد، فظهر وجه الاستغناء بالإضافة حيثُذ عن ذكر التمييز»^(٥).

- والشارح يتمتّع بأمانة عالية، ليست باليسيرة، إذ يُسند الأقوال والآراء إلى أصحابها، مُصَرِّحًا بالمؤلفين ومؤلفاتهم، وهو ما يندر عند كثير من المؤلِّفين، مستقصيا أقوال العلماء ومذاهبهم، مُوازنا بينها، مع كثير من التمحيص والدقَّة والصرامة والفحص، كما أثرى شواهد جامع المختار بن بونا الغزيرة جدًّا بكثير من الشواهد الشعرية المُستلَّة من كتب التراث. كما جعل هذا الكتاب دُرَّة ثمينة يحتاجها الباحثون والدارسون بإلحاح، إذ هو مراجعة شاملة، دقيقة للتراث النحوي ببلاد شنقيط خصوصا، وببلاد المشرق والمغرب عموما.

١ - تقريب الطُّرَّة، ج ١، ص ٧٨.

٢ - تسجيل التكرار، ج ١، ص ٦٩.

٣ - البيت رقم ١٣، من الاحرار، الوارد بعد قول ابن مالك في الخلاصة في باب العدد : (وبابه الفاعل من لفظ العدد بحالتيه قبل واو يُعْتَمَدُ).

٤ - تقريب الطُّرَّة، ج ٢، ص ٦٧٣.

٥ - تسجيل التكرار، ج ٣، ص ١٦٣.

- والنص التالي يعبر تعبيراً صادقاً عن ما ذكرت. قال المختار بن بونا في باب عطف النسق^(١) :

بِالزَّيْدِ الْأَخْفَشِ الْكَبِيرِ يَحْكُمُ لِلْفَاءِ وَالْوَاوِ وَذَٰكَ أَسْلَمُ.
فعلق الشارح قائلاً :

يعني أنَّ الأخفش الكبير يحكم على الفاء والواو بالزيادة، كقول الشاعر^(٢) :
وَقَائِلَةٌ خَوْلَانٌ فَانْكُحْ فَتَاتَهُمْ وَأُكْرِمُوهُ الْحَيَّيْنِ خَلَوْ كَمَا هِيَا.
وكقوله تعالى : [فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ] {٤٠، البقرة}. والزائدة هي الداخلة على الفعل؛ لأنَّ (إِيَّايَ) منصوب على الاشتغال، وهي (أي الفاء) لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، وما لا يعمل لا يُفسَّر عاملاً في باب الاشتغال. وقوله^(٣) :

أَرَوَاحٌ مُودَّعٌ أَمْ بِكُـوَرٍ أَنْتَ فـانظُرْ لِأَيِّ ذَاكَ تَصِيرُ.
وقيد الأعلَمُ والفرء وجماعة جواز الزيادة في خبر المبتدأ بكونه أمراً كما في البيتين، أو نهياً، نحو (زيداً فلا تضربه)، وقال ابن برهان : تزداد عند أصحابنا جميعاً، يعني البصريين، كقوله^(٤) :

لَا تَجْزَعِي إِنْ مُنِفِسٌ أَهْلَكَ كُتُّهُ وَإِذَا هَلَكْتُ فَعِنْدَ ذَٰكَ فَاجْزَعِي.
والمقول عن سيبويه : أنَّه لا تثبت زيادة الفاء أصلاً، أمَّا زيادة الواو فكقوله^(٥) :
وَلَقَدْ رَمَقْتُكَ فِي الْمَجَالِسِ كُلِّهَا فـإذا وَأَنْتَ تُعِينُ مَنْ يَغِينِي.
وقول الآخر^(٦) :

فَمَا بَالُ مَنْ أَسْعَى لِأَجْبَرَ كَشْرُهُ حِفَظاً وَيَنُوي مِنْ سَفَاهَتِهِ كَشْرِي.
قال الدماميني : ويمكن أن تكون الواو في هذه عاطفة، والمعطوف عليه مقدر، حذف

١- البيت الرابع من الاحرار، الوارد بعد بيت ابن مالك في باب عطف النسق، في الخلاصة : (والفاء للترتيب باتصال وثم للترتيب بانفصال). يراجع تقريب الطرّة، ج ٢، ص ٥١٣.

٢- من الطويل، من شواهد سيبويه الخمسين، المجهولة القائل. يراجع مغني اللبيب، ص ١٧٢. رقم ٢٩٧.

٣- من الخفيف، لعدي بن زيد العبادي. يراجع مغني اللبيب، ص ١٧٢. رقم ٢٩٨.

٤- من الكامل، للنمر بن تولب. يراجع المغني، ص ١٧٢، رقم ٢٩٩.

٥- من الكامل، لم أقف على قائله. يراجع مغني اللبيب، ص ٣٥١، رقم ٦٧٦.

٦- من الطويل، لابن الذّبة ربعة بن عبد ياليل، وقيل لوعلة بن الحارث. يراجع مغني اللبيب، ص ٣٥١، رقم ٦٧٥.

للدلالة عليه، أي (فما بال من أسعى لجبره مراقبةً لحاله يهمل أمري وينوي، إلخ)، وحمل على الزيادة الواو في قوله تعالى: [حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا] {٧٣، الزمر}، بدليل الآية الأخرى، وقيل عاطفة، والزائدة الواو في: [وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا] {٧٣، الزمر}، وقيل هما عاطفتان، والجواب محذوف، أي كان كَيْتَ وَكَيْتَ، وقيل الواو حالية، والمعنى: جاؤوها حال فتح أبوابها إكراماً عن أن يقفوا حتى تفتح، وكذا البحث في قوله تعالى: [فَلَمَّا أَسْلَمَ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ] {١٠٤، ١٠٣، الصافات}، فأحدى الواوين زائدة، وقيل للحال، وقيل عاطفتان، والجواب محذوف... إلخ^(١).

فهذا التحليل الشامل والمناقشة المستفيضة، والتبصّر والاستقصاء، والتمحيص لأقوال العلماء ومذاهبهم، من سمات هذا الكتاب القيم، وهو ما دعاني لنقل هذا النص على طوله — وما نقلته جزء فقط من نص طويل في المسألة — لأدلل به على ما ذكرت مما يتمتع به من الجودة والحسن في موضوع مراجعة التراث النحوي وتمحيصه ببلاد شنيط في هذه الحقبة.

الفصل الثاني: المباحث والقضايا

يناقش هذا الموضوع مجموعة من الظواهر النحوية، التي شاعت في المحظرة الشنقيطية على نطاق واسع، حتى أصبح بعضها سمة من سماتها البارزة، الخالصة لها، وهي: ظواهر الأنظام، والطَّرَر، والملخصات، والألغاز، والأحاجي، والمناظرات، والطرف، والاستدراكات، ووضع القواعد النحوية الشاملة للمسائل والجزئيات، والأصول الاستدلالية التي يُحتج بها ويُستدل على إثبات الأحكام الجزئية، والمسائل الفرعية، كما يناقش مصادر النحو العربي بالبلاد. وفيما يلي توضيح ذلك.

أولاً - المباحث

المبحث الأول: ظاهرة الأنظام والطَّرَر والملخصات النحوية

من السمات البارزة للمحظرة الشنقيطية بروز ظاهرة الأنظام والطَّرَر والملخصات على نطاق واسع، والتي من أهم أسبابها، فيما أرى، أمران اثنان:

١ - تسجيل التكرار، ج ٢، ص ٤١٨ - ٤٢٠ ..

أولهما : الاهتمام الكبير لدى الشنقيطين بحفظ النصوص، واستظهارها عن ظهر قلب، فالنصّ المدروس لابدّ من حفظه قبل شرح الشيخ، أو بعد شرحه مباشرة على الأقلّ، وهو شيء معروف لديهم وشائع، لا يعرفون غيره، فكلّ ما يكتبونه في الألواح ويمحونه منها فهو بالضرورة محفوظ عندهم في الصدور، فعلمهم محمول في صدورهم حيثما ارتحلوا وحلّوا، فهو من سمات تميّزهم وخصوصيتهم إلى يومنا هذا، وإن كان بشكل أقلّ من السابق، لذلك يقولون باللهجة العربية الملاحونة (الحسانية): (أَلْ مَامُعَاة النَّصِّ يَبْقَى يَطْمَضُ، أَوْ يَتْبَعَرَضُ)، أي الذي لا يحفظ النصّ فهو مُرْتَبِك، والرؤية لديه ليست بواضحة كالأعمى. ومما يحفظونه في هذا :

«كَتَبَ إِجَازَةً وَحَفِظَ الرَّسْمَ قِرَاءَةً تَدْرِيسُ أَخْذَ الْعِلْمِ
وَمَنْ يُقَدِّمُ رُتْبَةً عَنِ الْمَحَلِّ مِنْ الْمَرَاتِبِ الْمَرَامُ لَمْ يَنْبَلِ»^(١).

ولأجل تسهيل الحفظ شاعت عندهم هذه الظاهرة وأحبّوها، وهم في ذلك مُقلِّدون لأستاذهم الكبير، شيخ النحويين، محمد بن مالك الأندلسي، إذ كانت جهودهم امتدادا لمذهبه النحوي، حيث احتضنوا كلّ ما كتبه في لغة الضّاد، من نحو وصرف ولغة، متأثرين به، مُكثِّرين عليه من الشروح، والحواشي، والطُرر، والتعليقات، والاستدراكات، كما سَلَفَ، فألفيته وكافيته في النحو، ولاميته في التصريف، والمقصود والممدود والمثلثات له في اللّغة، كلّها أنظام، وغيرها من أنظامه التعليمية، وهي أهمّ مقرّرات اللّغة العربية في المحظرة الشنقيطية دون منازع.

علما بأنّ ظاهرة حفظ النصوص واستظهارها في الصدور قديمة في الثقافة العربية الإسلامية، معروفة فيها، فمما يُنسب للإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ) رحمه الله قوله :

عِلْمِي مَعِيَ أَيْنَمَا يَمَمْتُ أَحْمِلُهُ فِي بَاطِنِ الصَّدْرِ لَا فِي جَوْفِ صُنْدُوقٍ
إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ.

فكثيراً ما تمثّل الشنقيطيون هذين البيتين، واستأنسوا بهما في الموضوع. ويُذكر أنّ كتب أبي محمد ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) أحرقت، فقال :

فَإِنْ تَحَرَّقُوا الْقِرْطَاسَ لَا تَحَرَّقُوا الَّذِي تَصَمَّنُهُ الْقِرْطَاسُ إِذْ هُوَ فِي صَدْرِي .

١ - من محفوظات الدكتور سيدي عبد القادر، الشاعر النحويّ، الأستاذ بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية.
بتاريخ ٢٠١٤/٠٦/١٣م.

وهو أحد علماء الأندلس، الذين هم قدوة الشنقيطين، ومثلهم الأعلى في العلم والمعرفة^(١).

ثانيهما: قلّة المصادر وندرتها في البلد، حيث كانوا يجلبون ما استطاعوا جلبه منها من المملكة المغربية ومصر، على وجه الخصوص بمشقة بالغة، وأسعار باهظة، لذلك كانت أمّهات الكتب (مع قلّتها) لا تتوافر إلّا عند الخاصّة من العلماء، فيذكر أنّ العالم الشنقيطي الأصولي سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (ت ١٢٣٣هـ) أهديت له (وهو عائد من مصر) فرسٌ من عتاق الخيول المصرية، المعروفة بالكُحَيَّلَات، وعندما سئل عنها ببلاده شنقيط قال: جعلتها حَطَّاباً (شرح مختصر خليل في الفقه المالكي^(٢)). أي جعل فرسه العتيقة التي حاجته إليها ماسّة لتحمله إلى بلده النائي، ثمناً لهذا الكتاب. فكان ذلك من الأسباب الرئيسة لبروز هذه الظواهر وشيوعها لدى القوم بشكل بارز. وقد أسلفت نماذج من ظاهرة النظم في مواضع متعدّدة لغرض التمثيل، غير أنّي أردت الحديث هنا عن أصلها بشكل أعمق ضمن الكلام عن الخصائص والسمات النحوية البارزة، التي امتازت بها المحظرة الشنقيطية بوضوح، دون غيرها من مراكز العلم والتربية في الحواضر العربية الإسلامية.

أولاً: ظاهرة الأنظام: وهي أبرز الظواهر وأكثرها شيوعاً في الأوساط المحظرة، إذ كان اهتمامهم بها على نطاق واسع، سواء أكانت أنظماً لكتب وافدة، أم أنظماً محلية مستقلة. وقد سجّل الدكتور محمد المختار بن أباه كلمة طيّبة عن هذه الظاهرة عند النحويين ببلاذ شنقيط، إذ قال:

«لقد قام علماء المحاضر بصناعة تحويلية، انتزعوا أصولها الأولى من كتب ابن مالك، ثم استمدّوا فروعها من أدوات ابن هشام، وأعادوا إليها تنبيهات الأشموني، وتخريجات ابن الدماميني، فصنعوا من هذا المزيج مجموعة هائلة من القطع المتنوّعة، قدّموها بضاعة منظومة في دروسهم الشفوية، حتى استطاعوا بذلك خلق ثقافة نحوية نزلت عن طور الاختصاص العلمي إلى مستوى الأدب الشعبي، فصارت تمارس لذاتها، ويتذوّقها الناس في المجالس، وإن كانت قد ابتعدت عن أهداف النحو الأساسية بسبب استقلالها

١ - الوسيط، ص ٣٨.

٢ - المنارة والرباط، ص ٢٧٥. ينظر مزيد في ص ٢٧٤.

عن الدراسة اللغوية عموماً، فأوضحت تغذّي نوعاً من الترف الفكري^(١).

وفيما يلي أُورد بعض الأمثلة، علاوة على ما سلف ذكره :

- ١- أرسل سيدي أحمد بن سيدي محمد بن موسى بن أيجل الزيدي (ت ١١٧١هـ) بيتين اثنين لعمر بن بابا بن عمر بن علي بن اندعبد الله بن سيدي أحمد الولاقي (ت ١١٤٥هـ) يسأله فيهما عن مصادر (أَنَّى وَأَيَّانَ وَأَنَّ)، وهما :

أَلَا يَا إِمَامَ النَّحْوِ قُطِبَ زَمَانِهِ وَمَنْ أَنْتَ ذُو ذِهْنٍ صَقِيلٍ وَذَوْفَهْمِ
فَهَلْ لَأَنَّى أَيَّانَ أَنَّ مَصَادِرُ تَبَدَّتْ لَكُمْ أَنْوَارُهَا عَنْ ذَوِي الْعِلْمِ
فأجابه بالأبيات الآتية :

أَيَا سَائِلاً مُسْتَفْهِماً عَنْ مَصَادِرُ لَأَنَّ أَيَّانَ مَعِ أَنَّى فُزْتَ بِالْغَنَمِ
فَرَدَّ جُلَّةَ الْقَامُوسِ وَرَدّاً تَجَدُّبَهَا مَصَادِرَ لِلْفَعْلَيْنِ إِنْ كُنْتَ ذَا كَرَمِ
فَأَنَّ لَهُ أَيْنَ فَنَقَطَ وَأَنَّى لَهُ أَنَّى وَإِنِّي مِنْ بَعْدِ إِنِّي بِلَا وَهْمِ
وَشَكْلُكَ ذَالَ الذَّهْنِ بِالضَّمِّ غَفْلَةٌ وَحَقُّكَ لَا أَنَّى قَصَدْتَ أَخَا الْحَلَمِ
فَذَهْنٌ بِكَسْرِ الذَّالِ خُذُهُ تَبَرُّعاً وَلِي فَادِعُ بِالْغُفْرَانِ وَالْحَسَنِ لِلخَتَمِ^(٢).
وهي إجابة توحى بتمكّنه من فنّ التصريف.

- ٢- سيدي محمد بن سيدي عبد الله العلوي (ت ١٢٥٠هـ)، له^(٣) : سواطع الجمان في ذكر المعاني من الأوزان: (منظومة في تصريف الأفعال). وهو مطبوع في نحو سبع صفحات، عدد أبياته (اثنا عشر ومائة ١١٢ بيتاً) من الرجز. وقد ألحقه الأستاذ عبد الحميد، محقق طرّة الحسن بن زين بتحقيقه للطّرة، مصحّحاً تصحيحاً دقيقاً، وعلّق قائلاً : «هذا كتاب شنيطي في علم الصرف ألفه سيدي محمد... ناظماً لما جاء في لامية الأفعال من تصريف الأفعال... اعتمد فيه على الحضرمي^(٤)

١- تاريخ النحو العربي، ص ٤٣٨.

٢- فتح الشكور، ص ٣٢٦.

٣- الوسيط، ص ٨٣، والمنازة والرباط، ص ٥٥٨.

٤- يقصد فتح الأفعال شرح (لامية الأفعال لابن مالك) للحضرمي، وتسهيل ابن مالك.

والتسهيل، ولم يزد عليها شيئاً، واقتصر على ما يتعلق بالأفعال»^(١).

وقد تحدث المؤلف في المقدمة عن موضوع نظمه ومصادره، قائلاً :

فهناك نظماً فيه ما أهـماً منه مُـبَيَّنّاً لما اذلهمـاً
حرّره مُتَّبِعاً للأكرم حمّد بن مالک والحضرمي
وربّما أتيت بالشوارد من الدماميني والمساعد^(٢).
وربّما عرفت من معين قاموس بحر الدرّ مجد الدين
سمّيته سواطع الجمال في ذكر الأوزان وفي المعاني^(٣).

وقد جعل نظمه في باين اثنين بعد المقدمة : الأوّل من أربعة فصول، خصّصه لأبنية الأفعال المجردة ومعانيها وتصاريফها، ووجوه عين المضارع من الثلاثي، والثاني، من فصلين، لأبنية الأفعال المزيد فيها ومعانيها، وحركة صدر المضارع، وعين غير الثلاثي منه، وكيفية صوغ فعل الأمر. وهو نظم سلس الأسلوب، سهل المعنى، دقيق التعبير. منه قوله مثلاً في اشتراك أوزان الثلاثي، واتّصال تاء الضمير، أو نونه بها :

واشترك الأوزان في فعل وقد يشتركان اثنان منها كبرّد
وانقلّ لفائهنّ شكّل عين معلّة من قبل تا أو نون
ما لم يكن فتحاً فعوض وانقلّلاً مجانساً ونقلّ ذا قد حطّلاً.

وقد شرّحه بشرح أسماه : (نجم الحيران شرح سواطع الجمال). ذكر الأستاذ عبد الحميد محقق طرّة ابن زين أنّ بحوزته نسخة مخطوطة منه، ووصفه بأنّه « نفيس للغاية... في ١٣٢ صفحة »^(٤).

٣- عبد الودود بن عبد الله بن محمّد بن انجبنان الحيلي (ت ١٢٦٨هـ)، بارع في النظم^(٥)، ترك كثيراً من الأنظمة الضابطة للمسائل النحوية. منها مثلاً قوله في

١ - تحقيق الطرّة، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٧٩.

٢ - شرحان من شروح تسهيل ابن مالک. فشرح الدماميني لبدر الدين محمد بن أبي بكر، المصري، المعروف بالدماميني. وشرح المساعد لابن عقيل بهاء الدين عبد الله العقيلي المصري.

٣ - تحقيق الطرّة، ج ٢، ص ٦٨٣.

٤ - تحقيق طرّة بن زين، ج ٢، ص ٦٧٩.

٥ - الوسيط في تراجم أدباء شفيط، ص ٣٧٤.

عامل الظرف :

وَجَازَ جَرَّ فاعِلٍ فِي خَمْسٍ مَسَائِلٍ أَتَتْ بِدُونِ لَبْسٍ
يُجَرُّ بِاللَّامِ كَهَيْهَاتَ لَهَا وَمِنْ كَمِثْلٍ (مِنْ بَشِيرٍ)^(١) فَأَعْلَمًا
وَجَازَ أَنْ يُجَرَ بِالْبَاءِ كَمَا فِي قَوْلِهِ جَلَّ (كَفَى)^(٢) فَلْتَعْلَمَا
وَأَجْرُزُهُ بِالْمَصْدَرِ إِنْ أَضِيفَا إِلَيْهِ وَاسْمِهِ وَلَا تَحِيْفَا^(٣).

٤- بَيَّهَا مُحَمَّدٌ فَالِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنَ الْعَاقِلِي (ت ١٣٣٤هـ)^(٤)، لَهُ الْعَدِيدُ مِنَ الْأَنْظَامِ
النَّحْوِيَّةِ، مِنْهَا مِثْلًا مَا نَظَّمَهُ مِنْ «ضَبْطُ مَا يَكُونُ بِهِ الْجَوَابُ عَنْ (كَمْ، وَمَتَى)
الاستفهاميتين»^(٥):

مَا كَالشُّتَا وَجُمَادَى وَالْخَرِيفِ أَتَى لَكُمْ جَوَابًا كَمَا أَتَى جَوَابَ مَتَى
وَمَا كَدَهْرٍ وَحِينَ لَا يُجَابُ بِهِ وَمَا كَخَمْسٍ لِيَلَاتِ لَكُمْ ثَبَاتًا
أَمَّا مَتَى فِيمَا كَالْأَرْبَعَاءِ أَتَى جَوَابُهَا وَكَشَّهَرٍ إِنْ أَضِيفَ أَتَى
وَلَيْسَ كُلُّ فِتْنٍ يَذَرِي حَقِيقَةً ذَا إِنَّ التَّنَاوُةَ^(٦) تُطْفِي فَهَمَّ كُلِّ فِتْنٍ.

٥- مُحَمَّدُ الْأَمِينُ بْنُ أَبِي الْمَعَالِي الْيَعْقُوبِي (ت ١٣٣٦هـ)^(٧)، لَهُ الْعَدِيدُ مِنَ الْأَنْظَامِ، مِنْهَا مِثْلًا:
-نَظْمُهُ (رَوْضُ الْحُرُوفِ مِنْ طُرَّةِ ابْنِ بُونٍ) لِعَبْدِ الْوَدُودِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَيْلِي
(ت ١٢٦٨هـ). يَقُولُ فِي مَقْدَمَتِهِ (رَجَز)^(٨) :

وَبَعْدُ فَالْقَصْدُ نَظْمُ الرُّوضِ أَرْجُو بِهِ شَرَابَ عَذْبِ الْحَوْضِ
رَوْضُ الْحُرُوفِ كَاسِمِهِ قَدِ رَاضَا مِنْ طُرَّةٍ مَا اعْتَزَّضَ اعْتِرَاضًا^(٩).

١- يقصد قوله تعالى: (مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ). من الآية ٢١، المائدة.

٢- يقصد قوله تعالى: (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا). من الآية ٣، سورة الأحزاب مثلاً.

٣- مجموعة أنظامه في معجم المؤلفين الموريتانيين في القطر الشنقيطي، لسيد محمد بن محمد عبد الله بن بزيد. ص ٩٠، فما بعدها.

٤- المنارة والرباط، ص ٥٩٣، وحياة موريتانيا، ص ٦٩، وتاريخ النحو، ص ٥٤٢، والألفية وتأثيرها، ص ١٩.

٥- تاريخ النحو، ص ٥٣٦.

٦- هي تزكُّ المذاكرة. اللسان، مادة (تنو).

٧- المجموعة الكبرى، ج ٢، ص ١٧٩.

٨- مجموعة شعرية ونظمية، مخطوطة بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية، ص ٢.

٩- المخطوطة الشعرية والنظمية، ص ٢.

وهو نظم جيّد السبك، سلس الأسلوب، سهل المعنى، كثير التفصيل، وذلك مع ضيق النظم. خذ على سبيل التمثيل نموذجاً من نظمه في باب الكلام وما يتألف منه :

وقوله القول على الأصحّ ما دلّ على معنئى بوجهه علماً
قابله قولان للأعلام فمنهما مُرادفُ الكلام
وفيه للتركيب قولٌ ذهبوا أفـادَ أولاً ذلك المركّب

وخذ نموذجاً آخر من مسائل الفاعل، حيث يرى البصريون وجوب ورود الفاعل بعد الفعل وشبهه، بينما يرى الكوفيون عدم وجوب ذلك :

وكونه من بعد فعل لم يجب للكوفي والبصري من ذاك عجب
والكوفي قد أيده تأييداً ما للجمل مشئها وتأييداً^(١)
ومشئها قبل وتأييداً أولاً من أولوا إن كان مما بدلاً
(وبدل المضمّن الهمز يـلي^(٢)) همزاً) به مرّد ذاك البدل
ومشئها مبتدأ والخبر (يوجد) من قبل وتأييداً قدّروا.
مناقشة علمية، تنم عن مقدرة نحوية عالية، وبراعة في النظم.

- كما أنّ له العديد من الأنظام النحوية الجيدة، التي تعالج كثيراً من مسائل النحو والصرف^(٣)، توحى بأنّه نظاماً متميّز، مولّع بالنظم.

٦- أحمد بن أحمد اليدالي (ت ١٣٥٨ هـ)، ترك كثيراً^(٤) من الأنظام النحوية الضابطة للمسائل النحوية، منها مثلاً نظمه في الأمور التي يجتمع فيها التمييز مع الحال، والأمور التي يفتقران فيها. قال :

اجتمع التمييز والحال معاً في خمسة من الأمور فاسمعا
اسمان فضلتان منصوبان في النكر للإهمام رافعان

١- صدر بيت من الشعر، وعجزه : (أَجْنَدَلًا يَحْمِلُنْ أُمَ حَدِيدًا). من الرجز، نسبة ابن هشام في المغني بحاشية الأمير، ج ٢، ص ١٤٥ للزباء بنت عمر .

٢- من البيت رقم ٧، من باب البدل في الخلاصة.

٣- مخطوطة شعرية ونظمية، ص ٣.

٤- المنارة والرباط، ص ٥٣٩، والألفية وتأثيرها، ص ١٨، وأنظام الطّرة في الفوائد النحوية، ص ٢٧٥.

واختلفا في سبعة فالحال
في غيره والحال للهيئات
والحال قد يُلْفَى عليه يَقِفُ
في قول شاعر حكيم ولبيب
والحال قد يجيء ذا تَعْدُدٍ
وجائزُ تقدُّم الحال على
يجوز في التمييز في الصحيح
والاشتقاق غالب في الحال
وعامل الحال بها قد أَكَّدا
ويجىء جملةً وذا محال
يُبَيِّنُ والتمييز للذوات
معنى كلامهم كما سيعرفُ
فإنَّ الميث الذي عاش كئيب
بعكس تمييز بلا تردُّدٍ
عامله إن يُصْرَفْنَ وذاك لا
كما في الاشموني والتوضيح
وَحَدُّهُ أيضاً بذاك حال
وذاك في الأشموني بادٍ بدا^(١).

٧- محمد الأجد بن محمد الأمين بن أبي المعالي يعقوبي (ت ١٣٧٦هـ)، ترك^(٢) أنظاما

عديدة في المسائل النحوية، بعض منها مَوْجَّه إلى صغار الطلاب، منها مثلاً :

- نظمهُ مرفوعاتِ الأسماء، التي نظَّمها لابنه وتلميذه محمد مختار (ت ١٤١٥هـ) :

مبتدأ وخبرٌ والفـاعـلُ
اسمٌ لـكـانٍ خـبـرٌ لـاتـا
ونائبٌ لايشغـلـنـك شـاعـلُ
فلـتـك بـيـن الخـلـق مـطـمـئـنـا
نعتٌ وتوكيدٌ وعطفٌ وبدلٌ .
(وتابع المرفوع ماعنه عدلٌ)

- ومنها أيضاً في باب الإشارة :

تلك إشارة لجمع يُوجـد
لعاقلٍ منه وما لا يعقـلُ
مُذَكِّراً كـ(تلك عادٌ جحدوا)
كـ(تلك الأيَّامُ، وتلك الرُّسُلُ)^(٣).

- ومنها :

والـو أو قد يأتى لما لا يعقلُ
مثالُهُ (يا أيُّها التَّمَلُّ ادخُلوا)^(٤).

١- مجموعة شعرية ونظمية، مخطوطة، ص ٣.

٢- المجموعة الكبرى، ج ٢، ص ١٧٨.

٣- الآيات على التوالي هنا : هود : ٥٩، آل عمران : ١٤٠، البقرة : ٢٥٢.

٤- ١٨، التَّمَلُّ. مجموعة شعرية ونظمية، مخطوطة بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، ص ٥.

وأنظامه تتَّسم بالجودة والحسن.

٨ - مجموعة أنظام نحوية ولغوية لعلماء شنقيطين^(١). وهي مجموعة كبيرة، تبلغ أبياتها حوالي (ستمائة ٦٠٠ بيت تقريبا)، مُرتَّبة حسب أبواب ألفية ابن مالك، مُتَّبَعَة إِيَّاهَا إمَّا بالتوضيح وإمَّا بالاستدراك، وإمَّا بالتصويب. ولست هنا بقاصِدٍ حُضْر الأنظام النحوية عند الشنقيطين؛ لأنَّ ذلك شيءٌ مُتَعَذِّرٌ لِغزارتها، وإنَّما غَرَضِي إعطاء أمثلة معبَّرة عن وَلَع القوم الشديد بظاهرة النظم، التي صارت عندهم من أبرز السمات والمميَّزات، التي اختصَّوها بها وعُرفوا .

ثانياً : ظاهرة الطُّرَر النَّحْوِيَّة : الطُّرَرُ جمع طُرَّة، كما سلف ذكره في الفصل الذي قبل هذا عند الحديث عن طُرَّة ابن بونا على الخلاصة، وهي اصطلاحاً في الثقافة الشنقيطية عبارة عن حاشية غالباً ما تكون موجزة، غير مترابطة الأطراف، مركَّزة، مقتضبة أحياناً، متَّسعة، وافية الشرح أحياناً أُخَر، تربطها بالمتن المشروح رموزٌ وأسهُمٌ ومُنْحَنِيَّاتٌ مُوجَّهة، وكثيراً ما تكون مغلقة، يصعب فهمها على الدارسين، غير المختصِّين. وقديماً التجأ إليها الشنقيطيون بسبب قِلَّة المراجع وشَحِّ الورق. وقد أسلفت نماذج منها في الفصل الأوَّل من هذا الباب. وفيما يلي أَحَلَّل نموذجين اثنين منها :

١ - محض بابا بن اَعْبَيْدُ الديباني (ت ١٢٨٧هـ)، له : طُرَّة على ألفية ابن مالك^(٢)، أهمَّ سمات منهجه فيها :

- أنَّها حاشية مقتضبة في بعض المواضع، يَبْدُ أنَّها مع ذلك وافية بالغرض الذي يرمي إليه الناظم. كتعليقه مثلاً على قول الناظم :

نكرةٌ قابلُ أَلْ مُؤَثَّرَا أو واقع موقع ماقد دُكِرَا :

«فيه التعريف كدار وفرس، فخرج ب(التأثير) : ما تدخله أَلْ من الأعلام. (للمح) : أصله كعبَّاس وحاتر. و(واقع) : في المعنى. ك(ذي) بمعنى صاحب، و(مَنْ) و(ما) في مررت بَمَنْ مُعْجِب، وما مُعْجِب لكَ؛ لأنَّهما في ذلك بمعنى إنسان وشيء، وكذلك إن

١ - مجموعة أنظام نحوية ولغوية، مودعة بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية.

٢ - توجد منها نسخ بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام ٢٤٥، ١٢٥٣، ٣٥٩٠. وقد حُقِّق منها (باب النعت إلى باب التأنيث) في رسالة تخرَّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، مودعة تحت رقم ١٤، بقسم الرسائل.

كانتا للشرط أو الاستفهام»^(١).

ويوضح هذا التعليق سمة بارزة من سمات الطُّرّة، وهي عدم الترابط والانسجام أحيانا بين جمل الحواشي وأساليبيها.

- والاقتضاب الذي أشرت إليه فيها ليس بالسمة الغالبة عليها، بل قد تكون متسعة، وتكون متوسطة بين الإيجاز والإطناب، مع الشمول والدقة في التعبير، وحشد الأمثلة المتلاحقة لإيضاح المسألة، وكشف غوامضها، كتعليقه مثلا على بيت الناظم : وفي اختيار لا يجيء المنفصل إذا تأتى أن يجيء المتصل : «فنحو قمت وأكرمتك لا يقال فيهما : قام أنا، ولا أكرمت إياك، بخلاف ما لم يمكن اتّصاله للضرورة، كقوله^(٢) :

بالباعث الوارث الأموات قد ضمنت إياهم الأرض في دهر الدهارير.
أولأنّه مبتدأ كأننا مؤمن، أو خبر كالقائم أنت، أو تابع كجاء زيد وأنت، أو محصور، نحو (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) : [٢٣، الإسراء]. وقوله^(٣) :

أنا الـذائد الحامي الذمار وإنما يُدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي.
أو عامله مؤخر، نحو (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) [الفاحة : ٤]، أو نداء کیا إِيَّاكَ، أو مصدر مضاف لمفعوله، نحو : ظفرت بنصر ك أنا، أو لفاعله الظاهر، كعجبت من حبّ زيد إِيَّاكَ^(٤).

- واستدلالاته غزيرة، متعددة، من القرآن العظيم والأحاديث الشريفة، والشعر العربي. من ذلك مثلا شرحه قول الناظم :

وصل أو افصل هاء سَلْنِيهِ وما أشبهه في كَتُّهُ الخلف انتمى
كذلك خِلْتَنِيهِ واتّصالا اختارُ غيري اختارَ الانفصالا :
«من كلّ ثاني ضميرين أولهما أخصّ، وغير مرفوع، وعاملهما غير ناسخ، فإن كان فعلا رجع الوصل، نحو : (فَسَيَكْفِيكَهُمُ) : [البقرة : ١٣٧]، ومن فصله حديث :

١- ص ١٩، من المخطوط.

٢- من البسيط. للفرزدق. وقد ورد ذكره في ابن عقيل، ص ٥٣.

٣- من الطويل، من قصيدة للفرزدق. ينظر في مغني اللبيب، ص ٣٠٤، الشاهد رقم ٥٧٤، وطرّة ابن بونا مع تقريبها، ج ١، ص ٦١.

٤- ص ٢٠ من المخطوط.

(إِنَّ اللَّهَ مَلَكُكُمْ إِيَّاهُمْ، ولو شاءَ لَمَلَّكَهُمُ إِيَّاكُمْ^(١)). وإن كان اسماً فالعكس إن كان أوَّل الضميرين مجروراً لا اختلاف محلَّ الضميرين، كعجبت من جَبِّي إِيَّاكَ، وقوله^(٢) :
لئن كان حُبُّكَ لي كـاذباً لقد كان حُبِّيكَ حقاً يقيناً.
في البابين، ومنه : (إن يَكُنْهُ فلنْ تُسَلِّطَ عليه، وإلَّا يَكُنْهُ فلا خيرَ لك في قتلِهِ^(٣)).
وقوله^(٤) :

بُلِّغْتَ صنْعَ امرئٍ برٍّ إخالَكَ إذ لم تزلْ لاكتسابِ الحمد مُبتدِراً .
ومنه قوله^(٥) :

لئن كان إِيَّاهُ لقد حـال بعدنا عـن العهد والإنسانُ قد يتغيَّرُ .
وقوله^(٦) :

أخي حسبتك إِيَّاهُ وقد مُلِئْتُ أرجاءَ صدرِكَ بالأضغانِ والإحْنِ^(٧) .
إنَّها فعلاً مناقشة مركَّزة، شاملة لجوانب الموضوع، بأسلوب تعليمي، سهل، مناسب، خالٍ من الحشو والإطناب. غير أنَّه ممَّا يُؤْخِذُ على المؤلِّف هنا عدم تعريجه على مذاهب النحويين، وتعدُّد آرائهم في هذه المسائل، مع إشارات ابن مالك في النظم إلى ذلك. وربَّما يعذر في ذلك لضيق الطُّرَّة، ولأنَّها موجَّهة في الغالب للمتعلِّمين المبتدئين.
٢- محمد بن محمد المامي بن عبد الله اليعقوبي (ت ١٣٩٣هـ)، له : طُرَّة على نظم (عُبَيْد ربِّه^(٨)). وهي من أحسن ما أُطلعت عليه من الطُّرَر، وأجوده . من سمات منهجه فيها :

- ١- لم أقف عليه بلفظه هذا. غير أنَّ البخاري أورد في صحيحه، في كتاب العتق حديثاً بهذا المعنى. ج ٥، ص ٤٨٠.
- ٢- من المقارب. لم أقف على قائله، وقد ورد ذكره في التوضيح بحاشية التصريح، ج ١، ص ١٠٧، والطُّرَّة بتقريبها، ج ١، ص ٦٢.
- ٣- أخرجه الخمسة إلَّا النسائي عن ابن عمر.
- ٤- لم أقف على قائله، وهو من البسيط. وقد ورد ذكره في ابن عقيل بتحقيق محمَّد محيي الدين، ص ٥٤، وطُرَّة ابن بونا بتقريبها، ج ١، ص ٦٤.
- ٥- لعمر بن أبي ربيعة. وقد ورد ذكره في في الأشموني بحاشية الصَّبَّان، ج ١، ص ١٣٠، والتوضيح بحاشية التصريح، ج ١، ص ١٠٧.
- ٦- لم أقف على قائله، وهو من البسيط، ورد ذكره في التوضيح بحاشية التصريح، ج ١، ص ١٠٧، وشرح ابن عقيل، ص ٦٤، والطُّرَّة، ج ١، ص ٥٤.
- ٧- ص ٢٠، من المخطوط. ينظر مزيد من هذا التحليل الشامل، وحشد الأمثلة للتبيين والإيضاح ص ٢١، فما بعدها من المصدر نفسه.
- ٨- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٤٨.

- أنَّها وافية بالمعنى، واضحة الأسلوب، دقيقة التعبير، شاملة كثيرا من مسائل النحو وأمّهاته، كثيرة الشواهد القرآنية، والشعرية دون عزو لها، وآثار الصحابة. كقوله مثلا : «باب الكلام وما يتألف منه : وهو لغة القول، وما كان مكتفيا بنفسه كالحطّ والإشارة، وما يفهم من حال الشيء، وحديث النفس، قالت عائشة رضي الله عنها : (ما بين دفتي المصحف كلام الله)»^(١). وقال ^(٢) :

إذا كلمتني بالعيون الفواتر — رددت عليها بالدموع البوادر.
وقال ^(٣) :

إذا حدّثتك النفس أنك قادر — على ما حوت أيدي الرجال فكذب.
وقوله ^(٤) :

إنّ الكلام لفى الفؤاد وإئتما — جعل اللسان على الفؤاد دليلا.
وقال ^(٥) :

شكنا إلى جملي طول السرى — صبرا جميلا فكلانا مبتلى.
واصطلاحا هو الذي أشار إليه بقوله : «إنّ الكلام..»^(٦).

- يهتم كثيرا بتوضيح المسائل، لغة واصطلاحا، كقوله مثلا (علاوة على ما سبق) : «وأقلّ ما يتألف الكلام من اسمين، أو من اسم وفعل، ك(هيئات العقيق^(٧))، و(استقم أنت). اللَّفْظ لغة : الرمي والترك، ومنه لفظت الدابة الحشيش إذا تركته، ولفظت

١- لم أقف على هذا الأثر إلّا في كتب النحو، كما في إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النحويين من الأخبار والآثار، ص ٣٣، وتقريب طرّة ابن بونا على ألفية ابن مالك، ج ١، ص ٥.

٢- لم أقف على قائله، وقد ذكره ابن بونا في طرّته. يراجع تقريب الطرّة، ج ١، ص ٥. والبيت من الطويل، ومحلّ الاستدلال به استعماله بمعنى ما يفهم من حال الشيء.

٣- لم أقف على قائله. وقد ورد ذكره في طرّة ابن بونا، مع تقريبها، ج ١، ص ٥، والمكتبة الإسلامية الشاملة، على شبكة (الأنترنت). وهو من البحر الكامل، ومحلّ الاستدلال به استعماله بمعنى حديث النفس.

٤- لم أقف على قائله، وقد ذكره ابن بونا في طرّته. يراجع تقريب الطرّة، ج ١، ص ٥. والبيت من الطويل، ومحلّ الاستدلال به استعماله بمعنى ما يفهم من حال الشيء.

٥- ورد ذكره في لسان العرب، مادة (شكنا) دون عزو. كما ورد في تقريب الطرّة، ج ١، ص ١٥٩، دون نسبة أيضا.

٦- ص ١، من المخطوط.

٧- هذه الجملة متكوّنة من اسم فعل واسم. وهي من بيت من الشعر لجريز. ينظر كاملا في ص : ١٢٢.

الرحى الدقيق إذا ألغته خارجها. واصطلاحا : صوت يشتمل على بعض الحروف الهجائية تحقيقا أو تقديرا^(١).

- أحيانا يستأنس بالأنظام النحوية، التي تساعد الطلاب على حفظ المسائل، وضبطها، كقوله مثلا: « التنوين مصدر نَوَت الكلمة إذا أدخلتها نونا، واصطلاحا نون ساكنة تلحق الأواخر لفظا، لا خطأ لغير تأكيد.

أقسام تنوينهم عشرٌ عليك بها فإنَّ تحصيلها من خير ما حُرزا
مَكْنٌ وقابلٌ وعَوْضٌ والمُنْكَرَزْدُ ورَثَمُ الطَّرِّ غالٍ واحِكْ ما هُمِزا^(٢).

- قد يتعرض للخلافات النحوية، والآراء المذهبية بإشارات مقتضبة، كقوله مثلا عند قول الناظم : (والأمر بالجزم لدى البعض ارتدى) : « أي والأمر مبني على ما يجزم به مضارعه من سكون، أو حذف، خلافا لمن جزمه بلام الأمر محذوفة، بدليل ظهورها في قوله^(٣) :

لِتَقُمْ أنت يا بن خـير قـريش كـي لـتـقـضي حوائج المسلمينا^(٤).
فهذه إشارة مقتضبة إلى المذهب الكوفي في هذه المسألة، أمّا المذهب البصري^(٥) فهو ما اختاره، وشرح به المتن، مما يدل على بصرية مذهبه. هذا وقد أشرت إلى العديد من الطرر عند الحديث عن المؤلفين وآثارهم، في الفصل الأول من هذا الباب.

ثالثاً : ظاهرة الملخصات النحوية : ظاهرة تلخيص المتن واختصارها قديمة في الثقافة العربية الإسلامية، فقد تحدّث عنها ابن خلدون في مقدّمته، واصفا إياها بالفساد في العملية التعليمية، والإخلال بتحصيل الملكات المطلوبة، حيث قال :

ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم، يولعون بها، ويدونون منها برنامجا مختصرا في كلّ علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها، باختصار في الألفاظ، وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفنّ. فصار ذلك مغلّا بالبلاغة

١ - ص ١، من المخطوط.

٢ - المصدر نفسه، ص ٢.

٣ - ورد ذكره في الإنصاف، ج ٢، ص ٥٢٥ دون عزو. ومن شواهد المغني أيضا، رقم ٣٧٩، دون عزو أيضا.

٤ - ص ٦، من المخطوط.

٥ - الإنصاف، ج ٢، ص ٥٢٤.

وعسيرا على الفهم، وربّما عمدوا إلى الكتب الأثْهات المطوّلة في الفنون للتفسير والبيان، فاختصروها تقريبا للحفظ... وهو فساد في التعليم، وفيه إخلال بالتحصيل. ثمّ فيه شُغل كبير على المتعلّم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها؛ لأنّ ألفاظ المختصرات نجدها لأجل ذلك صعبة عويصة، فينقطع في فهمها حظّ صالح من الوقت، ثمّ بعد ذلك كلّه فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات، إذا تمّ على سداده، ولم تعقبه آفة، فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطوّلة لكثرة ما يقع في تلك من التكرار والإحالة المفيدين لحصول الملكة النامّة^(١).

وقد نقلت النصّ على طوله لأهمّيته، إذ هو مُعبّر جدّا تعبيرا صادقا عمّا نحن بصده. ومع هذه السلبيات العديدة التي ذكرها ابن خلدون للتلخيص فقد أُولع به الشنقيطيون وَلَعًا شديدا حتّى صار لونا من ألوان الثقافة المحظّرة عندهم، غير أنّ الشيء الذي ألجأهم إلى هذه الظاهرة هو ما أسلفته في مستهلّ هذا الفصل من الأسباب، وليس اختيارا وتفضيلا للظاهرة، فيما أرى. والتلخيص متجسّد في الطرر بشكل جليّ كما تبيّن عند الحديث عنها.

وتلخيص التآليف عندهم جاء على نمطين اثنين، هما :

- إنشاء تآليف ملخّصة من مصادر متعدّدة.

- اختصار تآليف سالفه.

وقد أشار ابن خلدون إلى مذاهب النحويين المتأخّرين في التلخيص والاختصار بقوله : «وجاء المتأخرون بمذاهبهم في الاختصار، فاختصروا كثيرا من ذلك الطول، مع استيعابهم لجميع ما نقل، كما فعله ابن مالك في كتاب التسهيل وأمثاله، أو اقتصارهم على المبادئ للمتعلّمين، كما فعله الزمخشري في المفصّل وابن الحاجب في المقدّمة له. وربّما نظمو ذلك نظما مثل ابن مالك في الأرجوزتين : الكبرى والصغرى، وابن معطي في الأرجوزة الألفية»^(٢). وفيما يلي أعرج على هذا اللون عند الشناقطة :

١ - المقدّمة، ص ٦٨٣.

٢ - المصدر نفسه، ص ٧٠٢.

أ- إنشاء تأليف ملخّصة من مصادر متعدّدة : هذا نمط كان شائعاً في بدايات حركة التأليف، وقبل نضجها عند المؤلّفين الشناقطة فيما أرى، وهو ما عبّر عنه الشيخ محمّد اليدالي (ت ١١٦٦هـ) في مقدّمة تفسيره (الذهب الإبريز «اهتمّ فيه بالبحوث النحوية») بقوله : «ومن رأى خلافاً في هذا الكتاب فليراجع الأئمّهات المنقول منها، لا تصوّف لي فيه إلّا محض نقل كلامهم وجمعه؛ لأنّ دأبي التقاط دُرر العبارات من حياض العلماء، وأخذ غزير الإشارات من حياض الحكماء، فهو لسانهم وبيانهم، لا بياني... سبكت كلام بعضهم ببعض ولفّقته»^(١).

وصادقٌ عليه أيضاً وصفُ صاحب (منح الربّ الغفور لشرح ألفية ابن مالك، المسمّى (عمدة السالك على ألفية ابن مالك) لأنّسبويه أعمّر بن الإمام محمد عبد الله المحجوبي (ت ١٢٦٠هـ)، الذي يقول فيه : «جمع فيه من كلام الأشموني والهبة (هبة اللطيف : شرح البسط والتعريف على منظومة المكوّدي في التصريف) ما يشفي الغليل مع وجازة واختصار»^(٢). فهو من هذا القبيل.

وقد يصرّح أحدهم بالمصادر التي جمع منها تأليفه ولخصه، كما صنع محمد فال (ببها) بن محمّد بن أحمد العاقل الديلمي (ت ١٣٣٤هـ) مثلاً في كتابه (دُمية المحراب في المهمّ من التصريف والإعراب) : «وكان اعتمادي في القسم الأوّل منه على مغني اللبيب لابن هشام، والبيضاوي^(٣)، والجمل : حاشية الجلالين، وضياء التأويل^(٤)، وغيرها من كتب النحو والتفسير. أمّا القسم الثاني منه فجلّ اعتمادي فيه على كتب اللّغة، كالجوهري والقاموس والمصباح... والزاهي لابن الأنباري^(٥)، وغيرها من كتب التصريف واللّغة»^(٦).

ب - اختصار تأليف سالفه : وهذا مسلك شائع، ذائع في المحظرة الشنقيطية، معدودٌ فيها خصلةٌ محمودّة، لا كما رأينا عند ابن خلدون في نصّه سالف الذكر، الذي رآه خصلة

١ - ص ٣، ٤.

٢ - ص ١٢٦.

٣ - في تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

٤ - لعثمان الفوريّ النيجريّ (ت ١٢٤٥هـ).

٥ - الأنسب : الأنباريّ، نسبة إلى الأنبار.

٦ - المخطوطة، ص ١.

مذمومة؛ لأنَّ المحظرة الشنقيطية لها خصوصيتها، التي أشرت إليها آنفا، والتي تُميِّزها عن غيرها، كما يقول الأستاذ محمد بن بُتار :

«إذا كنَّا قد لاحظنا في بعض المدارس النحوية الشنقيطية نوعا من التحرُّر والاستنباط في القضايا النحوية، فإنَّ أكثر المدارس كانت تعتمد على طريقة الجمع والتلخيص والتقريب لتمكين الطالب من حفظ أكبر قدر ممكن من المادَّة النحوية ليكون علمه معه، لا بين قَمَطَر، ولا في بطن صندوق، ومحظرة الشيخ يحظيه بن عبد الودود (ت ١٣٥٨هـ) الحظُّ الأوفر من هذا السلوك التربوي النافع، ومهما اختلفت الطُرُق التي سلك الشناقطة إلى هذا المقصد النبيل بين مُسَهِّب وموجز فإنهم لم يخرجوا في كلِّ ذلك عن منهج سلفهم من حُذَّاق المذهب البصري...»^(١).

نصُّ يعبر تعبيراً دقيقاً عما أسلفت من وَلَع الشنقيطيين الشديد بهذه الظاهرة، وتعلُّقهم بها في ميداني التدريس والتأليف، حتَّى تميَّز بعضهم بها، وعُرف. وقد قدَّمت في تضاعيف هذا الفصل عند الحديث عن ظاهرتي (الأنظام والطَّرَر) الجهود الكبيرة لبعض العلماء الشناقطة، في هاتين الظاهرتين، في العديد من مؤلَّفاتهم المذكورة سالفا. ومَن سلك أيضا من الشناقطة نهج اختصار التأليف، الحارث بن مَحْنُص الشقروني (ت ١٣١٩هـ)، باختصاره (موسوعة المواهب) لسيدي محمد بن حبت القلاوي (ت ١٢٨٨هـ)، ومحمد يحيى الفقيه بن محمد المختار الولاقي (ت ١٣٣٠هـ)، بنظمه (اختصار الألفيتين : ألفية ابن مالك وألفية احمرار ابن بونا). وله عليه شرح^(٢).

ومحمد يحيى بن سليمة اليونسي (ت ١٣٥٤هـ) المشهور باختصاراته الممتازة، التي سلف ذكرها في الفصل الذي قبل هذا.

ومن أجود هذه الاختصارات وأحسنها على الإطلاق اختصارُ^(٣) الشيخ محمد بن حبت (ت ١٢٩٩هـ)، لكتاب (المواهب النَّحوية)، لوالده: سيدي محمد بن حَبَّت (ت ١٢٨٨هـ)، وهو اختصار وافٍ، شامل لكثير من أمَّهات النَّحو ومسائله،

١ - في بحث له منشور في حولية جامعة شنقيط العصرية، السنة الأولى، العدد ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م. انواكشوط، ص ١٦٦.

٢ - يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بيتيمبكتو تحت رقم ١٢٢٠.

٣ - يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٩٦٦، وبمخطوطات مركز أحمد بابا بيتيمبكتو، تحت رقمي ٣٥٩٠، ٨٢١٨، وعلى (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٨٩.

مع الاعتناء بكثرة المناقشة والتحليل، وليس من الاختصارات المقتضبة، المخلة. وقد أسلفت حديثاً عن هذا التلخيص الممتاز في المبحث الثالث، من الفصل الذي قبل هذا.

المبحث الثاني : ظاهرة الأَلغاز والأَحاجي والمناظرات والطَّرَف النحوية

هذا المبحث يناقش هذه الموضوعات الثلاثة :

أولاً : ظاهرة الأَلغاز والأَحاجي : اعتنى النحويون الشنقيطيون اعتناء خاصاً بظاهرة الأَلغاز النحوية، إذ وجدوها مادة خِصبة لشَحذ الهِمَم، والتدريب الذهني، والتَّرفِ المعْرِفي، والتفوق العلمي، وتثبيت المعلومات وترسيخها في الذاكرة، فكان العلماء والدارسون على السواء يعشقون هذا النشاط النحوي ويتبارون فيه، فهم فيه مُبدعون، وفُرسان مُتميِّزون.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذا اللَّون قديمٌ قدَّمَ الثقافة العربية الإسلامية، فعلماء المغرب الأقصى مثلاً- وهم الأساتذة الأوائل للمحظرة الشنقيطية في بداية نشأتها - قد سبقوا إلى هذا اللَّون المهمَّ عند الشنقيطيين من ألوان النَّشاط النحوي. فقد ذكر عبد الرحمن المكوذي الفاسي (ت ٨٠٧هـ) في شرحه على ألفية ابن مالك^(١) التَّصَّ الآتي، مُلغِزاً عند شرحه قول ابن مالك : (والهاءُ وَقفاً كَلِمَةً وَلَمْ تَرَهُ) : «وقد اجتمع في هذا اللَّفظ، أعني (كَلِمَةً) ثلاثة أحرف، وهي كاف التشبيه، ولام الجرِّ، وهاء السكت، واسم، وهو (ما) الاستفهامية، وقد ألغزت هذا اللَّفظ في رجز، وهو :

ياقارِئاً ألفية ابن مالِكِ	وسالِكاً في أحسنِ المسالكِ
في أيِّ بيتِ جاء من كلامه	لفظٌ بديعُ الشكْلِ في انتظامه
حروفه أربعة تُضَمُّ	وإن تشأْ فقلْ ثلاثٌ واسمٌ
وهو إذا نظرتَ فيه أجمع	مرَّكبٌ من كلماتٍ أربعم
وصار بالتركيب بعدُ (كَلِمَةً)	وقد ذكرتُ لفظه لِتَفْهَمَهُ.

وقد نسب الأستاذ محمد محفوظ بن أحمد^(٢) هذه الأبيات لابن غازي أبي عبد الله سيدي بن أحمد بن محمد المكناسي، نزيل فاس (ت ٩١٩هـ)، بيد أنَّ الصحيح هو نسبتها

١ - ضبط إبراهيم شمس الدين. بيروت : دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص ٣٣١.

٢ - في كتابه : أنظام الطَّرَة في الفوائد النحوية بحواشي ألفية ابن مالك واحمرار ابن بونا، ص ٢٣٩.

للمكودي؛ لأنه نسبها في كتابه لنفسه، وهو أمر حاسمٌ كلُّ مقال. وقد أجاب أباه بن أبوه محمد يحظيه بن محمد علي المجلسي الشنقيطي (مولود سنة ١٣٦٦ هـ) هذا اللغز بيت جامع بديع، حيث قال :

في آخر التصريف جاء فاعلَمَهُ في قوله : والهَاءُ وَقْفًا « كَلِمَةً »^(١).

غير أنَّ الشيء الذي تميَّز به الشنقيطيون وبرزوا فيه هو إكثارهم من هذا اللون، وجعله أساسا من أساسات الثقافة المحظرة عندهم، إذ عَشَقُوهُ وأبدعوا فيه، حتَّى صار سُلُوكًا شائعًا لديهم بين العلماء والدارسين على السواء، ذائعا، فائضا في تعليقاتهم، وأثناء تدريسهم، وفي حواراتهم ومراسلاتهم. وهو ما تُعبّر عنه مراسلاتهم اللغزية الفائضة ل(أهل فاس) في العديد من مجالات الثقافة العربية الإسلامية. فقد ذكر الأستاذ الخليل النحوي في كتابه (المنارة والرباط^(٢)) كثيرا من هذه المراسلات، يوحى بالمكانة الرفيعة لأهل فاس عند علماء شنقيط، ومدى متانة العلاقة العلمية التي كانت سائدة بين علماء البلدين.

وفيما يلي تقديم عَرَض يُفيد عشق الشنقيطيين لهذه الظاهرة، وتميَّزهم فيها :

١ - ألغز محمد فال (ببها) بن محمد بن أحمد العاقل (ت ١٣٣٤ هـ) بألفاظ من القرآن الكريم، فقال :

أَيَا مُحْكِمِ التَّصْرِيفِ وَالتَّحْوِ عَجَّلِ	جَوَابًا لِأَشْيَا فِي الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
مَا عَلَنَّا «سَيِّئًا» ^(٣) فِي مَنْعِ صَرْفِهَا	وَوَزَنُ «ضِيَاء» فِي قِرَاءَةِ قُنْبُلِ ^(٤)
وَشَكْلُ لِحَرْفٍ جَاءَ فِي الذِّكْرِ مُبْتَدَا	بِذَا أَعْرَبَتْهُ الْمُلَاحُ فِي كُلِّ مُحْفَلِ
وَمَا مُبْتَدَا قَدْ جَاءَ ذُو الْقَيْدِ بَعْدَهُ	وَلَا فَضْلَ يُلْفَى فِي الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
وَلَمْ يُسْنِدِ الثَّانِي لِلْأَوَّلِ مِنْهُمَا	فَعَجَّلْ جَوَابًا لِي وَلَكِنْ تَأَمَّلِ .

١ - المصدر والصفحة نفسها.

٢ - ص ٢٧٥، فلما بعدها.

٣ - من الآية ٢٠، سورة المؤمنون. وقرأها نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بالهمزة وكسر السين (سَيِّئًا)، والباقيون بالهمزة وفتح السين (سَيِّئًا). يراجع إتحاف فضلاء البشر، ص ٤٠٢.

٤ - ضِيَاءٌ : يونس : ٥. الأنبياء : ٤٨. القصص : ٧١. وقنبل : أبو عمرو ومحمد بن عبد الرحمن المخزومي، توفي سنة ٢٩١ هـ. يراجع تحليل القراءتين في إتحاف فضلاء البشر، ص ٣٠٩.

فأجابه الشيخ محمد بن حنبل الحسني (ت ١٣٠٢ هـ) قائلا:

أُمْلِئْ مَسَا رَجَعَ الْجَوَابِ الْمُعْجَلِ بُعْجَمَةٍ وَضَعَ مَنْعُ سِينَاءَ عِلَلِ
وَعُجْمَةٌ تَغْرِيفٍ بِزَيْدٍ وَإِنْ تَقُلْ سَمًا بُقْعَةً فَلَا مَرَّ حِينَئِذٍ جَلِي
تَعَارُضُ قَلْبٍ فِي قِرَاءَةِ قُنْبُلٍ وَشِدَّةُ إِبْدَالٍ فَلَا أَوَّلَ فَضْلٍ
إِذِ الْقَلْبُ أَوْلَى لِلشُّيُوعِ وَأَنَّهُ تَبَوَّأَ فِي الْمَهْمُوزِ أَكْرَمَ مَنْزِلِ
ضَعَّ الْعَيْنَ مِنْهُ مَوْضِعَ اللَّامِ وَاكْسَهَا بِلَامِ الدُّعَا شَبْهًا فَبِالْهَمْزِ أَبْدَلِ
وَزَنَهُ فَلَاغَ وَابْتَدَى بِاسْمِ سُورَةٍ عَلَى شَكْلِ حَرْفِ الْخَطِّ لِلْمَصْحَفِ الْجَلِيِّ
وَمِمَّا سَيُتَلَى قَدَّرَنَ خَبْرَ آلِهِ وَذَلِكَ أَخِيرُ خَتَمِ لُغَزِكَ وَاسْأَلِ^(١).

وقد ذكر بعضُ المعرّين غيرَ ما ذكره الشيخ ابن حنبل من بعضِ عللِ منع صرف (سيناء)، إذ ذكروا أنَّ عللَ المنع هي: التَّأْنِيثُ وَالصِّفَةُ فِي قِرَاءَةِ فَتْحِ السَّيْنِ، وَالْعِلْمِيَّةُ وَالتَّأْنِيثُ الْمَعْنَوِي فِي قِرَاءَةِ كَسْرِ السَّيْنِ. يقول أبو محمد مكي القيسي:

«وَحُجَّةٌ مَنْ فَتَحَ أَنَّهُ بَنَاهُ عَلَى (فَعْلَاءَ)، فَالْهَمْزَةُ لِلتَّأْنِيثِ، فَلَمْ يُصَرِّفْهُ لِلتَّأْنِيثِ وَالصِّفَةِ. وَحُجَّةٌ مَنْ كَسَرَ السَّيْنَ أَنَّهُ عَلَى (فِعْلَاءَ) جَعَلَ الْهَمْزَةَ بَدَلًا مِنْ يَاءٍ، وَلَيْسَتْ لِلتَّأْنِيثِ، إِذْ لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ (فِعْلَاءُ) بِكَسْرِ الْأَوَّلِ، إِنَّمَا يَأْتِي هَذَا الْمَثَلُ فِي الْأَسْمَاءِ الْمُلْحَقَةِ بِ(سِرْدَاحٍ)، نَحْوِ (عِلْبَاءَ)... وَإِنَّمَا لَمْ يُصَرِّفْ؛ لِأَنَّهُ مَعْرُفَةٌ، اسْمٌ بُقْعَةٌ، فَلَمْ يُصَرِّفْ لِلتَّعْرِيفِ وَالتَّأْنِيثِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ امْرَأَةٍ سَمَّيْتُهَا بِ(جَعْفَرٍ)»^(٢).

ويقول شهاب الدين البنا: «وَاخْتُلِفَ فِي (طُورِ سِينَاءَ).. بِكَسْرِ السَّيْنِ.. وَمَنْعُ صَرْفِهِ قِيلَ لِلتَّأْنِيثِ الْمَعْنَوِيِّ وَالْعِلْمِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ بُقْعَةٌ بَعِيْنُهَا، وَقِيلَ لِلْعَجْمَةِ مَعَهَا.. وَالباقون بالفتح، والهمزة لغة أكثر العرب، ومُنْعُ الصَّرْفِ حِينَئِذٍ لِأَلْفِ التَّأْنِيثِ اللَّازِمَةِ، فَوَزَنَهُ فَعْلَاءُ كَصَفْرَاءَ»^(٣).

١ - الشعر التعليمي في مورتيتانيا من خلال الألغاز في القرآن الكريم، ابن حنبل، والنَّهْأ، وابن العاقل نموذجاً، إعداد فاطمة بنت بابا. بحث لنيل الإجازة في اللغة العربية من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية ٢٠٠٧/٢٠٠٨ م. مودَّع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٤١٤٨. ص ٤١، ٤٢.

٢ - في كتابه: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج ٢، ص ١٢٦، ١٢٧.

٣ - في كتابه: إتحاف فضلاء البشر، ص ٤٠٢.

أما إجابته رحمه الله عن وزن (ضياء) في رواية قبيل فكانت دقيقة، مفصلة^(١).
وبعد هذه الإجابة، في القصيدة نفسها وجه ابن حنبل أسئلة إلى بئها، حيث قال :
ولكن أجب عن وجه الأولى لنافع وعن صرفه نصبا ثمود لتعتلي
وعن كلمة إن تولها فتح أول فأخر تاليها له الفتح ينجلي
وتكسر إن تكسر فأولاهما إذن يصح الغنى عنها بغير تأمل.
وقد ذكر مكي القيسي ملخصاً دقيقاً عن صرف (ثمود) ومنعه، إذ قال : «وَحُجَّةٌ مَنْ
صَرَفَ أَنَّهُ جَعَلَ (ثموداً) اسماً مذكراً للأب أو للحي، فلا علة تمنع من صرفه... وَحُجَّةٌ
مَنْ لَمْ يَصْرِفْ أَنَّهُ جَعَلَهُ اسماً للقبيلة، فمنعه من الصرف لوجود علتين فيه، وهما التعريف
والتأنيث»^(٢).

ولم أقف على جواب من «بئها» لهذه الأسئلة، سوى أنه كتب قصيدة على نسق
أبياتها بحراً وروياً، ضمَّنهما أسئلة أخرى، بها ما يدل على أنها موجهة إلى ابن حنبل، إذ
قال :

ومن رامها حاشى الإمام ابن حنبل ومن كائن إحداها الإمام ابن حنبل^(٣).
وقد كتب الشيخ عبد الله بن محمد بن محمود الحسني، الملقب النّها (ت ١٣٢٣ هـ)
قصيدة أجاب فيها أسئلة بئها في القصيدة المذكورة. فقال في مستهلّها :
تدليّت من أعلى إلى غير أسفل أغوص المعاني للجواب المعجل
فأبديت ما أخفيت متأملاً خبايا حلاه «بُعْدَما مُتَأَمِّل»^(٤)
«فلَكِنّا»^(٥) شكل النون مبتداً أصله «ولكن أنا» في سورة الكهف فاعقل

١- الكشف عن وجوه القراءات وعللها، ج ١ ص ٥١٢.

٢- في الكشف، ج ١، ص ٥٣٣.

٣- بحث (التحو في التوادي الشنقيطية)، مصدر سابق، ص ١٥٥، ١٥٦. نقلاً عن قصائد الألباز في مكتبة المعهد
الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٦٧٧.

٤- هذا عجز بيت من معلّقة امرئ القيس، هو : (قعدت له وصحبتي بين حامر وبين العذيب بُعدما متأمّل). الديوان،
القاهرة : الطبعة الثالثة، ١٩٦٩ م، ص ٢٤.

٥- من الآية ٣٨، سورة الكهف.

كما كتب إجابة نثرية على أسئلة ابن حنبل، سألقة الذكر، التي وجهها إلى بيها^(١).
 ٢- قال مؤو أحمد محمود بن أحمدو بن عبد الحميد الجكني (ت ١٣٦٢هـ) مُلغِزاً (في
 الرجز) :

يَا مَنْ بِنُورِ فَهْمِهِ تُجَلَّى السُّدْفُ مَا اسْمٌ لَدَى جُلِّ النُّحَاةِ مَا انصَرَفَ
 وَفِيهِ تَنْوِينٌ عَلَيْهِ يَظْهَرُ وَفِيهِ تَنْوِينٌ لَهُ مُقْدَرُ
 كلاهما مُصَحَّحٌ فِيهِ يَافِي - سَبْحَانَ عَالِمِ الْجَلِيِّ وَالْخُفْيِ -
 لَمْ تُسَلِّني عَنْ ذِكْرِهِ نُوَارِي إِذَا بَدَتْ فِي نِسْوَةٍ جَوَارِي.
 وأجاب نفسه بقوله :

تَنْوِينُ الاسْمِ الظَّاهِرِ الَّذِي تَصِفُ مُعَوَّضٌ عَنْ لَامِهِ الَّذِي حُذِفَ
 وَهُوَ لَدَى الْأَخْفَشِ لَا حَرْفَ يُرَامُ إِذْ صَارَ الْاسْمُ كَالْكَلَامِ وَالسَّلَامُ
 وَذَاكَ فِي الْاسْمِ غَيْرِ الْمُنْصَرَفِ يُقَدَّرُ التَّنْوِينُ فِيهِ إِذْ عُرِفَ
 رُجُوعُهُ إِلَيْهِ فِي الضَّرُورَةِ وَذَا لَهُ شَوَاهِدٌ مَشْهُورَةٌ
 فَلَا مِثْلَ ذَلِكَ الْاسْمِ فِي الْمَقْدَرِ نَفِي مُعَوَّضاً لِنُونٍ مُظْهَرِ
 مِثَالُ ذَلِكَ عَنْدهُمْ دَوَانِي لَمْ يَنْصَرَفْ وَفِيهِ تَنْوِينَانِ.
 كما أجابه بِشَكْلِ أَوْضَحَ أَبَاهُ بَنُوهُ مُحَمَّدٌ يُحْظِيهِ بَنُ مُحَمَّدٍ عَلِيٌّ بَنُ نَعَمِ الْعَبْدِ
 الْمَجْلِسِيِّ (مولود سنة ١٣٦٦هـ)، ملتزماً بالبحر والروي :

جَوَابُ ذَا فِيهِ أَتَى بِالْطَّيْفِ إِشَارَةٌ فِي حُسْنِ أُسْلُوبٍ تَقِي
 وَهُوَ جَوَارٍ وَكَذَا دَوَانِي فَفِيهِمَا قَدْ جَاءَ تَنْوِينَانِ
 تَنْوِينٌ تَعْوِضٌ بِذَيْنِ يَظْهَرُ تَنْوِينٌ صَرَفٌ فِيهِمَا يُقَدَّرُ
 عِنْدَ الضَّرُورَةِ لَصَرَفِ ذَيْنِ إِلَيْهِ يَرْجِعَانِ دُونَ مَيْنِ.
 وقد نظم مُحَمَّدُ بَنُ أَلْفَغِ عَبْدُ اللَّهِ الْأَبْهَمِيُّ (ت ١٣٣٥هـ) مذاهب النحويين^(٢) في
 تنوين هذا النوع من الأسماء بقوله في البسيط :

١ - الشعر التعليمي في موريتانيا من خلال الألغاز في القرآن الكريم، مصدر سابق، ص ٤٢، ٤٣.

٢ - مذاهب النحويين في تنوين مثل (جوار) في حاشية الضَّبَّان، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٨.

تنوينُ ما كَجَوَارٍ عندَ أكثرِهِمْ وعندَ عَمَرٍ وأتى مِنْ لَامِهِ عِوَضًا
فإنَ فَرَضْنَا اِئْتِنَاعَ الصَّرْفِ فِيهِ وَذَا مُرَجَّحَ قِبَلَهُ الإِغْلَالُ قد عَرَضَا
لِلتِّقَا السَّاكِنَيْنِ الياءُ زَالٌ وَلِلتَّخْفِيفِ إنَ يُعَكِّسِ الأَمْرُ الَّذِي فُرِضَا
قالَ المَبْرَدُ مِنْ شَكْلِ وَذَلِكَ أَتَى بِفَقْدِ مُوسَى لِذا التَّنوينِ مُعْتَرِضَا
وقالَ الاخْفَشُ صَرْفٌ وَهُوَ مُتَّقِصٌ إنَ الصَّحِيحُ الَّذِي مِنْ قَبْلِ ذَيْنِ مَضَى^(١).

٣- ألغز أحمد بن أجمد اليدالي (ت ١٣٥٤هـ) في الاسم الذي يكون اسم جمع إذا جُرد من الناء، مثل (بقر، وكَلِم)، ويكون مفردا معها (بقرة، وكلمة)، فقال :

حاجيتكم أي كلام إن يَزِدْ يَنْقُصُ وإن يَنْقُصْ فزَيْدُهُ يَرِدْ؟
وخاطبه أحد^(٢) أقرانه بالأبيات الآتية، ملغزاً في كلمة (يرجون) في أسلوبيين، أحدهما خاصّ بجماعة الرجال، والآخر خاصّ بجماعة النساء، في قوله تعالى :

[وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا] {٢١، الفرقان}، وقوله تعالى : [وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا] {٥٨، التّور} :

ما لَفْظَةُ لِلحرف جاءت حاوية (و) أَخَوِيهِ ثُمَّ جاءت خالية
من حرفها واللفظ لفظٌ واحدٌ وأخواه ثابتان مَاهِيَهُ
وقد أتت في مُحكم الذكر إذا ولتُعربِ الأولى بعكس الثانيه
وقل لمن يرجو إصَابَةً لها ليست عن الأبيات هذي نائية.
فردّ عليه قائلا :

يَرْجُونَ مِنْ بَعْدِ الَّذِينَ وَاللَّاتِي قَبْلَهَا مِنَ النِّسَاءِ جَائِيَةً.
- وقال مُلغِزاً في فِعْلٍ يَسْتَوِي الأَمْرُ والمَاضِي في لَفْظِهِ :

أيا(بروق حَاجَةً) ذات إِيْمَاض بَيْنَ لَنَا ما اسْتَوَى في الأَمْرِ والمَاضِي
لَفْظاً فَأَهْلُ الفُهْمِ لَيْسَتْ اَعْيُنُهُمْ عَمَّا أَفَادَ سِوَاهُمْ ذاتِ إِعْمَاضٍ.
فأجابه مُحَمَّدَن بن المَحْبُوب :

١- أنظام الطُّرَّة في الفوائد النحوية، ص ١٥، ١٦، ومعجم المؤلفين في القطر الشنقيطي، ص ١٥٨.

٢- المصدر والصفحة نفسها.

إِنْ تُدْغِمَ الْأَمْرَ فِي كَوْدٍ مُنْفَتِحاً مِنْهُ الْأَخِيرُ يَكُنْ فِي النُّطْقِ كَالْمَاضِي
وَهَكَذَا كَتَوَلُّوا وَالْمُضَارِعُ لَا تَمْنَعُهُ أَيْضاً إِذَا يَقْضِي بِهِ الْقَاضِي .

٤- قَالَ ابْنُ غَازِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِي بَنَ أَحْمَدَ بَنَ مُحَمَّدٍ الْمَكْنَاسِي، نَزِيلَ فَاس
(ت ٩١٩هـ)، مُلْغِزاً :

حَاجِيْتُكُمْ مَعْشَرَ جَمْعِ النَّبَلَا الْمُعَرِّبِينَ مُفْرَداً وَجَمَلاً
مَا أَلْفُ بَيْتٍ دُونَ شَطْرِ نُصْبَتٍ بِوَتْدٍ مِنْهَا رَقِيتُمْ فِي الْعُلَا .
فَأَجَابَهُ عَالِمُ شَنْقِيطِي، هُوَ أَبَاهُ بَنَ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ يَحْظِيهِ الْمَجْلِسِي (مولود سنة ١٣٦٦هـ)
بقوله :

أَلْفِيَةُ ابْنِ مَالِكِ الْحَبْرِ الْأَجَلُ هِيَ الْجَوَابُ مَا عَدَا الشَّطْرَ الْأَوَّلُ
نَصَبٌ مَحَلُّهَا بَ «قَالَ» قَدْ ظَهَرَ وَكَوْنُ «قَالَ» وَتِدَافِيهِ نَظَرُ .
٥- قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مَدِينٍ ^(١)، مُلْغِزاً :

أَبْنِي لِي يَا شَيْخِي عَنْ اسْمٍ مُعَرَّفٍ بِحَرْفٍ وَذَاكَ الْحَرْفُ كَالِاسْمِ فِي اللَّفْظِ
وَقَدْ أَوْجَبُوا حَذْفًا لِذَا الْحَرْفِ فَلْتَجِبِ بِنَظْمٍ فَإِنَّ النَّظْمَ أَيْسَرُ لِلْحَفْظِ .
فَأَجَابَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَنَ الْمُحِبُّوبِ (ت ١٣٩٩هـ) ^(٢) :

رَأَيْتُكَ يَا مَنْ قَدْ غَدَا شَيْخَ شَيْخِهِ وَأَحْظَاهُ بِالْفَهْمِ الْمُسَدَّدِ مَنْ يُحْظِي
إِلَى لَفْظِ أَلْ ذِي الْوَصْلِ فِي رَأْيٍ مَنْ بَهَا يَعْرِفُ ذَاتَ الْوَصْلِ أَوْ مَاتَ بِاللَّحْظِ .
٦- وَقَالَ مُلْغِزاً فِي أَلْفَاظٍ خَاصَّةٍ بِالْإِنَاثِ كَمُرْضِعٍ وَحَامِلٍ وَحَائِضٍ، تَلْحَقُ التَّاءُ
الْفِعْلَ الْعَامِلَ فِيهَا وَجُوباً إِنْ كَانَتْ فَاعِلاً، وَتَحْذِفُ مِنْهَا إِنْ كَانَتْ خَبِراً، مِثْلُ :
حَضَرَتِ الْمَرْضِعُ وَالْحَامِلُ وَالْحَائِضُ، وَهِيَ مُرْضِعٌ أَوْ حَامِلَةٌ أَوْ حَائِضٌ :

أَيَا مَنْ بَعْلُهَا النِّحْوِيَّةُ حَمَائِلُهُ وَحَلَّتْ مَحَلَّ الطَّبْعِ مِنْهُ مَسَائِلُهُ
أَحَاجِيكَ مَا اسْمٌ إِنْ أَتَى وَهُوَ فَاعِلٌ يُؤَنَّثُ بِتَا التَّأْنِيثِ لَا شَكَّ عَامِلُهُ
وَمِثْلُهُمَا يَكُنْ بِالْإِبْتِدَاءِ ارْتِفَاعُهُ فَمَحَلُّهُ ذِي التَّاءِ حَتَّى تَرَايِلُهُ .

١- لم أقف على تاريخ وفاته.

٢- أنظام مُحَمَّدُ بْنُ الْمُحِبُّوبِ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدُ بْنُ ابْنِهِ، ص ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٣٣

- وقال مُلْغِزاً فِي لَفْظَيْنِ، أَيُّهُمَا رُفِعَ نُصِبَ الْآخَرُ كَمَا فِي قَوْلِ ابْنِ مَالِكٍ فِي بَابِ الْحَالِ :
 (...وَنَدَّرَ نَحْوُ سَعِيدٍ مُسْتَقَرّاً فِي هَجَرَ)، فَإِذَا رُفِعَ شَبِهَ الْجُمْلَةَ (فِي هَجَرَ) عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ
 الْمَبْتَدَأِ نُصِبَ (مُسْتَقَرّاً) عَلَى الْحَالِ، وَإِذَا رُفِعَ (مُسْتَقَرّاً) عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ الْمَبْتَدَأِ نُصِبَ شَبِهَ
 الْجُمْلَةَ عَلَى الْحَالِ، فَقَالَ :

قُلْ لِلنُّحَاةِ إِذَا مَرَرْتَ بِجَمْعِهِمْ إِنِّي رَأَيْتُ مِنْ أَغْرَبِ الْمَسْمُوعِ
 لَفْظَيْنِ أَيُّهُمَا رَفَعْتُمْ جِئْتُمْ بِسِوَاهُ مَنْصُوباً بِذَا الْمَرْفُوعِ
 وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : [وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا] {١٣٩، الْأَنْعَامُ}،
 عَلَى الْقِرَاءَتَيْنِ فِي (خَالِصَةٍ) : قِرَاءَةُ الرِّفْعِ الْمُتَوَاتِرَةِ، وَقِرَاءَةُ النَّصْبِ الشَّاذَّةُ^(١)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى :
 [وَالسَّمَاءُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ] {٦٧، الزَّمَرُ}، عَلَى الْقِرَاءَتَيْنِ فِي (مَطْوِيَّاتٌ) : قِرَاءَةُ الرِّفْعِ
 الْمُتَوَاتِرَةِ، وَقِرَاءَةُ النَّصْبِ الشَّاذَّةُ^(٢).

- وقال مُلْغِزاً فِي جُمْلَةٍ حَالِيَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَرْبُوطَةٌ بِوَائِئِنْ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
 [وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ] {٥، الصَّف} :

أَيَّا مَنْ حَلَّ فِي عِلْمِ اللِّسَانِ مَحَلًّا دُونَهُ يَعْبَى الْمَسَانِي
 أَبْنِي لِي جُمْلَةً بِمَحَلِّ حَالٍ حَوَتْ وَائِئِنْ رَبُطُوراً فِي الْقُرْآنِ
 فَقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَقَدْ تَعْلَمُونَ) جُمْلَةٌ حَالِيَةٌ اِحتَوَتْ وَائِئِنْ : الْوَائِ فِي صَدْرِهَا، وَالْوَائِ
 الْوَاقِعَةُ ضَمِيرًا. هَذَا مَا أَرَادَ الشَّيْخُ تَقْرِيرَهُ، بَيَّنَّ أَنَّهُ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يُقَالَ إِنَّ الرِّبْطَ هُنَا
 حَصَلَ بِوَائِ، وَضَمِيرِ، وَائِ الْحَالِ فِي صَدْرِ الْجُمْلَةِ، وَضَمِيرِ الْجَمَاعَةِ الْوَاقِعُ فَاعِلًا. وَلَا
 يَصِحُّ الرِّبْطُ بِوَائِئِنْ؛ لِأَنَّ وَائِ الْحَالِ لَا تَدْخُلُ عَلَى مِثْلِهَا. لِذَلِكَ قَالَ ابْنُ مَالِكٍ فِي
 الْخُلَاصَةِ:

وَجُمْلَةُ الْحَالِ سِوَى مَا قُدِّمَ بِوَائِ أَوْ بِمُضْمَرٍ أَوْ بِهِمَا.
 - وَقَالَ مُلْغِزاً فِي اسْمِ ظَاهِرِ الرِّفْعِ مَعَ إِضَافَتِهِ إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ، كَمَا فِي لَفْظَةِ (أَخَوْفُنِي)،
 وَفِي أَلِفِ انْقَلَبَتْ عَنْ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ الْمَجْرُورِ بِالْإِضَافَةِ، كَمَا فِي لَفْظَةِ (يَا أَسَفًا)، أَصْلُهَا (يَا)

١ - فقراءة الرفع للقراء العشرة، وقراءة النصب شاذة لابن عباس والأعرج وقتادة وابن جبير. ينظر البحر المحيط، ج ٤، ص ٦٦٠.

٢ - قراءة الرفع للقراء العشرة، وقراءة النصب شاذة للجحدري وعيسى. ينظر البحر المحيط، ج ٩، ص ٢٢١.

أَسْفِي)، فقال :

أَحَاجِي مِنْ أَهْلِ التَّحْوِ كُلِّ مُبَرِّزٍ لَهُ أَذْعَنُوا مَثْنَى ثَلَاثَ وَمَرَبَعًا
بِإِظْهَارِ رَفْعِ اسْمٍ لِيَا مُتَكَلِّمٍ أَضِيفَ بِلَا مَنَعٍ لَدَى كُلِّ مَنْ وَعَى
وَعَنْ أَلْفٍ قَدْ جَاءَ فِي الْجَرِّ مُضْمَرًا فَيَا أَسْفِي إِنْ لَمْ أَجِدْ فِيهِ مَقْنَعًا
فَأَجَابَهُ تَلْمِيزُهُ الْمَصْطَفَى بْنُ مِثْنٍ^(١) :

وَأَخَوْفَنِي يَا شَيْخُ قَوْلُ نَبِيِّنَا بِسِرِّ الَّذِي أَضْمَرْتَهُ قَدْ تَقَنَّنَا.
يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ الدَّجَالِ الطَّوِيلِ : (غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفَنِي
عَلَيْكُمْ^(٢))، ف (أَخَوْفُ) اسْمٌ بَقِيَ ظَاهِرُ الرِّفْعِ، مَعَ إِضَافَتِهِ إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ، وَالدَّاعِي لِهَذَا
الِإِشْكَالِ عِنْدَ صَاحِبِ اللَّغْزِ فِيمَا يَبْدُو هُوَ أَنَّ الْاسْمَ الْمَفْرُودَ الْمَذْكُورَ، صَحِيحُ الْآخِرِ يُكْسَرُ
آخِرُهُ إِذَا أُضِيفَ إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَالِكٍ :
آخَرَ مَا أُضِيفَ لِيَا اكْسِرْ إِذَا لَمْ يَكُ مُعْتَلًّا كَرَامٍ وَقَلْدَى
أَوْ يَكُ كَابِنِينَ وَزَيْدِينَ ...

غَيْرَ أَنَّ اتِّصَالَ الْاسْمِ هُنَا بِنُونِ الْوَقَايَةِ هُوَ السَّبَبُ فِي بَقَائِهِ ظَاهِرَ الرِّفْعِ، كَمَا هُوَ الْحَالُ
فِي (أَفْعَلِ) التَّعَجُّبِ، الَّذِي هُوَ اسْمٌ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ^(٣)، حَيْثُ يُقَالُ : (مَا أَفْقَرَنِي إِلَى عَفْوِ
اللَّهِ)، فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ الْكُسْرُ لَوْجُودِ نُونِ الْوَقَايَةِ^(٤)؛ لِأَنَّ الْمِشَابَهَةَ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ جَائِزَةٌ
وَوَارِدَةٌ، كَمَا يَقُولُ ابْنُ هِشَامٍ : «وَالثَّلَاثُ : وَهُوَ مَا أُعْطِيَ حُكْمُ الشَّيْءِ لِمِشَابَهَتِهِ لَهُ لَفْظًا
وَمَعْنَى، نَحْوُ اسْمِ التَّنْضِيلِ وَأَفْعَلِ فِي التَّعَجُّبِ، فَإِنَّهُمْ مَنَعُوا أَفْعَلَ التَّنْضِيلَ أَنْ يَرْفَعَ
الظَّاهِرَ لَشَبْهِهِ بِ (أَفْعَلِ) فِي التَّعَجُّبِ وَزَنَا وَأَصْلًا وَإِفَادَةً لِلْمِثَالَةِ، وَأَجَازُوا تَصْغِيرَ
أَفْعَلِ فِي التَّعَجُّبِ لَشَبْهِهِ بِأَفْعَلِ التَّنْضِيلِ فِيمَا ذَكَرْنَا»^(٥).

١ - لم أقف على تاريخ وفاته.

٢ - رواه مسلم من حديث الثَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ. صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأثرها الساعة، الحديث ١١٠، ج ١٨، ص ٢٧٨.

٣ - الإنصاف في مسائل الخلاف، ص ١٢٦، فما بعدها.

٤ - شرح ابن عقيل، ج ١، ص ٦٥.

٥ - مغني اللبيب، ص ٦٤٥.

وأما اللّغز الثاني فلم يُجِب عنه التّلميذ؛ لأنّ الشيخ أجاب عنه أثناء إلغازه بطريقة لطيفة، إذ قال : (فيا أسفا إن لم أجِد فيه مقنعا)، ففيه إجابة بديعة على سؤاله، فالأصل : يا أسفي، غير أنّ الياء انقلبت ألفا. وهذا هو المراد بقول ابن مالك :

واجعلْ مُنادى صَحَّ إنْ يُضَفَّ لِيَا كَعَبْدِ عَبْدِي عِنْدَ عِنْدَا عَبْـ____دِيَا.

٧- قال مُؤ أحمد محمود بن أحمدو الجكني (ت ١٣٦٢هـ)، مُلغِزاً لمحمّد بن المحبوب، في جملة لم يبقَ منها سوى حرف واحد، فأجاب لغزه بأنّ المقصود هو : فعل الأمر من (وَأَي) وهو: (إِ)، فيُقالُ في إسناده لضمير المفرد والمفردة والجماعة : إِفْضَلْ، إِي هِنْدُ، أو زَيْدُون، فلم يَبْقَ منه في هذه التصارييف جميعها سوى عينه، التي تَغَيَّرت حركتها بتغيّر المخاطب، فقال :

أَيَا مَنْ طَمَى فِي النَحْوِ مَوْجَ عِبَابِهِ وَمَنْ مِثْلُهُ يُجَنِّى عَزِيزُ لُبَابِهِ
أَبْنُ جُمْلَةٍ مَحْدُوفَةٍ غَيْرِ شَكْلَةٍ وَعَجَّلْ بِمَا يَشْفِي الْجَوَى مِنْ جَوَابِهِ .
فأجابه ابن المحبوب :

إِذَا مَا أَمَرْتَ الْفَضْلَ بِالْوَأْيِ أَوْ بِهِ أَمَرْتَ جَمِيعَ الْقَوْمِ أَوْ فَرَّتْنِي بِهِ
وَكُنْتَ لِفِعْلِ الْوَأْيِ غَيْرَ مُؤَكِّدٍ فَنَقُلُكَ شَكْلَ الْهَمْزِ عَيْنَ جَوَابِهِ .
كما ألغز في المسألة نفسها المختار بن المحبوب (ت ١٣٩٢هـ)، فقال :

أَيَا مَنْ حَوَى مَعْنَى الْخِلَاصَةِ وَالتَّقَطُّ فَوَائِدَ نَحْوِ قَبْلِهِ لَسَنَ تُلْتَقِطُ
فَمَا جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ حُذِفَتْ وَلَمْ يَبْقَ إِذْنُ مِنْهَا سِوَى شَكْلَةٍ فَقَطُ .

هذه أمثلة فقط، تفيد شيوع هذه الظاهرة في المحظرة الشنقيطية، وتعلّق القوم بها.

ثانياً : ظاهرة المناظرات النحوية : عُرِف الشنقيطيّون بولعهم الشّدِيد بهذه الظّاهرة مُنْذُ أَنْ ازدهرت الدّراسات النّحوية لَدَيْهِمْ، حتّى صارت تُمثّل عندهم لَوْناً من ألوان التّرف المعرفي والأدبي، وذلك لأنّ طبيعتهم البدوية الحادّة في النّقاش، والاحتكاك الدّائم بين الدارسين في المسائل العلمية، والرّغبة الجارحة في تحقيق المسائل وتنقيحها، ولو باستعراض القدرات المعرفية، كلّ ذلك وغيره ساعد على شيوع هذه الظّاهرة في بحوثهم النّحوية. ولا أدعي أنّها ظاهرة شنقيطية بحتة؛ لأنّ هذا التّراث عند القوم جزء لا يتجزّأ من الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، وجميع ما فيه امتداد لها، وتفرّع عن أصولها،

بَيَدَ أَنَّهَا أَخَذَتْ عِنْدَ الشَّنْقِيطِيِّينَ مَنْحَى لَهُ سِمَاتٌ وَمُمَيَّزَاتٌ خَاصَّةٌ فِيمَا أَرَى، كَالِاتِّسَاعِ وَالتَّمَدُّدِ، وَالِاسْتِعْرَاضِ الْقَوِيِّ لِلْقُدْرَاتِ الْمَعْرِفِيَّةِ. مِنْ ذَلِكَ مِثَالًا :

- مَسْأَلَةُ (صَرْفِ عُمَرَ)، وَهِيَ كَمَا سَلَفَ مَسْأَلَةُ شَنْقِيطِيَّةٍ خَالِصَةٍ، أَحْدَثَتْ ضِجَّةً مُزَلْزَلَةً بَيْنَ الْأَوْسَاطِ الْعِلْمِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ، وَكَانَ صَاحِبَاهَا فَحْلَيْنِ مِنْ فَحُولِ عُلَمَاءِ بِلَادِ شَنْقِيطِ، وَسَفَرَاثِهَا الْعِلْمِيِّينَ إِلَى الْمَشْرِقِ الْعَرَبِيِّ. أَوَّلُهُمَا : مُحَمَّدٌ مُحَمَّدُ بْنُ التَّلَامِيزِ التَّرْكَزِيِّ الشَّنْقِيطِيِّ (ت ١٣٢٢هـ)، وَهُوَ كَمَا يَقُولُ صَاحِبُ الْأَعْلَامِ : «عَلَّامَةُ عَصْرِهِ فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، شَاعِرٌ... وُلِدَ فِي شَنْقِيطِ (مُورِيتَانِيَا)، وَانْتَقَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَأَقَامَ بِمِصْرَ، وَرَحَلَ إِلَى مَكَّةَ فَاتَّصَلَ بِأَمِيرِهَا الشَّرِيفِ عَبْدِ اللَّهِ^(١) فَأَكْرَمَهُ لِعِلْمِهِ»^(٢).

وَيَقُولُ أَحْمَدُ بْنُ الْأَمِينِ الشَّنْقِيطِيُّ عَنْ عِلَاقَةِ ابْنِ التَّلَامِيزِ بِهَذَا الْأَمِيرِ : «فَأَكْرَمَهُ وَاخْتَصَّصَهُ، وَلَبِثَ عِنْدَهُ زَمَانًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ وَيُحَرِّشُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُلَمَاءِ مَكَّةَ»^(٣).

وَقَدْ دَارَتْ مَعَارِكُ عِلْمِيَّةٍ عَدِيدَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ^(٤) فِي الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالْقَاهِرَةِ، عَبَّرَتْ عَمَّا يَتِمَّتُ بِهِ ابْنُ التَّلَامِيزِ مِنَ الْمَقْدَرَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْجُرْأَةِ وَالشَّجَاعَةِ.

وَلَنُعُدَّ إِلَى مَسْأَلَةِ (صَرْفِ عُمَرَ)، الَّذِي قَالَ بِهِ، وَأَثَارَ بِهِ نِقَاشًا حَادًّا، إِذْ رَأَاهُ جَمَعَ (عِمْرَةً)، وَعَلَيْهِ فَهُوَ عِلْمٌ مَنْقُولٌ، وَلَا دَاعِي لِمَنْعِهِ مِنَ الصَّرْفِ، وَلَيْسَ بِمَعْدُولٍ عَنْ عَامِرٍ، حَسَبَ مَا رَأَى التَّحْوِيَّوْنَ وَدَرَجُوا عَلَيْهِ مِنْذُ أَيَّامِ سَيُوهٍ إِلَى يَوْمِ إِثَارَةِ الْمَسْأَلَةِ، وَرَأَى أَنَّ التَّحْوِيَّينَ غَلَطُوا فِي ذَلِكَ، وَغَفَلُوا عَنْهُ. وَدَلِيلُهُ فِي الْمَسْأَلَةِ، كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْأَمِينِ : «أَنَّهُ وَجَدَ مِائَةَ بَيْتٍ لِلْعَرَبِ مِصْرُوفٍ فِيهَا عُمَرٌ.. وَأَنَّ الْعَرَبَ لَمْ تَمْنَعْ نِظْمًا وَلَا نَثْرًا، وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

كَمَا خَرَقُوا لِلْعُرْبِ ذَا الْمَنْعِ مُفْتَرِيًّا	عَلَيْهِمْ بَلَا نَثْرٍ رَوَوْهُ وَلَا نَظْمٍ
فَفِي سَائِرِ الْأَمْثَالِ إِثْبَاتُ صَرْفِهِ	وَإِبْطَالُ مَنْعِ الصَّرْفِ وَالْعَدْلُ بِالْقَمِّ
وَقَدْ غَفَلُوا عَنْ كَوْنِهِ جَمْعَ عِمْرَةٍ	لَهُ الصَّرْفُ قَبْلَ التَّقْلِيلِ لِلْعِلْمِ الْإِسْمِ

١ - لم أقف على تاريخ وفاته.

٢ - الأعلام، ج ٧، ص ٨٩.

٣ - الوسيط، ص ٣٨١.

٤ - كعبد الجليل براهه الحجازي، والسيد علي ظاهر الورتري، والسيد أحمد البرزنجي، والشيخ الدراجي المغربي شيخ المالكية بالحجاز مثلاً. يراجع الوسيط، ص ٣٨١، فما بعدها.

فدعواهم منعٌ وعدلٌ مقدّرٌ وعن عامرٍ محضُ التَّقُولِ بالقَمِ^(١).
 ثانيهما : أحمد بن الأمين الشنقيطي (ت ١٣٣١ هـ)، الذي يقول عنه الزركلي : «عالم بالأدب، من أهل شنقيط، نزل بالقاهرة، وتوفي بها»^(٢).
 فهو عالم جليل، من علماء اللغة والأدب، كان معاصراً لابن التلاميذ في القاهرة، ولم يتجرأ أحد على الردّ عليه في مسألة (صرف عُمر)، والدِّفاع عن التَّحويين فيها عبر العصور سواء في مناظرة حادثة، ممتعة، فكتب رسالة في هذا الردّ بعنوان : (الدَّرر في منع عُمر^(٣)). وقد ظهرت شخصيته الشنقيطية الحادثة هو الآخر في النقاش والمناظرة، فأدار الفحلان الشنقيطيان دفتي هذه المناظرة الممتعة بالقاهرة. يقول ابن الأمين في مُستَهَلِّ رُدُوده :

«أما قوله إنّه وجد مائة بيت فهذا على تقدير صحّته لا يثبت صرفه؛ لأنّ النّحاة جعلوا معتمدهم في ذلك سماع العرب، يمنعونهم نثراً. وأجابوا عن ذلك بأنّ الأبيات ضرورة. وقد بيّنت في الرسالة التي تقدّم ذكرها أنّ الضرورة ما وقع في الشعر، لا ما لا محيد عنه للشّاعر... وأما قوله إنّ النّحاة غفلوا عن كونه جمع (عمرة) فهذا غير صحيح، كما بيّنت في الرّسالة المذكورة. وقد نقلت كلام ابن مالك بلفظه في عمدته^(٤)، وكلام عبد القادر البغدادي^(٥)، وابن الحاجب^(٦) في شرح المفصل.. فدعواه الغفلة لا تتأتّى»^(٧).

ثمّ استرسل رحمه الله في ردود قاسية، مناقشا، محلّلاً :

«وقال ابن عصفور^(٨) في المُقَرَّب : وإذا كان فُعلَ علماً فإن كان له أصل في النّكرات فأقضى عليه بأنّه مصروف، غير معدول، نحو بُد.. لأنّه يقال : مالٌ بُد، إلّا أن يقوم دليل سمعي على عدله، يمنع صرفه، نحو عُمر، فهو معدول عن عامر، وليس منقولاً

١ - الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص ٣٨٣.

٢ - الأعلام، ح ١، ص ١٠١.

٣ - طُبعت بالقاهرة سنة ١٣٣١ هـ. يراجع الوسيط، ص ٩.

٤ - كتابه : عمدة الحفاظ وعدّة اللاّفظ. كتاب مختصر في النحو.

٥ - في كتابه : خزانة الأدب.

٦ - جمال الدين بن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ)، وشرح المفصل لابن يعيش. ومتن المفصل للزّحشري.

٧ - الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص ٣٨٣، فما بعدها.

٨ - تُوفي ٦٦٩ هـ. والمقَرَّب كتاب نحو.

عن عُمر (جمع عمرّة). وإن لم يكن له أصل في التكرات، نحو: قُثم فاقض عليه بأنّه ممنوع من الصّرف، معدول، إلّا أن يقوم دليل بصرفه على أنّه ليس بمعدول، نحو: أدّد. فهل يُصدّق على ابن عصفور هذا قوله في ميميته :

وقد غفلوا عن كونه جمّع عمرّة له الصّرف قبل النّقل للعلّم الإسم^(١).
إنّه تحاملٌ عريض — لم أنقله بكماله — وقاس منه، رحمه الله على هذا العلامة الحجة، الذي يصفه الدكتور أحمد حسن الزيّات (وهو أحد الشخصيات العلمية ذات الوزن الثقيل في القاهرة) في طرف من حديثه عنه، يبدو منه إعجابه به، وذلك قوله: «شموس الطّبع، حادّ البادرة، قويّ العارضة، يجادل عن نفسه بالجواب الحاضر، والدليل المفحم، واللّسان السّليط... كان لا ينفكّ يتحدّى رجال اللّغة بالمسائل الدقيقة، والنوادر الغريبة، مستعينا على جهلهم بعلمه، وعلى نسيانهم بحفظه، حتّى هابوا جانبه، وكرهوا لقاءه، وأصبحت سيرته في مصر سلسلة من الخصومات الأدبية، سجّلها بالشعر اللاّذع، والنثر القارض»^(٢).

وقد عبّ الأستاذ الخليل التّحوي على هذه المسألة تعقيباً صادقا، مُعبراً، إذ قال :
ولكنّ المقام يقتضي التنبيه إلى نقطتين : أولاها أنّ الشّنقيطي (ابن التّلاميذ)، وإن سلّمنا بأنّه أخطأ في زعمه، قد جمع بدعواه هذه فضيلتي العلم والجرأة، والشجاعة النّادرة. فإذا استحقّ طه حسين تقدير من يخالفونه لجرأته في وضع نقطة استفهام أمام صحّة الشعر العربي الموروث، فإنّ ابن التّلاميذ أهل لمثل هذا التقدير، خصوصاً أنّه سبق طه حسين إلى إثارة عاصفة جدل حول الموروث. وإذا استحقّ صاحبنا العتب فيما سعى إليه فلا جرم أن يكون أحد علّمين اثنين شقّا عصا الجماعة العلمية في مصر، فنقم التّاس منهما ذلك دون أن ينكروا لهما فضيلة العلم والأدب. الملاحظة الثّانية... هي أنّ مانعي عُمر من الصّرف وجدوا سنداً قوياً في (شنقيط)، التي لعبت دور المحرّك، سلّبا وإيجاباً في السّاحة الثقافية المصرية، فلعلّ الشيخ الشنقيطي الآخر (أحمد بن الأمين) كان الأندى

١ - الوسيط، ص ٣٨٤، فإبعدها.

٢ - المنارة والرباط، ص ٢٧١. نقلا عن مقال منشور في جريدة (الشعب) الموريتانية ٢٦٤٨، بتاريخ ١٨/٠٦/١٩٨٦ م. لمحمد الحافظ بن أحمد.

صوتا في الدفاع عن سيويه وأترابه^(١).

ملحوظات جديرة بالتقدير حقيقة؛ لأنها تحمل في طياتها شيئا ليس باليسير من تقدير جهود ابن التلاميذ الكبيرة في البحث العلمي.

١- تَوَقَّفَ استفهامي في مسألة صرفية إثر حكاية شعرية أحدث مناظرة ممتعة، جادت قرائح بعض الأدباء فيها بأدب غزير. وذلك ما وقع بين الأديبين: سيدي محمد بن الشيخ سيديا (ت ١٢٨٥هـ)، وابن مُحَمَّدِي مُحَمَّد بن سيدي عبد الله العلوي (ت ١٢٧٢هـ). وكان من شأن ذلك أن أديبا^(٢) من تلاميذ الشيخ سيدي الكبير حكى يوما قصيدة لابن شيخه المذكور بحضرة ابن مُحَمَّدِي، فتوقف ابن مُحَمَّدِي في جمع (حَرْفٍ على حَرْفٍ)، مستفهما، ولم يُنكر، فقام ذلك الأديب بوشاية بين الأديبين، مُلَمِّحاً فيها لابن شيخه أن ابن محمدي لحنه، فوجه ابن سيديا قصيدة إلى ابن محمدي، يقول فيها :

يَا مُنْكَرًا جَمَعْنَا حَرْفًا عَلَى حَرْفٍ	لِتَتَّيْدُ لَا تَكُنْ لِلْمُرْتَمَى هَدَفًا
إِنْكَارٌ مَنْ لَيْسَ يَذْهَبُ أَشَدُّ بِهِ غَرًّا	إِذْ هُوَ مِنْ جُرْفِ الْأَحْجَانِ فَوْقَ شَفَا
يَنْهَارُ مِنْ هَذَرٍ وَالصَّمْتُ يُثْبِتُهُ	وَالْفَرْقُ قَبْلَ اللَّحَاقِ لِلْجَبَانِ شِفَا
لَوْ خُضَّتْ لُجَّةُ قَامُوسٍ وَجَدْتَ بِهِ	دُرًّا جَلًّا جَلُوهُ مِصْبَاحِ الدُّجَى الشُّدَفَا
حَرْفُ الْكُدَى لَا سِوَاهُ جَمْعُهُ حَرْفٌ	وَرَأْنُهُ عِنَبٌ وَالْجَمْعُ قَدْ عَرِفَا
ثَانِيهِ طَلٌّ وَلَمْ يُجْمَعْ عَلَى فِعْلٍ	فَعَلَّ سِوَى ذَيْنِ قَدْ كَانَا بِهِ اتَّصَفَا
وَالْعِلْمُ ذُو كَثْرَةٍ فِي الصُّحُفِ مُتَشَرُّ	وَأَنْتَ يَا خِلُّ لَمْ تَسْتَكْمِلِ الصُّحُفَا.

ولما وصلت ابن مُحَمَّدِي هذه القصيدة استغرب؛ لأنه لم يُنكر، بل استفهم فقط، فأمل قصيدة طويلة جوابية، منها :

إِعْلَمْ أَيَاخِلُ أَنِّي لَسْتُ حَاسِدُكُمْ	وَأَنْ مَنِّي لَكُمْ مَحْضُ الْوِدَادِ صَفَا
لَا تَسْمَعَنَّ مَا وَشَى بَعْضُ الْوُشَاةِ بِهِ	وَاسْمَعْ مَقَالِي فَلَيْسَ الْأَمْرُ مَا وَصَفَا
إِذْ قَدْ حَكَى الْبَيْتَ رَاوِيهِ عَلَى حَرْفٍ	فَقُلْتُ مُسْتَفْهَمًا لَا مُنْكَرًا حَرْفَا

١- المنارة والرباط، ص ٢٧١، ٢٧٢.

٢- لم أقف على اسمه.

وهل سمعتم بِحَرْفٍ جَمْعُهُ حِرْفٌ
 ما كان من شيمتي نُكْرٌ على أحدٍ
 ولا مُجَافاةُ أربابِ الجَفَا شُغْلِي
 وإن أتى صائلاً ذو الضَّعْفِ يوعِدُنِي
 قد سَرَّهُ جَرِيئُهُ في القَفْرِ مُنْفَرِداً
 أقْصَرَ بِطَرْفِكَ لا تَطْمَحْ إِلَيَّ بِهِ
 وَمَنْ يَخْضُ لُجَّةَ القاموسِ لَيْسَ لَهُ
 أَهْدَى إِلَيَّ مِنَ الأشعارِ مُضْحَكَةٌ
 إذ صَيَّرَ الهَمْزَ هَمْزَ القَطْعِ مُتَّصِلاً
 والشَّعْرُ صَعْبٌ عَزِيزٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ
 قد كان ذا عن قِياسِ الجَمْعِ مُنْحَرَفًا
 يَأْبَى لِي التُّكْرَ طَبْعٌ مِنْهُ قد أَنْفَا
 مِثْلِي إذا ما جَفَا حِلْفُ الجَفَا صَدَفًا
 فاللهُ يَعْصِمُنِي مِنْ صَوْلَةِ الضَّعَفَا
 فَظَنْ سُرْعَتِهِ فِيهِ وقد دَلِفَا
 فَشَأْنُ مَنْ لَيْسَ يَذَرِي الجَرِيَّ أن يَقَفَا
 فُلُكٌ تَقِيهِ مِنَ الألحانِ قد تَلَفَا
 لِلخَلْقِ أودَعَهَا مِنْ لَحْنِهِ كَسَفَا
 وقال جَلَوَى وجَلَوُا ثُمَّ ما أَلَفَا
 سَوَى ذِكِّي حَدِيدِ الفَهْمِ قد ثَقِفَا

ولما وصلت هذه القصيدة الشيخ سيدي محمد تدافع تلاميذ^(١) أبيه للردّ عليها، والدّفاع عن ابن شيخهم، بيد أنّ ابن مُحمّدي تجاهلهم، ولم يردّ إلا على الشيخ أحمد بن اسليمان (ت ١٣٠٠هـ) الديلمي منهم؛ لكونه رآه كفوًّا مُناسباً^(٢). ويُلحَظ أنّ موضوع المناظرة كان حول جمع (حَرْفٍ على حِرْفٍ)، بيد أنّ الاستدراكات على مسائل أخرى أخذت في التوارد من المناظرين، كاستدراك ابن مُحمّدي مثلاً على سيدي محمد جعله همزة القطع همزة وصل، وهي الواردة في (أشدّد)، إذ هي للقطع. غير أنّه يُمكن الاعتذار عنه؛ لأنّ الضرورة تُبيح ذلك، كما استدرك عليه جعله (جَلَوُا) مصدرًا لـ (جَلَا)، حيث مصدرها القياسي، المشهور (جلاء)^(٣).

وفي حقيقة الأمر (جَلَوُ) مصدر له أيضًا، مذكور في المعاجم. جاء في لسان العرب: «جَلَا الصَّيْقُلُ السَّيْفَ والمِرَاةَ ونحوهما جَلَوًا وجَلَاءً صَقَلْهُمَا.. وجَلَا عَيْنُهُ بالكُحْلِ جَلَوًا وجَلَاءً.. ويُقال: جَلَوْتُ بَصَرِي بالكُحْلِ جَلَوًا، وجَلَوْتُ عَيْنِي هَمِي جَلَوًا إذا أَذهَبَتْه»^(٤).

١ - لم تذكر المصادر التي بأيدي أساءهم، سوى ابن سليمان الديلمي، الذي صرّح به في المتن.

٢ - الوسيط، ص ٦٠ - ٦٢. ولم أقف على شيء من هذه الردود.

٣ - الوسيط، ص ٢٤٥.

٤ - مادة (جَلَا).

٢- مُناظرة بين سيدي عبد الله بن أحمد دام، الشّاعر الكبير (كان حيّاً في أواسط ق ١٣هـ)، ومَحَمّ بن أحمد، الرّجل النَّاسك الصّالح (كان حيّاً في أواسط ق ١٣هـ). وكلاهما من قبيلة إِدْبَلْحَسَن. وذلك أنّ قبيلتهما جَرَتْ بينهما وبين قبيلة أخرى حرب^(١)، ففَتَلَت قبيلتهما رجلين من تلك القبيلة، فتحَمَل مَحَمّ عن قبيلته لتلك القبيلة خمس ديات مغلّظة، فقال سيدي عبد الله في ذلك أبياتاً يُلَمَح فيها بغض التّهكّم :

أيا شَيْخَنَا الأَسْتَاذَ أَنْتَ إِمَامُنَا وَكُنْتَ لَنَا عِنْدَ الْخُطُوبِ مَلَاذَا
حَمَلْتَ رَعَاكَ اللهُ مَا لَا نَطِيقُهُ وَهَلْ حَمَلْتَ (تَبَزَّكَ) قَبْلَكَ هَذَا
مَضَوْا يُسْقِطُونَ الْمُدَّ ثُمَّ تَبَدَّلُوا بِهِ عُكَّةً إِذْ يَحْضُرُونَ جِذَاذَا
فَإِذَا دِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ عَقْلٍ وَلَا دَمٍ وَتَانِ قَضَاءٌ وَاتْنَانِ لِمَاذَا.
فقال له مَحَمّ : إِنَّ إِيَّانِ (لِمَاذَا) فِي عَجَزِ الْكَلَامِ خَطَأٌ؛ لِأَنَّ مَحَلَّهَا عَادَةً صَدْرُ الْكَلَامِ.
فردّ عليه قائلاً :

هِيَ الْعُرْبُ تَأْتِي مِنْ وُجُوهِ كَثِيرَةٍ يَتِيَهُ بِهَا بَعْضُ النَّحَاةِ الْأَكَابِرِ
لِذَلِكَ أَضْحَى بَعْضُ أَشْيَاخٍ مَعْشَرِي يَقُولُونَ (مَاذَا) لَا تُرَى فِي الْوَاخِرِ
وَأَلْفٌ لِمَاذَا فِي التَّوَادِرِ كُورَتْ وَهَلْ تَجْهَلُ الْأَشْيَاخُ مَا فِي التَّوَادِرِ.
يقول أحمد بن الأمين، معلقاً على مضمون هذه الأبيات : « يُشِيرُ إِلَى قِصَّةِ الْأَعْرَابِيِّ، الَّذِي سَأَلَ بَعْضَ الْأَمْراءِ، فَقَالَ لَهُ : مَا يُجِبِرُ كَسْرَكَ؟ فَقَالَ : أَلْفٌ وَأَلْفٌ وَأَلْفٌ، فَقَالَ الْأَمِيرُ : أَلْفٌ لِمَاذَا، وَأَلْفٌ لِمَاذَا، وَأَلْفٌ لِمَاذَا؟ فَذَكَرَ الْأَعْرَابِيُّ لِكُلِّ أَلْفٍ وَجْهًا يَصْرَفُهَا فِيهِ. وَهِيَ فِي أَمَالِي أَبِي عَلِيٍّ الْقَالِي^(٢). وَكِتَابُ (الْأَمَالِي) يُعْرِفُ عِنْدَ أَهْلِ الصَّحراءِ بِالتَّوَادِرِ. قَالُوا : فَقَالَ الشَّيْخُ : أُنَبِّئُهُ اللهُ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ جَوْلَاتِهِ^(٣). »

٣- مُناظرة بين سيدي عبد الله بن أحمد دام المذكور سالفاً، وإِدْيَيْجَ بن عبد الله الكَمِيلِيّ (كان حيّاً في أواسط / ق ١٣هـ)، العالم الكبير، اللّغويّ، النّحويّ الشهير^(٤). وذلك

١- لم أقف على تحديد اسمها.

٢- إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقَاسِمِ، الْمُتَوَفَّى ٣٥٦هـ. يراجع الأعلام، ج ١، ص ٣٢١.

٣- الوسيط، ص ٢٨٧، ٢٨٨.

٤- المصدر نفسه، ص ٣٦٨.

أن هذا الأخير كان يهجو التجانية^(١) وكان الأول ممن يُناصرونها. فقال سيدي عبد الله في ذلك، مخاطباً إدينج :

صاح لا تَسْعَ أن تَلَمَّ بنادٍ يَتَعاطُونَ غِيَبَةَ العَبَّادِ
إنَّ نَكْرًا نَكِيرٌ مَنْ لَيْسَ يَدْرِي وَقَمِينَ بِالْعُزْلِ تَزْكُ الجِلادِ
وإذا لم يكنْ لَدَيْكَ نصيبٌ فَلْيُزْكُ المَلِيّ ذُو الأذوادِ
فَعَلَّطَهُ إدينج في موضعين اثنتين، هما : جعله اسم (إنَّ) نكرة في قوله : (إنَّ نَكْرًا نَكِيرٌ مَنْ لَيْسَ يَدْرِي)، وهذا لا ينبغي. وجعلهُ (ذو الأذوادِ) (التي وردت على وزن جَمْع القلّة، والتي هي جَمْع للذود ، الذي يُطلق على الثلاث إلى العشر)، وضمّاً ل(المليّ)، وهذا لا يتناسب؛ إذ قال : (فَلْيُزْكُ المَلِيّ ذُو الأذوادِ). هذا هو وجهُ اعتراضه. إلاَّ أنَّ ما قاله فيه نظر، كما يقول أحمد بن الأمين في تعليقه على هذا الاعتراض :

«وذلك غير صواب ؛ لأنَّ الأعشى ميمون، من الطبقة الأولى من الجاهليين قد نكّره، قال»^(٢) :

إنَّ محملاً وإنَّ مُرْتَحَلاً وإنَّ في السَّفَرِ ما مَضَى مَهْلاً.
والحاصل أنَّ مَنْ عنده أذواد لا يُقال له مليء ، وهذا غير سديد؛ لأنَّ الذّود قيل فيه : إنّه من الثلاث إلى العشرين، وقيل إلى الثلاثين، فإذا جمعنا ثلاثين عشر مرّات صار مليئاً؛ ولأنَّ جمع القلّة قد يرد للكثرة، قال تعالى : [وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ} ٢٧ ، لقمان}، ولا يُقال إنَّ أقلاماً هنا للقلّة معنًى^(٣).

هذه نماذج فقط من مناظرات عريضة للقوم ببلاد شنقيط، أثروا بها كثيراً من مسائل النّحو، وقضاياها، مثلت عندهم جانباً من الترف العلميّ، وطرفاً من استعراض القدرات المعرفية في هذا الفنّ.

ثالثاً : ظاهرة الطُّرْف النّحوية : يُقصد بها عرض المسائل النّحوية في أسلوب مُسْتَطَرَف، مُسْتَمْلَح، مُسْتَعَذَب، يحمل في طياته إجابات مُفْحِمة، وبديهة حاضرة،

١ - أصحاب الطريقة الصّوفية التجانية.

٢ - هذا مطلع قصيدة يمدح بها سلامة ذا فانش. يراجع مختار الشعر الجاهلي، ج ٢، ص ٢٣٨.

٣ - في الوسيط، ص ٢٨٩.

لافتة. وقد شاعت هذه الظاهرة لدى العلماء والدارسين الشنقيطين في نواديهم النحوية، ومذاكراتهم التدريسية بشكل ملحوظ، وشكلت عندهم لوناً من ألوان الترف الأدبي والمعرفي، وأظهروا فيها براعات نادرة، وإن كانت ظاهرة قديمة في الثقافة العربية. فقد ذكر ابن هشام : «أن ابن الأخضر^(١) سئل بحضرة ابن الأبرش^(٢) عن وجه التصب في قول التابغة^(٣) :

أَتَانِي أَيْتَ اللَّعْنِ أَنَّكَ لُمْتَنِي وتلك التي تستك منها المسمع
مَقَالَةٌ أَنْ قَدْ قُلْتَ : سَوْفَ أَنَالُهُ وذلك من تلقاء مثلك رائع.
فقال^(٤) : ولا تصحب الأزدى فتردى مع الردى.

ف قيل له : الجواب؟ فقال ابن الأبرش : (قد أجاب)، يريد أنه لما أضيف إلى المبني اكتسب منه البناء، فهو مفتوح لا منصوب، ومحلّه الرفع بدلاً من (أَنَّكَ لُمْتَنِي)، وقد روي بالرفع. وهذا الجواب عندي غير جيّد؛ لعدم إبهام المضاف^(٥).

كظرف الزمان المبهم المضاف، نحو(حين) مثلاً. ومع غموض هذه الإجابة فإن سرعة البديهة فيها أكسبتها من الطرافة الممتعة ما لا يخفى، كما أفادت حدة ذهن صاحبها. وفيما يلي أورد أمثلة من هذا اللون عند الشناقطة :

١ - كان الحسن بن زين القناني(ت ١٣١٥هـ) يوماً مع بعض من طلبة العلم، يقرؤون شرح الدماميني على تسهيل ابن مالك عند إضافة ظرف الزمان المبهم، في باب الإضافة، فاستوقفهم كلام منسوب لابن هشام : «قال ابن هشام : سألني سائل من أين تهبّ الصبّا، فأنشدته :

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَمْرُكَ اللهُ أَنَّنِي كريمٌ على حين الكرام قليلٌ

١ - علي بن عبد الرحمن الإشبيلي، العالم الأديب(ت ٥١٤هـ).

٢ - خلف بن الشتريني، الأديب النحوي(ت ٥٣٢هـ).

٣ - من قصيدة له يعتذر فيها للعتمان، مطلعها : (عَفَا ذُو حُسّاً مِنْ فَرْتَنَى فَالْفَوَارُغُ فَجَنَّا أَرِيكَ فَالْتَّلَاغُ الذَّوَارُغُ). يراجع مختار الشعر الجاهلي، ج ١، ص ١٥٥، ١٥٧.

٤ - هو عدي بن زيد العبادي. وصدر البيت : (إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم). يراجع مغني اللبيب، ص ٤٨٩، حاشية رقم ٤. تحقيق مازن المبارك، دار الفكر.

٥ - في مغني اللبيب، ص ٤٨٩.

وَأَنِّي لَا أُخْزَى إِذَا قِيلَ مُمْلِـقٌ سَخِيٌّ وَأُخْزَى أَنْ يُقَالَ بَخِيلٌ^(١).

ولم يُوضَّح ابن هشام أكثر من هذا، وبقي الكلام مُستغلقاً عليهم، ولم يَبَيِّنْ لهم المعنى، فقال لهم بن زين: «والله لقد فهمت مُراد ابن هشام، فقالوا له بينه لنا، فقال لهم: يُشير إلى قول الشاعر^(٢):

إِذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْلُوْهُ يَهَيِّجُنِي نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ الْفَجْرُ.
فَقَوْلُهُ: (حِينَ الْكَرَامُ قَلِيلٌ) مُثَالٌ لقوله: (مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ الْفَجْرُ)؛ إِذْ كُلُّ مَنْ (حِينَ وَحَيْثُ) ظَرَفٌ مضاف إلى جملة^(٣).

يبدو أَنَّ ولد زين كان مطلعاً على مادّة مغني اللبيب جيّداً، فلمسألة فيه هكذا: «فإن كان المضاف إليه فعلاً معرباً، أو جملة اسمية، فقال البصريّون: يجب الإعراب، والصّحيح جواز البناء... وقال:»^(٤).
ذاكراً الشعر.

٢- شَهِدَ مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ بْنُ عَبْدِ الْوَدُودِ (ت ١٤٠١هـ) يوماً جنازةً، فأنشد بيت الشاعر:
الهادي بن محمّد بن عبد الله العلويّ (ت ١٣١٩هـ)^(٥):
لَا بُدَّ أَنْ سَيَقُولُ يَوْمًا قَائِلٌ فِي عَدِّهِ مَنْ مَاتَ مَاتَ الْهَادِي.

برفع (سيقول)، فتطاول عليه أحد^(٦) الحاضرين، قائلاً: (أَنْ سَيَقُولُ) بالنّصب، فقال الشيخ بديهة حاضرة، وبراعة مُسَكِّتة^(٧): [عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرَضِيٌّ] {٣٠، المزمّل}. ومن المعروف عند النّحويّين أَنَّهُ يجب رفع فِعْلِ الْعِلْمِ، ونحوه ممّا يُفيد اليقين^(٨) إذا وَقَعَ بعد (أَنْ)، وهي عندئذٍ المُخَفَّفَةُ مِنْ (أَنْ).

١- البيتان لمبشّر بن الهذيل، أو لمويلك بن المذحجي. يراجع مغني اللبيب، ص ٤٨٨، والحاشية، رقم ٩. ولم أقف على اسم صاحب هذا السؤال.

٢- أبو صخر الهذلي عبد الله بن سلمة، ص ٤٨٨.

٣- الوسيط، ص ٣٧٧، ٣٧٤.

٤- مغني اللبيب، ص ٤٨٨.

٥- ترجم له صاحب الوسيط، ص ٧٢.

٦- لم أقف على اسمه.

٧- بحث (النحو العربي في النوادي الشنقيطية)، ص ١٧٦.

٨- مغني اللبيب، ص ٤٢،

وقد علّق الأستاذ محمد بن بُنّار على هذه المسألة بقوله : « بقي أن نُنبّه هنا على أنّ ما أطلعنا عليه من كتب النّحو يُعبّر في هذا الباب بفعل العِلْم، حيث تكون (أَنْ) بعده مخفّفة من (أَنْ)، لا ناصبة للمضارع. لكنني وقفت على بيت للناطقة الجعدي^(١) وقع فيه الرّفْع بعد (لا بُدَّ) كما في بيت الهادي. وهو قوله :

ثُمَّتَ لَا بُدَّ أَنْ سَيَجْمَعُكُمْ وَاللّهِ جَهْرًا شَهَادَةً قَسَمًا^(٢).

هذا ما قاله الأستاذ الفاضل في بحثه القيم. وأشار إلى أنّ الشيء الاتّم الذي ذكره النّحويّون في هذه المسألة هو أنّ (أَنْ) تقع بعد فعل اليقين، أو ما نُزِلَ منزلته، وليس فقط فعل (العِلْم) وحده. وهذا فائض في كتب النّحو، قال ابن عقيل في شرحه للخلاصة: «وأشار بقوله : (لا بعد عِلْم) إلى أنّه إن وقعت (أَنْ) بعد عِلْم ونحوه، ممّا يدلُّ على اليقين، وجب رفع الفعل بعدها...»^(٣).

وقال ابن هشام : «الوجه الثّاني أن تكون مخفّفة من الثّقيلة فتقع بعد فعل اليقين، أو ما نُزِلَ منزلته»^(٤). وقال أيضا : «وليس من ذلك (أي (أَنْ) النّاصبة للمضارع) قوله^(٥): ولا تَدْفِنَنِي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَا مُتُّ أَنْ لَا أَذُوقُهَا.

كما زعم بعضهم؛ لأنّ الخوف هنا يقين، ف (أَنْ) مخفّفة من الثّقيلة»^(٦).

لذلك قال المختار بن بونا^(٧) : «وأجاز سيبويه إجرأها بعد الخوف مجراها بعد العِلْم لِيَتَقَنَّ المخوف منه، كَخِيفْتُ أَنْ لَا تَفْعَلَ، وقوله^(٨) :

إِذَا مُتُّ فَادْفِنْنِي لَدَى جَنْبِ كَرَمَةٍ تُرَوِّي عِظَامِي فِي الْمَاءِ عُرُوقُهَا
وَلَا تَدْفِنْنِي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَا مُتُّ أَنْ لَا أَذُوقُهَا.

١- أبو زيد محمد بن أبي الخطّاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق الدكتور محمد علي الهاشمي، ج ٢، ص ٧٧٣.

٢- في بحثه : (النّحو العربي في النوادي الشنقيطية)، ص ١٧٦.

٣- تحقيق يوسف، طبعة دار الفكر ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ج ٤، ص ٣٣٥.

٤- مغني اللّبيب، ص ٤٢.

٥- هو الشّاعر أبو محجن الثّقفي عمر بن حبيب. مغني اللّبيب، ص ٤٢.

٦- مغني اللّبيب، ص ٤٢.

٧- تقريب الطّوّرة، ج ٢، ص ٦٠٦.

٨- سبق قبل قليل أنّ الشّاعر هو أبو محجن الثّقفي عمر بن حبيب.

وخشيت أن لا تقوم^(١).

وعليه فإنّ (لابدّ) في بيت النّابعة الجعدي، سالف الذكر تدلّ على اليقين بشكل واضح، وتدخل في تحديد التّحويين لهذه المسألة. ويُلحظ أنّ الأستاذ الفاضل كان دقيقاً في تعبيره عند ما قال : «على ما اطلعنا عليه من كتب النّحو».

وهذه أمانة علمية طيّبة؛ لأنّ ابن بونا في طرّف من طرّة هذه المسألة أشار إلى ما ذكره الأستاذ، فقال : «لا بعد فعل (علم) خالص على الأصحّ لوجوب كونها حينئذٍ مخفّفة من أنّ الثّقيلة»^(٢).

غير أنّه توسّع في المسألة فيما بعد.

٣- نازع الشيخ محمّد عالي يوماً أحد زملائه من طلبة العلم في كتاب، فتحاكما إلى الشيخ يحظيه بن عبد الودود الجكني (ت ١٣٥٨ هـ)، فلوحظ أنّ الصّفحة الأولى من الكتاب مكتوب عليها «بخطّ محمّد عالي : أعطاه لي شيخنا يحظيه بن عبد الودود»، فانتقذه زميله في إدخال اللّام على أحد مفعولي أعطى، فقال محمّد عالي مخاطباً شيخه يحظيه :

أَحْجَاجٌ لَا تُعْطِ الْعَصَا مُنَاهُمْ وَلَا اللَّهُ يُعْطِي الْعَصَا مُنَاهَا.
وهو بيت لليلي الأخيلية^(٣)، أنشده ابن هشام في مغني اللّبيب^(٤)، شاهداً على دخول اللّام على أحد مفعولي أعطى^(٥).

وهي إجابة فيها من الطّرافة والرّوعة ما لا يخفى. ومع ذلك يبقى دخول اللّام على أحد مفعولي أعطى مسألة شاذّة، كما قال ابن هشام : «وهو شاذّ، لقوّة العامل»^(٦).

١- مغني اللّبيب، ص ٤٢. وقد اعترض الدّماميني هنا : «إن كان خوفه يقيناً فلماذا قال البيت الذي قبله ». يراجع حاشية محقّق المغني مازن المبارك، رقم ٧، من ص ٤٢. وهو اعترض ليس بالوارد فيما أرى؛ لأنّ الخوف هنا في حكم المُتَيَقَّن.

٢- تقريب الطّرة، ج ٢، ص ٦٠٦.

٣- الشّاعرة الكبيرة، بنت عبد الله، معشوقة توبة بن الحمير، توفيت حوالي ٨٠ هـ. يراجع مغني اللّبيب، ص ٢٢١. والبيت رقم ٣٩٨.

٤- ص ٢٢١.

٥- حولية جامعة شنقيط العصرية، بحث : (النّحو في التّوادي الشّنقيطية)، ص ١٧٦، ١٧٧.

٦- مغني اللّبيب، ص ٢٢١.

٤ - تقدّم شابان لخطبة فتاة شنقيطية، أحدهما أقرب لها نسباً من الآخر، وهو مُعَدَم، والآخر ذو مال، فقالت لأهلها مُجيبَةً، حاكيةً بيتَ أَلْفِيَةِ ابن مالِك^(١) :

وقدّم الأَخَصَّ في اتّصَالِ وقَدَّمْ ما شِئْتَ في انفِصَالِ^(٢).

٥ - جرى حوارٌ بين طالِبين من طلبة المحظرة في مسألة وجوب إبراز الضمير منفصلاً بعد إضمار عامله، فقال أحدهما: هذا مُختَصٌّ بضمير النصب، فردّ عليه الآخر قائلاً^(٣) :

وإن أنت لم يَنْفَعَكَ عِلْمُكَ فَانْتَسِبْ لعلَّكَ تَهْدِيكَ الْقُـرُونُ الأوائلُ^(٤).

وهي إجابة بديعة، مُسَكِّتة. ويبدو أنّهما طالبان نبيهان؛ إذ كان الأوّل منهما يُشير إلى الضمير (إِيَّاكَ) في أسلوب التحذير، الذي عناه ابن مالِك في الخلاصة^(٥) بقوله :

إِيَّاكَ وَالشَّرَّ وَنَحْوَهُ نَصَبٌ مُحَذَّرٌ بِمَا اسْتِتَارُهُ وَجَبَ

ودون عطفٍ ذَا لِإِيَّا أَنْسَبَ وَمَا سِوَاهُ سَتَرُ فِعْلِهِ لَنْ يَلْزَمَا.

بينما كان الآخر يُعني وجوبَ فضل الضمير، وإبرازه دون تحديد بعد حذف العامل، مُشيراً إلى قول ابن بونا في الاحمرار^(٦) عند مبحث الضمائر في باب النكرة والمعرفة :

وَيُفْصَلُ الْعَامِلُ فِيهِ مُبْتَدَأٌ أَوْ ابْتِدَأَ أَوْ حَرَفُ نَفْيٍ أَوْ نِدَا

أَوْ تَلَوُ إِثْمًا، وَأَوْ مَعَ وَمُضْمَرٌ وَمَا يُرَى مِنْ بَعْدِهِ وَمَضَدَرٌ

أُضِيفَ وَالَّذِي مَعَ اللَّامِ جُعِلَ أَوْ إِنَّمَا وَمَا بِمَثْبُوعٍ فُصِّلَ.

وقوله في باب الاشتغال^(٧) :

وَرُبَّمَا رَفَعَهُ مَا أُضْمِرَ مُوَافِقًا مَعْنَى لِمَا قَدْ أَظْهَرَ.

وقد استشهد ابن بونا بالبيت الشعري (الذي استدللّ به الطالب) في هذين

١ - البيت رقم ١٥، من باب النكرة والمعرفة.

٢ - الألفية وأثرها، ص ١٥٠. ولم أقف على أساء الشّابين والفتاة.

٣ - البيت للبيد. يراجع مختار الشعر الجاهلي، ج ٢، ص ٤٨٢.

٤ - حولية جامعة شنقيط العصرية، بحث (التحو في الوادي الشنقيطية)، ص ١٧٧، ١٧٨.

٥ - البيتان الأولان من باب التحذير والإغراء.

٦ - تقريب الطُّرّة، ج ١، ص ٥٩.

٧ - تقريب الطُّرّة، ج ١، ص ٢٧٨.

الموضعين. إلاَّ أنه (مع طرافة الإجابة وحُسنها) خرج عن أسلوب التحذير، الذي يُمثَّل له ب(إِيَّاكَ)، وعليه فيكون الصَّواب مع الأوَّل إذا كان المقصود أسلوبَ هذا الباب.

٦- نزل العمَّ بن أحمد بن أحمد بن عمَّ، الملقَّب لِعمَيْم (ت ق ١٣هـ) يوماً بقرية فرنسية مُعدَّة للتجارة مع العرب، وأغلب ما يُباع فيها العِلْك (الصَّمغ العربي)، يقالُ لها(دَكَانَه) على شاطئ نهر، يُسمَّى (أَبْجَكْ)، وكان من عادة سكَّان هذه القرية أنَّهم يَعتنون كثيراً بإكرام بائع العِلْك، ويَهملون غيره من الضيوف، ولا يلتفتون إليهم. فقال العمَّ في ذلك مشبَّهاً إهماله في هذه القرية بواو عمرو، وهمز الوصل في وصل الكلام :

أَمَّا وَالْيَعْمَلَاتِ مِنَ الْمَطَايَا وَمَكْنُونِ الْمَحَاسِنِ مِنْ حَذَامِ
لَمِنْ رَيْبِ الزَّمَانِ وَمُعْتَدَاهُ مُقَامِي فِي (دَكَانَ) بِلَا مُقَامِ
كَأَنِّي فِي الْمَحَافِلِ وَأَوْ عَمْرٍو وَهَمْزُ الْوَصْلِ فِي دَرَجِ الْكَلَامِ^(١).
شعر به رقةً وعُدوبةً، وسلاسةً حسنةً .

٧- قام محمد يحيى بن الشيخ الحسين (ت ١٤٠٨هـ) في إحدى محاضراته بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية بعطف اسم ظاهر على ضمير مخفوض بدون إعادة الخافض، فنبَّهه أحد الطلبة استناداً إلى قول ابن مالك في الخلاصة^(٢) :

وَعَوْدُ خَافِضٍ لَدَى عَطْفٍ عَلَى ضَمِيرٍ خَفُضٍ لَازِمًا قَدْ جُعِلَا.
فأجابه محمد يحيى إجابةً بديعةً، إذ قال : (أَذْهَبْ فَمَا بَكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ^(٣))، وهو شاهد للمسألة يذكره التَّحَوِّيُّون عند بيت الخلاصة الموالي للسَّابق :

وليس عِنْدِي لَازِمًا إِذْ قَدْ أَتَى فِي النَّظْمِ وَالتَّنْزِيلِ الصَّحِيحِ مُثَبَّتًا^(٤).

١- الوسيط، ص ٨٦.

٢- البيت رقم ٢٠.

٣- هذا الشَّطر الثاني من قول الشَّاعر : (فَالْيَوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَاً وَتَشْتُمُنَا فَاذْهَبْ فَمَا بَكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ). وهو من شواهد سيبويه، التي لم يُذكر لها قائل. يراجع شرح ابن عقيل، تحقيق يوسف الشَّيخ، ج ٣، ص ٢١٤، حاشية المحقق، رقم ٢٩٨، وتقريب الطَّرة، ج ٢، ص ٥٢٧، حاشية المحقق، رقم ٧.

٤- حولية جامعة شنقيط العصرية، ص ١٧٧.

٨- قدمت سيّدة شنقيطية على قاض^(١)، تشكو إليه زوجها، طالبة طلاقها منه، فقال لها القاضي: ما اسمك؟ قالت: فلانة بنت الواقف، فقال لها: اذهبي فأنت مرفوعة، فقد رفعك ابن مالك في باب الفاعل؛ إذ قال^(٢):

وقد يُبيح الفصلُ تَرَكَ التَّاءِ في نحو أتى القاضي بنت الواقف^(٣).

٩- عُرِفَ مولود بن أحمد الجواد اليعقوبي، اللّغويّ الكبير (ت ١٢٤٣ هـ) بسرعة البديهة، وحُسن الجواب، فمن ذلك مثلاً: أنّه خرج يوماً في آخر ليلة من شهر رمضان مع قوم^(٤) ينظرون الهلال، فذكر مثلاً عربياً، كثر وُروده على ألسنة الناس عند انقضاء شهر رمضان: (ياربّ صائمه لن يصومه، وياربّ قائمه لن يقومه)، فقال أحد القوم: (من هذا الذي لم يبلغ حروف الجرّ في الألفية)، يُشير إلى البيت^(٥):

واخْصُصْ بِمُدٍّ وَمُنْدُ وَفْتاً وَبِرْبٍ مُنْكَراً وَالتَّاءُ لِلَّهِ وَرَبِّ.

فقال مولود: (من ذا الذي لم يتجاوز حروف الجرّ إلى ما بعدها). يُشير إلى بيت الخلاصة في باب الإضافة^(٦):

وإنْ يُشابهِ المُضَافُ يَفْعَلُ وَصَفَاً فَعَنْ تَنْكِيرِهِ لَا يُعْزَلُ.

والمقصود بمشابهته (يَفْعَلُ) كونه وصفاً دالاً على الحال أو الاستقبال^(٧). وهذا المثل العربي، استدلل به ابن هشام في مغني اللبيب على وُزُود (رُبّ) للتكثير كثيراً، إذ قال: «وسُمع أعرابي يقول بعد انقضاء رمضان: ياربّ صائمه لن يصومه، وياربّ قائمه لن يقومه»^(٨).

١- لم أقف على اسم السيّدة، ولا القاضي.

٢- البيت رقم ٨.

٣- تاريخ النحو العربي، ص ٤٤٦.

٤- لم أقف على معلومات عنهم.

٥- رقم ٤.

٦- رقم ٤.

٧- الوسيط، ص ١٩١، ١٩٢.

٨- ص ١٤٢.

١٠- وكان يوماً في مجلس فسمع رجلاً^(١) يقول: (هذا لا يَمُكِن) بفتح حرف المضارعة، فقال: (هو لا يَمُكِن، لا يُمَكِنُ)، ففتح حرف المضارعة أولاً على الحكاية، وضمّه ثانياً لتصحيح الغلط.

١١- وشبّه بهذا أيضاً أنّه سمع آخر^(٢) يقول: (هذا يَزِرِي بالمروءة) بفتح حرف المضارعة، فقال له: (يَزِرِي بالمروءة، يُزِرِي بالمروءة)، ففتح حرف المضارعة أولاً على الحكاية، وضمّه ثانياً لتصحيح الخطأ. وهذا الأسلوب البديع منه، رحمه الله، في تصحيح الأخطاء جاء على وجه التّبكِيت لألئك التّفَرُّ^(٣).

١٢- من عادة طلبة المحظرة الشّنقيطية في العُطل الأسبوعية القيام بزيارات للأسر المجاورة، لأخذ قسط من الرّاحة، وتجديد نشاطهم، وعلى هذه الأسر القيام بواجب الضّيافة، والإكرام دون منّ. وكان من شأن امرأة حسنية^(٤) أنّها أضافت فِتيّة من طلبة العلم يوماً من الأيام، فقدّمت لهم لبناً، فشرّبوا، فقال أحدهم، معلّقاً، حاكياً قول ابن مالك في الخلاصة: (واُمْنَعُ هنا إقاع ذاتِ الطّلبِ)، مُلمّحاً بذلك إلى أنّ اللّبن ممزوج بالماء، مُشيراً إلى ما يرمي إليه ابن مالك من أنّ الجملة الطّلبة يمتنع وقوعها صفةً للنكرة، وإن جاء ما ظاهره ذلك فإنّه يُخرّج على إضمار القول. كما في بيت الألفية، الذي استدللّ الطّالب بشرطه الأوّل^(٥):

واُمْنَعُ هنا إقاعَ ذاتِ الطّلبِ وإنّ أتتْ فالقول أضمرْ تُصِبِ.

وشاهد المسألة عند التّحويين قول الشّاعر^(٦):

حتّى إذا جنّ الظّلامُ واختلط جاؤوا بِمدقٍ هل رأيت الذّيبَ قطّ.
والمدقُ هنا: اللّبن الممزوج بالماء. أي جاؤوني بِمدقٍ مَقولٍ فيه هل رأيت الذّيبَ

١- لم أقف على اسمه.

٢- لم أقف على اسمه.

٣- الوسيط، ص ١٩٠، ١٩١.

٤- لم أقف على ترجمة المرأة، ولا القاضي.

٥- رقم ٧، من باب التّع.

٦- هذا بيت من الرّجز مجهول القائل، وقيل منسوب للعجاج. ورد ذكره في معني اللّبيب، ص ٢٤٧، الشّاهد رقم ٤٤٧.

تراجع حاشية المحقّق، رقم ٤. وهو من شواهد ابن عقيل، ج ٣، ص ١٧١، وتقريب الطّرة، ج ٢، ص ٤٩١.

قَطُّ^(١). بمعنى أَتَوْنِي بَلْبَنٍ مَزْجٍ بَاءٌ كَثِيرٌ، حَتَّى قَلَّ بِيَاضُهُ، وَصَارَ لَوْنُهُ يُشْبِهُ لَوْنَ الذُّئْبِ. وهذا المعنى هو مَا قَصَدَ الطَّالِبُ، فَرَدَّتْ عَلَيْهِ السَّيِّدَةُ الْمُضِيْفَةُ بِبِدْيَةٍ حَاضِرَةٍ : «ليس الأمر كما تظنُّ، وإنَّما هو رِسْلٌ خُلَيْفَاتٍ هذا يومها من الشُّرْبِ، ولم تصدر من المعاطن إلاَّ قبل قليل، فخرج الفتى من قولته، ومن اتَّهامه الكاذب لِرَبَّةِ المنزل أَنَّهَا مَذَقَتْ لَهُم الحليب، كما فوجئَ بِأَنَّهَا أدركت ما يُريد أن يُخفيه عليها بِإِنْشاده لِبَيْت الخلاصة، مُشيراً إلى شاهد البيت المعروف»^(٢).

وهي إجابة طريفة، تفيد ذكاء هذه السيِّدة، ومستواها العلميِّ الرِّفيع في النَّحو والأدب.

المبحث الثالث : ظاهرة الاستدراكات النحوية

كان للعلماء والدارسين الشَّنْقِيطِيَّين وَلَعَّ كبير بالاستراكات النحوية، في بحوثهم ومناقشاتهم، حيث استدركوا على بعض النحويِّين من غير الشَّنْقِيطِيَّين، كما استدرك بعضهم على بعض. وكانت صدورهم رَحْبَةً، مَتَّسَعَةً (مع طَبْعهم الحادِّ في النقاش) لقبول الاعتراضات والنقد؛ لأنَّ الوصول إلى الحقيقة كان ضالَّتْهم المنشودة، التي هَانَ في سبيلها كُلُّ غالٍ ونفيس لديهم. يقول حُرْمَةُ ولد عبد الجليل (ت ١٢٤٣هـ) :

ما في الجدال من التَّكْذِيبِ مُغْتَفَرٌ شَأْنُ الْمُجَادِلِ تَأْنِيبٌ وَتَكْذِيبٌ
رُكْنُ الْمَوَدَّةِ مِنَّا لَا تُزَعِزُهُ عَوَاصِفُ الْقَوْلِ تَكْذِيبٌ وَتَأْنِيبٌ^(٣).
وفيما يلي إلقاء الضَّوء على ذلك :

أولاً : استدراك النَّحاة الشَّنْقِيطِيَّين على غيرهم :

١ - من أهمِّ كُتُب أحمد بن الأمين الشَّنْقِيطِيَّ (ت ١٣٣١هـ) شرح وضعه على كتاب السيوطي (ت ٩١١هـ) في النَّحو : (هَمْعُ الْهَوَامِعِ على جَمْعِ الْجَوَامِعِ)، سَمَاهُ (الدَّرَرُ اللَّوَامِعِ على هَمْعِ الْهَوَامِعِ)^(٤). ويظهر جلياً إعجاب ابن الأمين بعمل السيوطي في الهَمْعِ، ومع ذلك فكانت له بعضُ الاستدراكات والملاحظات عليه، منها مثلاً :

١ - المصدر والصفحة نفسها.

٢ - تاريخ النَّحو العربي، ص ٤٤٦.

٣ - بحث : (النَّحو في النَّوَادِي الشَّنْقِيطِيَّةِ)، ص ١٧٠. عن ديوان الشاعر، ص ٦٧.

٤ - الدَّرَرُ اللَّوَامِعِ، ج ١، ص ٦٩.

- استدَلَّ السيوطي على جواز إضافة (كل) في حالة التوكيد بها، إلى الأسماء الظاهرة المماثلة للمؤكد، بقول الشاعر^(١) :

أَنْتَ الْجَوَادُ الَّذِي تُرْجَى نَوَافِلُهُ وَأَبْعَدُ النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ مِنْ عَارٍ
فاعترض عليه ابن الأمين، موضحاً أنَّ (كلًا) عند النحويين لا يُؤكَّد بها إلا إذا كانت مضافة إلى ضمير المؤكَّد، أمَّا في هذا البيت فلا حُجَّة فيها؛ لأنَّها نعت، وليست بتوكيد؛ لذلك أضيفت إلى الاسم الظاهر^(٢). وما ذكره السيوطي حقيقةً مذكور في كُتب بعض النحويين، يقول ابن بونا في طُرَّته : «وقد يُستغنى بمثل الظاهر المؤكَّد بكل عن الإضافة إلى ضميره، وخُرج عليه قوله ..»^(٣).
وذكر الشاهد محل الاستدلال.

ويقول ابن هشام في مغنيهِ : «وتجب إضافتها إلى اسم مضمَر، راجع إلى المؤكَّد .. قال ابن مالك : وقد يخلُفه الظاهر، كقوله^(٤) :

كَمْ قَدْ ذَكَرْتُكَ لَوْ أَجَزَى بِذَكَرِكُمْ يَا أَشْبَهَ النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ بِالْقَمَرِ.
وخالفه أبو حيان^(٥) وزعم أنَّ (كل) في البيت نعتٌ .. وليست بتوكيداً. وليس قوله بشيء؛ لأنَّ التي يُنعت بها دالَّة على الكمال، لا على عموم الأفراد»^(٦).

فما ذكره السيوطي في الشاهد هو اختيار ابن مالك، وابن هشام، أمَّا ما رآه ابن الأمين صواباً فهو اختيار أبي حيان النحوي.

٢- استدَلَّ السيوطي^(٧) بيت امرئ القيس^(٨) :

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بَسْقَطِ اللَّوَى يَبْنَ الدَّخُولِ فَحَوْملِ.

١ - الفرزدق، البيت في ديوانه، ص ٢٨٦. نقلاً عن حاشية صاحب تقريب الطُّرَّة، رقم ٦، من ص ٤٩٩.

٢ - تاريخ النحو، ص ٥٢٧.

٣ - ج ٢، ص ٤٩٩.

٤ - الشاعر كثير عزة، في ديوانه، ج ٢، ص ١٩٦. نقلاً عن حاشية محقق مغني اللبيب : مازن المبارك، رقم ٤، من ص ١٩٨.

٥ - النحوي الأندلسي، المتوفى ٧٥٤هـ.

٦ - ص ١٩٨.

٧ - تاريخ النحو، ص ٥٢٨. نقلاً عن الدرر اللوامع، ج ٢، ص ١٧٠.

٨ - وهو مطلع قصيدته المشهورة. يراجع شرح الزُّوزني للمعلقات السبع، ص ٧.

على أن الفاء قد ترد بمعنى (إلى). يقصد : ما بين الدخول إلى حَوْمَلِ !!

وذكر ابن الأمين أن السيوطي استدلل أيضاً بقول الشاعر :

يا أَحْسَنَ النَّاسِ ما قَرَنَّا إلى قَدَمٍ ولا حَبَّالٍ مُحِبٍّ واصلٍ تَصِلُ^(١).

على عكس ما ذَكَرَ في البيت السابق. ثم قال مُستدرِكاً عليه : «والأصل ما بين قَرْنٍ، فحذف (يُنْ) وأقام (قَرْنًا) مقامها. هذه عبارة المغني. ومنه تعلم أن في الهمع سَقَطًا، والأصل ما بين قَرْنٍ إلى قَدَمٍ»^(٢).

يقصد ابن الأمين باستدراكه هذا على السيوطي أنه لم يُحَقِّقَ جيِّداً مضمونَ كلام ابن هشام في المغني أثناء تلخيصه إيَّاه. وفي الحقيقة بالعودة إلى كلام المغني الذي قام السيوطي بتلخيصه نجد شيئاً مما أراد ابن الأمين استدراكه. حيث يقول ابن هشام : «وقيل : تقع الفاء تارةً بمعنى ثم... وتارةً بمعنى الواو، كقوله : (بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ)... وقال بعض البغداديين : الأصل (مايُنْ) فحذف (ما) دون (يُنْ)، كما عكس ذلك مَنْ قال : (يا أَحْسَنَ النَّاسِ ما قَرَنَّا إلى قَدَمٍ)، أصله (ما يُنْ قَرْنٍ)، فحذف (يُنْ)، وأقام (قَرْنًا) مقامها»^(٣).

فكلام ابن هشام هنا، الذي قام السيوطي بتلخيصه لا يوجد فيه ورود للفاء بمعنى (إلى) في بيت امرئ القيس. ومع أن استدراك ابن الأمين هنا كان مُقتَضِباً، إلا أن نصَّ ابن هشام بتمامه كما رأينا يوضح ذلك. ومع هذه الاستدراكات فإن ابن الأمين يبقى مُجِلًّا لجهود الإمام السيوطي، كما يقول الدكتور المختار بن أباه : «ويبرز كتاب الدُرر اللوامع في طليعة الكتب التي جمعت بين اللغة والنحو والأدب، مُظهِراً لما لمؤلفه من قَدَمٍ راسخة في هذه العلوم، ومن عناية وتقدير لجهود الإمام السيوطي في خدمة اللغة العربية»^(٤).

٣- ذَكَرَ النحويون من معاني لام الجرِّ الزيادة لإفادة التوكيد، فتأتي معترضةً بين الفعل المتعدي ومفعوله. فاستدلَّ ابن هشام في المغني^(٥) لذلك بقول الشاعر^(٦) :

١- ورد ذكره في مغني اللبيب، ص ١٦٧، رقم ٢٩٢.

٢- الدُرر اللوامع، ج ٢، ص ١٧٠. نقلاً عن تاريخ النحو، ص ٥٢٨.

٣- ص ١٦٨.

٤- تاريخ النحو، ص ٥٢٨.

٥- ص ٢١٩.

٦- هو ابن ميادة (الزَّماح بن أبرد)، يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك. تراجع حاشية الأمير على المغني، ج ١، ص ١٨٠.

وَمَلَكْتَ مَا بَيْنَ الْعِرَاقِ وَيَثْرِبَ مُلْكًا أَجَارَ لِمُسْلِمٍ وَمُعَاهِدٍ.
فَبَنِيهِ^(١) الشَّيْخَ الشَّنْقِيطِيَّ الدَّنْبَجَةَ بْنَ مُعَاوِيَةَ التَّنْدَغِيَّ^(٢) إِلَى أَنَّ مَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ اللَّامُ
هنا ليس هو المفعول به، بل المفعول به مذكور في البيت الموالي للسابق، وهو :
مَا لَيْتُهُمَا وَدَمَيْتُهُمَا مِنْ بَعْدِ مَا غَشِيَ الضَّعِيفَ حُسَامُ سَيْفِ الْمَارِدِ^(٣).
وهو استدراك واضح لم يلاحظه مَنْ ذَكَرَ الْبَيْتَ الثَّانِي مِنْ شُرَاحِ الْمَغْنِيِّ^(٤)، فَأَحْرَى مَنْ
اقتصر على البيت الأول، فشيوخ النحويين ببلاد شنقيط المختار بن بونا على جلالته قدره
لم يتبته لذلك أيضاً في طُرَتِهِ^(٥). ولعلَّ مَنْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا مِنَ النُّحَوِيِّينَ يَرِيدُ أَنَّ مَا دَخَلَتْ
عَلَيْهِ اللَّامُ مَفْعُولٌ ثَانٍ عُذِّي إِلَيْهِ الْفِعْلُ بِحَرْفِ الْجَرِّ، وَالْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ الْوَاقِعُ فِي الْبَيْتِ
الثَّانِي وَاضِحٌ لَا يَحْتَاجُ لِلْوُقُوفِ عِنْدَهُ. وَعَلَيْهِ فَلَا وَجْهَ لاسْتِدْرَاكِ الشَّنْقِيطِيِّ.
وقد علّق الأستاذ محمد بن بُتَارَ تعليقاً معبراً عن بعض أوهام النحويين قائلاً : «وهذه
ظاهرة ملحوظة في تعامل النحاة مع الشواهد الشعرية، إذ يقتصرون على البيت المقصود
للاستشهاد، ولا يعتبرون ما معه من أبيات، وهو ما قد يؤدي إلى مثل هذه الغفلات،
فمن ذلك إنشادهم في باب الترخيم قول الشاعر^(٦) :
يَا أَرْطُ إِنَّكَ فَاعِلٌ مَا قُلْتَهُ وَالْمَرْءُ يَسْتَحْيِي إِذَا لَمْ يَصْدُقِ.
بَلَفْظَ (إِنَّ) النَّاسِخَةَ، مَعَ كَافِ الْخُطَابِ. وَالرَّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ : (إِنْ تَكُ) ب (إِنْ)
الشرطية، ومضارع (كان)، وجواب الشرط قوله في البيت الموالي^(٧) :
فَاعِلٌ كَمَا فَعَلَ ابْنُ دَارَةَ سَالِمٌ ثُمَّ امْشِ هَوْنَكَ سَادِرًا لَا تَتَّقِ^(٨).

١ - بحث : (التحو في النوادي الشنقيطية)، ص ١٦٨.

٢ - لم أقف على من ترجم له.

٣ - ورد ذكره في حاشية الأمير على المغني، ج ١، ص ١٨٠.

٤ - كالشيخ محمد الأمير مثلاً في حاشيته عليه، ج ١، ص ١٨٠.

٥ - ج ١، ص ٣٧٥.

٦ - ورد ذكره في طُرَةِ ابْنِ بُونَا مَعَ التَّقْرِيبِ، ج ٢، ص ٥٦٥، فِي الْبَابِ نَفْسِهِ. وَهُوَ لَزِمِيلُ بِنِ الْحَارِثِ، مِنْ قَصِيدَةٍ يُخَاطَبُ فِيهَا أَرْطَاةُ بِنِ سَهِيلٍ. وَأَرْطَاةُ فِي الْبَيْتِ مَرْتَحِمٌ، حَذَفَتْ مِنْهُ التَّاءُ، ثُمَّ الْأَلْفُ. وَهُوَ شَيْءٌ جَائِزٌ عِنْدَ سَبْيُوهِ فِيهِمَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ. يَرِاجِعُ الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ، ص ٥٦٤، مَعَ حَاشِيَةِ الْمُحَقِّقِ، رَقْم ١، مِنْ ص ٥٦٥.

٧ - الْأَغَانِي، ج ١٨، ص ٣٨.

٨ - بحث : (النحو في النوادي الشنقيطية)، مصدر سابق، ص ١٦٩.

وهي حقيقة ملحوظة في محلّها. بيد أنّه إذا صحّ هذا الاستدراك فلا وجه لإبقاء (فاعل) مرفوعاً، بل يجب نصبه على أنّه خبر (كان)، وهذا ما لم ينبّه إليه المستدرك.

٤- سأل أحد العلماء^(١) الشاعر أبا الطيّب المتنبي (ت ٣٥٤هـ) عن عدد الجموع التي وردت على وزن (فَعْلَى) بكسر فسكون، فأجابه على البديهة: (ظَرْبَى وَحِجْلَى)، فقال ذلك العالم: ففتشت الكتب ثلاث ليالٍ فلم أقف على غيرهما. فقال الجُدود عبد الوهّاب بن أكتوشن العلوي الشنقيطي (ت ١٢٨٩هـ): إنّهُ وجد ثالثاً لهما على هذا الوزن، وهو (مِعْزَى)، فقال ناظماً:

وثالثُ اللَّفْظَيْنِ لَفْظٌ يُعْزَى إِلَى الدِّمَاْمِينِ^(٢) وَهُوَ مِعْزَى.
وهو مذكور في الشعر العربي، قال سيويه: «وزعموا أنّ ناساً يذكرون (مِعْزَى) ... يقولون:

وَمِعْزَى هَـدِيباً يَعْـلُو قِرَانَ الْأَرْضِ سُودَانَا^(٣).
ومنه أيضاً ما أورده امرؤ القيس^(٤):
أَلَا إِلَّا تَكُنْ إِبِلٌ فَمِعْزَى كَأَنَّ قُرُونِ جِلَّتِهَا الْعِصْيَى.
وقول آخر^(٥):

بِتْنَا بِحَسَّانٍ^(٦) وَمِعْزَاهُ تَئِطُ مَا زِلْتُ أَسْعَى بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبِطُ
حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَاخْتَلَطُ جَاؤُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّيبَ قَطُ.
٥- حظيت ألفتية ابن مالك بإجلال كبير من العلماء والدارسين الشنقيطين، فكانت استدراكاتهم على أبياتهما، وملحوظاتهم عليها، في شكل إكمالٍ وتثمينٍ لما رآوه من

١- في هذه المسألة الوسيط، ص ٨٢. ولم أقف على اسم هذا العالم.

٢- بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر، المعروف بابن الدماميني (ت ٨٢٧هـ).

٣- الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ج ٣، ص ٢١٩. وهذا البيت في الكتاب، ولسان العرب، مادة (قَرَن) دون عزو.

٤- الكتاب، ج ٣، ص ٢١٩. هذا البيت مطلع خمسة أبيات قالها الشاعر في وصف المِعْزَى. ورد ذكرها في مختار الشعر الجاهلي، ج ١، ص ١٠٦.

٥- هذا الرّجز مجهول القائل، وقيل منسوب للعجاج. وقد ورد ذكر البيت الثاني في المراجع النحوية، في باب التّع. منها مثلاً مُغْنِي اللَّيْب، ص ٢٤٧، الشّاهد رقم ٤٤٧. تراجع حاشية المحقق، رقم ٤. وشرح ابن عقيل، ج ٣، ص ١٧١. تحقيق يوسف الشّيش، وتقريب الطّرة، ج ٢، ص ٤٩١.

٦- اسم قرية.

نقص. من ذلك مثلاً :

- قال ابن مالك في مستهل باب الإشارة :

بِذَا لِمَفْرَدٍ مَذْكُورٍ أَشْرُ بِذِي وَذِهِ تِي تَا عَلَى الْأُنْثَى اقْتَصِرَ .
فقال أحمد بن كدّاه الكمليلي (ت ١٣٣٧ هـ) مُتَمِّمًا :

أَشْرُ بِـذِي ذَاتُ وَذِهِ وَبِـذِهِ وَذِهِ تِي تَا تِهِ تِهِ وَبِـتِهِ
لِمُفْرَدٍ مَوْثٍ وَأَشْرٍ بِذَائِهِ وَذَاءٍ لِّلْمَذْكُورِ
وَذَاوُهُ وَذَا وَكُلُّ قَدْ قُرِي فِي (ذَاوُهُ الدَّفْتَرُ خَيْرٌ دَفْتَرٍ) ^(١) .

- قال ابن مالك في باب الأسماء الموصولة ^(٢) :

أَيُّ كَمَا وَأُعْرِبْتُ مَالَمْ تُضَفْ وَصَدْرُ وَضَلَّهَا ضَمِيرٌ انْحَذَفَ .
فقال أحدهم ^(٣) ، مُعَدِّلًا :

أَيُّ كَمَا وَبَيِّتُ مَتَى تُضَفْ وَصَدْرُ وَضَلَّهَا ضَمِيرٌ انْحَذَفَ .
وكان التعديل فعلاً أسهل على غير المتخصّصين .

- يقول ابن مالك في موضوع إعمال (الْقَوْلِ) عَمَلَ (ظَنَّ وَأَخَوَاتِهَا) ، في ختام بابها :

بِغَيْرِ ظَرْفٍ أَوْ كَظَرْفٍ أَوْ عَمَلٍ وَإِنْ يَبْغِضُ ذِي فَصَلَتْ يُحْتَمَلُ
وَأَجْرِي الْقَوْلِ كَظَنْ مُطْلَقًا عِنْدَ سُلَيْمٍ نَحْوُ : قُلْ ذَا مُشْفِقًا .
فقال أحدهم ^(٤) ، مستدركًا :

بِغَيْرِ ظَرْفٍ أَوْ كَظَرْفٍ أَوْ عَمَلٍ وَمَنْ حَكَى مَعَ الشَّرْطِ يُحْتَمَلُ
نَعَمْ وَلَا تُلْغَ وَلَا تُعْلَقَا وَكُلُّ قَيْدٍ عَنْ سُلَيْمٍ أُطْلِقَا .

- يقول ابن مالك في باب النَّائِبِ عن الفاعل :

وَالثَّانِي التَّالِي تَا الْمُطَاوَعَهُ كَالأَوَّلِ اجْعَلْهُ بِلَا مُنَازَعَةٍ .

١ - أنظام الطّرة في الفوائد النحوية، ص ٣٨ .

٢ - البيت رقم ١٢ .

٣ - لم أفق على اسمه . تراجع أنظام الطّرة في الفوائد النحوية، ص ٤٦ .

٤ - لم أفق على اسمه . تراجع أنظام الطّرة في الفوائد النحوية، ص ٨٣ .

فقال أحدهم^(١)، مُستدرَكًا :

والثاني التالي تَا الزيادة كالأول اجعل إن تكن مُغتادة.

- قال ابن مالك في باب الاشتغال :

وإن تلا المعطوف فعلاً مُخبراً به عن اسم فاعطفن مُخبراً.

فقال أحدهم^(٢)، مُستدرَكًا :

وإن تلا العطف وشبهه الخبر فعلاً بلا فضّل تردّد النظر.

- قال ابن مالك في باب الاشتغال :

والرفع في غير الذي مرّ رجح فما أبيع أفعل ودع ما لم يُبح.

فقال المختار ابن بونا (ت ١٢٢٠ / ١٢٣٠ هـ)، مُستدرَكًا^(٣) :

والرفع في غير الذي مرّ رجح وليعط مرفوعاً كما قد اتّضح.

- قال ابن مالك في مُستهلّ باب الحال :

الحال وصف فضلة مُتصّب مُفهم في حال كُفرداً أذهب.

فرأى سيدي بن المختار العاقلّي (ت ١٣٦٢ هـ) أنّ ابن مالك قام في هذا البيت بذكر حُكم الحال في قوله: (مُتصّب) قبل إنهاء الحدّ (التعريف)، وهو شيء حسب ما يرى سيدي!! مخالف لما هو ثابت ومُقرّر عند المناطقة من ضرورة أسبقية الحدّ على الحُكم، وذلك انطلاقاً من قاعدتهم (الحُكم على الشيء فرعٌ عن تصوّره)^(٤). فقال سيدي مُعترضاً :

وعندهم من جملة المردود أن تدخّل الأحكام في الحدود^(٥)

مع جعلها منها لدورٍ لازم إلا فلا كمثال قول الناظم :

١- لم أقف على اسمه. يراجع أنظام الطّرة في الفوائد النّحوية، ص ٨٨.

٢- لم أقف على اسمه. يراجع أنظام الطّرة في الفوائد النّحوية، ص ٩١.

٣- الألفية وأثرها، ص ٣٦.

٤- محمّد محفوظ بن الشّيوخ بن فُحّفو، رفع الأعلام على سلّم الأخضرى، وتوشيح عبد السلام في علّم المنطق، بآخره المقولات العشر. ص ٣١، ٦٨.

٥- هذا البيت من سلّم الأخضرى في علّم المنطق. يراجع المصدر السابق، ص ٦٦.

الحالَ وَصَفَ فَضْلَةً مُتَّصِبٌ مُفْهِمٌ فِي حَالٍ كَفَرَدًا أَذْهَبُ^(١).

وهو استدراك حسب رأيي، رُبَّما يكون مقبولا إذا كان على الجانب المنهجي فقط؛ لأنَّ النَّحو العربي نشأ نشأةً عربية خالصةً في رحاب القرآن العظيم، وترعرع في أحضانه من أجل خدمته والدِّفاع عنه، دون تأثُّر يُذكر بالمنطق. وعليه فليس من المناسب إقحام مفاهيم المنطق، وأحكامه في البحوث النَّحوية؛ لأنَّه لا تأثير له عليه، ولا سلطان، يُذكر.

ثانياً: استدراك النَّحاة الشنقيطيين على بعضهم :

١ - قال محمد محمود بن التلاميذ (ت ١٣٢٢هـ) ^(٢) :

لَطِيفَةُ طَيِّ الكَشْحِ خَمَصَانَةُ الحِشَا رَوادِفُهَا مَلَأَى مِنَ اللَّحْمِ وَالشَّحْمِ.

فاعترض أحمد بن الأمين (١٣٣١هـ) على إخباره بالمفرد (ملأى) عن المبتدأ (روادف)، وهى جمع، وذلك شيء حسب ما يرى لا يجوز، إلا إذا كان المفرد المخبر به على وزن (فعليل)، كما في قوله : [وَالْمَلَأَيْكَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهيراً] {٤، التحريم}. وفي الحقيقة أسلوب ابن التلاميذ متكى على أسلوب قرآني فصيح، لا غبار عليه.

يقول الأستاذ محمد بن بُتَّار: «والحق في هذا مع الشيخ محمد محمود؛ لأنَّ جمع الكثرة يُخبر عنه بالواحد المؤنث، بل هو أولى من المطابقة... والعجب من الشيخ الشنقيطي كيف يُنكر (روادِفُهَا ملأى)، [وَلَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى] {النجم : ١٨} ^(٣).

فلله در ابن بُتَّار، ما أبدعه من تعقيب، وما أطرفه، وأظرفه. ومنه أيضاً قوله تعالى: [وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى] [الأعراف : ١٨٠]. وإن كان جمع قلة. وقوله تعالى : [وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى] {١٨، طه}، وقوله : [لِتُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى] {٢٣، طه}. والوصف والخبر في هذا سواء. يقول العكبري في إعراب آيتي طه هاتين :

«و(أُخْرَى) على تأنيث الجمع، ولو قال (أُخَر) لكان على اللفظ... و(الْكُبْرَى) صفة ل(آيات)، وحكمها حكم (مَآرِب)، ولو قال (الْكُبْرَى) لجاز»^(٤).

١ - الألفية وأثرها، ص ٣٦.

٢ - الوسيط، ص ٣٨٣.

٣ - بحث (النحو في النوادي الشنقيطية)، ص ١٧٣.

٤ - التبيان في إعراب القرآن، ج ٢، ص ٨٨٨، ٨٨٩.

يقصد : لجاز في الأساليب التعبيرية، خارج القرآن العظيم. ويقول أبو حيان النحوي: «وتكون (الكبرى) صفة لآياتنا على حدّ (الأسماء الحُسنى)، و(مَارَبُ أُخْرَى)، يجران مثل هذا الجمع تجرى الواحدة المؤنثة»^(١).

٢- قال أيضاً محمد محمود بن التلاميذ (ت ١٣٢٢هـ) :

يَا عَجْمَ بَرْزَنْجٍ^(٢) أَذَيْتُمْ أَبَا حَسَنِ إِذَا أَبِي الْجَهْلَ عَمَرُوا أَوْ أَبِي هَبٍ.
فاستدرك عليه أحمد بن الأمين (ت ١٣٣١هـ) إدخال (أل) على (أبي جهل)؛ لأنه عَلِمَ. إذ قال : « إِنَّ أَبَا جَهْلٍ فِي الْأَصْلِ لَقَبٌ لِعَمْرٍو بْنِ هِشَامٍ، فَصَارَ عَلِماً لَهُ، وَلَمْحِ الْأَصْلُ فِي الْأَعْلَامِ، كَالْعَبَّاسِ وَالْحَارِثِ وَالْفَضْلِ بَابِهِ السَّمْعُ »^(٣).

ومن الممكن أن يجاب عن ابن التلاميذ بأنه استأنف لأبي جهل لقباً جديداً من نفسه، كما استأنف له اللقب الأول حين وقف في وجه الدعوة الإسلامية^(٤). وقد كثر استعمال (عبد الله بن عباس)، و(عبد الله بن العباس)، بأل، وبدون أل، وقيل : قضية ولا أبا حسن لها)، وكنية علي رضي الله عنه (أبو الحسن).

٣- يقول الأحوال عبد الله الشاعر الحسني (ت ١٢٥٠هـ)، واصفاً خيالاً :

أَهْلًا بِهِ مِنْ مُلِمٍّ صَوْبَنَا قَذَفَتْ بِيَدًا لِبَيْدٍ وَأَصْحَارًا لِأَصْحَارِ.
فاستدرك عليه أحمد بن الأمين (ت ١٣٣١هـ) بجمعه (صحراء) على (أصحار). فقال: « فَإِنَّ صَحْرَاءَ لَا تُجْمَعُ عَلَى أَصْحَارٍ، وَإِنَّمَا تُجْمَعُ عَلَى صَحْرَاوَاتٍ، وَعَلَى صَحَارَى، وَصَحَارِي. وَإِنَّمَا اغْتَرَبْتُ بَيْتَ الْأَنْصَارِيِّ^(٥) :

مَنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ حَوْجَاءٌ يَطْلُبُهَا مِنِّْي فَإِنِّي لَهُ رَهْنٌ بِأَصْحَارِ.
فإنَّ (إصحار) هنا مكسور الهمزة، مصدر (أصحر)، أي برز إلى الصّحراء»^(٦).

١- البحر المحيط، ج ٧، ص ٣٢٥، ٣٢٦.

٢- يُشير إلى السيّد أحمد البرزنجي، الذي كان مُعاصراً لابن التلاميذ في القاهرة، وكان ابن التلاميذ يُسَنَّع عليه في بعض الأمور. يُراجع الوسيط، ص ٣٨٢.

٣- الوسيط، ص ٣٩٠.

٤- كنية أطلقها عليه الوليد بن المغيرة، وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ظهور الإسلام. يُراجع الموقع : www.Wiki/Ar.wikipedia.org

٥- هو قيس بن رفاعة. يُراجع لسان العرب، مادّة (حوج).

٦- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص ٣٠٥.

٤- قال الشاعر اللّغويّ الكبير محمّد بن الطُّلُبَة اليعقوبي (ت ١٢٧٢هـ) في مطلع قصيدته العينية ^(١) :

عَلَامُ الْأَسَى إِن لَمْ نُلَمَّ وَنَجَزَعْ وَنَبْكَ عَلَى أَطْلَالِ رَأْسِ الذَّرِيعِ.
فاعترض مَحْنَضُ بابا بن اَعْبِيدِ الدِّيَّانِي (ت ١٢٧٧هـ) على قوله: (عَلَامُ الْأَسَى)، بدعوى أَنَّ (ما) الاستفهامية المجرورة لا تدخل إِلَّا على الفعل. والحق ^(٢) في هذا مع الشاعر، فهذا الأسلوب، وإن كان قليلاً جائز، فصيح، وله ما يشهد له من لسان العرب. من ذلك مثلاً قوله تعالى: [فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِيهَا] {٤٣}، والنّازعات}. وقد ذكر ابن هشام هذه الآية عند حديثه عن (ما) الاستفهامية ^(٣). ومنه أيضاً قول المتنبي ^(٤) :

إِلَامَ طَمَاعِيَّةِ الْعِزِّ وَلَا رَأْيِي فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ.
وقول الكُميت ^(٥) :

وَتِلْكَ وُلاةُ السَّوِّءِ قَدْ طَالَ مُكُثُّهُمْ فَحَتَّامَ حَتَّامِ الْعَنَاءِ الْمُطَوَّلِ.
وقول آخر ^(٦) :

عَلَامَ قَتْلِ مُسْلِمٍ تَعَمَّداً مُذْ سَنَةً وَخَمْسُونَ عَدَداً.
وقول بعض الأعراب ^(٧) في ذمّ سؤال النَّاسِ :

عَلَامَ سُؤْلِ النَّاسِ وَالرَّزْقِ وَاسِعٌ وَأَنْتَ صَحِيحٌ لَمْ تَحْنُكَ الْأَصَابِعُ.

١- ديوان الشاعر، تحقيق محمد عبد الله بن الشيباني بن أبوه، ص ٢٤٦.

٢- بحث: (التَّحْوِ فِي التَّوَادِي السَّنْقِيَّةِ)، ص ١٧٠، ١٧١.

٣- مغني اللبيب، تحقيق مازن المبارك، دار الفكر، ص ٢٩٥.

٤- مطلع قصيدة طويلة، يمدح فيها سيف الدولة. يراجع ديوان الشاعر، ج ٢، ص ٧٣٧.

٥- الكُميت بن زيد الأسدي. والبيت في قصيدة طويلة من السبع الهاشميات. يُراجع مغني اللبيب، بحاشية الأمير، ج ٢، ص ٣.

٦- ورد ذكر هذا البيت في لسان العرب، مادة (خمس) دون نسبة. وقد استدلّ به صاحب اللسان على جواز كسر ميم (خمسون).

٧- هكذا وَرَدَ دون تسمية القائل في الاستذكار لابن عبد البر أبي عمر يوسف بن عبد الله التّمري القرطبي، تعليق سالم محمد عَطَا، ومحمد علي معوّض. ج ٨، ص ٦١١.

٥- كان بُلاً بن مَكْبَد بن أبي الفاضل الشَّقْرَوِيّ (ت ١٢٧٣هـ) يوماً يشرح درساً في باب الاستثناء، فلما مرَّ بيت المختار بن بونا (ت ١٢٢٠هـ) من الاحرار^(١) :
وكلُّ ما استثنَيْني مَهْمَا يُجْعَلُ مِنْ بَيْنِ شَيْئَيْنِ فالأوَّلَى الأوَّلُ.
قال : «هذا البيت أنا الذي نظمته للشَّيْخ»، (يقصد أستاذه ابن بونا) فقال له عبد
الودود بن عبد الله بن انجَبَنَّان الحَبِيلِيّ (ت ١٢٦٥هـ)، وهو مَن أخذوا عن بُلاً، معترضاً:
« فَلِمَ لمْ تقلْ إذنْ : مَهْمَا يُجْعَلُ بالجزم »؟^(٢).
وقد ورد رفع المضارع بعد (مهما) في بيت آخر من احرار ابن بونا في باب الحال،
وهو قوله^(٣) :

وليسَ للجملةِ مَهْمَا تُكْتَشَفُ بها الحقيقةُ محلٌّ يُعْرَفُ^(٤).

٦- مرَّ أَبَدَ مُحَمَّد بن محمود العلويّ (ت ١٣٢٩هـ) يوماً على طُلاب محظرة الحسين بن
الأمانة الجكني^(٥)، فأحسَّ منهم سلوكاً غير مؤدَّب، فقال : «أوَّل ما ستقرؤون
الأدب». فبادروه قائلين : (الأدب) بالنَّصب، فأكمل قائلاً : «ولم يكنْ ذا أدبٍ
مَنْ يَنْصِبُ»^(٦).

والحقُّ في هذا مع العلوي، حيثُ الرَّفْعُ هو الأكثر والأفصح، على أن يكون خبر
مبتدأ، هو: (أوَّل)، وتكون (ما) موصولة، أي : أوَّل الذي ستقرؤونه الأدب، مع جواز
النَّصب فيه، وفي مثله من الأساليب^(٧) على جعل (ما) مصدرية، وحذف الخبر، ونصب
(الأدب) بالمصدر المؤوَّل، أي : أوَّل قراءتكم الأدب موجودٌ أو معروفٌ. مع التنبيه
إلى أنَّ تقدير النصب في (الأدب) يَبْغِدُ فيما أرى، إذ لو كانت أوَّلِيَّة قراءتهم الأدب
موجودة، أو معروفةً لديهم لما صدر منهم ما صدر من سوء الأدب.

١- هو البيت الحادي عشر من احرار باب الاستثناء.

٢- بحث (التحو في التوادي الشَّنْقِيطِيَّة)، ص ١٧١.

٣- وهو البيت الحادي عشر من احرار باب الحال.

٤- بحث (التحو في التوادي الشَّنْقِيطِيَّة)، ص ١٧٢.

٥- لم أقف على تاريخ وفاته.

٦- بحث (التحو في التوادي الشَّنْقِيطِيَّة)، ص ١٧٣، ١٧٤.

٧- هذا النوع من الأساليب في التحو الوافي، ج ١، ص ٥٠٧، فما بعدها.

وهذا الأسلوب معروف في لسان العرب، كما في قول ناهض بن ثومة الكلابي العباسي (ت ٢٢٠هـ) :

سَلَامُ اللَّهِ يَامَالِ بُلْبُلٍ زَيْدٍ عَلَيْكَ وَخَيْرٌ مَا أَهْدِي السَّلَامَ^(١).
بنصب (السلام). ومثله ما جاء في لسان العرب «وَاللَّطْعُ بِالتَّحْرِيكِ : بِيَاضٌ فِي بَاطِنِ الشَّفَةِ، وَأَكْثَرُ مَا يَعْتَرِي ذَلِكَ السُّودَانُ»^(٢).

بنصب (السودان). وقد علق ابن السيّد البَطْلَيْسِيُّ أبو محمّد عبد الله (ت ٥٢١هـ) في كتابه (الاعتضاب في شرح أدب الكتّاب) لابن قُتَيْبَةَ الدِّينُورِيِّ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ (ت ٢٧٦هـ) على نصب لفظ (السودان)، مرجحاً وجه الرفع، فقال : «وقع في النسخ (السودان) بالتّصّب، والوجه رفع (السودان) على خبر المبتدأ، والتّصّب بعيد، وليس يَصَحُّ إِلَّا عَلَى أَنْ يَكُونَ (أَكْثَرُ) مَبْتَدَأً، مَحْذُوفاً الْخَبَرَ، أَيْ : وَأَكْثَرُ اعْتِرَاءِ ذَلِكَ السُّودَانَ مَعْرُوفٌ، أَوْ مَوْجُودٌ»^(٣).

وأرى أنّ النصب في هذا أسهل من الأوّل، ولعلّه أبين من الرفع لقوّة المصدرية فيه، وضعف الموصولية، لاستعماله (ما) التي هي في الأكثر لغير العاقل، ولو أراد الموصولية لقال : (وَأَكْثَرُ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ)، بخلاف (أوّل ما ستقرؤون الأدب)، فإنّ الرفع فيه أبين جدّاً من النصب لقوّة الموصولية، كما أسلفت. وهو على كلّ حال قول من لا يُحْتَجُّ بكلامه في العربية، والتّصّب في (السودان) ربّما يكون وقع خطأ من النّاسخ.

ثالثاً : أُمْدُوسَةُ أَمْ مَذْهَبٌ ؟ : شاع استخدام مصطلح (مدرسة)، بمعنى ما يتمّ التميّز به من السمات والخصائص، عند بعض الباحثين الشناقطة في المجال النحويّ، من أمثال الدكتور محمد المختار بن أباه في كتابه : (تاريخ النّحو العربيّ في المشرق والمغرب)، والأسّاذ يحيى بن البراء في كتابه : (ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية). فمن عنوانات ابن أباه ببعض الحواضر العربية : (شيوخ مدرسة الكوفة، في طريق المدرسة المالكية، مدرسة ابن مالك النحوية، مدرسة ابن مالك في الزوايا المغربية).

١ - موسوعة الحديث على شبكة (إسلام ويب).

٢ - مادّة (لطع).

٣ - الاعتضاب في شرح أدب الكتّاب، ص ١٤٣، طبعة دار الجيل. ويُراجع بحث : (النّحو في التّوادي الشّنقيطية)، ص ١٧٤.

وببلاد شنقيط : (مدرسة ابن مالك في المحاضر الشنقيطية، خصائص المدرسة النحوية الشنقيطية، مدرسة ولادة النحوية... إلخ). وهكذا سرد العديد من عناوين كهذه.

ومن عناوين يحيى بن البراء : (المدرسة النصّية، المدرسة المتعمّقة)، وجعل تحتها مدارس عديدة، قائلاً : «إنّ المدارس التي ستتحدّث عنها في هذا الباب ليست بكلّ هذا الإطلاق والتعميم، وإنّما هي فقط تلك التي اشتهرت شهرة نحوية، وتميّزت شيئاً ما عن مثيلاتها في إنشاء البرامج النحوية، والتعامل مع نصوصه المعروفة والمعتمدة في البلاد»^(١).

وحسب ما فهمتُ فهو يقصد مجموعة السمات والخصائص مثل ابن أبّاه، أمّا إذا كان يعني بالمدرسة المؤسّسة التعليمية، التي يتلقّى فيها الطّلاب العلم (مثلاً فعل العلامة المختار بن حامدن الشنقيطي في كتابه : حياة موريتانيا الثقافية)، فلا إشكال ولا اعتراض، فقد عُرف في الثقافة العربية قديماً : المدرسة النظامية، والمدرسة المستنصرية، والمدرسة الصلاحية، وغيرها. أمّا إذا كان المقصود مجموعة السمات والخصائص فيكون من اللافت للانتباه أنّها لم يكتفيا بمدرسة واحدة على الأقلّ لبلاد شنقيط (كما فعل الدكتور شوقي ضيف وغيره ممّن حاولوا إعطاء كلّ قطر عربيّ تقريباً مدرسة نحوية)، بل جعلاً لكلّ عالم بارز من علمائها مدرسة نحوية!! وهذه مبالغة كبيرة حقيقةً، علماً بأنّ مصطلح (المدرسة النحوية) مصطلح ليس بالقديم في الثقافة العربية؛ لذلك فهو محلّ اختلاف كبير بين الباحثين المعاصرين، فمنهم ممّن أجازوه، ومنهم ممّن رفضه بشدّة، وجعله تقليداً أعمى، لا مُسوَّغ له، وأنّ المُستخدَم في التراث العربيّ هو مصطلح (المذهب). وفيما يلي تبيان ذلك :

أولاً- المُجيزون : أكثرَ بعضُ الباحثين المعاصرين من استخدام مصطلح (مدرسة نحوية)، وألّف بعضهم تحت هذا المصطلح، متوسّعين في ذلك، محاولين رَسَمَ معالم لهذه المدارس ببعض الدول، أو الحواضر العربية. من هؤلاء مثلاً الدكتور شوقي ضيف في كتابه (المدارس النحوية)^(٢)، والدكتورة خديجة الحديثي في كتابها (المدارس النحوية)^(٣)،

١ - ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية، ص ٨٩.

٢ - القاهرة : دار المعارف، الطبعة السابعة ١٩٦٨م.

٣ - الأردن، أريد : دار الأمل، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

والدكتور عبد العال سالم مكرم في كتابه (المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن الهجريين)^(١). فالدكتور شوقي ضيف مثلاً في تأليفه يتحدث عن خمس مدارس، هي: مدرسة بصرية، مدرسة كوفية، مدرسة بغدادية، مدرسة أندلسية، مدرسة مصرية. مستهلاً حديثه عنها بقوله: «ولعلّ هذه أوّل مرّة تُبحث فيها المدارس النحوية بحثاً جامعاً، وهو بحث يرسم في إجمال الجهود الخصب لكل مدرسة، وكل شخصيّة ناهية فيها»^(٢).

هكذا سار على هذا المنوال عند حديثه عن كلّ مدرسة، محاولاً إبراز بعض السمات والخصائص التي تميّز بها عن غيرها، مع إقراره بأنّ الأصول هي أصول بصرية، وأنّ للبصريّين فضل التاصيل والتفريع في مسائل النحو وقضاياها، وأنّ الجميع عالة عليهم في ذلك، بغضّ النظر عمّا أتى به اللاحقون من اختلاف في بعض الفروع، أو المصطلحات، أو بسط أو قبض في بعض الأصول. وهذا ما انطلق منه الرافضون لفكرة (مدارس نحوية).

ثانياً- الرافضون: الرافضون لفكرة (مدارس نحوية) في الثقافة العربية حاضرون أيضاً بقوة في الساحة الثقافية، من أبرزهم مثلاً الدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه (المدارس النحوية أسطورة وواقع)^(٣)، الذي يقول في مستهله:

هذا كتاب لطيف، موجز، كنت أهمّ منذ زمان بعيد أن أضعه؛ وذلك لأنّي رأيت المعاصرين قد غلوا في إطلاق مصطلح (المدرسة) في الكلام على الاختلاف بين البصريّين والكوفيّين. لقد بدا لي أنّ الاختلاف بين البصريّين والكوفيّين كالاختلاف بين بصريّ وبصريّ، وبين كوفيّ وكوفيّ في بعض الأحيان. لقد وافق جماعة من البصريّين الكوفيّين في بعض مسائلهم، كما وافق غير واحد من الكوفيّين البصريّين فيما ذهبوا إليه. ثمّ إنّ موادّ الاختلاف تتصل بالفروع من الدرس النحويّ، وأنّ موادّ كثيرة ممّا اختلفوا فيه لا تتصل بالنحو، بل هي فوائد لغوية تتصل بأصول اللّغة، وبالاشتقاق، وباستعمال الكلمة في أسلوب ما. فقد عقدتُ النية أن أقوم به، فكان هذا الموجز الذي وقفته على

١- بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٠م. ج٢.

٢- المدارس النحوية، ص٦.

٣- عمّان: دار الفكر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

هذه المسألة من الخلاف النحويّ القديم، الذي لم يكن شيئاً كبيراً يُخَوِّلنا أن نقول :
(المدارس النحوية)^(١).

ثم استرسل موضّحاً، مناقشاً، نافياً وجود مصطلح (مدرسة) في الفكر النحويّ عند
القدماء^(٢).

وهذا ما أميل إليه بقوة؛ لذلك أرى أنّه ليس من المنهج العلميّ السليم استخدام
مصلح (المدرسة) في الفكر النحويّ، في غير (المدرسة البصرية)، التي وضع مؤسّسوها
أصول النحو، وأصلوا قواعده، وفرّعوا مسائله وجزئياته، بفترة من الزمان قبل أن تظهر
مذاهب نحوية أخرى^(٣)، ما تميّز به إنتاج أصحابها لا يعدو كونه اختلافات، أو خلافاً
في بعض المسائل، والفروع والمصطلحات، أو تلوّناً ببعض السمات والخصائص، وعليه
فالمصطلح الأنسب فيما أرى هو استخدام (المذهب) في النحو العربيّ، لا (المدرسة). أمّا
محاولة إعطاء كلّ دولة، أو كلّ عالمٍ مُبرّز (مدرسة نحوية) فهذا ضرب من الغلوّ، وبُعد
عن المنهج العلميّ الرّصين.

شكل (١) : شجرة أبرز النّحاة واللّغويّين الشناقطة

اند عبد الله المحجوبي / كان حيّاً ٩٣٧هـ
أحمد الولي بن أبي بكر المحجوبي ت ١٠٩٥هـ
الحاج الحسن بن أغبيدي الزيدي ت ١١٢٣هـ
سيد محمد بن سيدي عثمان ت ١١٣٢هـ
سيدي عبد الله بن رازكه ت ١١٤٤هـ
سيدي عمر بن بابا علي الولاتي ت ١١٤٥هـ

١ - المصدر نفسه، ص ٧.

٢ - المصدر نفسه، ص ١٢، ١٣.

٣ - أحمد أمين، ضحى الإسلام. بيروت : دار الكتاب العربي، الطبعة العاشرة. ج ٢، ص ٣١١.

عمر بن أحمد بن أبوه الإيديلي ت ١١٥٢ هـ
أحمد ت ١١٥٣ هـ، ومحمد ت ١١٦٠ هـ ابنا فاضل.
منيرة بن حبيب التشمشي ت ١١٦٢ هـ
الطالب الأمين الخرشي ت ١١٦٦ هـ
أحمد بن أحمد بن الإمام ت ١١٧٨ هـ
أحمد بن سيدي عثمان القلاوي ت ١١٧٩ هـ
الحاج أبو بكر بن الطالب البرتلي ت ١١٧٩ هـ
الإمام عمر ممو المحجوبي الولاتي ت ١٢٠١ هـ
محمد الأمين بن الطالب الوافي ت ١٢١٥ هـ
الطالب محمد بن أبي بكر الصديق صاحب فتح الشكور، ت ١٢١٩ هـ
محمد يحيى الولاتي ١٣٣٠ هـ
محمد يحيى بن سليمة، ت ١٣٥٤ هـ
سيدي عيسى بن محمد المختار أهل احادو، ت ١٣٦٠ هـ
محمدو السالم بن الشين، ت ١٣٨٧ هـ
الطالب أحمد الجماني

المذهب البوني، والمدرسون النحويون

المختار بن بونا ت ١٢٢٠هـ
سيدي عبد الله بن الفاضل التشمشي ١٢٠٩ هـ
عبد الله بن الطالب حمى الله القلاوي ت ١٢٠٩هـ
مولود بن أحمد الجواد اليعقوبي ت ١٢٤٢هـ
حرمة بن عبد الجليل ت ١٢٤٣هـ
عبد الودود بن عبد الله الألفغي ت ١٢٦٥هـ
محمد بن الطلبة اليعقوبي ت ١٢٧٢هـ
بلا بن مكبد الشقروي ت ١٢٧٣هـ
أحمد بن البخاري التندي ت ١٢٧٧هـ
الشيخ سيدي الكبير ت ١٢٨٤هـ
ابن عديم الديباني الفاضلي ت ١٢٨٥هـ
سيدي محمد بن حبت القلاوي ت ١٢٨٨هـ
جدود بن اكتوشن العلوي ت ١٢٨٩هـ
محمد مبارك اللمتوني ت ١٢٩٠هـ
محمد عبد الله بن انبويه المحجوبي، ت ق ١٣هـ
محمد بن حنبل الحسني ت ١٣٠٢هـ

محمد عالي معي بن سعيد ت ١٣١٠هـ
الحسن بن زين القناني ت ١٣١٥هـ
محمد محمود بن التلاميذ ت ١٣٢٢هـ
أحمد بن الأمين الشنقيطي ت ١٣٣١هـ
أحمد بن كدّاه الكمليلي ١٣٤٠هـ
بابا بن الشيخ سيديا ت ١٣٤٢هـ القاضي يحيى التندغي ت ١٣٤٥هـ
محظيه بن عبد الودود ت ١٣٥٨هـ
مَمُو أحمد محمود ت ١٣٦١هـ
محمد سالم بن الماء، ت ١٣٨٣هـ
محمد بن النحوي، ت ١٣٨٩هـ
الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (آبه) بن اخطور، ١٣٩٣هـ.
محمد عالي بن عدّود، ت ١٤٠١هـ
آبه بن آنه المحجوبي الولاتي، ت ٢٠٠٧م.
محمد سالم بن عدّود، ت ١٤٣٠هـ
أحمد بن محمد التمدكي
أحمد بن محمّذن فال

الحاج بن السالك بن فحفو المسمومي
الحارث بن محنض الشقروي
الأستاذ الخليل بن النحويّ
السفير بن محمد سعيد البصادي
الدكتور سيدي عبد القادر بن الطفيل
الشيخ عبد الله بن بيّه
شيخنا بن محمد يربّه
محمد فال أبّاه بن عبد الله
الدكتور محمد المختار بن أبّاه
محمد بن المختار الداه العلوي
محمد عالي بن نعمه
الشيخ محمد الحسن بن الددو

ثانياً- القضايا والمسائل النحوية^(١)

يُناقش هذا الموضوع جملة من القضايا والمسائل، تشمل مصادر النحو العربيّ بالبلاد، وما يشيع فيه من ظواهر وُضِع القواعد النحوية الشاملة للمسائل والجزئيات، والأصول الاستدلالية التي يُحتجّ بها ويُستدلّ على إثبات الأحكام الجزئية، والمسائل الفرعية. وفيما يلي تبيان ذلك :

المبحث الأوّل : مصادر النحو العربي ببلاد شنقيط

مصادر النحو ببلاد شنقيط هي نفسها مصادر النحو العربي عموماً، وهي :

- القرآن الكريم وقراءاته.

- الحديث الشريف.

- كلام العرب شعراً ونثراً.

- أقوال العلماء وآراؤهم.

- القياس.

أولاً : القرآن الكريم وقراءاته المتعدّدة : القرآن الكريم هو «الكلام المعجز، المنزّل على النبي صلّى الله عليه وسلّم، المكتوب في المصحف، المنقول عنه بالتواتر^(٢) المتعبّد بتلاوته»^(٣). والنصّ الشمولي، المتجانس، الكاسي لألفاظ القرآن الكريم، المنزّل للإعجاز والبيان. قال أبو إسحاق الزجاج^(٤) : «يسمّى كلام الله تعالى، الذي أنزله على نبيّه صلّى الله عليه وسلّم كتاباً وقرآناً، وفرقانا. ومعنى القرآن الجمع. وسمّي قرآناً؛ لأنّه يجمع السور فيضمّنها. وقوله تعالى : (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ.. ١٦، القيامة)، أي جمعه وقراءته : (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ.. ١٧، القيامة)، أي قراءته. قال ابن عبّاس^(٥) : فَإِذَا

١ - أطلّقت هذا العنوان على هذه المباحث، وإن كنت أعلم أنّه ينطبق على ما سلف ذكره من مسائل هذا الفصل؛ وذلك لأنّه أنسب لمباحث المصادر والقواعد والأصول من غيرها.

٢ - التواتر هو نقل جماعة يمنع تواطؤهم على الكذب عن جماعة كذلك من أوّل السند إلى منتهاه.

٣ - صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص ٢١.

٤ - صاحب كتاب معاني القرآن وإعرابه (ت ٣١١هـ).

٥ - الصحابي الجليل ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، المتوفّى سنة ٦٥هـ. تراجع ترجمته في الإصابة، ج ١، ص ٣٣٠.

بَيِّنَاتُهُ لَكَ بِالْقِرَاءَةِ فَاعْمَلْ بِهَا بَيِّنَاتَهُ لَكَ»^(١).

ومن نافلة القول التنبيه إلى أنَّ أسلوب القرآن الكريم لبُّ كلام العرب وزيدته، وأرقى نصٍّ عربيٍّ، وأعلاه فصاحةً، وبلاغَةً. يقول الدكتور أحمد مختار عمر: «وقد اعتبروه في أعلى درجات الفصاحة، وخير ممثِّل للغة الأدبية المشتركة، ولذا وقفوا منه موقفاً موحداً فاستشهدوا به. ولا يعرف أحد من اللُّغويين قد تعرَّض لشيء ممَّا أثبت في المصحف بالنقد والتخطئة... ألفاظ القرآن الكريم هي لبُّ كلام العرب وزيدته، وواسطته، وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء.. وإليها مفرع حذاق الشعراء والبلغاء.. وما عداها.. كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطياب الثمرة»^(٢).

وقد نزل بأفصح لغة، لغة قريش، يقول الدكتور أحمد مختار عمر: «ومن الحقائق المسلَّمة أنَّ القرآن نزل أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثمَّ أبيع للعرب أن يقرؤوه بلغتهم، ولم يكلف أحد منهم الانتقال عن لغته إلى لغة أخرى للمشقة، وكانت الإباحة بعد أن كثر دخول العرب في الإسلام، وذلك بعد الهجرة، فلما جاء عثمان، وأراد جمع القرآن في المصاحف ونسخها اقتصر من سائر اللُّغات على لغة قريش»^(٣).

والقراءات لغةٌ جمعُ قراءة بكسر القاف، بمعنى وجه مقروء به^(٤)، وعند القراء أنَّ يُقرأ القرآن تلاوةً أخذاً من المشايخ^(٥)، وهي مصدر (قرأ) بمعنى جمع الشيء وضمَّ بعضه على بعض. جاء في تاج العروس «وقرأ الشيء جمعه وضمَّه، أي ضمَّ بعضه إلى بعض، وقرأت الشيء قرأنا جمعته، وضممت بعضه إلى بعض... ومعنى قرأت القرآن لفظت به مجموعاً، ألقيته»^(٦).

١ - معاني القرآن وإعرابه، ج ١، ص ١٧٠.

٢ - البحث اللُّغوي عند العرب، ص ١٧، ١٨.

٣ - المصدر نفسه، ص ١٨.

٤ - محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن. دار الشام، ج ١، ص ٤١٢.

٥ - الشيخ عبد الله البستاني، فاكهة البستان. بيروت: المطبعة الأمريكية، ص ١١٣٥، مادّة قرأ.

٦ - ج ١، ص ١٠٢، مادّة قرأ.

وفي الاصطلاح هي «كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً، واختلافاً، مع عزو كلّ جه لناقله»^(١). أي هي كيفية تأدية النص القرآني، وما به من اتفاق واختلاف مع إسناد كلّ وجه لصاحبه. وموضوعها : «كلمات القرآن الكريم، من حيث أحوال النطق بها، وكيفية أدائها»^(٢).

وذلك صيانة للقرآن الكريم «من التحريف والتغيير... والتميز بين ما يقرأ به وما لا يقرأ به»^(٣).

ونظراً لما سبق يتّضح التمايز بين القراءات والقرآن الكريم، وهو اختيار الشيخ أحمد البنا، حيث يقول : «والقرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل للإعجاز والبيان، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف، أو كفيتهما، من تخفيف أو تشديد وغيرهما»^(٤).

وهذا التمايز لا يعني أبداً أنّ القراءات الصحيحة ليست وحياً من عند الله، بل كلّ قراءة صحّ سندها عن الرسول صلى الله عليه وسلّم هي قرآن، لا يجوز المساس بحرمتها. القراءة صحيحة أو شاذة :

أ- القراءة الصحيحة : أركانها : وضع العلماء ضوابط محكمة لتمييز القراءة الصحيحة من الشاذة، ولهم في ذلك مذهبان : المذهب الأوّل : يشترط أصحابه التواتر في سند القراءة، وموافقة العربية، ولو بوجه من الوجوه، وموافقة رسم المصاحف العثمانية. والقراءات السبع متواترة بالاتفاق عند أصحاب هذا المذهب، والثلاث المكملّة للعشر متواترة عندهم على الأصحّ^(٥). كما يرون أنّه لم يتواتر شيء ممّا سوى القراءات العشر^(٦). المذهب الثاني : يشترط أصحابه صحّة السند، بدل التواتر، وموافقة العربية، ولو بوجه من الوجوه، وموافقة المصاحف العثمانية. ويرون أنّ كلّ قراءة توافرت فيها هذه

١ - محمد سالم محسن، المهذب في القراءات العشر وتوجيهها. مكتبة الكليات الأزهرية، ص ٦.

٢ - المصدر والصفحة نفسها.

٣ - المصدر والصفحة نفسها.

٤ - إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، ج ١، ص ٦٨، ٦٩.

٥ - المصدر نفسه، ص ٧٢.

٦ - مباحث في علوم القرآن، ص ٢٥٦.

الشروط الثلاثة فهي صحيحة، بغض النظر عن رواها، وهذا الاتجاه يمثل علماء كبار، من أمثال مكّي بن أبي طالب القيسي^(١)، وأبي شامة المقدسي^(٢)، وابن الجزري^(٣).

ب - القراءة الشاذة : هي عند الجمهور كلّ ما خرج عن القراءات العشر. يقول الأستاذ عبد الفتاح القاضي :

« كلّ قراءة وراء العشر لا يحكم بقراءتها، بل هي قراءة شاذة، لا تجوز القراءة بها »^(٤).
والقرآن الكريم بقراءاته المتعددة يعدّ المصدر الأوّل للنحو العربي. ووقع إجماع العلماء على جواز الاحتجاج بالقراءات في العربية، سواء أكانت متواترة، أم شاذة. يقول عبد القادر البغدادي : « فكلامه عزّ اسمه أفصح كلام وأبلغه، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشأده، كما بيّنه ابن جنّي في أوّل كتابه المحتسب^(٥) وأجاد القول فيه »^(٦). ويقول السيوطي : « أمّا القرآن فكلّ ما ورد أنّه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية، سواء كان متواتراً أم أحاداً أم شاذّاً، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً، بل ولو خالفته يحتجّ بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجز القياس عليه، كما يحتجّ بالمجمع على وروده، ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه، ولا يقاس عليه، نحو : (اسْتَحْوَذَ^(٧))، و(يَأْبَى^(٨))، وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافاً بين النحاة »^(٩).

وقد سار النحاة الشناقطة على طريق أسلافهم من النحاة عبر العصور، فأكثرُوا من الاحتجاج بالقراءات القرآنية، سواء أكانت متواترة، أم شاذة في بحوثهم النحوية. وهو

١ - ت ٤٣٧ هـ. تراجع ترجمته في بغية الوعاة، ج ٢، ص ٢٩٨.

٢ - أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل، المعروف بأبي شامة (ت ٦٦٥ هـ). تراجع ترجمته في طبقات الشافعية. بيروت : دار الآفاق الجديدة، ج ٨، ص ١٦٥.

٣ - صاحب كتاب القراءات العشر، المشهور.

٤ - القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، ص ٩، والإتحاف، ص ٧٢.

٥ - المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج ١ سنة ١٣٨٦ هـ، وج ٢ سنة ١٣٨٩ هـ.

٦ - خزنة الأدب، مصدر سابق، ج ١، ص ٤.

٧ - من قوله تعالى : [اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ] {١٩، المجادلة}.

٨ - من قوله تعالى : [يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ أَن يُسْمِتَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ] {٣٢، التوبة}.

٩ - الاقتراح في علوم أصول النحو، ص ٤٨.

ما سنقف عليه جلياً في الفصل الأول من الباب الثالث، بعون الله تعالى.

ثانياً: الحديث الشريف: الاستدلال بالحديث الشريف في مسائل النحو مسألة خلافية بين العلماء قديماً، فجمهورهم كانوا مقلّين من الاستدلال به، وذلك لسببين اثنين: أوّلهما: كَوْنُ الأحاديث لم يُقطع بروايتها كما سُمعت من الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك لأنّ العلماء جَوّزوا روايتها بالمعنى، ممّا جعل لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم عرضة للتغيير بين الرواة، كما أنّ كثيراً من الرواة كانوا من غير العرب الفصحاء. وثانيهما: أنّ جمهرة العلماء لم يحتجّوا به عندما بدؤوا تدوين اللغة والتأليف فيها.

وقد عبّر الإمام السيوطي عن وجهة نظر هؤلاء قائلًا: «وأما كلامه - صلى الله عليه وسلم - فيستدلّ منه بما ثبت أنّه قاله على اللفظ المرويّ، وذلك نادر جدّاً، إنّما يوجد في الأحاديث القصار، وعلى قلة أيضاً، فإنّ غالب الأحاديث مرويّ بالمعنى، وقد تداولتها الأعاجم والمولّدون قبل تدوينها فرووها بما أدّت إليه عبارتهم فزادوا ونقصوا وقدّموا وأخّروا وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ، ولهذا ترى الحديث الواحد في القصّة الواحدة مرويّاً على أوجه شتّى، بعبارات مختلفة، ومن ثمّ أنكر على ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة في الحديث»^(١). فالسيوطي كما هو واضح من أشدّ المانعين الاستدلال بالحديث، للأسباب سالفة الذكر.

وقد جَوّز بعض المتأخّرين الاحتجاج به، من أمثال ابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، والرضي^(٢) وابن خروف^(٣). يقول عبد القادر البغدادي: «وأما الاستدلال بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، فقد جَوّزه ابن مالك، وتبعه الشارح المحقّق^(٤) في ذلك، وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت رضي الله عنهم، وقد منعه ابن الضائع^(٥) وأبو حيّان^(٦). وسندهما أمران: أحدهما أنّ الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبي صلى

١ - الاقتراح في أصول النحو، ص ٥٢.

٢ - رضي الدين محمد بن الحسن الأسترباذي (ت ٦٨٦هـ) شارح كافيّة ابن الحاجب في النحو، وشافيته في التصريف.

٣ - أبو الحسن عليّ الإشبيلي الأندلسي (ت ٦٠٩هـ).

٤ - يقصد الرضي، شارح كافيّة ابن الحاجب في النحو وشافيته في التصريف.

٥ - علي بن محمّد الأندلسي (ت ٦٨٠هـ).

٦ - النحوي الأندلسي (ت ٧٤٥هـ).

الله عليه وسلّم، وإِنَّمَا رُوِيَ بالمعنى، وثانيهما أَنَّ أئِمَّةَ النحو المتقدمين من المَصْرَيْنِ^(١) لم يحتجوا بشيء منه^(٢).

وعبد القادر البغدادي من المجيزين الاستدلال به، حيث يقول: «والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحو في ضبط ألفاظه، ويلحق به ما رُوي عن الصحابة وأهل البيت، كما صنع الشارح المحقق»^(٣).

وقد توسَّط الشاطبي^(٤) بين الفريقين: المانعين والمجيزين، حيث جَوَّز الاستدلال بالأحاديث التي اعتنى ناقلوها بلفظها^(٥).

وقد سار النَّحاة الشناقطة في الاستدلال بالحديث الشريف في بحوثهم النحوية على نهج شيخ النحاة محمد بن مالك (ت ٦٧٢هـ)، الذي كانت بصماتٌ منهجه بارزةً في التراث النحوي، واللغوي ببلاد شنقيط إلى أبعد الحدود، إذ كان رحمه الله أوَّل من استدللَّ بالحديث الشريف في مسائل النحو على نطاق واسع، فاهتمَّ علماء شنقيط بالاستدلال به في قضايا النحو اهتماما كبيرا، كما فعل ابن مالك رحمه الله، فتأليفهم النحوية تعبَّر عن ذلك تعبيراً صادقا، حتَّى إِنَّ بعضهم أفرد شواهدَه بالتأليف، من أمثال محمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي (ت ١٣٢٣هـ)، الذي ألَّف كتابا بعنوان: (إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النحو من الأخبار والآثار)، فقام فيه بالتقاط هذه الشواهد، وجمعها من الكتب النحوية، في أسلوب مقتضب، مرَّكَز في بعض الأحيان، ومحمد بن الغزالي الشقروني الحسني (١٣٦٢هـ)، الذي كتب تأليفا بعنوان: (عَقْلُ الشواهد على شرح الشواهد من الحديث)، وأحصى محقق طُرَّة ابن بونا الأستاذ أحمد بن محمد المامي في فهرس تحقيقه^(٦) (واحدا وأربعين ومائة حديثٍ شريف وأثر، ١٤١)، احتجَّ بها ابن بونا في بحوثه النحوية، بهذه الطُّرَّة، ممَّا يدلُّ دلالة واضحة على ما ذُكِر. وفيما يلي أمثلة من استدلالهم به في بحوثهم النحوية:

١ - البصرة والكوفة.

٢ - خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، ج ١، ص ٤، فبا بعدها.

٣ - خزانة الأدب، مصدر سابق، ج ١، ص ٥.

٤ - هو أبو القاسم بن فيرة الأندلسي (ت ٥٩٠هـ). يراجع النشر، ج ١، ص ٦١.

٥ - خزانة الأدب، ج ١، ص ٦، والاقتراح، ص ٤٦.

٦ - المسمَّى تقريب طُرَّة ابن بونا على ألفية ابن مالك في النحو، ج ٢، ص ٨٤٤، فبا بعدها.

١ - قال ابن بونا في طُرته^(١) على قول ابن مالك في باب العدد^(٢) :
 (ثلاثة بالتاء قل للعشرة في عدد ما آحادُهُ مُذَكَّرَةٌ)، مستدلاً به على غير الغالب من حذف التاء من ثلاثة إلى عشرة إن قصد الجنس ولم يذكر :
 «ثلاثة بالتاء : لزوماً إن ذكر الجنس، وغالباً إن قصد ولم يذكر، ومن غير الغالب : صُمنّا من الشهر خمساً، وأفطرنا خمساً، وقوله صلى الله عليه وسلم : ثم أتبعه بست من شوال»^(٣).

٢ - وقال مستدلاً على أنّ بدل البعض إن كان غير وافٍ ولا مُحصّل لما قبله تعيّن قطعه إن لم يُنَوَّ معطوف محذوف، مثل : (مررت برجالٍ طويلٌ وقصيرٌ)، وذلك لخلوّه من الاشتغال على ضمير، وهو شيء ممنوع، أمّا إن نُوي معطوف محذوف فإنّه يجوز الأمران : القطع والإتباع، فقال^(٤) :

«وإن يكن غير مُحصّل فلن يُتَّبَع لإيهام بدل البعض، وبدل البعض لا بدّ له من ضمير، ما لم يُنَوَّ معطوف، كمررت برجالٍ زيدٌ وعمرو، فإن نُوي جاز، كقوله عليه الصلاة والسلام : اتّقوا الموبقات السبع : الشرك بالله والسحر»^(٥).
 فروي اللَّفظان بالرفع على تقدير : منهنّ الشرك بالله والسحر، وبالنصب على تقدير : وأخواتها لثبوت (السبع) في إحدى روايتي الحديث (رواية بذكر «السبع» ورواية بحذفها)^(٦).

١ - المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٦١، ٦٦٢.

٢ - البيت الأوّل من باب العدد، من الخلاصة.

٣ - الحديث بتامه عن أيوب أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (مَن صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال فذاك صيام الدهر). رواه الجماعة سوى البخاري، والنسائي، ورواه أحمد من حديث جابر. يراجع الشوكاني الإمام محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيّد الأخيار، ج ٤، ص ٦٠٢.

٤ - تسجيل التكرار في شرح الاحرار، ج ٢، ص ٤٥٠، ٤٥١.

٥ - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواية البخاري : (اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله والسحر...). يراجع صحيح البخاري، ج ٦، ص ٥٠، من كتاب الوصايا، ج ١١، ص ٣٩٦، من كتاب الطبّ.

٦ - تسجيل التكرار في شرح الاحرار، ج ٢، ص ٤٥١.

٣- وقال مستدلاً على أنّ (ما) قد تصحب (حاشا) من غير الغالب ^(١) : «وَحُمِلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَسَامَةُ ^(٢) أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مَا حَاشَا فَاطِمَةَ» ^(٣).

٤- وقال مستشهداً على أنّ (مِنْ) قد تأتي لبدء الأزمنة على الأصح ^(٤) : «وَقَدْ تَأْتِي لِبَدْءِ الْأَزْمَنَةِ ^(٥) عَلَى الْأَصَحِّ، نَحْوُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مُطَرْنَا مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْآخَرَى» ^(٦).

٥- رأى أنّه إذا تنازع أكثر من عاملين على معمول واحد، فإنّه يثبت لها من الحكم ما ثبتَ لِلاثْنَيْنِ، فعند قوله في الاحمرار ^(٧) : (وَاحْكُمَ إِذَا تَنَازَعْتَ أَكْثَرُ مِنْ اثْنَيْنِ بِالَّذِي لِلْإِثْنَيْنِ زَكْنٌ)، استشهد بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «تُسَبِّحُونَ وَتُحَمِّدُونَ وَتُكَبِّرُونَ اللَّهَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ» ^(٨).

٦- تُحَذَفُ (كَانَ) عِنْدِ النَّحَاةِ مَعَ اسْمِهَا، وَيَبْقَى خَبَرُهَا، وَيَكْثُرُ ذَلِكَ بَعْدَ (إِنْ وَلَوْ) الشَّرْطِيَّتَيْنِ، وَهُوَ مَا عَبَّرَ عَنْهُ ابْنُ مَالِكٍ فِي الْخُلَاصَةِ بِقَوْلِهِ ^(٩) : (وَيُحَذَفُونَهَا وَيُثَبِّتُونَ الْخَبَرَ وَبَعْدَ إِنْ وَلَوْ كَثِيراً إِذَا اشْتَهَرَ)، فَاسْتَدَلَّ ابْنُ بَوْنَا عَلَى هَذَا الْحُكْمِ بِالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ ^(١٠) : «الْتِمَسْ وَلَوْ خَاتِماً مِنْ حَدِيدٍ» ^(١١).

٧- اسْتَدَلَّ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ (أَبُوهُ) ابْنُ أَخْطُورٍ (ت ١٣٩٣هـ) مَثَلًا عَلَى مَسْأَلَةِ (الْعَطْفِ بِحَرْفٍ مُحذُوفٍ)، فَعِنْدَ حَدِيثِهِ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ

١- تقريب الطّوّرة، ج ١، ص ٣٣٤.

٢- هو ابن زيد بن حارثة، حبّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وابن حبّته، أمّه أمّ أيمن حاضنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- من حديث ابن عمر، أخرجه ابن عبد البرّ في الاستيعاب، ج ١، ص ٥٨.

٤- تقريب الطّوّرة، ج ١، ص ٣٦٩.

٥- الشطر الثاني من البيت السادس، من باب حروف الجرّ، من الخلاصة.

٦- هذا جزء من حديث طويل في صحيح البخاري، من حديث أنس، لفظه : (فمطرونا يومنا ذلك، ومن الغد وبعد الغد، والذي يليه حتى الجمعة الأخرى). صحيح البخاري، كتاب الجمعة، ج ٣، ص ٧٨.

٧- البيت الأوّل من احمرار باب التنازع، من الخلاصة. يراجع تقريب الطّوّرة، ج ١، ص ٢٩٢.

٨- من حديث أبي هريرة، في صحيح البخاري، فتح الباري، ج ٢، ص ٥٩٢. من كتاب الأذان.

٩- البيت رقم ثلاثة عشر ١٣، من باب كان وأخواتها، من الخلاصة.

١٠- جزء من حديث طويل، رواه البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي. يراجع صحيح البخاري، فتح الباري، ج ١٠، ص ١٦٣. من كتاب النكاح.

١١- تقريب الطّوّرة، مصدر سابق، ج ١، ص ١٨٣.

الإسلام... ١٩، آل عمران)، قال : «على قراءة»^(١) فتح همزة (إنّ) هو معطوف بحرف محذوف على قوله : (شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو.. ١٨، آل عمران)، أي وشهد أنّ الدين عند الله الإسلام، وهو أحد احتمالات ذكرها صاحب المغني^(٢) أيضا، ومنه حديث : (تصدّق رجل من ديناره، من درهمه، من صاع برّه، من صاع تمره)، يعني : ومن درهمه، ومن صاع إلخ. حكاه الأشموني وغيره^(٣)، والحديث أخرجه مسلم والإمام أحمد وأصحاب السنن^(٤).

هكذا سار النحاة الشناقطة في استدلالهم بالحديث الشريف في بحوثهم النحوية، بتوسّع واستقصاء. وهو ما سنقف على نماذج منه ناضجة في الباب الثالث عند مبحث (النحو والحديث) بعون الله تعالى.

ثالثاً: كلام العرب، شعرا ونثرا : استقى علماء العربية قديما كلام العرب، شعرا ونثرا من ينابيعه الأصيلة، فجمعوا ثروة لغوية كبيرة، أفاد منها النحويون في تأسيسهم قواعد النحو، ومدّ فروعه، وتفرّع مسائله، معتبرين في ذلك المكان والزمان أثناء الرواية، وجمع المادّة اللّغوية. والرواية في أصل اللّغة الاستقاء^(٥)، ثمّ أطلقت على جمع المادّة اللّغوية من الناطقين العرب الموثوق بفصاحتهم، وذلك بالذهاب إليهم، أو تلقيهم، أو بالسماع عمّن روى عنهم مشافهة^(٦).

- عصور الاستشهاد بالشعر : قام العلماء بتقسيم الشعراء من حيث الاستشهاد بشعرهم في قضايا النحو واللّغة إلى أربع طبقات :

الأولى : طبقة الشعراء الجاهليّين، من أمثال امرئ القيس والأعشى ...

الثانية : طبقة الشعراء المخضرمين، وهم الذين عاشوا في العصر الجاهلي وأدركهم الإسلام، من أمثال لبيد وحسان بن ثابت ...

١ - هي قراءة الكسائي، والباقون بالكسر. ينظر النشر، ج ٢، ص ٢٣٨.

٢ - أي مغني اللّيب. ص ٥٩٩ منه.

٣ - الأشموني بحاشية الصّبان، ج ٣، ص ٨٩.

٤ - أضواء البيان، ج ١، ص ٣٣٦.

٥ - القاموس المحيط، مادّة (روى).

٦ - يراجع هذا الموضوع تفصيلا عند الدكتور محمّد عيد، الرواية والاستشهاد باللّغة، ص ١٠، فما بعدها، وكتابي في الماجستير بجامعة طرابلس/ ليبيا ١٩٩٩ م : (وجوه الإعراب والقراءات بين الفراء والزجاج)، ص ٢٢١، فما بعدها.

الثالثة : طبقة الشعراء الذين عاشوا في صدر الإسلام، من أمثال الفرزدق وجريز ...
الرابعة : طبقة الشعراء المعروفين بالمولّدين، من أمثال بشّار بن برد وأبي نؤاس، وغيرهما، ممّن عاشوا في العصر العبّاسي، ويقال لهم المحدثون. وتشمل هذه الطبقة عند بعض العلماء شعراء العصور الحديثة^(١).

وقد أجمع العلماء على الاستشهاد بشعر الطبقتين الأوليين، كما صحّحوا الاستشهاد بشعر الطبقة الثالثة، أمّا الطبقة الرابعة فالصحيح عندهم أنّه لا يستشهد بشعر أصحابها^(٢). وقد اختار الزمخشري والرضي الاستشهاد بشعر أصحاب هذه الطبقة، خصوصاً من يوثق به منهم. يقول البغدادي : «وأما الرابعة فالصحيح أنّه لا يستشهد بكلامها مطلقاً، وقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم، واختاره الزمخشري، وتبعه الشارح المحقّق - الرضي - فإنّه استشهد بشعر أبي تمام في عدّة مواضع من هذا الشرح، واستشهد الزمخشري أيضاً في تفسير أوائل البقرة من الكشّاف ببيت من شعره، وقال : وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة، فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه»^(٣).

كما ذكر البغدادي أيضاً أنّ سيبويه استشهد ببعض شعر بشّار بن برد تقرّباً إليه وخشية من هجائه، إذ قال : «وأول الشعراء المحدثين بشّار بن برد، وقد احتجّ سيبويه ببعض شعره تقرّباً إليه؛ لأنّه قد هجاه لتركه الاحتجاج بشعره»^(٤).

وقد تقيّد النحاة الشناقطة في الاحتجاج بكلام العرب بمسلك أسلافهم من النحاة القدامى، حيث التزموا بالاستدلال بكلام ممّن يوثق بفصاحتهم في إطار عصور الرواية والاستشهاد، وطبقوا ذلك في بحوثهم النحوية خير تطبيق.

رابعاً : أقوال العلماء وآراؤهم : اعتنى النحاة الشناقطة مثل أسلافهم من نحاة العربية اعتناءً كبيراً بالاستدلال بأقوال العلماء وآرائهم في بحوثهم النحوية، حيث أقوالهم

١ - خزانة الأدب، ج ١، ص ٣.

٢ - المصدر نفسه، ص ٤.

٣ - المصدر والصفحة نفسها.

٤ - المصدر والصفحة نفسها.

وآراؤهم الموثقة في بطون الكتب، والرواية عنهم في مجالس العلم والدروس، وحلقات النقاش، من مصارهم التي استقوا منها ثروتهم النحوية، واستمدوا منها الكثير من المسائل والقضايا، وتآليفهم ودروسهم النحوية تفوح بذلك، وخير دليل عليه. وهم في ذلك مثل أسلافهم من نحاة العربية.

خامساً : القياس : وهو أحد مصادر النحو العربي، بعد مصدر السماع. يقول الإمام السيوطي :

«وهو معظم أدلة النحو، والمعول في غالب مسائله عليه، كما قيل : (إنما النحو قياسٌ يُتَّبَعُ^(١)). ولهذا قيل في حده : إنه علم بمقاييس مُستنبطة من استقراء كلام العرب ... والنحو بعضه مسموع، مأخوذ من العرب، وبعضه مُستنبط بالفكر والرؤية، وهو التعليقات .. إلخ^(٢) .

ويقول الأنباري أبو البركات : «اعلم أن إنكار القياس في النحو لا يتحقق؛ لأنَّ النحو كله قياس، ولهذا قيل في حده : النحو علم بالمقاييس المُستنبطة من استقراء كلام العرب، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو، ولا يُعلم أحد من العلماء أنكره، لثبوت بالدلالة القاطعة، وذلك أننا أجمعنا على أنه إذا قال العربي : كتب زيدٌ، فإنه يجوز أن يُسند هذا الفعل إلى كل اسم مُسمًى تصح منه الكتابة، نحو : عمرٌو، وبشرٌ.. إلى ما لا يدخل تحت الحصر، وإثبات ما لا يدخل تحت الحصر بطريق النقل مُحال^(٣) .

وقد استند الشناقطة إلى هذا المصدر كثيراً في تقرير الأحكام، وتفریع المسائل النحوية، مثل أسلافهم من علماء العربية. وسيأتي حديث عنه أشمل ممّا هنا قريباً في مبحث (الأصول الاستدلالية)، بعون الله تعالى.

المبحث الثاني - القواعد

كيفية استنباط القواعد وإقرار الأحكام : القواعد لغة كما في لسان العرب : «والقاعدة أصلُ الأسّ، والقواعدُ الإسّاسُ، وقواعدُ البيتِ إسّاسُه. وفي التنزيل : (وإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) {١٢٦ : البقرة}. وفيه : (فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانَهُمْ

١ - هذا صدر بيت من جملة أبيات للكسائي يتحدث فيها عن مكانة النحو العربي. يراجع الاقتراح في علم أصول النحو، ص ٢٠٤.

٢ - المصدر نفسه، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

٣ - لمع الأدلة في أصول النحو، ص ٩٥، فبعدها.

مَنْ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ قَوَائِمِهِمْ) {٢٦ : التَّحْلُ}. قال الزَّجَّاجُ : القَوَاعِدُ
أَسَاطِينُ الْبِنَاءِ الَّتِي تَعْمِدُهَا^(١).

واصطلاحاً كما يقول الدكتور محمد صدقي بن أحمد أبو الحارث الغزّي هي : « قضية
كلّية يُتعرّف منها أحكام الجزئيات المندرجة تحت موضوعها، أي القاعدة هي حكم، أو
أمر كليّ، أو قضية كلّية، تفهم منها أحكام»^(٢).

وقد عرّف الإمام القرافيّ أبو العباس أحمد بن إدريس (ت ٦٨٤هـ) القواعد تعريفاً
مفصّلاً، مُبيّناً فيه قيمة معرفتها، لأجل ضبط الفروع والجزئيات، مُشيراً فيه إلى الفرق
بين قواعد الأحكام الناشئة عن الألفاظ العربية خاصّة، والقواعد الكلّية المشتملة على
أسرار الشرع وحكمه، إذ قال :

«فإنّ الشريعة المعظّمة المحمّدية زاد الله تعالى منارها شرفاً، وعلوّاً اشتملت على
أصول وفروع، وأصولها قسمان، أحدهما المُسمّى بأصول الفقه، وهو في غالب أمره ليس
فيه إلّا قواعد الأحكام الناشئة عن الألفاظ العربية خاصّة، وما يعرض لتلك الألفاظ
من النسخ والترجيح، ونحو الأمر للوجوب، والنهي للتحريم، والصيغة الخاصّة
للعُموم ونحو ذلك، وما خرج عن هذا النمط إلّا كون القياس حجّة، وخبر الواحد
وصفات المجتهدين. والقسم الثاني قواعد كلّية فقهية جليّة كثيرة العدد، عظيمة المدد،
مشتملة على أسرار الشرع وحكمه، لكلّ قاعدة من الفروع في الشريعة ما لا يحصى، ولم
يذكر منها شيء في أصول الفقه، وإن اتّفقت الإشارة إليه هنالك على سبيل الإجمال»^(٣).

كما عرّفها تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) بقوله : «القاعدة أمر كليّ ينطبق على
جزئيات تعلم أحكامها منه»^(٤). وقال مُشيراً إلى ضرورة إحكام القواعد، ودواعي
الاهتمام بها : «حقّ على طالب التحقيق، ومن يتشوّق إلى المقام الأعلى في تصوّر
والتصديق أن يُحكّم قواعد الأحكام، ليرجع إليها عند الغموض، وينهض يعبء
الاجتهاد أنم نهوض، ثم يؤكّدها بالاستكثار من حفظ الفروع، لترسخ في الذهن،

١ - لسان العرب، مادة (قعد).

٢ - كتابه : الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلّية، ص ١٥.

٣ - كتابه : الفروق في أنوار البروق في أنواع الفروق، ج ١، ص ٥ - ٧.

٤ - سعدنا بن أعل سالم، تيسير المراجع والمداير لقواعد مذهب الإمام مالك، ص ٣٩.

مثمرةً عليه بفوائد غير مقطوع فضلها ولا ممنوع»^(١).

هذه التعريفات الاصطلاحية، وإن كان أغلبها مأخوذاً من مصادر قواعد الفقه، هي عامّة، تنطبق أيضاً على تعريف قواعد النحو، وكيفية استنباطها منه، وإقرار مسائله وجزئياته؛ لأنّها قواعد وقوانين شاملة، وهو ما يوحى بالعلاقة الوثيقة بين قواعد النحو، وقواعد الفقه. كما العلاقة وثيقة أيضاً بين أصول النحو، وأصول الفقه. حسبما سيأتي في المبحث الموالي.

ولابدّ لمُستنبط القواعد والأحكام النحوية من توافر الشروط اللازمة لعملية الاستنباط. وقد تحدّث الإمام السيوطي عن ذلك قائلاً:

«شرط المُستنبط لشيء من مسائل هذا العلم، المُرتقي عن رتبة التقليد أن يكون عالماً بلغة العرب، مُحيطاً بكلامها، مُطلعاً على نثرها ونظمها، ويكفي في ذلك الرجوع إلى الكتب المؤلّفة في اللّغات والأبنية، وإلى الدواوين الجامعة لأشعار العرب»^(٢).

وقد اهتمّ النحاة الشناقطة كثيراً بوضع القواعد النحوية، الشاملة للمسائل والجزئيات. من ذلك مثلاً صنيع:

١- عبد الله بن الطالب أحمد بن الحاج حمى الله القلاوي (ت ١٢٠٩هـ) في تأليفه المسمّى (الربّاني)، الذي هو عبارة عن (أرجوزة في النحو)، تربو على (مائة ١٠٠ بيت)، حاوياً فيها نظم ألفية ابن مالك، إذ مزج نظمه بأشطار الألفية، وشخّنه بأبياتها وألفاظها^(٣).

فمن أبرز ملامح عمله فيه أنّه خصّص فصلاً لقواعد نحوية عامّة، تندرج تحتها جزئيات عديدة، وذكر أنّه لم يُسبق إلى ترجمتها، حيث ورد في شرحه المقتضب الذي وُضِع على هذا النظم، إن صَحّت نسبته إليه: «قواعد لم يُسبق رحمه الله تعالى لهذه

١- عزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام، القواعد الكبرى الموسوم بقواعد الأحكام في إصلاح الأنام، مقدّمة التحقيق، ص ٦.

٢- الاقتراح في أصول النحو، ص ٤٣٩.

٣- توجد منه نسختان في مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ١٠٤، ١١٥، وثالثة على (مكروفلم) المعهد نفسه، تحت رقم ٤٧٦. حقّقه محمد الأمين بن عبيدي في رسالة تحرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، مودّع بقسم الرسائل تحت رقم ٤٨. كما توجد منه نسخة مخطوطة، مودعة بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية، مرجع سابق، تحت رقم ١١٠.

الترجمة، فجعلها كالأصول العامة والخاصة»^(١).

فهذا التعبير يوحي بأن الشرح ليس له، أو هو له، والتعبير لأحد السّاسخ، قاله في مستهلّ الشرح عند نسخه. ونسبه إليه الدكتور محمد المختار بن أباه، إذ قال: «قال إنّه لم يُسبق لترجمتها في التصانيف المتداولة، ولقد أبرز في شرحها جميع الجزئيات التي تدرج تحت كلّ قاعدة»^(٢).

علماً بأنّ للزّين بن الإمام بن سيدي محمد القلاوي (وُلِدَ ١٣٤٠هـ-١٩٢٠م) شرحاً عليه، سمّاه (نيل الأمانى شرح الرّبّاني)^(٣).

ويبدو أنّ اطلاع بن أباه على هذا الشرح كان عن طريق محقّقه، سالف الذكر، فإحالاته توحى بذلك. وستكون إحالاتي عليه على أنّه لصاحب النظم. وأشاد المؤلّف بنظمه، قائلاً: «ما كان مشروحاً لكم فخذوا ما تعرفون، وما لم تعرفوا فدعوا حتّى يجيء إلى القوم الذين غُدُّوا بما غُدِّيتُ به، والذهن مجتمع، فهو أي هذا النظم بسبب الإيجاز... وما انطوى عليه، وتضمّن من البدع البديعيات، والملح المستحسنات، يستقصيه، ويُزهد المتعلّمين له الحاسد الذي يمثّله، ويُشبّهه بقوله: كأنّه المُلحّة الحريرية، وهو كما فيه ترك العلامة له علامه»^(٤).

وتحدّث فيه عن جملة من القواعد، استهلّها بقوله:

يجوز حذف كلّ ما قد علّمها	والفصل بالظرفين حيث حرّما
وكلّ ما يوقع بالتباس	مُنِعَ إجماعاً وبانعكاس
وكلّ كَوْنٍ مطلقاً يَسْتَرُ	حتماً وما قُيِّدَ حتماً يظهَرُ
وعاملاً صُرِّفَ قَدَمَ عَمَلَه	وأفصله إلاّ مصدراً فكالصّله
لما التعجّب والاستفهام	وكمّ وشرطٍ أوّل الكلام
وعَوْضٌ مع المُعاضِ دُماً	أبَتْ أمّا أنت يا اللهما

١- مخطوطة المعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية، ص ٢٤.

٢- تاريخ النحو العربي، مصدر سابق، ص ٤٦٨.

٣- قام أيّذه بن محمد الإمام بتحقيقه (باب الكلام إلى باب الفاعل) في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية سنة ٢٠٠٠/٢٠٠١م. وتحقيقه مودّع تحت رقم ٤٩ بقسم الرسائل بالمعهد نفسه.

٤- شرح المؤلّف نفسه على الرّبّاني، ص ٢٩، من المخطوطة.

ومابه سُمِّيَ مِنْ أَبْوَابٍ فَهُوَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ إِعْرَابٍ
وَالْمَثْلُ إِنَّ طَرَا عَلَى مَثَلٍ خُذِفَ كَسَاكِنٍ وَتَاءِ ذِي التَّاءِ وَالْأَلِفِ
وَحُجَّةُ النُّحْوِيِّ أضعِفُ الْحُجَجَ وَالبَصْرِيَّ مَعَ تَقْدِيرِ شَأْنٍ لَا يُحْجِجُ
وَمِنْ قَوَاعِدِكَ أَنَّ الْقَاعِدَةَ إِمَّا اضْطَرَّاراً أَوْ شَذَوْذاً قَاعِدَةً^(١).

وقام رحمه الله بشرح هذا النظم، مبيناً ما يندرج تحت هذه القواعد من المسائل والجزئيات، مستوعباً فيه كثيراً مما ذكره ابن مالك في الخلاصة، ثم التسهيل والكافية^(٢).
- ففي الشطر الأول من البيت الأول: (يجوز حذف كل ما قد علماً) وضع قاعدة في جواز حذف ما يُعلم، مستدلاً في كل ذلك بما في خلاصة ابن مالك، إذ قال^(٣): «مُطلقة جارية في كل باب لا تنحصر فروعها، قال ابن مالك: وحذف ما يُعلم جائز.. إلخ»^(٤).

ثم ذكر في الشرح نماذج عديدة تندرج تحتها، مثل لها بحذف المبتدأ والخبر معاً، وبحذف أحدهما وإبقاء الآخر، وحذف (كان واسمها)، وإبقاء الخبر، وحذف الفعل وإبقاء الفاعل، وحذفها معاً، وحذف الفاعل وحده، وحذف أحد معمولي (علمت)، وحذف الفضلة، وحذف معمول الحال، والحالات التي تحذف فيها (رُبَّ)، وحذف ما يلي المضاف، إلى غير ذلك مما يجوز حذفه^(٥).

- وفي الشطر الثاني من البيت الأول: (والفصل بالظرفين حيث حرماً) وضع قاعدة (الفصل بالظرف والجاء والمجرور) بين ما لا يجوز الفصل بينه أصلاً، ثم تحدّث في الشرح عما يندرج تحتها من الجزئيات، فذكر الفصل بخبر (إنّ) بكسر الهمزة، وبالقسم بين الموصول وصلته، وبين المتضايقين، وما شابه ذلك^(٦).

١ - المصدر نفسه، ص ٢٤.

٢ - المصدر والصفحة نفسها.

٣ - المصدر والصفحة نفسها.

٤ - الشطر الأول، من البيت رقم ٢٤، من باب الابتداء، بالخلاصة.

٥ - شرح المؤلف نفسه على الرّبّاني، ص ٢٤، ٢٥، من المخطوطة.

٦ - المصدر نفسه، ص ٢٥.

- وفي البيت الثاني: (وكلُّ ما يوقَع بالتباس مُنِع إجماعاً وبانعكاس) وضع قاعدةً (لمُنِع ما يُوقَع في اللبس عند النحويين)، ومثّل له بحذف صدر الصلة إن لم يدلّ عليها دليل، وتقديم المفعول به، وخبر المبتدأ في بعض الأساليب خشية الوقوع في اللبس^(١).

- وفي البيت الثالث (وكلُّ كَوْنٍ مطلقاً يَسْتَتِرُ حتماً وما قُيِّدَ حتماً يظهرُ) وضع قاعدةً لوجوب استتار كلِّ كَوْنٍ مطلق غير مقيد، ومثّل له بحذف خبر المبتدأ بعد (لولا)، ثم استعرض مزيداً من أمثلة ما يجب استتاره، كحذف الخبر بعد الظرفين، وبعد (لا) النافية للجنس^(٢).

- وفي البيت الرابع: (وعاملاً صُرِّفَ قدَّمَ عمله وأفضله إلا مصدراً فكالصلة) وضع قاعدةً في جواز تقديم معمول العامل المتصرّف، ومثّل لذلك بتقديم المفعول به والحال ببعض الأساليب، كما تحدّث عن جواز الفصل بين العامل ومعموله، مستثنياً المصدر والصلة، فلا يتقدّم معمولهما، ولا يُفصلان^(٣).

- وفي البيت الخامس: (لِمَا التّعجّب والاستفهام وكمّ وشرطٍ أوّل الكلام) ذكر ألفاظاً تلزم لها الصدارة في الكلام دائماً، وهي (مَا) التعجّبية، و(كَمْ)، وأدوات الاستفهام والشروط^(٤).

- وفي البيت السادس: (وعِوَضٌ مع المعاضِ ذُمّا أَبَتْ أَمّا أَنْتَ يَا اللَّهُمّا)، تحدّث عن ذمّ الجمع بين العِوَض والمِعْوَض. وسيأتي تفصيل لهذه المسألة في الفصل الرابع من الباب الموالي، عند الحديث عن تأثّر النحاة الشناقطة بأساليب الفقهاء^(٥).

- وفي البيت السابع: (وما به سُمِّيَ من أبوابٍ فهو على ما كان من إعرابٍ) ذكر أنّها سُمِّيَ به من أبواب، كالمثنى والجمع السالم مثلاً فإنّه يُعرب إعرابها قبل التسمية بها^(٦).

١ - المصدر والصفحة نفسها.

٢ - المصدر نفسه، ص ٢٥، ٢٦.

٣ - المصدر نفسه، ص ٢٦.

٤ - المصدر والصفحة نفسها.

٥ - المصدر والصفحة نفسها.

٦ - المصدر نفسه، ص ٢٧.

- وفي البيت الثامن : (والمثلُ إن طَرا على مثل حُذِفَ كساكن وتاء ذي التاء والألف)، وضع عدّة قواعد، تمثّلت في حذف المثل إذا طَرا عليه مثل آخر، والساكن إذا طَرا عليه ساكن، لأنّ القاعدة الصرفية : إذا التقى ساكنان وكان أولهما ليناً حُذِفَ، وحذف ألف التانيث، وألف القصر من المفرد إذا طَرا عليهما تاء جمع المؤنث السالم، أو ألف الاثنين^(١).

- وفي البيت التاسع : (وحُجِّجَ النحويّ أضعفُ الحُجَجِ والبصريّ مع تقدير شأنٍ لا يُحَجِّج). تحدّث عن ضعف حُجَجِ النحويّين، ورجحان أدلّة البصريّين بسبب ما يميلون إليه من التقديرات. وشرح البيت قائلاً : «أي أضعف الدلائل في رفع المبتدأ والخبر وغير ذلك من الخلاف الذي لا فائدة فيه، والبصريّ من البصريّين مع تقدير ضمير شأن لا يُحَجِّج، أي لا يغلبون.. في حُجَجهم بسبب تقديرهم لضمير الشأن في كلّ ما أقيمت عليهم الحُجّة فيه»^(٢).

ثمّ استعرض أمثلة من تقديرات البصريّين في المسائل المختلف فيها، وختم هذا الشرح بقوله :

«والأحسن في فصاحة الكلام أن يؤتى بالأقلّ قليلاً، وبالأكثر كثيراً»^(٣).

- وختم هذه القواعد بالبيت العاشر : (ومن قواعدك أنّ القاعدة إمّا اضطراراً أو شذوذاً قاعدة)، مبيناً : «أنّ القاعدة النحوية لا بدّ من فسادها وانخرامها، إمّا اضطراراً لضيق الشعر، خوف فسادها، أو شذوذاً لم ينطق بها إلاّ واحد، فبهذا صارت القاعدة قاعدةً باطلة غير جارية، وعليها شواهد من كلّ باب»^(٤).

ثمّ بسط القول في التمثيل لما ذكر. ونسبّه رحمه الله في ختام هذا النظم إلى قيمة هذه القواعد بقوله : «وكان ذا النظم ضابطاً قواعد يعرف بها الذكيّ الموجود من النحو، والقرآن لمن حصّل منطوقه وتدبّر مفهومه، ولكن تأخذ الأذهان منه قدر القريحة والفهم»^(٥).

١ - المصدر والصفحة نفسها.

٢ - المصدر والصفحة نفسها.

٣ - المصدر نفسه، ص ٢٨.

٤ - المصدر والصفحة نفسها.

٥ - المصدر نفسه، ص ٢٩.

٢- وَضَعَ المختار ابن بونا قاعدةً، ضبط فيها (متى يجوز حذف الفاعل)، فقال في احمراره
(١) بعد بيت مالك في الخلاصة (٢):

(وَيَرْفَعُ الْفَاعِلُ فَعْلًا أَضْمِرًا كَمَثَلِ زَيْدٍ فِي جَوَابِ مَنْ قَرَأَ):
لَا يُحَذَفُ الْفَاعِلُ إِلَّا وَهُوَ مَعَ رَافِعُهُ الَّذِي حَذَفَهُ قَدْ اتَّسَعَ
وَمَصْدَرًا نَوَاهُ أَوْ كَذَلِكَ إِنَّ حَذْفَهُ تُؤْهِمُ ابْنَ مَالِكٍ.

وقال في شرح هذين البيتين من طرته: «(لا يحذف الفاعل) إلا في المواضع التالية:
(إلا وهو مع رافعه الذي حذفه قد اتسع)، كزيداً جواباً لمن قال: مَنْ أَكْرَمَ عَمْرُو؟ (و) ضمير (مصدراً نواه، أو كذلك)، أي ضمير اسم الفاعل، أو مصدر، (إِنَّ حَذْفَهُ تُؤْهِمُ)، نحو: (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُئْنُهُ) {يوسف: ٣٥}. وفي الحديث: (لا يزني الزاني وهو مؤمن..) (٣) وقولهم: (إذا كان غداً فأتيني) (٤) وقوله (٥):
فإن كان لا يرضيك حتى تَرُدَّنِي إلى قَطَرِيَّ لا إِخْلَاكَ رَاضِيًا.
«ابن ما لك تبعا لغير الكسائي» (٦).

يقصد أَنَّ الفاعل لا يحذف إلا مع رافعه، ولا يحذف وحده، وما تُؤْهِمُ حذفه دون رافعه أوله ابن مالك بكون الفاعل ضمير مصدر منوي، أو نحو ذلك من ضمير غير المصدر، كما في قوله تعالى: (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ)، أي بدا لهم البداء. وكما في الحديث: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، أي لا يشرب الخمر شاربها، فالفاعل هو ضمير الشارب الذي دلّ عليه (يشرب)، وكفاعل (كان) المؤول في قوله: (إذا كان غداً فأتيني)، أي إذا كان ما نحن عليه الآن من السلامة فأتيني.. وفي بيت الشعر: أي إن كان الحال المشاهدة لا يرضيك، حيث (لا يرضيك)

١- تقريب الطُّورَة، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٦٣.

٢- البيت الخامس، من باب الفاعل، من الخلاصة.

٣- الحديث بتمامه في صحيح البخاري، ج ١٤، ص ٣١، من كتاب الحدود، رواية ابن عباس: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن).

٤- يبدو أنه من قول العرب، مع أي لم أقف عليه في غير هذا المصدر.

٥- من الطويل، لسوار بن المضرب، من قصيدة له، قالها لما فرّ من الحجاج، خوفاً منه. وتقدير الفاعل: (فإن كان لا يرضيك ما نحن عليه من السلامة). ملخص من تعليق صاحب (تقريب الطُّورَة)، ج ١، ص ٢٦٤. حاشية رقم ١.

٦- المصدر نفسه، ص ٢٦٣.

حال من فاعل (كان) ^(١).

٣- ومّا يوحى باعتنائهم بضبط القواعد قول الشيخ محمّد علي بن سيدي بن سعيد (معي : ت ١٣١٠هـ) : «وانّما اشترطوا ما ذكر لثلاً تنخرم قاعدتهم، وهي أنّ العامل في الحال هو العامل في صاحبها، وصاحبها إذا كان مضافاً إليه يكون معمولاً للمضاف، ولا يعمل في الحال إلا إذا أشبه الفعل، فإذا أشبهه فالقاعدة موفّاة، وإلا فلا» ^(٢).

٤- وضبط محمّد اليدالي بن المختار بن محمد بن سعيد (ت ١١٦٦هـ) بعضاً من أحكام قاعدة جمع التكسير، فقال : «ولجمع التكسير أوزان معروفة في كتب النحو، وفي قاعدته غلبة التأنيث عليه، وأنّه لا يُنسب إليه، بل إلى مفردة، وإن نُسب إليه دون قُبْح، أو ذَكَر دُونَ قُبْح فهو اسم الجمع» ^(٣).
هذه نماذج فقط، تفيد اعتناء القوم بوضع القواعد النحوية الشاملة للجزئيات.

المبحث الثالث : الأصول الاستدلالية

- أصول النحو العربيّ

- أصول الاستدلال

أ- أصول النحو العربيّ : الأصول جمع أضلّ، وهو لغة ما ينبني عليه غيره ^(٤)، واصطلاحاً يُطلق عموماً، كما يقول الإمام الشوكانيّ على : «الراجح والمُستصحب، والقاعدة الكلية والدليل... (و) إدراك القواعد التي يتوصّل بها إلى استنباط الأحكام عن أدلّتها التفصيلية، وقيل هو العلم بالقواعد، وقيل هو نفس القواعد الموصّلة بذاتها إلى استنباط الأحكام» ^(٥).

١- تسجيل التكرار ٢ / ٣-١.

٢- في كتابه : تنبيه الصّغار بشرّح الاحرار، بابا الحال والتميز، تحقيق أحمد بن محمد عبد الله، ص ٢٩.

٣- في كتابه : تعليق في الفرق بين الجمع واسم الجنس وعلم الجنس، ص ٢، من المخطوطة.

٤- مختار الصحاح. مادّة (أصل).

٥- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، ص ٥.

وقد أفاض ابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) في خصائصه كثيراً في الحديث عن السماع والقياس والإجماع والاستحسان والعلة، باعتبارها أصولاً وأدلةً للنحو^(١)، التي يرى أنّ التأليف فيها لم ينضج إلّا على يده، موازناً بين عمل من سبقوه، وعمله فيها، حيث يقول : «وذلك أنا لم نرَ أحداً من علماء البلدين (البصرة والكوفة) تعرّض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه»^(٢).

وفرّق في خصائصه بين النحو وأصوله، قائلاً : «وليكون هذا الكتاب ذاهباً في جهات النظر، إذ ليس غرضنا فيه الرفع والنصب والجرّ والجرم؛ لأنّ هذا أمر قد فرغ في أكثر الكتب المصنّعة فيه منه، وإنّما هذا الكتاب مبنيّ على إثارة معادن المعاني، وتقرير حال الأوضاع والمبادئ، وكيف سرّت أحكامها في الحواشي»^(٣).

وعرّف الأنباري أبو البركات كمال الدين (ت ٥٧٧هـ) أصول النحو بقوله : «أدلة النحو ثلاثة : نقل وقياس واستصحاب حال، (و) أصول النحو هي أدلة النحو، التي تفرّعت منها فروعه وأصوله، كما أنّ أصول الفقه أدلة الفقه، التي تنوّعت عنها جملته وتفصيله، وفائدته التعويل على إثبات الحكم بالحجّة والتعليل، والارتفاع عن حضيض التقليد إلى الاطلاع على الدليل، فإنّ المُخلّد إلى التقليد لا يعرف وجه الخطأ من الصواب، ولا ينفكّ في أكثر الأمر عن عوارض الشكّ والارتياب»^(٤).

بين أصول النّحو، وأصول الفقه : يبدو جلياً تأثر النحويّين في أصول النحو بأصول الفقه، وهو ما صرّح به الأنباري في كتابه (نزهة الألباء)، بأنّه في أصول النحو ينسج على منوال أصول الفقه، معلّلاً ذلك بأنّ بينهما من المناسبة ما لا يخفى؛ لأنّ النحو معقول من منقول، كما أنّ الفقه معقول من منقول^(٥). ومما يعبر عن تأثر الأنباري بمنهج الفقهاء عموماً تصريحه في مقدّمة كتابه (الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريّين والكوفيّين) بأنّه إنّما «صنّفه على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعيّ وأبي حنيفة»^(٦).

١- الخصائص، ج ١، ص ١٠٠، ١١٥، ١١٧، ١٣٣، ١٧٩.

٢- الخصائص، ج ١، ص ٢.

٣- المصدر نفسه، ص ٣٢.

٤- لمع الأدلة في أصول النحو، الأنباري، ص ٨١.

٥- نزهة الألباء، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم. القاهرة : سنة ١٩٦٧ م. ص ٨٩.

٦- مقدّمة الإنصاف، ص ٥.

وهذا التأثير واضح وبيّن في تقسيمات النحويّين عموماً لقضايا أصول النحو، ومسائله وتفريعاته، ومصطلحاتهم فيه، فالشبه بينها وبين تقسيمات الفقهاء الأصوليّين، ومصطلحاتهم واضح للعيان، لا يحتاج تدليلاً عليه.

ب- أصول الاستدلال: المقصود بالأصول الاستدلالية الأصول التي يُحتجّ بها، ويُستدلّ على إثبات القواعد، والأحكام الجزئية والمسائل الفرعية^(١). وأبرز مباحثها في الاصطلاح النحويّ السماع، والقياس والإجماع، واستصحاب الحال. وفيما يلي إلقاء الضوء عليها:

١- السماع: يعرف الأنباري السماع بأنّه «الكلام العربيّ الفصيح المنقول النقل الصحيح، الخارج عن حدّ القلّة إلى حدّ الكثرة»^(٢).

ويعرفه الإمام السيوطي بقوله: «ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمّل كلام الله تعالى، وهو القرآن، وكلام نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، وكلام العرب قبل بعثته، وفي زمنه وبعده، إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المؤلّدين، نظماً ونثراً، عن مسلم أو كافر»^(٣). واهتمّ به ابن جنّي اهتماماً خاصّاً في مواطن كثيرة من خصائصه، مصرّحاً بتقديره على القياس إذا ما تعارضاً، إذ قال: «إذا تعارضاً نطقاً بالمسموع على ما جاء عليه، ولم تَقِسْه في غيره»^(٤).

وقد تحدّث عنه في مبحث المصادر، سالف الذكر بما يكفي عن إعادة الحديث عنه هنا.

٢- القياس: كما يقول الإمام الشوكانيّ هو «حملٌ معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما، أو نفيه عنهما بأمر جامع بينهما من حكم أو صفة»^(٥).

واهتمّ به ابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) على نطاق واسع في كتابه الخصائص، كما اهتمّ به أستاذه من قبله أبو عليّ الفارسيّ (ت ٣٧٧هـ)، حيث يقول ابن جنّي: «وذلك أنّ مسألة

١ - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، ص ٥.

٢ - لمع الأدلّة في أصول النحو، ص ٢٨.

٣ - الاقتراح، ص ٧٤.

٤ - الخصائص، ج ١، ص ١١٧.

٥ - إرشاد الفحول، مصدر سابق، ص ٢٩٥، وأصول الفقه، محمّد الخضري، ص ٢٨٨.

واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس. قال لي أبو علي رحمه الله :
أُخطئ في خمسين مسألة في اللغة ولا أُخطئ في واحدة من القياس»^(١).

وتوسّع ابن جنّي في القياس كثيراً حتّى بدا له أنّ ما قيس على كلام العرب فهو من
كلامهم، حيث يقول : «واعلم أنّ من قوّة القياس عندهم اعتقاد النحويّين أنّ ما قيس
على كلام العرب فهو عندهم من كلام العرب»^(٢).

واستند إليه كثيراً في مناقشة فيض غزير من قضايا العربية، ومسائلها، فعقد لذلك
العديد من الأبواب، أبرزها ثلاثة، أوّلها (في مقاييس العربيّة)، التي قسمها فيه إلى
ضريّين، معنوي ولفظي، وتوسّع فيهما، مبيناً « أنّ العرب تؤثر التجانس والتشابه، وحمل
الفرع على الأصل، ما إذا تأملتّه عرفت منه قوّة عنايتها بهذا الشأن، وأنّه منها على أقوى
بال... نعم وقد دعاهم إثارهم لتشبيه الأشياء بعضها ببعض أن حملوا الأصل على
الفرع، ألا تراهم يُعلّون المصدر لإعلال فعله، ويصحّحونه لصحّته»^(٣).

وثانيها (في جواز القياس على ما يقلّ، ورفضه فيما هو أكثر)، وذكر من أمثله حمل
شئوّة في النسب على حنيفة، وذلك لإجرائهم فعولة مجرى فعيلة لمشابتها إيّاها من عدّة
أوجه، فكما قالوا : حَنَفِيّ، قياساً قالوا : شَنَفِيّ أيضاً قياساً^(٤). وثالثها (في تعارض السماع
والقياس)، وصرّح فيه بتقديم المسموع حسبما جاء عليه، وذكر من أمثله (استحوذ)
دون القياس عليه^(٥).

وعرّفه الأنباري من الناحية الاصطلاحية، بقوله : «وهو في عُرْف العلماء عبارة عن
تقدير الفرع بحكم الأصل. وقيل : هو حمل فرع على أصل بعلة، وإجراء حُكم الأصل
على الفرع. وقيل : هو إلحاق الفرع بالأصل بجامع. وقيل : هو اعتبار الشيء بالشيء
بجامع. وهذه الحدود كلّها متقاربة»^(٦).

١ - الخصائص، ج ٢، ص ٨٨.

٢ - المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٤.

٣ - المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٩، ١١١، ١١٣.

٤ - المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٥.

٥ - المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٧.

٦ - لمع الأدلّة في أصول النحو، ص ٩٣.

وفي موضع آخر قال مبيّنًا: «وأما القياس فهو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه، كرفع الفاعل، ونصب الفعول في كل مكان، وإن لم يكن كل ذلك منقولاً عنهم، وإنّما لما كان غير المنقول عنهم من ذلك في معنى المنقول كان محمولاً عليه، وكذلك كلّ مقيس في صناعة العرب»^(١).

٣- الإجماع: الإجماع الذي يكون حُجّة هو إجماع النحويّين المعترين على مسألة ما، وبقاؤه دون خرق. يقول ابن جنّي: «اعلم أنّ إجماع أهل البلدين (البصرة والكوفة) إنّما يكون حُجّة إذا أعطاك خصمك يده ألاّ يخالف المنصوص، والمقيس على المنصوص، فأما إن لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حُجّة عليه»^(٢).

وابن جنّي بعقله الراجح، وفكره الناضج يُعدّ المؤسّس الحقيقي للأصول الاستدلالية، كما هو المؤسّس الحقيقي لأصول النحو، حسبما رأينا سالفاً، وهذا ما سمح له هنا بكثير من حرّية التفكير والتنظير، لذا نجده يصرّح بمخالفته الإجماع في قول العرب: (هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ)، حيث يقول:

«فمِمّا جاز خلافُ الإجماع الواقع فيه منذ بُدئ هذا العلم، وإلى آخر هذا الوقت، ما رأيته أنا في قولهم: (هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ). فهذا يتناوله آخرُّ عن أوّل، وتال عن ماضٍ على أنّه غلط من العرب، وأما أنا فعندي أنّ في القرآن مثلاً هذا الموضع يَفْأ على أَلْفٍ موضع، وذلك أنّه على حذف المضاف لا غير، فإذا حملته على هذا الذي هو حَشْو الكلام من القرآن والشعر ساغ وسلس، وشاع وقُبِل. وتلخيص هذا أنّ أصله: هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ جُحْرُهُ، فيجري (خرب) وصفاً على (ضَبٍّ)، وإن كان في الحقيقة لِلْجُحْرِ»^(٣).

والاحتجاج بالإجماع في مسائل النحو ليس بمتفق عليه بين النحويّين. وهو ما أشار إليه الإمام السيوطي في تعليقه على تعريف الأنباري لأصول النحو: «فزاد (الأنباري) الاستصحاب، ولم يذكر الإجماع، فكأنّه لم يَرِ الاحتجاج به في العربية، كما هو رأي قوم»^(٤).

١- الإعراب في جدل الإعراب، ص ٤٥.

٢- الخصائص، ج ١، ص ١٨٩.

٣- المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩١، ١٩٢.

٤- الاقتراح في أصول النحو، ص ١٤.

٤ - استصحاب الحال كما يقول الإمام الشوكانيّ هو: «استصحاب الحال لأمر وجودي، أو عدمي عقلي، أو شرعي، ومعناه أنّ ما ثبت في الزمن الماضي فالأصل بقاؤه في الزمن المستقبل، مأخوذ من المصاحبة، وهو بقاء ذلك لأمر ما لم يوجد ما يُغيّره»^(١). أي هو ترك الحكم على ما كان عليه حتّى يأتي ما يُزيله.

ويعرّفه الأنباريّ في الإعراب في جدل الإعراب بقوله: «وأما استصحاب الحال فإبقاء حال اللَّفظ على ما يستحقّه في الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل، كقولك في فعل الأمر: إنّما كان مَبْنِيًّا؛ لأنّ الأصل في الأفعال البناء، وإنّ ما يُعرّب منها لشبه الاسم، ولا دليل يدلّ على وجود الشبه، فكان باقياً على الأصل في البناء»^(٢).

وفي مُع الأدلّة بقوله: «اعلم أنّ استصحاب الحال من الأدلّة المعتمدة، والمراد به استصحاب حال الأصل في الأسماء، وهو الإعراب، واستصحاب حال الأصل في الأفعال، وهو البناء، حتّى يوجد في الأسماء ما يوجب البناء، ويوجد في الأفعال ما يوجب الإعراب»^(٣).

ويقول الإمام السيوطيّ في الباب نفسه: «قلت: والمسائل التي استدللّ فيها النحاة بالأصل كثيرة جدّاً، لا تُحصى، كقولهم: الأصل في البناء السكون إلّا لموجب تحريك، والأصل في الحروف عدم الزيادة، حتّى يقوم الدليل عليها من الاشتقاق ونحوه، والأصل في الأسماء الصرف والتنكير والتذكير وقبول الإضافة والإسناد»^(٤).

٥ - العلّة النحوية: العلّة النحوية عند جمهور النحاة^(٥) ركنٌ من أركان القياس، التي هي: الأصل والفرع والعلّة والحكم. وقد تناولها أبو القاسم الرّجّاجي (ت ٣٣٧هـ) تناولاً منهجياً تعليمياً، مقسّماً إيّاها إلى ثلاثة أقسام، إذ قال:

«وعِلل النحو بعد هذا على ثلاثة أضرب: عِلل تعليمية، وعِلل قياسية، وعِلل جدلية نظرية. فأما التعليمية فهي التي يُتوصّل بها إلى تعلّم كلام العرب، فمن هذا النوع

١ - إرشاد الفحول، ص ٣٥٢، وأصول الفقه، الخصري، ص ٣٥٦.

٢ - الإعراب في جدل الإعراب، ص ٤٦.

٣ - مُع الأدلّة، ص ١٤١.

٤ - الاقتراح، ص ١١٣.

٥ - ابن الأنباري وجهوده في النحو، ص ١٨٦.

من العلل قولنا : قدم زيد. إن قيل : لم رفعتم زيدا؟ قلنا : لأنه فاعل اشتغل فعله به. أما العلة القياسية فأن يقال لمن قال نصبت (زيداً) ب(إن) في قوله : إن زيدا قائم : ولم وجب أن تنصب (إن) الاسم؟ فالجواب في ذلك أن يقول : لأنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي إلى مفعول، فحملت عليه فأعملت إعماله لما ضارعت، فالمنصوب بها مشبه بالمفعول لفظاً، والمرفوع بها مشبه بالفاعل لفظاً... أما العلة الجدلية النظرية فكل ما يُعتلّ به في باب (إن) بعد هذا، مثل أن يقال : فمن أي جهة شابهت هذه الحروف الأفعال؟ وبأي الأفعال شَبَّهتموها... إلخ^(١).

أما ابن جني فتناولها في خصائصه بكثير من المناقشة والتحليل، فتحدث بالتفصيل عن شروطها، ووجوه اختصاصها، مبيّناً أوضاعها وأحوالها. وذلك في عدة أبواب عقدها للحديث عن مسائلها، منها مثلاً :

- ذكر علل العربية، أكلامية هي أم فقهية^(٢).

- باب في تعارض العلل^(٣).

- باب في الردّ على من اعتقد فساد علل النحويين لضعفه هو في نفسه عن إحكام العلة^(٤).

فرأى مثلاً في باب (ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية)، أن علل النحويين أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل الفقهاء، إذ قال : «اعلم أن علل النحويين... أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقيين. وذلك أنهم إنما يُجِيلون على الحسّ، ويحتجّون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس، وليس كذلك حديث علل الفقه، وذلك أنّها إنّما هي أعلام وأمارات لوقوع الأحكام، ووجوه الحكمة فيها خفية عنّا»^(٥).

وقد قام الشناقطة بتطبيق هذه الأصول عملياً في إنتاجهم النحوي، مع شيء من التفاوت. وفيما يلي عرض بعض الأمثلة :

١- الإيضاح في علل النحو، ص ٦٤، ٦٥.

٢- الخصائص، ج ١، ص ٤٨.

٣- المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٦.

٤- المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٤.

٥- المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٨.

١- رأى محمد اليدالي بن المختار بن محمد بن سعيد (ت ١١٦٦هـ) أنَّ لفظ (الفُلْك) في حالة الإفراد محمول على (قُفْل)، وفي حالة الجمع محمول على (مُحَر)، حيث يقول: «ولذا كان فُلْكُ جمعاً؛ لأنَّه يُشْنَى، ولكنَّه لا يُجمع ولا يُؤنَّث، فيُقدَّر في مفرده ضَمَّةُ المفرد وسكوْنُه، وفي جمعه ضَمَّةُ الجمع وسكوْنُه، فهو في المفرد نظير قُفْل، وفي الجمع نظير مُحَر، فهما متغايران»^(١).

٢- ذكر المختار ابن بونا (ت ١٢٢٠ أو ١٢٣٠هـ) أنَّ الأصل في تنكير الأخبار يعود إلى أنَّ نسبة الخبر من المبتدأ محمولة على نسبة الفعل من الفاعل. فعند قوله من الاحمرار: (والأصل أنَّ تُنكَر الأخبارُ وليس في تعريفها ضراؤ^(٢))، يقول في الطَّرة معلِّقاً: «والأصل أنَّ تنكَر الأخبار؛ لأنَّ نسبتها من المبتدآت نسبة الفعل من الفاعل»^(٣).

ويقول سيدي محمد بن حبت عند شرح بيت ابن بونا هذا: «لأنَّ نسبته من المبتدأ نسبة الفعل من الفاعل.. قال الرضي^(٤): لأنَّه مسند فشابه الفعل، والفعل خالٍ من التعريف والتنكير، إذ هما من عوارض الاسم»^(٥).

٣- وذكر قلة فَضْل (لا)، و(لَمْ) الجازمتين بمعمولي مجزوميَّهما، وجواز إهمال (لَمْ)، وعدم إعمالها، حملاً على (لا) النافية، فقال^(٦):

وَقَلَّ فَضْلُ لَا وَلَمْ وَأَهْمِلَا حَمَلًا عَلَى لَا لَمْ وَنَضِبًا قَلًّا.

ويبيِّن أيضاً أنَّ التَّحَاةَ جَوَّزُوا تذكير المؤنَّث حملاً على معناه، كما جَوَّزُوا العكس، فقال^(٧):

وَذَكَرُوا مُؤنَّثًا حَمَلًا عَلَى مَعْنَاهُ وَالْعَكْسُ أَتَى. وَنُقِلَا.

١- تأليفه: تعليق في الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس وعلم الجنس، ص ٤، من المخطوطة.

٢- البيت رقم ٥، من الاحمرار، بعد قول ابن مالك في باب المبتدأ والخبر من الخلاصة: (ورغبة في الخير خيرٌ وعَمَلٌ بِرٌّ يَزِينُ وَلَيْتَسَ مَا لَمْ يُقَلِّ).

٣- تقريب الطَّرة، ج ١، ص ١٥٠.

٤- رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (ت ٦٨٦هـ). يراجع الأعلام، ج ٦، ص ٨٦.

٥- المواهب النحوية، باختصار حفيده، ج ١، ص ٢٨٣.

٦- البيت رقم ٢، من احمرار البيت الأول من باب الجوازم، من الخلاصة. يراجع تقريب الطَّرة، ج ٢، ص ٦٢٤.

٧- البيت رقم ٧، من احمرار البيتين الأولين، من باب التذكير والتأنيث، من الخلاصة. يراجع تقريب الطَّرة، ج ٢، ص ٦٨٧.

٤- من استعمالات المختار بن بونا للاستحسان في باب التوكيد ذكره عدم اتحاد توكيد المتعاطفين إلا إذا كان العامل فيهما مؤتلفاً معنئياً وعملاً، فيكون مُستحسن الاستعمال من حيث القياس عند جمهور النحاة، حيث يقول ^(١) :

لَمْ يَتَّحِدْ تَوْكِيدُ مَا تَعَاطَفَا إِلَّا إِذَا الْعَامِلُ فِيهِ ائْتَلَفَا
فَنَحَوُذَا أَتَى وَجَاءَ الْحَسَنُ كِلَاهُمَا مُسْتَعْمَلٌ مُسْتَحْسَنٌ.

٥- ومن استخدامه للترجيح في مسألة إضافة اثنين، هما جزءاً مُثنئياً، مخفوض بهما لفظاً ومعنئياً، قوله ^(٢) :

وَرَجَّحُوا الْجَمْعَ فَالْإِفْرَادَ فَمَا ثَنُّوا عَلَى الْأَصَحِّ فِي اثْنَيْنِ هُمَا
جُزْءًا مُثْنًى خَفَضَـهُ وَجُمِعَ مُنْفَصِلَانِ حَيْثُمَا لَبَسَ رُفْعٌ.
ومثل قوله في مسألة زيادة بعض الحروف في صدر الكلام، أو تضعيفها ^(٣) :
وَرَجَّحُوا زِيَادَةَ الَّلْذِ ضِدْرًا مِنْ يَاءٍ أَوْ هَمْزَةٍ أَوْ مِيمٍ يُرَى
مَا بَعْدَهُ اللَّيْنِ أَوْ التَّضْعِيفِ مَا لَمْ يَكُنْ تَرْجِيحُهُ ضَعِيفًا.
ومثل قوله في مسألة إلحاق الثلاثي بالخماسي ^(٤) :

وَمِثْلُ الْحَبْنَطَى وَكَذَا الصَّمَحْمَحِ عَلَى سَبِيلِ غَيْرِهِ يُرَجَّحُوا
مِثْلُ عَفْنَجٍ وَهَكَذَا دُرِي مِثْلُ عَقْنَقَلٍ وَكَالْقَنْوَرِ.

٦- وذكر سيدي محمد بن حَبْتُ القلاوي (ت ١٢٨٨هـ) أَنَّ بعض الأحكام قد يُحمل أَقلُّه على أَكثره إِجْرَاءً لِلْبَابِ عَلَى سَنَنِ وَاحِدٍ، حيث يقول : «وعند سيبويه أَنَّ المعرفة تكون خبراً عن النكرة في نحو (كَمْ مَالِك)؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يَقَعُ بَعْدَ الِاسْتِفْهَامِ

١- البيتان : الخامس والسادس، من الاحرار، الوارد بعد الأبيات الستة الأولى من باب التوكيد بخلاصة ابن مالك. يراجع تقريب طرّة ابن بونا، ج ٢، ص ٥٠٢.

٢- البيتان : السادس والسابع من الاحرار، الوارد في نهاية باب المقصور والممدود من ألفية ابن مالك. يراجع تقريب طرّة ابن بونا، ج ٢، ص ٧٠١.

٣- البيتان : الأول والثاني من الاحرار، الوارد قبل البيت الأخير من باب التصريف في ألفية ابن مالك. يراجع تقريب طرّة ابن بونا، ج ٢، ص ٧٦٢.

٤- البيتان الأخيران من الاحرار، الوارد في نهاية باب التصريف، من ألفية ابن مالك. يراجع تقريب طرّة ابن بونا، ج ٢، ص ٧٦٥.

النكرات والظروف والجمل، فتعيّن إذ ذاك كَوْن الاستفهام مبتدأً، نحو مَنْ قائم ومَنْ عندك ومَنْ قام، فُحْكَم على (كَمْ) بالابتداء، وعلى المعرفة بالخبرية إجراءً للباب على سَنَنِ حَمَلًا لِلأَقْل على الأكثر^(١).

٧- ذكر أنّ الكوفيّين يرون أنّ المبتدأ والخبر «مترافعان لطلب كلّ منهما صاحبه، قياساً على عمَل كلّ من اسم الشرط والفعل المجزوم به في صاحبه، نحو: [أَيًّا مَا تَدْعُوا] (١١٠، الإسرائ)^(٢).

٨- كما رأى في تعليقه على قول ابن مالك^(٣): (وُخْفَفْتُ كَأَنَّ أَيْضاً فَنُوي منصوبها وثابتاً أيضاً رُوي) تخفيف (كَأَنَّ) حملاً على (أَنَّ) المفتوحة. حيث قال: «(وُخْفَفْتُ كَأَنَّ أَيْضاً) حملاً على (أَنَّ) المفتوحة، (فَنُوي منصوبها) كثير، كقوله^(٤): (وَصَدْرُ مُشْرِقِ النَّحْرِ كَأَنَّ ثُلْدِيَاهُ حُقَّان) .. أي كَأَنَّ النحر ثدياه حُقَّان»^(٥).

٩- رأى الشيخ محمد عالي بن سيدي بن سعيد (معي: ت ١٣١٠هـ) أنّ صاحب الحال لا يقع نكرة ما لم يختصّ بنعتٍ، حملاً على المبتدأ، حيث لا يقع نكرة ما لم يختصّ، حيث يقول: «ولما كانت الحال خبراً في المعنى، وصاحبها مخبراً عنه أشبه المبتدأ، فلم يجوز مجيء الحال من النكرة غالباً إلاّ بمسوِّغ من مسوِّغات الابتداء بالنكرة، فكما لا يقع المبتدأ نكرة ما لم يختصّ لم يقع ذو الحال نكرة ما لم يختصّ بنعت»^(٦).

كما يرى أنّ ما يتعلّق بالمضاف إليه لا يتقدّم على المضاف، حملاً على أنّ ما يتعلّق بالصلة لا يتقدّم على الموصول، حيث يقول: «فكما لا يتقدّم ما تعلّق بالصلة على الموصول، كذلك لا يتقدّم ما تعلّق بالمضاف إليه على المضاف»^(٧).

١- المواهب النحوية، باختصار حفيده، ج ١، ص ٢٨٤.

٢- المواهب النحوية، باختصار ولده: الشيخ محمد بن حبت (ت ١٢٩٩هـ)، ٢٦١.

٣- البيت الأخير من باب (إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا) في الخلاصة.

٤- من الهزج، مجهول القائل، وهو مشهور في كتب النحو. ويرى: (وَصَدْرُ مُشْرِقِ النَّحْرِ). يراجع عبد المجيد الشرنوب، إرشاد السالك شرح ألفية ابن مالك، ص ٤٨، وتقريب الطوّعة، ج ١، ص ٢٢٦، وشرح ابن عقيل، تحقيق إميل يعقوب، ج ١، ص ١٩٨.

٥- المواهب النحوية، اختصار الشيخ محمد بن حبت، ج ١، ص ٦٣٠.

٦- يراجع تنبيه الصّغار بشرح الاحرار، ص ٢١.

٧- يراجع المصدر نفسه، ص ٢٨.

هكذا تناول الشناقطة مسائل الأصول من حيث التطبيق في بحوثهم التَّحوية، دون التعرُّض للأصول الاستدلالية نفسها. وهم في ذلك المسلك مقلِّدون لبعض أسلافهم من نحاة العربية، وهو ما يتَّضح من الأمثلة المذكورة.

الباب الثالث

النحو العربي وأثره في العلوم الشرعية ببلاد شنقيط

الفصل الأول : النحو والعقيدة

الفصل الثاني : النحو والتفسير

الفصل الثالث : النحو والقراءات

الفصل الرابع : النحو والحديث

الفصل الخامس : النحو والفقه والأصول

الفصل السادس : النحو واللغة والمنطق

تمهيد

كان لخدمة القرآن الكريم أثر بارز، متميز في النشاط النحوي عند الشنقيطين، فعلم العربية عندهم قامت من أجل تفسيره وفهم مضامينه، كما هو الحال عند غيرهم من المسلمين، وقد تلوّنت خدمتهم له، فكان من ضمنها إعرابه وتصريفه، وذلك إمّا بشكل مستقلّ، في كتب خصّصوها لإعرابه وتصريفه، وإمّا ضمن كتب التفسير، فجاء الإعراب فيها يشكّل لونا من ألوانه المتعدّدة، كما اعتنوا بتوظيف هذا الإعراب في المباحث العقدية، والقراءات القرآنية اعتناء كبيرا، سواء أكانت متواترة أم شاذّة، حيث توسّعوا في الاحتجاج بها، والاستدلال لها، من أجل توثيقها وتأصيلها، كما وظّفوه كثيرا في خدمة بحوث الحديث الشريف والفقه والأصول.

إذ من السمات البارزة لدى العلماء الشناقطة سمة الموسوعية، فكان العالم منهم في الغالب متعدّد المعارف، متمكّن من العلوم اللغوية والشرعية، ممّا نشأ عنه عندهم ترابط وثيق بين هذه العلوم جميعها، خصوصا مادّة النحو مع غيرها من المعارف، حيث كلّ فرع من هذه المعارف يحتاجها احتياجا كبيرا، فهي الآلة التي لا يستغني عنها فنّ من فنون الثقافة العربية الإسلامية، وذلك لأنّ النحو العربي نشأ نشأةً عربية خالصة، وترعرع في أحضان القرآن العظيم من أجل خدمته والدفاع عنه وتبيان كنوزه، والوقوف على إعجازه وإظهار جمال أسرارهِ، ممّا جعل أثر هذه الأداة واضحا وقويا في بحوث العلوم الشرعية جميعها، وهو ما سيّضح من المباحث الآتية.

الفصل الأوّل : النحو والعقيدة

كان الشناقطة أوّل أمرهم على العقيدة السلفية منذ مستهلّ الفتح الإسلامي، متمسّكين بها، معتمدين فيها على الكتاب والسنة، إلى أن انتشرت الأشعرية (نسبة إلى أبي الحسن الأشعري، المتوفّى سنة ٣٢٤هـ) ببلاد شنقيط، قادمة من المغرب، في مؤلّفات في العقيدة الأشعرية، أخذت سبيلها إلى المؤسّسة التعليمية الشنقيطية، لعلماء أشعريين مغاربة، لهم منزلة في نفوس الشناقطة، كمؤلّفات السنوسي أبي عبد الله محمد بن يوسف (ت ٨٩٥هـ)، وعبد الواحد بن عاشر الفاسي (ت ١٠٤٠هـ)، وأحمد المقرئ، الملقّب

شهاب الدين (ت ١٠٤١هـ)^(١). وكان تأثر الشناقطة بهذه التآليف تأثراً بالغاً منذ أن وصلت أيديهم.

يقول الدكتور الطيّب بن عمر: «إن أبرز ما تميّزت به دولة المرابطين منهجها الإسلامي السلفي، القائم على التمسك بنصوص الكتاب والسنة... وتعتبر الدولة المرابطية واحدة من أبرز الدول الإسلامية، التي تأسست على الفكر الإسلامي السلفي الخالص من شوائب البدعة... وكان المرابطون لا يعدلون عن تعاليم عبد الله بن ياسين، وقد سار علماءهم وفقهاؤهم من بعده على المنهج الذي رسمه، فكانوا سلفيين، أصحاب حديث وفروع، لا يتجاوزون الكتاب والسنة، والمعاني التي تنبني عليها»^(٢).

فظلّ المرابطون على العقيدة السلفية إلى أن دخلت الأشعرية بلاد المغرب الإسلامي، على أيدي رجال رحلوا إلى المشرق، وعادوا بها، من أمثال أبي عمران الفاسي (ت ٤٣٠هـ)، وأبي الوليد الباجي (ت ٤٧٤هـ)، وأبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي، المعروف بالمرادي (ت ٤٨٩هـ)، وأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي (ت ٥٤٣هـ). وكان ذلك قبل رحلة ابن تومرت أبي عبد الله محمد (ت ٥٢٤هـ) إلى المشرق بسّ سنوات، الذي عمل بعد عودته إلى المغرب جاهداً على نشر العقيدة الأشعرية^(٣). يقول ابن خلدون:

«إنّه (ابن تومرت) لقي أئمة الأشعرية بالمشرق وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه، بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن أتباعهم في التأويل فطعن على أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل، والأخذ بمذهب الأشعرية في كافة العقائد، وأعلن إمامتهم ووجوب تقليدهم»^(٤).

فبعد انتصار الدولة الموحدية على الدولة المرابطية عام (٥٤١هـ)^(٥)، واستتباب الأمر في المغرب لأتباع ابن تومرت عام (٥٤٢هـ) قاموا بتعقيب الدولة المرابطية تعقباً

١- المصدر نفسه ص ٢٢٩، ٢٣٠.

٢- في كتابه: السلفية وأعلامها في موريتانيا، ص ١٨٨.

٣- المصدر نفسه، ص ١٩٩، ٢٢١.

٤- تاريخ ابن خلدون، ج ٦، ص ٢٢٦. نقلاً عن السلفية وأعلامها في موريتانيا، ص ٢٢٠.

٥- تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ص ٦٠.

لا هوادة فيه ولا رحمة، واستأصلوا شأفة أنصارها البارزين، وضربوا على أيدي فقهاء المالكية السلفيين الذين كانت لهم اليد الطولى في عهد المرابطين، واستحلّوا دماء أهل السنّة، وقتلوا منهم خلائق لا يحصيها إلا الله خالقها، وفرضوا العقيدة الأشعرية في المغرب بالسيف»^(١).

وقد انقسم المجتمع الشنقيطي في المعتقد إلى قسمين، قسم، وهو الأغلبية اعتنق الأشعرية، وقسم أغلبه من العلماء والباحثين، بقي متمسّكا بالعقيدة السلفية، أو أحيائها من جديد، وأعاد لها بريقها الذي كانت عليه في البلاد. ويمثّل المدرسة السلفية العقدية في العصر الحديث ببلاد شنقيط جمع غفير من العلماء والباحثين الأكاديميين، منهم مثلاً العلامة محمّد الأمين بن محمّد المختار الشنقيطي، الملقّب (آبَه بن أخطور/ ت ١٣٩٣هـ)، صاحب تفسير أضواء البيان، والشيخ بدّاه بن البصري (ت ١٤٣٠هـ)، والشيخ محمّد سالم بن عدّود (ت ١٤٣٠هـ)، والشيخ محمد الحسن بن الددو، رئيس مركز تكوين العلماء، والشيخ أحمدّو بن حبيب الرّحمن، إمام الجامع الكبير بالعاصمة انواكشوط، وغيرهم كثير.

وقد وظّف العلماء الشناقطة مسائل النّحو في مباحث العقيدة على نطاق واسع، خصوصاً في المسائل الشائكة منها غالباً، لإيضاح معانيها، وإزالة اللبس عن مسائلها، وذلك أثناء شرح النصوص ومناقشتها. وفيما يلي عرض بعض النماذج للتدليل على ذلك :

- يقول محمّد الأمين بن محمّد المختار الشنقيطي، الملقّب (آبَه بن أخطور/ ت ١٣٩٣هـ) : «قوله تعالى : {الرّحمن الرّحيم} (الفاتحة : ٢) : هما وصفان لله تعالى، أو اسمان من أسائه الحسنی، مشتقان من الرّحمة على وجه المبالغة، والرّحمن أشدّ مبالغة من الرّحيم؛ لأنّ الرّحمن هو ذو الرّحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، والرّحيم ذو الرّحمة للمؤمنين يوم القيامة»^(٢).

إذ تحدّث هنا عمّا وُصِف به اسمُ الجلالة، أو ما سُمّي به ربُّنا جلّ علاه من صيغ المبالغة، المشتقة من الرّحمة.

١ - السلفية وأعلامها في موريتانيا، ص ٢٢٤.

٢ - تفسيره : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج ١، ص ١٠١، ١٠٢.

- وعند قوله تعالى : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} (الفاتحة : ٤)، يقول : « أشار في هذه الآية الكريمة إلى تحقيق معنى : (لا إله إلا الله)؛ لأنّ معناها مركّب من أمرين : نفي وإثبات. فالنفي : خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، والإثبات : أفراد ربّ السموات والأرض وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه المشروع. وقد أشار إلى النفي من (لا إله إلا الله) بتقديم المعمول، الذي هو {إِيَّاكَ}. وقد تقرر في الأصول، في مبحث دليل الخطاب، الذي هو مفهوم المخالفة، وفي المعاني، في مبحث القصر أنّ تقديم المعمول من صيغ الحصر، وأشار إلى الإثبات منها بقوله {نَعْبُدُ}»^(١).

ففي تحقيق معنى (لا إله إلا الله)، تحدّث عن النفي والإثبات، وتقديم المعمول، وهي مباحث نحوية، بلاغية، أصولية، وُظفّت جميعاً في تحقيق هذا المبحث العقديّ.

- ووظف هذا العلامة الجليل رحمه الله النحو توظيفاً قوياً في مبحث نفيس كتبه في علّم تأويل المتشابه. فعند قوله تعالى : {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ} (آل عمران : ٧)، يقول :

«لا يخفى أنّ هذه الواو محتملة للاستئناف، فيكون قوله : {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} مبتدأ، وخبره {يقولون}، وعليه فالمتشابه لا يعلم تأويله إلا الله وحده، والوقف على هذا تامّ على لفظة الجلالة. ومحتملة لأن تكون عاطفة، فيكون قوله : {وَالرَّاسِخُونَ} معطوفاً على لفظ الجلالة، وعليه فالمتشابه يعلم تأويله الراسخون في العلم أيضاً. وفي الآية إشارات تدلّ على أنّ الواو استئنافية لا عاطفة... ومما يؤيد أنّ الواو استئنافية لا عاطفة، دلالة الاستقراء في القرآن أنّه تعالى إذا نفى عن الخلق شيئاً وأثبتته لنفسه، أنّه لا يكون له في ذلك الإثبات شريك... إلخ»^(٢).

كلام نفيس في إطار الإيمان بالمتشابه، وهو مبحث عقديّ، وُظفّ فيه النحو توظيفاً كبيراً.

- قال الله تعالى : {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ} (هود : ٢)، فقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : «هذه الآية الكريمة فيها الدلالة الواضحة على أنّ الحكمة العظمى التي أنزل القرآن من أجلها هي أن يُعبد الله جلّ وعلا وحده، ولا يُشرك به في

١- المصدر نفسه، ص ١٠٣.

٢- المصدر نفسه، ص ٣٣١، ٣٣٢.

عبادته شيء؛ لأنّ قوله جلّ وعلا : {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} (هود : ١٠٢) صريح في أنّ آيات هذا الكتاب فُصِّلَتْ مِنْ عِنْدَ الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ لِأَجْلِ أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ، سواء قلنا : إنّ (أَنَّ) هي المفسّرة، أو إنّ المصدر المنسبك منها ومن صلتها مفعول من أجله؛ لأنّ ضابط (أَنَّ) المفسّرة أن يكون ما قبلها متضمناً معنى القول، ولا يكون فيه حروف القول»^(١).

توظيف واسع من هذا العلامة الكبير للإعراب في مناقشة المسائل العقدية.

- أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ وَضَعُ عَنْدهُ عَلَى الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي». فقال الشيخ محمد حبيب الله بن ميايبي الشنقيطي (ت ١٣٦٣ هـ) : «قوله : (وهو يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ) جملة حالية، أي وهو عز وجل يكتب على نفسه لأجل رحمة عبادِهِ، لا لوجوب شيء عليه، ولا لخوف أن ينسى شيئاً، تعالى عن ذلك علواً كبيراً. (إِنَّ رَحْمَتِي) : تنازع فيه كَتَبَ وَيَكْتُبُ»^(٢).

فهو هنا يستخدم الإعراب لغرض تفسير ألفاظ الحديث وتبينها، والبحث عقديّ.

- أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ((لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ...)). فقال الشيخ محمد حبيب الله بن ميايبي الشنقيطي : «قوله : لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ. أحداً : مفعول (يُدْخِلُ)، و(عَمَلُهُ) فاعل. والأصل اتّصال الفاعل بالمفعول، وانفصال المفعول عنه، لكن قد جيء به هنا في الحديث على خلاف الأصل، وقد يجاء بخلاف الأصل. وظاهر هذا الحديث أنّ الأعمال الصالحة لا تُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ... فيرجع معنى الحديث إلى أنّه تعالى لا تُوجِبُ الأعمال الصالحة عليه إدخال أهلها الجنة، بل يُدْخِلُهُمْ بِمَحَضِّ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ وَفَاءً بِوَعْدِهِ تَعَالَى»^(٣).

فهذا من أحاديث العقيدة، وقد وظّف الشيخ النحو لتفسيره، وإيضاح معانيه.

١ - المصدر نفسه، ج ٣، ص ٧.

٢ - شرّحه على الصحيحين المسمّى : زاد المسلم فيما اتّفق عليه البخاري ومسلم. ج ٢، ص ٧٧، ٧٨.

٣ - المصدر نفسه، ص ٨٢، ٨٣.

- أخرج البخاري ومسلم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار)). فقال الشيخ محمد حبيب الله بن ميايبي : « قوله : ما من أحد : أي ما من عبد من عبيد الله، ذكراً كان أو أنثى (يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) صلى الله عليه وسلم شهادة (صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار). والجار والمجرور الأول، أي قوله : من قلبه، يتعلّق بقوله : صدقاً، أو بقوله : يشهد. فعلى الأول الشهادة لفظية، أي يشهد بلفظه، ويصدق بقلبه، وعلى الثاني، وهو أنه متعلّق بقوله : يشهد، الشهادة قلبية، أي يشهد بقلبه، ويصدق بلسانه.. إلخ»^(١).

هكذا وظّف العلماء الشناقة النحو في مناقشة المسائل العقدية، وتفسير نصوصها، وإيضاح معانيها.

الفصل الثاني : النحو والتفسير

امتزجت بحوث النحو ببحوث التفسير منذ نشأته، وعبر العصور، باعتبار الإعراب أساساً من أساساته التي لا غنى له عنها، حيث يستند إليها، ويتعمد اعتماداً كبيراً. وكان علماء التفسير الشناقة مثل أسلافهم، قاموا بتوظيف الإعراب في كتب التفسير على نطاق واسع لأجل خدمته، والكشف عن معانيه، وتبيان الأحكام الشرعية، وإعراب الأساليب. وفيما يلي توضيح ذلك في جملة من تفاسيرهم :

أ- (الذّهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز)^(٢). لمحمد اليدالي بن المختار بن محمد بن سعيد اليدالي (ت ١١٦٦ هـ)^(٣). وهو موسوعة ضخمة في أربعة أجزاء، مخطوطة، صفحات الجزء الواحد منها حوالي (خمسمائة ٥٠٠ صفحة)، من الورق الكبير. وقد صرّح في مقدّمته أنّه جمعه من أمّهات الكتب، وليس له سوى فضل جمعه، حيث يقول :

١- المصدر والصفحة نفسها.

٢- توجد منه أجزاء بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩،

«ومن رأى خلا في هذا الكتاب فليراجع الأخطاء المنقول منها، لا تصرّف لي فيه إلا محض نقل كلامهم وجمعه؛ لأنّ دأبي التقاط درر العبارات من حياض العلماء، وأخذ غزير الإشارات من حياض الحكماء، فهو لسانهم وبيانهم لا بياني..»^(١).

إنّما أمانة نادرة لدى الكثير من المؤلّفين، وتواضع ليس باليسير منه رحمه الله. وقد نبّه من عثر فيه على سهو أنّه بإزاء ذلك سيجد فيه فوائد جمّة، فقال: «ومن عثر في هذا الكتاب على سهو.. فسيقف على إحسان كثير. وقد نفع الله الأئمة بكتب طارت كلّ مطار وجاوزت الفلوات وشواطئ البحار، وما منها كتاب إلا وقد وقع فيه عيب، وعرف فيه غلط، ولا ريب، ولم يجعل الناس ذلك سبباً لرفضها وهجرها، ولا توقّفوا عن الاستضاءة بأنوار فجرها»^(٢).

وهو تفسير قيّم، يُلاحظ في نصوصه المنقولة الاعتناء بتبيين القرآن بالقرآن، والأحاديث الشريفة، وأقوال الصحابة والتابعين، وأقوال علماء التفسير واللغة والنحو والأدب.. وقد اهتمّ فيه بمناقشة المسائل الإعرابية، وأهمّ سمات منهجه فيها:

- أنّه يوظف المسائل الإعرابية أحياناً لغرض التفسير وإيضاح المعنى، من ذلك مثلاً ما سجّله عند قوله تعالى: [أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ] {٨٦، البقرة}، حيث قال: «استكبرتم: تكبرتم عن أتباعه جواب (كلّم)، وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ»^(٣).

ومنه ما قيّده بتوسّع عند قوله تعالى: [فقليلًا مَّا يُؤْمِنُونَ] {٨٧، البقرة}، حيث قال: «(ما): زائدة أو مصدرية أو نافية، ثلاثة أقوال، أمّا على القول بزيادتها فإنّها زائدة لتأكيد القلّة، أي يؤمنون إيماناً قليلاً جداً... وعلى هذا (فقليلًا) نصب صفة لمصدر محذوف، أي فإيماناً قليلاً يؤمنون، أو معناه بقليل.. يؤمنون، ويكفرون بأكثره، أو يؤمنون بقليل من الرسل... وعلى هذا (فقليلًا) نصب بنزع الخافض، وهو الباء. وأمّا على أنّها مصدرية كما قال الدماميني، فقال مكّي: إنّها إن جعلت مصدرية لم يجز أن ينصب (قليلًا) بالفعل الذي بعده، بل ينصب بفعل مقدّر، و(قليلًا) نعت، أي يؤمنون إيماناً قليلاً... وأمّا على

١ - ص ٣، من المخطوط.

٢ - المصدر والصفحة نفسها.

٣ - ص ٤٠، من المصدر نفسه.

أَنَّهَا نَافِيَةٌ فَمَعْنَاهُ : لَا يُؤْمِنُونَ قَلِيلًا، وَلَا كَثِيرًا...»^(١).

إنَّه تَوْضِيفٌ وَاضِحٌ لِمَسَائِلِ الْإِعْرَابِ لِإِضْاحِ الْمَعْنَى وَالتَّفْسِيرِ.

- كثير الاعتناء بتوثيق النقول، وإسناد العلم إلى أهله، تأكيداً لما صرَّح به في المقدِّمة، لذلك غالباً ما ينهيها بعبارة (انتهى)، من ذلك مثلاً مناقشته إعراب قوله تعالى : [أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً] {٢٦، البقرة}، إذ قال :

«مثلاً : مفعول أوَّل، (ما) نكرة، موصوفة بما بعدها مفعول ثانٍ... قاله الجلال. وقال الكواشي والبيضاوي : (ما) : إيهامية إذا قرنت بمنكَّر زادته إيهاماً، نحو : أعطني كتاباً ما، تريد أيّ كتاب كان. فبعوضةٌ على هذا صفة لها، أو عطف بيان لـ (مثلاً)، أو (ما) زائدة لتوكيد الحسنة، نحو : (فِيهَا رَحْمَةٌ) {آل عمران : ١٥٩}، ف (ما) بعدها المفعول الثاني.. (بعوضةٌ) : مفعول ثانٍ لـ (يضرب)، لتضمُّنْته معنى الجعل على أنَّ (ما) زائدة، وعلى أنَّها نكرة موصوفة بـ (بعوضةً)، ف (ما) مفعول ثانٍ، و (بعوضةً) عطف بيان، لـ (مثلاً). وقال البيضاوي: أو (بعوضةً) مفعول لـ (يضرب)، و (مثلاً) حال تقدَّمت عليه؛ لأنَّ (بعوضةً) نكرة . انتهى»^(٢).

وهو مسلَّك يؤكِّده قوله الذي ختم به تحليلاً من تحليلاته الإعرابية : «سبكت كلام بعضهم ببعض، ولَفَّقْتَهُ»^(٣).

يقصد أنَّه لم يكن له سوى الجمع والتلخيص والتنسيق المحكم. إنَّها فعلاً أمانة نادرة، وتواضع جميل.

- غير أنَّه قد يحجم عن عزو هذه التحليلات، والمناقشات الإعرابية، كحديثه مثلاً عند قوله تعالى : (يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضَخٍ حِجِّهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ... ٩٦، البقرة) : «لو : مصدرية بمعنى (أن)، وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول (يودُّ)... (أَنْ يُعَمَّرَ) : فاعل (مُرْضَخٍ حِجِّهِ)، أي تعميره، ويُستعمل (زحزح) لازماً، ومتعدّياً. ويحتمل أن يكون (هو) للتعمير مبتدأ، و (أَنْ يُعَمَّرَ) بدلاً من (هو)، و (بِمُرْضَخٍ حِجِّهِ) خبر. ويحتمل أن يكون للأمر والشأن، وما بعده مبتدأ، وخبره في موضع

١ - المصدر نفسه ص ٣. ينظر مزيد في ص ٤٤، ٤٥، ٤٧ منه.

٢ - المصدر والصفحة نفسها. ينظر مزيد في ص ٣٣، ٤٧ منه .

٣ - ص ٤، من المصدر نفسه.

خبر (هو)، ويمنع من هذا التأويل دخول الباء في (بَمَزَحَ حَ)؛ لأنَّ المجهول، أي ضمير الشأن لا يُفسَّر إلاَّ بالجمل السالمة من حروف الخفض»^(١).

إلاَّ أنَّ هذا ليس بالسمة الغالبة في هذا التفسير القيم .

- أحيانا يناقش توجيهات إعرابية في أسلوب قرآني ثمَّ يعمِّم هذه التوجيهات على أساليب قرآنية أخرى مشابهة. فقد ذكر في (ما) من قوله تعالى : (فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ... ٨٧، البقرة)، ثلاثة أوجه، هي : الزيادة، والمصدرية، والنفي، ثمَّ قال : «وهذه الاحتمالات جارية في قوله تعالى : (قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ... ٢٠، الأعراف)، (وَكُنَّا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ... ١٧، الذَّارِيَات). قاله الكواشي والخازن وتكميل^(٢) المرام^(٣). وهو شيء فائض في تفسيره.

- كثيرا ما يستشهد للوجه النحوية بروايات النحويين واستدلالاتهم، ناقلا شواهدهم كما هي من حديث شريف، وأقوال للعرب، شعرا ونثرا، بدقَّة وأمانة. من ذلك مثلا ما ذكره عند قوله تعالى : (إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ... ١٣٠، البقرة)، حيث قال: «وقال الثعالبي : وسَفِهَ من السفه، الذي معناه الرقَّة والخفَّة. وقال مكِّي^(٤) : سَفِهَ معناه: جهل وضيع. ويحتمل أن (نفسه) انتصب بنزع الخافض، أي : سَفِهَ في نفسه، أو على التمييز، وأصله : سَفِهَ نفسه بالرفع ، نحو... قول جرير^(٥) :

ونأخذ بعده بَذَنَابٍ عَيْشٍ أَجَبَّ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ.

قاله البيضاوي في البغوي. قال الفراء : نصب (نفسه) على التفسير^(٦)، وكان الأصل سَفِهَتْ نفسه، فلمَّا أضاف الفعل إلى صاحبها أخرجت النفس مفسَّرةً ليعلم موضع السَّفه، كما يقال : ضَبَقْتُ به ذرعا، أي ضاق ذرعي به. انتهى. وقال المبرِّد وثعلب : سَفِهَ بالكسر متعَدًّا، وبالضمَّ لازم . ويشهد له حديث : (الكِبَرُ أَنْ تَسْفَهَ الْحَقَّ، وَتَغْمِطَ

١- ص ٤١، من المصدر نفسه. ينظر مزيد في ص ٤٣، ٤٧.

٢- تكميل المرام بشرح شواهد توضيح ابن هشام للشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي (ت ١٠٩١هـ).

٣- الإبريز، ج ١، ص ٤.

٤- مكِّي أبو محمد بن أبي طالب حموش الأندلسي (ت ٤٣٧هـ).

٥- بل للتأبغة الذبياني، وهو من الوافر. أجَبَّ الظَّهْرَ : لا سنام له، وذئاب الشيء : طرفه. يقصد أنهم بعد الممدوح سيقون في شدة عيش وسوء حال. ينظر مختار الشعر الجاهلي، ج ١، ص ١٩١.

٦- التفسير : عند الفراء مصطلح كوفي يقابل التمييز عند البصريين.

الناس^(١). قاله^(٢) القرطبي^(٣).

إنَّه نصَّ فعلاً مُعبّرٌ تعبيراً صادقاً عن جُلِّ ما ذُكِرَ من سمات منهجه رحمه الله، في هذا التفسير القيم.

ب- (الرَّيَّان في تفسير القرآن). لمحمّد بن محمّد سالم بن محمّد سعيد المجلسي (ت ١٣٠٢هـ)^(٤). وهو موسوعة تفسيرية ضخمة في سبعة أجزاء كبيرة، مخطوطة، صفحات الجزء الواحد تبلغ (خمسین وثمانائة ٨٥٠ صفحة^(٥))، ويشغل على تحقيقه الآن الأستاذ محمّد سالم بن جدّو، بانواكشوط، وقد أخرج منه الجزء الأوّل محققاً من بداية المصحف حتّى الآية (٢٤٣)، من سورة البقرة، في مجلّد كبير، يدلّ على الجهد الكبير الذي بُذل فيه، من حيث الجمع، والتلخيص والتنسيق والتهذيب.

وقد جمعه من كتب التفسير، وعلوم القرآن، كتفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم)، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، و (تفسير مفاتيح الغيب)، للفخر الرازي أبي عبد الله محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، و (تفسير الكواشي)، لأحمد بن يوسف بن الحسن الشافعي (ت ٦٨٠هـ)، و (تفسير ابن جزي)، الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، و (الإتقان)، للسيوطي (ت ٩١١هـ)، و (الذهب الإبريز للبدالي (ت ١١٦٦هـ)، و (ضياء التأويل)، لعثمان الفوتي (ت ١٢٤٥هـ)^(٦)، وغيرها ممّا ورد ذكره في ثنايا التفسير. وهو غالباً ما يصرّح بمصادر نقوله في محالّها، خاتماً إيّاها بعبارة (انتهى). ممّا يوحي بأمانة علمية واضحة. وقد عبّر عن عمله فيه بقوله :

«فصنّفت هذا الكتاب مبيّناً فيه ما تيسّر ذكره من علوم القرآن، ولم ألّ جهداً فيما يكون من التحقيق والتدقيق، والتبيان والنكت العجيبة، والفوائد الغريبة، والتناسق

١- هذا معنى أثر ورد ذكره في فتح الباري على صحيح البخاري من رواية عبد بن حميد عن ابن عبّاس مرفوعاً : (الكبر السّفه عن الحقّ، وعَمَصُ النَّاسِ ...). الفتح، ج ١٢، ص ١١٤.

٢- انظر تفسير القرطبي، ج ٢، ص ١٣٢.

٣- الإبريز، ج ١، ص ٤٧.

٤- المنارة والرباط، ص ٥٩٥، والتفسير والمفسّرون ببلاد شنقيط، ص ٣٠٧، والحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، ص ٩٩.

٥- ما يزال مخطوطاً، بمكتبة أهل محمّد سالم بانواكشوط.

٦- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٤٧.

الرائق، وتوضيح المعنى البارع الفائدة»^(١). وتحدّث عن النحو حديثا يوحى باهتمامه به في تفسيره : «وأما النحو فلا بدّ للمفسّر من معرفته، فإنّ القرآن أنزل بلسان العرب، فيحتاج إلى علم اللّسان»^(٢).

وقد اهتمّ بالإعراب فيه حسب ما يحتاج التفسير والبيان. وأهمّ سمات منهجه فيه في مسائل النحو وبحوثه :

- أنّه غالبا ما يورد الإعراب لأجل التفسير، وإيضاح المعنى، من ذلك مثلا ما ذكره عند قوله تعالى : (فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ... ٨٧، البقرة)، حيث قال : «أي يؤمنون حال كونهم قليلا، أي لا يؤمن منهم إلّا قليل. قال البغوي : قال قتادة : لا يؤمن منهم إلّا قليل؛ لأنّ من آمن من المشركين أكثر ممّن آمن من اليهود، أي قليلا يؤمنون. ونصب قليلا على الحال.. وقال : لا يؤمنون إلّا بقليل مما بأيديهم، ويكفرون بأكثره، بقليل يؤمنون. ونصب (قليلا) بنزع الخافض»^(٣).

ومنه أيضا ما ذكره عند قوله تعالى : (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا... ٨٨، البقرة)، حيث قال : «ما : موصول، فاعل جاء. عَرَفُوا : وعائد(ما) محذوف، أي عرفوه، والذي عرفوه هو القرآن، والإسلام، ومحمد صلى الله عليه وسلّم»^(٤).

- هذا الإلحاح منه على التفسير، وإيضاح المعنى جعله يوظّف القراءات القرآنية لهذا الغرض دون الاعتناء كثيرا بالخوض في الاستدلال بها لوجوه الإعراب، وتوجيهها والاحتجاج لها، والترجيح بينها. من ذلك مثلا ما ذكره عند قوله تعالى : (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ... ٣، الفاتحة) : «قرأ الكسائي وعاصم : (مَالِكٍ...) بألف بعد الميم»^(٥)، أي هو السيّد المنفرد بالملك، والتصرّف في يوم الدين.. وخُصّ بالذكر لأنّه لا ملك ظاهر فيه لأحد إلّا الله تعالى : (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ... ١٦، غافر)، فعلى القراءة الثانية^(٦)

١- الريّان، ج ١، ص ٦.

٢- المصدر نفسه، ص ٢٧.

٣- المصدر نفسه، ص ٣١٩.

٤- المصدر نفسه، ص ٣٢٣.

٥- كذا أيضا قرأ يعقوب وخلف، وقراءة الباقيين بدون الألف. ينظر الإتحاف، ص ١٦٢.

٦- أي قراءة الألف.

مفعول (مالك) محذوف، أي هو مالك الأمر كله في يوم الدين»^(١).

ومنه أيضا ما ذكره عند قوله تعالى : (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ.. ٨٥، البقرة):
«يعملون : قرأ ابن كثير ونافع، وأبو بكر^(٢)، ويعقوب، وخلف، بالياء، والباقون بالتاء^(٣)، وهو تأكيد للوعيد، أي أَنَّ الله تعالى بالمرصاد، لا يغفل عن أفعالهم. انتهى»^(٤).

- يتمتع بأمانة علمية كبيرة؛ إذ يعتني كثيرا بإسناد المناقشات النحوية إلى أصحابها، أو توثيقها من مصادرها، من ذلك مثلا ما سجله عند قوله تعالى : (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ.. ١، البقرة)، حيث قال : «وقوله : هُدًى : الهدى في الأصل مصدر كالسرى واللقي.. ومعناه الدلالة الموصلة إلى البغية، قاله البيضاوي^(٥). وعلى هذا فإنه يعرب بأنّه مبتدأ، وخبره (فيه) قبله، فتكون الجملة حالا، وعلى هذا يوقف عند قوله : (لا ريبَ)، فيكون خبر (لا) محذوفا، أي لا ريبَ فيه.. ويعرب أيضا بأنّه خبر ثانٍ ل (ذلك)، على أَنَّ خبر (ذلك) (لا ريبَ فيه)، ويعرب بأنّه منصوب على الحال، أي هاديا»^(٦).

ومثله ما ذكر عند قوله تعالى : (أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.. ٦، البقرة) : «لا يؤمنون: جملة مفسرة لما قبلها، فلا محل لها، أو حال مؤكدة، أو بدل، أو خبر، والجملة قبلها اعتراض. وفائدة هذا الإنذار حصول الثواب للمبلغ مع إلزام الحجّة للمبلغ إليهم، ولذلك قال : عليهم، ولم يقل : عليك. قاله في الضياء»^(٧).

- غير أنّه قد يورد تحليلات إعرابية دون عزو، فعند قوله تعالى : (فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ.. ٢٢، البقرة) قال : «رِزْقًا : مفعول (أخرج)، قال صاحب هذا التفسير: يحتمل أن تكون اللّام للملك، أو شبهه، فتكون (لكم) صفة ل (رزقا)، وهو الظاهر، ويكون (من الثمرات) حالا منه، ويحتمل أن تكون للتعليل فيتعلّق بأخرج.. وهذا الذي أعربت به يأتي على أنّ (من) تبعيضية أو بيانية، ويأتي على أنّ (من) تبعيضية

١- المصدر نفسه، ص ١١١.

٢- أبو بكر شعبة، راوي عاصم.

٣- النشر، ج ٢، ص ٢١٨.

٤- المصدر نفسه، ص ٣١٤. ينظر مثلا مزيد في ص ١٢١، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٣.

٥- هو أبو الخير ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٧٩١هـ). وله تفسير : أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

٦- الریان، ج ١، ص ١٢٥.

٧- المصدر نفسه، ص ١٣١. ينظر مثلا مزيد في ص ١٦١، ١٨٠، ٢٢٥.

أن يكون (رزقا) مفعولا لأجله، وتكون هي ومدخولها صفة لمحذوف، أي شيئا بعض الثمرات. ومنهم من يعرب التبعيضية في نحو هذا بأن تكون مفعولا، ويكون حينئذ (رزقا) مفعولا لأجله^(١).

- إلا أنه قد يختم هذه النقول غير المعزوة بعبارة (انتهى)، التي ربما تعني أنها منقولة من مصدر ما. من ذلك مثلا ما سجّله عند قوله تعالى: (أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً... ٢٦، البقرة)، حيث قال: «أَيُّ مَنْ أَنْ يَضْرِبَ، فسره غير واحد ب (يجعل)، وعليه فيتعدى إلى مفعولين، والمفعول الأول قوله: (مثلا)، أي سبها حقيرا، فالبعوضة فما فوقها مما هو أكبر منها، و (ما) موصولة معطوفة على (بعوضة كان)، أي مثلاً أي مثلي، أو (ما) زائدة لتأكيد الحسنة، والمفعول الثاني قوله: بعوضة.. انتهى^(٢).

- كما أن له اختيارات بين وجوه الإعراب تنم عن تمكّنه من إعراب القرآن الكريم، من ذلك مثلا ما قيده عند قوله تعالى: (قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ... ٢، الأعراف)، حيث قال: «والقول بأنها مصدرية، والعامل محذوف، الصواب فيه أن يعرب (قليلًا) بأنه حال من الضمير المقدّر مع فعله، لا صفة لمصدر محذوف^(٣).

- ومنه أيضا ما عقب به مع شيء من التوضيح والبيان عند قوله تعالى: (فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ... ٢٢٠، البقرة)، حيث قال: «وقول الكواشي: نَصَب (رزقا) مفعولا له، يتأتى على مذهب من لم يعتبر شروط النصب على الأجلية. قاله صاحب هذا التفسير عفا الله تعالى عنه^(٤).

ويقصد بـ (صاحب هذا التفسير) نفسه رحمه الله.

ج- (دُمية المحراب في المهم من التصريف والإعراب).^(٥) لمحمد فال (بها) بن محمد بن أحمد العاقل الديباني^(٦) (ت ١٣٣٤ هـ). وهو في إعراب القرآن الكريم وتصريفه،

١- المصدر نفسه، ص ١٦١.

٢- المصدر نفسه، ص ١٧٩. ينظر مزيد مثلا في ص ٢٢٥.

٣- المصدر نفسه، ص ٣٢١.

٤- المصدر نفسه، ص ١٦١.

٥- توجد منه نسخة على (مكروفل) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٦٧٣، وأخرى بمخطوطات المعهد نفسه، تحت رقم ٢٥٥٠.

٦- المنارة والرباط، ص ٥٩٣، وحياة موريتانيا، ص ٦٩، وتاريخ النحو، ص ٥٤٢، والألفية وتأثيرها، ص ١٩.

مقسومٌ قسمين : الأوّل في الإعراب، والثاني في التصريف. وقد حدّد المصادر التي جمعه منها، بقوله : « وكان اعتمادي في القسم الأوّل منه على مغني اللّيب لابن هشام، والبيضاوي^(١)، والجمل حاشية الجلالين، وضياء التأويل^(٢)، وغيرها من كتب النّحو والتفسير. أمّا القسم الثاني منه فجّل اعتمادي فيه على كتب اللّغة، كالجوهري والقاموس والمصباح... والزاهي لابن الأنباري^(٣)، وغيرها من كتب التصريف واللّغة^(٤) ».

ومن مصادره أيضا: إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)، وتفسير الكواشي، لأحمد بن يوسف بن الحسن الشافعي (ت ٦٨٠هـ)، وتفسير ابن جزي الأندلسي (ت ٧٤١هـ)، وحاشية التصريح على توضيح ابن هشام، للشيخ ياسين زين الدين العليمي الحمصي (ت ١٠٦١هـ).

وتحدّث عن القسم الثاني قائلا : « ثمّ لا بدّ من ذكر مقدّمة تتعلّق بالقسم الثاني من الكتاب، وهي أنّ المعتبر في الوزن ما يستحقّه الموزون من الشكل قبل التغير، فيقال في وزن (رَدّ، ومَرَدّ) : فَعَلَ، ومَفْعَل؛ لأنّ أصلهما : رَدَد، ومَرَدَد. وإذا وقع في الموزون قلب قُلبت الزنة.. فتقول في وزن (ناء) : فَلَغ؛ لأنّه من النّأي^(٥) ».

وهو مأخوذ حرفيا من هذه المصادر التي صرّح المؤلّف بها، مع التفاوت في مدى الاعتماد عليها، وقد اكتسب أهمّيته من قيمتها، ومن الجهد الكبير الذي بذله المؤلّف رحمه الله في النقول المحرّرة، ودقّة التلخيص، والتنسيق. وأهمّ سمات منهجه فيه :

- أنّه قد يحدّث لتقوية وجه نحويّ بنظائر من الأساليب القرآنية، مثل ما سجّل عند قوله تعالى : (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ... ٢٥٩، البقرة) : قال : « قول بعضهم : إنّ فاعل (تَبَيَّنَ) ضمير راجع إلى المفهوم من (أنّ) وصلتها بناء على أنّ (تبيّن، وأعلم) تنازعا.. إنّ لا ارتباط بين (تبيّن، وأعلم)، ولا بدّ في باب التنازع من

١ - في تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

٢ - لعثمان الفوتيّ النيجريّ (ت ١٢٤٥ هـ).

٣ - الأنسب : الأنباري نسبة إلى الأنبار.

٤ - المخطوطة، ص ١.

٥ - المصدر والصفحة نفسها.

ارتباط العاملين، إمّا بعاطف ك(قامًا وقعد أخواك)، أو عمل أولهما في ثانيهما، نحو : (وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا... ٤، الجنّ)، (وَإِنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا... ٧، الجنّ)، أو كون ثانيهما جواباً للأول، نحو: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ... ١٧٦، النساء)، بل فاعل (تبيّن) في الأصل ضمير مستتر، إمّا للمصدر، أي فلما تبيّن له تبيّن، كما قالوا: (ثُمَّ بَدَأْهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ... ٣٥، يوسف). أو لشيء دلّ عليه الكلام، أي فلما تبيّن الأمر... قاله ابن هشام في مغنيه^(١).

- قد ينقل مناقشات العلماء للمسائل النحوية، ناسباً لكلّ منهم رأيه، مع الإدلاء برأيه. من ذلك مثلاً قوله: «الرّحمن: عند الأعلم، وابن مالك ليس بصفة، بل هو علم. ابن هشام: قولهما هو الحق، وينبني عليه أنّه في المسألة ونحوها بدل، لا نعت، وأنّ (الرحيم): بعده نعت له، لا نعت لاسم الله؛ إذ لا يتقدّم البدل على النعت... ومّا يوضح لك أنّه غير صفة مجيئه كثيراً غير تابع... (قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ... ١١٠، الإسراء)، (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ... ٦٠، الفرقان)»^(٢).

- كما أنّه قد ينقل اختيارات النحويين، وترجيحاتهم كما هي دون الإدلاء برأي خاص، من ذلك مثلاً ما ذكره عند قوله تعالى: (كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ... ١١٨، البقرة): «قال ابن هشام في مغنيه^(٣): فإن قلت: فكيف اجتمعت مع (مثل) في قوله تعالى: (كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ)، و(مثل) في المعنى نعت لمصدر (قال) المحذوف، كما أنّ (كذلك) نعت له، ولا يتعدّى عامل واحد لمتعلّقين بمعنى واحد»^(٤).

- ومنه ما سجّله عند قوله تعالى: (لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ... ٢٣٣، البقرة): «وأجاز الكسائيّ والفراء كون (لا تضارّ) معطوف على (لا تُكَلِّفُ نَفْسٌ... ٢٣٣، البقرة)، والصحيح أنّه مستأنف، فلا يعطف ب(لا) بعد نفي، قاله ابن عقيل»^(٥).

١- المصدر نفسه، ص ٢٠. ينظر مزيد مثلاً في ص ١٦١، ٢٢٥.

٢- ص ٣ من المخطوط. ينظر مزيد في ص ٨، ٦، ٩.

٣- مُغْنِي اللَّيْب، ص ١٨٤.

٤- ص ١١، من المخطوط.

٥- المصدر نفسه، ص ١٨. وينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق الشيخ محمد البقاعي. دار الفكر، ج ٣، ص ٢١٠.

- وهو ما يتّضح أيضاً ممّا ذكره من الإعراب في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ... ٢٣٤، البقرة) : « الرابط في قوله (والذين يُتَوَفَّوْنَ...) إمّا النون، على أنّ الأصل : أزواج الذين، وإمّا كلمة (هم) مخفوضة، محذوفة، هي وما أضيفت إليه.. وتقديرهما : إمّا قبل (يتربصن)، أي أزواجهن يتربصن، وإمّا بعدها، أي يتربصن بعدهم. وهو قول الفراء، وقال الكسائي، وتبعه ابن مالك : الأصل يتربص أزواجهن، ثمّ جيء بالضمير مكان الأزواج لتقدّم ذكرهنّ، فامتنع ذكر الضمير؛ لأنّ النون لا تضاف لكونها ضميراً^(١).

- شواهد النحوية : الأساليب القرآنية، والقراءات، والآثار من الأحاديث وأقوال الصحابة، ثمّ أقوال علماء النحو، واللغة، على نطاق واسع، مع التصريح بالمذهبين النحويين الكبيرين : البصري والكوفي في كثير من الأحيان.

ملحوظات : مع جودة هذا الكتاب، وحسنه يُلاحظ عليه :

- أنّه ينقل نقولاً كثيرة بنقاشاتها، وتحليلاتها من بعض المصادر دون عزوها، من ذلك مثلاً ما سجّله عند مستهلّ سورة البقرة (أَلَمْ)، حيث قال : « قول كثير من العربيين والمفسرين في فواتح السور أنّه يجوز كونها في موضع جرّ، بإسقاط حرف القسم مردود بأنّ ذلك مختصّ بسم الله، وبأنّه لا أجوبة للقسم في سورة البقرة، وعمران، ويونس، وهود، ونحوهنّ، لا يقال الجملة الاسمية في الآيات المذكورة بعدهنّ جواب، وحذفت اللام على حدّ قول ابن مسعود : (والله الذي لا إله إلا هو هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة)^(٢)؛ لأنّ ذلك على قلّته مخصوص باستطالة القسم^(٣).

فهذا كلام ابن هشام حرفياً في مغني اللبيب^(٤)، باستثناء تبديل بعض الألفاظ. ومن ذلك أيضاً ما ذكره عند قوله تعالى : (فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا... ٤٩، البقرة)، إذ قال : « وقرئ بالرفع، فإن قلت : كيف أبدل من الموجب؟ قلت : لمّا كان معناه : فلم يكونوا

١- ص ١٨، من المخطوط.

٢- صحيح البخاري في كتاب الحجّ، ج ٤، ص ٤١٠.

٣- ص ٤، من المخطوط.

٤- ص ٥٥٦ منه.

منه، بدليل : (فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ... ٤٩، البقرة)، وقيل : (إلا)، وما بعدها صفة، فقيل : إن الضمير يوصف في هذا الباب، وقيل : مرادهم ب(يوصف) : عطف البيان، وقيل : (قليل) مبتدأ، حذف خبره، أي لم يشربوا^(١).

فهذا أيضا كلام ابن هشام في المغني^(٢) حرفيا، باستثناء تغيير طفيف من العبارات. - لم يعتن بالاستدلال بالشعر كثيرا، مع نقله نقولا بتحليلاتها الممتازة من بعض المصاد، كمغني اللبيب مثلا، مع إسقاط ما فيها من الشعر غالبا.

- كما أنه لم يتوسع في بحوث القراءات القرآنية كثيرا، من حيث الاحتجاج بها في مسائل النحو، أو الاستدلال لها بالشواهد من القراءات والشعر والآثار، بل نجده في أغلب الأحيان يقتصر على عزو الوجوه لأصحابها، مع الاقتضاب في توجيهها.

- مع ذلك يبقى هذا الكتاب كتابا حسنا، مفيدا جدا، يستحق العناية والتقدير للجهد الكبير الذي بذل فيه، من نقول مختارة بامتياز، مع دقة التلخيص، وتحرير التنسيق.

د - (كشف الأستار عن بعض ما في القرآن من الإضمار). للبشير بن عبد الله بن امباركي اليدمسي (ت ١٣٥٤ هـ)^(٣). وهو تأليف قيم، تحدث فيه المؤلف عن الحذف النحوي في الذكر الحكيم، ذاكرا في مقدمته أسباب تأليفه إيّاه، وعمله فيه، إذ قال :

«والحاصل أنّ إيجاز الحذف كثير في القرآن، وكثيراً ما يصعب عليّ عند التدبّر معنى الآية بسببه؛ فشرعت مستعينا بالله في حاشية تُبيّن جُلّ ما وقفت عليه من ذلك، من حذف عامل أو معمول، أو شرط أو قسم أو جوابها، أو عطف أو معطوف عليه، أو صفة أو موصوف، أو حرف نداء أو جرّ أو نفي إلّا ما اتّضح جدّاً، وربّما أُبيّن المُبهم من (ما) أو (من) الشرطيتين والموصولتين وغيرهما. وكثيرا ما أذكر تقييد المطلق، وأبيّن مرجع ضمير خفي مرّجعه بسبب بعده أو التباسه بغيره، وكذلك معمول خفي عامله بأحد السببين، وأذكر في ترجمة كلّ سورة ما ظهر لي فيها من الأحكام الشرعية.. معتمدا ما تداول من التفاسير في قطرنا، وقد وضعت هذه الحاشية على هذا المنوال، الذي لم أعثر على من سبقني إليه»^(٤).

١ - ص ١٩، ٢٠، من المخطوط.

٢ - ص ٦٤٠ منه. وينظر المزيد في ص ٤، من المخطوط. و ص ٥٣٤، من المغني مثلا.

٣ - سبق الحديث عن أنّ المحقّق منه إلى حدّ الآن هو الجزء الأوّل من بداية المصحف إلى نهاية آل عمران.

٤ - الجزء المحقّق من كشف الأستار، ص ١٣٠.

ومن سيات منهجه فيه أنه :

- يستهلّ كلّ سورة بعرض شامل ومركّز، يُجمل فيه ما ظهر له أنّها تتضمّن من الأحكام الشرعية، وقد يُعرج إلى تبين ما يُحتاج إليه من المعاني.

- تظهر عنده الأمانة العلمية، إذ يهتم كثيراً بإسناد الأقوال والآراء إلى أصحابها، من ذلك مثلاً تعليقه على البسملة : «بسم الله الرحمن الرحيم : مجرورها متعلّق بعامل محذوف، تقديره : أتلو، أو أقرأ، ويُقدّر مؤخّراً، ليدلّ تقديم معموله على الحصر. وفي الصّاوي^(١) : والأحسن أن يُقدّر متعلّق الجارّ هنا : قولوا؛ لأنّ هذا المقام مقام تعليم، صادر عن حضرة الرّبّ سبحانه»^(٢).

- ومنه تعليقه على قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٤٠٠، الفاتحة)^(٣) : «فاعل الفعلين ضمير جمّع، عائد على القارئ، ومنّ معه من الحفظة، وحاضري صلاة الجماعة، وله ولسائر الموحّدين إدراج عبادته في تضاعيف عبادتهم، وخلط حاجته بحاجتهم لعلّها تُقبل ببركتها، وتُجاب لهذا الجماعة. انتهى من روح البيان»^(٤).

- يستعرض الأحكام في أسلوب مُحكم، مناسب سلس، مع الإنقان والإيجاز في أغلب الأحيان، مُزوّراً عن الإطالة والإطناب، وعدم الخوض في تفصيل الأقوال والآراء. من ذلك مثلاً قوله : «(هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ١٠٠، البقرة). أي الذين سبق في علم الله أنّهم متّقون، وفيه حذف مضاف، أي ذو هدى، وقيل من باب الوصف بالمصدر مبالغة فلا حذف»^(٥).

- ومنه ما ذكره عند قوله تعالى : «(وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣٠٠، البقرة)، حُذف مفعول رزقناه الثاني، ويُقدّر متّصلاً أو منفصلاً، أي : رزقناهموه، أو إيّاه»^(٦).

- ومنه ما ذكره عند قوله تعالى : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا

١- هو أحمد بن محمّد، الشهير بالصّاوي، فقيه مالكيّ مصريّ، من تأليفه حاشية على تفسير الجلالين. وحاشية الصّاوي على الجلالين، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٢م، ج ١، ص ٥.

٢- الجزء المحقّق من كشف الأستار، سبق ذكره، ص ١٣١.

٣- المصدر نفسه، ص ١٣٢.

٤- إسماعيل حقّي البرسوي، روح المعاني في تفسير القرآن، ج ١، ص ٧.

٥- كشف الأستار، ص ١٤٢.

٦- المصدر والصفحة نفسها.

مَعَهُمْ ٨٩٠، البقرة): «حُذِفَ جواب (لَمَّا)، أي: كَفَرُوا به، دَلَّ عليه جواب (لَمَّا)، التي بعدها، فالمكفور به أَوَّلَا الْكِتَابُ، وثانياً النبي، الذي عرفوه بصفته، التي في كتابهم»^(١).

- يوظف الإعراب لأجل التفسير، وإيضاح المعنى كثيراً، كما في قوله: «وَعَلَى سَمْعِهِمْ [٧، البقرة]، أي: طُبِعَ على مواضع سمعهم، ففيه حذف مضاف؛ لأنَّ السمع معنى لا يمكن الطَّبْع عليه، وأفرده لأنَّه في الأصل مصدر»^(٢). وكما في قوله: «[كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ] {٢٠، البقرة}: فيه حذف مضاف، أي في ضوئه، والضمير راجع إلى البرق، ويحتمل أن يكون (أضاء) متعدّياً، والمفعول محذوف، أي أضاء لهم الطريق، والضمير المجرور عائد إلى الله، ويحتمل أن يكون لازماً، والضمير عائد على الضوء المدلول عليه ب(أضاء)، فلا حذف»^(٣).

- ومنه قوله: «[وَقُولُوا حِطَّةٌ] {٥٨، البقرة}: فيه حذف مبتدأ، أي مسألتنا من الله حِطَّةً، أي أن نُحِطَ، أي تُغْفَرَ ذُنُوبُنَا من عبادة العجل وسؤال الرؤية وغيرهما، وقُرئ شذوذاً بنصبها^(٤) مفعولاً ل(نسألك) مضمر، أو مفعولاً مطلقاً من محذوف، أي احْطُطْ ذُنُوبَنَا حِطَّةً، وقيل المراد بها كلمةُ الشهادة الحاطة للذنوب، فهي مفعول ل(قولوا)؛ لأنَّه مفرد في معنى الجملة، وعليه فلا حذف»^(٥).

- يُكثر من الاستدلال بألفية ابن مالك للوجوه النحوية، من ذلك مثلاً ما ذكره عند قوله تعالى: (بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا... ٩٠، البقرة): «أي حَظَّ نفوسهم من الثواب، ففيه حذف مضاف. وقوله (أَنْ يَكْفُرُوا) خبر مبتدأ محذوف، وقيل مبتدأ خبره جملة (بِئْسَمَا اشْتَرَوْا)؛ لأنَّه مخصوص بالذم. قال ابن مالك^(٦):

وَيُذَكِّرُ الْمَخْصُوصُ بَعْدَ مُبْتَدَأٍ أَوْ خَبَرَ اسْمٍ لَيْسَ يَبْدُو أَبَدًا^(٧).

- وما ذكره عند قوله تعالى: (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ... ١٧، البقرة): «أي فهو يكون،

١- كشف الأستار، ص ١٥٥.

٢- كشف الأستار، ص ١٤٣.

٣- كشف الأستار، ص ١٤٤.

٤- وهي قراءة إبراهيم بن أبي عبلة. يراجع البحر المحيط في التفسير، ج ١، ص ٣٥٩.

٥- كشف الأستار، ص ١٥٠.

٦- البيت رقم ٦، من باب (نعم وبئس وما جرى مجراهما).

٧- كشف الأستار، ص ١٥٥.

ففيه حذف مبتدأ. هذا على قراءة الرفع ، وقُري بالنصب^(١) ب(أن) مضمرة؛ لأنه جواب طلب. قال في الخلاصة^(٢) :

وَبَعْدَ فَاجَوَابِ نَفْيٍ أَوْ طَلَبٍ مُحْضَيْنِ أَنْ وَسَتْرَهَا حَتْمٌ نَصَبٌ^(٣).
- ومنه ما ذكره عند قوله تعالى: (وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۖ ١١٩، البقرة) : «جواب قسم محذوف، أي وعزّي، أو والله لئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه جواب القسم، وهو قوله: (مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠، البقرة)، لتأخير الشرط عنه. قال ابن مالك^(٤):
وَاحْدُفٍ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمٍ جَوَابٌ مَا أَخَّرْتَ فَهَوُ مُلْتَزَمٌ^(٥).
- يمكن أن يقال عنه إنه كتاب إعراب، وتفسير قيم، سجّل فيه مؤلفه زبدة ما في كتب إعراب القرآن وتفسيره، بأسلوب موجز مُركّز سلس. وعليه ينبغي الاهتمام بتحقيقه ونشره، فهو جدير بذلك حقيقة. ومن المستغرب أن لا يحظى من الباحثين بما يستحق من الاهتمام، ويظل بعيداً عن أعين الذين يهتمون بتحقيق هذا التراث.

هـ - نظم (إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في القرآن^(٦)). لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)، لزين بن محمد بن أحمد بن أيّدوم اليدالي (ت ١٣٥٩هـ)^(٧). وهو نظم طويل من الرجز الكامل، تبلغ أبياته (٧٨٥٢ بيتاً). وقد تحدّث الناظم في

١ - قرأ ابن عامر بنصب (فيكون) في البقرة ١١٧، وآل عمران ٤٧، والتّحل ٤٠، ومريم ٣٥، ويس ٨٢، وغافر ٦٨، وقرأ الكسائي كذلك في التّحل ويس، وهما من القراء العشرة، ووافقه ابن عُيَيْن في يس، وقرأ باقي العشرة بالرفع في الكل، وأنفقوا على الرفع في (كُنْ فَيَكُونُ.. ٥٩، آل عمران)، و(كُنْ فَيَكُونُ... الأنعام). يراجع النشر في القراءات العشر، ج ٢، ص ٢٢٠، تحاف فضلاء البشر، ص ١٩٠.

٢ - البيت رقم ١٢، من باب إعراب الفعل.

٣ - كشف الأستار، ص ١٦٢.

٤ - البيت رقم ١٢، من باب عوامل الجزم.

٥ - كشف الأستار، ص ١٦٣.

٦ - توجد منه نسخة بمكتبة أهل محمّد سالم بن المحبوب بانواكشوط. والآن يشتغل على تحقيقه ثلاثة باحثين موريتانيين، مُوزّع عليهم، للحصول به على درجة الدكتوراه من جامعة مولاي إسماعيل بمكناس / المغرب. كما سبق ذكره.

٧ - حياة موريتانيا، ص ٤٣، والمنارة والرباط، ص ٥٥٣، وتحقيق خطري بن حامد ل(نظم زين العابدين بن أحمد لكتاب مُفَهِّمَاتِ الْأَفْرَانِ فِي مُهِمَّاتِ الْقُرْآنِ لجلال الدين السيوطي)، ص ١، فها بعدها.

المقدّمة عن موضوع هذا النظم ومصادره، فقال ^(١) :

وبعد فالقصد بهذا النظم بيان ما يستدقّ من أعاريب القرآن
وبعض ما من القراءات اختلف وما من التصريف قرّر السلف
معتمدا فيه على الإملاء عنيت إملاء أبي البقاء
وربّما اغترفت من زلال بحر الجلال ^(٢) الشّيم السّلسال.
يقصد أنّ موضوع النظم الرئيس هو (كتاب إعراب القرآن) للعكبري، وربّما أفاد
من إعراب الجلالين. وقد نبّه على ضيق النظم الذي لا يسمح عادة باستيعاب مادّة
الكتاب كلّها بشكل دقيق، فقال :

ولم أكن مستوعبا ما ذكرنا من الأقاويل لكي أختصرا
فجاء نظما موجزا سهلا يروق ناظره كالشمس في حال شروق.
فهو فعلا كما قال نظم سلس الأسلوب، سهل المعنى. ومّا يدلّ على مهارته الفائقة
محاوّلته في نظمه استيعاب مادّة الكتاب المنشورة على تشعبها قدر الإمكان، مع ضيق
النظم. خذ مثلا نموذجا من نظمه، ثمّ قارنه بإدّة العكبري، المنشورة. وهو قوله في
إعراب لفظ (مَلِك) من سورة الفاتحة :

... مَلِك ^(٣) يُقرأ حيث ألف منه تُرك
بكسر لامٍ ولتخفيف ^(٤) يجوز تسكينها وبالإضافة يجوز
تعريفا إذ هي محضة فبالصفة وبدلٍ يُعرب عن ذي معرفه
وإن قُرئ باللف فبدل (إذ هو عن تنكيره لا يُعزل)

١ - وقد اعتمدت في تعلّيقتي على هذا النظم على القسم الأوّل بتحقيق الأستاذ المختار بن محمّد سالم بن المحبوب، أحد المحقّقين الثلاثة، الذين أشير إليهم قبل قليل.

٢ - يقصد بالجلال هنا جلال الدين المحلّ (ت ٨٦٤هـ). الماء الزّلال : الخالي من الشوائب. والماء الشّيم : البارد. والماء السّلسال : سهل المرور في الحلق. لسان العرب.

٣ - بدون ألف مع كسر حرف اللام قراءة الجمهور، و(مالك) بالألف على وزن فاعل قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وخلف، ووافقهم الحسن والطوسي. وكلتا القراءتين عشرية، صحيحة، متواترة. ينظر الإتحاف، ص ١٦٣، وأبو محمّد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. ج ١، ص ٢٥.

٤ - أي قرئ بإسكان حرف اللام على وزن فَعْل. وهي قراءة صحيحة متواترة لأبي عمرو بن العلاء البصري. ينظر أبو محمّد مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن. ج ١، ص ٦٩.

مع حذف مفعول وفي تقديره (مالك) أمر قال ذو تقديره
 وقرؤوا بالنصب^(١) حالا أو على إضمار (أعني) أو نداءً فاعقلا
 والرفع^(٢) إضمارا لهُوَ أو خَبَرُ عن قوله (الرحمن)^(٣) بالرفع استقر
 وقرؤوا^(٤) (مليك يوم الدين) بالأوجه الثلاث باليقين
 وقرؤوا (مَلَك) فعلاً^(٥) والذي يليه هل مفعول أو ظرفٌ حذي.

قارن هذا النظم بأصل المادة في إعراب العكبري :

(مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ): يُقرأ بكسر اللام من غير ألف، وهو مَنْ عَمَرَ مُلْكَهُ، يقال مَلِكٌ
 بَيْنَ الْمُلُوكِ (بالضم)، وقُرئ بإسكان اللام، وهو من تخفيف المكسور، مثل فَخِذْ وَكَيْفَ،
 وإضافته على هذا مُحْضَةٌ، وهو معرفة، فيكون جرُّه على الصفة أو البدل من الله، ولا
 حذف فيه على هذا. ويُقرأ بالألف والجر، وهو على هذا نكرة؛ لأنَّ اسم الفاعل إذا أُريدَ
 الحال أو الاستقبال لا يتعرَّف بالإضافة، فعلى هذا يكون جرُّه على البدل، لا على الصفة؛
 لأنَّ المعرفة لا توصف بالنكرة. وفي الكلام حذف مفعول، تقديره : مالك أمر يوم
 الدين، أو مالك يوم الدين الأمر. وبالإضافة إلى (يوم) خرج عن الظرفية؛ لأنَّه لا يصحَّ
 فيه تقدير (في) ؛ لأنها تفصل بين المضاف والمضاف إليه. ويُقرأ (مالك) بالنصب على أن
 يكون بإضمار أعني أو حالا. وأجاز قوم أن يكون نداءً. ويُقرأ بالرفع على إضمار (هو)،
 أو يكون خبرا (للرحمن الرحيم) على قراءة مَنْ رفع (الرحمن). ويُقرأ (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)،
 رفعا ونصبا وجرًا. ويُقرأ (مَلَكِ يَوْمِ الدِّينِ) على أنَّه فعل، و(يوم) مفعول، أو ظرف.
 و(الدِّينِ) : مصدر دانَ يَدِينُ^(٦).

وقد نقلت النصَّ على طوله لأدُلِّل به على ما ذكرت من جودة هذا النظم وحسنه.

١- هي قراءة شاذة للمطوعي. ينظر الإتحاف، ص ١٦٣.

٢- أي قرئت بالرفع، وهي قراءة شاذة. ينظر إملاء ما مَنْ به الرحمن للعكبري، ج ١ ص ٦.

٣- قراءة (الرحمن) بالرفع. هي قراءة شاذة. ينظر التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، ج ١، ص ٤.

٤- هي قراءة شاذة. ينظر التبيان، ج ١، ص ٦.

٥- هي قراءة شاذة. المصدر والصفحة نفسها.

٦- ج ١، ص ٦.

و- (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن). للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، المعروف ببلاد شنقيط ب(آبِه) بن اخطور الجكني (ت ١٣٩٣ هـ^(١))، العلامة الموسوعي، المتميز، المفسر، اللغوي، الأصولي، حج بيت الله الحرام (سنة ١٣٦٨ هـ) واستقر بالمملكة العربية السعودية، واشتغل فيها بالتدريس والتأليف، وصدر عن حلقاته العلماء والمدرسون. وهذا التفسير من أهم كتب التفسير وأنضجها، بل في قمتها، قل نظيره، فهو سجل حافل، شامل جوانب التفسير المعتمدة، مما جعله كتاب تفسير وفقه وأصول ولغة وأدب ونحو وقراءات. كما أنه يمثل مدارس التفسير المعتمدة: المدرسة القرآنية (مدرسة تفسير القرآن بالقرآن)، والمدرسة الأثرية، والفقهية، الأصولية، واللغوية. وقد تحدث المؤلف نفسه في المقدمة عن شمولية هذا التفسير بقوله :

واعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمران : بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله... وقد التزمنا أننا لا نبين القرآن إلا بقراءة سبعة.. وربما ذكرنا القراءة الشاذة استشهادا للبيان بقراءة سبعة، وقراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف ليست من الشاذ عندنا ولا عند المحققين.. والثاني بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة... فإتينا نبين ما فيها من الأحكام، وأدلتها من السنة، وأقوال العلماء في ذلك، ونرجح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل من غير تعصب لمذهب معين، ولا قول قائل معين.. وقد تضمن هذا الكتاب أموراً زائدة على ذلك، كتحقيق بعض المسائل اللغوية وما يحتاج إليه من صرف وإعراب، والاستشهاد بشعر العرب، وتحقيق ما يحتاج إليه من المسائل الأصولية، والكلام على أسانيد الأحاديث... واعلم أن أنواع البيان المذكورة في هذا الكتاب المبارك كثيرة جداً... بيان القرآن بالقرآن^(٢).

١- حياة موريتانيا، ص ٦٨، ٤٣، والمنازة والرباط، ص ٥١٧، ومكانة أصول الفقه في الثقافة المحظرة الموريتانية، ص ٢٥٦، والتفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، ص ٣٩٣، فما بعدها. وهو مطبوع.

٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج ١، ص ٦٧، ٦٨. طبع سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م. ج ٧.

من أبرز سمات منهجه في مسائل النحو :

١ - الاستعانة ببحوث النحو لغرض التفسير والتبيين، فكثيراً ما يوظف بحوث النحو لغرض التفسير وإيضاح المعاني، من ذلك مثلاً حديثه عند قوله تعالى : (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ٥٣.. البقرة) : «الظاهر في معناه أن الفرقان هو الكتاب الذي أوتيّه موسى، وإنّما عطف على نفسه تنزيلاً لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات؛ لأنّ ذلك الكتاب الذي هو التوراة موصوف بأمرين... والثاني أنّه فرقان، أي فارق بين الحقّ والباطل، فعطف الفرقان على الكتاب، مع أنّه هو نفسه نظراً لتغاير الصفتين»^(١).

ويلجّ في تحليل المسألة ومناقشتها، أكثراً من الاستدلال بالشعر، قائلاً :
«كقول الشاعر»^(٢) :

إلى الملك القُرْم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم.
بل ربّما عطف العرب الشيء على نفسه مع اختلاف اللفظ فقط، فافتقوا بالمغايرة في اللفظ. كقول الشاعر^(٣) :

إني لأعظمُ في صدر الكميّ على ما كان في من التجدير والقصر.
والقصر هو التجدير بعينه.
وكقول الشاعر^(٤) :

فقدّمت الأديم لراهِشيهِ وألقى قولها كذباً وميئناً.
والمئّن هو الكذب بعينه. وقول الآخر^(٥) :
ألا حبّذا هندٌ وأرضٌ بها هندٌ وهندٌ أتى من دونها النأي والبعدُ.

١ - المصدر نفسه، ص ١٣٩.

٢ - البحر المحيط، ج ٦، ص ١٣٩، ٣٤٣.

٣ - ورد ذكره في لسان العرب، مادة (جدر)، دون نسبة.

٤ - ورد ذكر هذا البيت في الدرر اللوامع، ج ٦، ص ٧٣، منسوباً لعدي بن زيد العبادي.

٥ - ورد ذكره في الدرر اللوامع، ج ٥، ص ٢٢١، منسوباً للخطيب.

والبعد هو النأي بعينه. وقول عنتره في معلّته^(١) :

حُيِّتَ مَنْ طَلَلْ تَقَادِمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثِمِ .
والإقفار هو الإقواء بعينه^(٢) .

يدلّ هذا الإلحاح في سبيل التفسير، وبيان المعاني في هذه المناقشة الشاملة الممتعة، والتحليل الممتاز، على عمق البحوث النحوية وحسنها في هذا الكتاب القيم.

٢- غالبا ما يذكر جملة من المسائل الصرفية عند حديثه عن مفردة معيّنة، ثم يسترسل في الاستدلال لكل مسألة بالشاهد الشعري لتدعيمها وتوثيقها. من ذلك مثلا ما سجّله عند قوله تعالى : (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ ... ١٧٢ ، البقرة)، حيث قال :

الدّم أصله دُمِيّ، يائي اللام، وهو من الأسماء التي حذفت العرب لامها ولم تعوّض عنها شيئا، وأعربتها على العين، ولامه ترجع عند التصغير، تقول : دُمِيّ يادغام ياء التصغير في ياء الكلمة، وترجع أيضا في جمع التكسير، فاهمزة في الدماء مبدلة من الياء التي هي لام الكلمة، وربما تثبت أيضا في التثنية، ومنه قول سحيم الرياحي^(٣) :

ولو أَنَا عَلَى حَجَرٍ ذُبَحْنَا جَرَى الدِّمَيَانِ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ .
وكذلك تثبت لامه في الماضي والمضارع، والوصف في مسألة الاشتقاق منه، فتقول في الماضي : دَمَيْتَ يده كرّضى ومنه قوله^(٤) :

هَلْ أَنْتَ إِلَّا إصْبَعٌ دَمَيْتِ وفي سبيل الله مَا لَقِيتِ .
وتقول في المضارع : يَدْمِي بِإبدال الياء ألفا كما في يرضى ويسعى. ومنه قول الشاعر^(٥) :
ولسنا على الأعقابِ تَدْمِي كُلُّوْنَا ولكنْ على أقدامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا .

١- في المعلقات السبع، بشرح الزوزني أبي عبد الله الحسين بن أحمد، ص ١٩٢. من البحر الكامل.

٢- أضواء البيان، ج ١، ص ١٣٩. ينظر مزيد مثلا في ج ١، ص ١١٩، ١٤٠، ٣٣٥، ج ٢، ص ٦٦، ١١١.

٣- حاشية الصبّان، ج ٣، ص ٨٤. يقصد الشاعر أنّ التباغض بلغ أشده بينهما حتّى أصبحت دماؤهما لا يمكن لها أن تختلط ولو ذُبِحَا على حجر واحد.

٤- في البحر المحيط دون نسبة، ج ٩، ص ٨٠.

٥- هو الحُصَيْن بن الحُمام. يراجع شرح المفصل لابن يعيش، ج ٤، ص ١٥٣، الحاشية ١.

وتقول في الوصف : أصبح جرحه داميا، ومنه قول الراجز ^(١) :

نردّ أولاهها على آخرهاها نردّها داميةً كُلاهها.

والتحقيق أنّ لأمه أصلها ياء، وقيل أصلها واو، وإنّما أبدلت ياء في الماضي لتطرّفها بعد الكسر كما في قوي ورضي وشجي، التي هي واويات اللام في الأصل، لأنها من الرضوان والقوّة والشجو. وقال بعضهم الأصل فيه : دَمِي بفتح الميم، وقيل بإسكانها ^(٢). إنّها فعلاً مقدرة فائقة على التحليل والمناقشة، وكثرة التوليد، والاستدلال بالتراث الشعريّ لمفردة واحدة من مفردات اللّغة، ممّا يدلّ دلالة قاطعة على علوّ كعب هذا الرجل، وتضلّعه في علوم الثقافة العربية الإسلامية، دون منازع.

٣- غالبا ما يوظّف مسائل النّحو في البحوث الفقهيّة لأجل ترجيح حكم على حكم، كاستدلاله مثلا بتأنيث العدد، وتذكير المعدود على ترجيح كون (القروء) تعني (الأطهار) في قوله تعالى : (وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ... ٢٢٨، البقرة)، إذ قال : «وتؤيّده قرينة زيادة التاء في قوله (ثلاثة قروء) لدلالاتها على تذكير المعدود، وهو الأطهار؛ لأنّها مذكرة، والحیضات مؤنثة» ^(٣).

وقد توسّع في هذه المسألة، ووظّف فيها آراء بعض النحويّين للترجيح، فقال : «قال الأشموني ^(٤) في قول ابن مالك :

ثلاثةٌ بالتاء قل للعشرة في عدّ ما أحاده مذكّرة.

ما نصّه : الثاني اعتبار التأنيث في واحد المعدود، إن كان اسما فبلفظه... وقال الصّبّان في حاشيته ^(٥) عليه : وبما ذكره الشارح يردّ ما استدللّ به بعض العلماء في قوله تعالى :

١ - جاء في موسوعة الحديث بشبكة (إسلام ويب)، ص ١٣٠، أنّه لشاعر جاهلي من بني الهؤن بن خزيمة دون أن يسمّيه، قاله ضمن ثلاثة أبيات، يفخر فيها بقومه، وهي :

قد علمت سلّمى ومن والاها أنا نصّذ الخيل عن هواها
قد أنصفت القارة من رامها إذا ما فئة نلقاها
نردّ الخيل على آخرهاها نردّها داميةً كُلاهها.

٢ - أضواء البيان، ج ١، ص ١٦٦، ١٦٧.

٣ - المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١٤.

٤ - حاشية الصّبّان، ج ٤، ص ٤٧.

٥ - المصدر والصفحة نفسها.

(ثَلَاثَةٌ قُرُوءٍ) (بأربعة شهاداء) على أَنَّ الأقرء الأَطْهَارَ، لا الحيض، وعلى أَنَّ شهادة النساء غير مقبولة... ووجه الردِّ أَنَّ المعتبر هنا اللَّفْظُ، ولفظ (قُرُوءٌ وشَهِيدٌ) مذكَّران^(١).

٤- كثيرا ما يستدلُّ بإعراب في أسلوب قرآنيٍّ لترجيح وجه إعرابيٍّ آخر، وكلُّ ذلك يأتي لأجل التفسير، وإيضاح المعنى. من ذلك مثلا حديثه عند قوله تعالى: (وَأَنَّى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ... ١٧٧، البقرة)، حيث قال: «لم يتبين هنا هل هذا المصدر مضاف إلى فاعله فيكون الضمير عائدا إلى مَنْ (أتى المال)، والمفعول محذوفا. أو مضاف إلى مفعوله فيكون الضمير عائدا إلى المال. ولكنه ذكر في موضع آخر ما يدلُّ على أَنَّ المصدر مضاف إلى فاعله، وَأَنَّ المعنى: على حُبِّهِ، أي حُبِّ مُؤْتِي المال لذلك المال، وهو قوله تعالى: (لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ... ٩٢، آل عمران). ولا يخفى أَنَّ بين القولين تلازما في المعنى»^(٢).

٥- الشنقيطيُّ عالم جليل، ثاقب الذَّهن، شديد النَّباه، له آراؤه المتميِّزة، الجريئة، حيث نجده يحقق المسائل النحوية وينقحها، ويناقش آراء العلماء حولها، مرجِّحا بينها، مصوِّبا، مستخدما عقله الناضج إزاء نقوله الضافية. من ذلك مثلا ما ذكره من توجيه قراءة^(٣) (أَرْجَلِكُمْ) بالخفض في آية المائدة: (فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ... ٦)، وَأَنَّ خفضها بالمجاورة، واستدلاله لذلك ببيت امرئ القيس^(٤):

وظَلَّ طُهَاءُ اللحمِ ما بين مُنْضِجٍ صَفِيفٍ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلٍ.

بخفض (قدِيرٍ) على المجاورة للمخفوض (شِوَاءٍ)، مع أَنَّها عطف على المنصوب (صَفِيفٍ)، حيث قال: «وهذا الإعراب الذي ذكرناه هو الحقُّ؛ لأنَّ الإنضاج واقع على كلِّ من (الصفيف والقدير)، فما زعمه الصَّبَّان في حاشيته^(٥) على الأشموني من أَنَّ قوله (أو قديرٍ) معطوف على (مُنْضِجٍ) بتقدير مضاف، أي وطابخ قديرٍ إلخ ظاهر السقوط؛

١- المصدر نفسه، ص ٢١٥.

٢- المصدر نفسه، ص ١٨١، ١٨٢. يراجع مثلا مزيد من النّاذج، ص ٣٣٤، ٣٣٦، فما بعدها.

٣- سيأتي توضيحها في مبحث (النحو والقراءات) بعون الله تعالى.

٤ - سيأتي الحديث عنه في مبحث (النحو والقراءات) بعون الله تعالى.

٥ - انظر ج ٣، ص ٨٩.

لأنَّ المنْضِجَ شامل لشاوي الصنِيف وطابخ القدير، فلا حاجة إلى عطف الطابخ على المنْضِج لشموله، ولا داعي لتقدير (طابخ) محذوف. وما ذكره العيني^(١) من أنَّه معطوف على (شِواءٍ) فهو ظاهر السقوط أيضاً؛ لأنَّ المعنى يصير بذلك: وَصَفَيْفَ قَدِيرٍ. والتقدير لا يكون صفيفاً. والتحقيق هو ما ذكرناه من الخفض بالمجاورة^(٢).

٦- وتتَّضح هذه السمات المنهجية لديه من حديثه عن توجيه قراءة حمزة والكسائي وأبي جعفر^(٣) في قوله تعالى: (وَحُورٌ عِينٌ... ٢٢، الواقعة)، بالخفض في الاسمين على أنَّهما مخفوضان بالمجاورة للمجرور: (وَأَكْوَابٌ وَأَبَارِيقٌ... ١٩، الواقعة)، حيث قال: «وبه تعلم أنَّ وجه الخفض... كما ذكرنا، خلاف لمن قال في قراءة الجرِّ: إنَّ العطف على (أكوابٍ..)، أي يطاق عليهم بأكوابٍ وبحورٍ عِينٍ، ولمن قال: إنه معطوف على (جَنَّاتِ النَّعِيمِ..) {الواقعة: ١٤}، أي هم في جَنَّاتِ النعيم، وفي حور، على تقدير حذف مضاف، أي في معاشرة حور. ولا يخفى ما في هذين الوجهين؛ لأنَّ الأوَّل يردُّ بأنَّ الحور العين لا يطاق بهنَّ^(٤) مع الشراب، لقوله تعالى: (حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ..) {الرحمن: ٧١}، والثاني فيه أنَّ كونهم في جَنَّاتِ النعيم، وفي حورٍ ظاهر السقوط، كما ترى، وتقدير ما لا دليل عليه لا وجه له^(٥).

ثم استرسل في الردِّ المستفيض على هذين الوجهين بالأدلة القوية.

٧- وقد سجَّل رحمه الله مبحثاً متَّسعاً، قيَّماً، مُمتعاً في إعراب قوله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ... ٧، آل عمران)، برزت فيه شخصيته الفذة، بآرائه المتميزة، واستعراضه للنظائر من الأدلة الحاسمة، إذ قال:

التنبية الثاني: إذا كانت جملة (يقولون) لا يصحَّ أن تكون حالا لما ذكرنا فما وجه إعرابها على القول بأنَّ الواو عاطفة؟ الجواب والله تعالى أعلم أنَّها معطوفة بحرف

١- حاشية الصَّبَّان على الأشموني، ج٣، ص٨٩. وقال الصَّبَّان هنا: «ما قاله العيني غير ظاهر».

٢- أضواء البيان، ج٢، ص٩٤٠.

٣- النشر، ص٣٨٣.

٤- سبق إلى هذا الاعتراض أبو البقاء العكبري في التبيان في إعراب القرآن، حيث قال: «ويقرأ... بالجرِّ عطفاً على (أكوابٍ..) في اللفظ دون المعنى؛ لأنَّ (الحور) لا يطاق بهنَّ». ج٢، ص١٢٠٤.

٥- أضواء البيان، ج٢، ص١١.

محذوف، والعطف بالحرف المحذوف أجازاه ابن مالك وجماعة^(١) من علماء العربية، والدليل على جوازه وقوعه في القرآن، وفي كلام العرب. فمن أمثلته في القرآن قوله تعالى: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ... ٨، الغاشية)، فإنه معطوف بلا شك على قوله تعالى: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ... ٢، الغاشية)، بالحرف المحذوف الذي هو الواو، ويدل له إثبات الواو في نظيره في قوله تعالى: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ... : ٢٢، ٢٣، ٢٤، القيامة)، وقوله تعالى في عبس: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَّاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ... : ٣٨، ٣٩، ٤٠)... ومن شواهد حذف حرف العطف قول الشاعر^(٢) :

كيف أصبححت كيف أمسيت ممّا يغرس الودّ في فؤاد الكريم .
يعني: وكيف أمسيت^(٣).

٨- أحيانا يناقش المسائل النحوية، ويحلّلها، مكتفياً بعرض آراء العلماء فيها، محتجاً لكلّ منها بأدلّته، ممّا يعني أنّها جميعاً قوية الرجحان عنده. من ذلك مثلاً ما ذكره عند قوله تعالى: (يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْزَحٍ حِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ... ٩٦، البقرة)، حيث يقول :

«معنى الآية أنّ أحد المذكورين يتمنّى أن يعيش ألف سنة، وطول عمره لا يزحزحه، أي: لا يبعده عن العذاب. فالمصدر المنسبك من (أن وصلتها) في قوله (أن يُعَمَّرَ) فاعل اسم الفاعل الذي هو (مُرْزَحُهُ)، على أصحّ الأعراب. وفي (لو) من قوله (لو يُعَمَّرَ) وجهان: الأول: وهو قول الجمهور أنّها حرف مصدري، وهي وصلتها في تأويل مفعول به ل(يودّ)، والمعنى: يودّ أحدهم أي: يتمنّى تعمير ألف سنة، و(لو) قد تكون حرفاً مصدرياً، لقول قتيلة بنت الحارث^(٤) :

مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا ... مَنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمُغِيْظُ الْمُحْنَقُ.

١- تفصيله في الأشموني بحاشية الصبان، ج ٣، ص ٨٩.

٢- ورد ذكره في الأشموني بحاشية الصبان، ج ٣، ص ٨٩، دون نسبة.

٣- أضواء البيان، ج ١، ص ٣٣٥.

٤- مجلس اللغة العربية وعلومها، الشواهد الشعرية في كتاب: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الشبكة المعلوماتية. الرابط (<http://majles.alukah.net>).

أي : ما كان ضَرَكُ مَنْكُ. وقال بعض العلماء : إنّ (لو) هنا هي الشرطية، والجواب محذوف، وتقديره: لو يُعَمَّر ألف سنة لكان ذلك أحبَّ شيءٍ إليه، وحذف جواب (لو) مع دلالة المقام عليه واقع في القرآن...»^(١).

٩- شواهد الشعرية في البحوث النحوية غزيرة جدًا، ممّا يدلّ على علوّ كعبه في اللّغة والأدب، وقد دلّت النقول السابقة على ذلك. وهو كثير عزو الشعر إلى قائله، وبأساليب متعدّدة، كقوله مثلاً: «ومنه قول امرئ القيس...»^(٢)، ومنه قول سحيم الرياحي...^(٣)، وقول عنتره...^(٤)، ونظير ذلك من كلام العرب قول الخنساء...^(٥)، وكما في قول حسان...^(٦)، وقول قتيلة بنت الحارث...^(٧)، وقول ذي الرمة...^(٨)، ومنه في العطف قول النابغة...^(٩)، وقد أنشد سيبويه للعطف على المعنى قول الشّماخ أو ذي الرّمة...»^(١٠). وقد سبق فيما تمّ عرضه توثيق هذه الإحالات.

١٠- كما أنّه يروي كثيرا في بحوثه النحوية من آراء علماء النّحو الكبار ومذاهبهم، مُوثّقًا نقوله منها، كسيبويه مثلاً، والكسائيّ، والفراء، وابن مالك، وابن هشام في مغني اللّبيب، والأشُموني في شرحه على ألفية ابن مالك، والصبّان في حاشيته عليه، وغيرهم. وهو شديد الاعتناء رحمه الله بالتوثيق، وإسناد العلم إلى أهله، وذلك ما أثبتته النقول السابقة. فهو رحمه الله يتمتّع حقًا بأمانة علمية نادرة، تمثّل قَمّة صفاء الضمير، وصدق المنهج عند علماء المسلمين، مصداقًا لما أورده الإمام مسلم في صحيحه من أثر منسوب لعبد الله بن المبارك : «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»^(١١).

١- أضواء البيان، ج ١، ص ١٤٣، ١٤٤.

٢- المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩.

٣- المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٦.

٤- المصدر نفسه، ص ١٣٩.

٥- المصدر نفسه، ص ١٨٣.

٦- المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٩.

٧- المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤٣.

٨- المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩.

٩- المصدر والصفحة نفسها.

١٠- المصدر نفسه، ص ١٠.

١١- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. بيروت: دار القلم، ج ١، ص ٢٠٣، من مقدّمة الصحيح.

الفصل الثالث : النّحو والقراءات

- أجمع العلماء على جواز الاحتجاج بالقراءات في العربية، سواء أكانت متواترة، أم شاذّة، كما سلف ذكره في مبحث (مصادر النّحو العربيّ). وقد استخدمها النّحاة الشناقطة على نطاق واسع في بحوثهم النحوية، احتجاجاً بها، وترجيحاً بينها، وتوجيهاً لها، واستدلالاً، وتوثيقاً وتأصيلاً. وفيما يلي أمثلة منها في ثلاثة من تفاسيرهم، وكتب إعرابهم :

أ - القراءات القرآنية في (الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز)، لمحمّد اليدالي بن المختار بن محمد بن سعيد (ت ١١٦٦ هـ). السمة الغالبة عليه أنّه يوظّف الاستدلال بالقراءة لغرض التفسير، وتبيان المعنى، فهو :

- أحياناً يشير إلى القراءات إشارات مقتضبة لغرض التفسير، وإيضاح المعنى، كما هو الحال عند قوله تعالى : (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا... ١٠٦، البقرة)، حيث يقول : « أي نُزيل حكمها، إمّا مع لفظها أولاً. وفي قراءة بضَمّ النون^(١) من النسخ.. (أو نُنسِها) : نُؤخّرها فلا نترك حكمها ونرفع تلاوتها، أو نُؤخّرها في اللّوح المحفوظ. وفي قراءة بلا همزة^(٢) من النسيان، أي نُنسِكها، أي نمحها من قلبك^(٣) ».

- خذ مثلاً آخر يسير فيه على هذا النسق، ويلجّ فيه على إبراز هذا التوجّه، فعند قوله تعالى : (فَاتِمَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ... ١١٧، البقرة)، يقول : « أي فهو يكون، وفي قراءة بالنصب^(٤)، جواباً للأمر، فهذا أمر تكويني، وهو عبارة عن : تُعلن القدرة والإرادة بحدوث الكائنات، لا أنّه صدر منه الأمر بلفظ (كُنْ) »^(٥).

١ - أي بضَمّ التّون الأولى، وكسر السين، وهي قراءة صحيحة، متواترة، لابن عامر، من غير طريق الداجوني عن هشام. وقرأ الباقر بفتح النون والسين، وكذا الداجوني عن أصحابه عن هشام. ينظر النشر، ج ٢، ص ٢١٩.

٢ - أي بضَمّ النون الأولى وكسر السين، وهي قراءة العشرة، سوى ابن كثير وأبي عمرو، فقراءتها بفتح النون الأولى والسين، وهمزة ساكنة بين السين والهاء : (نُسنّاها). النشر، ج ٢، ص ٢٢٠.

٣ - ص ٤٣، من المصدر نفسه.

٤ - هي قراءة ابن عامر، وقراءة الباقر بالرفع فيها. ينظر الإتحاف، ص ١٩٠.

٥ - الإبريز، ج ١، ص ٤٤.

فالمؤلف لا يخرج في تناول القراءات في تفسيره عن هذا النسق تقريباً، ممّا يعني عدم تنوّع استخدامه إيّاها.

ب- القراءات في (دُمّية المحراب في المهمّ من التصريف والإعراب)، لمحمد فال (ببها) بن محمّذ بن أحمد العاقل الديلمي (ت ١٣٣٤هـ). أهمّ سمات منهجه في الاحتجاج بها، وتوجيهها، أنّه :

- كثيراً ما يعزو القراءات إلى أصحابها، مع توجيهها توجيهاً نحويّاً مقتضياً، من ذلك مثلاً ما ذكره عند قوله تعالى : (كُنْ فَيَكُونُ ... ١١٧ ، البقرة) ، حيث يقول : « قرأ ابن عامر بنصب النون، ب(أن) مضمرة بعد الفاء، اعتبار صيغة الأمر المجردة ، ومثله ثابت في العربية والقرآن. وقد حمل الأخفش قوله تعالى: (قُلْ لِّلْعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ... ٣١ ، إبراهيم)، على مجرد اللفظ، فجزم (يقيموا) جواباً للفظ (قُلْ)، وكذلك : (قُلْ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا ... ١٤ ، الجاثية)»^(١).

وعند قوله تعالى : (لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ... ٢٣٣ ، البقرة)، قال : « وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (لا تُضَارَّ)، بضمّ الرّاء، على أنّ (لا) نافية، والضمّة إعرابية، أو ناهية، و(تُضَارَّ) مجزوم، وضمّ اتّباعاً لضمّ التاء»^(٢).

- وقد ينقل توجيه العلماء للقراءات كما هو، من ذلك مثلاً ما سجّله عند قوله تعالى: (يَقْصُ الْحَقُّ... ٥٧، الأنعام)، حيث يقول : «قرأ الحرميان وعاصم (يَقْصُ) بضمّ القاف، وتشديد الصاد المهملة المضمومة، و(الحَقُّ) مفعول به، وقرأ أبو عمرو وابن عامر والأخوان بإسكان القاف وضاد معجمة، مكسورة، مخفّفة، مضارع (قضى) معتلّ اللّام، حذفت ياءه رسماً على لفظ الوصل، ف(الحَقُّ) صفة لمصدر محذوف، أي يقضي القضاء الحقّ، أو ضَمَّنَ (يقضي) معنى : ينفذ، أو يقضي بمعنى (يضع) فتعدّى بنفسه من غير تضمين، أو على إسقاط حرف الجرّ. قاله الجعبري والجمل»^(٣).

١- المصدر والصفحة نفسها.

٢- المصدر نفسه، ص ١١.

٣- المصدر نفسه، ص ٤٥. ينظر مزيد في ص ٤٤، فإبعدها منه.

- يُلاحظ أنّه رحمه الله لم يتوسّع كثيراً في بحوث القراءات القرآنية، من حيث الاحتجاج بها في مسائل النحو، أو الاستدلال لها بالشواهد من القراءات والشعر والآثار، بل نجده في أغلب الأحيان يقتصر على عزو الوجوه لأصحابها، مع الاقتضاب في توجيهها.

ج - القراءات في (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، (آب) بن اخطور الجكني (ت ١٣٩٣هـ). يقول في مقدّمته في موضوع استدلاله بالقراءات، كما مرّ في مبحث (النحو والتفسير) : «وقد التزمنا أنّ لا نبين القرآن إلاّ بقراءة سبعة.. وربّما ذكرنا القراءة الشاذة استشهاداً للبيان بقراءة سبعة»^(١).

وقد توسّع رحمه الله في احتجاجه بها وتوجيهها. فمن أبرز سمات منهجه في تناولها بهذا التفسير القيم ما يلي :

- يكثر من توجيهها، وتبيين الوجوه التي وردت عليها، كما في حديثه مثلاً عند قوله تعالى : (وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ... ١٤٦، آل عمران). حيث يقول : «هذه الآية الكريمة على قراءة من^(٢) قرأ (قُتِلَ) بالبناء للمفعول يحتمل نائب الفاعل فيها أن يكون لفظة (رَبِّيُونَ)، وعليه فليس في (قُتِلَ) ضمير أصلاً، ويحتمل أن يكون نائب الفاعل ضميراً عائداً إلى النبي، وعليه ف(معه) خبر مقدّم، و(رَبِّيُونَ) مبتدأ متأخّر، سوّغ الابتداء به اعتماده على الظرف قبله، ووصفه بما بعده، والجملة حالية، والرباط الضمير، وسوّغ إتيان الحال من النكرة التي هي (نبي)، وصفه بالقتل ظلماً، وهذا هو أجود الأعراب المذكورة في الآية على هذا القول»^(٣).

- كثيراً ما يستدلّ بقراءة لوجه نحويّ جاء على قراءة أخرى. من ذلك مثلاً جانب من حديثه الضافي على آية المائدة : (فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ... ٦)، مستدلاً لقراءة

١ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج ١، ص ٦٧، ٦٨. طبع سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣ م. ج ٧.

٢ - هي قراءة نافع وابن كثير والبصريين. ينظر النشر، ج ٢، ص ٢٤٢.

٣ - أضواء البيان، ج ١، ص ٣٥٣.

خفض (وَأَرْجُلُكُمْ)^(١)، التي وجهها على أنها مخفوضة بالمجاورة بعض القراءات الأخرى، التي وجهها هذا التوجيه أيضا، حيث يقول : «ومن أمثلته في القرآن العظيم (يقصد الإعراب على المجاورة) في العطف على قوله تعالى: ^(٢) (وَحُورٌ عَيْنٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ.. ٢٣، ٢٢، الواقعة)، على قراءة حمزة والكسائي، ورواية المفصل عن عاصم ^(٣) بالجر لمجاورته ل(أَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ... ١٩ : الواقعة). إلى قوله: (وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ). مع أن قوله: (وَحُورٌ عَيْنٌ)، حكمه الرفع، فقيل: إنه معطوف على فاعل (يطوف)، الذي هو (وَلَدَانُ مُخْلَدُونَ)، وقيل: هو مرفوع، أنه مبتدأ، خبره محذوف، دلّ المقام عليه، أي: وفيها حورٌ عَيْنٌ، أو لهم حورٌ عَيْنٌ»^(٤).

— وقال أيضا: «ومن أمثلة الخفض بالمجاورة... قوله تعالى: (بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ.. {٢١، ٢٢، البروج})، على قراءة مَنْ ^(٥) قرأ بـخفض (محفوظ)»^(٦). وتوسّع في الاحتجاج لهذه القراءة، فاحتجّ لها بالشعر، قائلاً: «وقد أنشد سيبويه للعطف على المعنى قول الشّماخ أو ذي الرّمة ^(٧):
بادتْ وَغَيْرَ أَيَّهِنَّ مَعَ الْبَلَى إِلَّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ.
لأن الرواية بنصب (رواكِد) على الاستثناء، ورفع (مشجج) عطفًا عليه؛ لأنّ المعنى: لم يبق منها إلا رَوَاكِدُ ومشجج... وبه تعلم أنّ وجه الخفض في قراءة حمزة والكسائي هو المجاورة للمخفوض»^(٨).
مُشَجَّجٌ: في بيت موالٍ لهذا البيت، وهو:

- ١- قرأ بنصب اللّام نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص، وقرأ الباقر بـخفضها. ينظر النشر، ج ٢، ص ٢٥٤.
- ٢- خفض الاسمين قراءة أبي جعفر وحمزة والكسائي، ورفعها الباقرين من العشرة. ينظر النشر، ص ٣٨٣.
- ٣- تفصيله في تفسير البحر المحيط، ج ١٠، ص ٨٠.
- ٤- أضواء البيان، ج ٢، ص ١٠، ١١.
- ٥- قرأه نافع بالرفع نعتاً ل(قرآن)، وقرأه الباقر بـالخفض نعتاً ل(لوح). ينظر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة، ص ٥٧٨.
- ٦- أضواء البيان، ج ٢، ص ١٢.
- ٧- وهو من شواهد سيبويه في الكتاب، دون نسبة، ج ١، ص ١٧٣.
- ٨ - أضواء البيان، ج ٢، ص ١٠.

وَمُشَجِّجٌ أَمَّا ســـــــــــــــــواءٌ فَذَالِهِ فَبَدَا وَعَيَّبَ ســـــــــــــــــارَهُ الْمَعْرَاءُ^(١).

فتوظيفه رحمه الله القراءات لأجل توجيه قراءات أخرى شيء شائع في هذا التفسير الممتاز، حيث يبين القراءات بالقراءات، كما يفسر القرآن بالقرآن، وهو ما صرح به في قوله : «والقراءات يبين بعضها بعضا»^(٢).

- كما يُكثر من الاحتجاج بالشعر العربيّ لتوجيه القراءات، ولا غرو فهو الأديب اللّغوي الكبير رحمه الله، من ذلك مثلاً حديثه الواسع، الشامل عن توجيه القراءات الواردة في لفظة (أرجلكم) في آية المائدة، سالفه الذكر : (وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)، متوسّعا في الاستدلال لقراءة الخفض على المجاورة حسب ترجيحه، حيث قال : « ثلاث قراءات^(٣) : واحدة شاذّة، واثنان متواترتان. أمّا الشاذّة فقراءة الرفع، وهي قراءة الحسن، وأمّا المتواترتان فقراءة النصب وقراءة الخفض... فاعلم أنّ (وأرجلكم) بالنصب صريح في وجوب غسل الرجلين في الوضوء، فهي تفهم أنّ قراءة الخفض إنما هي لمجاورة المخفوض مع أنّها في الأصل منصوبة بدليل قراءة النصب.. والتحقق أنّ الخفض بالمجاورة أسلوب من أساليب اللّغة العربية، وأنّه جاء في القرآن؛ لأنّه بلسان عربي مبين. فمنه في النعت قول امرئ القيس^(٤) :

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عِرَانَيْنِ وَذَقَّهِ كَبِيرٌ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ.

بخفض (مزمل) بالمجاورة مع أنّه نعت (كبير) المرفوع.. وقول ذي الرّمة^(٥) :

تُرِيكَ سُنَّةً وَجْهِهِ غَيْرٌ مُقْرِفَةٍ مَلْسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدَبٌ.

إذ الرواية بخفض (غير)، كما قاله غير واحد للمجاورة، مع أنّه نعت (سنة) المنصوب بالمفعولية. ومنه في العطف قول النابغة^(٦) :

١- البيتان من الكامل. يراجع المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، ٣٥ / ١، واللسان، والتاج (شجج).

٢- أضواء البيان، ج ٢، ص ١٢٠.

٣- تفصيل ذلك في الإتحاف، ص ٢٥١.

٤- من البحر الطويل. ثبير: جبل. والعرين: الأنف، مفرد عراني. والبجاد: كساء مخطّط. والمزمل: الملفّف بالثياب. أي: كأنّ ثبيراً في بدايات المطر سيّد قوم متلفّف بكساء مخطّط. ينظر شرح المعلّقات السبع للزوزني، ص ٥٤.

٥- لسان العرب، مادة (قرف).

٦- من البسيط. معناه: الطريد من بني أسد غير منفلت من الخوف والفرع، فهو بمنزلة الأسير الموثق. ينظر في مختار الشعر الجاهليّ، شرح وتحقيق مصطفى الشقا، ج ١، ص ١٦٥.

لم يــــقَ إلاّ أسيرٌ غيرُ مُنْقَلَبٍ ومُوثِقٌ في جــــال القِدِّ مَجْنُوبٍ.
بخفض (مُوثِقٌ) لمجاورته المخفوض، مع أنّه معطوف على (أسيرٌ) المرفوع بالفاعلية.
وقول امرئ القيس^(١) :

وظلّ طُهاةُ اللحمِ ما بين مُنْضِجٍ صَفِيفَ شِواءٍ أو قديرٍ مُعْجَلٍ.
بجرّ (قدير) لمجاورته للمخفوض، مع أنّه عطف على (صفيف) المنصوب بأنّه
مفعول اسم الفاعل الذي هو (منضج)»^(٢).

وعلاوةً على استدلاله لتوجيه قراءة الخفض على المجاورة، استدلّ لها أيضاً بمنتور
كلام العرب، حيث قال : «ومن أمثلة الخفض بالمجاورة... من كلام العرب (هذا جُحْرٌ
ضَبَّ حَرْبٍ)^(٣) بخفض (حَرْبٍ) لمجاورة المخفوض، مع أنّه نعت خبر مبتدأ»^(٤).
إنّه فعلاً تحليل عميق، شامل، في استدلاله بالقراءات، وتوجيهها في بحوثه النحوية.

الفصل الرابع : النّحو والحديث

الحديث الشريف جزء من السماع الذي هو أهمّ مصادر النّحو العربي، التي سبق
الحديث عنها في الفصل الثاني من الباب الثاني، كما مرّ بنا هناك اختلاف القدماء
وانقسامهم في الاستدلال به في مسائل النّحو وقضاياها إلى مذهبين اثنين : متحفّظ، ومُجيز
بالحاح، أمّا المحدثون فهم مُجمعون على الاحتجاج به. وأوّل من توسّع في ذلك هو شيخ
النحاة ابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، الذي تأثّر الشناقطة بترائه النّحوي واللّغوي تأثراً بالغاً،
لذلك نجدهم يعتنون بتوظيف النّحو على نطاق واسع في بحوث الحديث الشريف،
لأجل توجيه رواياته، وإيضاح معانيه، وكان أثر ثقافتهم النحوية بادياً في هذه البحوث.
وسأتناول جهود عالين اثنين، هما :

١- من الطويل. ينظر في شرح المعلقات، ص ٤٩.

٢- أضواء البيان، ج ٢، ص ٩.

٣- ينظر في إنارة الأفكار، ص ٨٦.

٤- المصدر نفسه، ص ١٢.

أ- محمد الحَضَر بن مايأبى الجكني (ت ١٣٥٤هـ)، الذي ترك لنا كتاباً مهماً في فنون الحديث الشريف، هو: (كوثر المعاني الدَّراري في كشف خبايا صحيح البخاري)^(١). وهو موسوعة قيِّمة، نادرة النّوع، بلغت أربعة عشر مجلّداً. وقد اهتمّ فيه بتوظيف الإعراب على نطاق واسع لغرض توجيه روايات الحديث، وإيضاح أساليبه، مستهلاً به مناقشة علوم الحديث، ممّا يفيد اعتناؤه الكبير به. وفيما يلي عرض نماذج منه:

- قال النّبِيّ صَلَّى الله عليه وسلّم: (إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دُنيا يُصيّبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)^(٢). فناقش المؤلّف إعراب ألفاظٍ من هذا الحديث مناقشةً مستفيضة، حيث قال:

«والظاهر أنّ الألف واللام في (النيّات) مُعاقبة للضمير، والتقدير: الأعمال بنياتها... وإنّما احتيج إلى التقدير؛ لأنّ الجارّ لا بدّ له من متعلّق محذوف هنا، هو الخبر على الأصحّ، فينبغي أن يُجعل المقدّر في ضمن الخبر، فيستغني عن إضمار شيء في أوّل الكلام، لئلاّ يصير في الكلام حذفان، حذف المبتدأ أولاً، وحذف الخبر ثانياً، والتقدير: إنّما صحّة الأعمال بالنيّات. لكن قال البرماوي^(٣): إنّ هذين الحذفين أولى من الحذف الواحد؛ لأنّ الحذف الواحد كوّن خاصّ، وحذف الكون الخاصّ غير مقيس، بل ممتنع إن لم يدلّ عليه دليل، وحذف الكون المطلق مقيس، وحذف المضاف كثير، وارتكاب حذفين بكثرة وقياس أولى من حذف واحد بقلّة وشدوذ. وما قاله هو الوجه المرصّي، ويشهد له ما قرّره في حذف خبر المبتدأ بعد (لولا) من الكوّن العامّ دون الخاصّ»^(٤).

ثمّ استطرّد في هذا الإعراب مناقشاً، محلّلاً، مع شيء ليس باليسير من الاستقصاء، والتوسّع والتوجيه، والاستدلال، فقال:

١- بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٢- رواه عمر بن الخطّاب. ووقع في نسخ البخاري جميعها حذف قوله صَلَّى الله عليه وسلّم: (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى ما هاجر إليه). وأخرجه تامةً في آخر الإيمان، من رواية مالك في باب (ما جاء أنّ الأعمال بالنية). يراجع، ج ١، ص ١٤١.

٣- هو محمد بن عبد الدائم شمس الدين البرماوي (ت ٨٣١هـ)، صاحب كتاب (اللامع الصبيح بشرح الجامع الصبيح)، للبخاري.

٤- كوثر المعاني الدَّراري في كشف خبايا صحيح البخاري، ج ١، ص ١٣٦.

ما : في قوله : (ما نوى) : يحتمل أن تكون موصولة، و(نوى) صلتها، والعائد محذوف، أي الذي نواه، أو مصدرية، ولا حذف، أي لكل امرئ نيته. وفي هذه الجملة نوعان من الحصر : قصر المسند على المسند إليه^(١)؛ لأن المقصور عليه في (إنما) دائماً المؤخر، وتقديم الخبر على المبتدأ، وهو يفيد الحصر.. واعلم أن الأصل تغاير الشرط والجزاء، فلا يقال : مَنْ أطاع أطاع، وإنما يقال : مَنْ أطاع نجاً، وقد وقع في هذا الحديث متحدثين. والجواب عن هذا من وجوه : الأول : أن التغاير مقدر، أي فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله قصداً ونيةً، فهجرته إلى الله ورسوله حكماً وشرعاً. ونحو هذا في التقدير قوله : (ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها)... الثاني : أن التغاير يقع تارة باللفظ، وهو الأكثر، وتارة بالمعنى... الثالث : أنه قد يقصد بالخبر المفرد، وبالجزاء بيان الشهرة وعدم التغاير، فيتحد الخبر بالمبتدأ لفظاً، والجزاء بالشرط كذلك. قال الشاعر^(٢) :

خليلي خليلي دون ريبٍ وربما الآن امرؤٌ قولاً فظنَّ خليلاً.

أي قصد مَنْ عرف بإنجاح قاصده. الرابع : هو أنه إذا اتحد لفظ المبتدأ والخبر، والشرط والجزاء علم منهما المبالغة^(٣).

هذا جزء فقط من مناقشة مستفيضة ذكرها في المسألة.

- قال صلى الله عليه وسلم : (بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَعْتُ بَصْرِي فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَرَعِبْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ : زَمَلُونِي.. إلخ)^(٤). فقال المؤلف متبّعاً، مستقصياً الإعراب، مُكثراً من تحليله ومناقشته، لغرض توجيه الروايات، والاستدلال لها :

«بَيْنَا : أصله (بين) أُشْبِعَتْ فَتَحَةُ النُّونِ بِالْأَلْفِ، وَهِيَ ظَرْفُ زَمَانٍ، وَقَدْ تَزَادَ فِيهَا الْمِيمُ فَيُقَالُ : بَيْنَمَا، وَيُضَافَانِ غَالِبًا إِلَى الْجُمْلَةِ، وَالتَّقْدِيرُ بِحَسَبِ الْأَصْلِ : بَيْنَ أَوْقَاتٍ، وَقَدْ يُوْتَى فِي جَوَابِهَا (بِإِذْ وَإِذَا) الْفَجَائِيَتَيْنِ، الْأُولَى كَمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ (إِذْ سَمِعْتُ

١- هذا، وإن كان مبحثاً بلاغياً، فهو أيضاً مبحث نحوي، ظاهر فيه الحديث عن المبتدأ والخبر. وسنقف فيما بعد عند هذا العلامة على نماذج من توظيف علوم العربية متمرجة لغرض خدمة الحديث الشريف.

٢- لم أقف على اسمه. البيت من الطويل، ورد ذكره في طرّة المختار بن بونا. يراجع تقريب الطرّة، ج ١، ص ١٤١.

٣- كوثر المعاني الدّراري في كشف خبايا صحيح البخاري، ج ١، ص ١٤٥ - ١٤٧.

٤- رواه جابر بن عبد الله.

صوتاً من السماء)، والثانية كقول الشاعر^(١) :

فَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرَ أَمْرَنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سَوْقَةٌ لَيْسَ نُصَصِّفُ.

والأكثر حذف (إِذْ وَإِذَا) من جوابها، كقول الشاعر^(٢) :

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَال قَائِلٌ لِمَنْ جَمَلٌ رَخُو الْمِلَاطِ نَجِيبٌ.

وقوله : (فإذا الملك الذي جاءني بحراً جالس على كرسي) : الفاء في (فإذا) فجائية، و(جالس) خبر عن الملك، و(الذي) صفته، نحو خرجت فإذا الأسد بالباب. ويجوز نصب (جالس) على الحال، ويكون الخبر مقدراً، أي فإذا الملك حاضر حال كونه جالساً. وقوله : (بين السماء والأرض) : ظرف في محل جر صفة لكرسي^(٣).

- قال صلى الله عليه وسلم مجيباً سؤال الأعرابي الذي سألته عن الساعة : (أين أراه السائل عن الساعة، قال : ها أنا يارسول الله، قال : فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال : كيف إضاعتها، قال : إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)^(٤). فقال المؤلف، مازجاً الإعراب بالشرح، مُعتنياً بعرض أقوال العلماء وآرائهم، موازناً بينها، مرجحاً منها ما تدعمه رواية الحديث :

وفي رواية (أين السائل) بالجزم (يقصد بالسكون)، وهو في الروایتين بالرفع على الابتداء، وخبره (أين) المتقدم، وهو سؤال عن المكان بُني لتضمينه معنى حرف الاستفهام. وقوله : (قال : ها أنا يارسول الله)، أي السائل، فالسائل المقدر خبر المبتدأ الذي هو (أنا)، و(ها) : حرف تنبيه. وقد قال في تاج العروس عند قول صاحب القاموس في خطبته : (وها أنا أقول) : ما نصّه : المعروف بين أهل العربية أنّ (ها) الموضوع للتنبيه لا تدخل على ضمير الرفع المنفصل الواقع مبتدأ إلا إذا أُخبر عنه باسم الإشارة، نحو : (ها أنتُم أو لآءٍ) [آل عمران : ١١٩]، (ها أنتُم هو لآءٍ) [آل عمران : ٦٥]. فأما إذا كان الخبر غير إشارة فلا) ... قلت : ما ذكره النحويون واللغويون من اشتراط للإخبار عن

١- هي الشاعرة : الحُرّة بنت النعمان بن المنذر. والبيت من الطويل، وروايته في لسان العرب (نصف) : فَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرَ أَمْرَنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سَوْقَةٌ نَسْتَصَصِّفُ.

٢- هو كما في لسان العرب، مادة (هدب) العَجَبَرُ السِّلُولِي. البيت من الطويل. الملاط : جانب الشنام.

٣- كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٦٤، ٢٦٥.

٤- جزء من حديث طويل رواه أبو هريرة.

الضمير في هذه الحالة باسم الإشارة مردوداً بما أقرَّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأعرابي السائل - وهو أفصح من نطق بالضاد، والأعراب الذين هم سكَّان البادية هم أفصح العرب - من النطق بها، دون الإخبار باسم الإشارة، فلا يُلتفت بعد هذا إلى كلام النحاة^(٥).

وهي مناقشة مستفيضة، اقتصرت على هذا القدر منها، حيث هذه النماذج تُنبئ عمّا يتمتع به هذا الإمام الكبير من المقدرة الفائقة على توظيف الإعراب في بحوث الحديث الشريف على نطاق واسع، مستهلاً به مناقشة فنونه في هذه الموسوعة القيّمة، فصفحاتها مليئة بتوظيف البحوث النحوية لغرض خدمة الحديث، من إيضاح المعاني، وتوجيه الروايات، والاستدلال لها. وهي أيضاً تؤكد ما سلف ذكره في الفصل الثاني من الباب الثاني عند الحديث عن مصادر النحو العربي ببلاد شنقيط، وما ذهب إليه النحاة الشناقطة بتوسّع من الاستدلال بالحديث الشريف لمسائل النحو وقضاياها.

ب- محمد حبيب الله ابن مايأبى الجكني (ت ١٣٦٣هـ)، الذي اهتم اهتماماً كبيراً بالبحث في مجال الحديث الشريف، فألف كتابه : (زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم)^(٦). وهو تأليف كبير يتألف من خمسة أجزاء، اعتنى فيه بالإعراب أثناء تعليقاته المفيدة على الأحاديث، من إيضاح معانيها، وإبراز بعض علومها. وفيما يلي أعرض نماذج منه للتدليل على ذلك :

- أحياناً يذكر من الإعراب والتصريف ما يُحتاج إليه أثناء التعليق، دون توسّع. فعند قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاکِبُ الْجَوَادَ الْمُضْمَرَّ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا)، قال : « الْجَوَادَ : مفعول (الرَّاکِبُ)، يعني به الفرس السابق الجيّد. والمُضْمَرُ : بصيغة اسم المفعول : هو يُقَلَّلُ عليه على التدرّج ليشدّ جريه »^(٧).

- وعند قوله صلى الله عليه وسلم : (لَعْدُوَّةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.. إلخ). قال : « الْعَدُوَّةُ : مبتدأ تخصّص بالصفة، وهي قوله : في سبيل

٥- كوثر المعاني الدّراري في كشف خبايا صحيح البخاري، ج ٣، ص ١١، ١٢.

٦- بيروت : دار إحياء التراث العربي.

٧- المصدر نفسه، ص ٨٠.

الله. والتقدير: لَعْدُوَّةٌ كائنة في سبيل الله، واللام في الغدوة للتأكيد...»^(١).

- أحياناً يوظف الإعراب لإيضاح معنى الحديث، لذلك غالباً ما يمزجه بالشرح. فعند قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَمَّنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صَحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمُودَّتُهُ.. إلخ)، قال: «وقوله: لَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ: استدراك عن فحوى الجملة الشرطية، كأنه قال: ليس بيني وبينه خُلة، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ»^(٢).

- وعند قوله صلى الله عليه وسلم: (أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ. قَالَ لِعَلِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قال: «مِنْ: هذه تبعيضية، أي أنت مِنِّي ومُتَّصِلٌ بي، وأنا مُتَّصِلٌ بك اتِّصَالَ نَسَبٍ وَمَصَاهِرَةٍ وَمُؤَاوَزَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ»^(٣).

- وعند قوله صلى الله عليه وسلم: (اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لَمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ)، قال: «المختار أنه على ظاهره، أي تحرك فرحاً، وسروراً، بانتقاله من دار الفناء إلى دار البقاء، وأرواح الشهداء مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فِي قَنَادِيلِ هُنَاكَ. أَوْ عَلَى حَذَفِ مُضَافٍ، أَيْ اهْتَزَّ حَمَلَتْهُ فَرَحاً بِهِ.. إلخ»^(٤).

- وعند قوله صلى الله عليه وسلم: (لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهَا مَا لَمْ تَيْبَسَا)، قال: «وَمَا: في قوله: (مَا لَمْ تَيْبَسَا) مصدرية، زمانية، أي مدَّة دَوَامِهَا إِلَى زَمَنِ الْيُسِّ... وقوله: تَيْبَسَا: هو بِمَثْنَاءَ فَوْقِيَّةٍ بِالتَّأْنِيثِ، بِاعْتِبَارِهَا عَوْدَ الضَّمِيرِ إِلَى الْكِسْرَتَيْنِ، وَبِمَثْنَاءَ تَحْتِيَّةٍ بِالتَّذْكِيرِ، بِاعْتِبَارِ عَوْدِ الضَّمِيرِ إِلَى الْعَوْدَيْنِ؛ لِأَنَّ الْكِسْرَتَيْنِ عَوْدَانِ.. وَالْبَاءُ فِي الْجَمِيعِ مَفْتُوحَةٌ مِنْ بَابِ عِلْمٍ يَعْلَمُ، وَقَدْ تُكْسَرُ فِي لُغَةٍ شَاذَّةٍ»^(٥).

- أحياناً يختم الإعراب بذكر محلّه من ألفية ابن مالك. من ذلك مثلاً ما ذكر عند قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالنَّامِصَاتِ

١- المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٤.

٢- المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٦.

٣- المصدر نفسه، ص ١١٤.

٤- المصدر نفسه، ص ١١٦.

٥- المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠.

وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَقَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ). إذ قال : «وَالْمُغَيَّرَاتِ : بكسر الياء التحتية المشددة صفةً للمذكورات. وَخَلَقَ : منصوب على المفعولية لِلْمُغَيَّرَاتِ؛ لأنَّ الْمُرْتَضَى في اسم الفاعل إذا كان صلة (أَل) إعماله مطلقاً، كما أشار إليه ابن مالك في الألفية^(١) :

وإن يكن صلة أَل ففي المضي وغيـره إعماله قد اُرْتُضِيَ^(٢).

- أحياناً يُوظَّف الإعراب في توجيه روايات الأحاديث والآثار، فعند قول النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم : (لعن الله اليهود والنصارى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)، قال المؤلف : «هكذا في الصحيحين من رواية عائشة رضي الله عنها، مع زيادة قولها : (ولولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أنني أخشى أن يُتَّخَذَ مسجداً)، ولفظ مسلم (غير أنه خشي أن يُتَّخَذَ مسجداً)... ورواية (غير أنه خشي)، رُويت بالبناء للمفعول للشأن، وعلى رواية البناء للفاعل للنبي صَلَّى الله عليه وسلَّم»^(٣).

- كثيراً ما يعتني بإعراب المفردات الصعبة، لاستكمال الشرح، وإيضاح المعنى. فمثلاً عند قول النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم : (إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ يَأْقُومُ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ يَعْينِي، وَأَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالْنَّجَاءُ فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ... إلخ)، قال المؤلف : «وقوله : فَالْنَّجَاءُ : هو بالمد والنصب، على الإغراء، أي اطلُّبُوا النِّجَاءَ، وهو الإسراع إلى الإسلام»^(٤).

هكذا يسير الشيخ على هذه الوتيرة من توظيف الإعراب في خدمة الحديث الشريف، من إيضاح المعاني، وتوجيه الروايات. غير أنَّ ذلك عنده جاء في أسلوب مقتضب، خالٍ من التوسُّع والاستطراد.

١ - البيت الرابع من باب إعمال اسم الفاعل.

٢ - زاد المسلم فيما اتَّفَق عليه البخاري ومسلم، ج ٢، ص ٢٠.

٣ - المصدر نفسه، ص ٢٤.

٤ - المصدر نفسه، ص ٨٥.

الفصل الخامس : النحو والفقه والأصول

العلاقة بين النحو، والفقه والأصول علاقة قديمة قدم العلوم الإسلامية. وسيناقش هذا الفصل مظاهرَ توظيف النحاة الشناقطة لمسائل النحو لغرض خدمة الفقه والأصول، اللذين تبدو حاجتهما إلى النحو — مثل غيرهما من المعارف الإسلامية — كبيرة، ماسّة، إذ لا بدّ للفقيه والأصوليّ من أن يكونا متمكّنين من هذه المادة، فهي الآلة التي يستعينان بها على التفوّق في التخصص، والتمكّن من مسأله وقضاياها. وفيما يلي تبيان ذلك في مبحثين اثنين :

المبحث الأوّل : النحو والفقه

توظيف الفقهاء النحو لغرض استيعاب الفقه، ومسأله شيء معروف في الثقافة العربية الإسلامية، حتّى رأى جمال الدين الإسني الفقيه المصري (ت ٧٧٢هـ)، أن الفقه مستمدّ من علم العربية؛ لأنّ فهم أدلّته، والعلم بها متوقّفان على فهم العربية وعلمها، حيث يقول : « إنّ علم الحلال والحرام الذي به صلاح الدنيا والأخرى، وهو المسمّى بعلم الفقه مستمدّ من علم أصول الفقه، وعلم العربية، فأما استمداده من علم أصول الفقه فواضح، وأما العربية؛ فلا أدلّته من الكتاب والسنة عربيّة، وحينئذ يتوقّف فهم تلك الأدلّة على فهمها، والعلم بمدلولها على علمها»^(١).

وقد وظّف الفقهاء الشناقطة النحو كثيراً في بحوثهم الفقهية، أثناء مناقشة الأحكام، وتبيانها. وسأتناول في هذا المبحث جهود عالّمين اثنين من علماء شنقيط، هما :

أ- عبد الله بن الحاج حمى الله القلاوي (ت ١٢٠٩هـ)، الذي اعتنى بتوظيف النحو في البحوث الفقهية، اعتناءً لافتاً، وذلك في شرحين اثنين وضعهما على نظمته: (رسالة ابن أبي زيد القيرواني)، ونظمته: (متن الأخضرّي)، في الفقه المالكيّ. وفيما يلي عرض بعض النماذج للتدليل على ما ذكر :

- أحياناً يُعرب بعض المفردات إعراباً مقتضياً، يتناول فيه من التصريف والإعراب ما يحتاج إليه في تبيان المعاني، والأحكام، دون الخوض في المناقشة والتحليل. من ذلك مثلاً قوله في مستهلّ باب الوضوء من نظمه الرسالة :

١- كتابه : الكوكب الدّرّي، تحقيق الدكتور محمد حسن عواد. عمّان، الأردن : دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٨٥ م. ص ١٨٥.

وَيَجِبُ الْوَضُوءُ مِمَّا خَرَجَا يَعْتَادُ عَادَةً مِنَ الْمَخْرَجِ جَا
 غَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ وَرِيحٍ دُبُرٍ ...
 حيث يقول في الشرح : « غَائِطٌ : بالجَرِّ بدل من (ما)، والنصب حالاً من (جا) : فِعْلٌ
 أو اسم فاعل »^(١).

- وعند قوله في باب الحيض من نظمه الرسالة :
 لِحِمْسَةٍ عَشْرٍ أَقَلُّ الطُّهْرِ فَإِنْ تَمَّادَى تَبَقَ نِصْفَ شَهْرٍ.
 يقول : « أَقَلُّ الطُّهْرِ : بالجَرِّ بدلاً من العدد المركَّب أو نعت أو بيان »^(٢).

- وعند قوله في باب الصلاة من نظمه الرسالة :
 وَيَرْفَعُ الْيَدَيْنِ حَذَوِ الْمَكْبُوتِ وَأَقْرَأُ فِي الصُّبْحِ أَجْهَرَنُ سُنَّةَ عَيْنٍ
 بِأَمِّ قُرْآنٍ ...

يقول شارحاً مُعرباً : « وفي الصُّبْحِ أَجْهَرَنُ. وقولي : سُنَّةَ عَيْنٍ : للقارئ، راجع له
 ولرفع اليدين، وللقرأة من وجهه. سُنَّةٌ : حال أو تمييز، تأمل. بِأَمِّ الْقُرْآنِ : يتنازع فيه
 اقْرَأُ وَأَجْهَرَنُ »^(٣).

- وعند قوله في فصل الوضوء من نظمه الأخضرِيّ :
 مَضْمَضَةً مُسْتَشَقَّةً مُسْتَنْثَةً — رُورْدُ مَسْحِ الرَّاسِ فِيمَا أَثَرُوا.
 يقول : « مُسْتَشَقَّةٌ : مصدر بصيغة اسم المفعول .. مُسْتَنْثَرٌ : مصدر ميمي أيضاً »^(٤).

- ومثل قوله في فصل نواقض الوضوء من نظمه للأخضرِيّ :
 وَمُسَّهُ ذَكَرَهُ بَطْنٌ كَـ فُفْ أَوْ أَصْبَعَ أَوْ جَنِبَهُ بِمُخْتَلَفٍ.
 إذ قال : « بِمُخْتَلَفٍ : مصدر بصيغة اسم المفعول، أي باختلاف كثير »^(٥).

١- عبد الله بن الحاج حمى الله القلاوي، شرح على نظمه رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مخطوط، مودع بمخطوطات المعهد
 الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط / بوحديدة، تحت رقم ١٢٢. ص ١٤.

٢- المصدر نفسه، ص ١٥.

٣- المصدر نفسه، ص ٢٦.

٤- عبد الله بن الحاج حمى الله القلاوي، نظم الأخضرِيّ، مع شرحه، ص ١٧.

٥- المصدر نفسه، ص ٢١.

- وعند قوله في فصل الغسل من الجنابة من نظمه للأخضريّ :
وَجُنُبٌ غَيْرُ الصَّباحِ فاغسِلَنَّ أَذُنَيْكَ ظَاهِرَهُمَا وَرَهْمَا وَمَا بَطْنُ.

قال : « وَجُنُبٌ : خبر مقدّم للحصر على مبتدئه، وهو (غَيْرُ الصَّباحِ) »^(١).

- وعند قوله في فصل الخشوع من نظمه لأخضريّ :

يَلْعَبُ بِقَلْبِكَ إِلَى أَنْ يُظْلِمَ قَلْبًا وَلَذَّةُ الصَّلَاةِ تُحَرِّمًا.

قال مازجاً بين الشرح والإعراب : «إلى أن يُظْلِمَ. قَلْبًا : تمييز محوّل عن الفاعل، أي إلى أن يُظْلِمَ قَلْبُكَ من غيبوبة نور شمس الخشوع. (ولَذَّةُ الصَّلَاةِ تُحَرِّمًا) : مركّب بمعنى تُمنع، ونائبه ضمير للمخاطب، ومفعوله الثاني (لَذَّةُ) المقدّم عليه»^(٢).

- وأحياناً كثيرة يكتفي عند إعراب بعض المفردات الواردة في النظم بإشارة موجزة إلى نصّ في ألفية ابن مالك، أو غيرها من المصادر، دون توطئة، ممّا يجعل الفهم مستعصياً على غير المتخصّصين. من ذلك مثلاً إعرابه كلمة (الغُسْلُ) في مستهلّ باب الغسل من النّظْمَيْنِ :

والغسلُ لِلْجَسَدِ بِالْجَنَابَةِ وَالْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ خُذْ إِجَابَةً.

حيث يقول في شرح الرسالة : « والغسلُ : واختيرَ نَصْبٌ قَبْلَ فِعْلٍ ذِي طَلَبٍ »^(٣).

هذا شطر البيت السادس، من باب الاشتغال، يقصد به ابن مالك أن الاسم المشغول عنه عامله في هذا الباب يُختار نصبه إذا ما ورد قبل فعل دالّ على الطلب، وهو محلّ قول الناظم : (والغسلُ ... خُذْ إِجَابَةً).

- وعند قوله في باب الغسل أيضاً من نظمه الرسالة :

وَلَيْتَ حَفِظَ أَنْ يَمَسَّ الذِّكْرَ بَبْطُنٍ أَوْ جَنَبٍ يَدٍ فَإِنْ عَرَا.

يقول : «بَبْطُنٍ يَدِهِ : ويُحذفُ الثَّاني فَيَبْقَى الأوَّلُ كَحَالِهِ ...»^(٤).

هذا جزء بيت من باب الإضافة، من ألفية ابن مالك، معناه أن المضاف إليه قد يُحذف

١ - المصدر نفسه، ص ٢٥.

٢ - المصدر نفسه، ص ٤١.

٣ - نظم الرسالة مع شرحه، ص ٢٠.

٤ - المصدر والصفحة نفسها.

وَيَبْقَى الْمُضَافُ كَحَالِهِ، وَهُوَ مَحَلُّ قَوْلِ النَّازِمِ (بِطْنٍ أَوْ جَنْبٍ يَدٍ)، أَيْ بِطْنٍ يَدٍ ..

- وعند قوله في باب أوقات الصلاة من نظمه الرسالة :

آخِرُهُ الْإِسْفَارُ ذُو إِنْ سَلَّمَ مِنْهَا بَدَأَ حَاجِبُ شَمْسِهِ وَمَا.

يقول : « آخِرُهُ أَيْ وَقْتُ الْإِسْفَارِ الْبَيِّنِ. (ذُو عِنْدَ طَيِّئٍ شَهْرٍ)، أَيْ الَّذِي إِنْ سَلَّمَ »^(١).
فَقَوْلُهُ : (ذُو عِنْدَ طَيِّئٍ شَهْرٍ)، جُزْءُ بَيْتٍ مِنْ بَابِ الْمَوْصُولِ، مِنْ أَلْفِيَةِ ابْنِ مَالِكٍ، يَقْصِدُ بِهِ أَنَّ (ذُو) تَسْتَعْمَلُ فِي لُغَةِ طَيِّئٍ مَوْصُولًا مُشْتَرَكًا، وَهُوَ مَحَلُّ قَوْلِ النَّازِمِ (آخِرُهُ الْإِسْفَارُ ذُو إِنْ سَلَّمَ).

- ومثل هذا ما ذكر في باب الإمامة عند قوله من نظمه الرسالة :

وَاقْرَأْ مَعَ الْإِمَامِ فِي الَّذِي يُسَرُّ نَدْبًا وَأَنْصِتْ لَهُ فِي سِيَمَا جَهْرٍ.

إِذَا قَالَ : « وَاقْرَأْ يَامُوتَمَّ مَعَ الْإِمَامِ فِي الَّذِي يُسَرُّ فِيهِ. ابْنُ مَالِكٍ : (كَذَا الَّذِي جَرَّ بِمَا الْمَوْصُولُ جَرٍّ) »^(٢).

هَذَا صَدَرَ الْبَيْتُ الْأَخِيرُ مِنْ بَابِ الْمَوْصُولِ، مِنَ الْخُلَاصَةِ. مَعْنَاهُ أَنَّ عَائِدَ الْمَوْصُولِ إِذَا كَانَ مَجْرُورًا بِحَرْفٍ فَلَا يُحْذَفُ هَذَا الْحَرْفُ إِلَّا إِذَا دَخَلَ عَلَى الْمَوْصُولِ حَرْفٌ مِثْلُهُ لَفْظًا وَمَعْنَى، وَاتَّفَقَ الْعَامِلُ فِيهِمَا مَادَّةً^(٣).

- وعند قوله في باب المسح على الخفين من نظمه الرسالة :

وَقِيلَ يَبْدَأُ مِنَ الْكَعْبِ إِلَى أَصَابِيعِ لِقْشَبٍ أَلَّا يَحْمِلَا.

قَالَ : « وَقِيلَ يَبْدَأُ فِي مَسْحِ أَسْفَلِهِ مِنَ الْكَعْبِ إِلَى أَطْرَافِ أَصَابِيعِ. ابْنُ الْحَاجِبِ^(٤) :

وَالصَّرْفُ فِي الْجَمْعِ أَتَى كَثِيرًا حَتَّى ادَّعَى قَوْمٌ بِهِ التَّخْيِيرَ.

يَعْنِي وَالْمَسْأَلَةُ بِحَالِهَا مِنْ وَضْعِ الْيَمْنَى عَلَى الْيَسْرَى، وَإِنَّمَا بَدَأَ لِلْقَشْبِ.. أَنْ لَا يَحْمِلَا : بَدَلَ مِنَ الْقَشْبِ، أَيْ لَثَلًا يَصِلُ إِلَى عَقَبِ خُفِّهِ شَيْءٌ مِنْ رَطُوبَةٍ مَا مَسَحَ مِنْ خُفِّهِ »^(٥).

١ - المصدر نفسه، ص ٢٤.

٢ - المصدر نفسه، ص ٣٣.

٣ - شرح ابن عقيل، ج ١، ص ٩٤.

٤ - صاحب الكافية في النحو، والشافية في التصريف (ت ٦٤٦ هـ).

٥ - نظم الرسالة مع شرحه، ص ٢٣.

وحديث المؤلف هنا عن صرف لفظ الجمع : (أصابع).

- وعند قوله في فصل الجناية من نظمه للأخضري :

وما ليحدث صلاة أو طواف أو مسّ مصحف ولو جلدًا أناف
ولو يعود غير جزءٍ معظّم ...

قال : « معظّم : بضم الميم وفتح الظاء، بمعنى جلّه، بدل أو عطف بيان :

فقد يكونان منكّرَيْن كما يكونان معرفّين^(١).

هذا اليت من باب عطف البيان من ألفية ابن مالك، والغرض من إتيانه به هو الإشارة إلى جواز ورود عطف البيان، ومتبوعه نكرتين ومعرفتين. ومحلّ ذلك في نظمه قوله : (غير جزءٍ معظّم).

- وعند قوله في فصل هيئة المصلّي من نظمه للأخضري :

للفرض ستّة على الترتيب ثلاثة منها على الوجوب
أن يستقلّ قائماً ثمّ استند أو استقلّ جالساً ثمّ اعتمد.

قال مشيراً إلى محلّ الإعراب في الخلاصة : « وقولي : استند واعتمد : منصوبان تقديرًا بحذف (أن) :

وإن على اسم خالصٍ فعلٌ عطفٌ تنصبُهُ (أن) ثابتاً أو منحوذِفٌ.
فالعلان مقدّران^(٢).

أي أن يستند، وأن يعتمد، يعني أن صيغة الماضي هنا في الجملتين بمعنى المضارع المقدّر. والبيت من باب إعراب المضارع، من الخلاصة. يُقصد به جواز النصب (بأن) محذوفة بعد عاطف سبقه اسمٌ خالص. وتعليقات الشيخ النحوية - رحمه الله - مقتضبة كإقتضاب النظم.

ب - الشيخ محمد الحسن بن أحمد الخديم التشمشيّ اليعقوبي، عالم نحويّ معاصر، شيخ محطرة مشهورة، مورودة في المنطقة الغربية (الكبلة)، له شرح جيّد على نظم (الكفّاف)، في الفقه المالكي، للشيخ محمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي (ت ١٣٢٣ هـ)،

١ - نظم الأخضري مع شرحه، ص ٢٣. هذا البيت من باب عطف البيان، من ألفية ابن مالك.

٢ - المصدر نفسه، ص ٤٣، ٤٢.

سمّاه : (مرام المجتدي من شرح كفاف المبتدي)^(١)، اعتنى فيه بتوظيف الإعراب والتصريف في البحوث الفقهية. وفيما يلي عرض نماذج منه تبين منهجه فيه :

- كثيراً ما يقتصر الشارح على قدر الحاجة من الإعراب والتصريف، لغرض إيضاح المعاني وتبيين الأحكام الواردة في النظم. قال الناظم محمد مولود، في باب البيوع :

وَجُوزُوا شِرَاءَ حَاضِرٍ لِبِئَادٍ مِنْ سِلْعِ الْحَضَرِ نَقْدًا مَا أَرَادَ.

فقال الشارح : « نَقْدًا : مفعول مطلق، أي شراء نقداً، أي حالاً. ما : مفعول (شراء) .. فانظر هل يعني بقوله : (نقداً) ما قابل السلعة ؟ فهو منصوب بنزع الخافض، أي بنقد»^(٢).

- وقال الناظم أيضاً في الباب نفسه :

مَا لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ تَوْفِيَةً أَنْ لَمْ يَعْدُ يَوْمَيْنِ وَوَصَفُهُ زَكْنٌ
مِنْ غَيْرِ شَارِيهِ وَبِيعَ بَتْلًا شَرَطُهَا لِلنَّقْدِ فِيهِ حَالًا

فقال الشارح : « ما : مبتدأ، أي الغائب الذي ليس عقاراً، وليس فيه حق توفية، من كيل، ووزن، وعدّ.. وخبر المبتدأ جملة (شَرَطُهَا لِلنَّقْدِ فِيهِ حَالًا)»^(٣).

- وقال في فصل عيوب المبيع التي تمنع المشتري الخيار :

وَالرَّدُّ بِالْبَادِي لِمَنْ تَأَمَّلَا مِنْ مُشْتَرٍ ذِي بَصَرٍ لَنْ يُقْبَلَا.

فقال الشارح : « والرَّدُّ : مبتدأ، (من) : صلة (يُقْبَلُ)، (لَنْ يُقْبَلَا) خبر المبتدأ»^(٤).

- غير أن هذا الإيجاز الشديد في الإعراب ليس هو السمة الغالبة على الشارح، فقد يبسط القول في الإعراب أكثر من هذا، مازجاً بينه وبين الشرح. قال الناظم في باب البيوع :

أَوْ مِثْلُهُ إِنْ اسْتَحَقَّ يَدْفَعِ أَوْ يَنْكُثُ الْعَقْدَ لِدَعَاوَى مُدَّعِي
أَوْ شَرَطِ أَنْكَ إِذَا لَمْ تُلْفِ مَا حَمَلَتْ أَدَّيْتَ إِلَيْهِ الْقِيَمَا
وَعَلَقِ الرِّهْنِ لِحُجْلِ الْبَائِعِ بِمَا يَنَالُهُ بِتِلْكَ الْأَرْبَعِ.

١- إشراف أبي محمد بن محمد الحسن. مصر : دار الشمس للطباعة الحديثة، الطبعة الخامسة. ج ٢.

٢- المصدر نفسه، ص ٢٣.

٣- المصدر نفسه، ص ٣٦.

٤- المصدر نفسه، ص ٦٨.

فقال الشارح : «مِثْلُهُ : أي البيع مفعولٌ (يَدْفَعُ). إِنْ اسْتُحِقَّ : بالتركيب. يَدْفَعُ : بالجزم، إذ لا يمنع جزم جواب الشرط عند الكوفة عمله فيما قبل الأداة، يعني أَنَّهُ يفسد البيعُ إِنْ تَحْمَلُ البائع للمبتاع في عقدة البيع أَنَّهُ إِنْ طرأ عليه استحقاق في المبيع أعطاه مثله... فقولُه : غَلَقَ الرَّهْنُ : مصدر غَلَقَ الرَّهْنُ كَفَرِحَ، إِذَا اسْتَحَقَّهُ المرتهن»^(١).

- وقال الناظم في فصل عيوب المبيع التي تمنح المشتري الخيار أيضاً :
ومنه في العُجْم حِرَانٌ وَعُثُورٌ وَقِلَّةُ الحَمَلِ وشِدَّةُ النُّفُورِ.

فقال الشارح مازجاً التصريف بالشرح لغرض إيضاح المعاني والأحكام : «حِرَانٌ : بالكسر والضمّ، بأن لا تنقاد، أو تقف في الجري، وقد حَرَنَ كَنَصَرَ وكَرُمَ. و(عُثُور) : الذي في القاموس عَشْرَ كَضْرَبَ ونَصَرَ وعِلِمَ وكَرُمَ، عَثراً وعَثِيراً وعَثَراً، وتعَثَّرَ : كَبَاً. وفي المصباح : يقال : عثر الرجل عُثُوراً، وعثر الفرس عَثَراً. وفي التاج واللّسان : عثر الفرس عَثَراً، وعيوب الدوابّ تَجِيءُ على فِعَالٍ، مثل الحِرَانِ والعِصَاضِ. لكن قياس مصدر فَعَلَ بالفتح اللَّازِمُ الفُعُولُ، ويجوز عند الفراء القياس في المصادر مع وجود السماع. ويحتمل فتح العين وصبغاً، أي كون الجمل مثلاً عُثُوراً»^(٢).

- وقال الناظم في فصل الإقالة :

ففي ثلاثِ صُورٍ مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةٍ لِيٍّ وفي الباقاةِ حَيٍّ
ضابطُها دَفْعُ الأخيرِ دَفْعاً أَكْثَرَ مِمَّا قد تعاطى بِدَعَا
فقال الشارح : «ففي ثلاثِ صُورٍ مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةٍ : بإضافة صدر المركّب إلى عجزه، وهو جائز عند الكوفيّين. وأنشدوا^(٣) :

كَلِفَ مِنْ عَنَائِهِ وَشَقْوَتِهِ بِنْتُ ثَمَانِي عَشْرَةٍ مِنْ حِجَّتِهِ.
(لِيٍّ) : أي باطل، مبتدأ، خبره المجرور قبله. (وَفِي) الصور التسع (الباقاة) على لغة طيِّئ، أي الباقية، خبر قوله : (حَيٍّ) أي حَقٌّ. (دَفْعُ الأخير) : مصدر مضاف لفاعله،

١- المصدر نفسه، ج، ص ١٦، ١٧.

٢- المصدر نفسه، ج، ص ٦٤، ٦٥.

٣- من الرجز، ورد ذكره في كثير من المصادر النحوية، منها طُورَةُ المختار بن بونا، مع تقريبها، ١/ ٦٦٧. منسوب في بعض هذه المصادر إلى نقيع بن طاروق.

مفعوله (أَكْثَرَ) الآتي. (دَفْعاً): تمييز حُوّل عن الفاعل، أي المتأخر دفعه^(١).

هكذا وظّف الفقهاء الشناقطة النحو على هذا النسق في بحوثهم الفقهية على نطاق واسع، مع شيء من الإيجاز والإقتضاب في عرض المسائل الإعرابية، اكتفاءً بقدر الحاجة ممّا يحتاجه النصّ من إيضاح المعنى، وتبيان ما يتضمّنه من أحكام، دون الميل إلى التعمّق في تحليل الإعراب، ومناقشته.

المبحث الثاني: النحو والأصول

وظّف الأصوليون الشناقطة النحو في بحوثهم الأصولية على نطاق واسع، كغيرهم من الأصوليين، حيث علاقة الأصول بالنحو علاقة وثيقة، إذ يعتمد كثير من بحوثه على النحو اعتماداً كبيراً. وفيما يلي عرض نماذج من جهودهم تلك:

١- أخذ البحث في اللفظ والمعنى حيّزاً هاماً من اهتمام الأصوليين، مع توظيف كبير منهم للإعراب في بحوثهم. من ذلك مثلاً أنّ الحاج الحسن بن آغْبَدِي الزيّدي التشيتي (ت ١١٢٣هـ) سئل^(٢) عن صحّة عطف لفظ الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلّم بحرف العطف، فأجاب:

فمن نظر إلى الخبر الذي يقتضيه لفظها عطف خبراً على خبر؛ لأنّ (بسم الله) خبر لفظاً ومعنى، وصلى الله خبر لفظاً، طلب معنى، تقديره على هذا: أبتدئ بسم الله، وصلى الله على رسول الله، فصحّ عطف الجملة الثانية على الأولى، لأجل تناسبها في الخبرية اللفظية. ومن نظر إلى الطلب الذي يقتضيه معناها منع حرف العطف، وذلك أنّ (صلى الله) لفظه لفظ الخبر، ومعناه الدعاء والطلب؛ لأنّ تقديره: اللهم صلّ على محمد، كما تقول: غفر الله تعالى لنا، ورضي الله تعالى عن أبي بكر، فلا يصحّ عطف الجملة الثانية الطلبية على الجملة الأولى الخبرية. فحصل من هذا أنّ من اعتبر اللفظ أتى بالواو، ومن اعتبر المعنى أسقط الواو. ومنهم من أجاز إثبات الواو مع الجملة المحذوفة دون الجملة الثابتة، وهي جملة القول، تقديره: أبتدئ باسم الله تعالى، وأقول صلى الله على سيّدنا محمد؛ لأنّ العرب تحذف القول كثيراً^(٣).

١- مرام المجتدي من شرح كفاف المبتدي، ج ٢، ص ٨٩.

٢- لم تذكر المصادر صاحب السؤال.

٣- المجموعة الكبرى، ج ٤، ص ٦٢١.

٢- المخزون الدلالي للألفاظ أحد الحقول المعرفية، الذي حظي باعتناء الأصوليين، موظفين النحو في بحوثهم فيه على نطاق واسع. من ذلك مثلاً أن أحمد بن المصطفى بن الطوير الجنة الحاجي (ت ١٢٦٥ هـ)، سئل^(١) عن الفرق بين دلالتى اسم الجمع، والجمع، فأجاب إجابة مستفيضة، نقلت منها ما يلي :

«وأما جوابكم عن الفرق بين دلالة اسم الجمع والجمع، فهو أن الفرق بين الدالتين يفهم من الفرق بين الدالين، والفرق بين الدالين هو أن الدال على أكثر من اثنين إما أن يكون موضوعاً لمجموع الآحاد، دالاً عليها دلالة تكرر الواحد بالعطف، وإما أن يكون موضوعاً لمجموع الآحاد، دالاً عليها دلالة المفرد على جملة أجزاء مسماه، فالأول هو الجمع، سواء كان له واحد من لفظه مستعمل كرجال وأسود، أو لم يكن كأبائيل. والثاني هو اسم الجمع، سواء كان له واحد من اسمه، وواحد من لفظه كركب وصحب، أو لم يكن له كقوم ورهط. وأما الفرق بين الدالتين المسؤول عنهما فهو أن دلالة الجمع دلالة تكرر الواحد بالعطف، ودلالة اسم الجمع دلالة المفرد على جملة أجزاء مسماه»^(٢).

ثم استطرد في الحديث عن مصدوقاتها، ومصدوقات جموع الكثرة والقلة، قائلاً :

وأما باعتبار مصدوقيهما، ومصدوق الكثرة جمعاً، أو اسم جمع، ومصدوق جموع القلة تكسيراً، أو تصحيحاً، ففیهنّ خلاف بين الأصوليين فيما بينهم، وخلاف بينهم، وبين النحاة، فأما عند النحاة فجموع القلة تكسيراً، نحو: أرجل وأفلس، وتصحيحاً، نحو : مسلمين ومسلمات، إن قصد بالأرجل جمع قلة، وأما اسم الجمع فهو من قبيل جمع التكسير؛ لأنّ جلّ أوزانه متغير عن بناء واحده... وأما الأصوليون فقد خالفوا النحاة في الفرق بين جمع القلة في أقلّ مُسمّى الجمع، إذا كان جمع كثرة باعتبار أقلّ ما يصدق عليه، ووافقوهم إذا كان جمع قلة، فقالوا : إنّ أقلّ مسمّى الجمع ثلاثة، أو اثنان على خلاف بينهم في ذلك. وأما اسم الجمع فحكمه (حكم) جمع الكثرة في المصدوق، وهو ثلاثة أو اثنان... وهذا كله من الخلاف بين النحاة والأصوليين إذا لم يُعرّف بأل... الخ^(٣).

وهو مبحث أصولي قيّم، كان أثر النحو فيه بادياً، والاستناد إليه بارزاً.

١- لم تذكر المصادر صاحب السؤال.

٢- المجموعة الكبرى، ج ٤، ص ٦٢٢، ٦٢٣. نقلاً عن ميكروفلنم جامعة افرايبور / ألمانيا.

٣- المجموعة الكبرى، ج ٤، ص ٦٢٣، ٦٢٤. نقلاً عن ميكروفلنم جامعة افرايبور / ألمانيا.

٣- سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (ت ١٢٣٣هـ)، من أبرز علماء الأصول ببلاد شنقيط، إذ ألّف ألفيته المشهورة : (مَرَايِي السُّعُود)، وشرّحها : (نشر البنود)^(١). وقد اعتنى هذا العالم بتوظيف الإعراب في بحوثه الأصولية. أعرض له النماذج الموالية :

- كثيراً ما يوظّف الإعراب في بحوثه الأصولية، الواردة في هذا الشرح، لغرض إيضاح معاني النظم، وتبيان ما يتضمّنه من القضايا والمسائل. من هذا مثلاً قوله في فصل التعريفات :

فَعُلَّ الْعِبَادَةُ بِوَقْتٍ عُيِّنَا شَرْعاً لَهَا بِاسْمِ الْأَدَاءِ قُرْنًا.
فقال في الشرح، متبّعاً مفردات النّصّ بالإعراب : «(فَعُلَّ) : مبتدأ، و(بِوَقْتٍ) : يتعلّق به، وجملة (عُيِّنَا) : بالبناء للمفعول نعتٌ (وَقْتٍ)، و(شَرْعاً) : ظرف عامل فيه (عُيِّنَا)، وجملة (قُرْنًا بِاسْمِ الْأَدَاءِ) : خبر المبتدأ، و(قُرْنًا) : مبنيّ للمفعول، واقرانه باسم الأداء اقتران الدالّ بالمدلول»^(٢).

حيث استعان بهذا الإعراب على تعريف الأداء، إذ به توصّل إلى أنّه إيقاعُ العبادة في وقتها، احترازاً من القضاء.

- وقال في فصل المنطوق والمفهوم :

نَصٌّ إِذَا أَفَادَ مَا لَا يَحْتَمِلُ غَيْرًا وَظَاهِرٌ إِنْ الْغَيْرُ اخْتَمَلَ.
ثمّ قال شارحاً، مبيناً النّصّ والظّاهر : «وقد صرّح النّحاة بأنّ التأكيد في نحو جاء زيد نفسه لدفع المجاز عن الذات، واحتمال أنّ الجائي رسوله أو كتابه مثلاً. ويجب عندي عن الثاني بأنّ التوكيد إنّما هو لدفع توهم إسناد المجيء إلى غير زيد فيصير في الكلام مضاف إلى زيد محذوف، وأمّا زيد فلا يحتمل غيره من بكر وخالد مثلاً. قوله : ظاهرٌ.. إلخ بالرفع عطف على (نصّ)، و(الغير) : مرفوع بفعل مبنيّ للمفعول محذوف، يفسّره (احتمل) المذكور، يعني أنّ اللفظ الدالّ في محلّ النطق ظاهر، أي يسمّى به إن احتمل بدل المعنى المفاد منه معنىً مرجوحاً كالأسد في نحو رأيت اليوم الأسد، فإنّه

١- تحقيق محمّد الأمين بن محمّد بَيْبَه. الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٢- المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٠.

مفيد للحيوان المفترس، محتمل للرجل الشجاع بدله احتمالاً ضعيفاً»^(١).

- وقال في الفصل نفسه :

وهو دلالة اقتضاء أن يـدُلَّ لفظٌ على ما دونه لا يستقل
دلالة اللزوم مثل ذات إشارة كذلك الإيما آت
فأول إشارة اللفظ لهما لم يكن القصْدُ له قد علما
دلالة الإيماء والتنبيه في الفن تُقصّد لدى ذويه
ثم قال موظفاً الإعراب، مازجا بينه وبين الشرح لتبيين بعض الدلالات الأصولية :
«قوله : دلالة اللزوم : مفعول مطلق لقوله (يدلّ). مثل : خبر مبتدأ محذوف، أي هي،
أي دلالة الاقتضاء مثل دلالة الإشارة في كون كل بالالتزام، ومن المنطوق غير الصريح.
قوله : (كذلك الإيما آت) : (الإيما) : دون همز اللام، مع القصر للوزن مبتدأ، خبره
(آت)، فاعل. (يقصد اسم فاعل) من (أتى)، و(كذلك) : حال، يعني أن دلالة الإيماء
أنت عندهم مثل دلالة الاقتضاء، والإشارة في كون كل بالالتزام، ومن المنطوق غير
الصريح (أول) : مبتدأ، خبره (إشارة)، و(علما) : بالتركيب، ألفه للإطلاق... دلالة :
مبتدأ، خبره جملة (تقصّد)، والفن فن الأصول الراجع إليه (ذويه)، يعني أن الدلالة
التي تسمى دلالة الإيماء، ودلالة التنبيه مقصودة عند المتكلم بالأصالة، لا بالتبع»^(٢).

- وقال فيه أيضاً :

إعطاء ما للفظة المسكوتات من باب أولى نفيًا أو ثبوتًا
ثم قال شارحاً موظفاً الإعراب لإيضاح مفهوم الموافقة : «إعطاء : خبر مبتدأ
محذوف، والمبتدأ ضمير الموافقة، وفاعل المصدر، وهو المتكلم محذوف، و(ما) الموصول
أضيف إليه ما قبله إضافة المصدر إلى مفعوله، و(المسكوت) : مفعول ثانٍ، و(من باب
أول) : متعلق بإعطاء، و(نفيًا أو ثبوتًا) : حالان من (ما)، أي منفيًا أو ثابتًا. يعني أن
مفهوم الموافقة هو إعطاء ما ثبت للفظ من الحكم المنطوق به للمسكوت عنه بطريق

١- المصدر نفسه، ص ٢٧٣.

٢- المصدر نفسه، ص ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٦.

الأولى والأخرى»^(١).

- وقال في الفصل نفسه أيضاً :

وقيلَ ذا فَحْوَى الخطاب والذي ساوَى بلحنه دَعَاهُ الْمُحْتَذِي
دلالةُ الوفاق للقياس وهو الجلي تُعْزَى لَدَى أناسٍ

ثم قال شارحاً، موظفاً الإعراب في تبيان لحن الخطاب، ودلالة مفهوم الموافقة :
«قوله : (ذا) : إشارة للأولى مبتدأ، خبره (فَحْوَى الخطاب)، (والذي ساوَى) : مبتدأ،
خبره جملة (دَعَاهُ الْمُحْتَذِي)، أي المتبع لأهل الأصول في اصطلاحاتهم؛ لأنهم كذلك
يسمونه، و(بلحنه) : متعلق ب(دَعَاهُ)، أي سمّاه لحن الخطاب. دلالة : المضاف للوفاق
مبتدأ، خبره (تُعْزَى)، و(للقياس) متعلق به، وكذا (لَدَى)، وقوله : وهو الجلي :
اعتراض. يعني أن دلالة مفهوم الموافقة قياسية عند بعض الأصوليين»^(٢).

٤- محمد الأمين الشنقيطي (آبُه بن اخطور: ت ١٣٩٣هـ)، المفسر الأصولي اللغوي
الموسوعي. ترك لنا في علم الأصول كتابه : (نثر الورود على مراقي السعود)^(٣)،
الذي اعتنى فيه اعتناءً لافتاً بتوظيف البحوث النحوية لغرض خدمة مسائل
الأصول وقضاياها. وأعرضُ منه النموذجين الآتيين :

- ففي فصل الاشتقاق عند قول الناظم، صاحب (مراقى السعود) :

لَا بُدَّ فِي الْمَشْتَقِّ مِنْ تَغْيِيرٍ مُحَقَّقٍ أَوْ كَانَ ذَا تَقْوِيدٍ
وإن يكنْ لمبهمٍ فقدْ عُوْهِدَ مَطَّـرُ دَاً وَغَيْرُهُ لَا يَطَّـرِدُ.

قال الشارح مُستنداً في شرحه إلى مسائل النحو والتصريف، مع شيء ليس باليسير
من المناقشة والتحليل :

قال مقيده عفا الله عنه : ضابط الاشتقاق المطرد بالقياس الصرفي إذا أردت أن تعلمه
فاعلم أن المصدر الذي منه الاشتقاق له حالتان، الأولى : أن يكون حدثاً متجدداً باختيار
الفاعل كالقيام والجلوس، الثانية : أن يكون صفة قائمة بالذات من غير اختيارها

١- المصدر نفسه، ص ٢٩١.

٢- المصدر نفسه، ص ٢٩٥.

٣- تحقيق الدكتور محمد بن سيدي بن حبيب الشنقيطي. جدة : الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م. ج ٢.

كالسجاي والألوان ونحو ذلك، فالسجاي نحو الكرم والشجاعة، والألوان كالسواد والبياض، والقسم الأول الذي هو الحدث المتجدد باختيار الفاعل له حالتان، الأولى : أن تكون نسبته واحدة، وهو المعبر عنه باللزوم، أي عدم التعدي إلى المفعول به كالقيام والجلوس. الثانية : أن تكون له نسبتان، نسبة إلى فاعله من حيث وقوعه منه، ونسبة إلى مفعوله من حيث وقوعه عليه، نحو الضرب، فإنه لا تتعقل حقيقته إلا بضارب ومضروب؛ لأنه صفة إضافية، وهي لا تدرك حقيقتها إلا بإدراك المتضامين، وهذا هو المعبر عنه بالتعدي إلى المفعول، فإن كان المصدر الذي منه الاشتقاق صفة قائمة بالذات من غير اختيارها كالكرم والشجاعة، فلا يشتق منها باطراد القياس الصري إلا ثلاثة أشياء، الأول : الفعل ككرّم وشجّع، الثاني : الصفة المشبهة، ككريم وشجاع، الثالث : صيغة التفضيل بشروطها المعروفة، نحو زيدٌ أفضل من عمرو وأشجع منه...^(١).

- والشنقيطي عالم جليل، ثاقب الذهن، يؤسس الأحكام الأصولية على ما يراه ويرجح من المسائل الإعرابية. من ذلك مثلاً مناقشته الممتعة لمسألة الاستثناءات المتعددة، المعطوف بعضها على بعض عند قول الناظم :

وذا تعدّدٍ بعطفٍ حصّـل بالاتّفاق مُسجَـلاً للأوّل
إلا فكلٌّ للذي به اتّصـل وكلُّها عند التساوي قد بطل.

حيث يقول :

يعني أن الاستثناءات المتعددة إذا كان بعضها معطوفاً على بعض ترجع كلّها للأوّل الذي هو المستثنى منه، لا الأوّل من الاستثناءات. وقوله : مسجلاً يعني مطلقاً، أي سواء كان الاستثناء مستغرقاً أم لا، إلا أنه يبطل في المستغرق ويصح في غيره. مثال غير المستغرق : له عليّ عشرةٌ إلا واحداً، وإلا اثنين، وإلا ثلاثة، فتسقط الستة من العشرة، فتبقى أربعة هي اللازمة له، ومثال المستغرق : له عليّ عشرةٌ إلا خمسةً، وإلا أربعةً، وإلا واحداً، فالمجموع عشرة. وعلى القول بجمع مفرّق الاستثناء يبطل جميع الاستثناءات؛ لأنّها بمثابة له عليّ عشرةٌ إلا عشرةً، وأمّا على القول بأنّه لا يجمع مفرّق فلا يبطل إلا الذي حصل به الاستغراق مع ما بعده إن كان بعده شيء، والباطل الذي حصل به الاستغراق في هذا المثال الأخير هو الواحد؛ لأنّه آخر مذكور حصل به الاستغراق

١- المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢٦، ١٢٧.

فتسقط تسعة ويلزم واحد لبطلان الاستثناء فيه. وقوله : ذا تعدّد : مفعول به مقدّم لقوله : حصّل. قوله : إلّا، يعني : وإلّا تكن الاستثناءات المتعدّدة متعاطفة، بل كانت متعدّدة من غير تعاطف، فكلّ منها عائد إلى ما قبله يليه ما لم يستغرقه...^(١).

هكذا يسير هذا العلامة الجليل في توظيف مسائل الإعراب لمناقشة المباحث الأصولية، وتبيان ما يلزم من تقرير الأحكام وتوضيحها، مع كثير من تعميق التحليل والمناقشة، مستفيداً في ذلك من موسوعيته المعرفية، التي من ضمنها قدرته اللغوية الفائقة.

الفصل السادس : النحو واللغة والمنطق

العلاقة بين النحو واللغة علاقة وثيقة، متلازمة، باعتبار أنّ اللغة كما يقول ابن جني: «أصواتٌ يُعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم»^(٢). وأنّ النحو : «هو انتحاء سمّت كلام العرب، في تصرّفه من إعراب وغيره... ليلحق مَنْ ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها»^(٣). وأنّ الإعراب : «هو الإبانة عن المعاني، ألا ترى أنّك إذا سمعت أكرم سعيداً أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما، ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجاً واحداً لاستبّهم أحدهما من صاحبه»^(٤).

فهذا يفيد قوّة التلازم، والترابط بين الاثنين، وحاجة كلّ منهما للآخر، باعتبار النحو ركيزة أساسية من ركائز اللغة، التي هي أصوات يتفاهم بها الناس فيما بينهم، وهو القانون الصارم الذي يضبطها، ويتكفّل بسلامتها، لتؤدّي وظيفتها في التفاهم، والتواصل، وإجلاء المعاني على الوجه المطلوب. ومما يُعبّر أيضاً عن هذا الترابط والتلازم بين الاثنين ما ورد في محاوره لأبي حيّان التوحيدى (ت ٤٠٠هـ)، مع المنطقيّ أبي سليمان السجستاني (ت ٣٨٠هـ)، جاء فيها :

١- نثر الورود على مراقبي السعود، ج ١، ص ٢٩٢، ٢٩٣.

٢- الخصائص، ج ١، ص ٣٣.

٣- المصدر نفسه، ص ٣٤.

٤- المصدر نفسه، ص ٣٥.

«وَأَسْأَلُ شَيْخَنَا أَبَا سَعِيدٍ السَّيرَافِيَّ (ت ٣٦٨هـ) فِي غِذِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَهُوَ الْيَوْمَ عَالِمُ الْعَالَمِ، وَشَيْخُ الدُّنْيَا، وَمَقْنَعُ أَهْلِ الْأَرْضِ... فَسَأَلْتُ أَبَا سَعِيدٍ، فَقَالَ : هَذَا مِنْ قَبِيلِ الْأَسْمَاءِ الْمُنْسُوبَةِ، فَلَا يُقَالُ لَذَلِكَ : فَعِيلٌ بِمَعْنَى أَنَّهُ فَاعِلٌ، كَقَدِيرٌ بِمَعْنَى قَادِرٌ، وَلَا يُقَالُ : إِنَّهُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٌ كَذَبِيحٌ، وَلَكِنْ يُقَالُ : هُوَ فَعِيلٌ فِي أَصْلِهِ، كَحَنِينٌ وَأَيْنٌ. وَمَعَ هَذَا فَمَعْنَى الْفَعْلِ بِهِ أَقْرَبُ مِنْ مَعْنَى الْفَعْلِ مِنْهُ، وَلَفْعِيلٌ أَسْرَارٌ وَوَجُوهٌ... تَابَعْتُ أَحَاطُكَ اللَّهُ بَيْنَ هَذِهِ الْمَقَابَسَاتِ الثَّلَاثِ؛ لِأَنَّهَا مُتَوَاحِيَةٌ فِي بَابِهَا، أَعْنِي أَنَّهَا فِي حَدِيثِ اللَّغَةِ، وَالنَّحْوِ، وَالْمَنْطِقِ وَالنَّظَرِ، وَهَذَا تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الْبَحْثَ عَنِ الْمَنْطِقِ قَدْ يَرْمِي بِكَ إِلَى جَانِبِ النَّحْوِ، وَالْبَحْثَ عَنِ النَّحْوِ قَدْ يَرْمِي بِكَ إِلَى جَانِبِ الْمَنْطِقِ. وَلَوْلَا أَنَّ الْكَمَالَ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ لَكَانَ يُجِبُّ أَنْ يَكُونَ الْمَنْطِقِيُّ نَحْوِيًّا، وَالنَّحْوِيُّ مَنْطِقِيًّا، خَاصَّةً وَاللَّغَةُ عَرَبِيَّةً، وَالْمَنْطِقُ مُتَرَجِّمٌ بَهَا، وَمَفْهُومٌ عَنْهَا»^(١).

فهذا نصٌّ مُعَبَّرٌ بِحَقٍّ عَنِ التَّرَاوُطِ الْوَثِيقِ بَيْنَ عُلُومِ النَّحْوِ وَاللَّغَةِ وَالْمَنْطِقِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ. وَسَيَأْتِي الْحَدِيثُ فِي الْمَبْحَثِ الثَّانِي عَنِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ النَّحْوِ وَالْمَنْطِقِ، الَّتِي ظَهَرَتْ بِقُوَّةٍ فِي عَصْرِ أَبِي حَيَّانِ التَّوْحِيدِيِّ. وَقَدْ اسْتَعَانَ النَّحَاةُ الشَّنَاقَةَ فِي تَحْرِيرِ بَعْضِ الْمَسَائِلِ النَّحْوِيَّةِ، وَتَأْصِيلِهَا بِاللَّغَةِ الْمَعْجَمِيَّةِ، وَكَذَلِكَ بِيَحُوثِ الْمَنْطِقِ عَلَى نِطَاقٍ غَيْرِ مُتَّسِعٍ. وَفِيهَا يَلِي عَرْضَ بَعْضِ الْأَمْثَلَةِ؛ لِلتَّدْلِيلِ عَلَى ذَلِكَ :

المبحث الأول : النَّحْوُ وَاللَّغَةُ

كَانَ لِلَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى الْمُسْتَوَى الْمَعْجَمِيِّ حُضُورٌ فِي الْمَحَاطَرِ الشَّنَقِيَّةِ أَقْلٌ مِنْ حُضُورِ النَّحْوِ، وَعُلُومِ الْقُرْآنِ، وَالْفَقْهِ، وَكَانَ هَذَا الْحُضُورُ مُتَفَاوِتًا، مُتَرَكِّزًا بِشَكْلِ أَكْبَرٍ فِي مَحَاطَرِ الْمَنْطِقَةِ الْغَرِبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ (الْكِبَلَةُ)، وَانْحَصَرَتْ مَقَرَّاتُهَا فِي مَثَلَّثَاتِ مُحَمَّدِ بْنِ مَالِكٍ، وَالْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ لَهُ، وَمَثَلَّثِ قَطْرُبِ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُسْتَنِيرِ (ت ٢٠٦هـ)، وَلَامِيَةِ الْعَرَبِ لِلشَّنْفَرِيِّ (تُوفِّيَ سَنَةَ ٧٠ قَبْلَ الْهَجْرَةِ)، وَدَوَاوِينَ شَعْرَاءَ مَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَدِيَوَانَ ذِي الرِّمَّةِ غِيلَانَ (ت ١١٧هـ)، ثُمَّ مَقَامَاتِ مُحَمَّدِ الْحَرِيرِيِّ (ت ٥١٦هـ)، وَاسْتِعَابَ مَادَّةِ الْقَامُوسِ لِلْفَيْرُوزِ أَبَادِي وَهَضْمِهَا.

١- أَبُو حَيَّانِ التَّوْحِيدِيِّ، الْمَقَابَسَاتُ، تَعْلِيقُ الدُّكْتُورِ عَلِيِّ شَلُوقٍ. بَيْرُوتُ : دَارُ الْمَدَى لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى ١٩٨٦ م. ص ٩٦، ٩٧.

- فمن استعانتهم مثلاً باللغة «في تحرير المسائل النحوية وتأصيلها»^(١) السؤال الذي طرحه الشيخ محمد عالي بن عبد الودود المباركي (ت ١٤٠١هـ) : «على بعض مشايخ^(٢) معاصريه، حيث سأل عن شاهد من كلام العرب يُحتجّ به على جمع العَلَم جمعَ مذكّر سالم... رأى أحد الشيخين اللذين سألهما الشيخ محمد عالي أنّ السؤال ضَرْب من الفضول، فلم يوله ما يستحقّ من التأمل، بينما رأى الشيخ الثاني أنّه سؤال وارد، يُنبئ عن مستوى لغويّ رفيع، فامتدح السائل، وقال : إنّ من شواهد المسألة قراءة عاصم والأخوين^(٣) : [سَلَامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ] {١٣٠، الصّافّات} . على أنّها جمع إلياس»^(٤).

- وذكر الأستاذ محمّد بن بّتار^(٥) أنّ الشيخ محمّد فال بن عبد الله العلويّ (ما يزال حيّاً) كان يُعلّق في بعض دروسه على قول المختار بن بونا (ت ١٢٢٠ / ١٢٣٠هـ)، في جامعه بباب الإضافة في كَوْن المضاف قد تُزال منه تاء التأنيث قياساً^(٦) :
وقد تُزال منه تاءٌ إنْ أَمِنَ كَبَسٌ كما في لَيْتَ شِعْرِي قد رُكِنَ.

قائلاً : «ما الحامل على جعله من باب حذف التاء من المضاف مع أنّ (الشعر) بمعنى (العلم) موجود، واقتران هذا اللَّفْظ بالتاء لم يُسمع حتّى يُدعى حذفها»^(٧).

ويبدو أنّ هذا الاستدراك قديم، قد قرّره الزّبيدي في تاج العروس^(٨)، يقول الأستاذ محمّد بن بّتار^(٩) : «وهو ما رآه صاحب التاج بحثاً نفيساً بعد ما نقل مثله عن شيخه،

١- بحث (النحو في النوادي الشنقيطية)، مصدر سابق، ص ١٥٧.

٢- لم أقف على تحديد هذا البعض.

٣- هذا كلام غير دقيق. جاء في تفسير البحر المحيط لأبي حيان النّحوي، ج ٩، ص ١٢٢ : «وقرأ زيد بن علي ونافع وابن عامر (على آل ياسين).. وقرأ باقو السبعة (على إلياسين) بهمزة مكسورة، أي إلياسين جمع المنسوبين إلى إلياس معه». وجاء أيضاً في الوافي في شرح الشاطبية، لعبد الفتّاح عبد الغني القاضي. الأسكندرية : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الخامسة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص ٢٨٨ : «وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكوفيتون بكسر الهمزة (إلياسين) .. فتكون قراءة نافع والشمّامي بفتح الهمزة وإثبات ألف بعدها، وكسر اللّام». يراجع النشر في القراءات العشر، ج ٢، ص ٣٥٧.

٤- في المصدر والصفحة نفسها.

٥- في بحثه : (النحو في النوادي الشنقيطية)، ص ١٥٨.

٦- أوّل بيت من الاحرار، بعد أوّل بيت من باب الإضافة في الخلاصة. يراجع تقريب الطُّرّة، ج ١، ص ٤٠٥.

٧- في بحثه (النحو في النوادي الشنقيطية)، ص ١٥٨.

٨- مادّة (شعر).

٩- المصدر والصفحة نفسها.

فقال : (وقد أنكر شيخنا هذا على سيبويه، وتوقّف في حذف التاء منه لزوماً، وقال : لأنّه لم يُسمع يوماً من الدهر (شعري) حتّى تُدعى أصالة التاء فيه).

- غير أنّ ما ذهب إليه المختار بن بونا يوجد له سند قويّ في التراث العربي، لا يمكن التغافل عنه. جاء في مختار الصحاح : «ومنه قولهم : ليت شعري، أي ليتني علّمت. قال سيبويه : أصله شعرة، لكنّهم حذفوا الهاء كما حذفوها من قولهم : ذهب بعُذرها، وهو أبو عُذرها»^(١).

وعليه ففي المسألة رأيان اثنان لعلماء العربية، ممّا يُسوِّغ عدم وجاهة هذا النقد.

المبحث الثاني : النّحو والمنطق

نشأ النّحو العربي نشأة عربية خالصة في أحضان القرآن الكريم، من أجل خدمته والدفاع عنه، غير أنّه بعد ترجمة كثير من العلوم الأجنبية إلى العربية، وهضم العربية للعديد من الثقافات الأجنبية بعامل هذه الترجمة، واتّساع رقعة الإسلام، أخذ التلاقي بين النّحو العربيّ، وعلم المنطق يظهر شيئاً فشيئاً، إلى أن بدأ احتكاك ملحوظ بين الاثنين في القرن الرابع الهجري، إذ تجلّى في شيوع ظاهرة المناظرات بين النحاة والمنطقة، مثل مناظرة الفيلسوف أبي بشر متى بن يونس (ت ٣٢٨هـ)، مع النحويّ أبي سعيد السيرافيّ (ت ٣٦٨هـ)^(٢)، التي قال فيها متى :

لا سبيل إلى معرفة الحقّ من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشرّ، والحجّة من الشبهة إلّا بما حويناها من المنطق.. إنّ المنطق آلة من الآلات يعرف بها صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه، وإنّه بحث عن الأغراض المعقولة والمعاني المدركة.. لا حاجة بالمنطقيّ إلى النحويّ، وبالنحويّ حاجة إلى المنطقيّ... فقال أبو سعيد السيرافيّ : إنّ صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المألوف، والإعراب المعروف، إذا كنّا نتكلّم بالعربية، وفاسد المعنى من صالحه يعرف بالعقل إن كنّا نبحث بالعقل، وإذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها، واصطلاحهم عليها، وما يتعارفون به من رسومها وصفاتها، من أين يلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه ويتّخذوه حكماً لهم وعليهم، وقاضياً بينهم.. إنّ المنطق والنّحو واللفظ والإفصاح والإعراب

١ - مآدة (شعر).

٢ - الرّمانيّ النحويّ في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، الدكتور مازن المبارك، ص ٢٣٠.

والإنباء والحديث والإخبار والاستخبار والعرض والتمني والحض والدعاء والنداء والطلب كلّها من وإدٍ واحد بالمشاكلة والمماثلة.. إنّ تفخيمك للمنطق لا يغني عنك شيئاً، وأنت تجهل حرفاً واحداً من اللّغة التي تدعو بها إلى الحكمة اليونانية (يشير إلى أحكام الواو)، ومن جهل حرفاً واحداً أمكن أن يجهل اللّغة بكاملها، وإن كان لا يجهلها كلّها، ولكن يجهل بعضها، فلعلّه يجهل ما يحتاج إليه، ولا ينفعه فيه علم ما لا يحتاج إليه^(١).

وهي مناظرة فعلاً ممتعة، أظهرت رجحان كفة النّحو العربيّ. وقد سأل أبوحيان التوحيديّ (ت ٤٠٠هـ)، المنطقيّ أبا سليمان السجستاني (ت ٣٨٠هـ)، عن مدى التلاقي بين الاثنين، فأجابه قائلاً:

قلت لأبي سليمان : : فما النّحو؟ فقال : على ما يَحْضُرني الساعة من رسمه على غير تصفية حدّه وتنقيحه : إنّه نظر في كلام العرب، يعود بتحصيل ما تألفه وتعتاده أو تعرفه.. قلت له : فما المنطق؟ قال : آلة يقع بها الفصل والتمييز بين ما يقال هو حقّ أو باطل فيما يعتقد... قلت : فهل يعين أحدهما صاحبه؟ قال : نعم، وأيّ معونة! إذا اجتمع المنطق العقلي، والمنطق الحسيّ، فهو الغاية والكمال. قال : ويجب أن تعلم أنّ فوائد النّحو مقصورة على عادة العرب بالقصد الأوّل، قاصرة عن عادة غيرهم بالقصد الثاني، والمنطق مقصور على عادة جميع أهل العقل من أيّ جيل كانوا، وبأيّ لغة أبانوا... قال : وبالجملة فإنّ النّحو يرتّب اللفظ ترتيباً يؤدّي إلى المعنى المعروف، أو إلى العادة الجارية، والمنطق يرتّب المعنى ترتيباً يؤدّي إلى الحقّ المعترف به من غير عادة سابقة، والشهادة في المنطق مأخوذة من العقل، والشهادة في النّحو مأخوذة من العرب^(٢).

هذا فيما يبدو كان حواراً فقط، متمثلاً في سؤال وجاب، ولم يكن مناظرة بين نحويّ ومنطقيّ.

- وكان أبو الحسن الرّمانيّ (ت ٣٨٤هـ)، من أبرز العلماء النحويّين في القرن الرابع الهجري، الذين تأثّروا بالمنطق تأثراً ملحوظاً في فكرهم النحويّ، إذ كان منطقيّاً في الأسلوب، والتعبير، والتحليل، والفكر، ووضع المفاهيم. يقول الدكتور مازن المبارك:

١ - ملخّص من مناظرتها. يراجع معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ص ٨٩٤ - ٩٠٣.

٢ - المقابسات، ص ٩٢، ٩٣.

«أبو الحسن الرّمانيّ من علماء القرن الرابع ، ومَن عاش في تلك البيّنة، وعاصر تلك المناظرات، لقد حضر بعضها، ووعاها حتّى رواها، وكان إلى تلك من أئمّة الاعتزال والكلام والمنطق، ومن أكثر العلماء احتفاءً بهذه العلوم العقلية الجدلية، وتألّيفاً فيها.. فلا بدّ أن يكون نحوه بعد ذلك ابن بيئته وعصره المنطقيّ، وابن طبيعته وعقيدته العقلية، ولا بدّ أن نتوقّع عنده نحواً، كلّ منطقيّ»^(١).

وفي القرن السادس الهجري يظهر عالم مغربي جليل، يبدو التلاقي بين النّحو والمنطق في إنتاجه جلياً. هو الجزوليّ أبو موسى السوسيّ المغربيّ. وذلك في تأليفه المعروف في النّحو (بالمقدّمة الجزولية).. يقول الدكتور محمد المختار بن أباه :

«هذه المقدّمة التي كانت في منهجها قمّة اللّقاء بين منهجي النّحو والمنطق، وتعتبر بمثابة عمل توفيقيّ بين رأيي أبي سعيد السيراقيّ، ومَتّى بن يونس في مناظرتيها المشهورة... وبعد كثير من المحاولات والجهود والتنقيح استطاع إنشاء نظام منطقيّ، أدرج فيه هياكله، خاصّة القواعد النحوية، والجديد في هذا النظام هو الدقّة في الحدود والتعريفات، ومحاولة التفسير المنطقيّ للظواهر اللّغوية حتّى يتمّ انسجامها في النسق العامّ للنظريات العامّة للمدرسة البصرية. وتتمثّل الدقّة في تعريفه للكلام بزيادة الإفادة (بالوضع)، فقال : (إنّه اللفظ المركّب المفيد بالوضع)^(٢). ثمّ إنّ تعريفاته المتكرّرة للاسم تدلّ على جهده للوصول إلى حدّ منطقيّ جامع مانع»^(٣).

ويرى الدكتور حسن منديل العكيّليّ أنّ النحاة العرب المتأخّرين هم الذين تأثّروا بالمنطق الأجنبيّ، أمّا النحاة القدامى فكانوا متأثّرين بمنطق الفقه الإسلاميّ، حيث يقول : «والحقّ أنّ النحاة العرب المتأخّرين هم الذين تأثّروا بالمنطق الأجنبيّ، وخلطوا بينهما للشبه الكبير بينهما، أمّا النحاة المتقدّمون فقد تأثّروا بمنطق الفقه الإسلاميّ، وطبّقوه على علوم العربية، وهو نابع من منطق العقيدة الإسلامية»^(٤).

١ - الرّمانيّ النحويّ، ص ٢٣٠.

٢ - الجزوليّ أبو موسى، المقدّمة الجزولية، ص ٣.

٣ - تاريخ النّحو العربيّ، ص ٢٦٩، ٢٧٠.

٤ - مقال له بعنوان : (النحو بين المنطق والاستعمال اللّغويّ) على موقع (شبكة صوت العربية).

ربّما ينطبق كلامه هذا تماماً على ما قبل القرن الرابع الهجري، أمّا فيه، وفيما بعده فقد ظهر شيء من التلاقي بين الاثنين عند بعض النحويّين، كما رأينا من نماذج يبدو الاحتكاك فيها واضحاً بين الاثنين.

وعبر الدكتور العكيلي عن ما يراه جمهور علماء العربية فيما يخصّ العلاقة بين العِلْمين، قائلاً: «ومهما يكن من محاولات لإخضاع اللّغة إلى المناهج العقلية المنطقية فلا تدرس اللّغة إلاّ بمناهج اللّغويّين. ومن ثمّ يمكن الاستفادة من العلوم الأخرى ومناهجها. إنّ اللّغة لا تصحّ دراستها إلاّ بمناهج اللّغويّين والنحويّين المتقدّمين، ذلك أنّها تخضع لنظام خاصّ بها مرتبط بالأنظمة الأخرى الاجتماعية والثقافية وغيرها. ويمكن الاستفادة من المناهج والعلوم الأخرى، كما أخذ النحاة القدامى من دراسات الأصوليّين والفلاسفة والمناطق، وكذلك النحاة المعاصرون استفادوا من العلوم المعاصرة. اللّغة نظام لها منطق خاصّ بها يتمثّل في واقعها الاستعمالي، الذي ينأى عن المنطق العلميّ العامّ، والخلط بينهما يؤدّي إلى انحراف الدرس النحوي واللّغويّ ويضرّ بهما»^(١).

وهذا الصوت الرافض لدراسة النحو العربي في ضوء المنطق نجد له جذوراً قويّة قديماً، حتّى بين علماء القرن الرابع الهجري الذي امتدّ فيه سلطان المنطق بقوة إلى بعض النحويّين الكبار، حسب ما سلف ذكره. فالزّجاجيّ أبو القاسم (ت ٣٣٧هـ) يذكر أنّ: «الاسم في كلام العرب ما كان فاعلاً أو مفعولاً أو واقعاً في حيّز الفاعل والمفعول به. هذا الحدّ داخل في مقاييس النحو وأوضاعه، وليس يخرج عنه اسم البتّة، ولا يدخل فيه ما ليس باسم، وإنّما قلنا في كلام العرب؛ لأنّنا له نقصد، وعليه نتكلّم، ولأنّ المنطقيّين وبعض النحويّين قد حدّوه حدّاً خارجاً عن أوضاع النحو، فقالوا: الاسم صوت موضوع دالّ باتّفاق على معنى، غير مُقترن بزمان. وليس هذا من ألفاظ النحويّين ولا أوضاعهم، وإنّما هو من كلام المنطقيّين، وإن كان تعلّق به جماعة من النحويّين، وهو صحيح على أوضاع المنطقيّين ومذهبهم؛ لأنّ غرضهم غير غرضنا، ومغزاهم غير مغزانا، وهو عندنا على أوضاع النحو غير صحيح؛ لأنّه يلزم منه أن يكون كثير من الحروف أسماء؛ لأنّ من الحروف ما يدلّ على معنى دلالة غير مقترنة بزمان، نحو: إنّ ولكنّ وما أشبه ذلك»^(٢).

١- النحو بين المنطق والاستعمال اللّغويّ.

٢- كتابه: الإيضاح في علل النحو، تحقيق الدكتور مازن المبارك. بيروت: دار النفائس، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م. ص ٤٨.

وقد تأثر بعض النحاة الشناقطة بالمنطق تأثراً يَبِيناً في تحرير المسائل وضبطها ببحوثهم النحوية. وفيما يلي عرض نماذج تفيد ذلك :

- توجد نماذج عديدة من اشتراك بحوث النحو والمنطق في تأليف محمد بن سعيد اليدالي الشنقيطي (ت ١١٦٦هـ)، الذي وضعه في الفرق بين (الجمع واسم الجمع، واسم الجنس وعلم الجنس^(١))، فمن الفرق بين علم الجنس واسمه قوله :

«وأما اسم الجنس فهو الموضوع للحقيقة الذهنية بلا اعتبار قيد ولا فردية، يخرج بالأول علم الجنس كأسماء فإنه يعتبر فيه قيد الحضور في الذهن، وبالثاني الجمع واسم الجمع لدالتهما على الأفراد، ودخل علم الجنس لأنه تعتبر أفراداه... وأما علم الجنس فهو الموضوع للحقيقة الجنسية الذهنية باعتبار حضورها في الذهن، الذي هو نوع تشخص لها مع قطع النظر عن أفرادها كأسماء فيصدق على كل أسد في العالم كان ماضياً أو حالياً أو مستقبلاً»^(٢).

وقوله : «ومن الفرق بين علم الجنس واسمه اعتبار وضع الواضع؛ لأنه إذا استحضر صورة الأسد لها فتلك الصورة المستحضرة في ذهنه جزئية باعتبار تشخصها. وبالنسبة إلى الكلية التي هي مطلق صورة الأسد فإن هذه الصورة واقعة لهذا الشخص في زمان، ومثلها يقع في زمان آخر، وفي ذهن شخص آخر، والجمع مشترك في مطلق صورة الأسد. وهذه الصورة جزئية في مطلق صورة الأسد بالنسبة إلى الكلية، أي بالنسبة إلى مطلق صورة الأسد، فإن وُضع لها من حيث خصوصيتها فهو علم الجنس، أو من حيث عموميتها فهو اسم الجنس، وفي كلام سيبويه إيماء إلى هذا الفرق»^(٣).

فهذا بحثٌ مُوغلٌ في علم المنطق، إذ هو من بحوث المناطقة، الذين يضعون عادة فصلاً في (الفرق بين علم الجنس واسمه)^(٤).

١- مخطوط، مودع بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحيدة، تحت رقم ١١٦.

٢- ص ٦، من المخطوط.

٣- ص ١١، من المخطوطة.

٤- رفُعُ الأعلام على سُلَم الأَخْضري، وتوشيح عبد السلام في علم المنطق، ص ٤٣.

- من هذه التحقيقات عند الشناقطة، التي يلتقي فيها الاثنان، مكتوب، ما فيه منسوب للشيخ مَحْنُصُ بابا بن اعيبد الديباني (ت ١٢٨٧هـ) في (أل). يقول فيه : «وحاصل التحقيق أنّ (أل) إمّا للإشارة إلى الحقيقة المطلقة، أو للحقيقة في ضمن جميع أفرادها، أو للحقيقة في ضمن فرد مُبْهَم، ونظير مدخول الأولى عَلم الجنس، والحكم عليه قضية طبيعية عند المناطقة، ونظير مدخول الثانية (كلّ) مُضافة إلى نكرة، والحكم عليه قضية كَلِّيّة، ومدخول الثالثة نكرة معنى، والحكم عليه قضية مُهملة»^(١).

هذه النماذج تفيد بوضوح تأثر بعض النحاة الشناقطة بعلم المنطق تأثراً بالغاً، وإن كانوا قليلين، بإزاء الجمهور، الذين درسوا النحو دراسة عربية خالصة، في أحضان القرآن الكريم، من أجل خدمته، من جميع الجوانب، وفي الحقول المتنوعة.

١ - يراجع بحث : (التّحو في النوادي الشنقيطية)، ص ١٥٧

الباب الرابع

الوضع الرَّاهن للغة العربية ببلاد شنقيط

الفصل الأوّل : الوضع الرَّاهن للنحو العربيّ ببلاد شنقيط، ودخول اللّسانيات إليها

الفصل الثاني : المجال التركيبيّ

الفصل الثالث : المجال الصرفيّ

الفصل الرابع : المجال الصوتيّ

الفصل الخامس : المجال الدلاليّ

تمهيد

يرى بعض الباحثين^(١) أنّ اصطلاح (العصر الرَّاهن) «اصطلاح جديد، يعني الفترة التي أعقبت الحرب العالمية، أو نهاية الحرب الباردة. ويمكن أن تكون بدايته الفعلية في موريتانيا بقيام الدولة الوطنية سنة ١٩٦٠م».

وأرى أنّ هذا التحديد يتناسب إلى حدّ كبير مع ما نحن بصددّه من الحديث عن الفصحى، ورصد ازدحام اللّهجات الوطنية، ولغة المستعمر معها، وما هو حاصلُ بينها، وبينهما من احتكاك وتأثير وتأثر.

حيث العربية الفصحى هي اللّغة الرسمية لبلاد شنقيط، وهو ما أكّده دستور ١٩٩١م، الذي نصّ في مادّته الأولى على أنّ اللّغة العربية هي اللّغة الرسمية الوحيدة للبلاد^(٢). وهي مستخدمة في محاضرات أساتذة الجامعات في العلوم الإنسانية، الذين يحرصون على تحريرها، وتقديمها لطلّابهم بالفصحى، وعند المثقّفين في الندوات العلمية والفكرية، ومقالات الصحفيّين، والنشرات الإخبارية، المقروءة والمكتوبة.

كما يوجد بين العلماء في هذه الحقبة من حافظ على إلقاء محاضراتهم بها، من أمثال الشيخ محمد سالم بن عدّود (ت ١٤٣٥هـ)، والعلامة الشيخ محمد الحسن بن الددو، والشيخ أحمدو بن المرباط، إمام الجامع الكبير بانواكشوط، مثلاً. كما أنّ المناهج الدراسية في جميع المستويات، من الابتدائية إلى الجامعة في التخصصات الإنسانية مكتوبة بالفصحى، التي تحظى بحبّ الشناقطة، وعشقهم إيّاها إلى حدّ كبير، ممّا جعلهم يُجَلّون الماهر في تطبيق القواعد النحوية أثناء الحديث بها أيّما إجلال، ويقدّرونه تقديراً خاصّاً، ويكرهون اللّاحن فيها، ويسقط من عيونهم، معرّضاً نفسه للسخرية والاستهزاء.

وقد انتشرت العربية الفصحى في كامل ربوع القطر الشنقيطي، منذ انتشار قبائل بني حسان العربية بالصحراء الشنقيطية في القرن الثامن الهجريّ، كما سبق الحديث في التمهيد، ثمّ ازدهر الأدب العربي المكتوب بها ازدهاراً كبيراً، ممّا أسهم في ارتقاء مقامها، من حيث هي لغة هذا الأدب الوحيدة في البلد، بغير منازع، وساعد على اتّساع دائرة

١ - كالدكتور حمّاه الله بن السالم، تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ص ١٤.

٢ - محمد لكبيد بن حديث، المفشّ العامّ للتعليم سابقاً، التعليم الموريتاني من المحظرة إلى المدرسة الحديثة، أيّ مسيرة لبناء النّخب؟، ص ٨٢.

نفوذها أُنْما أصبحت في البلاد لغة فصحي في درجة ثابتة، كاملة الحلقات. ويُعدّ فصيحاً فيها مَنْ سلم من الخطأ بمراعاة الإعراب والتصريف، ولاحظ قواعد العربية في صوغ الأفعال والأسماء، وتجنّب العبارات الدارجة في اختيار الألفاظ، لذلك غدت حذقا فنياً يُحسّنه المرء على تفاوت كبير في الدجات والمراتب^(١).

ومع ذلك فإنّ الصراع بقي مُتحدّما بينها وبين اللهجة الحسّانية، الملحونة من العربية، وبينها وبين الفرنسية، الذي نتج عنه استخدامهما معاً في كثير من المواطن، أكثرها حساسيةً وخطورةً إحلال لغة المستعمر الفرنسية محلّها في الإدارات الحكومية، إذ أصبحت - الفرنسية - لغة الإدارة المكتوبة، وهو أمر سبّب إحراجاً كبيراً، وأسفاً بالغاً لغالبية الشعب الشنقيطي، الذي ثمانون في المائة منه من العرب، الناطقين بالعربية، ممّا جعل البعض منهم يستشعر خطراً كبيراً، يهدّد قدسية الفصحى، ومكانتها^(٢).

الفصل الأوّل : الوضع الرَّاهن للنحو العربيّ ببلاد شنقيط، ودخول اللّسانيات إليها

أوّلاً : الوضع الرَّاهن للنحو العربيّ ببلاد شنقيط : سيكون الحديث في هذا المحور عن النقاط الموالية :

- النّحو كمادّة للتدريس في المحاضر والمدارس الثانوية.

- النّحو والنظرية اللّسانية : المؤيّدون والمعارضون.

- النّحو ومستويات الكفاية في البحث اللّساني.

أ - النّحو كمادّة للتدريس في المحاضر والمدارس الثانوية :

١ - النّحو في المحاضر : انحسر ازدهارُ نشاطِ التّأليف في النحو العربي ببلاد شنقيط

بشكل كبير في القرن الخامس عشر الهجري، واقتصر جهد الباحثين فيه على مراجعة التّراث وتمحيصه، كما سلف ذكّره في نهاية الفصل الأوّل من الباب الثاني، واعتنى العلماء والدارسون بدراسته وهضمه، وتدريسه في المحاضر، التي تقلّص عددها، وقلّ تميّز الباقي منها في البلاد بشكل ملحوظ، وذلك

١ - يوهارفك، العربية دراسات في اللّغة واللهجات والأساليب، ص ١٦٧ - ١٦٩.

٢ - المصدر والصفحة نفسها.

بسبب عوامل التحضر، والجفاف المستمر، والهجرة من الريف إلى المدينة، ومزاومة التعليم العصري الشديدة، والبحث عن الوظائف، وعدم اعتناء الدولة الرسمية بالمحاضر وتراثها، وكثرة المغريات، غير أنّ تعلق الشناقطة بأعجاد المحظرة، وحبهم الكبير لتراثها الشامخ ظلّا صامدين أمام هذه العوامل، فبقي الاعتناء بالنحو مستمراً على استحياء بين العلماء والدارسين، مع شيء من التفاوت في المحاضر، حيث الاهتمام به يتمركز أكثر في محاضر المنطقة الغربية الجنوبية (القبلة)، علاوة على العاصمة انواكشوط.

ودراسة النحو الآن في المحاضر تتمّ على ثلاثة مستويات، المستوى الابتدائي، الذي يدرّس فيه الطّلاب نظّم الأجرومية، المسمّى (عبيد ربّه) لمحمد بن أبه المزري التّواتي (ت ١١٦٠هـ)، وأصل هذا النّظّم (متن الأجرومية)، لعبد الله بن أجروم الصنهاجي، الفاسي (ت ٧٢٣هـ)، والمستوى المتوسّط، الذي يدرسون فيه أحياناً مُلحة الإعراب، لأبي محمّد القاسم بن علي، الحريري البصري، (ت ٥١٦هـ)، وأحياناً قطر الندى، لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، والمستوى العالي التخصّصي، الذي يدرسون فيه ألفية ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) في النحو، ولامية الأفعال في التصريف له، وفي محاضر المنطقة الغربية الجنوبية (القبلة) غالباً ما تُدرّس في هذا المستوى الألفية، ممزوجة بأحمرار المختار بن بونا (ت ١٢٢٠ أو ١٢٣٠هـ)، ولامية الأفعال، ممزوجة بأحمرار الحسن بن زين (ت ١٣١٥هـ).

وقد ينتقل الطّلاب مباشرةً من المستوى الابتدائي إلى العالي، دون المرور بالمستوى المتوسّط، وذلك فيما إذا استوعب الطّالب المرحلة الابتدائية استيعاباً جيّداً يؤهّله لولوج مرحلة التخصّص العالي. ويُلاحظ في هذه الحقبة اختفاء ألفية السيوطي (ت ٩١١هـ) الفريدة من المناهج النحوية بالمحاضر الشنقيطية، بعد ما كان لها حضور كبير في محاضر ولاية تيمبكتو بالمنطقة الشرقية. أمّا طريقة الأخذ عن الشيوخ فهي كما كانت، حيث يتحلّق الطّلاب بألواحهم حول شيخ المحظرة، الذي يأخذ في الشرح المناسب لطالب كلّ مرحلة، وهم فرادى، واحداً بعد واحد، مقدّماً الدروس لوجه الله، لا يملّ ولا يكلّ، وتستمرّ العملية التدريسية طيلة الأسبوع الدراسي، باستثناء عطلة الأسبوع الاستجمامية، التي عادةً ما تبدأ من صُحوة يوم الأربعاء إلى منتصف يوم الجمعة.

ذلك هو النحو في مؤسّسة المحظرة العتيقة، ويوجد اليوم من المؤسّسات التعليمية ما تجمع بين الأصالة والعصرية، حيث تُقدّم مقرّراتها في ثوب عصريّ على منوال المؤسّسات العصرية، مع التزامها بمقرّرات المحظرة المتعدّدة، التي من ضمنها المتون النحوية سالفه الذكر. من أبرز هذه المؤسّسات المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، وهو المؤسّسة الوحيدة المعترف بها من الدولة ضمن هذه المؤسّسات، ومعهد ابن عبّاس، والمحظرة النموذجية لتكوين العلماء، التي يوجد بها فصل تمهيدي لإعداد الطلّاب للمساهمة في المسابقة السنوية لدخول المؤسّسة، ومركز تكوين العلماء، الذي توجد به مرحلتان: متوسطة، ومتخصّصة عالية، في مستوى الجامعة. وهذه المؤسّسات تستقبل الطلّاب سنوياً عن طريق مسابقات، وبعد أربع سنوات من الدراسة والاختبارات، وإكمال المقرّرات تمنح خريجيها إجازات عالية، وهي تقدّم لطلّابها منحا مالية، وبعضها - مثل مركز تكوين العلماء - يُوفّر لهم السكن والمعاش، وتوجد كلّها بالعاصمة انواكشوط.

٢- النحو في المدارس الثانوية: تبدأ دراسة النحو ببلاد شنقيط في التعليم العصريّ بطريقة مبسّطة من السنة الرابعة الابتدائية، مُتدرّجة عمودياً، إلى أن يُقدّم النحو دروساً متكاملة، في السلك الأوّل الثانوي (الاعدادية، بسنواتها الأربع)، شاملة أبواب النحو الأساسية، بحيث لا يُنهي الطالب هذه المرحلة حتّى يكون في الغالب متمكّناً من ناصية الإعراب، مع الإمام الجيّد بقواعده وجزئياته، مستعينا بمحفوظاته من اللّغة والأدب، التي عادة ما تركّز المؤسّسة على تزويده بها في هذه المرحلة بشكل متميّز، يؤهّله تأهيلاً جيّداً لولوج أقسام اللغة العربية في التعليم الجامعي ببلاد شنقيط، التي يُقدّم النحو العربي اليوم فيها غالباً باستيعاب شديد، وتركيز متين، مع الاعتناء الخاصّ بألفية ابن مالك ولامية الأفعال له وشروحهما، إذ لهذه التآليف حضور كبير بهذه الأقسام.

وتُقدّم مسائل النحو هذه في (السلك الأوّل الثانوي: الاعدادية، بسنواتها الأربع) ضمن مقارنة الكفايات لتعليم مُندمج ناجح. فقد جاء في ديباجة المفتشية العامّة للتهذيب الوطني، التعليم الثانوي، منهاج اللّغة العربية، السلك الأوّل، سنة ٢٠١٤م. ما يلي:

« الكفايات والتعلُّم » : في المقاربة بالكفايات فترتان للتعلُّم :

- فترة التعلُّم المنتظم (تعلُّم المعارف والمهارات والسلوكات).

- فترة نشاطات الاندماج.

أ- تعلُّم المعارف والمهارات والسلوكات : إنّ المقاربة بالكفايات تتابع تنمية المعارف والمهارات والسلوكات، كما كان عليه الحال في مقاربات .. أخرى مع التأكيد على الفوارق الثلاثة الآتية :

- تعطى الأولوية لتنمية المعارف والمهارات والسلوكات التي تتعلّق بالكفاية، أمّا غير المتعلقة بها، فتعتبر ثانوية. ولا يتمّ تناولها إلا إذا أتقن التلاميذ كلّ الكفايات.

- تحاول قدر الإمكان أن تجعل التعلُّم ذا معنى ببيان فائدته، وتصل بالتلميذ إلى تركيب المعارف والمهارات والسلوكات فيما بينها بشكل تدريجيّ.

- تُنمّى المعارف والمهارات والسلوكات خلال (٧٥ في المائة) من الزمن (مدّة ثلاثة أسابيع من أربعة مثلاً ليبقى من الوقت ما يكفي لإدماج المكتسبات فعلياً) «^(١)».

أمّا السلك الثاني الثانوي (السنوات الثلاث النهائية) فلا تُقدّم فيه مسائل نحوية جديدة، بل يُكتفى فيه ضمن تحليل النصوص الأدبية، بتطبيق ما تمّت دراسته من القواعد النحوية في السلك الأوّل. وهو ما أُشيرَ إليه في نقطتين من نقاط محور التوصيات، الواردة في مقدّمة برنامج اللّغة العربية للسلك الثاني، من التعليم الثانوي : «تنمية رصيده (التلميذ) اللّغوي، ومعارفه النحوية والصرفية والبلاغية والعروضية... المراجعة الدائمة للقواعد في موادّها المختلفة عند دراسة النصّ»^(٢).

ب - النحو والنظرية اللسانية : المؤيدون والمعارضون : يُلاحظ أنّه لما تبلور بعدُ ببلاد شنيقظ نظرية لسانية معاصرة، مع كثرة المختصّين من أساتذة جامعيّين في اللسانيات المعاصرة، درسوا هذا التخصص في جامعات عربية وأجنبية، ثمّ عادوا إلى حقل التدريس والبحث الأكاديمي في مؤسّسات التعليم العالي بالوطن. بل ما

١ - وزارة التعليم الوطني، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، مجموعة أساتذة، المفتّشية العامة للتّهذيب الوطني، التعليم الثانوي، قسم اللّغة العربية، منهاج اللّغة العربية للسلك الأوّل، سنة ٢٠١٤ م. ص ٥.

٢ - وزارة التعليم الوطني، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، مجموعة أساتذة، المفتّشية العامة للتّهذيب الوطني، التعليم الثانوي، قسم اللّغة العربية، برنامج اللّغة العربية للسلك الثاني، سنة ٢٠٠٩ م. ص ٤.

هو حاصل في هذا الإطار ببلاد شنقيط اليوم هو أن المختصين في اللغويات العربية ينقسمون إلى قسمين اثنين، أولهما : مؤيد، غير أنه لم يُكوّن نظرية لسانية، وثانيهما : معارض معارضة صامتة، غير صريحة. وفيما يلي تبيان ذلك :

القسم الأول : أصحاب هذا القسم مؤيدون للنظريات اللسانية المعاصرة، غير أن أيّاً منهم لم يقدم لنا نظرية لسانية خاصّة به، يتبنّاها ويدافع عنها، فنجدهم جميعاً يستعرضون النظريات اللسانية المعاصرة جميعها عند الحديث عن مستويات البحث اللساني وقضاياها، وهو أمرٌ من شيوعه عندهم لا يحتاج إلى تدليل. وإن كنا قد نلمح عند بعضهم الميل إلى النظرية التوليدية. لنوازن مثلاً بين نصّين اثنين للأستاذ المختار الجيلاني الشنقيطي عن النظريتين : البنيوية والتوليدية، حيث يقول عن الأولى : «بهذه الأفكار قاد سوسير البحث في اللغة إلى حقله الحيوي، جاعلاً من نفسه مؤسس اللسانيات الوصفية البنيوية. لقد جاءت آراؤه بحق متألّفة وقويّة بحيث جذبت أسسها النظرية كلّ المهتمّين بالبحث العلميّ في مختلف الدراسات ذات الصلة باللغة، سواء في ذلك من خضعوا ومن لم يخضعوا لتأثيرها بصورة مباشرة»^(١).

وعن الثانية : «ولقد جاءت مظاهر الاحتفاء باللسانيات التوليدية التحويلية كبيرة وواسعة، فقد تغلغل منهجها في علم اللهجات والدراسات الدلالية والبراهمانية، ودراسة صيغ الكلمة، وتاريخ اللغة، كما بدأ استثمار منجزاتها في البحث الصوتي والترجمة الآلية بنجاح باهر. وفي مجال الدراسة الأدبية نرى تقبلاً واسعاً للطريقة التوليدية التحويلية في تحليل التراكيب النحوية، وتعاطياً حيّاً لمفردات الجهاز المفهومي والإجرائي الذي اجترحه تشومسكي وأتباعه بين المنشغلين بالموضوعات الأدبية تنظيراً وتطبيقاً»^(٢).

فبالموازنة بين النصّين نجد ميلاً واضحاً إلى النظرية التوليدية التحويلية.

ولنأخذ مثلاً آخر عند الدكتور يحيى بن محمّد الهاشمي الشنقيطي لدى حديثه عن مستوى (التركيب)، يقتصر فيه على مفهومه عند التوليديين، مكثفاً فقط بالإشارة إلى المدارس الأخرى، حيث يقول : « بعد هذه الرحلة الطويلة ينبثق الفكر اللساني الغربي

١ - الخطاب الشعريّ الحداثي في موريتانيا دراسة في أجرومية النصّ. موريتانيا، ص ٤٩، ٥٠.

٢ - المصدر نفسه، ٥٩.

في مدارس متعدّدة، كان أشهرها إلى اليوم مدرسة تشومسكي التحويلية التوليدية. تقوم هذه المدرسة على جهود تشومسكي، وتجمع هذه المدرسة بين خلفيات متعدّدة، منها اعتبارات جديدة: ميزان الحدس مقياساً لمقبولية الإنحاء (المتكلّم المستمع المثالي للغة ما: مرجعاً معتمداً)، تحويل موضوع الدراسة اللسانية إلى دراسة الطاقة الخلاقة في الإنسان.. إلخ»^(١).

فهذان المثالان يفيدان بوضوح أنّ القوم وإن كانوا لم يكونوا لأنفسهم نظرية لسانية معاصرة، إلّا أنّهم يناصرون النظرية اللسانية التوليدية بوضوح، أكثرين من الإشادة بها والتأييد.

القسم الثاني: أصحاب هذا القسم معارضون معارضة صامتة، غير صريحة، وهؤلاء يمثلون غالبية المختصّين في اللّغويات العربية، فنجدهم يتجاهلون الخوض في الحديث عن النظريات اللسانية المعاصرة، وقد يصارحوننا في أحاديثهم الخاصّة بأنّ كلّ ما في هذه النظريات هو موجود في النحو العربي منذ ما يزيد على ألف عام، في نظرية النحو التركيبي عند أبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، وأنّ النحو العربي قام بوظيفته، وأدّاها كما ينبغي عبر العصور، قبل ظهور اللسانيات المعاصرة، وأنّ كثيراً من المختصّين فيها هم مقلّدون لنظريات أجنبية، ويؤمنون في هدم بنية النحو العربيّ القديم. لذلك نجد علماء كباراً شناقطة، مختصّين في النحو، مؤلّفين فيه، لا يعرّجون في تأليفهم على ذكر هذه النظريات، من هؤلاء مثلاً العلامة الموسوعيّ المختار بن حامدن (ت ١٩٩٣م)، في كتابه: (حياة موريتانيا الثقافية)، والأستاذ النحويّ الأديب الخليل النحويّ (حيّ)، في كتابه: (بلاد شنقيط المنارة والرباط)، اللذان خصّصا مساحاتٍ واسعة للنحو والنحاة ببلاد شنقيط في هذين التاليفين، دون الإشارة إلى أيّ نظرية لسانية.

وقد تحدّث عنها أحدهم حديثاً علمياً موضوعياً، دون أيّ تَبَنٍّ، أو انتصارٍ لها، بل يُفهم من ثنايا حديثه أنّه مُتوجّس منها على تغيير البنية النحوية القديمة، وغير متحمّس لها، وأنّ حاجة الدرس النحويّ القديم إليها ليست بملحّة، وإن كانت مُمكنة. ويمكن أن يكون الأستاذ الكبير الدكتور محمد المختار بن أباه ممثلاً لهذا المنحى، بقوله:

١ - محاضرات في اللسانيات والعربية. انواكشوط: دار الفكر، منشورات اتحاد الأدباء والكتّاب الموريتانيّين. ص ٦٥، ٦٦.

«وهذه المقتطفات التي أوردناها تدلّ على وجود نشاط يسعى القائمون به إلى وضع أسس لقواعد مشتركة بين اللغة العربية واللغات الأخرى، وليس من المستبعد أن يُفيد اللسانيّين العرب في دراسة مباحث الدلالة، وأصول النحو في التراث العربي، وأن يُعين النحاة العرب المعاصرين على التدقيق في خصائص اللغة، وعلل القواعد النحوية، أمّا كون هذا النشاط سوف يُغيّر من البنية النحوية التقليدية للغة العربية فهذا ما لا نتوقّعه ولا نرجوه»^(١).

ج - النّحو ومستويات الكفاية في البحث اللّساني : مع أنّه لمّا تبلور بعدّ ببلاد شنقيط نظرية لسانية معاصرة، فإنّ بعض أساتذة الجامعات اليوم ببلاد شنقيط يهتمّون في بحوثهم اللّسانية بتوظيف النّحو في إطار مستويات الكفاية في البحث اللّساني. وذلك باعتبار الكفاية في البحث اللّساني «التمكّن من اللغة والقدرة على استعمالها»^(٢) أو «مجموع المعارف اللّسانية لدى المخاطب، تمكّنه من فهم وإنتاج عددٍ لانّهائيّ من الجمل»^(٣)، ومستوياتها في البحث اللّساني هي : الكفاية في ملاحظة الظاهرة المدروسة، والكفاية في وصفها، والكفاية في تجريبها وتفسيرها.

إنّ مصطلح الكفاية كما يقول الدكتور محمد يونس علي : « قد ارتبط باللسانيّ المشهور تشومسكي ضمن ثنائته المشهورة : الكفاية والأداء»^(٤).

الذي يؤطره تشومسكي نفسه في الإطار التراتبي لهذه الكفايات بشكل ملحوظ في قوله مثلاً : «ويتحقّق المستوى الأدنى من النجاح إذا قدّم النحو المادّة الأولى الملاحظة تقديماً سليماً، ويمكن بلوغ المستوى الثاني والأعلى من النجاح عندما يُقدّم النحو تفسيراً سليماً للحدس اللغوي للمتكلم السليقيّ، ويُحدّد النحو كذلك المادّة الملاحظة، ولا سيما من حيث التعميمات المهمّة التي تكشف عن الاطرادات الأساسية في اللغة. ويمكن بلوغ المستوى الثالث والأعلى على الإطلاق من النجاح عندما تُقدّم النظرية اللّسانية المعنيّة أساساً عامّاً لاختيار القواعد التي تحقّق المستوى الثاني من النجاح على حساب

١- تاريخ النحو العربي، ص ٥٦٠.

٢- عن مقال للدكتور محمد يونس علي، بعنوان : الكفاية اللّغوية والكفاية التخاطبية. على الشبكة المعلوماتية.

٣- عن مقال على الشبكة المعلوماتية، بعنوان : الكفاية ومفاهيمها. والتعريف أصلاً منقول عن الدكتور محمد الدريج المغربي، من كتابه : الكفايات في التعليم من أجل تأسيس علميّ للمنهاج المندمج.

٤- عن مقال للدكتور محمد يونس علي، بعنوان : الكفاية اللّغوية والكفاية التخاطبية. على الشبكة المعلوماتية.

قواعد أخرى منسجمة مع المادة الملاحظة ذات الصلة، لكنّها لا تحقّق هذا المستوى من النجاح. وفي هذه الحال نقول : إنّ النظرية اللسانية المعنية تقترح تفسيراً للحدس اللغوي للمتكلم السليقي^(١).

بما أنّ الأمر كذلك فإنّ بعض الباحثين الأكاديميين المناقطة حاولوا مثلاً تحليل هذا التوجّه التشومسكي وتعميقه. وهم من أمثال الأستاذ المختار بن محمد الأمين بن الجيلاني الشنقيطي، الأستاذ بجامعة انواكشوط، في قوله :

«يرى تشومسكي أنّ للغة جانبين : جانباً سمّاه : (البنية العميقة) (deep structure)، وجانباً ثانياً، سمّاه : البنية السطحية) (surfacestructure)،. ويمثّل الجانب الأوّل ما يعرف بالطاقة أو الكفاية، وهي معرفة الإنسان العقلية بالقواعد النحوية غير الخاضعة للملاحظة، التي تجسّد مقدرته الإبداعية، التوليدية على إنتاج عدد غير محدود من الجمل، التي لم يستخدمها بالضرورة، أو يسمّعها من قبل، وفهم هذه الجمل. أمّا الجانب الثاني فيمثّل ما يعرف بالأداء (performance)، أي الناتج الفعلي المولّد عن الطاقة بوساطة قواعد تحويلية معيّنة. وهذا الاستخدام الفعلي للغة هو الذي يمكن الاستعانة به للكشف عن الجملة غير الظاهرة، على مستوى البنية السطحية، والمتضمّنة في البنية العميقة...»^(٢).

كما نجد الدكتور يحيى بن محمّد الهاشمي الشنقيطي، الأستاذ بجامعة انواكشوط أيضاً يسير في هذا المنحى، موظّفاً النحو بشكل واضح في إطار مستويات الكفاية في البحث اللساني. حيث يقول :

«على النظرية اللغوية أن تُقدّم تعريفاً لمفهوم النحو، أي تخصيصاً لطبقات الأنحاء الممكنة، والنظرية اللغوية لا تكون كافية وصفيّاً إلّا إذا قدّمت نحواً كافياً لكلّ لغة طبيعية، ويتوقّف ذلك على بناء نظرية لغوية عامّة تحدّد العناصر المشتركة بين كلّ اللغات البشرية، وتقوم بإقصاء اللغات المتخيّلة. أو بتعبير آخر تقوم بتحديد الكليات اللغوية بفرز الجزء المكتسب من الملكة اللغوية عند الفرد من الجزء الفطري الموروث. وبما أنّ النحو يمكن اعتباره نظرية للغة فإنّ النظرية لكي تكون كافية وصفيّاً لا بدّ أن

١- عن مقال للدكتور محمد محمد يونس علي، بعنوان : الأصول الأنطولوجية والإبستمولوجية الموجهة لآلِجات المدارس اللسانية في القرن العشرين. على الشبكة المعلوماتية.

٢- كتابه : الخطاب الشعريّ الحداثي في موريتانيا دراسة في أجزوميّة النصّ، ص ٥٨، ٥٩.

تصّف وصفا صحيحا المقدرة الباطنية للمتكلم الأهلّي المثالي، ويجب أن يوافق الوصف البنيوي للجمال في مستوى الكفاية الوصفية حدس المتكلم اللّغوي، وذلك بأن يميّز النّحو تمييزا واضحا بين الجمّل السليمة والجمال المنحرفة في تركيبها النحوي^(١).

فهذا تحليل معتمّد من القوم يستند بشكل واضح إلى توظيف النّحو في مناقشة مستويات الكفاية في البحث اللّساني.

ثانياً: دخول اللّسانيات إلى بلاد شنقيط : علّم اللّسانيات الحديثة علّم جديد ببلاط شنقيط، بدأ ظهوره بها في ثمانينيات القرن الماضي بعد إنشاء جامعة انواكشوط سنة ١٩٨١م، وقدوم أساتذة شناقطة للتدريس بها، مختصّين في اللّسانيات الحديثة، بعد حصولهم على درجات الدكتوراه والماجستير من بعض الجامعات العربية والأجنبية.

فمن أبرز جيل الرواد الذين قاموا بإلقاء الدروس اللّسانية بجامعة انواكشوط : الدكتور جمال بن الحسن (ت ٢٠٠١م) الذي قام بعد حصوله على شهادة الدروس المعمّقة (في درجة الماجستير) من الجامعة التونسية سنة ١٩٨١م، على دراسته : (أسلوب محمّد بن الطلبة اليعقوبي) بإلقاء محاضرات في اللّسانيات بجامعة انواكشوط سنة ١٩٨٣م^(٢). والدكتور أحمد بن اميريك، الأستاذ بجامعة شنقيط، الذي قام بعد حصوله أيضاً على شهادة الدروس المعمّقة من الجامعة التونسية سنة ١٩٨١م، على بحثه : (صورة بخيل الجاحظ الفتيّة في كتاب البخلاء) بإلقاء محاضراته في اللّسانيات بجامعة انواكشوط سنة ١٩٨٣م. فهما زميلان في الدراسة، متعاصران. وتجدد الإشارة إلى أنّ الاختصاص الدقيق لهذين الأستاذين ليس اللّسانيات، بل الأوّل مختصّ في الأدب، والثاني في النقد، إلّا أنّه كانت لهما فيما يبدو ثقافة متمكّنة في اللّسانيات، علاوة على اختصاصهما الدقيق، وذلك بواقع تلمذتهما في الدراسات العليا على أستاذ الأسلوبية الكبير التونسي الدكتور عبد السلام المسدي^(٣).

١ - كتابه : محاضرات في اللّسانيات والعربية، ص ٦٤.

٢ - مقابلة مع الدكتورة مريم بنت الشيخ، الأستاذة بجامعة انواكشوط، بتاريخ ٠٦ / ١١ / ٢٠١٤م. والدكتور أحمد بن اميريك، الأستاذ بجامعة شنقيط، بتاريخ ١٧ / ١١ / ٢٠١٤م.

٣ - مقابلة مع الدكتور أحمد بن اميريك، الأستاذ بجامعة شنقيط، بتاريخ ١٧ / ١١ / ٢٠١٤م.

ثمّ بعد جيل الرواد نصادف جيلاً آخر يُعدّ الرعيل الأوّل من المختصّين في اللّسانيات، من أبرزهم : الدكتور يحيى بن البراء، الذي تحصّل على شهادة الدروس المعمّقة سنة ١٩٨٥م، من جامعة محمد الخامس بالمغرب، على رسالته (صفة فعل في اللغة العربية دراسة وصفية)، ثمّ أخذ في إلقاء محاضراته في تخصّص اللّسانيات بجامعة انواكشوط السنة الدراسية ١٩٨٦/١٩٨٧م. كما تحصّل على درجة الدكتوراه من الجامعة نفسها سنة ١٩٩٠م. على أطروحته (صورة الهمزة في اللّغة العربية وتطبيقاتها الصوتية)^(١).

وفي سنة ١٩٨٦م تحصّل الأستاذ يسلم بن حمدان على شهادة الدروس المعمّقة في النّحو العربيّ، من جامعة محمّد الخامس بالمغرب، على رسالته (العمل والرّتبة عند نحاة العرب)، ثمّ أخذ في إلقاء محاضراته في مجال اللّسانيات بجامعة انواكشوط في السنة الدراسية ١٩٨٦/١٩٨٧م^(٢).

وفي سنة ١٩٨٣م حاز الدكتور يحيى بن محمّد الهاشمي شهادة الدراسات المعمّقة في اللّسانيات من جامعة تونس، ثمّ قام فيما بعد بإلقاء محاضراته في التخصّص نفسه^(٣). وهو صاحب كتاب : (محاضرات في اللّسانيات العربية).

هؤلاء هم الرعيل الأوائل الذين دخلت اللّسانيات الحديثة على أيديهم بلاد شنقيط، في ثمانينيات القرن الماضي، وانتشرت بجهودهم في مؤسّسات التعليم العالي، عن طريق المحاضرات والتأليف والمقالات، وتكليف طلابهم بإعداد البحوث الميدانية ورسائل التخرّج، ثمّ تتابع قدوم أجيال أخرى إلى مؤسّسات التعليم العالي بالبلد من الأساتذة المختصّين في هذا الحقل، من أبرزهم الدكتور المختار الجيلاني، الأستاذ بجامعة انواكشوط، صاحب كتاب (الخطاب الشعريّ الحداثيّ في موريتانيا دراسة في أجرّومية النصّ).

١- مقابلة معه في جامعة انواكشوط، بتاريخ ٢٧ / ١٠ / ٢٠١٤م.

٢- مقابلة معه أيضاً في جامعة انواكشوط، بتاريخ ٢٧ / ١٠ / ٢٠١٤م.

٣- مقابلة معه بتاريخ ٢٥ / ١٠ / ٢٠١٤م.

الفصل الثاني : المجال التركيبيّ

التركيب النحويّ في الاصطلاح هو «علم الأساليب، أو الجُمْل، أو التراكيب، بحيث من تَضامّ الأدوات والكلمات تنشأ التراكيب اللّغوية، وهي الوحدات التعبيرية التي لا يحصّل التفاهم من دونها... فما التركيب إذن إلّا ألوانٌ من العلاقات تقوم بين أجزائه بحيث لو تغيّرت واحدة منها أدّى ذلك إلى اضطراب الدّلالة أو تغيّرها.. علم النّحو هو علم التركيب، وهذا يعني أنّه لا يدرس الكلمات نفسها، بل علاقات بعضها ببعض في التركيب اللّغويّ»^(١).

فعلم التركيب في اللّغات البشرية له نظام صارم ودقيق، كما عبّر عنه عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) بقوله: «والألفاظ لا تفيد حتّى تؤلّف ضربا خاصّا من التّأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب، فلو أنّك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدّا كيف جاء واتّفق، وأبطلت نَصَدَه ونظامه الذي عليه بُني، وفيه أفرغ المعنى وأجري، وغيّرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد كما أفاد، ونسقه المخصوص أبان المراد... وعلى ذلك وضعت المراتب والمنازل في الجمل المركّبة، وأقسام الكلام المدوّنة»^(٢).

فالتركيب بين الألفاظ يؤدّي إلى ألوانٍ من العلاقات والأنساق الخاصّة، كما يُظهر الإسناد والتّعدية في الأساليب والجُمْل. يقول الدكتور محمّد خير حلواني: «فحين يقول: هذه مفعول به، وتلك فاعل، فإنّه يوضّح علاقة كلّ منهما بالفعل، فالمصطلح (فاعل) يعني أنّ الكلمة تتعلّق بالفعل بعلاقة الإسناد، والمصطلح (مفعول به) يعني أنّها تتعلّق بالفعل بعلاقة التّعدية، وهكذا يحدّد العلاقات الزمنية والمكانية.. إلخ»^(٣).

وتجدر الإشارة إلى أنّ اللّسانيات الحديثة علّمتُ جديد ببلاد شنقيط - كما سبقت الإشارة - ظهر بوضوح مع إنشاء أوّل جامعة بالعاصمة انواكشوط سنة ١٩٨١م، على أيدي أساتذة جامعيّين تخصّصوا في اللّسانيات بجامعاتٍ خارج البلاد. وفيما يخصّ المستوى النحوي التركيبي اهتمّ الباحثون الشناقطة بتطبيقه على نصوص شعرية

١- محمّد خير حلواني، المعنى الجديد في علم الصرف. ص ١٠، ١١، ١٢.

٢- أسرار البلاغة في علم البيان، تعليق السيّد محمّد رشيد رضا. ص ٢، ٣.

٣- المعنى الجديد في علم الصرف، ص ١٣.

فصيحة من الشعر الشنقيطي، واللهجة الحسانية الملحونة من الفصحى بشكل أقل،
ولغة الصحافة. وفيما يلي تبيان ذلك :

أولاً- الدكتور يحيى بن محمد الهاشمي في كتابه : (شعر المقاومة الموريتانية ضد
الاستعمار الفرنسي من ١٨٥٤ إلى ١٩٦٠م)^(١) الذي قام فيه بانتقاء ثلاث قصائد شعرية
شنقيطية، تمثل المقاومة الثقافية، والمقاومة المسلحة، والمقاومة السياسية، جاعلاً إيّاها
عيّناتٍ للدراسة والتحليل، معتنياً بتحليل المستوى التركيبي فيها، وإن بشكل مقتضب.
وسنقف فيما يلي على نموذج يبيّن جهد الهاشمي، ومنهجه في تحليل المستوى النحوي،
بنصّ (المقاومة السياسية) للمختار بن ابلول الحاجي (ت ١٣٩٨هـ)، بعنوان : (الحدائق
الجامعة للأمة السامعة)^(٢) الذي يقول في مطلعهِ^(٣):

أَيَا شَعْبٍ شَنِجِيطٍ اتَّحَاداً وَنَهْضَةً حِفْظَ ضَرُورِيَّاتِ دِينِكَ كَيْ تَعْلُو.

يقول الهاشمي في تحليل المستوى التركيبي بالنصّ :

زواج النصّ بين استخدام الجمل الاسمية والجمل الفعلية، كما راوح بين أزمنة
الفعل (الماضي، والمضارع، والأمر) بشكل متنوّع، ممّا يناسب استحضر الأبعاد الزمنية
في التعامل مع موضوع نهضة الشعب وفاءً للماضي، ونهوضاً بالحاضر، واستشراقاً
للمستقبل، فالماضي مفعم بالإنجاز : نشر الإسلام، نشر العلم، إقامة النُظم والدول
على أساس العدل في محطّات تاريخية متعدّدة. فالاستفادة من قوّة الماضي باستحضاره
والعمل على استعادته قد تساعد في حلّ أزمة الحاضر: الاستعمار الفرنسي النصراني
للشعب الموريتاني المسلم، وبالرجوع إلى أسباب قوّة الماضي، تُمكن استعادة المفقود،
وجميع كُنات ذلك الماضي وسيلة لبناء الحاضر الذي يتولّد عنه المستقبل، ومن هنا نعر
على مفتاح الحدائق، فكّل حديقة تمثّل دعامة من دعائم بناء الدولة... فقد تناول الشاعر
هذه المواضيع تناوياً يوحى برؤية متكاملة، تتشابه وشائجه في بناء موحد^(٤).
وهذا الاقتضاب في التناول ربّما يرجع إلى كَوْن الكتاب ليس في موضوع اللسانيات أصلاً.

١- القاهرة : دار التوزيع والنشر، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٢- يقصد بالحدائق مقاطع النصّ ومحاوَره، حيث كلّ مقطع يعالج موضوعاً جزئياً من الموضوع العام.

٣- يبلغ عدد أبيات هذا النصّ (٣٢١ بيتاً). اقتصر الهاشمي على مقاطع منه للدراسة.

٤- شعر المقاومة الموريتانية ضدّ الاستعمار الفرنسي، ص ١٥٥، ١٥٩.

ثانياً- الشيخ بن أحمد الشنقيطي: في بحثه: (مدخل إلى البناء المعجمي عند الشاعر محمد بن الطالع - دراسة لديوان: الليل والأرصفة)^(١) قدّم دراسة معجمية، خصّص منها مساحة ليست بالعريضة لدراسة المستوى التركيبي، حيث تحدّث عن السبك النحوي، وجودة التأليف، استناداً إلى ظاهري التوزيع والاستبدال. فقال:

«وقد امتاز البناء المعجمي لهذا النصّ بقوة السبك، وجودة التأليف، ويعود الفضل في ذلك أساساً إلى توخّي الشاعر الواعي للقوانين النحوية بشكل عامّ، وفي اعتماده الواعي أو التلقائي على النحو التوليدي، وبالأخصّ على خاصّيتي التوزيع والاستبدال، اللّتين يركّز عليهما البناء التركيبي والمعجمي لأيّ نصّ، إذ يحدّدان المساحة المثلى للكلمة وقوعاً وتكراراً، وحدود هذا التكرار والاستخدام. إذ يتحدّد بواسطة هذا النحو نظام العلاقات، الذي يربط النصّ، والذي يمثّل ماهية اللّغة»^(٢).

ثمّ تحدّث عن نوعين من هذه العلاقات، يلعبان دوراً كبيراً في التركيب النحويّ، إذ قال: «يمكن إجمالها فيما يلي:

١- الترابط السياقي: الذي هو مناط تأليف الجملة على المستوى الأفقي، كما أنّه مناط حركة المعنى.

٢- الوضع الاستبدالي: الذي يتمّ بمقتضاه اختيار بعض العناصر على نحو يؤدّي إلى دخول القيم الخاصّة بالعلامات في علاقات تبادل، بعضها مع بعض على المحور العمودي»^(٣).

حديث مقتضب عن هذا المستوى، غير أنّه معبرٌ عن جهدٍ طيّب بذله الباحث في تطبيقه (المستوى التركيبي) على العيّنة المدروسة.

ثالثاً- كتب الباحث محمد بن بلال بحثاً جاداً لدراسة أصوات اللهجة العربية الحسانية، بعنوان^(٤): (الوصف الصوتي والصوقي في الحسانية). تحدّث فيه عن المستوى

١- وهو بحث لنيل الإجازة في اللّغة العربية وآدابها. من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨م. مودّع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٤١٦٨.

٢- المصدر نفسه، ص ٣٢، ٣٣.

٣- المصدر نفسه، ص ٣٣.

٤- وهو بحث لنيل الإجازة من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية ١٩٨٨/ ١٩٨٩م. مودّع بقسم الرسائل، بقسم اللّغة العربية، تحت رقم ٧٠٠٤٤٣.

التركيبي، فذكر في مستهل حديثه عنه أنَّ ظاهرة الإعراب معدومة في اللهجة الحسانية، حيث قال :

إنَّ النَّحو الذي نعني به الإعراب، أي فرع المعنى الوظيفي لا وجود له في اللهجة الحسانية، ولا نهتدي إلى معرفة دلالة الجملة إلَّا من خلال الموقعية الثابتة لدلالة الألفاظ في التركيب الحساني، وقد يكون هذا السبب هو الوحيد الذي يعين على إهمال الإعراب. وقد لاحظت في كثير من الخطابات الحسانية أنَّ الموقعية ثابتة غير متغيرة، كما في اللغات الفصيحة. المبتدأ دائماً في صدر الجملة، والخبر يليه، وفي الجملة الفعلية يتقدّم الفعل، ويليه فاعله، وأخيراً المفعول إن اقتضاه الفعل. ولا تقتصر في معرفة المبتدأ والفعل والفاعل والمفعول في الحسانية على حركات؛ لأنَّ الحركات التي تدلُّ على وظائف في الأسماء مفقودة في اللهجة الحسانية، وإنَّها هدايتنا إلى معرفة الوظيفة الإعرابية الصيغة والموقع الثابت. ومن ناحية أخرى نلاحظ أنَّ أهمّية النحو باقية وموجودة في اللهجة الحسانية، هذه الأهمّية التي تكمن في معاني الجملة من تقرير واستفهام وتأكيّد وهلمّ جرّاً...^(١).

ويُلاحظ هنا أنَّ بعض المعلومات التي أوردها الباحث غير دقيقة، وهي قوله : إنَّ المبتدأ في اللهجة الحسانية دائماً في صدر الجملة، والخبر يليه، والفعل في الجملة الفعلية يتقدّم، ويليه فاعله. أقول : بل يتقدّمان ويتأخّران على السواء، مثل قولنا : أحمد قرّأي للقرآن، وقرّأي أحمد أيضاً للقرآن. وجّ محمد، ومحمد ج.. أمّا ما ذكره عن الإعراب، وكيف تتحدّد الدلالة فهو صحيح.

ثمّ تحدّث عن السمات التركيبية للجملة الحسانية، وعمّا يحدث في مكوّناتها الأساسية عند التحويل والتقليب، فقال: «كلّ جملة في الحسانية لها سمات تركيبية.. كشأن الجملة في العربية.. كما أنَّ المكوّنات الأساسية لها تختلف من سياق لآخر، فالموقعية متغيرة في كلّ سياق...»^(٢).

دراسة لسانية للمستوى التركيبي حقيقة جادّة، مطبّقة على اللهجة الحسانية، الملحونة من العربية.

١- المصدر نفسه، ص ٣٠، ٣١.

٢- المصدر نفسه، ص ٣٧ - ٣٩.

رابعاً- الأستاذ المختار بن محمد الأمين بن الجيلاني التناوجيوي في كتابه : (الخطاب الشعريّ الحداثيّ في موريتانيا دراسة في أجروميّة النّص)^(١). إذ قام بتطبيق المستوى التركيبي على خمسة نصوص من الشعر الحرّ، انتقاها من خمسة دواوين لشعراء شباب، من جيل تسعينيات القرن الماضي، وهي :

- نصوص «دموع غيلان» من ديوان (تبه المراكب)^(٢). للشاعر بنّاصر سيدي الأمين بن سيدي أحمد.

- و«رحيل» من ديوان (أحلام أميرة الفقراء)^(٣). للشاعرة بنت البراء باتّه.

- و«الكشف» من ديوان (مدائن الإشراقات الكبرى)^(٤). للشاعر ولد ابنو بدّي.

- و«الشريد» من ديوان (أنشودة الدم والسّنا)^(٥). للشاعر ولد بديوه ببهاء.

- و(رسائل سرّية إلى شخصيات سرّية) من ديوان (الأرض السائبة)^(٦). للشاعر ولد عبدي محمد.

فقدّم ابن الجيلاني حقيقةً دراسة جادّة بمعنى الكلمة في المجالين : التركيبي، والدلالي، مطبّقةً على هذه النصوص، مستهلاً حديثه بذكر عدّة وسائل يتحقّق بها السبك النحوي، هي : (الإحالة، والوصل، والحذف). فتحدّث عنها حديثاً ضافياً. وفيما يلي أعرض نموذجاً مختصراً، للتمثيل به فقط على أسلوبه المتميّز في هذه الدراسة الجادّة، حيث ذكر أنّ :

أ - الإحالة تكون بالضّمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة، التي يرى أنّها «لا تخضع لقيود نحوية، وإنّما لقيد دلالي، هو وجوب التطابق في الخصائص الدلالية بين العنصر المُحيل، والعنصر المحال إليه، فالعناصر المحليّة هي عناصر غير

١- موريتانيا، الإمارات : الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢- تونس : الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٣- انواكشوط : الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٤- باريس : القلم للنشر ١٩٩٦م.

٥- القاهرة : مكتبة الآداب، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٦- أبوظبي : ١٩٩٥م.

مكتفية ذاتياً، إذ لا بدّ من الرجوع إلى ما تُحيل إليه حتّى يمكن تأويلها، من ثمّ عدّت الإحالة علاقةً دلالية^(١).

وميّز في الضمائر «بين أدوار الكلام التي تدرج فيها ضمائر التكلم الدالة على الكاتب، وضمائر الخطاب الدالة على القارئ أو القراء، والإحالة فيها تأتي نمطياً (خارج نصّية)، اللّهمّ إلّا في الكلام المنقول حرفياً، أو في الخطاب السردى، وأدوار أخرى تدرج ضمائر الغيبة، وهذه تُحيل قبلياً بشكل نمطي إلى أشخاص أو أشياء، رابطة بين أجزاء النصّ»^(٢). وأسماء الإشارة «بما فيها الظرف الزماني والمكاني (الآن، هنا، هناك، غداً، ..) فبالإضافة إلى ما تقوم به من الربط القبلي والبعدي بين مفردات الجمل، فإنّ فيها ما يميّز .. بالإحالة الموسّعة التي تعود إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل المكوّنة للنصّ، وهو اسم الإشارة المفرد»^(٣).

والمقارنة تنقسم إلى «مقارنة عامّة تضمّ علاقات التطابق التي تنجم عن استعمال كلمات من نوع (نفسه، عينه، ذاته، ...)، وعلاقات التشابه التي تنجم عن استعمال أدوات التشبيه، ومقارنة خاصّة تنفرّع إلى كمّية (أكثر، أقلّ، ...) وكيفية (أجمل، أفضل، ...)، والمقارنة كلّها نصّية، تربط بين سابق ولاحق»^(٤).

ب- الوصل : هو « تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم، يختلف عن الوسائل الثلاث الأخرى في أنّه لا يوجّه إشارة نحو عنصر مفترض فيما سبق، أو فيما يلحق من النصّ، وإنّما يتخلّل المتتاليات المتعاقبة ليصنع منها وحدة متماسكة، وذلك بواسطة التعبير عن نوع العلاقة التي تربط العنصر اللاحق بالعنصر السابق.. وهذا الاختلاف في المعاني يقابله تنوّع في الوسائل، إذ هناك وصل إضافي، ووصل سببي، ووصل عكسي، ووصل زمني^(٥) ».

١ - الخطاب الشعري الحداثي، ص ٢٦٦.

٢ - المصدر والصفحة نفسها.

٣ - المصدر نفسه، ٢٦٦.

٤ - المصدر نفسه، ص ٢٦٧.

٥ - المصدر والصفحة نفسها.

ج - الحذف : يبرز دوره في سبك النصّ، وبصورة خاصّ في العلاقات بين الجمل، وليس داخل الجملة الواحدة، كما ذكر ابن الجيلاني، إذ بيّن أنّه «علاقة قبلية داخل نصّية دائماً، تتمثّل في وجود فراغ بنيوي في الجملة الثانية، يهتدي القارئ إلى ملئه اعتماداً على ما ورد في الجملة الأولى، أو النصّ السابق. وقسمه .. إلى حذف اسمي وحذف فعليّ وحذف قوليّ. والصفة التي تتقاطع فيها هذه الأقسام الثلاثة هي عدم وجود أيّ أثر للعنصر المحذوف (اسم، فعل، قول) في الجملة أو العبارة اللاحقة»^(١).

وقد استعان ابن الجيلاني في حديثه عن السبك النحوي في هذه النصوص بوسائل السبك، التي يؤدّي تعانقها، وتشابكها إلى ما يحصل من الحبك، والسبك في النصوص المدروسة. وهي : (العلاقات، المسافات، الذوات، العنوانات، الجمل الشعرية، المقاطع الشعرية، الاستمرارية). وفيما يلي إشارة مقتضبة إليها، لغرض الوقوف على أسلوب الباحث في العرض والتحليل، اكتفاءً بها عن عرض النصوص المدروسة، إلّا قليلاً :

١ - العلاقات : هي وسائل التركيب النحوي، المتمثلة في علاقات الإحالة والوصل والحذف. فذكر ابن الجيلاني أنّ النصوص المدروسة تتفاوت في استخدامها «وإن غلب عليها جميعاً الاعتماد بواسطة علاقات الإحالة»^(٢).

والجدول الآتي مثلاً يوضّح «الوسائل المستخدمة، وكميّة الفروق بينها، في سبك كلّ نصّ على حدة على المستوى النحوي»^(٣) :

جدول (١) : توزيع علاقات السبك النحوي

العلاقات/ النصّ	دموع غيلان	رحيل	الكشف	الشريد	رسائل سرّية إلى شخصيات سرّية
علاقات الإحالة	٥٤	٥٤	١٣١	٧٢	٩١
علاقات الوصل	٢٦	٧	٢٨	٤٤	٣٤
علاقات الحذف	٣	٠	٣	٠	٢
المجموع	٨٣	٦١	١٦٢	١١٦	١٢٧

١ - المصدر نفسه، ص ٢٦٧، ٢٦٨.

٢ - المصدر نفسه، ص ٢٦٨.

٣ - المصدر نفسه، ص ٢٦٨، ٢٦٩.

٢- المسافات : يُسمّى عدد الجمل الفاصلة بين العنصرين المترابطين نحوياً بالمسافة الفاصلة بين الكلمات المترابطة، حيث « تأتي نتائج الفحص هنا لتكشف عن اتفاق النماذج في الحد الأدنى لطول هذه المسافة، وهو الصفر، وتفاوتها الكبير في الحد الأقصى الذي جاء في كل نصّ على النحو الآتي :

- دموع غيلان : (٤) جمل شعرية^(١).

- رحيل : (١٤) جملة شعرية

- الكشف : (١١) جملة شعرية

- الشريد : (٣٢) جمل شعرية

- رسائل سرّية إلى شخصيات سرّية : (١١) جملة شعرية^(٢).

٣- الذوات: هي الإحالة إلى ذات المتكلّم أو المخاطب أو الغائب. كما يقول ابن الجيلاني: نصّ (دموع غيلان): أحالت أغلب الوسائل الإحالية إلى ذات واحدة هي المتكلّم (الشاعر) القائم بالفعل خارج الكون النصّي.. كما هو الحال في الجملتين الشعريتين : الأولى والثانية، من المقطع الثالث، وهما :

رَكِبْتُ الْفِيَّافِي وَبَوَصَلْتِي الْعِشْقُ

عَلَيَّ أَعْثُرُ بَيْنَ الدُّرُوبِ

عَلَى حَبَّةٍ مِنْ رِمَالِ بِلَادِي

تَوَسَّدَتِ الْأَرْضَ وَاخْتَبَأَتْ بَيْنَ حَبَّاتِهَا^(٣).

ففي هاتين الجملتين وردت سبعة روابط إحالة ضميرية، تعود كلّها إلى متكلّم مفرد واحد.

٤- العنوانات : أي ما يحصل من الربط النحوي بين العنوان والمتن، وهو ما لم يقع كثيراً في النصوص المدروسة هنا. يقول ابن الجيلاني : « لم يوجد سبب نحوي يربط بين عنوان النصّ ومتنه، إلّا في نصّ واحد فقط من نصوص العيّنة، وهو نصّ «الشريد»

١ - تنتهي الجملة الشعرية حيثما ينتهي المعنى، لذلك قد تضمّ أسطراً عديدة، وجمالاً نحوية كثيرة، ويندرج تحت المقطع الشعريّ الواحد العديد من الجمل الشعرية. يراجع ابن الجيلاني، الخطابي الشعري الحدّاثي، ص ٤٠١، حاشية ٢.

٢ - المصدر نفسه، ص ٢٦٩.

٣ - الشاعر: بناصر، مصدر سابق، ص ٥٦.

الذي قامت بين عنوانه وممتنه خمس عشرة رابطة، كلّها إحالة ضميرية^(١).

٥- الجمل الشعري : مثلاً : الربط الداخلي : أي الترابط الداخلي بين جمل النصوص الشعرية المدروسة. يقول ابن الجيلاني موضحاً أنواع الروابط الرئيسة لوسائل السبك النحوي، وكَمَّهَا في كلّ نصّ، مثلاً في : (دموع غيلان) :

- الإحالة : (١٨ حالةً، منها ثنتان مقارنة، وحالة واحدة إشارية بعديّة، والبقية كلّها ضميرية).

- الوصل : (١٦ حالةً، منها واحدة زمنية، وسبع سببية، والبقية كلّها إضافية).

- الحذف : (بحالاته الثلاث في النصّ).

٦- المقاطع الشعرية : مثلاً : الربط الداخلي : أي الربط بوسائل السبك النحوي داخل المقاطع، التي ذكر ابن الجيلاني أنّ بينها تفاوتاً كبيراً داخل بعض النماذج النصّية، إذ قال : «وبصورة عامّة لقد تراوحت الروابط الداخلية بالنسبة إلى المقطع الشعري الواحد في العيّنة ما بين (١٠ - ١٥) في نصّ (دموع غيلان)، و(٠ - ٣١) في نصّ (رحيل)، و(١٦ - ٣٨) في نصّ (الكشف)، و(٢ - ٢٢) في نصّ (الشريد)، و(١ - ٣٩) في نصّ (رسائل سرّية إلى شخصيات سرّية). وهو ما يكشف عن التفاوت الفاحش في درجات السبك النحوي داخل مقاطع بعض النماذج النصّية. وهذا ما توضّحه أكثر الفقرة الخاصّة باستمرارية السبك النحوي فيما بعد^(٢).

٧- الاستمرارية : أي استمرارية السبك بين أجزاء المقطع الواحد، وبين المقاطع، أو انقطاع هذه الاستمرارية في النصوص المدروسة. وتوضيحاً لوضع استمرارية السبك النحوي، و« قياس درجات تذبذبها ارتفاعاً وانخفاضاً في كلّ نصّ على انفراد»، قام ابن الجيلاني بوضع جداول وأشكال لحصر الروابط النحوية، وإيضاح مؤشّراتها في مقاطع كلّ نصّ على حدة^(٣).

وهي تدلّ بوضوح على شبه انعدام وسائل السبك النحوية البينية في مقاطع النصوص الشعرية المدروسة، والتفاوت الكبير في استخدام وسائل الربط الداخلية في هذه المقاطع.

١- المصدر نفسه، ص ٢٧٩، ٢٨٠.

٢- المصدر نفسه، ص ٢٩٢.

٣- المصدر نفسه، ص ٢٩٤ - ٢٩٧.

في الحقيقة هذه الدراسة التي قام بها ابن الجيلاني في مجال النحو التركيبي هي دراسة جادة في إطار اللسانيات المعاصرة، لم يسبق إليها ببلاد شنقيط، لعلّه يقدّم المزيد فيها، خصوصاً أنّه الآن يواصل بحثه في المجال نفسه بجامعة انواكشوط.

خامساً- أخطاء الصحافة في المستوى التركيبي: تسرّبت إلى لغة الصحافة ببلاد شنقيط أخطاء عديدة في المستوى التركيبي. وتتجلّى مظاهر هذه الأخطاء في كونها «تتعلّق بوضع كلمات في غير مواضعها، أو تعدية فعل لا زم، أو العكس، أو تعديته بحرف غير حرفه، أو الإتيان بتركيب ضعيفة...»^(١). وفيما يلي أعرض أمثلة من هذه الأخطاء:

١. يخطئون في استعمال (طالما)، حيث: «يقولون: لن أترك حقّي طالما لم أحصل عليه»^(٢). والصواب هنا استعمال (ما دام)، بأن يقال: مادمت لم أحصل عليه؛ لأنّ طالما المركّبة من (طال) و(ما) تستعمل بمعنى (كثيراً)^(٣).
٢. خطأ متمثّل في استخدام (لا زالت)، حيث «يقولون: لا زالت الأنباء تأتيكم أو تصل مسامعكم. ومقصودهم ب(لا) هنا النفي»^(٤). والصواب هنا أن يقال (ما زالت)؛ لأنّ (لا) النافية يجب تكريرها إذا دخلت على الفعل الماضي^(٥).
٣. من أخطائهم استعمال: (لا أحيّد)، حيث يقولون: «سوف لا أحيّد عن مبادئي»^(٦).

والأصحّ أن يقال: لن أحيّد عن مبادئي؛ لأنّ (سوف) بمنزلة السين التي تُخصّص الفعل للاستقبال، وهي كالجزء من الفعل، فلا يصحّ الفصل بينهما^(٧).

١- الأخطاء اللّغوية في الإعلام الموريتاني، إبراهيم بن محظية، ص ٧٤.

٢- المصدر نفسه، ص ٧٥.

٣- يراجع مغني اللّبيب، ج ١، ص ٣٠٦. (حرف: ما).

٤- الأخطاء اللّغوية في الإعلام الموريتاني، ص ٧٦.

٥- يراجع مغني اللّبيب، ج ١، ص ٢٤٣. (حرف: لا).

٦- الأخطاء اللّغوية في الإعلام الموريتاني، ص ٧٦.

٧- مغني اللّبيب، ج ١، ص ١٣٩. (حرف: سوف).

٤. كما يُخطئون في قولهم : «هل إذا انتهى الاجتماع؟، و هل إنَّ الاتحاد الإفريقي ماضي في كذا؟»^(١).

والصحيح أن يقال : هل بعد الانتهاء من الاجتماع؟؛ وذلك لأنَّ (هل) لا تدخل على الشرط، كما أنَّ الصواب أن يقال : هل الاتحاد ماضي؟، بدون الإتيان بـ(إنَّ)، إذ لا معنى لها هنا^(٢).

٥. من أساليبهم الشائعة : (أكَّد عليه)، حيث «يقولون : أكَّد على كذا»^(٣).

والصواب أن يقال : أكَّد كذا وكذا؛ لأنَّ (أكَّد) متعدُّ إلى مفعوله بنفسه^(٤).

٦. كثيراً ما يرد على ألسنتهم (حاز على كذا)، ف«يقولون : حاز على شهادة كذا»^(٥). والصواب أن يقال : حاز شهادة كذا.؛ وذلك لأنَّ (حازَ) يتعدُّ إلى مفعوله بنفسه^(٦).

٨- قد يستعملون لفظة في التركيب غير مناسبة تؤدِّي إلى فساد معناه. يقول الباحث المصطفى بن أحمد معاوية : « خلال استماعنا لإذاعة موريتانيا، وخاصة في نشراتها الرئيسة تمكَّنَّا من تسجيل نموذج عشوائي من المآخذ اللغوية التي تسرَّبت خلال النشرات الرئيسة.. وذلك في الفترة ما بين الأسبوع الأخير من إبريل لغاية منتصف يونيو ٢٠٠٩م»^(٧).

وكان من نتائج هذا الرصد تسجيل جملة من الأخطاء، منها مثلاً ما ورد في قوله : «في نشرة الرابعة مساءً يوم (٢١) إبريل ٢٠٠٩م تضمَّنت النشرة تقريراً حول تصريحات الرئيس الإيراني (أعيد انتخابه) التي أثارت حفيظة إسرائيل، قرأ صاحب التقرير:

١- الأخطاء اللغوية في الإعلام الموريتاني، ص ٧٦.

٢- مغني اللبيب، ج ٢، ص ٣٥٠.

٣- الأخطاء اللغوية في الإعلام الموريتاني، ص ٧٧.

٤- لسان العرب، مادة (أكَّد).

٥- الأخطاء اللغوية في الإعلام الموريتاني، ص ٧٧.

٦- يراجع لسان العرب، مادة (حاز).

٧- المصطفى بن أحمد معاوية، لغة الإعلام بين قيود الفصاحة ومعوِّقات المهنة - مقارنة للصِّحَّة اللغوية في نشرات الأخبار الرئيسة لإذاعة موريتانيا. بحث لنيل الإجازة من شعبة الحضارة والإعلام، من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. مودَّع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه، تحت رقم ٤٢. ص ٤٠.

(مؤثراً اشتدّت إليه الأنظار). ولعلّه يقصد : شدّت إليه الأنظار، فاختلف المعنى ولم يفهم من السياق.. (و) في مساء اليوم نفسه تضمّنت نشرة الثامنة ملفاً عن عزوف الجمهور عن الحرف البسيطة، تضمّن عبارة (الجمهور يوحى باللائمة على..)، ولعلّ المذيع كان يقصد أنّ الجمهور يُنحى باللائمة، من باب أنحى. يقال : أنحى عليه ضرباً، وأنحى عليه باللوم^(١).

وهذه الأخطاء تفيد بوضوح ضعف تكوين الصحفيين اللغوي في مجتمع يشمئز من الأخطاء اللغوية، وغالباً ما يسخر من مرتكبيها.

الفصل الثالث : المجال الصّرفي

التّصريف عند أصحاب اللّسانيّات المعاصرة علّم «يدرس الكلمة في معزل عن السياق، فيتناول مكوّناتها الصّوتية بالبحث، أفوها صوتٌ زائدٌ، أم فيها صوتٌ ناقصٌ، أم فيها صوتٌ تبدّل به صوتٌ آخر. كما يدرس تقلّباتها من صيغة إلى صيغة، وبهذا يُعرف جامد الأفعال ومتصرّفها، أو جامد الأسماء ومشتقّها»^(٢). أي : العلم الذي يبحث في أبنية الوحدة اللّغوية وتلّوناتها على وجوه وأشكال عدّة، وبما يكون لأصواتها من الأصالة والزيادة والحذف والصحّة والإعلال والإدغام والإمالة، وبما يعرض لقوالبها من التغيّرات، ممّا يفيد معاني مختلفة»^(٣).

علماً بأنّ «دائرة النّظام الصّرفي رؤيةٌ لسانية تقوم على الإفادة من معطيات علم الأصوات بشقيه النّطقي والوظيفي في تحليل بيانات التصريف وتوجيهها بما يخدم الرؤية المنطقية السليمة لشؤون هذه اللّغة»^(٤).

- ويتجاوز مجاله الكلمات المتصرّفة إلى الجامدة عند بعض المحدثين. يقول الدكتور محمّد خير حلواني : «أمّا علم الصرف فقد حدّد اللّغويّون القدماء مجاله، فذكروا أنّه لا يدرس إلّا الكلمة المتصرّفة، ولا يتناول ما جُمّد من الكلمات، كالأدوات والأفعال

١ - المصدر نفسه، ص ٤١.

٢ - مثلاً المعنى الجديد في علم الصّرف، ص ١٣.

٣ - عبد القادر عبد الجليل، علم اللّسانيات الحديثة. ص ٣٨٧.

٤ - المصدر نفسه، ص ٣٨٣.

الجامعة وبعض الأسماء التي لا تتصرّف، وتركوا دراسة هذه الكلمات لفروع أخرى، فكان من جرّاء ذلك أن توزّعت في دراسات متعدّدة، كالدراسات المعجمية والدلالية والنحوية، مع أنّ مجالها الصحيح في علم الصرف دون غيره؛ لأنّه يدرس الكلمة. ولا أرى ما يحول بيننا وبين أن نوسّع ميدان هذا العلم حتّى يبلغ المدى الذي تتيحه أنظمة اللّغة العربية»^(١).

- وقليل ما هم ببلاد شنيط من اهتمّوا بدراسة المستوى الصرفيّ في ضوء اللّسانيات الحديثة، وهو ما انعكس على إنتاجهم فيه، إذ كان محدوداً جدّاً. وانحصر تطبيقه على اللّهجة العربية الحسانية بشكل يتّسم غالباً ما بعدم العلمية والنّضج، وعلى ظاهرة الأخطاء في لغة الصحافة بنصيب ليس بالوافر. وفيما يلي أعرض نماذج من جهودهم فيه: أولاً- مُليكة بنت لمهابة: التي أعدّت بحثاً بعنوان: (الصّيغ الفعلية في اللّغة الحسانية)^(٢) ذاكراً أيضاً غزيراً من الصّيغ الصرفية، التي تلتقي مع الفصحى في جذر الميزان الصرفي، مشيرة إلى ما تفيده من معاني التعدي واللّزوم، والتصغير. حيث قالت:

«- أَفْعَل : اَرْكَبْ : (متعدّ)، اَهْرُبْ : (لازم).

- اِنْفَعَل : اَتَكَبَّرْ، اَتَلَبَّسَ : لازم.

- اِنْفَاعِل : اَتَنَاظَرْ، اَتَحَابَطَ : لازم.

- اِنْفَعَل : اَنْجَبَرَ : لازم.

- اِفْتَعَلَ : اِفْتَقَرَ : لازم.

- اَفْعَال : اَحْمَارْ، اَخْطَارْ.

- اسْتَفْعَلَ : اسْتَعْرَبْ، اسْتَقْبَلَ.

- اِنْفَوْعَل : اَتَكَوَّنَ.

- فَيَعْل : هَيَدَنَ

وهذه الصّيغ وغيرها ممّا ورد في ثنايا البحث ندعم به رأينا في أنّ الحسانية ذات نموذج صرفي متميّز، وقد سبق أن أشرنا إلى قابلية هذه الصّيغ للتصغير، ومثال ذلك :

١- المعنى الجديد في علم الصرف، ص ١٤.

٢- سبق حديث عنه مفصّل في مبحث «المجال التركيبي».

(فَعَلَ : أَفْعِلْ)، و(انْفَعَلَ : انْفَعِلْ). وهذه غالباً ما تأتي مسكّنة اللّام^(١).

كما قامت بموازناتٍ بين صيغها وصيغ الفصحى، حيث قالت مثلاً في صيغتي :
(أفعل التفضيل، والتعجب) :

- سبق أن أشرنا إلى مرونة القواعد اللّهجية، ومن تجلّيات تلك المرونة ما نلاحظه في (أفعل التفضيل) المشروطة في العربية بعدّة شروط، أهمّها أنّها لا تصاغ من فعل غير ثلاثي، في حين أنّها في الحسانية تصاغ من أغلب الأفعال.. وصيغة (أفعل) مضطّردة في النظام الصرفي للحسانية (دالة على الفعل الثلاثي المجرد برمّته)، وزيادة على ذلك فإنّ (أفعل التفضيل) في الحسانية تأتي في الغالب على (أفعل) كما في العربية، خاصّة إذا علمنا أنّ جلّ الأمثال الشعبية عندنا تبدأ بهذه الصيغة : (أفعل من) :

- أَبْرَدُ مِنْ عَيْشٍ تَمْنَأْتُ.

- أَهْرَدُ مِنْ عَبْلِهِ.

- أَبْيَضُ مِنْ دَرَّاعَتْ وَ لُ فَيْسُ.

كذلك تختلف البنية الصرفية لأفعال التعجب في الحسانية عنها في العربية، وإن كانت تأتي كلّها مسبوقة ب(م) بفتحة قصيرة. فمعنى التعجب في هذه الأفعال، وفي السياقات التي تتخلّلها يبقى موقوفاً على نطق المتكلّم، يستشقه منه السامع :

- مَ اكْبَرُ : ما اكْبَرَهُ!

- مَ اسْمَنْ : ما اسْمَنَهُ!^(٢).

ثمّ وازنت الباحثة بين صيغة الفعل الرباعي المجرد في اللّهجة الحسانية ونظيرتها في الفصحى، مشيرةً إلى ما تفيده في الغالب صيغته في الحسانية من بعض الدلالات، حيث قالت : «وهذه الصيغة متفشّية في البنية الصرفية للأفعال في اللّغة الحسانية، وهي لا تختلف فيها عن وضعيتها في العربية الفصحى، إلّا بإسكان اللّام الأخيرة. ولهذا دلالات متعدّدة، إلّا أنّ الغالب اثنتان :

- الصوت، مثل : كَرَكْرَ، وسَرَسَرَ.

١- المصدر نفسه، ص ٤٠.

٢- المصدر نفسه، ص ٤١، ٤٢.

- المهلة والتكرار، مثل : جَرَّ جَرٍّ...»^(١).

ورأت الباحثة أنَّ الصورة تختلف مع صيغة الفعل الثلاثي المجرد، حيث تشيع في الحسانية صيغة واحدة من صيغه الثلاث في الفصحى. إذ قالت :

«وإنَّه لَمِمَّا لَفْتَنِي وَشَدَّ ائْتَبَاهِي فِي بَحْثِي وَتَنْقِيْبِي عَنِ الصَّيْغِ الْفَعْلِيَةِ فِي اللُّغَةِ الْحَسَانِيَةِ، وَدِرَاسَتِي لَهَا، صِيْغَةُ الْفَعْلِ الثَّلَاثِي الْمَجْرَدِ مِنْهَا، إِذْ تَأْتِي هَذِهِ الصِّيْغَةُ عَلَى هَيْئَةٍ وَاحِدَةٍ، تَمَثَّلُ قَالِبًا لِلْفَعْلِ الْمَذْكُورِ، يَنْدُرُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ، وَهِيَ : أَفْعَلْ، بِتَسْكِينِ الْفَاءِ وَاللَّامِ، وَفَتْحِ الْعَيْنِ. وَأَيُّ مِنْ حُرُوفِ مَادَّةِ هَذَا الْفَعْلِ لَا تَتَغَيَّرُ حَرَكَتُهُ، لَا فِي الْمَاضِي وَلَا فِي الْمَضَارِعِ. وَمِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ نَتَبَيَّنُ اخْتِلَافَ النِّظَامِ الصَّرْفِيِّ لِلْحَسَانِيَةِ عَنِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصْحَى... فَلَمَّا كَانَ الصَّرْفِيُّونَ قَدْ ذَكَرُوا لِلْفَعْلِ الثَّلَاثِي الْمَجْرَدِ ثَلَاثَ صِيْغٍ فِي الْمَاضِي.. فَإِنَّهُ تَقَابَلَهَا فِي الْحَسَانِيَةِ صِيْغَةُ وَاحِدَةٍ، هِيَ : أَفْعَلْ، مِثْلَ، اذْكَبْ، اكْعُدْ. هَذَا وَيَرْجِعُ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ انْعِدَامَ الصِّيْغِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْحَسَانِيَةِ إِلَى طَبِيعَةِ النُّطْقِ لَدَى مُتَكَلِّمِيهَا، إِذْ يَأْلَفُونَ نَوْعًا مِنَ الْفُونِيَمَاتِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ...»^(٢).

ثمَّ قامت الباحثة بوضع جدول طويل قدّمت فيه مقارنةً جادة بين صيغ الأفعال في اللهجة الحسانية، ومثيلاتها في الفصحى، مشيرةً إلى بعض الدلالات المشتركة. وفيما يلي أعرض جزءاً من هذا الجدول، مع إجراء تعديل في شكله^(٣) :

جدول (٢) : مقارنة صيغ الأفعال في اللهجة الحسانية بمثيلاتها في الفصحى

الصِّيْغَةُ الْفَعْلِيَّةُ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَأَمْثَلُهَا	الصِّيْغَةُ الْفَعْلِيَّةُ فِي الْحَسَانِيَةِ وَأَمْثَلُهَا	الدَّلَالَاتُ الْمَشْتَرَكَةُ
فَعَلَ : كَتَبَ	أَفْعَلْ : اكَتَبْ	—
فَعِلَ : حَزَنَ	أَفْعَلْ : اَحْزَنَ	—
فَعُلَ : عَظُمَ	أَفْعُلْ : أَعْظَمَ	اللزوم / السجية
أَفْعَلْ : أَخْرَجَ	أَفْعَلْ : أَصْبَحَ	الدخول في الوقت / الصيرورة
فَعَّلَ : كَسَّرَ	فَعَّلْ : كَسَّرَ	التكثير والمبالغة

١- المصدر نفسه، ص ٤٤.

٢- المصدر نفسه، ص ٤٤ - ٤٦.

٣- المصدر نفسه، ص ٤٨.

الصَّيغُ الفعلية في العربية وأمثلتها	الصَّيغُ الفعلية في الحسّانية وأمثلتها	الدلالات المشتركة
فَاعَلْ : خَاصَمَ	فَاعَلْ : خَاصَمَ	المشاركة والتعدي
انْفَعَلَ : انْطَفَأَ	انْفَعَلَ : انْقَطَعَ	المطاوعة واللّزوم
افْتَعَلَ : افْتَدَرَ	فَتَعَلَ : فِتَخَرَ	—
تَفَاعَلَ : تَحَارَبَ	اتَّفَاعَلَ : اتَّحَارَبَ	المشاركة
تَفَعَّلَ : تَنَدَّرَ	اتَّفَعَّلَ : اتَّوَسَّدَ	الاتّخاذ

الجدول طويل، حاولت الباحثة فيه حصر ما أمكنها حصره من الصَّيغ الفعلية في اللهجة الحسّانية، وما شاكلها في الفصحى، ثم استنتجت منه ما يلي قائلةً :

- للفاعل الثلاثي المجرد في الحسّانية صيغة واحدة.
- يوجد تماثل جزئي بين العربية والحسّانية في أغلب الصَّيغ.
- بعض صيغ الأفعال العربية تقلّ في الحسّانية، ويندر استعمالها.
- الفرق بين الصَّيغ الفعلية الحسّانية والفصيحة ليس عميقاً.
- تكاد الفوارق تتلاشى بين العديد من الصَّيغ إذا أثبتنا الإعراب في الحسّانية.
- ولئن اتفقت بعض هذه الصَّيغ ظاهرياً فإنّ دلالاتها قد تختلف. فأنْفَعَلَ مثلاً أبرز دلالاتها المطاوعة، كما قد تدلّ على البناء للمجهول.. في العربية دلالتها على المطاوعة أكثر، وفي الحسّانية دلالتها على البناء للمجهول أكثر.. ونلاحظ في صيغة (أَفْعَلَ) أنّ همزتها في الفصحى قطعية، وفي الحسّانية وصلية، وأنّ دلالتها في العربية الشائعة واحدة، أمّا في الحسّانية فدلالاتها مختلفة... والملاحظة الأخيرة والهامة هي أنّ اللغة الحسّانية يمكن إخضاعها بكلّ سهولة لنفس النظام الصرفي الذي تخضع له الفصحى^(١).
- إنّنا محاولة مهمّة من هذه الباحثة، ترمي إلى تقديم دراسة لسانية جادة لهذا المستوى، الذي لم يهتمّ الشناقطة بالبحث فيه كثيراً، وهو ما يمنح عملها قيمة خاصّة، حيث كانت دراستها مخصّصة لصيغ الأفعال في اللهجة الحسّانية، بينما جاءت دراسة الباحث الآخر الموالي للمستوى الصرفي ضمن دراسة صوتية أساساً.

١- المصدر نفسه، ص ٥١، ٥٢.

ثانياً- الباحث محمد بن بلال، الذي سبق في مبحث (المجال التركيبي) أنه أعدّ بحثاً جاداً لدراسة أصوات اللهجة العربية الحسانية، بعنوان : (الوصف الصوتي والصواتي في الحسانية)، تحدّث فيه عن المستوى الصرفي، فذكر في مستهلّ حديثه عنه أنّ المعنى الوظيفي للصيغة الصرفية في اللهجة الحسانية يتحدّد غالباً من السياق، لا من الصيغة ذاتها دائماً، حيث قال :

«ومن هنا تصبح العلامة الصرفية غير كافية للدلالة على المورفيم، لكن للتأكّد من معنى اللفظة نعود إلى السياق الذي ترد فيه، فمثل ذلك كلمة (عدّل) في الجملتين التاليتين :

- جَان رَاجِلْ عَدْلْ.

- عَدْلْ الرَّاجِلْ فَوْقُ الْعَدْلْ.

ف(العَدْلْ) في الجملة الأولى صفة، وفي الجملة الثانية مصدر»^(١).

وفي الأولى أيضاً مصدر، وُصِفَ به.

ثمّ عرض أمثلة من أمثلة صيغ الأفعال في اللهجة الحسانية، أوردّها في الجدول الآتي ^(٢) :

جدول (٣) : جدول لبعض صيغ الأفعال في اللهجة الحسانية

المثال	الصيغة	نوع الفعل
انْتَبَفْ	افْعَلْ	ماضي / أمر
جَرَجَزْ	فَعَلْلْ	ماضي
كَرْكَزْ	فَعَلْلْ	ماضي / أمر
اسْتَنْكَزْ	اسْتَفْعَلْ	ماضي / أمر

كما عرض أمثلة من أمثلة صيغ المصادر في اللهجة الحسانية، أوردّها في الجدول الآتي ^(٣) :

١- الوصف الصوتي والصواتي في الحسانية، ص ٣٤.

٢- المصدر نفسه، ص ٣٥.

٣- المصدر والصفحة نفسها.

جدول (٤) : جدول لبعض صيغ المصادر في اللهجة الحسانية

المثال	الصيغة	نوع المصدر
مَوْتُ	فَعْلٌ	ثلاثي
اَكْتَيْلٌ	اَفْعِيلٌ	خماسي
تَدْرِيسٌ	تَفْعِيلٌ	خماسي
اَنْجَرَجِرٌ	اَنْفَعْلِيلٌ	سباعي

- ونبه الباحث ابن بلال إلى أنه لا توجد موازين صرفية للأسماء غير المشتقة، وأسماء الآلة، إذ قال : « لا توجد موازين صرفية للأسماء، باستثناء ما كان منها على وزن اسم الآلة : (مَفْعَل) مثل : (مَدْفَعٌ، مَقْرَجٌ) »^(١). ثم ذكر أمثلة لصيغ بعض الأسماء المشتقة، وأسماء الآلة في اللهجة الحسانية، أوردها في الجدول الآتي^(٢) :

جدول (٥) : صيغ بعض الأسماء المشتقة، وأسماء الآلة في اللهجة الحسانية

مثال	الوزن	الصيغة
جَوَاقٌ	فَعَّالٌ	صيغة مبالغة
طَايِحٌ	فَاعِلٌ	اسم فاعل
مَحْبُوطٌ	مَفْعُولٌ	اسم مفعول
مَقْرَجٌ	مَفْعَلٌ	اسم آلة

- هكذا استمر الباحثان، (خصوصاً الباحثة) في تحليل المقاطع، والوحدات اللغوية الصغرى داخل البنيات الصرفية الكبرى، فيما يُشكّل دراسة وصفية لقواعد تتداخل فيها (المورفيمات والمونيمات) لتؤلّف وحدات لغوية كبرى، حيث أخذت الباحثة في الاعتبار أثناء معالجة المعيار الصرفي اصطفاً الوحدات اللغوية، التي حدّد أصحاب اللسانيات الحديثة اصطلاحاتها، والتي من أبرزها :

- الجذر lexème : وهو المادة الأولى التي تشكّل الأصل، وهو ثلاثي في اللغة العربية، ومنه تنطلق المعاجم والقواميس العربية.
- المورفيم morphème : وهو مرتبط بالشكل، إلا أنه يؤثر على المعنى والدلالة، مثل : (دخل : دخلوا، دخلتم، الاستدخال ... إلخ).

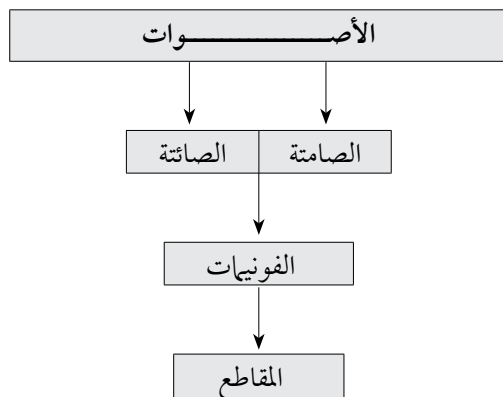
١ - المصدر والصفحة نفسها.

٢ - المصدر نفسه، ص ٣٦.

- المونيم monème : وهو (الكلمة)، وتساوي الجذر + المورفيم.
- الفونيم phonème : وهو أصغر وحدة صوتية، ليس لها دلالة في اللغة العربية إذا كانت منعزلة. فحرف (ك) مثلاً له دلالة في (مونيم) كَتَبَ، ودلالة مغايرة في (مونيم) أكرم.
- القيم الخلافية distinctive valeurs : وهي تكون في الجوانب الصوتية النطقية، فحرف (ل) مثلاً في السلام ليس هو حرف (ل) في الصلاة من الناحية الصوتية النطقية^(١).

وإذا كانت الدراسات القديمة قد ميّزت بين التصريف والتركيب على أساس أنّ التصريف يُعنى بالشكل، ويهتم بدراسة الزوائد واللّواحق والصّيغ والأوزان، بينما يُعنى التركيبُ بالوظيفة، أي أنّه يهتم بدراسة تركيب الكلمات وانتظامها وتداخلها داخل الجملة الواحدة، فإنّه في نظر اللسانيات البنيوية لم يعد لهذا التمييز مسوّغات منهجية، ممّا أدّى إلى ظهور مفهوم جديد، ألا وهو (المورفوتركيب)، الذي يعني الدراسة الوصفية لقواعد تداخل فيها (المورفييمات والمونيمات) لتؤلّف وحدات لغوية كبرى^(٢). وبما أنّ الصّيغ الصّرفية ماثلة في الوحدات التي يتألّف منها التركيب النحويّ فإنّه بالإمكان في ضوء ذلك وضع مخطّط بيانيّ للغة العربية وفق المنظور الموالي :

الشكل (٦) : الصّيغ الصّرفية ماثلة في الوحدات التي يتألّف منها التركيب النحويّ



١- المعنى الجديد في علم الصرف، ص ١٠، فيما بعدها، والأصوات ووظائفها، ص ١٣١، فيما بعدها.

٢- المصدران نفسها.

فقد برز الدرسُ الصَّرْفِيُّ عند الشناقطة مثل ما عند غيرهم من أصحاب اللسانيات الحديثة^(١)، من نسيج الرؤية الصوتية للفونيات التركيبية العربية، وقام على طبيعتها التكوينية، وهو يعالج الأبنية الصرفية، وارتكز على المنظومة الصوتية، وما يعرض للصّوائت من التغيّرات والتقلّبات، مع ملامسة تحوّلاتها.

ثالثاً- أخطاء الصحافة ببلاد شنقيط في المستوى: الذي « كثر فيه الأخطاء، وأخطاؤه تقع في الإتيان بأوزان لغير معانيها، أو صيغ لا وجود لها، أو ضبط مصدر، أو اسم مكان، أو عين فعل، أو كيفية جمع، أو نسب »^(٢). فمن هذه الأخطاء :

- ١- من أخطائهم : استعمالهم صيغة (تَمَعَّنَ) بمعنى (أَمَعَنَ)؛ وذلك «لأنَّ معنى (أَمَعَنَ) أصلاً (أبعد)، والبعد نوع من الوصول الذي هو من معاني أَفْعَلَ، عكس تَفَعَّلَ»^(٣).
- ٢- شاع عندهم استخدام لفظة (التواجد) بمعنى الحضور بمكان كذا، أو في وقت كذا. والصواب أن يقال مثلاً: سنحضر، أو نوجد في مكان كذا، أو في وقت كذا. «وذلك لأنَّ التواجد إظهار الموجد»^(٤).

وهو خطأ كثر شيوعه عندهم.

- ٣- من أخطائهم الشائعة أيضاً استعمالهم لفظة (تتوفّر) بدل (تتوافر). والصواب أن يقال مثلاً: توافرت فيه الشروط؛ «لأنَّ تفاعل هو الذي يقتضي المشاركة، عكس التَفَعَّلَ»^(٥).
- ٤- منها أيضاً استعمال لفظة (مُسَوَّدَة) البحث، بتسكين السين، وتخفيف الواو، بدل (مُسَوَّدَة) البحث، بفتح السين، وتشديد الواو. وذلك لأنَّ صيغة (مسودة) بفتح السين «اسم فاعل من سَوَّدَ، أمّا بتسكينها فاسم فاعل من أَسَوَّدَ»^(٦).

هذه أمثلة فقط من جملة أخطاء صرفية كثيرة، رُصدت في لغة الصحافة الشنقيطية على المستوى الصرفي.

١ - علم اللسانيات الحديثة، ص ٣٨٥، ٣٨٨.

٢ - الأخطاء اللغوية في الإعلام الموريتاني، ص ٦٢.

٣ - المصدر والصفحة نفسها.

٤ - المصدر والصفحة نفسها.

٥ - المصدر والصفحة نفسها.

٦ - المصدر نفسه، ص ٦٥.

الفصل الرابع : المجال الصوتي

علم الأصوات كما يقول الدكتور محمد مُنصف القماطي هو : « علم يُعنى بظاهرة الصوت البشري، باعتباره المادة الأساسية لبناء اللغة، والأداة التي يحقق بها الإنسان وجوده اللغوي في اتصاله ببني مجتمعه، ونقل تراثه الاجتماعي. وهو يدرس كيفية إنتاج الأصوات مفردة مجردة، ويتولّى النظر في الخصائص التي تميّز كلّ منها، كما يعمل على إدراك الكيفية التي تنتقل بها الأصوات من المتكلّم إلى السّامع... »^(١).

وعلم الأصوات اللّغوية ينقسم « إلى فرعين، الأوّل : علم الأصوات الذي يدرس الأصوات مفردة، والثاني : علم وظائف الأصوات، الذي يدرس الأصوات في درج الكلام »^(٢).

وهذا الأخير ينقسم إلى ثلاثة فروع، هي :

- علم الأصوات النّطقي.

- علم الأصوات الفزيائي.

- علم الأصوات السّمعي.

التي تتباين وظائفها « طبقاً لاختلاف الأحوال والظروف التي يمرّ بها الصوت في انطلاقه من فم المتكلّم إلى أذن السّامع، وينفرد كلّ فرع بدراسة الصوت في مرحلة من مراحل الثلاث : الحدوث، والانتقال، والإدراك »^(٣).

- فعلم الأصوات النّطقي يعتني « بدراسة أعضاء النطق وحركتها وبيان وظائفها أثناء إحداث أصوات الكلام. وفيه يتابع الدارس اندفاع الهواء من الرّئتين، أو إليهما عبر ممرّاته في جهاز النطق ليتعرّف على العمليات العضوية التي تؤثر في إصدار الصوت وطبيعته »^(٤). وهو أهمّ فروع هذا العلم؛ « لأنّه يقوم على فهم الوظيفة الميكانيكية لآلة الصوت، التي يحملها كلّ إنسان في جسمه »^(٥).

١ - الأصوات ووظائفها، ص ١٤.

٢ - الدّراسات الصوتية عند علماء العربية، ص ١٠.

٣ - المصدر نفسه، ص ١٨، ١٩.

٤ - المصدر نفسه، ص ١٩. ويراجع الدّراسات الصوتية عند علماء العربية، ص ١٧.

٥ - المصدر نفسه، ص ١٩.

والأصوات اللغوية تشمل الصّوامت (consonants) والصّوائت (vowels) ^(١).
ف«الصّامت مصطلح لغوي معاصر، وضع ليقابل المصطلح الانكليزي (consonant) والفرنسي (consonne). وقد أطلق نحاة العربية على الصّوامت اصطلاح الحروف تمييزاً لها عن الحركات، كما أطلقوا عليها اصطلاح الصّحاح تمييزاً لها عن العلل» ^(٢).

كما أنّ «الصّوائت مصطلح لغويّ وضع لمقابلة الاصطلاح الانكليزي ((vowel، والفرنسي (voyelle). وكان نحاة العربية قد فرّقوا بين نوعين من الصّوائت، فأسموا القصيرة منها (short vowels) حركات (الفتحة والضّمة والكسرة)، وألحقوا بها السكون، وهو انعدام الحركة وتكدّس صامتتين، دونما فصل بينهما بحركة، وأسموا الطّويل منها (long vowel) حرف مدّ، وحروف علّة، وهي : الألف في نحو (قال)، والواو في نحو (سور)، والياء في نحو (طريق)» ^(٣).

وقد عبّر ابن جنيّ (ت ٣٩٢هـ) عن مصطلح (الصّوائت) بمطلّ الحركات، حيث إنّ من العرب «مَن كان يسمّي الضّمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والفتحة الألف الصغيرة. ويؤكد ذلك أنّك أشبعت ومطلت الحركة بعد ما أنشأت حرفاً من جنسها» ^(٤).

وأصول الأصوات العربية، التي عبّر عنها سيبويه بالحروف تبلغ تسعة وعشرين صوتاً، وهي كما وردت في الكتاب ^(٥) : «الهمزة، الألف، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء، الكاف، القاف، الضّاد، الجيم، الشّين، الياء، اللّام، الرّاء، النّون، الطّاء، الدّال، التّاء، الصّاد، الزّاي، السّين، الظّاء، الدّال، الثّاء، الفاء، الباء، الميم، الواو». وقد توسّع في تحليل مخارجها وصفاتها ^(٦).

وهذه الأصول تتولّد منها فروع عند علماء العربية، بعضها مستحسن الاستعمال، وبعضها غير مستحسن، تحدّث عنها سيبويه بقوله : «وتكون (الأصوات) خمسة

١ - الدّراسات الصوتية عند علماء العربية، ص ٥٣.

٢ - الأصوات ووظائفها، ص ٦٩.

٣ - المصدر والصفحة نفسها.

٤ - الخصائص، ج ٢، ص ٣١٥.

٥ - ج ٤، ص ٤٣١.

٦ - المصدر نفسه، ص ٤٣١ - ٤٣٦.

وثلاثين حرفاً بحروفٍ هنّ فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها ويستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي : النون الخفيفة، والهمزة التي بين يين، والألف التي تُمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفتيح. وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة من تُرضى عربيته، ولا تُستحسن في قراءة القرآن ولا الأشعار، وهي : الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والصاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالتاء، والباء التي كالفاء»^(١).

ثم عقد باباً درس فيه ظاهرة الإدغام، وناقش فيه مسائله بتوسّع^(٢).

وخصّص ابن جنّي كتابه (سرّ صناعة الإعراب) بجزئيه لدراسة الأصوات العربية دراسةً مستفيضة، ممّا يدلّ على عراقة الدّراسات الصّوتية عند العرب وأصالتها. يقول في مستهلّه : « أن أضع كتاباً يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم، وأحوال كلّ حرف منها، وكيف مواقعه في كلام العرب، وأن أتقصّى القول في ذلك وأشبعه وأؤكدّه ... وأذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها، وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها، وشديدها ورخوها، وصحيحها ومعتلّها، ومطبّقها ومنفّتحها، وساكنها ومتحرّكها .. إلى غير ذلك من أحكامها وأجناسها»^(٣).

وعلى هذا المنوال من الاعتناء بدراسة الأصوات تواصلت جهود علماء العربية عبر العصور. وقد تجسّدت دراسة الظّاهرة الصّوتية بجلاء أيضاً في دراسة القراءات القرآنية، والتّجويد، والرّسم، والضّبط، حيث القراءات تُعنى بـ «كيفية النّطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتّفاقاً واختلافاً، مع عزو كلّ وجه لناقله»^(٤)، ويُعنى علم التّجويد بـ «تعلّم القواعد والضّوابط المتعلّقة بمخارج الحروف وصفاتها والوقف والابتداء والوصل والفصل وتاءات التّأنيث المكتوبة بالتّاء وإتقان ذلك»^(٥).

١- المصدر نفسه، ص ٤٣٢.

٢- المصدر نفسه، ص ٤٣٧.

٣- سرّ صناعة الإعراب، ج ١، ص ٣، ٤.

٤- محمّد سالم محيسن، المهدّب في القراءات العشر وتوجيهها عن طريق طبية النّشر، ص ٦.

٥- هذا التعريف للشيخ محمّد الحسن بن الدّود الشنقيطي. يراجع محمد المختار بن الدّخوة بن الطّالب أعلّ المسوّمي الشنقيطي، اللؤلؤ المرجان في رسم وضبط وتجويد القرآن. ص ٣٧٢.

وبـ «إحكام حروف القرآن، وإتقان النطق بكلماته، وذلك بإخراج كل حرف من مخرجه، وإعطائه حقه من الصفات اللازمة له من همس أو جهر، أو شدة أو رخاوة، أو استعلاء أو استفال .. كذلك إعطائه مستحقه من الصفات العارضة الناشئة عن الصفات الذاتية من تفخيم المستعلي وترقيق المستفل، ومن الإظهار والإدغام، والقلب والإخفاء .. إلخ»^(١). والرسم يهتم بـ «أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية»^(٢). والضبط يعني «بالعلامات المميزة أو الحركات ونحوها»^(٣).

وقد أسهم العلماء الشناقطة في دراسة المستوى الصوتي إسهاماً متنوعاً، إذ تناولوا بالدرس والتحليل علوم القراءات القرآنية، والتجويد، والرسم والضبط^(٤)، وذيّلوا بعض مؤلفاتهم النحوية بالحديث عن مخارج الأصوات وصفاتها^(٥)، كما أفردوا بعض الأصوات بكثير من الجدل والنقاش والتحليل. والغرض هنا تقديم نماذج للتدليل بها على حجم هذا الإسهام، قديماً وحديثاً في مجال الدرس الصوتي. وذلك على النحو الآتي:

١- القراءات : حظي كتاب (الدّرر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع) لمؤلفه المغربي أبي الحسن علي بن محمد الرباطي، المعروف بابن برّي (ت - حوالي ٧٣٠هـ) باعتناء الشناقطة، فألفوا عليه شروحاً وتعليق عديدة، استطاع الدكتور محمد بن مولاي أن يحصي منها واحداً وعشرين^(٦). منها مثلاً تعليق مفيد للغاية، لأحمد بن الطالب محمود بن عمر إدوعيشي (ت ١٢٥٧هـ) على الدّرر اللوامع، سمّاه (الأخذ)، وأبياته مزوجة بأبيات الدّرر اللوامع، وهو استدراك عليه، وترجيح بين رواياته، والأخذ بما يراه المؤلف أرجح. من ذلك مثلاً :

- قال ابن برّي في (الدّرر اللوامع) في باب المقصور والممدود :

١- هداية الطالبين في أحكام تلاوة الكتاب المبين شرح متن الجزرية، محمد مصطفى بلال، ص ٣.

٢- مقدّمة ابن خلدون، ص ٥٢.

٣- الأصوات ووظائفها، ص ١٠٨.

٤- قام بمحاولة إحصاء هذه المؤلفات مثلاً المختار بن حامدن في كتابه (حياة موريتانيا الثقافية)، ص ٣٧، فما بعدها، ثم الخليل النحوي في كتابه (بلاد شنيق المارة والرباط)، ص ٢١٣، فما بعدها، والدكتور محمد بن سيدي محمد بن مولاي في القسم الدراسي من تحقيقه (للمقبول النافع على الدّرر اللوامع)، ص ٧٤، فما بعدها، ومحمد المختار بن الذخوة بن الطالب أعلّي المسمومي في كتابه : (الؤلؤ المرجان في رسم وضبط وتجويد القرآن)، ص ٤٢٩، فما بعدها.

٥- مثل ما فعل المختار بن بونا في احمراره على ألفية ابن مالك مثلاً. يراجع تقريب الطّرة، ج ٢، ص ٨٠٤.

٦- في القسم الدراسي من تحقيقه لكتاب : (المقبول النافع على الدّرر اللوامع)، ص ٧٤.

... والخُلفُ عن قالونَ في المنفصلِ

نحو بها أنزل أو ما أخفِيَّي لعدم الهمزة حال الوقفِ.

أي : يجوز عند قالون في التلاوة الوجهان : المد والقصر في المنفصل . فعلق إدوعيشي على ذلك بأنّه في حالة (الرّذف)، (وهو في المحظرة الشنقيطية يعني أن يجمع التلميذ بين روايتين، أو رواياتٍ، تطبيقاً على الشيخ، بأن يقرأ برواية، ثم يُثني بأخرى، وهكذا)، يبدأ لقالون بالمدّ، وقدره ستّ حركاتٍ، ثم يُثني بالقصر له، وقدره حركتان. فقال :

وصدّرُنْ بالمدّ ثم ثُنِّيْ بالقصر فافهمَنْ وخذْهُ عَنِّي^(١).

- قال ابن برّي أيضاً في الباب نفسه :

والخلف في المدّ لما تغيّرَا اولسكونِ الوقفِ والمدّ أرى.

يعني أنّه قد جرى الخلاف عن نافع في المدّ الذي تغيّر أحد أسبابه الثلاثة : الهمزة، والسكون، والشدة، وفي المدّ الذي أتى قبل السكون الذي لا يوجد إلّا في حالة الوقف. وهذا الخلاف هو إمّا الأداء بالمدّ المُشَبَّع، أو بالقصر، أو بالتوسّط.

فعلق إدوعيشي قائلاً :

والأخذ بالمدّ الطّويل عنهما كذا رويناه فحقّق واعلما.

أي العمل الراجح عنده في الأداء بالمدّ المُشَبَّع في ذلك لورشٍ وقالون^(٢).

- قال ابن برّي في باب التحقيق والتسهيل :

فنافعٌ سهّلَ أخرى الهمزتين بكلمةٍ فهُي بذاك بينَ بينَ

لكنّ في المفتوحين أبْدَلتْ عن أهل مصر ألفاً ومكّنتْ.

أي : سهّل نطق الثانية بين الهمزة وما يجانس حركتها، بين الهمزة والواو إن كانت

مضمومة، وبين الهمزة والياء إن كانت مكسورة، وبين الهمزة والألف إن كانت

مفتوحة. لكنّ ورشاً يُبدل الثانية من المفتوحين حرف مدّ، حسب قواعد المدّ، مثل :

[ءَأَقَرُّنْمْ]{آل عمران : ٨١}.

١- المصدر نفسه، ص ١٦٣.

٢- المصدر والصفحة نفسها.

فعلّق إدو عيشي قائلاً :

وذا الذي يُعزّي لأهل مصرِ جَرى به العمل فافهمْ واذرِ
غيرَء امتتم ثلاثِ أحرفِ كـذا اهتُنّا في الزخرفِ.
أي : جرى العمل عنده بالذي نُسب لورش في الهمزتين المفتوحتين بكلمة واحدة،
ولا يكون ذلك فيما صُدّرت بثلاث هُمز، كما مثل^(١).

- قال ابن برّي في باب الإمالة :

إلّا رؤوس الآي دون هاءٍ وحرف ذكّريها لأجل الرّاءِ.
أي : إلّا ما جاء ممّا رُسم بالياء، في أواخر الآي، دون هاء، فإنّ ورشاً يُميله بلا
خلاف، وكذلك حرف [ذكّريها] {والنّازعات : ٤٣}.

فعلّق إدو عيشي قائلاً :

أمّا الّتي قد قُـرِنَتْ بهاءٍ ما كان منها من ذوات الياءِ
فالخلفُ فيها غيرَ أنّ العـمـلاً فيها على الفتح كما قد نُقِـلَا
أمّا ذوات الواوِ من دَحيها كذا تليها وكذا ضَحيها
فليس إلّا الفتح قولاً واحداً ونجلُ قاصح لذكّ قـيـداً.
يقصد أنّ في المسألة تفصيلاً، وهو أنّ ما كان من تلك الألفات أصله ياء، مقروناً
بالياء، ففيه خلاف لورش، غير أنّ الفتح فيه أرجح من الإمالة، أمّا ما كان منها أصله
واواً، كما مثل، فلا يوجد فيه سوى الفتح^(٢).

- قال ابن برّي في باب ترقيق الرّاءات :

والسّير والطّير وفي حيرانا خُلفٌ له حملاً على عمراناً.
أي : في (حيران) {الأنعام : ٧١} قولان لورش، قول بالترقيق، وقول بالتفخيم،
قياساً على : [عمران] {آل عمران : ٣٣}.

١ - اللؤلؤ المرجان في رسم وضبط وتجويد القرآن، ص ٤٢٩، فما بعدها.

٢ - المصدر نفسه، ص ٤٩٩.

فعلّق إدو عيشي قائلاً :

ثمّ على الترقيق أخذنا جـرى والقول بالتّفخيم ممّا هـجرا .
يقصد أنّ الراجح في (حَيْرَان) لورش هو الترقيق، الذي به الأخذ والعمل عنده^(١) .
- قال ابن برّي أيضاً في الباب نفسه : ... والخلفُ في (فِرْق) لِفَرَقٍ سهّل .
أي : الخلاف حاصل بين القرّاء في (فِرْق) {الشعراء : ٦٣} لأجل الفرق الواضح
بينها وبين (فِرْقَة) {التوبة : ١٢٢} .

فعلّق إدو عيشي قائلاً :

والأخذ بالترقيق في الوصل فقط والوقف بالتّفخيم دونما شَطَط .
يقصد أنّ العمل لورش عندنا على ترقيق (فِرْق) في الوصل، وتفخيمها في الوقف .
- قال ابن برّي في باب فرش الحروف :

ولأهّبْ همزةً ولالائي مَعْ لثلاً في مكان الياء .
أي : همز قالون موضع الياء، التي يقرأ بها ورش في هذه الكلمات الثلاث^(٢) .
فعلّق إدو عيشي قائلاً :

ومذهب اللداني على التسهيل لورشهم في اللائي عن دليل
وأخذنا موافقاً لللداني إذ كان ذا حفظٍ وذا إتقان .
يقصد أنّ مذهب الداني هو تسهيل همزة (الائي) لورش، وهو ما اختاره إدو عيشي،
وأخذ به^(٣) .

- قال ابن برّي أيضاً في الباب نفسه :

ونون تامناً وبالإخفاء أخذَهُ لَهُ أوْلُو الأداء .
أي : يقصد أنّ ورشا وقالون اتّفقا عن الإمام نافع في إشمام نون (تامناً)، مع الإدغام،
مشيراً إلى أنّ أهل التجويد أخذوا بإخفاء النون الأولى لنافع، والإخفاء هنا هو نطقها
مُحْتَلَسَةً، مع فتح الثانية .

١- المصدر نفسه، ص ٥٠٠، ٥٠١ .

٢- المصدر نفسه، ص ٥٠٤ .

٣- المصدر والصفحة نفسها .

فعلّق إدوعيشي قائلاً :

وأخذنا أيضاً بالإخفاء جرّى فخذ كما شهره من شهراً
هذا والإخفاء والاختلاس ترادفاً وما بذلك بأس
والاختلاس حدّه الإسراع بالحركات كلّ ذا إجماع.
يقصد أنّ العمل عنده بالإخفاء في هذه النون، وأنّ الإخفاء والاختلاس ترادفاً فيها؛
لأنّهما بمعنى واحد، ولا بأس بذلك عنده، مُحتماً حديثه بتعريف الاختلاس^(١).

وهكذا على هذا المنوال عالج إدوعيشي في هذه الأبواب كثيراً من مسائل المدود :
الطويل، القصير، المتوسط، وتحقيق الهمز وتسهيلها، والإمالة والفتح، وترقيق الرّاءات
وتفخيمها، والإدغام والإشمام. إلى غير ذلك من معالجة الظواهر الصوتية وتحريرها.
وهي نماذج للتّمثيل فقط، مع ملاحظة أنّه غطّى أبواب الدّرر اللوامع جميعها بهذه
الاستدراكات والتعليق.

٢- التجويد : كان للقوم إسهام ملحوظ في فنّ التجويد، نكتفي منه بالوقوف على
بعض موضوعات كتاب (نسيم الرّيجان في تجويد القرآن)، للأستاذ محمّد المختار
ولد الدّخوة ولد الطّالب اعليّ المسّومي^(٢). وهو تأليف ثريّ مفيد، استوعب فيه
مؤلفه دراسة أبواب التجويد جميعها. فتحدّث ضمن هذه الأبواب عن مباحث
صوتية جليّة، من أبرزها أحكام المدود : الطويل، والقصير، والمتوسط، وأحكام
النون الساكنة والتنوين، والميم الساكنة، وأحكام الغنة ومراتبها، ومخارج الحروف
وصفاتها، والوقف والابتداء والسكّت.

وفيا يلي نكتفي من هذه الأبواب بعرض ملخّص من (باب مخارج الحروف
وصفاتها) عنده. حيث عرّف المخارج بقوله : « أوّلاً - المخارج جمع مخرج على وزن
مَفْعَل، والمخرج لغة محلّ الخروج، وفي اصطلاح القراء محلّ خروج الحرف وتمييزه من
غيره، وهي بمثابة الموازين للحروف... »^(٣).

١ - المصدر والصفحة نفسها.

٢ - ذيل به كتابه : اللؤلؤ المرجان في رسم وضبط وتجويد القرآن، ص ٣٦٦ - ٤٢٨.

٣ - المصدر نفسه، ص ٤٠٢.

ثم ذكر المخارج الخمسة، وأخذ في شرحها بالتفصيل، عاقداً فصلاً للصفات، فذكر أنّها في الاصطلاح : « كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج من جهر واستعلاء وقلقلة، ونحو ذلك. والصفات منها ما هو ذاتي لملازمته للحرف، كالقلقلة والاستعلاء مثلاً، وهذا ما يسمّى (حقّ الحرف). ومنها ما هو عرضي كالتفخيم والترقيق والإدغام والإخفاء، ممّا يلحق الحرف أحياناً، ويفارقه أخرى، وهذا ما يسمّى (مُستحقّ الحرف)»^(١).

ثم أفاض في شرح هذا الإجمال، بأسلوب سهل، سلس، فقال في الاستطالة : «الاستطالة : لغة الامتداد، واصطلاحاً امتداد الصوت من أوّل إحدى حافتي اللسان إلى آخرها. وهي صفة لحرف الضاد فقط. واعلم أنّ الضاد المشددة والساكنة تمتاز عن باقي الحروف بامتداد الصوت معها عند النطق مدّة حركة، أو أكثر، وذلك لاستطالتها...»^(٢).

المُسوّمي حقيقةً في هذا التأليف قدّم مساهمة جليّة في مجال الدرس الصوتيّ.

٣- الرسم والضبط :

أولاً- الرسم التوقيفيّ : وهو كما يقول الدكتور محمّد بن سيدي محمد بن مولاي : «علم تعرف به مخالفات خطّ المصاحب العثمانية لأصول الرسم القياسي»^(٣).

وعولج في هذا الفنّ كثير من الظواهر الصوتية، وقد ترك الشناقطة فيه العديد من التأليف، من أبرزها : (رَشْفُ اللَّمَى على كَشْفِ الْعَمَى)، للشيخ محمد العاقب بن مايابى الجكني (ت ١٣١٢هـ)، وهو نظّم مع شرحه. نكتفي منه بالإشارة إلى عمله في (باب الإدغام)، حيث تحدّث عن إدغام المثلين في كلمتين، وإدغام النون في حروف (لم يرو) بكلمتين أيضاً، وكذلك التاء في الدال والطاء والظاء، و(قد) في الضاد والظاء والتاء، واللام في الراء، و(إذ) في الظاء.

ثم ذكر تسعة ألفاظ في القرآن العظيم يدغم فيها المثلان، أو المتقاربان في كلمة واحدة، مع المحافظة على شكل الأوّل بارزاً. وهي : [بِأَيِّامِ اللَّهِ..] {إبراهيم : ٥}،

١- المصدر نفسه، ص ٤٠٧.

٢- المصدر نفسه، ص ٤١١ - ٤١٤.

٣- الشيخ محمد العاقب بن مايابى الجكني، رشف اللَّمَى على كَشْفِ الْعَمَى، ص ١٦.

و{يُكْرِهُنَّ...}{النور : ٣٣}، و{يُوجِّهُهُ...}{النحل : ٧٦}، ونحو : {لَتَّخَذَتْ...}{الكهف : ٧٧}، و{يُذَرِّكُكُمُ الْمَوْتَ...}{النساء : ٧٨}، و{بِأَيِّكُمْ الْمُفْتُونَ...}{القلم : ٦}، و{أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ...}{المرسلات : ٢٠} . والدال والطاء في المضمر، التاء نحو : {لَقَدْ كِدَتْ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ...}{الإسراء : ٧٤}، و{عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ...}{المائدة : ٨٩}، و{لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ...}{المائدة : ٢٨}، و{وَأَحْطَّتْ بِهَا لَمْ تَحْطُ بِهِ...}{النمل : ٢٢} ^(١).

ثانيا - باب الضبط : الذي هو « فن يعرف به ما يدل على عوارض الحرف، التي هي : الفتح والضم والكسر والسكون، والشدة والمد والنقط والهمز، وغير ذلك » ^(٢).

فقد تناوله الشناقطة باستفاضة ضمن مؤلفاتهم في الرسم، فحللوا أثناء دراسته العديد من الظواهر الصوتية، ضمن مناقشة موسعة لحقول الدرس الصوتي عموماً.

٤ - مخارج الأصوات، وصفاتها في تأليف النحاة : عقد شيخ النحاة ببلاد شنقيط المختار بن بونا (ت ١٢٢٠ / ١٢٣٠ هـ) باباً لمخارج الأصوات، وصفاتها في احراره، على ألفية ابن مالك، مستهلاً الباب بالحديث عن مخارج الأصوات الأصول، إذ قال :

لكلِّ حرفٍ مخرَجٌ إن سَكَنَّا	بِأثرِ همزٍ موصلٍ تَبَيَّنَّا
فالهمزَ والها مُخْرِجٌ ذو التَّطْقِ	والألفَ واللَّينَ مِن أَقْصَى الحلقِ
والحا من الوسط والعَيْنُ وَمِنْ	أَدْنَاهُ حَرْفَ الخاءِ والغَيْنَ أَبْنُ
والقافِ مِمَّا ذَا يَلي والكافُ جا	مِمَّا يَلي والجيمُ واليا خَرَجَا
مِمَّا يَلي كالشَّيْنِ مِمَّا أَوَّلِ	حَافَةِ الألسُنِ وما لها يَلي
من جملة الأضراسِ جا الضَّادُ وَمِنْ	حَافَتِي اللِّسانِ جا اللَّامُ وَمِنْ
ما يَينَ ما طَرَفِي اللِّسانِ	وفوقَ ما ثَنِيَّةِ الإنسانِ
جا النَّونُ والرَّاءُ وطاً دالٌ وتَا	من بينَ ما أَصْلُ الثَّنَايا قد أَتَى
وطَرَفِ اللِّسانِ ما بينهما	للزَّايِ والسَّينِ وصادٍ وانتَمَى
هَذي الثَّلاثُ للصِّفيرِ ثَمَ ما	مِنْ بينَ أَطْرافٍ لها وَبينَ ما

١ - المصدر نفسه، ص ٢٣٣ - ٢٣٥.

٢ - اللؤلؤ المرجان في رسم وضبط وتحويد القرآن، ص ٣٤٩.

طَرَفِهِ لِلظَّا وَثَاءً وَذَالِ
لِلْفَا وَأَطْرَافُ الثَّنَايَا الْعُلْيَا
وَالْبَاءَ بَيْنَ الشَّفَتَيْنِ مُطْبِقًا كَالْوَاوِ إِلَّا أَنَّهَا لَنْ تُطْبِقَا^(١).

ثم عقد فصلاً للمخارج الفروع، والصفات، فقال :

وَاسْتُحْسِنَتْ لَهَا فُرُوعٌ فَأَعْلَمِ
وَهَمْزِنَا الْمُسَهِّلِ الْمَعْلُومِ
وَالصَّادِ كَالزَّايِ وَشَيْنٍ مِثْلِ جِيمِ
وَالْعَكْسِ وَالْجِيمِ كَشَيْنٍ وَكَسَيْنِ
وَبَاءً كَفَاءً وَكَضَادٍ ضُعْعَفَتْ
فَحَثُّهُ شَخْصٌ) فِي الْمَهْمُوسَةِ
وَمَا حَوَى (أَجْدَكَ تَطْبُقُ) دُعِي
(لَمْ يَرَوْ عَنَّا) فَادْعُهَا مُوسَّطُهُ
مُطَبِّقَةٌ صَادٌ وَطَاءٌ أَهْمَلًا
ذَاتَ انْفِتَاحٍ وَادْعُ بِالْمُسْتَعْلِيِّهِ
وَالْقَافِ. وَالْغَيْرِ فَوَضَفَهَا اِعْقَلُهُ
وَاللَّيْنُ (وَائِي) وَادْعُهَا الْمُعْتَلُّهُ
وَلِلتَّفْسِي الشَّيْنِ بَاتَّفَقَاقِ
وَالرَّا الْمَكْرَرَةَ وَالْمُنْجَرِفَا
وَالْهَمْزَةَ الْمُهْتَوَتِ ذُو الْحَاذِقَةِ
وَمَا عَدَاهَا فَادْعُ بِالْمَصْمُوتَةِ
إِلَى الْمَخَارِجِ وَمَا جَاوَرَهَا

كَالْأَلِفِ الْمَالِ وَالْمَفْخَمِ
وَالْغُنَّةِ الَّتِي مِنَ الْخَيْشُومِ
وَاسْتُقْبِحَتْ أُخْرُ كَالْكَافِ كَجِيمِ
صَادٌ وَطَاءٌ كَالثَّاءِ وَظَاءٌ كَثَائِيْنِ
وَمَا مِنْ الْحُرُوفِ قَدْ حَوَى (سَكَتْ)
تُدْعَى وَغَيْرُهَا بِالْمُجْهَوَةِ
شَدِيدَةً وَمَا حَوَاهَا فَاسْمَعِ
وَمَا عَدَاهَا رَخْوَةً مُنْضَبِطَةً
أَوْ أَعْجَبَا وَمَا عَدَاهَا فَاجْعَلَا
الْعَيْنَ وَالْمُطْبِقَ وَالْحَا فَادْرِيَهُ
خَفْضًا وَ(قُطْبُ جَدُّ) الْمُقْلَقَلَهُ
وَالْهَمْزَ زَادَ نَفَرٌ أَجْلَلَهُ
وَصِفْ بِهِ الضَّادَ عَلَى شِقَاقِ
الْلَامِ وَالْهَآوِي يَدْعُو الْأَلِفَا
و(مُرْ بِنَقْلِ) أَحْرَفُ الدَّلَاقَةِ
وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَاجْعَلْ نِسْبَتَهُ
فَاقْفُ الْهُدَاةَ وَاجْفُ مَنْ غَايَرَهَا^(٢).

وهذا الباب مشروحٌ شروحاً ضافيةً في طُرّة المؤلف على الاحمرار، وفي شروح

١ - تقريب الطُّرّة، ج ٢، ص ٨٠٤ - ٨٠٦.

٢ - المصدر نفسه، ص ٨٠٧ - ٨٠٩.

الاحمرار، التي سبق الحديث عنها في مباحث الفصل الأول، من الباب الثاني.

هـ - اختلاف الشناقطة في نطق بعض الأصوات العربية، وهي : (الهمزة المسهلة بين بين، الجيم، الضاد). فقد حصل نزاع شديد بين القوم في نطق هذه الأصوات في قراءة القرآن الكريم. ولكل فريق أدلته التي استند إليها واعتمد.

أولاً- الهمزة المسهلة بين بين : وقع جدلٌ كبير بين الشناقطة في نطق الهمزة الثانية من الكلمات : [أَوْزَبُّكُمْ...] [آل عمران : ١٥]. و[أُنْكُم...] [فصلت : ٨]، و[أَهْتُنَا...] [الزخرف : ٥٨]. وأشباهها، فبعضهم ينطقها هاء خالصة، وجمهورهم ينطقها مسهلة بين بين، أي بين الهمزة وما يجانس حركتها. وفيما يلي عرض أدلة الفريقين :

أ- أدلة أصحاب الهاء الخالصة : من أصحاب هذا الاتجاه الشيخُ أَمْرُ بن مَحْمُ بَوْبَه الجكني (ت ١٤١٣ هـ)، حيث له مكتوبٌ، يؤيد فيه الهاء الخالصة، يقول في مستهله :

« أمّا بعد... فأردت أن أردد على مانعي القراءة بالهاء الخالصة ما سهل بين بين ... ثم اعلم وفقني الله وإياك للصواب أنه يجب تحسين الظنّ بالداني^(١)، ومن أساء الظنّ به زعم أنه تعدّى بتجويز القراءة بالهاء الخالصة؛ لأنه يعلم أنّها لم تصحّ نسبتها للنبيّ صلى الله عليه وسلّم، وما لم تصحّ نسبته للنبيّ صلى الله عليه وسلّم لا يُعدّ قرآناً، وحينئذ يكون نسب له ما يُكفر به فيكون كُفْرُه، ومن نسب أحداً إلى الكفر بآء به أحدهما. وفي عمدة البيان على الرّسم للخزازي ما نصّه :

روى عياض أنّه من غيِّراً حُرِّفاً من القرآن عمداً كفرّاً
زيادةً أو نقصاً أو إن بدّلاً شيئاً من الرّسم الذي تأصّلاً.
ومن كذب العازي للداني في العزو له زعم أنّه نسب للداني ما يُكفر به، فاتّقوا الله يامنكري الهاء^(٢).

ومجمل أدلتهم، كما ذكر الدكتور محمّد بن مولاي^(٣) هي :

- أن الهاء الخالصة وردت في رواية عن الإمام الدّاني، في النجوم الطوالع^(٤) على ابن برّي.

١ - هو الإمام أبو عمرو الدّاني الأندلسي، المتوفّى سنة ٤٤٤ هـ.

٢ - المقبول النافع على الدرر اللوامع، ص ٨١، ٨٢. والمكتوب المذكور يبلغ ٢٨ صفحة.

٣ - في القسم الدّراسي من تحقيقه كتاب المقبول النافع على الدرر اللوامع، ص ٨٣، ٨٤.

٤ - ص ٦٧. «ولكن في النجوم : والأكثر على المنع». يراجع المقبول النافع على الدرر اللوامع، ص ٨٣.

- أن القراءة بالهاء الخالصة إنّما وصلتهم عن ابن القاضي^(١)، أشهر رواة المغرب في زمانه، ومنكرو هذه القراءة يعتمدون في سندهم عليه، فكيف ينكرون قراءة ثابتة عن شيخهم القريب ابن القاضي، وشيخهم البعيد الإمام أبي عمرو الداني؟.

- أن الرافضين للهاء الخالصة لا يجيدون (بين بين)، ولا يجدون لها شيخاً، والقراءة دون شيخ ضلال مبين، وينسبون للمرابط محمد أحميد بن سيدي عبد الرحمن المسّومي (توفي حوالي ١٣٣٦هـ) قوله :

إِيَّاكَ أَنْ تَقْرَأَ بَيْنَ بَيْنِنَا فَإِنَّا فِي أَمْرِهَا رَوَيْنَا
في ثامن القرون قرئنا انتهى سنسندنا يُصَيِّرُ الهمزة ها.

- أن العدول عن الهاء، وبين بين، يؤدّي إلى تحقيق الهمزة عند من يقرأ بقراءة نافع، وهو جمع بين قراءتين، والجمع بينهما ممنوع، وقيل مكروه^(٢).

- أن في قراءة بين بين بالهاء الخالصة تيسيراً، ودين الله يسر.

- أن من حججهم اللغوية كثرة إبدال الهمزة هاء في اللغة العربية، يقول المرابط محمد أحميد (ت ١٣٣٦هـ) :

فَبَانَ مِنْ ذَا أَنْ مَنْ قَدْ قَرَأَ لَهْمَزَةَ التَّسْهِيلِ بِالْهَاءِ مَا نَا
عَنِ الصَّوَابِ إِذْ بَهَاءٍ يُبَدِّلُ الهمزُ عندهم كما قد نقلوا
من قولهم هَيْيَاكَ فِي إِيَّاكَ مَعَ هَرَقْتُ فِي أَرَقْتُ هَاءٌ قَدْ وَقَعَ.

- كتابة الهمزة هاء عند بعض الكتّاب، مثل : جاه في جاء، وهامنوا في آمنوا^(٣).

- قرب مخرج الهمزة من مخرج الهاء، حتّى قيل إنّهما في مستوى واحد.

- كثرة القارئ من الفضلاء الأتقياء المتقنين لفنّ القراءة بالهاء الخالصة.

ب - أدلة أصحاب التسهيل، بين بين : انطلق الشناقطة المانعون القراءة بالهاء الخالصة منذ البداية من قول ابن بري في الدرر اللوامع^(٤) :

١ - لم أقف على تاريخ وفاته.

٢ - محل ذلك جمعها في كلمة واحدة.

٣ - تحصيل المنافع، الورقة ٥٤، خطوط دار الثقافة رقم ٢٢١٩. يراجع المقبول التّأني على الدرر اللّوامع، ص ٨٤.

٤ - المصدر نفسه، ص ١٧٦.

فَنَافَعُ سَهْلٍ أُخْرَى الهمـزتين بكلمةٍ فهي بذاك بين بينٌ.
 وذلك لتأثرهم الكبير في مجال القراءات بهذا التأليف منذ نشأة ذا الفن بقطرهم.
 ومجمل أدلة هذا الفريق هي ^(١) :
 - أنهم نفوا ثبوت قراءة الهاء عن الداني مطلقاً، قال الشيخ عبد الله بن داداه ^(٢) في منظومة له في إبطال الهاء الخالصة:

ونحن نُنكر وجود سندٍ بالهاء للـداني بلا تردُّدٍ
 فالمدَّعي له بسنـدي الها سنداً يأتي على الذي ادَّعى بشـهدا
 ولا يثبت القرآن إلا بسندٍ متّصل عن عدَد جمٍّ وردَّ
 والكُتب توجد من ادَّعاها فليأتنا بها لكي نراها.
 - انقطاع سندها عن الداني على افتراض وصولها إليه.

- رأى العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) في تفسيره (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) أنها لم تثبت عن أحد من القراء، لا الداني ولا غيره، حيث قال : «اعلم وفقني الله وإياك أن ما جرى في الأقطار الإفريقية من إبدال الهمزة الأخيرة هاء خالصة من أشنع المنكر وأعظم الباطل، وهو انتهاك حرمة القرآن العظيم، وتحذُّ لحدود الله، ولا يعذر فيه إلا الجاهل الذي لا يدري، الذي يظن أن القراءة بالهاء الخالصة صحيحة، وإنما قلنا هذا؛ لأن إبدال الهمزة هاء خالصة لم يروه أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ينزل عليه به جبريل البتة، ولم يرو عن صحابيٍّ، ولم يقرأ به أحد من القراء، ولا يجوز بحال من الأحوال» ^(٣).

- مخالفة هذه القراءة للقياس النحوي، قال محمد مولود (ت ١٣٢٣هـ) :
 من جعل الهمزة هاءً خالصة لحن لحناً مستبيناً وعصى
 كما به التّووي شيخ المقرئين صرّح في إرشاده للقارئ.

١ - يراجع الدكتور محمد مولاي، القسم الدراسي من تحقيقه على كتاب : (المقبول النافع على الدرر اللوامع)، ص ٨٤، فما بعدها.

٢ - لم أقف على تاريخ وفاته.

٣ - أضواء البيان، ج ٧، ص ٧٨١.

وقال محمد المختار بن محمد يحيى الولاتي (ت ١٣٥٢هـ) :

أَوَّلَ مَنْ قَالَ بِهِ أَكْأَزُ وقوله ليس له اعــــــتزازُ
لأنَّه خالف خـــــــطَّ المصحفِ والتَّحَوُّوْ والسَّنْدُ فِيهِ مُنْتَفٍ.

- قالوا لو كانت فيها رواية صحيحة لذكرها الأقدمون من أهل التجويد في كتبهم، وجعلوا سبب وقوع المبدلين في الخطأ توهمًا في فهم النصوص الواردة عن الأقدمين، واختلفوا في تفسير ذلك التوهم على ثلاثة أقوال، حيث رأى بعضهم أنه توهم جاء بسبب سوء فهم شرح الداني لمصطلح التسهيل، وذلك أنه قال : إنَّ الهمزة لما سهلت بين بين زالت شدتها فشابهت الهاء في ضعفها فظنَّ القوم أنَّ التشابه في الصفة هو التشابه في الصوت، وشتان ما بينهما.

ورأى بعضهم أنه توهم في نص لابن القاضي منظوم محذوف منه مُضَافٌ، وناب عنه المضاف إليه، والمضاف المحذوف هو (صويت)، والمضاف إليه النَّائب عنه في الإعراب هو الهاء، واستدلَّ على هذا بأنَّ ابن القاضي ذكر (صويت) الهاء في نثره، وقال في نظمه :
واختلفوا في النَّطق بالتسهيل فقليل بالهاء بلا تفصيلٍ.

ولما كان النَّظم أضيق مجالاً من النثر وأكثر تعرُّضاً للحذف لزم حمل عبارة النَّظم على عبارة النَّثر. وقال محمد المختار بن محمد يحيى الولاتي (ت ١٣٥٢هـ)، في نظمه المسمَّى دُرَّة الغامض في الردِّ على أهل الهاء الخالص :

واغترَّ من جهــــلا إليه ما لا بنظم نجل القاضي حين قالَا
واختلفوا في النَّطق بالتسهيل فقليل بالهاء بلا تفصيلٍ
من بعد نثره الذي فيــــه أبى عن ذكر هاء مطلقاً فوجبا
أنَّ مضافاً في النَّظام حــــذفا وهو صويت الها لما قد عرفا
لا سيما إن كان في نــــثر وفى بمقصد الناظم حيث عرفا.

بينما رأى بعضهم أنَّ التوهم حصل من قول ابن القاضي بجواز صوت الهاء عند النطق ببين بين على سبيل الاستحسان، حيث قال : « إنَّ الهمزة المسهَّلة لما صارت دون مخرجها وسط الحلق، ووسط الحلق هو موضع الهاء، فلما اجتمعت مع الهاء في مخرج

واحد يمكن أن يكون فيها منه قليل استحساناً منه. وأنكر عليه أهل التجويد قاطبة»^(١).
- كما أنه «لما لم يثبت لهذه القراءة ركن واحد مقطوع بصحّته ترجّح فيها قول العلماء الذين عدّوها من البدع الدّاخلية في الإسلام على حين غفلة من أهله أيّام جنوح الأُمَّة إلى الإفراط في التقليد والإقبال على حفظ المتون المختصرة دون ربطها بأصولها الأولى ومراجعتها الأساسيّة»^(٢).

ويقول محمد العاقب بن مايبي (ت ١٣٢٧هـ) في منظومة يرّدّ فيها على أهل الهاء الخالصة، بدّل بين بين :

وَمَنْ لِهَاءٍ خَالِصٍ قَدْ أَوْقَعَا مِنْهُمْ فَقَدْ أَحْدَثَ قَوْلًا رَابِعَا
وَخَالَفَ الْإِجْمَاعَ وَالشَّرَّاحَا وَحَادَّ عَنْ نَهْجِ الْهُدَى وَانْزَا حَا^(٣).
وبهذا يتبيّن لنا قوّة أدلّة هذا الفريق، وضعف أدلّة الفريق الأوّل، فيما أرى. يقول الدكتور محمد بن مولاي في الرّدّ على أصحاب الهاء الخالصة : « ليس بحجّة من جهتين، الأولى أنّه مخالف لكثير من أهل الرواية والدراية في هذا القطر الذي احتجّ به، ومخالف لما عليه أهل الأداء في جميع العالم الإسلاميّ، إلّا قلة بالمغرب العربي، والثانية أنّه منقطع الإسناد، مداره على انفراد، غايته الشّدوذ»^(٤).

زد على ذلك أنّ الأدلّة اللّغوية التي استند إليها هذا الفريق (أصحاب الهاء الخالصة) شاذّة، مخالفة للقياس، وللفاشي من لسان العرب، هذا إذا لم تكن مصنوعة، أو منسوجة بعد عصور الاستشهاد، وعليه فلا يُلتفت إليها في قراءة القرآن العظيم.

ثانياً- الجيم: اختلف الشناقطة أيضاً اختلافا شديدا في نطق الجيم في القرآن الكريم، فجمهورهم ينطقها شديدة، وبعضهم ينطقها متفشّية كالشين^(٥). ومن المعلوم أنّ الجيم عند سيبويه على ثلاثة أنواع، جيم شديدة، وهي الأصل التي يمنع الصوت

١ - القسم الدراسي من المقبول النّافع على الدّرر اللّوامع، ص ٨٧.

٢ - إرشاد القراء، محمد المختار بن أحمد، ص ٤٠. نقلاً عن الدكتور محمد بن مولاي، القسم الدراسي من المقبول النّافع على الدّرر اللّوامع، ص ٨٩.

٣ - القسم الدراسي من المقبول النّافع على الدّرر اللّوامع، ص ٨٧.

٤ - المقبول النّافع على الدّرر اللّوامع، ص ١٧٧، الحاشية ٧.

٥ - الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص ٥١٣.

معها من الجريان، باعتبار «الشدة امتناع الصّوت أن يجري في الحرف»^(١)، وهذه هي «الجيم الفصحى، وهي الشديدة»^(٢). وجيم كالكاف، وجيم كالشين^(٣). وفيما يلي أدلة الفريقين :

أ- أدلة أصحاب الجيم المتفشّية: يرى هذا الفريق أنّ الجيم الشديدة لغة السودان، وهم عجم، وأنّ أصحابها يجعلون لله ما يكرهون؛ لأنّهم ينطقون في كلامهم العادي، وفي الأشعار، وفي الكتب والفقّه بالجيم المغربية، وأمّا القرآن والحديث فلا ينطقون فيها إلّا بالجيم الشديدة^(٤)، وأنّ التفشّي الذي يُتحدّث عنه هو عبارة عن الامتداد المكاني الزائد، وليس الامتداد الزمّني^(٥)، وأنّ الجيم غير المنعقدة يظهر فيها الانفتاح والانسفال، وفيها من الانحصار ما ليس في شريكها في المخرج، على أنّ بعضهم يفهم الانحصار مكانياً لا زمانياً^(٦).

ويقول العلامة المؤرّخ الشنقيطي المختار ولد حامدن، وهو من المنتصرين فيما يبدو للجيم المتفشّية: «وكانوا يسمّون غير المنعقدة بالجيم المتفشّية، لفهم التفشّي بالامتداد الزمّني، والحال أنّ التفشّي هو الامتداد المكاني الزائد، وإلّا لكانت الحاء والخاء والذال والفاء والراء والزّاء والسّين والصاد والظّاء والعين والغين والواو والياء متفشّيات»^(٧). ومن أبرز علماء شنقيط المنتصرين لهذه الجيم، المدافع عنهما: الشيخ محمّد اليدالي (ت ١١٧٧هـ)، والشيخ محنّض بابا بن اعبيد (ت ١٢٧٧هـ)، والشيخ محمد المامي (ت ١٢٨٢هـ)، والشيخ محمّد بن حنبل (ت ١٣٠٠هـ).

ب - أدلة أصحاب الجيم الشديدة: احتجّ هذا الفريق بمجموعة من الأدلة، أبرزها: «أنّهم راعوا في القرآن والحديث وجوب النطق باللّغة الفصحى، وفيما عداهما اتّبعا السّهل مع جوازه؛ لأنّه لغة توجد بمرجوحية - و - أنّ الجيم المتفشّاة لغة الشّلع

١- المصدر نفسه، ص ٥١٤.

٢- المصدر نفسه، ص ٥١٥.

٣- كتاب سيبويه، ج ٤، ص ٤٣٢.

٤- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص ٥١٤.

٥- حياة موريتانيا الثقافية، ص ٤٥.

٦- المصدر نفسه، ص ٤٦.

٧- المصدر نفسه، ص ٤٦.

والبربر.. وحيث وقع دليان متقابلان بالنسبة إلى العجم، فالحكم بيننا إنّها هو كتب الأئمة»^(١).

ومن أدلتهم القوية أنّ شيخ النّحاة سيبويه جعل الجيم الشديدة هي الأصل، والجيم التي كالشّين فرعاً عنها، وأنّها غير مستحسة، ولا كثيرة في لغة من تُرضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن، ولا الأشعار. حيث يقول: «وتكون - الأصوات - خمسة وثلاثين حرفاً بحروفٍ هنّ فروع ... وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة من تُرضى عربيته، ولا تُستحسن في قراءة القرآن ولا الأشعار، وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشّين ... ومن الحروف الشديدة، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم .. إلخ»^(٢).

فهذا نصّ صريح، بيّن الدّلالة، في أنّ الجيم التي هي فرعٌ متفشّيةٌ، يجري فيها الصّوت كما يجري في الشّين، لا تستحسن في القرآن، ولا الشعر. وهذا في الحقيقة من أقوى الأدّلة. يقول العلامة الشنقيطي أحمد بن الأمين في كتابه الوسيط، متصراً فيما يبدو للجيم الشديدة: «فعرفت أنّ منع الجري في الجيم ولزومه لموضعه يمنعان دخول الجيم المغربية تحت هذين المعنيين؛ لأنّها متفشّية قطعاً، وذلك النوع فرع من غير نكير، فلا يجعله التّعود أصلاً يعتمد عليه. وهذه النصوص المتقدّمة لا تقبل التأويل، وقد رأينا قراء مصر - وهم من أكثر بلاد الإسلام قراء - لا ينطقون بالجيم المغربية، وإن كان بعضهم يجعلها كافاً معقودة، إلّا أنّ هذه أقرب إلى الجيم الشديدة من المغربية، فإنّها تقارب الشّين، والكاف أقرب إلى الجيم الشديدة من الشّين، أمّا أهل الحجاز واليمن ونجد والعراق، فكلّهم ينطقون بالشديدة.. والحاصل أنّ الجيم فصحي، وهي الشديدة، وفرعية، وهي المغربية، وأكثر القراء في جميع الأرض على الفصحى، إلّا المغرب وأهل القبلة من صحراء شنقيط»^(٣).

١- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص ٥١٤.

٢- كتاب سيبويه، ج ٤، ص ٤٣١ - ٤٣٧.

٣- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص ٥١٥.

وبهذا يتّضح لنا ضعف أدلّة أصحاب الجيم المتفشّية، وقوّة أدلّة أصحاب الجيم الشديدة، ونصاعتها. وقد ألّف الفريقان في الموضوع تأليف نظمية ونثرية ثرّة، أكثرها فيها من التحاليل والمناقشات، وتسويغ الحُجج، ودخض أدلّة الخصم^(١). ومن أبرز علماء شنيط المتصرين للجيم الشديدة : الشيخ سيدي محمّد بن حبت القلاوي (ت ١٢٨٨هـ)، والشيخ بن حامني القلاوي (ت ١٣١٨هـ)، والشيخ محمّد فال بن بابا (ت ١٣٤٩هـ).

ثالثاً - الضّاد : أثار نطق الضّاد في القرآن العظيم نزاعاً بين الشناقطة قديماً وحديثاً. ومن المعلوم أنّ مخرجها عند سيبويه^(٢) «من بين أوّل حافة اللّسان، وما يليه من الأضراس.. وفي التّسهيل (لابن مالك) : وأوّل حافة اللّسان وما يليه من الأضراس للضّاد. وقال السيوطي في جمع الجوامع : وأوّل حافتيه وما يليهما من الأضراس للضّاد، وهو من الأيسر أقيس، قيل تختصّ به، وقيل : بالأيمن»^(٣).

ويقول ابن جنّي : «ومن أوّل حافة اللّسان وما يليها من الأضراس مخرج الضّاد، إلّا أنّك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر»^(٤).

وجمهور أهل شنيط ينطقونها كما ينطقها أهل البلاد الإسلاميّة، بينما رأت قلة منهم - من أبرزهم الشيخ محمّد فال بن بابا (ت ١٣٤٩هـ)، والشيخ بُداه بن البصري (ت ٢٠٠٩م)، وإمام الجامع الكبير الآن بانواكشوط الشيخ أحمدو بن المرباط - أنّ الضّاد التي ينطقها الجمهور قريبة من الدّال، بعيدة عن الضّاد التي حدّد سيبويه وغيره من اللّغويين مخرجها. وقد رأى جمهور الشناقطة أنّ هؤلاء لا ينطقون إلّا ظاءً، ليست من الضّاد في شيء، وأنّ الضّاد التي ينطقها الجمهور هي الضّاد العربيّة، الموصوفة في كتب التّراث العربيّ.

١ - مثلاً كتاب المقبول النّافع على الدّرر اللّوامع، ص ٩٠، فما بعدها.

٢ - كتاب سيبويه، مصدر سابق، ج ٤، ص ٤٣١ - ٤٣٧.

٣ - الوسيط في تراجم أدباء شنيط، ص ٥١٦.

٤ - سرّ صناعة الأعراب، ج ١، ص ٤٧.

يقول العلامة أحمد بن الأمين الشنقيطي : «كل أهل شنقيط ينطق بالضاد الموجودة في مصر وغيرها، سوى العلامة اللّبن الفهم محمّد قال بن بابا حفظه الله، فإنّه ينطق بها قريبة من الطّاء المألوفة، وكان أحدث القراءة بهذه الضّاد بعد أن رجع من الحجّ في آخر أيام السّلاطان مولاي الحسن رحمه الله. وقد أنكر عليه بعض أهل شنقيط ذلك. وقدمت من القسطنطينية سنة ١٣١٩هـ، فاجتمعت ببعض أفاضل الشّام، فذكروا أنّ الفقيه الصّالح عبد الحكيم الأفغاني رحمه الله ذكر أنّ الضّاد التي ينطق بها الدّمشقيّون وغيرهم غير صحيحة، منكرين عليه ذلك، فقلت لهم : هذا الذي قال : قال به أحد علمائنا، أعني محمد فال المتقدّم. وهو ظاهر ما في الكتب... والحاصل أنّ هذه الضّاد المألوفة عندي وعند غيري غير صحيحة؛ لأنّها تُباين التي وصفها سيبويه»^(١).

والعلامة ابن الأمين الشنقيطي منتصرٌ فيما يبدو لما ذهب إليه القلّة من الشناقطة، حيث يقول : «ولا ينطق بها وبالحاء غيرُ العرب... فعلمت أنّ الضّاد التي ينطق بها أكثر النّاس غير التي مضت صفتها، وأنّها أقرب إلى الدّال منها إلى الضّاد المذكورة، ومما بين طرف اللّسان وأصول الثّنايا مخرج الطّاء والدّال والتّاء، فهذا هو مخرج الضّاد الموجودة الآن عند أكثر النّاس. وقد أطلنا في هذين الحرفين - الجيم والضّاد - لفساد الأوّل عند المغرب، ولفساد الثاني عند الجميع»^(٢).

وقد أشار سيبويه بعد أن وصف مخرج الضّاد بأنّه «من بين أوّل حافة اللّسان، وما يليه من الأضراس» إلى ضادٍ أخرى ضعيفة، ليست بالكثيرة في لغة من تُرضى عربيّه، ولا تستحسن في القرآن ولا الشعر، إذ قال : «وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة من تُرضى عربيّته، ولا تُستحسن في قراءة القرآن ولا الأشعار، وهي : الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالکاف، والجيم التي كالشّين والضّاد الضعيفة... إلخ»^(٣).

١- في كتابه : الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص ٥١٥، ٥١٦.

٢- المصدر نفسه، ص ٥١٦، ٥١٧.

٣- كتاب سيبويه، ج ٤، ص ٤٣١ - ٤٣٧.

وأرى أنّ ما ينطقه اليوم أغلبُ النَّاس هو أقرب إلى هذه الضّاد الضعيفة، وذلك لصعوبة مخرج هذا الصوت. وهو ما عبّر عنه أحمد بن الأمين الشنقيطي بقوله: «ولا ينطق بها وبالحاء غيرُ العرب... والضّاد أصعب الحروف في النّطق، وهي من الحروف التي انفردت العرب بكثرة استعمالها، وهي قليلة في لغة بعض العجم، ومفقودة في لغة الكثير منهم.. والضّاد لا يُخرج من موضعها غيرها من الحروف عندهم»^(١).

وقد كتب الدكتور يحيى بن محمّد الهاشمي، أستاذ اللّسانيات بجامعة انواكشوط مقالاً قيماً استعرض فيه العلاقة بين الضاد والظاء^(٢) عبر العصور الإسلامية، متوصلاً إلى أنّ أهل القرون الهجرية الثلاثة الأولى كانوا ينطقون كلا الصوتين من مخرجه، دون حصول أيّ التباس أو تشابُه عندهم في مخريهما، مُلمّحاً إلى أنّ الضّاد التي ينطقها الجمهور اليوم هي الضاد العربية الأصلية التي كان ينطقها أهل هذه القرون المزكّاة، وليس كما يقول الذين ينطقونها ظاءً، أنّها قريبة من صوت الدّال. حيث يقول في بعض خلاصاته: تضمّن القسم الأوّل (من المقال) صفوة النصوص الأصلية التأسيسية المتناولة للموضوع في عصر الاستشهاد وامتداداتها في القرون اللاحقة عند علماء اللّغة والقراءات.. فكانت تلك خلاصة الأقوال والمواقف في النتائج التالية:

- اختلاف الحرفين في المخرج اتّفاقاً.
- اختصاص الضّاد بصفة الاستطالة اتّفاقاً.
- التفاوت بين الحرفين في الصفات المشتركة.
- قوّة الضاد الفصيحة لا تتّصافها بدرجات أعلى من الظاء في صفات الإطباق..
- ضعف الظاء لا تتّصافها بدرجات أعلى من الضاد من صفات اللين والرّخاوة.
- وجود ضاد ضعيفة طرأت بعد العهد الأوّل، لها صفاتها وحيزها، يتكلّمها قوم استعصت عليهم الضاد الفصيحة^(٣).

١- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص ٥١٦.

٢- بعنوان: العلاقة بين الضاد والظاء. وهو منشور في ثلاث حلقات بمجّلة (التعليم)، التي يصدرها المعهد التربوي بانواكشوط، الأعداد: ٣٢/

سنة ٢٠٠١م. و ٣٣/ سنة ٢٠٠٢م. و ٣٤/ ٢٠٠٣م.

٣- المصدر نفسه، العدد ٣٣، ص ٩٢.

وخلاصة مناقشاته انتصاراً واضح منه لفريق الضاد الفصيحة، غير المشوبة بصوت الظاء، مدعوم بفيض غزير من الأدلة والبراهين، حاسمٌ كلِّ مقال في المسألة، فيما أرى.

٦- كتب الباحث محمد بن بلال بحثاً مهماً لدراسة أصوات اللهجة العربية الحسانية، كما سلف ذكره في مبحثي (المجال التركيبي، والمجال الصرفي) بعنوان : (الوصف الصوتي والصواتي في الحسانية). يقول في مستهلّه :

كما يمكن أن نميّز كلمة عن أخرى بكمية الأصوات الداخلة في بناء الصوتية، مثل: قَالَ (ق = g) : صوتية حسانية. قُلْ : صوتية حسانية، تختلف عن سابقتها كمّاً وكيفاً ودلالةً، فالفرق يكمن في أنّ اللّين في المثال الأوّل أطول من الفتحة في المثال الثاني. كما أنّ الحركات في الحسانية تلعب دوراً مهماً في تمييز صوتية عن أخرى، كما في الأمثلة التالية في الأفعال: قُلْتُ، قُلْتَ، فالكسرة في المثال الأخير تدلّ على خلاف المقصود من الفعل الأوّل. ومما يدعو إلى الدهشة وجود بعض الكلمات ذات الأصوات الواحدة والمعاني المختلفة، ويكون التمييز في هذا إلى نطق الأصوات المركّبة ووقوع النبر على بعضها، فبعض هذه الأصوات مفتخّم، وبعضها مرّقّق، مثل: جَرّ: بتفخيم الرء، ومعناها السّحب. جَرّ: بترقيق الرء، معناها اجتراح الحيوان لما يأكله. كما أنّ موقعية الكلمة في السياق تختلف من جملة إلى أخرى، مع أنّ العائلة الصوتية تظلّ ثابتة. ومن هذا كلّ نخلص إلى أنّ الصوتية عبارة عن مجموعة من الأصوات المشكّلة في بيئة واحدة، والمؤدّية لمعنى مستقلّ...^(١).

ورأى الباحث أنّ النبر في اللهجة الحسانية يُشابه إلى حدّ كبير النبر في العربية الفصحى، إذ قال :

ومن هنا نقول إنّ النبر في العربية ثابت نسبياً، عكس النبر في الانكليزية والفرنسية، فالنبر فيهما حرّ، والنبر في الحسانية يشبه إلى حدّ كبير النبر في العربية... والنبر في اللهجة الحسانية يعني ارتفاع قوّة الصوت في المقطع، أو الكلمة.. وننتقل من الموقعية إلى تقسيم النبر إلى :

- نبر المقطع الواحد، وهذا نبر يتعلّق بالصرف.

- نبر الكلمة، ولهذا النبر وظيفة دلالية.

١- الوصف الصوتي والصواتي في الحسانية، ص ١٣، ١٤.

يقع النبر على المقطع قبل الأخير إذا كان من النوع الطويل، مثل : قَالَ (ق = g)، ويندر وقوعه على المقطع الأخير؛ لأنَّ الحَسَّانية يكثر فيها إسكان الأواخر، والإسكان يصحبه انخفاض في الصوت، وبالتالي عدم النبر. وكلَّ صوت في الحَسَّانية مشدَّد فهو منبور : قَدَّم (ق = g)، لَصَّقْ.. إلخ^(١).

وتحدَّث الباحث ابن بلال عن ظاهرة التنغيم في اللهجة الحَسَّانية، مبرزاً مواطنه بها، حيث قال : «وفي اللهجة الحَسَّانية يمكن ملاحظة التنغيم في أكثر من صيغة! : (إِلَيْنَ تَرَا جَعْ دُرُوسَكَ دَوْرَ تَنْجَحْ)، فهاتان الجملتان إحداهما شرطية، والأخرى جواب لها، والتنغيم يقع على كلِّ واحدة منهما، وذلك بالوقوف على الأولى وقفة تنفَّس، وذلك لإثبات الشرط، ويقع التنغيم على الأخرى ليؤكد جواب هذا الشرط... فنبر الكلمة أو إعطاؤها صوتاً ذا نوع خاص، كلُّ هذا يدخل في التنغيم، فيصبح النبر نغمةً، مثل : (جَان رَاجِل طَوِيل)، فعند مدِّ الواو في (طويل) مدّاً طويلاً يُصْبِح نبراً، وبالتالي تنغيماً دالاً على المبالغة.. كما أنَّ في الحَسَّانية ألفاظاً تدلُّ على التنغيم، مثل : (يَلَالِ بتفخيم اللام الأولى) وُوكَكْ، اسْكُ^(٢)».

وتحدَّث عن ظاهرة التأليف بين الأصوات في اللهجة الحَسَّانية، فقال : «وما ظاهرة التبادل بين الحروف في الاستعمال الحَسَّاني إلا دليلاً على تقارب الحروف في المخارج. من هذا الإبدال ما بين القاف والقاف المعقودة (g)، يقولون مثلاً : ثَقِيلٌ واثْقِيلٌ. وكذلك بين القاف والغين، يقولون مثلاً : شَعْلَه وشَقْلَه، عبد الغادر وعبد القادر، وقَشَّابَه وغَشَّابَه، ويكثر كذلك إبدال الضاد بالظاء، وهذا هو السبب في قلة وجود الضاد في الحَسَّانية... إلخ^(٣)».

كما ناقش ظاهرة التسهيل في الحَسَّانية، بمعنى تخفيف الهمزة بإسقاطها أو إبدالها، فقال :

ومن جملة هذه التسهيلات حذف الهمزة في وسط الكلمة وآخرها : ذيب : أصلها ذئب، فحذفت الهمزة في الحَسَّانية تسهياً لنطق الكلمة، وبقيت الياء دالة على أنَّ أصل

١- المصدر نفسه، ص ١٦، ١٥.

٢- المصدر نفسه، ص ١٧.

٣- المصدر نفسه، ص ١٨.

الهمزة في العربية على الياء. صايِمٌ : أصلها في العربية صائم، فحذفت الهمزة في الحسانية للتسهيل، وبقيت الياء دالة على أنَّ أصلها في العربية على الياء. ومن التسهيلات في الحسانية في مجال النطق ظاهرة الإسكان التي احتلت الصدارة.. وكانت السمة والخاصية التي ميّزت الحسانية عن غيرها من اللهجات العربية، فالعبارات الحسانية في الغالب تقف على ساكن، سواء أكانت أفعالاً أم أسماء، مما يؤكد عدم مبالاة هذه اللهجة بنظام الإعراب؛ لأنَّ الإعراب ينظر إلى أواخر الألفاظ، وفي الحسانية ساكنة... إلخ^(١).

وذكر الباحث ابن بلال أنَّ اللهجة الحسانية متطابقة مع الفصحى في مخارج الأصوات وصفاتها، غير أنَّها تزيد عليها بعض الأصوات بسبب نطقها فيها مفخمة تارة، ومرفقة تارة أخرى، بينما تُنطق في الفصحى بصفة واحدة، إمَّا مرفقة وإمَّا مفخمة. حيث يقول : « أمَّا صفات هذه الأصوات ومخارجها فهي متطابقة بين العربية والحسانية.. ومن جملة هذه النتائج اتساع جهاز النطق عند الحساني، بحيث نجد أنَّ الأصوات الحسانية تزيد على الأصوات العربية بالأصوات التالية»^(٢).

والأصوات التي تزيدها اللهجة الحسانية، كما ذكرها الباحث مفخمة، مرفقة، مع شيء من التنقيح والتصحيح، في الجدول الآتي^(٣) :

الجدول (٧) : جدول الأصوات التي تختص اللهجة الحسانية بتفخيمها تارة، وترقيقها تارة

الأصوات	المفخمة	المرفقة
ب	بَمْبَه	بَاتْ
ث	أَثْرُ	ثَوْبُ
ف	جَفَّافَه	مَقْرَفَه
ز	زَرَبَه	زَنِيلُ
ق	اثْقِيلُ (ق = g)	ثَقِيلُ

هذه مقتطفات فقط من دراسة لسانية جادة لأصوات اللهجة الحسانية، جديرة بالتقدير، قدّمها هذا الباحث.

١ - المصدر نفسه، ص ٢٨، ٢٩.

٢ - المصدر نفسه، ص ٤٦.

٣ - المصدر والصفحة نفسها.

٧- الأخطاء الصوتية في لغة الصحافة ببلاد شنقيط : تسرّبت إلى لغة الصحافة الشنقيطية بعض الأخطاء المخلّة، حدّد الباحث إبراهيم بن يحظيه نوعها قائلاً : «الأخطاء الصوتية في الإعلام كثيرة.. ومثل ذلك كثير لو تفصّيته لطال.. أهمّ ما يلفت النظر في جانب الصوت والأداء افتقار كثير من المتحدّثين إلى الثقافة الصوتية، وإلى التدريب الكافي على استخدام الإمكانيات الصوتية المتنوّعة، التي تدخل تحت ما يسمّى بالوسائل الصوتية غير اللفظية، أو الملامح النطقية غير التركيبية، المصاحبة للعملية الكلامية، والمشاركة لها في أداء الرسالة اللّغوية والمستخدمة لتنويع نماذج الأصوات، مثل النبر والتنغيم، ومعدّل سرعته، أو استمراريته ونوعيته، ومدى ارتفاعه وطول الوقفة والسكّنة..»^(١).

أمّا على مستوى المخارج والصفات فلم تسجّل لهم أخطاء. ونظراً لما سلف ذكره فما قدّمه العلماء والدارسون الشناقطة من التحاليل والمناقشات في هذا المبحث يُعدّ بحثاً جليلاً القدر في مجال الدرس الصّوتي، وهو امتداد لجهود علماء العربية عبر العصور. وفيما يلي عرّض جداول هذا المبحث^(٢) :

١- الأخطاء اللّغوية في الإعلام الموريتاني، ص ٨٤، ٨٥.

٢- استعنت في وضع هذه الجداول بجدول الدكتور محمّد منصف القباطي، في كتابه : الأصوات ووظائفها، ص ٦٤، ١٢٨، فما بعدها. علاوة على مصادر المبحث الأخرى.

جدول (٩) : جدول الفونيتيكي للحركات

الحركات	المخرج	الموقع	درجة الانفتاح	شكل الحركة	المدى الزمني للحركة
					قصيرة / طويلة
الفتحة	حنجرية	محايطة مركزية	منفتحة	منفرجة	قصيرة
الضمّ	حجابية	خلفية	منغلقة	دائرية	قصيرة
الكسرة	حنكية	أمامية	منغلقة	منبسطة	قصيرة

جدول (١٠) : جدول الفونولوجي للحركات

الحركات	الموقع	درجة الانفتاح
الفتحة	مركزية	منفتحة
الضمّة	خلفية	منغلقة
الكسرة	أمامية	منغلقة

جدول (١١) : جدول التفخيم والترقيق في الصوائت القصيرة

الحركات	التفخيم	الترقيق	بين بين
الفتحة	صَلَاة / طَهَارَة	نَصُوح / ثَابِت	قَوْل
الضمّة	صُرَاخ / طُهَاء	نُجُوم / مُجَاهِد	قُدُوم
الكسرة	صِيَام / طِعَان	مِهَاد / نِعَال	قِلَاع

جدول (١٢) : جدول اصطلاحات علم التجويد

الصفات	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠
الجهير	١	جـ	جـ	جـ	جـ	جـ	خـ	د	ذ	ر	ز	سـ	شـ	صـ	ضـ	ط	ظ	ع	غ	فـ
	١	جـ	جـ	جـ	جـ	جـ	خـ	د	ذ	ر	ز	سـ	شـ	صـ	ضـ	ط	ظ	ع	غ	فـ
الشدّة		جـ	جـ		جـ			د							ضـ	ط			غ	
الاستعلاء							خـ							صـ	ضـ	ط	ظ			
الإطباق														صـ	ضـ	ط	ظ			
الإصبات	١		ثـ	ثـ	جـ	حـ	خـ	د	ذ		ز	سـ	شـ	صـ	ضـ	ط	ظ	ع	غ	
الصغير											ز	سـ	شـ	صـ						
القافلة		جـ			جـ			د						صـ		ط				
الانحراف										ر										
التكبير										ر										
التشقي													ثـ							
الاستطالة															ضـ					
الغنة																				
الهمس			ثـ	ثـ		حـ	خـ					سـ	شـ	صـ						وـ
الرخاوة	١			ثـ		حـ	خـ		ذ		ز	سـ	شـ	صـ	ضـ		ظ		غ	وـ
الاستفال	١	جـ	ثـ	ثـ	جـ	حـ		د	ذ	ر	ز	سـ	شـ	صـ				ع		وـ
الافتتاح	١	جـ	ثـ	ثـ	جـ	حـ	خـ	د	ذ	ر	ز	سـ	شـ	صـ				ع	غ	وـ
الإدلاق		جـ								ر										وـ
اللين																				
التوسط										ر								ع		

الصفات	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩
الجههر	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	ي	ء
الشدة			ل	م	ن		و	ي	ء
الاستعلاء	ق	ك							ء
الإطباق	ق								
الإصمات									
الصفير	ق	ك				هـ	و	ي	ء
القلقلة	ق								
الانحراف			ل						
التكرير									
التنفسي									
الاستطالة									
الغنة				م	ن				
الهمس		ك				هـ			
الرخاوة						هـ	و	ي	
الاستفحال		ك	ل	م	ن	هـ	و	ي	ء
الانفتاح	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	ي	ء
الإذلاق			ل	م	ن				
اللين							وُ	يُ	
التوسط			ل	م	ن				

الفصل الخامس : المجال الدلالي

الدلالة : مفردٌ دلّائلٌ ودلالاتٍ، وهي في اللّغة : الإرشادُ، وفي الاصطلاح : ما يقتضيه اللفظ من المعنى عند إطلاقه^(١). أو «علم يتناول معرفة اقتران المعنى باللفظ، مفردًا ومركبًا في مختلف الأساليب والسياقات»^(٢).

وأداة الدلالة كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس هي : « اللفظ أو الكلمة »^(٣).

١ - المعجم الوسيط. مادة (دلل).

٢ - كتاب محاضرات في اللسانيات والعربية، ص ٨٤.

٣ - دلالة الألفاظ. مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة ١٩٨٠ م. ص ٣٨.

اللذان تكاد المعاجم العربية تجمع على أنّهما مترادفان، غير أنّ علماء النحو^(١) حاولوا التفرقة بينهما على أساس أنّ الكلمة أخصّ، حيث هي لفظ دلّ على معنى، وكأّهم : « يستشعرون مع اللفظ عملية النطق وكيفية صدور الصوت، وما يستتبع هذا من حركات اللسان والشفتين، فإذا ربطت هذه الأصوات المنطوق بها وما يمكن أن تدلّ عليه من معنى تكونت في رأيهم الكلمة^(٢) ».

وقد قسّم اللسانيون الدلالات إلى أربعة أنواع، هي^(٣) :

١- الدلالة المعجمية أو الاجتماعية^(٤) وهي المعنى الأساس، الذي يُستفاد من الكلمة أو التركيب، بغضّ النظر عمّا قد تُحدثه بعض الأصوات، أو الصيغ الصرفية من دلالات زائدة على دلالاتها الأساسية، المسماة بالدلالة المعجمية أو الاجتماعية.

٢- الدلالة النحوية، وهي التي تستمدّ من وضع الجملة العربية وطبيعة نظامها الخاصّ، الذي إذا اختلّ كان من العسير فهم المراد منها. حيث فهم دلالتها يصبح عسيراً، إن لم يكن مستحيلاً عند ما يقع فيها اختلالات في التركيب النحوي.

٣- الدلالة الصرفية، وهي التي تنشأ من طبيعة الصيغ وبنيتها. فقولنا مثلاً باللهجة العربية الحسانية : (فلان قرّاي للقرآن) يفيد كثرة القراءة بالصيغة الصرفية (قرّاي)، حيث هي صيغة مبالغة، تفيد الكثرة، الزائدة على الدلالة المعجمية أو الاجتماعية، المستفادة من صيغة اسم الفاعل (قاري - باللهجة الحسانية -)، لذلك تسمّى الدلالة المستمدّة من صيغة المبالغة بالدلالة الصرفية.

٤- الدلالة الصوتية، وهي التي تنشأ من طبيعة بعض الأصوات، ونبرات الكلام، وتنغيمات المتكلّم. فالموازنة مثلاً بين كلمتي (نضّح ونضخ) في المعاجم العربية^(٥) تُعطينا أنّ الأولى تفيد الرّشّ أو السّيلان ببطء وضعف، وهذه هي الدلالة المعجمية، بينما الأخيرة تفيد السّيلان باندفاع وفورانٍ وشدةٍ من ينبوعه، وقد استُمدّت هذه

١- كتاب سيبويه، ج ١، ص ١٢، وشرح ابن عقيل، ج ١، ص ٢٠.

٢- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص ٣٨.

٣- دلالة الألفاظ، ص ٤٤ - ٤٨.

٤- بعض اللّغويين من المحدثين يميلون إلى التفرقة بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية. يراجع تفصيل ذلك عند إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص ٥٠.

٥- المعجم الوسيط، مادّي نضخ، نضخ.

الزّيادة من صوت الحاء. وعليه فهذه الدّلالة المستفادة من صوت الحاء هي المسماة بالدّلالة الصّوتية^(١).

وقد تنشأ الدلالة الصوتية من طبيعة (النّبر)، الذي هو «الضّغط على مقطع معيّن في الكلمة بقصد زيادة وضوحه في السمع»^(٢).

وهو في العربية ثابت، لا أثر له غالباً في المعنى، بعكسه في بعض اللّغات الأخرى، إذ قد يكون فيها حرّاً متحرّكاً، مؤثراً في المعنى.

كما تنشأ الدّلالة الصوتية باستخدام التنغيم الكلامي، الذي هو «نمط لحنّي، يتحقّق بالتنوّع في درجة جهر الصوت أثناء الكلام»^(٣).

والتنغيم قد يلعب في العربية دوراً كبيراً في التمييز بين الدلالات عن طريق ترجمة «حال المتكلّم من غضب أو دهشة أو رغبة»^(٤).

فبالإمكان مثلاً قراءة الجُمْل الآتية بنغماتٍ متمايزة، يُعطي كلّ منها دلالة معيّنة^(٥):

- بدأت المحاضرة : إخبار.

- بدأت المحاضرة : تأكيد.

- بدأت المحاضرة : استفهام ؟.

- بدأت المحاضرة : استغراب !.

وقد حظي المستوى الدلالي بشيء من اهتمام الدارسين الشناقطة ليس بالكثير، إذ كتبوا فيه بعض الأعمال، مطبّقة في الغالب على الفصحى، ثمّ اللهجة العربية الحسانية، ولغة الصحافة بشكل أقلّ. وفيما يلي تبيان ذلك عن طريق عرض عمليّين اثنين فصيحين، وثالث، لغته مختلطة من الفصحى واللهجة العربية الحسانية، ثمّ ذكر أمثلة من أخطاء الصحافة :

١ - علي عبد الواحد وآف، علم اللّغة. ص ٣١٣، فإ بعدها.

٢ - الأصوات ووظائفها، محمد منصف القماطي، ص ١٥٢.

٣ - المصدر نفسه، ص ١٥٦.

٤ - المصدر والصفحة نفسها.

٥ - دلالة الألفاظ، ص ٤٧، والأصوات ووظائفها، ص ١٥٦.

أولاً- الأستاذ المختار بن محمد الأمين بن الجيلاني في كتابه : (الخطاب الشعريّ الحداثيّ في موريتانيا دراسة في أجروميّة النصّ)، الذي قام بتطبيق المستوى الدلالي على النصوص الشعرية الخمسة، سالفه الذكر في مبحث (المجال التركيبي)، وهي نصوص: «دموع غيلان» و«رحيل» و«الكشف» و«الشريد» و(رسائل سرّية إلى شخصيات سرّية). فقدّم حقيقةً دراسة موعلة في البحث اللّساني، في مجال المستوى الدلالي، مطبّقةً على هذه النصوص. وذلك على النحو الآتي :

أ- في الباب الثاني: (وسائل السّبك) أورد المؤلّف في الفصل الثاني : (السّبك المعجميّ والنحويّ) مبحثاً بعنوان : (المستوى المعجميّ)، تحدّث فيه عن الدلالة حديثاً ضافياً، ذاكراً وسيلتين اثنتين تحقّق بهما السبك المعجمي في النصوص المدروسة، هما (التكرار، والتضام)، إذ قال : «تنهض العلاقات المعجمية بين الكلمات، مسهمة في سبك النصّ، على وسيلتين .. هما : التكرار، والتضامّ (المصاحبة والمناسبة المعجمية)»^(١).

فناقش بإفاضة وسيلة التكرار، معرّفاً إيّاها، ذاكراً سلّمها، محدّداً درجاتها، فقال :

- فالتكرار : يقصد به إعادة العنصر المعجمي نفسه، أو إيراد مرادف له، أو شبه مرادف، أو اسم مطلق أو شامل، أو كلمة عامّة لهذا العنصر. ولا يشترط في الترابط بواسطة التكرار أن يكون للكلمتين المترابطتين المحال إليه ذاته من ناحية المعنى. ومن هنا يمكننا أن نتحصّل على سلّم للتكرار، مكوّن من أربع درجات :

الدرجة العليا هي إعادة الكلمة كما وردت أولاً دون تحريف، وهذا ما يعرف بالتكرار المحض أو التّامّ، أو إعادةتها مع شيء من التّغيير في صيغتها، وهذا ما يعرف بالتكرار الجزئي الذي يختلف في الاشتقاق، ويتّفق في الجذر المعجمي. والدرجة الثانية هي الترادف وشبهه، وهو يعني إعادة المعنى بلفظ مغاير، أي تكرار المدلول دون الدّالّ، فإن تطابق المعنى تماماً فهو الترادف، وإلّا فهو شبه الترادف. أمّا الدرجة الثالثة فهي الاسم الشامل الذي يسمّى أحياناً (الأساس المشترك)، حيث تندرج تحته أسماء عدّة، يجمعها أو يشملها. ومثاله كلمة الإنسان، التي تشمل الرّجل والمرأة والولد والبنت والحاكم والمحكوم... وأمّا الدرجة الرّابعة والأخيرة في سلّم التكرار، فهي الكلمات العامّة، وهي أعمّ من الأسماء الشّاملة، حيث يمكن أن يشار عادة إلى كلمات سابقة

١ - الخطاب الشعري الحداثي في موريتانيا، ص ٢٣٣.

بكلمات أخرى من نوع (الشيء، الأمر، الفكرة، الشأن...) ^(١).

- كما ناقش التّضام أيضاً مناقشةً موسّعةً، مبيّناً بعضاً من وجوه العلاقات النسقية بين الكلمات المتلازمة، أو الأزواج المتواردة، فقال، مستهلاًّ بتعريفه :

«ويقصد بالتّضام، أو المصاحبة المعجمية، توارد أزواج أو زوج من الكلمات المتلازمة بشكل اعتياديّ أو نمطيّ، بحيث يناسب ذكرٌ إحداها ذكرَ الأخرى، أو يستدعيه في الذاكرة... وقد تكون علاقةً بين كلّ جزءٍ، أو بين جزءٍ وجزءٍ، أو دخولاً في سلسلة مرتّبة، كأَيام الأسبوع، أو أشهر السنة، أو اندراجاً في صنف عامّ، كعلاقة الكرسيّ بالطّاوله، حيث تشملها كلمة (أثاث). وقد عولجت الأصناف الثلاثة الأخيرة من التّضام ههنا تحت مسمّى التّواصل أيضاً، لوجود أساس مشترك في كلّ منها، أي ضمن علاقات التكرار، كما عولجت العلاقة بين العامّ والخاصّ ضمن التّضام، لمضارعتها العلاقة بين الكلّ والجزء» ^(٢).

كما تحدّث عن خصوصية الدلالة في الخطاب الشعري، أو ما يشحنها من دلالات زائدة على الدلالة الأساسية، المسماة بالدلالة المعجمية أو الاجتماعية ^(٣). ثمّ قام بتطبيق هاتين الوسيلتين على النصوص الشعرية الخمسة، المذكورة سالفاً، للشعراء الشناقطة المذكورين، وهي : (دموع غيلان)، و(رحيل)، و(الكشف)، و(الشريد)، و(رسائل سرّية إلى شخصيات سرّية). وقد استعان ابن الجيلاني في الحديث عن الدلالة المعجمية في هذه النصوص بالوسائل المعجمية، سألقة الذكر : (العلاقات، المسافات، العنوانات، الجمل الشعرية، المقاطع الشعرية، الاستمرارية). التي يؤدّي تعانقها، وتشسابكها، مترابطةً، متداخلةً إلى ما يحصل من السبك للنصوص المدروسة. وتجنّباً للإطالة سأكتفي بالإشارة إلى اثنتين من هذه الوسائل، إشارة مقتضبة، هما : (العلاقات، والاستمرارية)، لنقف على أسلوب ابن الجيلانيّ في العرض، والمعالجة :

١ - المصدر والصفحة نفسها.

٢ - المصدر نفسه، ص ٢٣٤.

٣ - من أبرز مصادر المؤلّف، التي أفاد منها هذه المادّة : محمّد خطّابي، لسانيات التّصّ، ص ٢٤، ٢٥. وجميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النّضبية، سلسلة دراسات أدبية. ص ٧٩ - ١٠٩.

١-العلاقات : وسيلة السبك المعجمي، المتمثلة في علاقات التكرار، وعلاقات التضام – كما يرى ابن الجيلاني – تختلف النماذج النصية المدروسة، وتتفاوت في درجات استخدامها، حيث يغلب على ثلاثة منها الترابط بواسطة علاقات التكرار، بينما يغلب على اثنين منها الترابط بواسطة علاقات التضام، وإن بفارق طفيف عن علاقات التكرار^(١). ولتوضيح ذلك وضع الجدول الموالي :

الجدول (١٣) : توزيع علاقات السبك المعجمي

العلاقات/ النص	دموع غيلان	رحيل	الكشف	الشريد	رسائل سرّية إلى شخصيات سرّية
علاقات التكرار	٣٤	٢٨	٩٢	٨٥	٧٠
علاقات التضام	٣٧	٣٣	٣٣	٤٢	٤٢
المجموع	٧١	٦١	١٢٥	١٢٧	١١٢

٢- الاستمرارية : يقصد بها استمرارية السبك بين أجزاء المقطع الواحد، وبين المقاطع، أو عدم هذه الاستمرارية، في النصوص المدروسة. كما يقول : « فهو (السبك) يعلو ويهبط على الدوام، وبدرجات متفاوتة، عند الانتقال من كلّ نقطة إلى نقطة أخرى في النصّ، حتّى أنّه قد ينقطع هنا أو هناك حالما ينعدم بين الوجدتين المتواليتين (المقطعين تحديداً)، أو بين الوحدات الجمليّة المكوّنة للمقطع الواحد، كما أنّه قد يشتدّ ويرتفع فيما بين المقطعين المتواليين، أو داخل كل منهما، أو أحدهما، دون الآخر إلى ما لا نهاية»^(٢).

ونظراً لهذا التذبذب الحاصل صعوداً وهبوطاً في وسائل السبك بالنصوص المدروسة قام ابن الجيلاني بحصر الروابط الداخلية في كلّ مقطع على حدة، وحصر البنية منها بين كلّ مقطعين متواليين كذلك على حدة في جداول، مع وضع أشكال بيانية توضّح حالة الاستمرارية هذه. وهذه الجداول والأشكال تدلّ بوضوح على ما حظيت به هذه النصوص من متانة السبك والترابط، نظراً لكثرة استخدام وسائل الربط المعجمية بها، داخلياً وبينياً، وإن بتفاوت ملحوظ في هذا الاستخدام.

١- الخطاب الشعري الحدائي في موريتانيا، ص ٢٣٥.

٢- الخطاب الشعري الحدائي في موريتانيا، ص ٢٦١، ٢٦٢.

ب - في الباب الثالث : (وسائل الحبك) جاء فصله الأول بعنوان : (الحبك الدلالي)، الذي تحدث فيه عن ثلاث خطوات، تبين أنّها من الممكن أن تحقق قدراً من تماسك النصّ، ونموّه وحبكه على المستوى الدلالي «في اتجاه البنية الدلالية الكلية الحاكمة لنظام التشكّلات النصّية للخطاب»^(١).

وهذه الخطوات هي : التغريض، وموضوع الخطاب، والبنية الكبرى :

- فالتغريض : لغةً اجتناء الشيء طَرِيّاً^(٢)، واصطلاحاً «تنمية عنصر معيّن في الخطاب، يكون اسماً لشخص، أو قضية، أو واقعة ما، انطلاقاً من فرضية نصّانية مؤدّياً أنّه في كلّ خطاب متماسك توجد نقطة جذب مركزية تؤسّسها بدايته، وتحوم حولها بقية مكوناته اللاحقة .. وذلك بالاعتماد على بعض المؤشّرات اللغوية البحتة، كتكرار الاسم أو جزء منه، والإحالة إليه، ونعته .. إلخ»^(٣).

وناقش المؤلّف (عنوان) النصّ، أيّما عنوان، باعتباره «معبراً عن مقاصد الكاتب، ووجهة نظره تجاه أهمّ المحدّدات الدلالية والنوعية للنصّ»، وتعبيراً ممكناً عن موضوع الخطاب، محدّداً وظيفته بالتغريض، وذلك بوصفه وسيلة بارزة وخاصّة له^(٤)، ونظراً لخصوصية هذه الوظيفة، وتعقيد وضعيتها في مضمار الحبك في مستواه الدلالي، زاد المؤلّف الموضوع تحليلاً وتعميقاً^(٥).

وتبياناً للمسألة فإنّ من يقرأ نصّ (دموع غيلان) «حتّى نهايته يتأكّد له أنّ هذه الذات الشاعرة المتكلّمة فيه لم تكن هي «غيلان» المسمّى صراحة في عنوان النصّ، ولم تصل إلى حدّ التماهي معه، وأنّ العلاقة بينها وبينه ليست سوى علاقة معيّنة، وتشابه في الحيرة والمعاناة والدموع، ينهض على حيلة مجازية محدّدة هي التشبيه البليغ في قول الشاعر :

غيلانُ كان معي،

١ - المصدر نفسه، ص ٣٠٩.

٢ - المعجم الوسيط، مادّة (غرض).

٣ - الخطاب الشعريّ الحداثيّ في موريتانيا، ص ٣٠٩.

٤ - المصدر نفسه، ص ٣١٠. عن محمد خطّابي، ص ٥٩.

٥ - الخطاب الشعريّ الحداثيّ في موريتانيا، ص ٣١٠. عن محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي،

١٩٩٨، ص ٢١.

وحيرته حيرتي،
والجراح التي فيه في،
وأدْمَعُهُ أَدْمَعِي^(١).

وهكذا يصبح المغرض بدلاً من العنوان هو هذه الذات المتكلمة عن نفسها، الحاضرة على امتداد متن النص منذ أول كلمة حتى آخر كلمة فيه^(٢).

- موضوع الخطاب : تحدّث المؤلّف في هذه الخطوة عن الارتباط الوثيق بين التغيّض والموضوع، وعن كون العنوان «يمثّل أحد التعبيرات الممكنة عن (الموضوع)، ذلك أنّنا حينما نرى عنصراً ما مغرضاً في عنوان النصّ، فإنّنا نتوقّع على الفور أن يكون هذا العنصر هو موضوع الخطاب فيه^(٣).

واسترسل في تحليل ملابس (الموضوع)، باعتباره إحدى الخطوات المسهّمة في تحقيق قدر من تماسك النصّ وحبّكه على المستوى الدلالي^(٤)، ثمّ عرض أمثلة من النصوص المدروسة لكشف اللّثام أكثر عن (موضوع الخطاب). أقتبس منها قوله :

فإذا بحثنا في النصّ عن طبيعة هذا الشيء الذي ينشده الشاعر : (بنّاصر / في دموع غيلان) المتكلّم، سنجدّه مذكوراً ثلاث مرّات بصور مختلفة، الأولى عندما رمز له في المقطع الأوّل بأنّه (نجمة)، وذلك في قوله :

لعلّي أعثرُ في مهرجانِ الكواكبِ يومَ تذرُ الضياءُ،

على نجمةٍ رحلتْ من سنينْ،

لتندسَّ بينَ النجومِ،

لتنسى عناقِ الترابِ^(٥).

والثانية عندما رمز في المقطع الثاني بأنّه (قطرة)، وذلك في قوله :

١- بنّاصر، مصدر سابق، ص ٥٨.

٢- الخطاب الشعريّ الحداثيّ في موريتانيا، ص ٣١٢.

٣- الخطاب الشعريّ الحداثيّ في موريتانيا، المختار الجيلاني، ص ٣١٦. عن محمد خطّابي، ص ٦٠، ٢٨٢، ٢٩٣.

٤- الخطاب الشعريّ الحداثيّ في موريتانيا، ص ٣١٧.

٥- بنّاصر، سابق، ص ٥٥.

لعلِّي أَعَثُرُ بَيْنَ المِياهِ،
على قطرةٍ سقطتْ في المحيطِ،
فطهرها الماءُ،
واجتاحها مَخْلَبُ الموجِ،
لاعبها المدُّ كالطِّفلِ بَيْنَ يَدَيْهِ^(١).
والثالثة عندما ذَكَرَ جزءاً من أجزائه، مضيفاً إليه تصريحاً، وذلك في المقطع الثالث،
حيث يقول :

علِّي أَعَثُرُ بَيْنَ الدُّرُوبِ
على حَيَّةٍ مِنْ رِمَالِ بِلَادِي^(٢).
إذن ليس المنشود سوى هذه البلاد، التي لها صفة النجمة المضيئة، وقطرة الماء
الطاهرة... تأسيساً على ما سبق يمكننا أن نصوغ (موضوع الخطاب) في نصّ «دموع
غيلان» على النحو الآتي : حكاية شاعر، حائر، ظلّ يجتهد في البحث عن وطنه الضائع
بلا جدوى^(٣).

تحليل عميق، وإبحار جميل فيما يرمي إليه الأديب بنّاصر.
- البنية الكبرى : قرّر المؤلف أنّ البنية الكبرى : «هي النواة أو البؤرة الدلالية
التي تنبثق منها كلّ الوحدات الدلالية، أو من وجهة إجرائية .. هي التمثيل التجريدي
للدلالة الشاملة لنظام الأبنية المتشكّلة على مختلف المستويات النصّية، بطابعها الكليّ،
وبطبيعتها الإطارية الأبعاد، التي بدورها يكون النصّ مجرد مجموعة من الكتل أو
المشاهد المشتّتة القابلة للبتر والإضافة والاجتزاء؛ وذلك لأنّ البنية الكبرى تتولّى
تأسيس الهيكل السّتاتيكي للنصّ»^(٤).

١- المصدر والصفحة نفسها.

٢- المصدر نفسه، ص ٥٦.

٣- الخطاب الشّعريّ الحداثيّ في موريتانيا، ص ٣١٩، ٣٢٠.

٤- المصدر نفسه، ص ٣٣٠. عن صبحي الطعان، بنية النصّ الكبرى، مجلّة (عالم الفكر)، م ٢٣، ع ١، ٢، المجلس الوطني
للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليو - ديسمبر ١٩٩٤، ص ٤٣٩.

ثمَّ بيّن أنّه : « يمكن الاستدلال على هذه الأهمية التي للبنية الكبرى من طريق بنيات داخلية عدّة، منها ظهور عبارات أو جمل متنوّعة نمطياً في بداية المقطع أو نهايته، تعبّر مباشرة عن قضايا كلّية أو كبرى تسهّل الفهم واستخلاص البنية الدلالية العليا»^(١).

وقد ألحّ في المزيد من كشف اللثام عن هذه الخطوة الممثّلة لبؤرة تماسك النصّ وجبّكه على المستوى الدلالي، قائلاً : « الخطوة الواسعة إذن في ضبط خواصّ النصّ، وتحليل العلاقات فيما بين الوحدات المكوّنة له مرهونة بالإدراك السليم لبنيته الكبرى المرتبطة بسلاسل القضايا المعبر عنها بمتتالياته. والطرق التي يسلكها القراء للوصول إلى هذه البنية، لا تكاد تختلف بشكل عامّ؛ وذلك لاستنادها بالضرورة إلى ما يعرف بالقواعد الكبرى التي تمكّن من إفراز ما هو أكثر جوهرية في مضمون النصّ ككلّ»^(٢).

ثمّ تحدّث بإفاضة عن مراحل آلية الكشف عن الوصول إلى البنية الكبرى للنصّ، وما تخضع له بعض هذه المراحل من الخطوات الإجرائية، والقواعد الأساسية^(٣)، محاولاً صياغة البنيات الدلالية الكبرى للنصوص المدروسة. فيقول معلّقاً على بعض النصوص المدروسة :

١- من نصّ «دموع غيلان» :

عَرَجْتُ على صهوة الريح كالنسماتِ

إلى خيمةٍ في أعالي السماءِ.

وحَدَّقْتُ في صفحاتِ السماواتِ.

رَكِبْتُ البحارَ أَجْدَفُ كالسندبادِ.

نظرتُ إلى الماءِ.

رَكِبْتُ الفياضِ.

توسّدتُ الأرضَ.

١- الخطاب الشعريّ الحداثيّ في موريتانيا، المختار الجيلاني، ص ٣٣١. نقلاً عن صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ. الكويت : عالم المعرفة، ع ١٦٤، أغسطس ١٩٩٢ م. ص ٢٦٢، ومحمد خطّابي، ص ٤٥، ٤٦.

٢- الخطاب الشعريّ الحداثيّ في موريتانيا، المختار الجيلاني، ص ٣٣١.

٣- المصدر نفسه، ص ٣٣٢ - ٣٣٥.

وَفَتَّشْتُ بَيْنَ الصَّخُورِ.

رَكَضْتُ عَلَى جُثْثِ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ^(١).

«ومن هنا نستطيع صياغة بنية النصِّ الكبرى على النحو الآتي : النصُّ استنكار كامل للحالة الراهنة التي يعيشها وطن الشاعر».

٢- من نصِّ «رحيل» :

تُطَلِّ يا حُلماً تَأْبُدُ موجع الأعصاب، ملتبس الخناق.

تُطَلِّ مسكوناً بماضيك الذي عرف الخراب.

غادرك الرفاق، شدّوا الرحال وأدجلوا.

.....

ها أنت ترقُبُ من عصور التيه هودجها الجميل.. يادار عبلة أقفرت.

عبثاً تحاول نشلها من عاديّات المعتدين.

رحلتَ إلى لا مُنتهى^(٢).

«ومن هنا يمكن القول بوجود بنية دلالية شاملة تؤسّس هذا النصّ، وتشدّد لحمته، وتلغي مقطّعه التي لم يعد لها معنى في هذا السياق، وهي : الهجوم على مفهوم الفتوة العربية، لارتباطه بالقصيدة العمودية، وبالنظرة الحريمية».

٣- من نصِّ «الكشف» :

إِنِّي انْتَهَيْتُ عَوِيلاً.

وقفتُ على ندم المستحيل.

استقلتُ من الأرض بَدْءاً، بدأتُ.

شربتُ كؤوساً من اليأس ليلاً.

.....

صديقةً لَن تَسْتَقِيلَا.

١- بنّاصر، سابق، ص ٧٥.

٢- بنت البراء، مصدر سابق، ص ٤٣.

وجودٌ تجدد أنت.

نداءٌ من الصدق أنت.. تجلّ انبثاقاً جميلاً.

وأنت عهدٌ نُطلّ.. ثورةٌ عصرٍ.. غدٌ قادمٌ^(١).

«وبهذا يكون نصّ «الكشف» قد برهن على وجود بنية دلالية شاملة تؤسّسه، وتتمحور حولها مكوّناته لضمان تماسكه الدلالي. وعند محاولة تركيب هذه البنية تتحدّد أمامنا الصيغة الآتية :

النصّ إضاءة لعوالم الشعر من منظور العلاقة الخاصّة بين الشاعر والقصيدة، تظهر فيها القصيدة وحدها مصدراً أزلياً للصدق والحقيقة.

٤- من نصّ «الشريد» :

كذلك هذا الذي تتحرّاه بين الحنين وبين الأنين، فيقدّفك المُستحيل إلى المُستحيل.
لظِّلْكَ يَمَلَأُ وَجْهِي، لِيَمَلَأَ ما بين شَوْقِي وَدَمْعِي.
وَمِنْ حَسْرَةٍ تَتَغَوَّرُ فِي البُعْدِ، فَلْتَتَغَوَّرَ لِيَالِيكَ فِي الكَأْسِ ما اتَّسَعَ الكَأْسُ.

أُمْسِرْ بَ فِي الْبَرَارِيِّ، مَيْسَمُهُ الْبُعْدُ، مُتَتَطَرَّ لَا يُؤُوبُ.
كَفُّهُ مَنَبْعُ عَدَقٍ إِنْ أَرَدْتَ ارْتَوَاءً.
لَظِّلْكَ يَمَلَأُ وَجْهِي^(٢).

«بهذا نلازم سياق البنية الدلالية الشاملة التي تبطن أجزاء هذا النصّ وتضمن تماسكها : النصّ إضاءة لعوالم الشعر من منظور العلاقة الخاصّة بينه وبين الشاعر، يظهر فيها الشعر جسراً أزلياً، يصل الكائن بالممكن، والحقيقي بالوهم.

٥- من نصّ «رسائل سرّية إلى شخصيات سرّية» :

رسالة إلى أمّي :

ما زِلْتُ فِي شَفَتِي وَصِيَّتِكَ الْأَزَلِيَّةِ...

١- ولد ابنو، مصدر سابق، ص ١.

٢- ولد بديوه، مصدر سابق، ص ٣.

عَلَّ ذَاكِرَةً تَتَذَكَّرُ أَنَّ الْمَرَاثِيَّ عَلَى رَبِّعِهَا
تَتَحَضَّرُ.
أَنَامُ وَأَحْلُمُ أَنَّ فُطُوراً مِنَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَرْضِنَا يَتَفَجَّرُ.

.....

رسالة إلى أبي ذر الغفاري :
... تماماً كَمِثْلِكَ.
وَصِرْتُ صِرَاطاً مِنَ الصَّمْغِ يَعْجِنُ لِلْفُقَرَاءِ رَغِيفاً
مِنَ الرَّفْضِ.

.....

رسالة إلى جُدُو ولد السَّالِكِ :
... وَأَنْذَرْتَ.. قُلْتُ احْفَظُوا النَّخْلَةَ الْوَاقِفَةَ.
وَأَعْطَيْتَ... أَعْطَيْتَ حَتَّى دِمَاءَكَ.
فَهَا النَّخْلَةُ الْيَوْمَ تَذْوِي، تَأْرَجُحُ، تَهْوِي.
إِنَّهَا نَاشِزٌ بَيْنَ صَمْغٍ تَشْطَى وَنَهْرٍ تَلْطَى^(١).

«في ضوء هذه القراءة تتقاطع مختلف بنيات النص الصغرى، المتشكلة عبر مقاطعه الثلاثة الرئيسية في بنية شاملة واحدة، عند إعادة صياغتها نكون قد وصلنا إلى بنية النص الكبرى، وهي : إدانة لمجتمع الشاعر الذي فرط في مسؤوليته التاريخية تجاه بلاده حتى بات حالها أدعى للأسى والرثاء»^(٢).

فهذه المناقشات المستفيضة، والتحليلات العميقة تفيدان نضج جهود ابن الجيلاني وقوة إسهامه في مجال اللسانيات المعاصرة عموماً، والتركيبية والدلالية منها خصوصاً، بأسلوبه الأكاديمي الرفيع، ولغته المحكمة الرصينة.

١ - ولد عبدي، مصدر سابق، ص ٥١.

٢ - الخطاب الشعري الحديث في موريتانيا، المختار الجيلاني، ص ٣٣٧، فما بعدها.

ثانياً- الشيخ بن أحمد الشنقيطي : في بحثه : (مدخل إلى البناء المعجمي عند الشاعر محمد بن الطالب - دراسة لديوان اللّيل والأرصفة)، سالف الذكر، في مبحث (النحو التركيبي)، قدّم دراسة معجمية، تناول فيها المستوى الدلالي، فتحدّث عن الدلالة المعجمية أثناء مناقشة العنوان، فقال :

«عنوان الديوان يغري باختياره، فهو مكوّن من وحدتين معجميتين، ربط بينهما بأداة ربط صرّفة، هي الواو، وهاتان الوحدتان، هما : اللّيل والأرصفة.. حيث إنّ للّيل من حيث الإطار المرجعي وجوده الحيّ في تراث الشعر العربي عبر عصوره المديدة، بما يرمز له، ويوحى به من معاناة وحشة، ووحشة وغربة.. أمّا الوحدة الثانية من وحدات هذا العنوان (الأرصفة) قد تكون أكثر ابتعاداً عن التراث من سابقتها، وفي المقابل أشدّ لصوقاً بحياة الشاعر، وواقعه المعيش... أمّا عن النصّ كوحدة عامّة فهو نصّ تطبّعه الحداثة في بنيتها السطحية موضوع الدراسة، والعميقة أيضاً، تلك الحداثة التي تجلّت في غلبة المعجم الطبيعيّ على النصّ (اللّيل، الفجر، الورد، الشمس، البدر)، وفي ظهور البعد الرمزي.. (وضّاح، الحلاج، الطاووس)، وفي استخدام المعجم السياسي (المحيط، الخليج)»^(١).

ويُلاحظ ورود أنواع الدلالات متجاوزةً في تحليل الباحث نصوص الديوان، كما رأينا في النصّ السابق، الذي تمّت فيه المزاوجة في الحديث بين الدالتين : النحوية والمعجمية. وكما هو متجسّد أيضاً في النصّ الآتي : «أبعاد العلاقة التي يوحى بها العنوان علاقة اللّيل بالأرصفة، التي هي في نظره علاقة الظرف الزماني بمعادله المكاني، مستخدماً للتعبير عن ذلك بنية تركيبية توحى بالديمومة والاستمرار هي الجملة الاسمية، وأداة الجرّ الباء الظرفية قبل اللّيل، باعتباره الإطار الزماني للواقع الذي تكرّسه ثنائية اللّيل والأرصفة»^(٢).

وتجسّدت أيضاً المزاوجة بين الدالتين : المعجمية والصوتية في قول الباحث : «وقد حاول الشاعر في بقية المقاطع أن يضع المتلقّي أمام المشهد بكلّ مكوّناته، المشهد الناشئ عن اجتماع ثنائية اللّيل والأرصفة، متّكئاً في ذلك على الدلالات الموحية لبعض الألفاظ

١- مدخل إلى البناء المعجمي عند الشاعر محمد بن الطالب، ص ٢٢، ٢٣.

٢- المصدر نفسه، ص ٢٣، ٢٤.

التي ساهم التجاور بينها في تقريب المتلقي من المشهد، من قبيل ضالة الضوء التي توحى بالظلام الدامس، وكثرة الغبار...»^(١).

وفي بعض مقاطع الديوان حلّل الباحث تحليلاً معجمياً ما اتّكأ عليه الشاعر من الألفاظ ذات الدلالات الرمزية، إذ قال: « وفي المقطع الثالث ينتقل ليحدثنا بضمير المفرد الذي يستبطن في طياته التعبير باسم الضمير الجمعي للأمة: (لا زلتُ أعدو تائهاً)، مختاراً لذلك مجموعة ألفاظ تشترك في حقل دلاليّ واحد، هو البؤس والإخفاق.. وما يميّز هذا المقطع عن غيره هو غلبة الاستخدام الرمزي فيه، فقد اتّكأ فيه الشاعر على مجموعة من الألفاظ ذات الدلالات الرمزية، أسقطها على مأساته، نظراً لدرجة التقاطع والتشابه الكبيرة بينها وبين واقعه المأزوم...»^(٢).

ونبّه الباحث إلى بعض ما ورد في نصوص الديوان من حضور لوسائل السبك المعجمي، قائلاً: « نلاحظ أيضاً أنّ في المعجم مستوى من السبك والتأليف، متأثّين حسب وجهة نظرنا من اختيار الشاعر لمعجم متحرّك، وتوظيفه الجيد له، إضافةً إلى اعتماده على خاصيّة التكرار: (وَتَبَّ المَدَّارُ على المَدَّار) بمعدّل مرّتين، كما تكرّرت كلمة (حقّ) هي الأخرى مرّتين مضافاً إلى (البحث) تارةً، وإلى (الخروج) تارةً أخرى، وكذلك كلمة (الإصلاح) التي وردت مرّتين مضافاً إلى (البحث) مرّةً، ومعرفّةً (بأل) مرّةً أخرى»^(٣).

ثمّ عرض الباحث جدولاً طويلاً رصد فيه مظاهر تكرار السبك النحويّ المعجميّ في نصوص الديوان. وفيما يلي أعرض جزءاً منه، مع بعض التعديل^(٤):

١- المصدر نفسه، ص ٢٤.

٢- المصدر نفسه، ص ٢٦.

٣- المصدر نفسه، ص ٢٧.

٤- المصدر نفسه، ص ٣٦ - ٣٨.

جدول (١٤) : مظاهر التكرار المعجمي ودلالته

النص	الكلمات	عدد الورد	نسبته	المحمولات الدلالية للتكرار
الليل والأرصفة	في	٥ - مرّات	٢, ٧١٪	الظرفية بُعْدِيَّهَا الزماني والمكاني
	عن	٤ - مرّات	٢, ٢٣٪	التعديّة
	المدار	٤ - مرّات	٢, ٢٣٪	معانٍ ترتبط بنفسية الشاعر وظروف تجربته الشعرية
	حَقّ	٢	١, ١٢٪	الحقّ بمفهومه القضائي
	أبي	٢	١, ١٢٪	معانٍ رمزية لها ارتباطا بنفسية الشاعر وظروفه
	لِمَ؟	٢	١, ١٢٪	الاستفهام الإنكاري
	كي	٢	١, ١٢٪	التعليل
	الورد	٢	١, ١٢٪	دلالات رمزية تحيل إلى الواقع المثالي الذي ينشده الشاعر
	الأرصفة	٢	١, ١٢٪	معانٍ ترتبط برؤية الشاعر ونفسيته
	الليل	٢	١, ١٢٪	معانٍ ترتبط برؤية الشاعر ونفسيته
	وثب المدار على المدار	٢	١, ١٢٪	معانٍ ترتبط بالتصورات الفكرية التي يرتهن لها النصّ
	المدينة	٢	١, ١٢٪	معانٍ رمزية للإطار المكاني المحتضن لأُمّته
	الأحلام	٢	١, ١٢٪	معانٍ رمزية للعالم المثالي الذي ينشده الشاعر

إنّ هذه الدراسة حقيقةً دراسة لسانية محكمة لبناء المستوى المعجمي لنصوص الديوان المدروس.

ثالثاً- الباحث إبراهيم بن إسلامو، في بحثه: (١) الزّمن في رواية: الأسماء المتغيّرة، البنية والدلالة (٢) تحدّث عن التغيّر الدلاليّ الحاصل في لغة الرواية، بين الزّمنين :

١- عبارة عن بحث لنيل الإجازة في الأدب العربي، من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية ٢٠٠٩/ ٢٠١٠م. مودّع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٥٢٩٨.

٢- للشاعر الشنقيطي أحمد بن عبد القادر، أوّل رواية شنقيطية، كان ظهورها سنة ١٩٨١م.

القديم والحديث، ثم تحدّث عن الدلالة المعجمية في لغة الزّمن الأوّل، فقال : « لغة الزّمن الأوّل (الانعتاق والبداءة) : وتعكس المجتمع في زمن البداءة بامتياز، تصف الفضاء البدوي، والمسكن البدوي، والإنسان البدوي، بحيواناته وحاجاته وتصرفاته الخاصّة به، فتكثر فيها كلمات من نوع (الخيمة والجمل والعشيرة والقرب... إلخ). وقد ميّز الكاتب فيها بين اللّغة العربية الفصيحة، واللّغة الدارجة (الحسانية) : (لم يعد بمقدور الجِمال أن تتحمّل «العَصّ» أكثر ممّا مضى.. هل ترون تلك «التّيْدومَة») الفارعة الطول... إلخ»^(١).

ثمّ تحدّث عن التغيّر الدلالي في لغة الزّمن الحديث، فقال : « لغة الزمن الحديث الانفتاح : وتعكس انفتاح المجتمع على العالم بعد مجيء الاستعمار.. كما تعكس نزوحه إلى المدينة وتفاعله مع انعكاسات الصراعات الإيديولوجية العالمية على البلاد.. لذلك تكثر فيها الكلمات الدخيلة من اللغة الأجنبية... كما تكثر فيها العبارات اللّغوية الجديدة والدالّة على المدينة والانفتاح : (مع السلامه، إلى اللّقاء)... لقد تطوّرت نثرية النصّ بتطوّر الفترات التاريخية.. إلخ»^(٢).

هكذا سار الباحث في تحليل نصّ الرواية، منبّهاً إلى ما حدث فيها من تغيّر الدلالات المعجمية عبر أزمنتها الممتدّة... وتكمن أهميّة هذا التحليل في كون موضوعه نصّاً نثريّاً، مكتوباً بلغة مزوجة من الفصحى، واللّهجة الحسانية الملحونة منها، وهو ما لم يتوافر في غيره من العيّنات المدروسة.

رابعاً- نماذج من أخطاء الصحافة في الحقل الدلالي : شاع بعض الأخطاء الدلالية في لغة الصحافة ببلاد شنقيط، أذكر منها ما يلي :

- سبق في مبحث (المجال الصرفي) أنّ الباحث المصطفى بن أحمد قام برصد جملة من أخطاء الصحفيين أثناء مراقبته النشرات الإخبارية بإذاعة موريتانيا ما بين الأسبوع الأخير من إبريل لغاية منتصف يونيو ٢٠٠٩م. منها مثلاً ما سجّله بقوله : «وفي النشرة نفسها (نشرة الثامنة، ٢١ / إبريل / ٢٠٠٩) في عناوين النشرة، قرأ مقدّمها عنواناً جاء ضمنه : (في انتظار موعد الحسم غداً عند فتح صناديق الاقتراع). ولعلّ المذيع يقصد :

١ - الزمن في رواية الأسماء المتغيرة، ص ٣٧.

٢ - المصدر نفسه، ص ٣٨.

(عند إغلاق صناديق الاقتراع)؛ لأنّه عند فتحها لا يمكن معرفة النتائج؛ لأنّ الاقتراع لمّا ينته بعدُ، اللّهمّ إلّا إذا كانت نتيجته محسومة سلفاً^(١).

بل الصواب أن يقال : (عند فرز صناديق الاقتراع)؛ لأنّ النتيجة لا تُعرف أيضاً عند الإغلاق عادة.

- منها أيضاً ما ذكره بقوله : «وفي يوم (١٣ / يونيو / ٢٠٠٩م) في نشرة التاسعة صباحاً، في خبر عن تشييع جنازة عمر بونغو، وحضور الرئيس الفرنسي ساركوزي لها قرأت المذيعة العبارة : (عمر بونغو الذي فوّض نفسه). فكأنّ الجملة لمّا تنته، فيما حاولت المذيعة إفهام المستمعين أنّ عمر بونغو حكم بلاده لفترة طويلة حدود أربعين سنة»^(٢).

- منها أيضاً ما أورده بقوله : «وفي نشرة الثامنة يوم ١٤ يونيو ٢٠٠٩م قرأ المذيع ضمن تقرير عن فعاليات وطنية لتخليد اليوم العالمي للتبرّع بالدم : (لتحسيس المواطنين وتحفيزهم حول ..). ولعلّه يقصد : لتحسيس المواطنين حول .. وتحفيزهم على .. فالخطأ هنا دلالي، إذ أنّه يمكن قولنا : حفّزه على .. ولا يصحّ حفّزه حول ..»^(٣).

هذه أمثلة من أخطاء الإعلاميين الشناقطة في الدلالة الاجتماعية، وهي أخطاء شائعة لديهم على نطاق واسع.

١ - لغة الإعلام بين قيود الفصاحة ومعوّقات المهنة، ص ٤١.

٢ - المرجع والصفحة نفسها.

٣ - المصدر نفسه، ص ٤٢.

الباب الخامس

النحو واللّسانيات المعاصرة، وأوجه التشابه والاختلاف،
ومستويات الكفاية في البحث اللّغوي (ملحق).

تمهيد

الفصل الأول : النحو واللّسانيات البنيوية والتوليدية، وأوجه التشابه
والاختلاف ومستويات الكفاية في البحث اللّغوي

الفصل الثاني : اللّسانيّون العرب المعاصرون والنحو العربيّ - المواقف
النظرية والمنهجية

الفصل الثالث : النحو العربيّ بين القديم والحديث

تمهيد

نالَ النَّحْوُ ضِمْنَ الاهتمام الكبير بقضايا اللغة الإنسانية قديماً وحديثاً، نصيباً وافراً، من اعتناء اللسانيين العرب المعاصرين بالبحث في مسأله وقضاياها، ممَّا أحدث احتكاكاً ملحوظاً بين تيارين اثنين، أحدهما، ثقافته الأجنبية أرسخ من ثقافته العربية؛ لذلك انتقد مناهج نحاة العربية القدامى، واصفاً إياها بالجمود، وعدم الجدوائية في دراسة النَّحو العربي، وهم في ذلك متأثرون بمناهج اللسانيين الغربيين المعاصرين، تأثراً بالغاً، وثانيهما، متمكن من ثقافته العربية، مؤمن بأصالتها، مع رؤيته الإفادة من مناهج اللسانيين الغربيين، لكن مع الاحتفاظ لعلماء العربية بمكانتهم الخاصة، المتميزة في دراسة النَّحو العربي، وخصوصية مناهجهم، بسماتها، ووميزاتها، التي هي خاصة لها وحدها في دراسة ظواهر اللغة العربية، دون غيرها من اللغات، وذلك كله حتم النظر في أوجه التشابه والاختلاف، ومستويات الكفاية في البحث اللغوي، في هذه الدراسة. كما سيعرَّج بعض مباحث هذا الباب على مسألة (النَّحو العربي بين القديم والحديث)، وشعور بعض علمائه، ودارسيه، بما لامس بعض مناهج دراسته من صعوبة، وما قُدم من جهود في سبيل تيسيرها، وتسهيلها. وفيما يلي مناقشة الموضوع، في فصوله الثلاثة.

الفصل الأول: النَّحو واللسانيات البنيوية والتوليدية، وأوجه التشابه والاختلاف ومستويات الكفاية في البحث اللغوي

يشمل هذا الفصل ثلاثة مباحث، هي :

المبحث الأول : النَّحو واللسانيات البنيوية، والتوليدية :

أ - النَّحو واللسانيات البنيوية: كانت دراسة اللغة قبلَ دي سوسور (١٨٥٧-١٩١٣م) تتمَّ حسب مقاربات متعدّدة : فيلولوجية، جمالية، تاريخية، اجتماعية^(١)، إلّا أنَّ نشر كتابه (دروس في اللسانيات العامة، سنة ١٩١٦م) أحدث ثورة منهجية في علم اللسان. وقد انطلقت اللسانيات البنيوية من عدّة مسلمات منهجية، أبرزها^(٢):

١ - فردينان ديسوسير، دروس في الألسنية العاقبة، تعريب : صالح القرمادي وآخرين. الدار العربية للكتاب ١٩٨٥م. ص ١٠٩، فما بعدها.

٢ - المصدر نفسه، ص ١١١، فما بعدها، وعلي عبد الواحد وآق، علم اللغة، ص ٦، فما بعدها.

- عدم الاهتمام بالمظاهر الواعية للغة، ودراستها في آنيتها وتزامنها دراسةً (سانكرونية). لقد رأى سوسور أنّ اللغة كلّ (forme) وليست جوهرًا (sub-stance)، وأنها تشكّل نظاماً مغلقاً قائم الذات، له قواعده الخاصة وروابطه الذاتية الداخلية. لقد انطلق سوسور من اعتبارية (الدالّ والمدلول) ليصل إلى (أنّ اللغة شكل، وليست جوهرًا)، إذ تكتسي كلّ كلمة دلالتها بحسب وضعها وتفاعلها مع الكلمات الأخرى، فاللغة ليست جوهرًا، أي كلمات مستقلّ بعضها عن بعض، فكلّ وحدة لغوية - صوتية كانت أو معنوية - تتحدّد قيمتها بالمحلّ الذي تحتلّه في النظام اللغوي.

- إخضاع المادة اللغوية لصرامة الدراسة العلمية من خلال إزاحة حقيقتها المعطاة في التجربة التاريخية أو المجتمعية أو التطورية.

- رفض التعامل مع الوقائع اللغوية كما لو أنّها كيانات مستقلّة. إنّ الموادّ والكائنات اللغوية ليس لها استقلال ماديّ، لكنّها في حاجة إلى استيعاب عن طريق تمثّل اللغة نسقا مبنيا على أساس قيم خلافية وعلاقات تضادّ محاذية لها.

- اعتبار اللغة نسقا أو نظاما مبنيا على أساس علاقات لغوية مباطنة^(١).

ب - النحو واللّسانيات التوليدية : أحدث تشومسكي بكتابه : (البُنى التركيبية، struc-tures syntaxiques سنة ١٩٥٧) ثورة عالمية في اللّسانيات المعاصرة، إذ تحدّث فيه عن النظرية اللّسانية، التي يجب أن تحلّل مقدرة المتكلّم على أن ينتج الجُمْل التي لم يسمعها من قبل، وعلى أن يتفهمها. وذلك انطلاقاً من قواعد ضمنية تمكّنه من توليد الجمل وتحويلها توليدا وتحويلا لامتناهيين. وإذا كان دي سوسور الأب الروحي للبنوية، فإن تشومسكي يعدّ الأب الروحي للتوليدية^(٢).

وركّز التوليديّون في دراسة النحو على البنية العميقة والجانب الضمني، والملاحظ أنّ تشومسكي تحدّث مثلاً عن العملّ والعامل والمعمول والرتبة، أي عن النظام والفاعل والمفعول، ورأى أنّ الجملة يمكن أن تكون سليمة من حيث النحوية أو القواعدية grammaticalité، التي تصف بطريقة ملائمة وضع ما هو مقبول في نحو ما، وما هو

١ - ديشوسير، دروس في الألسنية العاتمة، ص ١١٦، فما بعدها.

٢ - نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د/ حلمي خليل. الطبعة الأولى ١٩٨٥ م. الدار المعرفية الجامعية - الإسكندرية. ص ٢١، فما بعدها.

غير مقبول، وهي غير صحيحة من الناحية المنطقية المقبولة acceptabilité .

ورأى تشومسكي أنه لا بدّ من نظرية لممارسة التحليل اللسانيّ، وهذه النظرية تتكوّن من النحو التوليديّ، التحويليّ الكليّ، إذ اعتبر النظرية النحوية نظرية علمية يمكن تطبيقها على جميع اللّغات الطبيعية. فالنّحو إذن نظام من القواعد والمبادئ، والمبادئ المحدّدة لخصائص الجمل الشكلية والدلالية، حيث يستعمل في تفاعله مع مجموعة من الميكانيزمات الذهنية من أجل فهم لغة ما والتحدّث بها، فالنّحو العالميّ نظام من المبادئ والقواعد والشروط، أي عبارة عن عناصر وخصائص مشتركة بالنسبة لسائر لغات العالم^(١).

المبحث الثاني: التركيب النّحويّ بين علماء العربية قديماً، وأصحاب النظرية البنوية
بذل علماء اللّغة العربية جهوداً عظيمة في جمع مادّة اللّغة من مظانّها وتدوينها، ثمّ دراستها وتصنيفها إلى مستوياتها اللّغوية. يقول الدكتور خليل أحمد عمارة: « إنّ الناظر في المؤلّفات القديمة اللّغوية والنحوية يدرك قيمة هذا التراث الضخم الذي تركه لنا السلف، ويدرك أيضاً الجهد والمعاناة التي بذلها اللغويون والنحاة في جمع مادّتهم ودراستها والتمعّن فيها لتفعيد القواعد النحوية، ووصف الظواهر اللّغوية على حدّ لا يقلّ عمّاً يقوم به الباحثون اللّغويون المعاصرون، فقد قاموا بجمع كتيّة كبيرة من المعطيات (الشواهد) وتدوينها، ثمّ تصنيفها إلى مستويات لغوية: صوتية phonetice، وصرفية morphological، وتركيبية syntactic structures. ثمّ قاموا بوضع العناصر التي يمكن أن تكون في مجموعها نظرية لغوية متكاملة لا تقلّ عن النظريات اللّغوية لعلماء اللّغة المعاصرين في الغرب والشرق»^(٢).

فها هو ابن جنّي يصف اللّغة — أيّاً لغةٍ — وصفاً شاملاً، معرّفاً إيّاها، واضعاً الخصائص التي تنطبق على اللّغات جميعها، إذ قال: (أمّا حدّها فإنّها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم...) ^(٣). والمتتبع لأقوال علماء العربية، وآرائهم قديماً، يجد لديهم نظريات لغوية ناضجة جدّاً، متناثرة هنا وهناك في مؤلّفاتهم، لو جمعت لشكّلت ما لا يقلّ شمولاً، ونضجاً عن النظريات اللّسانية المعاصرة لكبار اللّسانيين^(٤).

١ - جون ليونز، نظرية تشومسكي اللّغوية، ص ١٠٥، فما بعدها.

٢ - خليل أحمد عمارة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللّغوي، ص ٢٩١.

٣ - الخصائص، ج ١، ص ٣٣.

٤ - يراجع المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللّغوي، ص ٢٩١.

هذا عموماً، أما خصوصاً فإنه بوصولنا إلى عالم اللغة العربية الكبير، صاحب نظرية (النظم = النحو التركيبي)، فإننا نجد نظرية لسانية متطورة جداً، جديرة بالتقدير والاحترام، صالحة للموازنة والمقارنة في هذا الإطار، هو عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ). الذي ألح كثيراً في كتابه (دلائل الإعجاز) على أنه لا نظم ولا ترتيب في الكلم إلا بتعلق بعضه ببعض حسب قواعد النحو العربي، وأن ترتبه في النطق يأتي إثر ترتب معانيه في النفس، وأن اللفظ تبع للمعنى. حيث يقول :

واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يُعَلَّقَ بعضها ببعض، ويُبنى بعضها على بعض، وتُجعل هذه بسبب من تلك. وإذا كان كذلك فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبها ما معناه وما محصوله. وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن نعتمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولاً، أو نعتمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر، أو تُتبع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفة للأول، أو توكيداً له، أو بدلاً منه... وعلى هذا القياس. بأن بذلك أن الأمر على ما قلناه من أن اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتاً وأصداء حروف لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر أن يجب فيها ترتيب ونظم^(١).

وانطلاقاً من هذه المعادلات اللسانية المتطورة جداً عند الجرجاني، يصح لنا القول بأن الجرجاني سبق (دي سوسير) بكثير إلى نظرية (النظم، أو المعنى، أو التّضام)، أي : نظرية (المعنى) التي تنشأ عن نظم الكلام، إذ اللفظ تبع للمعنى في النظم، أو تضام بعضه إلى بعض، حيث اللغة عند (دي سوسير)، وغيره من اللغويين المعاصرين هي : «ظاهرة اجتماعية مكوّنة من مجموعة من الرموز الصوتية أو الحروف المكتوبة التي لا معنى لها قبل تأليفها وانتظامها في مبانٍ صرفية»^(٢). وهذا نفسه هو ما عبّر عنه عبد القاهر الجرجاني، قبلهم بألف عام، كما رأينا في نصّه سالف الذكر.

١- دلائل الإعجاز، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، ص ٤٦.

٢- المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، ص ٢٩٢.

المبحث الثالث: التركيب النحوي بين علماء العربية قديماً، وأصحاب النظرية التوليدية كذلك أيضاً كان عبد القاهر الجرجاني، وعلماء العربية عموماً أسبق إلى النظرية النحوية التوليدية، من صاحبها (تشومسكي)، الذي يرى الجملة بؤرة الانطلاق في التحليل اللغوي، حيث تتعدّد الجمل عن طريق التقلب والتوليد، ممّا يفسح المجال لتوليد ألوان من التراكيب، والأساليب. وهذا ما برع فيه، وأبدع علماء العربية قديماً. يقول عبد القاهر الجرجاني، معبراً عن الموضوع نفسه :

«وذلك أن تحيي إلى اسمين يحتمل كلّ واحد منهما أن يكون مبتدأ، ويكون الآخر خبراً له فتقدّم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا. فأنت في هذا لم تقدّم.. على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير.. بل على أن تُخرجه عن كونه.. إلى كونه»^(١).

ويستعمل الجرجاني أيضاً في هذا المضمار مصطلحاً آخر، مُوازيّاً لمصطلح (النظم)، وهو (التعلّق)، أي : تعلق الألفاظ بعضها ببعض، لينتج المعنى المطلوب، كما هو حال النظم، حيث يقول :

«معلوم أن ليس النظم سوى تعلق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض. لا نظم في الكلم، ولا ترتيب حتّى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض، ويجعل بسبب من ذلك. واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت، فلا تُخلّ بشيء منها»^(٢).

وثقة الجرجاني العالية في نظريته اللسانية التركيبية هذه يجسدها قوله : «وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم وتفخيم قدره، والتنويه بذكره، وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ.. إلخ»^(٣).

١ - دلائل الإعجاز، ص ٨٠.

٢ - دلائل الإعجاز، ص ٤٦، ٦٢.

٣ - المصدر نفسه، ص ٦٢.

ونظرية التركيب النحوي هذه عند الجرجاني نجد جذورها بوضوح عند عالم عربيّ آخر كبير، من علماء القرن الرابع الهجري، هو أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، الذي يقول : «إنّ معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخي الصواب في ذلك، وتجنّب الخطأ من ذلك، فإن زاع شيء من هذا النعت فإنّه لا يخلو من أن يكون سائغاً بالاستعمال النادر، والتأويل البعيد، أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم»^(١).

إذن يمكن القول باطمئنان إنّ علماء العربية هم السابقون إلى مضمون النظريتين اللّسانيّتين : (البنويّة والتوليديّة)، وما أضافه أصحاب هاتين النظريتين من اللّسانيين المعاصرين الأجانب، هو تحديد المصطلحات، وترتيبها فقط، فالنظريّات اللّسانية المعاصرة، سابقة متجذّرة في الثقافة العربيّة بشكلها الناضج، المتكامل الحلقات، في جميع مستويات البحث اللّساني، ومستويات الكفاية فيه، من حيث ملاحظة الظواهر، ووصفها، وتفسيرها، منذ ألف عام، أو يزيد قبل أن تظهر في الغرب بشكلها المعاصر. مع التنبيه إلى أنّ دراسة المستوى الصوتي، كما هي الآن في ضوء الدراسات اللّسانية المعاصرة، قديمة عند العرب منذ القرن الثاني الهجري على أيدي علماء التجويد والقراءات.

الفصل الثاني: اللّسانيّون العرب المعاصرون والنّحو العربيّ - المواقف النظرية والمنهجية

يُعنى هذا الفصل بمناقشة مواقف اللّسانيّين العرب المعاصرين من مناهج النحويّين العرب القدامى، في بحثين اثنين، حيث تتلمذ اللّسانيّون العرب المعاصرون المثقّفون باللّغتين : الفرنسيّة والإنكليزيّة على اللّسانيّين الغربيّين والأمريكيّين في دراسة اللّسانيّات، وتأثّروا بمذاهبهم اللّسانية تأثراً كبيراً، خصوصاً المذهبين البارزين : البنوي والتوليدي، إذ كانت بصمات أصحابها بارزة في دراساتهم وبحوثهم اللّسانية، غير أنّ تأثرهم بها جاء متبايناً إلى حدّ كبير، ممّا أدّى إلى تباين مواقفهم النظرية والمنهجية، فمنهم من انبهر بها انبهاراً شديداً، ورآها مذاهب فريدة، يجب احتذاؤها وتبنيها

١ - عمّار ربيع / جامعة محمّد خضير بسكرة، مقال بعنوان : نظرية النظم في مفهوم عبد القاهر الجرجاني. منشور بمجلة الآداب واللّغات، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد الرابع، مايو ٢٠٠٥م.

بالكامل في دراسة النحو العربي، الذي كان يُدرس قديماً وفق مناهج ليست بالكافية حسب رأيهم!!.

ومنهم من رأى إمكانية الاستفادة منها وتوظيفها في دراسة النحو العربي، وإثراء بحوثه بما فيها من سمات مفيدة، مع تقديرهم لمناهج النحاة العرب القدامى، وإجلالهم لما قدّموه من دراسات للنحو عبر العصور، خصوصاً أنّهم قد سبقوا غيرهم في الدراسات اللسانية بألف عام، أو يزيد، وإن اختلفت المصطلحات والمناهج، كما سلف تبيانها في المبحث السابق، وأنّ النحو العربي يميّز بخصائص وسمات هي له خالصة، إذ ترعرع في أحضان القرآن الكريم وفي رحابه، من أجل خدمته والحفاظ عليه، ممّا أكسبه أصالة ورسوخاً في القواعد والأصول، وثباتاً في الجزئيات والفروع، وعمقاً وثراءً في المباحث، وتشقيق التفريعات. فهم لذلك يقدّرون جهود أولئك القدامى، وإن اختلفوا معهم في بعض المصطلحات والترتيبات، مع إجلالهم للجوهر والمنطلقات. والفريقان مع اختلاف مواقفهم النظرية والمنهجية فإنّهم جميعاً خدموا النحو العربي، لكن كلٌّ بطريقته ومنهجه.

المبحث الأوّل: تأثّر وانتصار

في مسلك الفريق الأوّل انبهار شديد، وتأثّر بالغ بمذاهب اللسانيّين الغربيّين، حسب رأيي. وفيما يلي بعضٌ من ملامح مسلكهم في دراسة النحو:

١ - الدكتور أحمد المتوكّل: العالم اللساني المغربي، صاحب المؤلّفات اللسانية العديدة^(١)، من أبرز ملامح مسلكه في دراسة النحو تبنيّه نظرية النحو الوظيفي، وهو المصطلح الذي حمل لواءه، وغلب على عنوانات مؤلفاته اللسانية، حيث يقول: «وتيّار وظيفي يحاول وصف بنية اللّغات الطبيعية، يربطها بما تؤدّيه هذه اللّغات من وظائف داخل المجتمعات البشرية.. ومن هذا المنطلق يسعى لسانيّو المنحى الوظيفي في إنجاز مشروع ذي شقين: إضاءة نسق اللّغة العربية صرفاً وتركيباً، واستعمالها فصحى ودوارج في مختلف القطاعات»^(٢).

١ - كالجملّة المركّبة في اللغة العربية، واللّسانيّات الوظيفية، مدخل وظيفي، والوظائف التداولية في اللّغة. مثلاً.

٢ - الدكتور حافظ إسمايلي علوي، الدكتور وليد أحمد العناتي، أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيّات حصيلة نصف قرن من اللّسانيّات في الثقافة العربية، ص ٣٥.

وقد وضع عدّة مبادئ أساسية للنحو الوظيفي، هي : (أداتية اللّغة، وظيفة اللّغة الأداة، اللّغة والاستعمال، سياق الاستعمال، اللّغة والمستعمل، القدرة اللّغوية، الأداة وبنية اللّغة، الأداتية وتطور اللّغة، الأداتية والكليات اللّغوية، الأداتية واكتساب اللّغة^(١)). كما اقترح منطلقاً في منهجية دراسة التراث اللّغوي، وتشكيل إطار نظريّ موحد يحلّ محلّ المناهج القديمة، حيث قال : «المنطلق في المنهجية التي نقترحها لقراءة التراث اللّغوي العربي هو أنّ المفاهيم المعتمدة في (علوم اللّغة العربية) تنزع إلى التوحد، وإن تعدّدت هذه العلوم، وإلى تشكيل إطار نظريّ يخلف الدراسات النحوية والبلاغية والأصولية والتفسيرية على حدّ سواء»^(٢).

ولم يكتف الدكتور المتوكل بهذا التنظير، بل قدّم تطبيقات عملية لنظريته (النحو الوظيفي) على الجمل العربية، مركزاً على تنميطها في إطار النحو الوظيفي، موضحاً بالأمثلة ما اقترحه من هذا التلويح للذي الجمل، التي قسمها إلى بسيطة ومركّبة، أكثر من تنميط المركّبة.

٢- الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري (وُلد ١٩٤٧م) : الخبير اللّساني الدولي المغربي، أستاذ اللّسانيات المقارنة، من أبرز أنصار المدرسة التوليدية التحويلية. من ملامح مسلكه في دراسة النحو حديثه عن أسباب عدم تعرّف الثقافة العربية بشكل كامل على البحث اللّساني بمعناه الحديث، إذ قال :

«المشكل الأساسي كان هو طغيان الفكر التراثي وعدم الخروج عن معطيات القدماء ومناهجهم، فالكثير من العناصر ما زالت تحول دون تحقيق التجديد والثورة الضرورين. وإنّ الأسباب الموضوعية التي تحول دون تحقيق نقلة نوعية يمكن أن نجعلها في طغيان الفكر المحافظ في اللّسانيات. وإنّ التراث الغني بأفكاره وأدواته جعل من الصعب اقتراح بديل له على المستوى الإجرائي، وما زلنا حبيسي معطيات القدماء، ولم ندخل معطيات جديدة... إنّ أوّل مدخل أساسي لتطوير اللّغة في الوقت الحاضر هو تطوير حوسبتها وإدخالها في النقاشات اللّسانية العامّة، كما نجد في كلّ اللّغات التي تريد أن تتقدّم»^(٣).

١- الدكتور أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللّغة العربية الوظيفي، ص ٩، فما بعدها، ٢٦، فما بعدها.

٢- الدكتور أحمد المتوكل، الجملة المركّبة في اللّغة العربية، ص ٧. ويراجع أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات حصيلة نصف قرن من اللّسانيات في الثقافة العربية، ص ٤١.

٣- أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات حصيلة نصف قرن من اللّسانيات في الثقافة العربية، ص ٩٦، ١٠٠.

وذكر جملة من العناصر رأى أنها تعترض سبيل التجديد في اللسانيات، هي: (تصوّر خاطئ للغة العربية، التجريبية الساذجة، ادعاء العلمية والمنهجية، تصوّر خاطئ للتراث)^(١). ثم عدّد ما رآه جملة من الأخطاء والأوهام تسرّبت إلى هذا التراث، تُلامس المناهج والمعطيات القديمة لدراسة التراث، التي بالإمكان الاستغناء عنها بمعطيات ومسالك حديثة^(٢).

٣- الدكتور داوود عبدة: العالم اللساني الأردني المتجوّل، أحد أنصار المدرسة التوليدية التحويلية، من أبرز ملامح مسلكه اللسانيّ مطالبته بإلغاء بعض الإعراب، وتبنيّ تدريس النحو الوظيفي للدارسين، الذي سيؤدّي تلقائياً إلى إلغاء معظم الإعراب التقليدي، وإحلال الإعراب الوظيفي محله، حسب رؤيته، حيث يقول: «المنحى الوظيفي في تدريس العربية هو تدريسها بطريقة تؤدّي إلى إتقان المهارات اللّغوية الأربع: فهم اللّغة مسموعة، وفهمها مقروءة، والتعبير الشفوي.. والتعبير الكتابي.. وبالتالي يقتصر في تدريسها على ما يحتاج إليه الطالب لإتقان المهارات الأربع: فهم اللّغة بشقيها فهماً عميقاً دقيقاً.. والتعبير الخالي من الخطأ بشقيه. وهذا ما يُلغي معظم الإعراب التقليدي تلقائياً، ويُجَلّ محله الإعراب الوظيفي»^(٣).

ووصولاً إلى ذلك اقترح بعضاً من التعديلات على خطط أقسام اللّغة العربية بالوطن العربي، أبرزها قوله: «إلغاء جميع مساقات (موادّ) النحو، وتدريس النحو الوظيفي بالطريقة الوظيفية التي اقترحتها من خلال النصوص، وهي تشمل إلغاء الإعراب التقليدي والاكتفاء بالإعراب الوظيفي، تخصيص موادّ لكلّ مهارة من مهارات اللّغة: فهم المسموع، وفهم المقروء، والتعبير الشفوي، والتعبير الكتابي، يُهتَم في كلّ منها بأهداف تلك المهارة، وبالوسائل التي تحقّق تلك الأهداف (قواعد تركيب الكلمة، وقواعد تركيب الجملة، وقواعد الكتابة...)»^(٤).

ومن هذا الفريق أيضاً الدكتور حمزة بن قبلان المزيني: أستاذ اللّسانيات السعوديّ،

١- الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيات واللّغة العربية، ص ٥٦ — ٥٨.

٢- المصدر نفسه، ص ٦١.

٣- أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات حصيلة نصف قرن من اللّسانيات في الثقافة العربية، ص ٦٦.

٤- المصدر نفسه، ٦٨.

أحد أنصار المدرسة التوليدية التحويلية، الذي من آرائه النحوية التي يصف فيها رؤية التفوق العربي في دراسة اللغة بالوهم، قوله : «ومن الأسباب الأخرى أنّ هناك وهماً بالتفوق العربي في دراسة اللغة، وهو ما يؤدي إلى وهم آخر يتمثل في أنّه لا يمكن لأحد أن يتجاوز ما أنجزه العلماء العرب الأقدمون في دراسة النظام النحوي للغة العربية»^(١). هذا مجمل آراء أصحاب هذا الفريق.

المبحث الثاني: الإفادة من مناهج اللسانيين الغربيين، مع الاحتفاظ بأصالة التراث وخصائصه

رأى أصحاب هذا الفريق إمكانية توظيف مذاهب اللسانيين الغربيين في دراسة النحو العربي، وإثراء بحوثه بما فيها من سمات مفيدة، مع تقديرهم لمناهج النحاة العرب القدامى، وإجلالهم لما قدّموه من دراسات في النحو عبر العصور، وما توصّلوا إليه من معطيات، وإن خالفوهم في بعض المصطلحات والترتيبات. ويبدو في نبرة بعضهم نقد لأصحاب الفريق الأوّل، إذ وصفوهم بالاستغراب الجامح، ومحاولة تطبيق ما تعلموه من مناهج ومعطيات غربية في دراسة التراث العربي، دون الأخذ في الاعتبار ما يميّز به هذا التراث الأصيل من خصائص وسمات. وفيما يلي عرض بعض من ملامح مسلكهم في دراسة النحو :

١ - الدكتور أحمد العلوي المغربي : أستاذ اللسانيات بكلّيات فاس، والرباط، وبني ملال، يصفُ التقليد الأعمى للسانيين الغربيين بما يُشبه (تجارة الماركات اللسانية)، حيث يقول : «واستولى عليهم هوس المتابعة الصحافية، ونقلوا النماذج، ولم يمارسوا بأنفسهم الحفر والحرث والدرس والحصاد، وبداء لهم أنّهم وحدان في الباب، وفاتهم أنّ بعض علمهم مذاهب متروكة عند أهلها، وأنّ البحث اللغوي في الغرب هو ثمرة حوار قائم عندهم كالحوار السياسي... لا يستطيع أحد أن ينكر أنّ اللسانيات المعاصرة تحمل في خلاياها وثنائها خصائص الممارسة اللغوية الأوروبية ومصطلحاتها، ولذلك فإنّ إمكان نشرها في الأوساط الأوروبية أسهل من إمكانه في الأوساط العربية. يضاف إلى ذلك أنّ اللغويين العرب ليسوا مشاركين في الحوار اللغوي الأوروبي الأمريكي، وإنّما هم متبصّعون. ولذلك فإنّ من العسير نقل

١ - أسئلة اللغة، أسئلة اللسانيات، حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، ص ٥٧.

اللّعبة اللّغوية؛ لأنّ ذلك يستوجب أن يكون الناقل عارفاً بأصولها، وهذا يستوجب أن يكون مشاركاً فيها»^(١).

٢- الدكتور مبارك حنون : أستاذ اللّسانيات في الجامعات المغربية، بيّن وجهة نظره في اللّسانيات المعاصرة بالوطن العربي، التي وصفها ب(الاغترابية)، قائلاً : «وهكذا نشأت في الثقافة العربية لسانيات اغترابية تميّزت بانثاقها في الغرب من لغاتهم لتطوير معرفتهم بأنساقها بغيّة الإسهام في تطوير ما يرتبط باللّغة من قطاعات صناعية واجتماعية وسياسية نشيطة، ثمّ اجْتُثّت من وسطها الطبيعي، ونُقلت إلى العالم العربي بغير أهدافها لانتفاء البيئة العلمية والصناعية المشابهة، فاللّسانيات في العالم الغربي شديدة التفاعل مع لغاته وثقافته، وهي فعّالة في مجالات مختلفة، لكنّها في العالم العربي متدافعة مع لغته وتراثه اللّساني، ومُعظّلة بالقياس إلى واقع أنشطته الصناعية والاجتماعية»^(٢).

٣- الدكتور مازن الوعر: باحث وأستاذ اللّسانيات بجامعة دمشق (وُلد ١٩٥٢م، بحمص)، من أنصار المدرسة التوليدية التحويلية، من أبرز مؤلّفاته اللّسانية كتاباه: (جملة الشرط عند النحاة والأصوليين في ضوء نظرية النحو العالمي لشومسكي، ١٩٩٩م)، و(دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللّسانيات المعاصرة، ٢٠٠١م). وقد وضح وجهة نظره من اللّسانيات المعاصرة، مبيناً أنّ الحداثة عندنا نحن العرب هي حداثة فوضوية :

«فهذا العلم ما يزال محض العقلية الغربية التي أنتجته، ووضعت مبادئه وأصوله، ونحن العرب نعرّف عليه من خلال الترجمة التي لا تخضع للضوابط العلمية، ولا تحكمها منهجية علمية أكاديمية، يضاف إلى ذلك أنّ الترجمات ليست متكاملة ومنسّقة. أمّا عندنا فالحداثة هي حداثة فوضوية؛ لأنّها نشأت من فراغ، ولم نأخذ بالحسبان ما فعله العرب القدماء، وما فعلته التراثات العالمية الأخرى»^(٣).

ورأى من الإساءة على اللّسانيات عموماً، وعلى اللّغة العربية خصوصاً، تطبيق النظريات الغربية على اللّغة العربية بشكل اعتباطي وغير مسؤول، إذ قال :

١- أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات حصيلة نصف قرن من اللّسانيات في الثقافة العربية، ص ٢٠، ٢١.

٢- المصدر نفسه، ص ١٧٤.

٣- المصدر نفسه، ص ١٢١.

«إنّ تطبيق النظريات الغربية على اللّغة العربية على نحو اعتباطي وغير مسؤول هو إساءة للنظرية اللّسانية المطبّقة، ثمّ هو إساءة للّغة العربية نفسها. والواقع أنّ الذي يحصل هنا أنّ أغلب الباحثين اللّسانيين العرب هم متخرّجون من أقسام اللّغات الأجنبية (الإنكليزية والفرنسية..) وأطّاعهم على اللّسانيات الغربية هو اطلاع واسع وعميق، ولكنّهم من جهة أخرى لا يعرفون لغتهم العربية، نحواً ودلالةً وصوتاً حقّ المعرفة. لذلك كانوا في الخمسينات والستّينات يطبّقون النظريات اللّسانية الغربية على اللّهجات التي يتكلّمونها، وبذلك لم تفز اللّغة العربية الفصحى من هذا بشيء. ولكن في السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات بدأ هؤلاء اللّسانيون يطبّقون هذه النظريات على اللّغة العربية الفصحى التي لا يعرفونها تمام المعرفة»^(١).

وقد قام مازن بمقارنة علمية متميّزة بين دراسة العرب القدماء لجملة الشرط العربية وتطبيق نظرية شومسكي النحوية عليها، وتوصّل إلى أنّ دراسة العرب القدماء لها كانت أفيد وأشمل، ممّا يجعل من الممكن سدّ النقص والفجوات المنهجية الحاصلة في نظرية شومسكي بالنتائج المتحصّلة عليها من دراسة العرب القدماء. إذ قال :

«أمّا في حالة نقص النظرية النحوية العالمية لشومسكي فإنّه يمكن أن تستفيد من نظريات العرب القدماء : النحاة والأصوليين إلى جملة الشرط العربية، من أجل أن نملاً الفجوات المنهجية الموجودة في نظرية شومسكي. إذ إنّ كثيراً من الفجوات المنهجية في هذه النظرية التي وجدت جواباً كافياً وشفافاً عنها في أعمال الأصوليين العرب عندما درسوا جملة الشرط العربية، فقد كان هدف الأصوليين هو التوصل إلى دلالة الجملة الشرطية من أجل التوصل إلى الحكم الشرعي الذي كان هدف دراساتهم، وهذا لم يُضمّنهُ شومسكي في نظريته. ذلك أنّ هدفه من دراسته للجملة عموماً هو معرفة سرّ المعرفة اللّغوية في الدماغ البشري... وإنّما هناك ربح على صعيد النظرية، وعلى صعيد المادّة اللّغوية»^(٢).

٤- الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح : العالم اللّساني الجزائري، (وُلد ١٩٢٧م، بوهْران)، الذي اتّهم اللّسانيين العرب المعاصرين بالتقصير وعدم محاولة اكتشاف ما عند نحاة العربية القدماء من مقاصد حقيقية في تحليلاتهم وأفكارهم النظرية،

١- المصدر نفسه، ص ١٢٤.

٢- المصدر نفسه، ص ١٢٥، ١٢٦.

التي أسسوا عليها مفاهيمهم النحوية، والتي لا وجود لبعضها في اللسانيات الغربية. حيث يقول :

والذي أراه، وهو خاصٌّ بي فهو أنَّ اللسانيَّين العرب في عصرنا متأثرون بالمذاهب الغربية، وهذا لا مفرَّ منه، إلَّا أنَّني لا أعلم أحداً منهم - والله أعلم - حاول أن يكتشف عند النحاة الأوَّلين مثل الخليل وسيبويه مقاصدهم الحقيقية في تحليلاتهم، والأفكار النظرية الأساسية التي بنوا عليها مفاهيمهم النحوية، مثل بناء الكلمة (وزنها)، وهو مفهوم تجهله تماماً اللسانيات الغربية (ومعرفة بعضهم له ترجع إلى أنَّه درس النحو العربية). وهناك مفاهيم علمية دقيقة كثيرة لا نجدها إلَّا عند النحاة الأوَّلين، وخاصَّة عند الخليل وسيبويه، ولا نجدها في اللسانيات الغربية الحديثة، ولم يتفطن لها الباحثون العرب في زماننا، منها مفهوم (اللفظة^(١))، وهي غير الكلمة وغير التركيب - لعمومه - ولمفهوم العامل أيضاً أهميَّة كبيرة. ثمَّ إنَّ أكبر حجة على صحَّة ما ندَّعيه هو أجود تحليل للغة، وأصحَّ وأقربه إلى الحقيقة هو الذي يقوم به اللغوي العبقريُّ بالنسبة إلى لغته التي نشأ عليها، والعبقريُّ بالنسبة إلى العربية هو الخليل، وكان له حظٌّ عظيم في أن ورثه وخلفه عبقريُّ مثله، وهو سيبويه. فالذي أنتقده وأنفر منه هو التهجُّم الشديد على نحاتنا الأوَّلين دون أن يُجرى بحث دقيق في ذلك يدوم السنين، كما أنفر من الاعتماد الكليِّ المطلق على مذهب واحد أو نظرية واحدة ونبذ ما سواها نبذاً^(٢).

كلام نفيس من عالم لسانيٍّ متمكَّن في مجال اللسانيات المعاصرة، يُنصف - مع ما قدَّمه أصحاب هذا الفريق - النحو العربيَّ القديم بالدِّفاع عنه وعن علمائه، والتدليل على تميُّزه بخصائص وسماتٍ بارزة، هي له خالصة دون غيره، مع فتح الباب واسعاً للإفادة من المناهج والنظريات اللسانية المعاصرة الأجنبية، دون الانبهار الشديد بها على حساب التراث العربي، ومحاولة إحلالها محلَّ ما قدَّمه علماء العربية القدماء من نظريات ومناهج شائخة جلييلة، وهذا - حسب رأيي - هو المنهج العلميِّ الرصين، الذي يُؤسِّس نتائج النظريات ومعطياتها على البحث الجادَّ والأدلة والبراهين.

١- المقصود باللفظة : « الاسم المفرد وما يدخل عليه، فليس قطعة كلامية جامدة، بل وحدة لها تصرف لا في صفتها الداخلية فقط، بل بدخول زوائده وخروجها، كأداة التعريف والمضاف إليه، وعلامة الإعراب، والتنوين والصفة». يراجع المصدر نفسه، ص ٩٣، حاشية المؤلِّف، رقم ١.

٢- المصدر نفسه، ص ٩٢ - ٩٥.

الفصل الثالث : النحو العربي بين القديم والحديث

سيناقش هذا الفصل مسألة صعوبة النحو العربي، ومحاولة تيسيره، وتسهيله، قديماً وحديثاً، في بحثين اثنين.

المبحث الأول : النحو العربي في القديم - الأسس النظرية والمنهجية

كثرت الدعوات التي نادى بتيسير النحو، وتسهيله، قديماً وحديثاً، وذلك بعد شعور أصحابها منذ وقت مبكر بصعوبة اللغة لامتسّ قواعده، ومسائله، فتحدّثوا عن ذلك، وقاموا بمحاولات عدّة هنا وهناك عبر العصور لتسهيله وتيسيره على الدارسين، نضجت وتكاملت حلقاتها على يد ابن مضاء القرطبي، حيث «ما إن ظهر كتاب سيبويه حتّى أدرك الأساتذة والطلّاب مدى صعوبة فهمه واستيعابه، فكان يقال لمن يريد قراءته : (هل ركبّت البحر؟)»^(١)، ثمّ توالى بعده مصنّفات لشرحه، وبيان نكته وأبنيته واختصاره»، والاعتناء بشواهد وشرح مشكلاته، واختصار شروحه^(٢).

فيذكر أنّ أبا عثمان المازني (ت ٢٤٩هـ) قال : «قرأ عليّ رجل كتاب سيبويه في مدّة طويلة فلمّا بلغ آخره قال لي : أمّا أنت فجزاك الله خيراً، وأمّا أنا فما فهمت شيئاً»^(٣).

وروي عنه أيضاً قوله^(٤) : «سألت الأخفش عن حرف رواه سيبويه عن الخليل في (باب من المبتدأ يضمّ فيه ما بُني على الابتداء)، وهو قوله : (ما أغفله عنك شيئاً، أي دع الشك)، ما معناه ؟ قال الأخفش : أنا منذ وُلدت أسأل عن هذا. وقال المازني : سألت الأصمعيّ وأبا زيد، وأبا مالك عنه فقالوا : ما ندري ما هو»^(٥).

وقد سجّلت لنا كتب التراث طرفاً ممّا كان يقع بين الأدباء والنحاة القدماء من وقت لآخر من احتكاك يُشعر باتّهام النحاة للأدباء بالقصور في معرفة قواعد النحو،

١- هذه المقولة للمبرّد، كان يقولها تعظيماً واستصعاباً لما فيه. يراجع الكتاب، ج ١، ص ٣٢.

٢- الكتاب، ج ١، ص ٣٧، فما بعدها، من القسم الدراسي. وتاريخ النحو العربي، ص ٥٦١.

٣- الكتاب، ج ١، ص ٢١، من القسم الدراسي. نقلاً عن مراتب النحويّين لأبي الطيّب اللّغوي، ص ٧٨.

٤- الكتاب، ج ١، ص ٣٢، من القسم الدراسي.

٥- يقول محقّق الكتاب عبد السلام هارون، ج ١، ص ٣٢، من القسم الدراسي : «قال السيرافي (في حواشي سيبويه، ج ١، ص ٢٧٩، بولاق) : لم يُفسّر هذا الحرف فيما مضى إلى أن مات المبرّد، وفشّره أبو إسحاق الزجاج بعد ذلك، فقال : معناه على كلام تقدّم، كأنّ قائله قال : ليس زيد بغافل، فقال المجيب : بلى ما أغفله عنك، انظر شيئاً، أي تفقّد أمرك. فاحتجّ به على الحذف، يريد حذف (انظر)، الناصب شيئاً».

وتهكّم الأدباء من قوانين النحو وقواعده. من ذلك مثلاً قول الجاحظ في أسلوب ساخر: «قلت لأبي الأخفش: أنت أعلم الناس بالنحو فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلّها؟ وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها؟ وما بالك تقدّم بعض العويص، وتؤخّر بعض المفهوم؟ قال: أنا رجل لم أضع كتبني هذه لله، وليست هي من كتب الدين، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه قلت حاجتهم إليّ فيها.. وإنّما كسبت في هذا التدبير، إذ كنت إلى التكتّيب ذهبت»^(١).

ومنه ما يُذكر عن الجاحظ من قول النحويين: «إنّ أفعل الذي مؤنّته فُعِل لا يجتمع فيه الألف واللام ومن، وإنّما هو بمنّ أو بالألف واللام، نحو: الأفضل وأفضل منك، والأحسن وأحسن من جعفر، ثمّ قال: وقد قال الأعشى^(٢):

فلست بالأكثرِ منْهم حصيّ وإنّما العِزّةُ للـ————كثيرِ.

يقول ابن جنّي: رحم الله أبا عثمان، أمّا إنّه لو علم أنّ (منّ) في هذا البيت ليست التي تصحب أفعل للمبالغة، نحو أحسن منك وأكرم منك لضرب عن هذا القول إلى غيره، ممّا يعلو فيه قوله، ويعفو لسداده وصحّته خصمه. وذلك أنّ منّ في بيت الأعشى، إنّما هي كالتي في قولنا: منّ الخيل كريم، فكأنّه قال: لست من بينهم بالكثير الحصيّ، ولست فيهم بالأكثر حصيّ. فاعرف ذلك»^(٣):

وترجع صعوبة النحو على الطّلاب والدارسين إلى مجموعة من الأسباب، من أبرزها^(٤):

- إقحام النحاة القدماء اللهجات العربية حين تعييدهم القواعد بصفاتها «وخصائصها المتباينة، ونظروا إليها على أنّها صور مختلفة من اللّغة المشتركة، ممّا خلق مشاكل معقّدة، أيسرها اختلاف الأقوال في المسألة الواحدة، ومحاولة التوفيق بين المذاهب والشواهد (المتباينة) والإكثار من الأمور الجائزة، وكثرة

١- الحيوان، الحلبي، ص ٩١. نقلاً عن صابر بكر أبي السعود، نقد النحو العربي، ص ١١.

٢- من رائيته التي يهجو فيها علقمة بن عُلاثة، ويمدح عامر بن الطفيل، في منافرة مشهورة جرت بينهما. يراجع مختار الشعر الجاهلي، ج ٢، ص ١٦٩.

٣- في نقد النّحو العربي، ص ١٤، ١٥. نقلاً عن ابن جنّي، الخصائص، ج ١، ص ١٨٦.

٤- مثلاً معاذ السّرطاني، ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص ٧٥، فما بعدها.

- التقسيمات والتشعيبات، والإسراف في وضع الشروط»^(١).
- نظرية العامل، التي بالغ النحاة فيها حقيقةً، كقولهم مثلاً: «لا يجتمع عاملان على معمول واحد (ذاكرٌ ونجح محمد) (و) الحرف لا يعمل في نوع من الكلمات حتّى يكون مختصّاً به (النصب بأنّ مضمرة بعد فاء السببية) (و) لا يعمل العامل في الاسم وضميره معاً (محمدًا ضربته)»^(٢).
- الإكثار من التأويل والتقدير «وحمل الأساليب العربية على غير ظاهرها (من ذلك مثلاً) تقدير (أنّ) مضمرة بعد الفاء ونصب الفعل (بأنّ) هذه، ثمّ اعتبار الفاء حرف عطف عطفت المصدر المؤوّل من (أنّ) المقدّرة ومدخولها.. وتقدير نحو: ذاكرٌ فتنجح، لتكون منك مذاكرةٌ فنجح.. إلخ»^(٣).
- يقول ابن مضاء: «ولم أحتج إلى إضمار ما الكلام تامّ دونه، وإظهاره عيٌّ مخالف لغرض القائل»^(٤).
- اعتناؤهم بالعلل الثواني والثالث في النحو، و«ذلك مثل سؤالهم عن زيد من قولنا: قام زيد: لم رُفع؟ وإجابتهم: لأنّه فاعل وكلّ فاعل مرفوع، ثمّ سؤالهم: ولمّ الفاعل؟ وإجابتهم: للفرق بين الفاعل والمفعول، ثمّ سؤالهم: ولمّ لمّ تُعكس القضية فينصب الفاعل ويرفع المفعول؟ وإجابتهم: بأنّ السبب أنّ الفاعل قليل، لا يكون للفعل إلّا فاعل واحد، فأُعطي الأثقل الذي هو الرّفع للمفاعل، وأُعطي الأخفّ الذي هو النصب للمفعول ليقُلّ في كلامهم ما يستثقلون»^(٥).
- الإكثار من الأقيسة النظرية، التي لا شواهد لها تُسندها من لسان العرب، كمنعهم مثلاً تقديم الفاعل على الفعل^(٦).

١- أحمد مختار عمر، البحث اللّغوي عند العرب، ص ١٤٦.

٢- المصدر نفسه، ص ١٤٧.

٣- المصدر نفسه، ص ١٤٨.

٤- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص ١٣١. نقلاً عن ابن مضاء، الرّدّ على النحاة، ص ١٤١.

٥- يراجع البحث اللّغوي عند العرب، مصدر سابق، ص ١٤٨. نقلاً عن ابن مضاء، الرّدّ على النحاة، ص ١٥١.

٦- يراجع في النحو العربي، مهدي المخزومي، ص ٧٢، ٧٣.

- الاهتمام ببعض الأمور التي لا دورَ لها في تقويم اللسان، ولا عصمته من الخطأ. من ذلك مثلاً اختلافهم في رافع المبتدأ والخبر، فقليل : كلاهما مرفوع بالابتداء، وقليل : الخبر مرفوع بالمبتدأ والابتداء معاً، وقليل : هما مُترافعان، كل واحد منهما مرفوع بصاحبه^(١).

وقد أحسَّ بعض العلماء والدارسين قديماً بهذه الصعوبة فقاموا بتأليف كتب، حاولوا فيها تيسير النحو وتسهيله، متحاشين الخوض في الأمور التي كانت سبباً في صعوبته، منها مثلاً :

١- (مقدمة في النحو) : تأليف خلف الأحمر (ت ١٨٠هـ)، استهلها بقوله : «لما رأيت النحويين وأصحاب العربية أجمعين قد استعملوا التطويل وكثرة العلل، وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلم المتبليغ في النحو من المختصر.. والمأخذ الذي يخفّ على المبتدئ حفظه ويحيط به فهمه، فأمعنت النظر والفكر في كتاب أوّلّفه، وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين ليستغني به المتعلم عن التطويل، فعملت هذه الأوراق، ولم أدع فيها أصلاً ولا أداة ولا حجة ولا دلالة إلاّ أملتيتها فيها، فمن قرأها وحفظها وناظر عليها علِم أصول النحو كله»^(٢).
ومن عنوانات هذه المقدمة :

- باب الحروف التي ترفع كلّ اسم بعدها، وهي : إنّما وكأنّما، وهل وبل وهو وأين..
- باب الحروف التي تنصب كلّ شيء أتى بعدها، وهي : رأيت وظننت وحسبت ووجدت..

- باب الحروف التي تخفض ما بعدها من اسم وأخبار مرفوعة، ويقال لها حروف الصفات، وهي : من وإلى وعن وعلى وتحت ودون ووراء.. وكلّ وبعض وغير.. وأطيب وأكتب وأفرس وأشجع...^(٣).

٢- (التفّاحة في النحو) : تأليف لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، وهو صغير الحجم، يقع في ثمانين ورقات من مخطوطة المكتبة المتوكّلية بصنعاء، ومفيد جداً لاحتوائه على

١ - يراجع الإنصاف في مسائل الخلاف، ج ١، ص ٣١.

٢ - يراجع البحث اللغوي عند العرب، الدكتور أحمد مختار عمر، ص ١٥٤. نقلاً عن المقدمة المذكورة.

٣ - يراجع المصدر والصفحة نفسها.

جميع مبادئ النحو وقواعده الرئيسية، وتجنّب الخلافات النحوية، واستناده إلى اللغة الأدبية المشتركة، مزوراً عن الخلافات اللهجية. وقد احتوى على واحد وثلاثين فصلاً، منها: باب أقسام العربية، باب الإعراب، باب رفع الاثنين، باب أقسام الفعل، باب الفاعل والمفعول به، باب الابتداء، باب حروف الخفض، باب الحروف التي تنصب الأسماء وترفع الأخبار، باب الحروف التي تنصب الأفعال المستقبلية^(١).

ومن هؤلاء من حاول تغيير نظام الجملة العربية كما رآها الخليل وسيبويه ومن سار على منهجها، ودعا إلى ذلك بدعوى أنّ جمهور النحاة بالغوا في اعتبار نظرية العامل، التي أدّت في نظر هؤلاء إلى جمود الدراسات النحوية، وعدم السماح بتطوّرها وانسيابها، فقدّموا جملة من الاقتراحات والإصلاحات لتيسير النحو وتسهيله على الدارسين، مشفوعة بنماذج من نقد مناهج النحاة الآخرين في التركيب النحوي. من هؤلاء مثلاً^(٢):

٣- أبو العباس أحمد بن محمد بن ولّاد المصري (ت ٣٣٢هـ): من أبرز المبادئ التي نادى بها هي أنّه لا يصحّ الطعن على العربيّ، أو رميه باللحن أو الخطأ أو تقديم القياس النظريّ - هو الذي لا شاهد له يُسنده من لسان العرب - على المادّة اللغوية المسموعة، التي يجب الوقوف عندها، ولا يجوز تصحيح ما لم يرد عن العرب بمقتضى القياس النظري، فهناك من الأساليب والكلمات ما يصحّ في القياس، ولكنّه لم يسمع، فيجب أن نقف عند ما قالته العرب ولا نغيّره. كما هاجم التأويل والتقدير، وأدّعاء الحذف والإضمار..^(٣).

٤- أبو العلاء المعريّ الشاعر المعروف (ت ٤٤٩هـ): ثار ثورة عارمة على مبدأ التأويل والتقدير، وانصبّ أغلب آرائه الإصلاحية على هذا الجانب، وأكثر من أمثلة النحاة للتدليل على ذلك، حيث «لم يكن هناك ما يغيظه أكثر ممّا كان يقرؤه ويسمعه من تأويلات النحاة وتكلفاتهم، وتخريجهم بعض الأبيات على غير حقيقتها للاستشهاد بها على آرائهم الخاصّة»^(٤).

١- يراجع المصدر نفسه، ص ١٥٥.

٢- يراجع المصدر نفسه، ص ١٥٦.

٣- يراجع المصدر نفسه، ص ١٥٦، ١٥٧.

٤- المصدر نفسه، ص ١٥٧.

٥- ابن حزم الأندلسي (ت ٦٥٤هـ) : العالم المفسر، الذي شكّل هجومه الكاسح على العِلل النحوية معظم آرائه الإصلاحية، حيث رآها « كلّها فاسدة لا يرجع منها شيء إلى الحقيقة البتّة، وإنّما الحقّ من ذلك أنّ هذا سمع من أهل اللّغة الذين يرجع إليهم في ضبطها، وما عدا هذا فهو (مع أنّه تحكّم فاسد متناقض) أيضا كذب؛ لأنّ قولهم : كان الأصل كذا فاستثقل فنقل إلى كذا.. شيء يعلم كلّ ذي حسّ أنّه كذب لم يكن قطّ، ولا كانت العرب عليه مدّة ثمّ انتقلت إلى ما سمع منها بعد ذلك.. أمّا التعمّق في علم النحو ففضول لا منفعة بها، بل هي مشغلة عن الأوكد ومقطعة دون الأوجب والأهمّ...»^(١).

٦- ابن مضاء الأندلسيّ أبو العبّاس أحمد بن عبد الرحمن بن محمّد (ت ٥٩٢هـ) : أبرز هؤلاء، الذي تكاملت حلقات هذه النقود على يده بتأليف كتابه : (الرّد على النحاة)، الذي انتقد فيه بشدّة نظرية العامل عند النحاة^(٢)، وأودعه فكره النحوي وآراءه الناقدة. وقد قام الدكتور شوقي ضيف بتحقيق هذا الكتاب، والتقديم له تقديمًا وافيًا، بيّن فيه نظرية ابن مضاء ومنهجه «في نقد النحو والنحاة». وكانت غاية ابن مضاء أن يحذف من النحو ما يستغنى النحويّ عنه، وأن ينبّه على ما اجتمعوا على الخطأ فيه، وتتحقّق هذه الغاية في رأيه بإلغاء نظرية العامل، وإلغاء العِلل الثواني والثالث، وإبطال القياس، وترك المسائل النظرية، وإسقاط كلّ ما لا يفيد في النطق»^(٣).

انتقد ابن مضاء بشدّة في هذا الكتاب مناهج النحاة القدماء في دراسة النحو، وحاول « توضيح منهجه النحويّ الجديد، وترسيخه في أذهان الدارسين والنحاة، والدعوة إلى اتّباعه في دراسة النحو .. لقد قام ابن مضاء بدراسة النحو دراسة وصفية بحثة تقوم على احترام النصّ اللّغويّ، والوقوف أمامه، وعدم تجاوزه أو تحميله من التأويلات ما لا يحتمل»^(٤).

١- المصدر نفسه، ص ١٥٨، ١٥٩.

٢- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص ١٠٠، فما بعدها.

٣- البحث اللّغوي عند العرب، ص ١٥٩.

٤- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص ٩٧، ٩٨.

وقد أُسس منهجه «هذا على أُسس وقواعد جديدة ومستقلّة خالف فيها الأُسس التي أقام عليها النحو التقليدي بنيانه وصرحه الشامخ، بل إنّه حارب تلك الأُسس والقواعد القديمة ودعا إلى هدمها، والتخلّي عنها حيث يصرّح بذلك في مستهلّ حديثه عن العامل بقوله : .. قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحويّ عنه»^(١).

لذلك أقام منهجه على أُسس بارزة، وهي :

- موقفه من نظرية العامل.
- موقفه من العِلل والسّماع والإجماع.
- موقفه من القياس والتقدير، وكلّ ما لم ير له ضرورة.

أ- موقفه من نظرية العامل

يبدو تأثّر ابن مضاء واضحاً « في موقفه من نظرية العامل بشكل خاصّ، ومن أُسس النحو التقليديّ بشكل عامّ، بمذهبه الفقهيّ الذي كان يدين به، حيث كان في مذهبه ظاهريّاً يقدّس النصّ اللّغوي، ويقف أمامه ويتمسّك بحرفيته، وعدم خروجه على معانيه الظاهرية، مع رفض كلّ ما ينتج عن تطبيق نظرية العامل في الدراسات النحوية، من تأويل وزيادة في النصّ اللّغوي الأصليّ ممّا ليس منه، فاللّغة في رأي الظاهرية مقدّسة وكاملة لا تحتاج إلى تعديل أو زيادة؛ لأنّها.. توقيفية، وأنّ العامل فيها هو المتكلّم نفسه، وليس شيئاً محدّوفاً يجب تقديره»^(٢).

ورفضاً منه لنظرية العامل استعرض أمثلة عديدة صالحة لطغيان العامل (حسب رأيه) في مباحث النّحاة القدماء، التي رفض فيها بشدّة مسائل التأويل والتقدير والإضمار والنقص والزيادة. فتناول مثلاً مبحث باب الاشتغال، فقال: «ولا يضمّر رافع، كما لا يضمّر ناصب، إنّما يرفعه المتكلّم، وينصبه إتباعاً لكلام العرب»^(٣).

وتحدّث عن العامل في مبحث التنازع، فرفض ما هو ثابت ومقرّر عند النّحاة القدماء، من أنّ « كلّ عامل لا بدّ له من معمول، كما لا يجتمع عاملان على معمول

١- المصدر نفسه، ص ٩٩. نقلاً عن الرّد على النّحاة، ص ٨٥.

٢- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص ١٠٠. عن المدارس النحوية، ص ٣٠٤.

٣- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص ١٠١. نقلاً عن الرّد على النّحاة، ص ١٥٠.

واحد، وكذلك كلّ مسند لابدّ له من مسند إليه. وقد بيّن رأيه في اضطراب الآراء في هذا الموضوع بقوله: (وأما أيّ الرأيين أحقّ، فرأي الكسائيّ ..) وهو يشير بذلك إلى ما قرّره الكسائيّ في هذا الباب من أنّه لا ضرورة لتقدير محذوف أو إضمار شيء؛ لأنّ المعنى تامّ، والكلام مفهوم، وقد ورد من النصوص اللّغوية عن العرب ما يؤيّد هذا الرأي^(١).
وتحدّث ابن مضاء صراحة عن بطلان العامل، وإنكاره، وفساد القول به، حيث قال: «فمن ذلك ادّعاؤهم أنّ النصب والخفض والجزم لا يكون إلّا بعامل لفظيّ، وأنّ الرّفْع منها يكون بعامل لفظيّ وبعامل معنويّ.. وذلك بين الفساد.. وأما العوامل النحوية فلم يقل بعملها قائل، لا ألفاظها ولا معانيها؛ لأنّها لا تفعل بإرادة ولا بطبع»^(٢).
وقد نقل نصّاً عن ابن جنّي رآه مؤيِّداً لما ذهب إليه في هذا المضمار، وهو قوله: «فأما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرّفْع والنصب والجزم، إنّها هو للمتكلّم نفسه، لا لشيء آخر»^(٣).

ب - موقفه من العلل والسّماع والإجماع :

- العلة في الفكر النحويّ قديمة بقدمه^(٤)؛ لأنّ «العرب قد نطقت على سجيّتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقامت في عقولها عللها، وإن لم ينقل ذلك عنها»^(٥).
وتحدّث ابن جنّي كثيراً في كتابه الخصائص^(٦) عن قضايا العلة والمعلول ومسائلها.
وقسمها ابن مضاء قسمين، أوّلها أسماء: العلل الأولى، التي «بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب المدرك بالنظر»^(٧). فهذه العلل فيما يبدو مقبولة عنده «على أساس أنّها تصف الظاهرة اللّغوية كما هي، وقد مثّل لها بقوله في الإجابة عن السؤال: (لم رُفِع زيد؟) في مثال (قام زيد): بأنّ (زيد) رُفِع لأنّه فاعل، فهذا التعليل عند ابن مضاء ممّا يخدم النصّ اللّغوي، ويؤدّي إلى معرفتنا بكلام العرب، أمّا إذا زاد السائل

١- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص ١٠١. نقلاً عن الرّد على النّحاة، ص ١٠٩.

٢- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص ١٠٤. نقلاً عن الرّد على النّحاة، ص ٨٥ - ٨٨.

٣- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص ١٠٤. نقلاً عن الرّد على النّحاة، ص ٨٧.

٤- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص ١٠٦. نقلاً عن عليّ أبي المكارم، أصول التفكير النحوي، ص ١٦٢.

٥- السيوطيّ، الاقتراح في علم أصول النّحو، ص ٣٨.

٦- مصدر سابق، ج ١، ص ١١٤، ١٦٤، ١٦٦، ١٧٣، ١٧٤، ١٨١، ١٨٣.

٧- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص ١١٠. نقلاً عن الرّد على النّحاة، ص ١٥٢.

وسأل عن سبب آخر أو علّة أخرى، فالصواب عند ابن مضاء أن يقال له : (كذا نطق به العرب، ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر)»^(١).

وثانيهما عنده هو ما أسماه العلل الثواني المستغنى عنها، إذ قال : «ومّا يجب أن يسقط من النحو العلل الثواني والثالث.. والعلل الثواني هي المستغنى عنها في ذلك، ولا تفيدنا إلاّ أنّ العرب أمّة حكيمة..»^(٢).

وهي عنده «على ثلاثة أقسام : قسم مقطوع به، وقسم فيه إقناع، وقسم مقطوع بفساده..»^(٣).

وختم ابن مضاء حديثه عن العلّة قائلاً : «ومّا يجب أن يسقط من النحو الاختلاف فيما لا يفيد نطقاً، كاختلافهم في علّة رفع الفاعل، ونصب المفعول، وسائر ما اختلفوا فيه من العلل الثواني وغيرها ممّا لا يفيد نطقاً»^(٤).

فابن مضاء بهذا لا يرفض العلل التي تستند إلى النصّ اللغوي وتخدمه، والتي يسمّيها العلل الأولى، أمّا التي لا تستند إلى نصّ فهي عنده فاسدة، غير مفيدة. وهذا حقيقة مقبول لوجهته، فيما أرى.

- موقفه من السماع في النحو : السماع هو أهمّ الأسس التي بنى عليها النحاة القدماء قواعد النّحو، وفرّعوا عليها مسائله. وكان موقف ابن مضاء منه «واضحاً وضوحه في التعليل، ولا غبار عليه، حيث إنّ احترام النصّ اللّغوي كما هو والتقيّد بالمسموع عن العرب يعتبر من الأسس القوية والمتينة التي قام عليها منهجه النحويّ الجديد»^(٥).

لذلك تحدّث عنه كثيراً في كتابه (الردّ على النحاة)، كما في قوله مثلاً في مسألة جواز رفع الاسم أو نصبه باب الاشتغال : «وهذا لا يجوز عندي، حتّى يسمع من العرب»^(٦)، وقوله في باب التنازع : «ورأيت في هذه المسألة وما شاكلها أنّها لا تجوز؛ لأنّه لم يأت لها

١- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص ١١١. نقلاً عن الردّ على النحاة، ص ١٥١، ١٥٢.

٢- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص ١١١. نقلاً عن الردّ على النحاة، ص ١٥١، ١٥٢.

٣- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص ١١١. نقلاً عن الردّ على النحاة، ص ١٥١، ١٥٢.

٤- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص ١١٣. نقلاً عن الردّ على النحاة، ص ١٦٤.

٥- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص ١١٥.

٦- المصدر والصفحة نفسها.

نظير في كلام العرب»^(١). وقوله في موضع آخر: «كذا نطقت العرب»^(٢).

- موقفه من الإجماع في النحو: الإجماع النحويّ حجة وأصل من أصول النحو عند نحاة العربية القدماء إذا تحقّق، يقول ابن جنّي: «اعلم أنّ إجماع أهل البلدين إنّما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص والمقيس على المنصوص، أمّا إذا لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه، وذلك أنّه لم يرد ممّن يطاع أمره في قرآن وسنة أنّهم لا يجتمعون على الخطأ، كما جاء النصّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم.. وإنّما هو علم منتزع من استقراء هذه اللغة»^(٣). ويقول السيوطي: «وإجماع العرب أيضا حجة، ولكن أنّى لنا بالوقوف عليه»^(٤).

والدليل على أنّ موقفه من الإجماع قريب من موقف ابن جنّي ما نقل عنه من قوله: «فمّا جاز خلاف الإجماع الواقع فيه منذ بُدئ بهذا العلم، وإلى هذا الوقت ما رأيته أنا في قولهم: (هذا جحرٌ ضبٌّ خرب)، فهذا يتناوله آخر عن أوّل، وتال عن ماض على أنّه غلط عن العرب.. وأمّا أنا فعندي أنّ في القرآن مثل هذا الموضع نيفاً على ألف موضع»^(٥).

يقصد ابن مضاء بهذا الاستدلال أنّ هذا الأسلوب لا يصحّ وصفه بالشذوذ، لوروده في لسان العرب، وإن أجمع النحاة القدماء على وصفه بذلك. وعليه فالإجماع المخالف للنصّ مُنخرم عنده، فاسد، غير مفيد. وفي الحقيقة من استند في تدليله إلى إمام العربية ابن جنّي فقد استند إلى أصل مكين، وارتكز إلى ركن ركين. فهو بهذا متمسك بالنصّ اللغويّ، متأثر بمذهبه الظاهريّ، الذي يحترم النصوص ويقدمها على ما سواها^(٦).

ج - موقفه من القياس والتقدير وكلّ ما لم يره مفيداً:

القياس قديم في الفكر النحوي، ودليل من أدلّته عند النحاة القدماء، يقول السيوطي: «اعلم أنّ إنكار القياس في النحو لا يتحقّق؛ لأنّ النحو كلّ قياس، ولهذا قيل

١ - المصدر والصفحة نفسها.

٢ - المصدر والصفحة نفسها.

٣ - الخصائص، ج ١، ص ١٨٩.

٤ - الاقتراح في علم أصول النحو، ص ٣٦.

٥ - الخصائص، ج ١، ص ١٩٢، والرّد على النحاة، ص ٩٥، ٩٦.

٦ - ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص ١٢٠.

في حدّه : النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو، ولا يعلم أحد من العلماء أنكره لثبوته بالدلالة القاطعة»^(١).

وعندهم «ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم»^(٢). لذا يقول ابن جنّي: «واعلم أنّ قوّة القياس عندهم اعتقاد النحويّين أنّ ما قيس على كلام العرب فهو عندهم من كلام العرب»^(٣).

وهو عندهم «حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه»^(٤).

وقد اتّسع نطاق القياس النحوي عبر العصور في مباحث النحاة حتّى تسرّبت إلى رحابه التمارين الصعبة، التي لا صلة لها بروح اللّغة، ممّا جعل ابن مضاء يرفضها ويعلق عليها كثيراً، من ذلك مثلاً قوله في باب التنازع: «ورأيت في هذه المسألة وما شاكلها أنّها لا تجوز؛ لأنّه لم يأت لها نظير في كلام العرب»^(٥). وقوله في باب الاشتغال: «ولم أحتج إلى إضمار ما الكلام تامّ دونه، وإظهاره عي، مخالف لغرض القائل»^(٦).

ومنه تعليقه على ما أورده النحاة من الأقيسة والمناقشات في بناء (فعل): «وهذا في مسألة واحدة، فكيف إذ أكثر من هذا الفنّ، وطال فيه النزاع.. والناس عاجزون عن حفظ اللّغة الفصيحة، فكيف بهذا المظنون المستغنى عنه؟»^(٧).

وهو يُلح كثيراً في رفض الأقيسة العقلية، القائمة على المشابهة والظنّ، كما في رفضه مثلاً قياس الخبر على النعت، حيث يقول: «أمّا قياس الخبر على النعت فليس بالبين؛ لأنّ حكميهما مختلفان»^(٨).

كما ينتقد بشدّة القياس النظري الذي تفقد فيه العلّة الجامعة بين المقيس والمقيس عليه، حيث يقول: «والعرب أمّة حكيمة، فكيف تشبّه شيئاً بشيء، وتحكم عليه بحكمه،

١ - الاقتراح في علم أصول النحو، ص ٣٩.

٢ - المصدر نفسه، ص ٣٢، ٤٤.

٣ - الخصائص، ج ١، ص ١١٤.

٤ - الاقتراح في علم أصول النحو، ص ٣٨.

٥ - ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص ١٢٦.

٦ - المصدر والصفحة نفسها.

٧ - المصدر نفسه، ص ١٢. نقلاً عن الردّ على النحاة، ص ١٦٤.

٨ - ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص ١٢٨. نقلاً عن الردّ على النحاة، ص ١٦٤.

وعلة حكم الأصل غير موجودة في الفرع، وإذا فعل واحد من النحويين ذلك جهل، ولم يُقبل قوله.. وذلك أنّهم لا يقيسون الشيء، ويحكمون عليه بحكمه إلا إذا كانت علة حكم الأصل موجودة في الفرع»^(١).

فهو بهذا يرفض القياس الذي لا يستند إلى نظير من كلام العرب، ويطلب بالغاء من النحو، مستنداً في ثورته هذه إلى أستاذه اللّغوي إمام العربية ابن جنّي، فيما أرى، الذي يسترشد في هذا المضمار بقوله : «إذا تعارضاً نطقاً بالمسموع على ما جاء عليه، ولا تقسه على غيره... واعلم أنّك إذا أدّك القياس إلى شيء ما، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره، فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه»^(٢).

كما أنّه في ذلك متأثر بشكل واضح بمذهبه الفقهي الظاهريّ الذي يعادي القياس صراحةً، ويشنّ على متّبعيه، ويرى أنّ الأخذ به يؤدّي إلى إحلال الحرام، وتحريم الحلال^(٣).

- الحذف والاستتار والإضمار مظاهر من مظاهر التقدير والتأويل، شاعت في الفكر النحوي منذ نشأته، غير أنّ ابن مضاء وقف منها موقفاً مخالفاً لما سار عليه النحاة القدماء إلى جانب النصّ اللّغوي، والاحتكام دائماً إلى المسموع عن العرب، وذلك على نقبض النحاة الأوائل الذين احتكموا والتزموا بما وضعوه من أسس وقواعد ثابتة لا تتغيّر.. وقد رأى.. أنّ التأويل وجميع مظاهره أثر من آثار فلسفة العامل التي رفض القول بها ودعا إلى إلغائها من النحو، ولذلك كان لا بدّ له من إلغاء ورفض ما جاء بعدها من آثار مختلفة»^(٤).

وقسّم ابن مضاء الحذف إلى ثلاثة أنواع، أولها يحتاجه النصّ ويخدمه، وهو واضح معلوم في ذهن المخاطب، حيث يقول : «والمحذوفات في كتاب الله تعالى لعلم المخاطبين بها كثيرة جداً، وهي إذا أظهرت تمّ بها الكلام، وحذفها أوجز وأبلغ»^(٥).

١- ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص ١٢٩. نقلاً عن الردّ على النحاة، ص ١٥٦، ١٥٧.

٢- الخصائص، ج ١، ص ١١٧، ١٢٥.

٣- ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص ١٢٧. نقلاً عن الأحكام في أصول الأحكام، ابن حزم القرطبيّ، ص ٤٩.

٤- ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص ١٣٠.

٥- ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص ١٣١. نقلاً عن الردّ على النحاة، ص ٨٨.

وثانيها لا يخدم النص ولا يحتاجه؛ لاستغنائه عنه، وعدم حاجته إليه، حيث يقول :
«والثاني محذوف لا حاجة بالقول إليه، بل هو تامّ دونه، وإن ظهر كان عيباً»^(١).

وثالثها وجوده محلّ بالنص، يغيّره عن مقصده، حيث يقول : «وأما القسم الثالث فهو مضمر إذا أظهر تغيّر الكلام عما كان عليه قبل إظهاره»^(٢).

ويختتم حديثه عن هذا التقسيم قائلاً : «وادّعاء الزيادة في كلام المتكلمين من غير دليل يدل عليها خطأ بين»^(٣).

كما يرفض الاستتار، ويراه ضرباً من التأويلات، مجانباً للصواب، حيث يقول : «ومما قالوا فيه ما لم يفهم، وأضمرُوا فيه ما يخالف مقصد القائل أبواب نصب الفعل»^(٤).

ثم ختم هذه المناقشة بضرورة إسقاط ما لا فائدة فيه للتحو من الاختلاف، قائلاً :
«ومما يجب أن يسقط من التحو الاختلاف فيما لا يفيد نطقاً»^(٥).

في الحقيقة هذا الكتاب (الرّد على النحاة) كتاب قيم، احتوى كثيراً من الآراء الجادة والجريئة المتميزة، المفيدة لخدمة الدرس التحوي، إذ قدّم دراسة وصفية للتحو في أحضان النصوص، غير بعيدة عنها، وأرى أنّ بصماته كانت واضحة على مناهج اللسانيّين العرب المعاصرين، وأنّه من أهمّ مصادر الثورة الحديثة على وُعورة مناهج القدماء في دراسة التحو العربيّ، وحامل لواء الصّيحات المعاصرة الدّاعية إلى تيسير التحو وتسهيله.

المبحث الثاني : التحو العربيّ في العصر الحديث - الأسس النظرية والمنهجية

مستويات الكفاية في البحث اللّساني هي: الكفاية في ملاحظة الظاهرة المدروسة، والكفاية في وصفها، والكفاية في تجريبها وتفسيرها. وذلك باعتبار الكفاية في البحث اللّساني « التمكن من اللّغة والقدرة على استعمالها»^(٦) أو «مجموع المعارف اللّسانية لدى

١ - ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص ١٣٢. نقلاً عن الرّد على النحاة، ص ٨٩.

٢ - المصدر والصفحة نفسها.

٣ - ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص ١٣٢. نقلاً عن الرّد على النحاة ص ٩٢.

٤ - ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص ١٣٢. نقلاً عن الرّد على النحاة، ص ١٤٢.

٥ - ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص ١٣٣. نقلاً عن الرّد على النحاة، ص ١٦٤.

٦ - الدكتور محمد محمد يونس علي، مقال بعنوان : الكفاية اللّغوية والكفاية التخاطبية. على الشبكة المعلوماتية.

المخاطب، تمكّنه من فهم وإنتاج عددٍ لانهائيٍّ من الجمل»^(١).

وقد تحقّقت مستويات الكفاية في البحث اللّساني، وتجلّست في جهود الباحثين المعاصرين، مع كثير من الميل إلى الدقّة والعمق في البحث، ورصانة التحليل وجودته، وقوّة التخطيط والتنظير، في جميع مستويات البحث اللّغوي، حيث تعدّدت النظريات اللّسانية وتلوّنت، فكانت البنيوية، والتوليدية من أبرزها، اللّتان كان لهما انتشار واسع بين الباحثين العرب المعاصرين، إذ انتصر لكلّ منهما أجيال وصفوف من العلماء والباحثين الكبار، الذين تلوّنت بحوثهم اللّسانية بمبادئ هاتين النظريتين، حيث صُبغت جهود البنيويّين بصبغة المستوى الكفائي الملاحظيّ، والمستوى الكفائي الوصفيّ، أي مستوى الكفاية في ملاحظة الظاهرة المدروسة، والكفاية في وصفها، وذلك باعتبار النظرية البنيوية نظرية وصفية، حيث تُحلّل اللّغة انطلاقاً من مسلّمة أنّها شكل قبل كلّ شيء، ووسيلة للتّواصل أو التعبير.

بينما صُبغت جهود التوليديّين بصبغة المستوى الكفائي التفسيريّ التجريديّ، أي مستوى الكفاية في تجريد الظاهرة وتفسيرها، باعتبار النظرية التوليدية نظرية تجريدية تفسيرية، تُحلّل اللّغة وتُفسّرُها انطلاقاً من مسلّمة أنّها مجموعة جُمْل، كلّ جملة منها تحتوي على شكل صوتيّ، وعلى تفسير دلاليّ ذاتيّ، مُعطيةً الأسبقية للجوهر والبنية العميقة، دون أن تُهمَل البنية السطحية، أي المعنى الظاهر للّغة^(٢).

وأرى أنّه كان من مظاهر هذا التمكن من مستويات الكفاية في البحث اللّساني، في جميع مستويات البحث اللّغوي، ما قدّم من جهود كبيرة في العصر الحديث لغرض تيسير النّحو العربي وتسهيله، بعد أن ارتفعت صيحات من بعض العلماء والباحثين، مناديةً بضرورتها. وقد أخذت هذه الأصوات تنحو منحنيين اثنين - فيما أرى - أحدهما يمثّل ثورة عنيفة على النّحاة القدماء، ومناهجهم في دراسة النّحو العربيّ، مع شيء من التفاوت في حدّة نبرة هذه الثورة، والآخر أخذ مساراً هادئاً، حفظ فيه للقدماء فضلهم، مع إقراره بالحاجة الماسّة إلى تسهيل النّحو وتيسيره. وفيما يلي توضيح ذلك :

١ - محمد الدريج المغربي، مقال على الشبكة المعلوماتية، بعنوان : الكفاية ومفاهيمها. والتعريف أصلاً منقول من كتابه : الكفايات في التعليم من أجل تأسيس علميّ للمنهاج المندمج.

٢ - العربي اسليمانيّ، إشكالية المنهج في اللّسانيات الحديثة. منشور بتاريخ ٢٧ / ١٠ / ٢٠٠٧م. في موقع (أنفاس نت)، من أجل الثقافة والإنسان). والأسس الإستمولوجية للنظرية اللّسانية البنيوية والتوليدية، ص ٢٢٠.

أصحاب المنحى الأول: تعددت جهود أصحاب هذا المنحى، وسأكتفي بإلقاء الضوء على مثالين اثنين منها، تَقَارَبَا في التوجُّه والطرح، هما :

أ- المجامع العربية: ركزت بعض المجامع العربية على تغيير جذريّ في ألقاب الإعراب ومصطلحاتها، والاستغناء عن كثير من قضاياها المعروفة عند النحاة القدماء، غير أنها بذلت «جهوداً طيبة في سبيل الحفاظ على اللغة العربية والعناية بقواعدها. وفي مجمع اللغة العربية في مصر تُحقّق هذه الجهود بعض ثمارها من خلال الأبحاث التي تقوم المجلّة المتخصّصة التي يُصدرها المجمع، وهي (مجلّة اللغة العربية) بالإضافة إلى ما يقوم به المجمع من جهود ثقافية وتبادل الآراء حول متابعة مسار اللغة الفصحى... ومما قدّمه مجمع اللغة بمصر لتيسير النحو بعض الاقتراحات التي قدّمت للمؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية في دمشق في منتصف الخمسينيات»^(١).

وقد تلخّصت هذه الاقتراحات في الآتي ^(٢) :

- وجوب الاستغناء عن الإعراب التقديرّي والإعراب المحليّ.
- لا يؤمن المجمع بما يسمّى بالعلامات الفرعية، فالعلامات الأصلية للإعراب والعلامات الفرعية، كلّ علامة في موضعها تعدّ أصلاً.
- توحيد ألقاب الإعراب وألقاب البناء.
- الجملة العربية تنقسم إلى موضوع ومحمول، ولا داعي للمبتدأ والخبر، والمسند إليه والمسند، والفعل والفاعل.
- إلغاء الضمير المستتر جوازاً أو وجوباً.
- المتعلّق العام لا يُقدّر.
- كلّ ما يُذكر في الجملة غير الموضوع والمحمول هو التكملة.
- في مجال علم الصرف رأيت .. أن أكثر مسائله من بحوث فقه اللغة التي لا يحتاجها البادئ، بل لا يصل إليها فهمه، كالإعلال والإبدال والقلب، وتنقل الكلمة في موازين مختلفة حتّى تصل إلى هيئتها في النطق^(٣).

١- صابر بكر، في نقد النحو العربي، ص ٥١.

٢- أعمال الإدارة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية، بعنوان (المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية)، دمشق ١٩٥٦م.

٣- في نقد النحو العربي، ص ٥١، ٥٢. نقلاً عن أعمال الإدارة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية، بعنوان : (المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية)، دمشق ١٩٥٦م.

وقد عقد المجمع اللغوي في مصر أولى جلساته في أواخر سنة ١٩٣٤م، وحدّد أغراضه في :

- أن يحافظ على سلامة اللّغة العربية، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدّمها، وملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر.
- أن يقوم بوضع معجم تاريخي للّغة العربية.
- أن ينظّم دراسة علمية للّهجات العربية الحديثة، وأن يبحث كلّ ماله شأن في تقدّم اللّغة^(١).

- كما استهدف المجمع اللغوي في مصر منذ نشأته عدّة أمور عامّة، أبرزها :
- توسيع أقيسة اللّغة العربية، وتبسيط قواعدها النحوية والصرفية، وتيسير كتابتها وإملائها، والعناية بخطّها.
- تحقيق المخطوطات العلمية العربية، والعناية بها وبألفاظ الحضارة.
- تشجيع الإنتاج الأدبيّ.
- تطوير مادّة اللّغة العربية لمسايرة مستحدثات العلوم والفنون.
- درس المصطلحات العلمية والفنيّة درساً دقيقاً مستأنياً.
- بحث النصوص القديمة^(٢).

وختم مجمع اللّغة العربية قراراته فيما يخصّ قواعد النحو والصرف والإملاء بمبدأ انتهى إليه سنة ١٩٤٥م، مفاده أنّ «كلّ رأي يؤدّي إلى تغيير في جوهر اللّغة وأوضاعها العامّة لا ينظر إليه، وأنّ المهمّة هي تيسير القواعد»^(٣).

ب- الدكتور شرقي ضيف: ضمّن الأستاذ شوقي ضيف فكره في تيسير النحو وتسهيله في كتابه : (تجديد النّحو)، وفي هذا المضمار كانت بينه وبين المجمع اللّغوية العربية في عصره علاقةً متبادلة، خصوصاً بمجمع اللّغة العربية بمصر، لذلك نجده يستهلّ كتابه هذا بقوله :

١- في نقد النحو العربي، ص ٥٢. نقلاً عن أعمال (المؤتمر الأوّل للمجامع اللّغوية العلمية)، دمشق ١٩٥٦م..

٢- في نقد النحو العربي، ص ٥٢، ٥٣. نقلاً عن أعمال (المؤتمر الأوّل للمجامع اللّغوية العلمية)، دمشق ١٩٥٦م.

٣- في نقد النحو العربي، ص ٥٣. نقلاً عن أعمال (المؤتمر الأوّل للمجامع اللّغوية العلمية)، دمشق ١٩٥٦م.

«وكانت الصيحات ترتفع منذ أكثر من أربعين عاماً مطالبةً بتيسير النحو وتخليصه ممّا فيه من تعقيد وعسر شديد، وتألّفت لذلك لجنة بوزارة المعارف (التربية والتعليم الآن)، وكتبت تقريراً مسهباً ضمّنته مقترحاتها للتيسير المنشود، ودرس مجمع اللّغة العربية في مؤتمره سنة ١٩٤٥ م هذه المقترحات، وأدخل عليها بعض التعديلات»^(١).

والأسس التي وُضع عليها كتابه هذا لتجديد النّحو هي ستّة أسس، هي :

- إعادة تنسيق أبواب النحو.
- إلغاء الإعراب التقديريّ والمحليّ.
- إلغاء من الإعراب ما لا يُحتاج إليه في تصحيح نطق.
- وضع ضوابط وتعريفات دقيقة.
- حذف زوائد كثيرة.
- إضافات متنوّعة.

وبهذا يتبيّن لنا أنّ جهوداً كبيرة قد بذلت على هذا المنوال في سبيل تسهيل النحو وتيسيره، ومع ذلك فإنّه لم يكتب لها النجاح كما أراد أصحابها، بل ذهبت أدراج الرياح؛ وذلك لما حوته من وجهة نظري من هجوم حادّ، وثورة كاسحة على جُلّ ما وضعه النحاة القدماء من قواعد وضوابط لدراسة النحو العربيّ، رسخت في أذهان الناس عبر العصور الممتدّة، وارتبطت بإجلالٍ وتعظيمٍ للقدماء وإنتاجهم الفذّ.

أصحاب المنحى الثاني: جهود أصحاب هذا المنحى أخذت مساراً هادئاً، حفظت فيه للقدماء فضلهم، وجهودهم العظيمة، مع إقرارها بالحاجة الملحة إلى تسهيل النحو وتيسيره. وسأكتفي بإلقاء الضوء على مثالين اثنين منها، هما :

أ- الدكتور صابر بكر أبو السعود: في كتابه : (في نقد النحو العربي)، يعدّ من الذين أدلوا بدلوهم بين الدّلاء في موضوع تيسير النحو وتسهيله، مرّكزا على ما تعرّض له النحو العربي عبر العصور من نقْدٍ حادّ لا مسوِّغ له من وجهة نظره، مدافعاً عن ما وضعه القدماء من قواعد وقوانين. حيث يقول في مقدّمة هذا الكتاب :

«لم يعرِض لعلم من علوم العربية ما عرض للنحو العربي من نقد، وبالغ النّقاد كثيراً

١ - تجديد النّحو، مصدر سابق، ص ٣، ٤.

في هجومهم على النحو العربي، لم ينصفه منصف، وإنّا كالوا له بميزان غير العادل، وأغفلوا الجهود المثمرة التي خلفها النحاة في مراحل مختلفة، ودخل ميدان النقد كثيرون من غير المتخصصين، فلم يسلم النحو ولا النحويون من نقدهم... وفي نظري أنّه لا يوجد علم تعرّض لما تعرّض له النحو العربي في عصور مختلفة، وضاق البعض بهذا العلم الذي يمثّل ثمرة من ثمار الفكر العربي... ومن دواعي الأسف أنّ الذين يوجّهون نقدهم السلبيّ إلى النحو العربي من العرب، بينما نجد الجامعات في الغرب والشرق وفي الولايات المتحدة تقوم بعمل دراسات لهذا العلم»^(١).

وهو يرفض إلغاء الإعرابين: التقديري والمحليّ، حيث يقول: «وقد قلنا إنّ الاستغناء عن الإعراب التقديري أمر لا يتفق وطبيعة العربية التي تفرّق بين الاسم المتمكّن في باب الاسمية، والأمكن في هذا الباب، والاسم المتمكّن غير الأمكن، والاسم المبنيّ، أي غير المتمكّن، وقلنا إنّ إلغاء الإعراب التقديريّ يفصل بين العلاقة بين الأصل والفرع. ففي قولنا: هذا هُدًى: هذا مبنيّ على السكون في محلّ رفع، وهذا ليس بتعقيد»^(٢).

وما قاله من إعجاب الأجانب بصنيع نحاة العربية القدماء هو ما أكّده المستشرق الألماني (يوهان فك) بقوله: «ولقد تكفّلت القواعد التي وضعها النحاة العرب في جهد لا يعرف الكلل، وتوضحية جديرة بالإعجاب بعرض اللّغة الفصحى وتصويرها في جميع مظاهرها، من ناحية الأصوات والصيغ، وتركيب الجمل، ومعاني المفردات على صورة شاملة، حتّى بلغت كتب القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد»^(٣). وتلك حقيقة لا مرأى فيها، ولا تحتاج الاستدلال عليها بكلام المستشرقين لإثبات صحتها.

ب - الدكتور عبده الرّاجحي: في كتابه: (التطبيق النحوي^(٤))، يُعدّ من أبرز من حاولوا تيسير النحو العربي وتسهيله، بعرضه في منهج مبسّط، يحترم ما وضعه القدماء من ضوابط وقوانين، الذين نال إنتاجهم في نظره نصيباً وافراً من الحيف وعدم

١ - المصدر نفسه، ص ٤ - ٥.

٢ - المصدر نفسه، ص ٦٠، فما بعدها.

٣ - كتابه: العربية دراسة في اللّغة واللهجات والأساليب، ترجمة الدكتور عبد الحليم النّجار، ص ٢.

٤ - الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد، الطبعة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، الرياض.

الإنصاف. حيث يقول :

«وذلك وحده كافٍ أن نطرح من فكرنا تشكيك الناس في النحو العربي، وعلينا أن نبحث عن الداء في موطن آخر. والمتتبعون لتاريخ العربية في العصر الحديث يعلمون أنها تعرّضت لخطة مدروسة تستهدف القضاء عليها من خلال القضاء على نحوها، وظلّت هذه الخطة تعمل عملها حتّى وقر في أذهان الناس أنّ النحو العربي صار جامداً لا يساير العصر، وأنّ علينا أن نبحث عن نحو جديد، وظهرت إلى الوجود تجارب من هنا وهناك ماتت الواحدة منها بعد الأخرى، وظلّ النحو العربي هو هو دون أن يصل المخطّطون إلى ما ييغون من القضاء عليه»^(١).

ويرى أنّ الداء اليومَ كامنٌ في طريقة تدريس النحو العربي بمدارسنا، وأنّه من الضروريّ تدريسه في مظانّه القديمة، مع التركيز على الجوانب التطبيقية، حيث يقول : «على أنّنا لا ينبغي أن ننكر أنّ طريقة تدريس النحو في مدارسنا وفي جامعاتنا غير صالحة في نقل ما وضعه النحاة إلى الناشئة والدارسين، ولعلّ ضعف مدرّس العربية ثمرة من ثمرات التخطيط الذي أشرنا إليه منذ قليل»^(٢).

ثمّ بيّن منهجه في كتابه قائلاً : «وقد قسمناه بابين، أوّلهما عن الكلمة، وثانيهما عن الجملة، ثمّ ألحقنا به قسماً خاصّاً عن بعض المتفرّقات التي لها استعمالات معيّنة بالإضافة إلى نماذج إعرابية. ويرى الدارس أنّنا نعتمد في عرض المادّة النحوية على المصطلحات القديمة، مع شرح ما تعنيه هذه المصطلحات بالأمثلة الموضّحة، وطريقة إعراب كلّ مثال، ثمّ ذيلنا كلّ قسم بتدريبات من القرآن الكريم. وغنيّ عن البيان أنّ هذا الكتاب لا يعرض لشرح أبواب النحو جميعها على طريقة الكتب التفصيلية، وإنّما يهدف إلى تقديم الاستعمالات المختلفة للجملة، مع تحليلها تحليلاً نحوياً تطبيقياً»^(٣).

وقد أشفع بحوثه المشار إليها ببعض التنبيهات والتدريبات، وأكثر من التمثيل بالأساليب العربية الرفيعة السهلة، مُزَوِّراً عن التعرّض للخلافات والمذاهب النحوية. وفيما يلي أعرض نموذجاً من موضوع (الإعراب الظاهر والإعراب المقدّر) عنده،

١- المصدر نفسه، ص ٧، ٨.

٢- المصدر نفسه، ص ٨، ٩.

٣- المصدر نفسه، ص ٩.

للقوف على ملامح منهجه. حيث يقول :

«لعلك لاحظت في الأمثلة السابقة أننا أعربنا كلمة بأنها مرفوعة بالضمة الظاهرة، وأخرى بأنها منصوبة بالفتحة الظاهرة، وثالثة بأنها مجرورة بالكسرة الظاهرة، وهكذا. وهذا النوع هو الذي نسميه الإعراب بالعلامات الظاهرة. وأنت تعلم أن الحرف الأخير من الكلمة هو محل الإعراب، ومعنى ظهور العلامة عليه أنه صالح لتلقي هذه العلامة. لكن هناك كلمات لا تظهر عليها علامة الإعراب التي يقتضيها موقعها في الجملة، ولا يرجع عدم ظهور العلامات إلى أن هذه الكلمات مبنية، بل إلى أسباب أخرى، وهذا النوع من الإعراب نسميه الإعراب بالعلامات المقدرة، والعلامات المقدرة قد تكون حركات، كما قد تكون حروفا»^(١).

وبهذا أرى أن هذا المنحى أفضل منهج لتسهيل الدرس النحوي، وتيسيره على الدارسين المبتدئين والمتوسطين، حيث يعرض النحو في منهج تطبيقي مبسط، خالٍ من التعقيد، والخوض في الأمور التي لا يحتاجها الدرس النحوي كثيراً، محافظاً على اصطلاحات القدماء، وما وضعوه من ضوابط وقوانين، رسخت في أذهان الناس عبر العصور، حتى أصبح من العسير تقبل إلغائها لدى العلماء والباحثين والدارسين.

١ - المصدر نفسه، ص ٢٧.

الخاتمة

لست هنا بقاصدٍ تلخيص ما ورد في هذه الدراسة من شتات المادّة، وما توزّع في أطرافها من نتائج، لكن بعد الترحال الطويل، والمسير بين دروبها أودّ الوقوف فقط عند أهمّ نقاطها، وضّم بعضها إلى بعض في إيجاز شديد، بيّدت أنّه يكفي لإبراز أهمّ ملامحها، ولملمة أطراف اتّجاهاتها. إذ تبيّن في المستهلّ أنّه في مطلع القرن الثامن الهجريّ دخلت الصحراء الشنقيطية مجموعة من قبائل بني حسان العربية، التي أجلاها ملوك بني مرين من جنوب المغرب، وكان هذا العهد بداية انتشار للغة العربية بالصحراء الشنقيطية، وبدأ عهد جديد للاح بالحضور العربي، وإحلال العربية محل الأمازيغية.

وبدأ النشاط العلمي بالصحراء الشنقيطية في المدن التاريخية منذ نشأتها في وقت مبكر من الفتوحات الإسلامية، والتي اندثر بعضها، وبقي بعضها الآخر شاهداً على إسهامها الكبير في الإشعاع الثقافي عبر العصور، وكانت هذه المدن أهمّ المراكز الثقافية والدينية في الصحراء، مُسهِمة بنصيب وافر من هذا الإشعاع.

واهتمّ الشناقطة اهتماماً كبيراً بتشييد المحاضر العلمية، التي علا شأنها وذاع صيتها بسيطرة بني حسان على البلاد، ورجحان كفة العربية والتعرّب في القرن الثامن، ومطلع التاسع الهجري، وتطوّرت بشكل ملحوظ، وازدهرت ازدهاراً كبيراً في القرن العاشر الهجري، ثم بلغ هذا الازدهار أوجه في القرون الأربعة الموالية حتّى أضاء ربوع الصحراء الشنقيطية كلّها، وامتدّ إشعاعه خارجها إلى بعض الحواضر العربية الإسلامية في إفريقيا وآسيا.

وقد أنجبت هذه المحاضر كثيراً من العلماء الكبار، الذين كانوا رافداً حيّاً للثقافة العربية الإسلامية ببلاد شنقيط، وخارجها ببعض الحواضر الإسلامية، إذ سافر كثير منهم إليها، وأصبحوا بها سفراء للثقافة العربية الإسلامية، أساتذة محاضرين، مؤلّفين في مراكز العلم والثقافة، ومثّل خريجوها ذاكرة الصحراء الشنقيطية وعبقريتها أحسن تمثيل في استظهار العلوم المحظرة، وضبطها.

وانتقل ثقل الدراسات النحوية بشكل واضح من المشرق إلى المغرب والأندلس في القرنين : الخامس والسادس الهجريين، حيث ظهر بهما كوكبة من العلماء اللامعين، انتشر النحو على أيديهم، وبفضل جهودهم تدريساً وتأليفاً، وفي القرن السابع الهجري

أنتج شيخ النحويين بالأندلس محمد بن مالك الجبالي (ت ٦٧٢هـ) مذهباً نحوياً متميزاً بسماته وخصائصه، ثم انتقل هذا المذهب إلى بلاد شنقيط، التي احتضنته محاضراتها خير احتضان، وتوطدت معالمه في رحابها، وبين ربوعها.

ولا يعلم بالضبط متى حلّ النحو العربي ببلاد شنقيط، غير أنّه من الممكن - من وجهة نظري - أن يؤرّخ لبداياته بها مع ظهور الإشعاع الثقافي بالمدينتين المندرجتين بشرق صحراء شنقيط :

- أوْدَعَسْتُ، العاصمة القديمة للصنهاجيين، التي فتحها المرابطون سنة ٤٤٦هـ .

- وكُومِي صالح، عاصمة دولة غانة القديمة، حيث كان النشاط العلمي والديني بهاتين المدينتين المندرجتين مشهوداً في القرن الرابع الهجري، وعليه فلا يستبعد أن يكون النحو ضمن هذا النشاط.

كما أنّ معلّمي شنقيط الأوائل: عبد الله بن ياسين (ت ٤٥٠هـ)، والإمام الحضرمي (ت ٤٨٩هـ)، وإبراهيم الأموي (ت ٥٢٠هـ)، كانوا فقهاء مدرّسين، وأصحاب حلقات علمية، قدموا إلى البلاد من أجل بثّ العلم، فمن المحتمل جداً أن يكون النحو ضمن المعارف التي اهتمّوا ببنائها في المجتمع. وفي القرن السادس الهجري قدّم يحيى الكامل - جدّ قبيلة المحاجيب - إلى ولاته، وهو رجل علم وصلاح، وكان قدومه إليها محطة بارزة في حركة الإشعاع الثقافي، وفي القرن نفسه أيضاً « تصدّعت أركان مملكة غانا تحت ضغط أمراء صوصو فهاجر علماءها إلى ولاته ».

وقد اعتمدت الثقافة العربية الإسلامية عموماً، والدراسات النحوية خصوصاً ببلاد شنقيط في بدايات نشأتها وتكوّنها على الروافد المعرفية الوافدة إليها من المغرب والأندلس أولاً، ثم مصر، وفيما يخصّ النّحو أخذت المؤلّفات تصل من هذه الأقطار إلى البلاد في أوقات مبكرة، متفاوتة، عن طريق العلماء والقوافل، وأقدم متن نحويّ عرفته بلاد شنقيط هو متن الملحة للحريريّ (ت ٥١٦هـ)، ثمّ متن الأجرّوميّة لابن آجرّوم الصنهاجيّ (ت ٧٢٣هـ)، ومؤلّفات ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، ومؤلّفات ابن مالك (ت ٧٦٩هـ) النحوية، وعبد الرحمن المكوّديّ (ت ٨٠٧هـ)، وفريدة السيوطي (ت ٩١٥هـ). غير أنّ الحديث عن الدرس النحوي لم يُلحظ بالبلاد إلّا في القرن التاسع الهجريّ.

وكان أول من ألف في النحو ببلاد شنقيط هم أربعة علماء : محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب بن الفقيه المختار التيمبكتي (ت ١٠١٤هـ)، وأحمد بابا التيمبكتي (ت ١٠٣٦هـ)، وعبد الله الملقب اندعبد الله بن سيدي أحمد المحجوبي الولاتي (ت ١٠٣٧هـ)، وسيدي أحمد بن اندغ محمد بن أحمد التيمبكتي (ت ١٠٤٥هـ).

وخطا النحو العربي ببلاد شنقيط خطوات عدّة، من النشأة، إلى النضج والاكتمال، إلى الازدهار والانتعاش، لذا أمكنني تصنيفه إلى مراحل أربع، تميز بعضها عن بعض، وهي : مرحلة البدايات والنشأة : (من القرن الخامس إلى نهاية القرن العاشر الهجري)، ومرحلة التأسيس والنضج : (في القرنين : الحادي عشر والثاني عشر للهجرة)، حيث أخذت حركة التأليف في هذين القرنين في الانتعاش والتمدد، ومالت إلى التأسيس لنشاط نحوي كبير في البلاد، اتسم بالنضج والاكتمال، وترعرع في أحضان المحاضر، واتسع نشاطه وتمدد بين ربوعها.

ومرحلة الازدهار وانتعاش الحواشي والاجتهاد (في القرنين : الثالث عشر والرابع عشر للهجرة)، حيث ظهر في هذا الطور عند النحويين إطلاق العنان للاجتهاد، وحرية التفكير، فكان من مظاهر ذلك أن ازدهرت البحوث النحوية بانتعاش الحواشي وتمددتها، وظهرت الشروح الموسوعية، خاصة على مؤلفات ابن مالك النحوية باهتمام باد، وعناية أكبر، وإن نال غيرها من المتون حظا لا بأس به من هذه الشروح والحواشي، لكن بعناية أقل.

ثم مرحلة المراجعة للتراث النحوي، وتحقيقه (في القرن الخامس عشر الهجري)، حيث انصب في هذه الحقبة عمل بعض العلماء والباحثين الشناقطة في الدراسات النحوية على مراجعة التراث، وتحقيقه، ونفض الغبار عنه، وتنقيحه وإخراجه في ثوب حسن يليق به، لحفظه وتأمينه، وتسهيله على الطلبة والدارسين؛ لأن أغلبه للأسف ما يزال مخطوطا، معرضا للضياع، والسقوط من يد الزمن. وهو توجه ما يزال محدودا، لصعوبة التعامل مع المخطوطات، وقلة الإمكانيات، وفقد المؤسسات المهمة بهذا التراث المجيد.

هذا التراث الغزير، الذي استطعت أن أترجم - ترجمات موجزة غالبا- في دراستي هذه ل(واحد وستين ومائتي ٢٦١) عالم نحوي، مؤلف، أحصيت لهم من التأليف

النحوية (اثنين وخمسين وأربعمائة ٤٥٢)، من ضمنها كثير من الموسوعات. مع العلم أنني لم أتمكن من حصر المؤلفين جميعهم، ومؤلفاتهم النحوية، لاستحالة ذلك إلى حد الآن.

وانتقل مركز ثقل الدراسات النحوية ببلاد شنقيط من المنطقة الشرقية إلى المنطقة الغربية الجنوبية (الكِنْبَلَة) في القرن الثالث عشر الهجري، وذلك بازدهار الدراسة النحوية على يد شيخ النحاة ببلاد شنقيط، المختار بن بونا (ت ١٢٢٠ أو ١٢٣٠ هـ)، وجهود العلماء النابيين من طلبته، وتلاميذهم.

وقد شاع في النحو العربي على نطاق واسع ببلاد شنقيط سمات بارزة، أبرزها ظواهر الأنظام، والطَّرَر، والملخصات، والألغاز، والأحاجي، والمناظرات، والطُّرف، والاستدراكات النحوية.

وتبيّن في الدراسة أنّ مصادر النحو العربي ببلاد شنقيط لم تختلف عن مصادر النحو العربي عموماً، المتمثلة في القرآن الكريم وقراءاته، والحديث الشريف، وكلام العرب شعراً ونثراً، وأقوال العلماء وآرائهم.

وكان لخدمة القرآن الكريم أثر بارز متميّز في النشاط النحوي عند الشنقيطيين، فعلوم العربية عندهم قامت من أجل تفسيره، وفهم مضامينه، كما هو الحال عند غيرهم من المسلمين، وقد تلوّنت خدمتهم إيّاه، فكان من ضمنها إعرابه وتصريفه، إمّا في كتب خصّصوها لإعرابه، وإمّا ضمن كتب التفسير، فجاء الإعراب فيها يشكّل لونا من ألوانه المتعدّدة، واعتنوا بالقراءات القرآنية اعتناء كبيراً، سواء أكانت متواترة أم شاذّة، حيث توسّعوا في الاحتجاج بها لإثبات الأحكام النحوية، واحتجّوا لها من أجل توثيقها وتأصيلها، كما امتزجت البحوث النحوية لديهم ببحوث العلوم الشرعية الأخرى، خدمة لها. وذلك لأنّ النحو العربي نشأ نشأة عربية خالصة، وترعرع في أحضان القرآن العظيم من أجل خدمته والدفاع عنه، وتبيان كنوزه، والوقوف على إعجازه، وإظهار جمال أسرارهِ، ممّا جعل أثر هذه الأداة واضحاً، قوياً في بحوث العلوم الشرعية جميعها.

وقد انحسر ازدهار نشاط التأليف النحوي ببلاد شنقيط بشكل ملحوظ في القرن الخامس عشر الهجري، إذ انصبّت جهود الباحثين والدارسين على مراجعة التراث وتحصيله، ودراسته وهضمه بالمحاضر، التي تقلّص عددها، وقلّ تميّز الباقي منها في

البلاد بشكل كبير، وذلك بسبب عوامل التحضر، والجفاف المستمر، والهجرة من الريف إلى المدينة، ومزاحمة التعليم العصري الشديدة للتعليم الأصلي، والبحث عن الوظائف، وعدم اعتناء الدولة الرسمية بالمحاضر وتراثها، وكثرة المغريات والحواجز المشوشة، غير أنّ تعلق الشناقطة بأجداد المحظرة، وحبهم الكبير تراثها الشامخ ظلّا صامدين أمام هذه العوامل، فبقي الاعتناء بالنحو مستمراً على استحياء بين العلماء والدارسين.

ولعلم اللسانيات الحديثة حضور متفاوت في إنتاج الباحثين الشناقطة، حيث كان لهم إسهام معتبر في دراسة الأصوات، ومخارجها وصفاتها، إذ جهودهم فيها جليّة القدر، وهي امتداد لجهود علماء العربية عبر العصور، كما كان لهم إسهام دون ذلك بالبحث في المستويات: التركيبية والصرفية والدلالية، حيث تحدّثوا عن وسائل السبك النحوي والمعجمي، ومراحل آلية الكشف عن الوصول إلى البنية الكبرى للنصّ، وما تخضع له بعض هذه المراحل من الخطوات الإجرائية، والقواعد الأساسية. ومع هذا فإنّ جهود الشناقطة اليوم في اللسانيات الحديثة تبقى متواضعة إلى حدّ كبير.

وحظي النحو العربي واللسانيات الحديثة، والنحو العربي بين القديم والحديث أيضاً بنصيب لا بأس به من البحث والدراسة.

ونال النحو ضمن الاهتمام الكبير بقضايا اللغة الإنسانية قديماً وحديثاً نصيباً وافراً من اعتناء اللسانيين العرب المعاصرين بالبحث في مسائله وقضاياها، الذين اختلفت طرقهم ومناهجهم اللسانية حسب مشاربهم، فكان منهم من تأثر تأثراً بالغاً باللسانيين الغربيين، مقلداً إياهم تقليداً مبالغاً فيه، وكان منهم من رأى إمكانية الاستفادة من مناهج هؤلاء الأجانب، وتوظيفها في دراسة النحو العربي، وإثراء بحوثه بما فيها من سمات مفيدة، مع تقديرهم لمناهج النحاة العرب القدماء، وإجلالهم لما قدّموه من دراسات للنحو العربي عبر العصور، الذي يميّز بخصائص وسمات هي له خالصة، إذ ترعرع في أحضان القرآن الكريم وفي رحابه، من أجل خدمته والحفاظ عليه، ممّا أكسبه أصالة ورسوخاً في القواعد والأصول، وثباتاً في الجزئيات والفروع، وعمقاً وثراءً في المباحث وتشقيق التفرعات، وإن اختلفوا معهم في بعض المصطلحات والترتيبات، مع إجلالهم للجوهر والمنطقات.

وقد أحسَّ العلماء والباحثون العرب منذ وقت مبكر بصعوبة بالغة تلامس قواعد النحو العربي ومسائله، فتحدّثوا عن ذلك وقاموا بمحاولات عدّة هنا وهناك عبر العصور لتسهيله وتيسيره على الدّارسين، نضجت وتكاملت حلقاتها على يد ابن مضاء القرطبيّ. وفي العصر الحديث ارتفعت صيحات من بعض العلماء والباحثين، منادية أيضاً بهذا التيسير، وأخذت هذه الأصوات تنحو منحنيين اثنين - فيما أرى - أحدهما يمثّل ثورة عنيفة على النحاة القدماء ومناهجهم في دراسة النحو العربيّ، مع شيء من التفاوت في حدّة نبرة هذه الثورة، والآخر أخذ مساراً هادئاً، حفظ فيه للقدماء فضلهم، مع إقراره بالحاجة الماسّة إلى تسهيل النحو وتيسيره، فعرض النحو في منهج تطبيقيّ مبسّط، خالٍ من التعقيد، والخوض في الأمور التي لا يحتاجها الدرس النحويّ كثيراً، مُحافظٍ على اصطلاحات القدماء، وما وضعوه من ضوابط وقوانين.

والحمد لله ربّ العالمين أولاً وآخرأ. ١٤ / ٠١ / ٢٠١٥ م.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً - المصادر المطبوعة

- أبو البقاء العكبري، عبد الله بن الحسين :
- ١. التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي محمد الجاوي. بيروت: دار الشام للتراث. ج ٢.
- أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي :
- ٢. منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور، تحقيق الدكتور الهادي المبروك الدالي. بنغازي: دار الكتب الوطنية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- أبو حيان التوحيدي :
- ٣. المقابسات، تعليق الدكتور علي شلق. بيروت: دار المدى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.
- أبو حيان النحوي الأندلسي، محمد بن يوسف :
- ٤. البحر المحيط في التفسير، مراجعة صدقي محمد جميل. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٢هـ-١٩٩٢م. ج ١٠.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني :
- ٥. سنن أبي داود، تحقيق صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٤هـ-١٩٩٤م. ج ٤.
- أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي :
- ٦. فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، تحقيق الدكتور محمود يوسف فجّال. الإمارات: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م. ج ٢.
- إبراهيم أنيس الدكتور :
- ٧. دلالة الألفاظ. مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة ١٩٨٠.
- إبراهيم السامرائي الدكتور :
- ٨. المدارس النحوية أسطورة وواقع. عمّان: دار الفكر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
- أبوزيد محمد بن أبي الخطّاب القرشي :

٩. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق الدكتور محمد علي الهاشمي. منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠١هـ-١٩٨١م. ج ٢.
- أبو سعيد البراذعي خلف بن أبي القاسم محمد الأزدي القيرواني :
١٠. التهذيب في اختصار المدونة ، تحقيق محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ ، مراجعة أحمد علي الأزرق. دبي ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث : الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م. ج ٤.
- أبو الطيب اللغوي :
١١. مراتب النحويين، تحقيق محمد بن أبي الفضل إبراهيم. القاهرة : دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٩٥٥م.
- أحمد بن الأمين الشنقيطي:
١٢. الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم. بيروت : مؤسسه الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م. ج ٦.
١٣. الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، بعناية فؤاد سيد. القاهرة : مكتبة الخنجي، الطبعة السادسة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- أحمد أبوبكر الإمام :
١٤. اشتغال العامل عن المعمول بين تباين النظريات النحوية وغمائز الأساليب القرآنية. انواكشوط. بدون بيانات نشر.
- أحمد أمين الدكتور :
١٥. ضحى الإسلام. بيروت : دار الكتاب العربي، الطبعة العاشرة. ج ٣.
- أحمد بن الحسن الدكتور :
١٦. الشعر الشنقيطي في القرنين ١٢ - ١٣ هـ. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية.
- السيد أحمد زيني دحلان :
١٧. شرح الآجرومية. الكويت : شركة غراس للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- أحمد شلبي الدكتور:
١٨. موسوعة التاريخ الإسلامي. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة ٢٠٠٠.

- أحمد المتوكل الدكتور :
- ١٩ . الجملة المركبة في اللغة العربية، الدكتور أحمد المتوكل. الرباط : منشورات عكاظ، الطبعة الأولى ١٩٨٩ م.
- ٢٠ . دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي. الدار البيضاء : دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦ م.
- أحمد فال سيدي القلاوي :
- ٢١ . دعوة المرابطين في صحراء شنقيط حتى قيام دولتهم في المغرب. نشر المؤلف، ومحمد محمود ولد محمد الأمين، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ-٢٠٠١ م. مكتبة يوسف بن تاشفين والإمام مالك. الإمارات/ موريتانيا.
- أحمد مختار عمر الدكتور :
- ٢٢ . البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر. القاهرة : عالم الكتب، الطبعة ١٩٨٨ م.
- أحمد بن محمد المامي يعقوبي :
- ٢٣ . تقريب طرّة ابن بونا على ألفية ابن مالك في النحو. انواكشوط ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦ م.
- ج ٢.
- أحمد بن محمد يحيى :
- ٢٤ . فهرس مخطوطات شنقيط ووادان، تحقيق أولريج ريجتوك. لندن : مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٤١٧ هـ-١٩٩٧ .
- الإدريسي أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي :
- ٢٥ . نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. بيروت : ١٩٨٩ م.
- إسلامو بن محمد الهادي :
- ٢٦ . موريتانيا عبر العصور، جمع وترتيب حلقات التاريخ الموريتاني. بدون بيانات نشر.
- إسماعيل حقي البرسوي :
- ٢٧ . روح المعاني في تفسير القرآن. بيروت : دار إحياء التراث العربي ، الطبعة السابعة ١٩٨٥ م.
- الأنباري، أبو البركات كما الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد :

٢٨. الإعراب في جدل الإعراب، تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني. بيروت : دار الفكر، الطبعة الثانية سنة ١٩٧١م.
٢٩. مُع الأدلة في أصول النحو، تحقيق الأستاذ عطية عامر. بيروت : المطبعة الكاثوليكية، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٣م.
٣٠. نزهة الألباء، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. القاهرة : سنة ١٩٦٧م.
٣١. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيّين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر. ج ٢.
- إميل بديع يعقوب الدكتور :
٣٢. المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية. بيروت : دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م. ج ١٤.
- أنيس فريحة الدكتور :
٣٣. اللهجات وأسلوب دراستها. بيروت: دار الجبل، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- أولريخ :
٣٤. فهرس مخطوطات النعمة وولاته، الإعداد الأولي أولريخ، فهرسه أحمد ولد محمد يحيى، حققه إبراهيم شبّوح. لندن : مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ابن أبي زرع أبو جعفر أحمد الأنيس :
٣٥. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. الرباط : دار المنصور للطباعة والوراقة ١٩٧٣م.
- ابن بطوطة أبو محمد عبد الله اللواتي الطنجي :
٣٦. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروف بالرحلة، تحقيق محمد عبد المنعم العريان. بيروت : دار إحياء العلوم ١٩٩٦م.
- ابن جنّي أبو الفتح عثمان :
٣٧. الخصائص، تحقيق محمد علي النجّار. بيروت : دار الهدى للطباعة والنشر، الطبعة الثانية. بدون تاريخ. ٣ مجلدات.
٣٨. اللّمع في العربية، تحقيق حامد المؤمن. بيروت : عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٩. سرّ صناعة الأعراب، تحقيق الدكتور حسن هندراوي. دمشق : دار القلم، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م. مجلدان.
٤٠. موسوعة حياة موريتانيا - الحياة الثقافية - لابن حامدن - طبعة ١٩٩٠، الدار العربية للكتاب.
٤١. موسوعة حياة موريتانيا - التاريخ السياسي - لابن حامدن - بيروت : دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
٤٢. ٤٢- حياة موريتانيا الجغرافية. جامعة محمد الخامس، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، معاجم وموسوعات. بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ابن حمدون الطالب ابن الحاج :
٤٣. حاشية ابن حمدون على شرح عبد الرحمن المكوّدي لألفية ابن مالك. دار الفكر للطباعة والنشر. ج ٢.
٤٤. حاشية الطّالِب بن حمدون بن الحاج على شرح بحرق على لامية الأفعال لابن مالك. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي :
٤٥. صورة الأرض. بيروت : دار صادر ١٩٢٨م.
- ابن خروف أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عليّ الحضرمي الإشبيلي :
٤٦. شرح كتاب سيبويه المسمّى تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب، تحقيق محمد خليفة بريري. طرابلس: منشورات كلّية الدعوة الإسلامية، ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٢٥ ميلاد الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ١٩٩٥ افرنجي. السلسلة ٢١.
- ابن خلدون، عبد الرحمن :
٤٧. تاريخ ابن خلدون. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م.
٤٨. مقدّمة ابن خلدون، تحقيق حامد الطاهر. القاهرة : دار الفجر للتراث، الطبعة الثانية ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- ابن عبد البرّ أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي :

٤٩. الاستذكار، تعليق سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض. بيروت : دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون. ج ٩.

- ابن عذارى المراكشي :

٥٠. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق جي أس كولان وليفي بروفنسال، ما عدا الجزء الرابع بتحقيق إحسان عباس. بيروت : دار الثقافة ١٩٩٨ م.

- ابن عقيل أبو محمد بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي :

٥١. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة:

مكتبة دار التراث، الطبعة الثانية. ج ١. ومنتخب ما قيل في شرح ابن عقيل،

للشيخ محمد البقاعي. بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٩ هـ

١٩٩٨ م. ج ٤. وتحقيق الدكتور إميل بديع يعقوب. بيروت : دار الكتب العلمية،

منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م. ج ٢.

- ابن مالك، أبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجيائي :

٥٢. شرح الكافية الشافية ، تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود.

بيروت : دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. ج ٢.

- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم:

٥٣. لسان العرب. بيروت : دار صادر. بدون تاريخ.

- ابن هشام الأنصاري جمال الدين :

٥٤. شرح قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. توزيع دار

الفكر العصرية.

٥٥. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله.

بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م. وبحاشية

الشيخ محمد الأمير. القاهرة : دار إحياء الكتب العربية. ج ٢.

- ابن يعيش موفّق الدين بن علي :

٥٦. شرح مفصل الزمخشري ، تصحيح مشيخة من الأزهر الشريف. مصر: منشورات

إدارة الطباعة المنيرية. ١٠ ج.

- أنجبنان، المختار بن محمد، الحيتلي :

٥٧. أُسّ الإسلام، تحقيق محمد عبد الرحمن بن محمد . بيروت : دار الوسام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- باحثون بالمدرسة الوطنية للإدارة :
٥٨. تقرير عن المحاضرة الشنقيطية. طبعة المدرسة الوطنية للإدارة ١٩٨١م. انواكشوط.
- البخاري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني :
٥٩. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م. ١٨ ج.
- بدّي ولد ابنو :
٦٠. أودية العطش (رواية) الدار البيضاء : منشورات عرفان، بالتعاون مع المجمع الفرنسيّ للدراسات العربيّة والبحوث الفلسفية.
- البرتلي الطالب محمد بن أبي بكر الصديق الولاقي :
٦١. فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق الدكتور جمال بن الحسن، وعبد الودود بن عبد الله. مصر: طبعة دار نجيويه .
- البغدادي، عبد القادر بن عمر :
٦٢. خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب. بيروت : دار صادر، الطبعة الأولى. بدون تاريخ.
- البكري أبو عبيد:
٦٣. المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب. القاهرة : دار الكتاب الإسلامي. بدون تاريخ.
- البّناء، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدميّاطي :
٦٤. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة، تصحيح أنس مهرة. بيروت : دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م. ٢ ج.
- بَنّاصر سيدي الأمين بن سيدي أحمد الدكتور :
٦٥. ديوان : تيسه المراكب. تونس : الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- بنت البراء بآته الدكتوراه :
٦٦. ديوان : أحلام أميرة الفقراء. انواكشوط : الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- بول مارتّي :

٦٧. القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، ترجمة محمد محمود ولد ودّادي. منشورات جمعية كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا. بدون تاريخ.
٦٨. كُتته الشريون، تعريب وتعليق محمد محمود ولد ودّادي. دمشق : مطبعة زيد بن ثابت ١٩٨٥م.
- التجمّع الوطني للإصلاح والتنمية (حزب تواصل) الإسلامي :
٦٩. نصوص ووثائق. موريتانيا : طبعة دجبر ٢٠١٠م. الدار بدون.
- تمام حسن الدكتور :
٧٠. اللغة العربية معناها ومبناها. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م.
- الجاحظ :
٧١. البيان والتبيين. بيروت : الشركة اللبنانية للكتاب.
- جامعة الدول العربية :
٧٢. أعمال الإدارة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية، بعنوان (المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية)، دمشق ١٩٥٦م.
- الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد :
٧٣. أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق السيّد محمد رشيد رضا. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٧٤. كتاب الجمل في النحو، شرح ودراسة وتحقيق يُسري عبد الغني عبد الله. بيروت : دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٧٥. دلائل الإعجاز، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، والدكتور فايز الداية. سوريا : دار قتيبة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي :
٧٦. النشر في القراءات العشر ، تصحيح ومراجعة علي محمد الضَّبَّاع. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ج ٢.
- الجزولي أبو موسى :
٧٧. المقدمة الجزولية، تحقيق الدكتور شعبان عبد الوهّاب محمد. القاهرة : ١٩٨٨م.
- جمال الدين الإسنوي :

٧٨. الكوكب الدّرّي، تحقيق الدكتور محمد حسن عواد. عمّان، الأردن : دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.
- جميل علّوش الدكتور :
٧٩. ابن الأنباري وجهوده في النحو. ليبيا، تونس : الدار العربية للكتاب ١٩٨١م.
- حافظ إسماعيل علوي الدكتور، وليد أحمد العناتي الدكتور :
٨٠. يراجع أسئلة اللّغة، أسئلة اللّسانيات، حصيلة نصف قرن من اللّسانيات في الثقافة العربية. الرباط : دار الأمان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- حسان بن ثابت :
٨١. ديوان حسان، تحقيق أحمد الفاضل. بيروت : دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
- الحسن ولد زين :
٨٢. طرّة الحسن ولد زين على لامية الأفعال، بخياطة محمد سالم ولد عدّود ، تحقيق عبد الحميد بن محمد الأنصاري. بيروت : دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م. ج٢.
- الحسن بن محنّض :
٨٣. تاريخ موريتانيا القديم والوسيط من ما قبل التاريخ إلى الانتشار الحساني في بلاد شنقيط. انواكشوط ، دار الفكر : الطبعة الأولى ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٨٤. تاريخ موريتانيا الحديث من دولة الإمام ناصر الدين إلى مقدم الاستعمار. انواكشوط ، دار الفكر: الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م.
- الحضرمي، بحرق، جمال الدين محمد بن عمر :
٨٥. فتح الأقفال وحلّ الإشكال بشرح لامية الأفعال المشهور بالشرح الكبير. الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، الطبعة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- الإمام الحضرمي :
٨٦. كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق محمد سالم إديدي ، تقديم ابروفيسور فيديريكو مايور. بدون بيانات نشر.
- حمّاه الله بن السالم الدكتور :
٨٧. تاريخ موريتانيا - العناصر الأساسية - الدار البيضاء : منشورات الزمن ٢٠٠٧م.

٨٨. موريثانيا في الذاكرة العربية. منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
- الشيخ خالد الأزهرى :
٨٩. شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك، لأبي محمد بن هشام الأنصاري، بحاشية الشيخ ياسين بن زين الدين العليمي الحمصي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. مجلدان.
- خليل أحمد عميرة الدكتور :
٩٠. المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي. الأردن، عمان : دار وائل للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
- الخليل النحوي :
٩١. بلاد شتقيط المنارة والرباط. تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٧م.
- الزجاجي أبو القاسم :
٩٢. الإيضاح في علل النحو، تحقيق الدكتور مازن المبارك. بيروت : دار النفائس، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.
- الزركلي خير الدين :
٩٣. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. بيروت : دار العلم للملايين، الطبعة السادسة ١٩٨٤م. ٨ج.
- الزقاق علي بن القاسم التجيبي :
٩٤. المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب، شرح الشيخ محمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني الشنقيطي، إعداد وترتيب الشيخ أحمد بن محمد الأمين بن أحمد الجكني الشنقيطي. بيروت : دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد:
٩٥. شرح المعلقات السبع. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض : مكتبة الرياض الحديثة.
- سعدنا بن أعل سالم :

٩٦. التيسير تيسير المراجع والمدارك لقواعد مذهب الإمام مالك، الأستاذ سعدنا بن أعل سالم. الجمهورية الإسلامية الموريتانية، والإمارات العربية المتحدة : دار يوسف بن تاشفين، ومكتبة الإمام مالك، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

- سيويو أبو بشر عمر بن عثمان بن قمبر :

٩٧. الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون. بيروت : دار الجبل، الطبعة الأولى. ٥ ج. القاهرة : مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

- سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي :

٩٨. نشر البنود شرح مراقي السُّعود، تحقيق محمد الأمين بن محمد بَيْبَه. الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

ج ٢.

- سيدي عيسى بن محمد المختار بن أهل احما دو :

٩٩. شرح عُبيد ربه، مراجعة عبد الكريم قبول. الدار البيضاء : دار الرشاد الحديثة، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر :

١٠٠. ألفية السيوطي النحوية. بيروت : المكتبة الشعبية.

١٠١. شواهد المغني، تصحيح محمد محمود ولد التلاميذ التركي الشنقيطي. بيروت : منشورات مكتبة الحياة.

١٠٢. الاقتراح في علوم أصول النحو، تعليق أحمد سليم الحمصي، والدكتور محمد أحمد قاسم. الطبعة الأولى ١٩٨٨م. ومع تعليق الدكتور محمود سليمان ياقوت/ كلية الآداب - جامعة طنطا - دار المعرفة الجامعية ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م.

١٠٣. المزهري في علوم اللغة العربية وأنواعها، ضبط وتصحيح فؤاد علي بيضون. بيروت : منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م. وبيروت : دار الجبل. مجلّدان.

- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي المصري، المعروف بالقرافي :

١٠٤. العقد المنظوم في الخصوص والعموم، تحقيق الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. بيروت : دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

- شوقي ضيف الدكتور :
 ١٠٥. تجديد النحو. القاهرة : دار المعارف، الطبعة الخامسة.
١٠٦. المدارس النحوية. القاهرة : دار المعارف، الطبعة السابعة ١٩٦٨م.
- الشوكاني، الإمام محمد بن علي بن محمد :
 ١٠٧. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. بيروت : منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية.
١٠٨. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيّد الأخيار، تعليق عصام الدين الصّبابيّ. القاهرة : دار الحديث. ٤ أجزاء.
- الشيخ أحمد الجيلاني الدكتور :
 ١٠٩. الهوية والانتماء في المجتمع الموريتاني دراسة ميدانية أنثروبولوجية. موريتانيا، الإمارات، انواكشوط : دار يوسف بن تاشفين/ مكتبة الإمام مالك. الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
- الشيخ سيدي المختار الكنتي :
 ١١٠. فتح الودود شرح المقصور والممدود ، تحقيق مأمون محمد أحمد. دمشق : مطبعة الكاتب العربي، الطبعة الثانية ١٩٩١م.
- الشيخ محمد الخضري :
 ١١١. أصول الفقه. دار الفكر، الطبعة السابعة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
- الشيخ الطيّب بن عمر :
 ١١٢. السلفية وأعلامها في موريتانيا. بيروت: دار ابن الأرقم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
- الشيخ بن محمد بن الشيخ أحمد :
 ١١٣. الكنز الثمين على رسم الطالب عبد الله بن الشيخ محمد الأمين. القاهرة : دار نجيبويه للبرمجة والدراسات والطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
- الشيخ مصطفى حمزة الأطهوي :
 ١١٤. نتائج الأفكار لشرح إظهار الأسرار في النحو، دراسة وتحقيق إبراهيم عمر سليمان زبيدة. طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٢م - ١٤٠١هـ من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

- صابر بكر أبو السعود الدكتور :
 ١١٥. في نقد النحو العربي. دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٨م، شارع سيف الدين
 المهمراني - الفجالة.
- الصّاوي أحمد بن محمد:
 ١١٦. حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين. بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٨٢م. ٤ ج.
- الصّبّان محمد بن علي :
 ١١٧. حاشية الصّبّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك. دار الفكر للطباعة والنشر
 والتوزيع. ٤ ج.
- صبحي الصالح الدكتور :
 ١١٨. دراسات في فقه اللّغة. بيروت : دار العلم للملايين، الطبعة الحادية عشرة ١٩٨٦م.
- الطالب اخيار بن الشيخ مامينا :
 ١١٩. الشيخ ماء العينين علماء وأمرء في مواجهة الاستعمار الأوروبي. نشر مؤسّسة
 الشيخ مُربّيّه ربّه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م. ٢ ج.
- طه عبد الرحمن الدكتور :
 ١٢٠. النحو والمنطق الصوريّ. بيروت : طبعة ١٩٨٣م.
- عبّاس حسن الدكتور:
 ١٢١. النحو الوافي. مصر : دار المعارف. ٤ ج.
- عبد العلي الودغيري الدكتور :
 ١٢٢. اللّغة والدين والهوية. الدار البيضاء ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- عبد الفتّاح عبد الغني القاضي :
 ١٢٣. الوافي في شرح الشاطبية. الأسكندرية : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
 والترجمة، الطبعة الخامسة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- عبد القادر عبد الجليل الدكتور :
 ١٢٤. علم اللّسانيات الحديثة، الأردن، عمّان : دار صفاء للنشر، الطبعة
 الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- عبد القادر الفاسي الفهري الدكتور :

١٢٥. اللسانيات واللغة العربية. بيروت، باريس : دار عويدات، الطبعة الأولى ١٩٨٥ م.
- عبد القادر ممّ حيدرة :

١٢٦. فهرس مخطوطات مكتبة ممّ حيدرة للمخطوطات والوثائق، تحرير الدكتور أيمن
فؤاد. لندن : مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

- عبد الله بن أحمد بن الحاج حمى الله القلاوي :

١٢٧. نظم الأخضري في الفقه، مع شرحه. طُبِعَ بمطبعة دبي. بدون تاريخ.

- عبد المجيد الشرنوبى الأزهرى :

١٢٨. يراجع إرشاد السالك شرح ألفية ابن مالك، الدار البيضاء : دار الرشاد الحديثة
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

- عبده الراجحي الدكتور :

١٢٩. التطبيق النحوي. الرياض : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها سعد بن
عبد الرحمن الراشد، الطبعة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- عزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام :

١٣٠. القواعد الكبرى الموسوم بقواعد الأحكام في إصلاح الأنام، تحقيق الدكتور نورية
كمال حمّاد، والدكتور عثمان جمعة ضميرية. دمشق : دار القلم ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م. ٢ ج.

- علي بكر سيسي :

١٣١. تاريخ المجتمع السنونكي في موريتانيا. المغرب، الرباط : مطبعة طوب بريس،
الطبعة الأولى ٢٠١٢ م. منشورات المركز الموريتاني للدراسات والبحوث
الاستراتيجية بانواكشوط.

- علي عبد الواحد وافي الدكتور :

١٣٢. علم اللغة. القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر، الطبعة التاسعة. بدون تاريخ.
- علي فهمي اخشيم الدكتور :

١٣٣. رحلة الكلمات. روما، إيطاليا : الطبعة الأولى ١٩٨٦ م ١٣٩٦ من وفاة الرسول
صلّى الله عليه وسلّم.

- علي بن محمد :

١٣٤. التجانية دراسة لأهمّ عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة. الرياض : نشر
وتوزيع دار طيبة. بدون تاريخ.

- فاي منصور علي :
١٣٥. أسكيا الحاج محمد وإحياء دولة السنغاي الإسلامية. ليبيا، طرابلس : منشورات
كلية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- الفيروز آبادي :
١٣٦. القاموس المحيط. مؤسّسة الرسالة، الطبعة السابعة ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.
- القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي :
١٣٧. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد
تاويت الطنجي. المملكة المغربية : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة
الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م. ج٧.
- القرافي أبو العباس أحمد بن إدريس :
١٣٨. الفروق في أنوار البروق في أنواء الفروق، ضبط وتصحيح خليل المنصور. بيروت :
دار الكتب العلمية، منشورات علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م. ج٤.
- مار مول كره بخال :
١٣٩. إفريقيّا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجّي وآخرون. الرباط : مكتبة المعارف،
طبعة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
- المتنبّي :
١٤٠. ديوان المتنبّي، تحقيق عمر فاروق الطّباع. بيروت : شركة دار الأرقم للطباعة
والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
- مازن المبارك الدكتور :
١٤١. الرّمانيّ النحويّ في ضوء شرحه لكتاب سيبويه. بيروت : دار الفكر المعاصر،
دمشق : دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
- مجد محمد الباكير البرازي الدكتور :
١٤٢. فقه اللّغة العربية. الأردن، عمّان : دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الطبعة
الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
- مجمع اللغة العربية :
١٤٣. المعجم الوسيط، إخراج الدكتور إبراهيم أنيس وآخرين. استانبول : المكتبة
الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع. ج٢.

- مجموعة أساتذة :

١٤٤. منهاج اللغة العربية للسلك الأول، المفتشية العامة للتهديب الوطني، التعليم الثانوي، قسم اللغة العربية، وزارة التعليم الوطني، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، سنة ٢٠١٤م.

١٤٥. برنامج اللغة العربية للسلك الثاني، المفتشية العامة للتهديب الوطني، التعليم الثانوي، قسم اللغة العربية، وزارة التعليم الوطني، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، سنة ٢٠٠٩م.

- محمد بن بتار ابن الطلبة :

١٤٦. الشعر الموريتاني المَلْحُون (لُغْن)، خطوة نحو الاكتشاف، دراسة مقارنة. القاهرة : دار نجيبويه للبرمجة والدراسات والطباعة والنشر ٢٠١٠م.

- محمد الأمين الشنقيطي (آبَه ولد اخطور) :

١٤٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت : عالم الكتب. ٨ج.

١٤٨. نشر الورود على مراقبي السَّعود، تحقيق الدكتور محمد بن سيدي بن حبيب الشنقيطي. جدّة : الناشر : محمد محمود محمد الخضر القاضي، توزيع دار المنارة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م. ٢ج.

- محمّد إبراهيم عبادة الدكتور :

١٤٩. كتاب الجمل في التَّحو المنسوب للخليل بن أحمد، دراسة تحليلية. الاسكندرية : منشأة المعارف، جلال حزي وشركاه.

- محمد أحميد بن الطالب اعل :

١٥٠. المقبول النافع على الدَّرر اللوامع، تحقيق الدكتور محمد بن سيدي بن محمد مولاي. دار يوسف بن تاشفين، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

- محمّد أحمد الدّاه الشنقيطي :

١٥١. الفتح الربّاني شرح على نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني. المغرب - الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م.

- محمد حبيب الله بن ما يابى الجكني :

١٥٢. زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم. بيروت : دار إحياء التراث العربي. ٥ ج. القاهرة : مطبعة مصر، الناشر : محمّد بن محمّد الشرنوبيّ ١٩٥٤م. ٤ج.

- محمد الحسن بن أحمد الخديم التشمشي اليعقوبي :
١٥٣. مرام المجتدي من شرح كفاف المبتدي، إشراف أبي محمد بن محمد الحسن. مصر :
الناشر : دار التيسير للنشر والتوزيع، الطباعة : دار الشمس للطباعة الحديثة،
الطبعة الخامسة. ج ٢.
- محمد الخضر بن ما يأبى الجكني الشنقيطي :
١٥٤. كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري. بيروت : مؤسسة
الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. ١٤ ج.
- محمد خير الحلواني الدكتور :
١٥٥. المعنى الجديد في علم الصرف. بيروت : دار الشرق العربي. بدون تاريخ.
١٥٦. المفصل في تاريخ النحو العربي. بيروت : مؤسسة الرسالة، الطبعة
الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- محمد سالم محيسن الدكتور :
١٥٧. المقتبس من اللّهجات العربية والقرآنية. إسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة
للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٦م.
- محمد بن سيدي محمد مولاي الدكتور :
١٥٨. التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط. دار يوسف بن تاشفين، ومكتبة الإمام مالك،
الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- محمد بن الطّلبة :
١٥٩. ديوان محمد ولد الطلبة، تحقيق محمد بن عبد الله بن الشيباني بن أبوه. الناشر : أحمد
سالك بن محمد الأمين بن أبوه، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- محمد سالم بن جدّ :
١٦٠. الحسانية ألسنياً وأدبياً دراسة. انواكشوط : مطبعة المنار بلقصر، الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- محمد صالح بن عبد الوهاب :
١٦١. الحسوة البيسانية في الأنساب الحسانية، تحقيق الحسن بن إبراهيم بن صالح.
الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م. الدار بدون.

- محمد صدقي بن أحمد أبو الحارث الغزّي الدكتور :
١٦٢. الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكليّة. بيروت : مؤسّسة الرسالة، الطبعة الرابعة
١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

- محمد عبد الله الكيش الدكتور :
١٦٣. أثر القرآن في أصول مدرسة البصرة النحوية حتّى أواخر القرن الثاني الهجري.
طرابلس : منشورات كليّة الدعوة الإسلامية.

- محمد العاقب بن مايا بن الجكني :
١٦٤. رَشَف اللَّمَى على كشف العمى ، تحقيق الدكتور محمد بن سيدي بن محمد مولاي.
دار إيلاف الدولية، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

- محمد فال (ابّاه) بن عبد الله العلوي الشنقيطي، شيخ محظرة النّبّاغية :
١٦٥. تسجيل التّكرار بشرح الاحرار. موريتانيا، انواكشوط : دار الرضوان، لصاحبها
أحمد سالك بن محمد الأمين بن أبّوه، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م. ج٣.

- محمد لكبيد بن حمديّ، المفتّش العامّ للتعليم سابقا :
١٦٦. التعليم الموريتاني من المحظرة إلى المدرسة الحديثة، أيّ مسيرة لبناء النّخب؟.
طبعة ٢٠١١م. الدار بدون.

- محمد محفوظ بن أحمد :
١٦٧. أنظام الطّرة في الفوائد النحوية لعدد من العلماء الموريتانيّين على حواشي ألفية
ابن مالك واحرار ابن بونا، مراجعة أبّاه بن محمد عالي بن نعم العبد المجلسي.
انواكشوط : منشورات محمد محفوظ بن أحمد، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٦٨. مكانة أصول الفقه في الثقافة المحظريّة الموريتانية. انواكشوط : الطبعة الأولى
١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

- محمد محفوظ بن الشيخ بن فحفو :
١٦٩. رَفَعُ الأعلام على سُلّم الأخضرى وتوشيح عبد السلام في علم المنطق، بآخره
المقولات العشر. للنّاشر محمد محمود ولد الأمين. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

- محمد محمود بن ودّادي :
١٧٠. البرابيش. دمشق : مطبعة زيد بن ثابت ١٩٨٦م.
- محمد سالم محيسن الدكتور :

١٧١. المهذب في القراءات العشر وتوجيهها عن طريق طيبة النشر. مكتبة الكليات الأزهرية. الدار وتاريخ النشر بدون.
- محمد المختار ولد إياه الدكتور :
١٧٢. تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب. بيروت : دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
١٧٣. الشعر والشعراء في موريتانيا. تونس : الشركة التونسية للتوزيع ١٩٨٧م.
- محمد المختار بن الدخوة بن الطالب أعل المسومي الشنقيطي :
١٧٤. اللؤلؤ المرجان في رسم وضبط وتجويد القرآن (جمع وتحقيق). انواكشوط: دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- محمد محمد العمري الدكتور :
١٧٥. الأسس الإستمولوجية للنظرية اللسانية (البنوية والتوليدية). الأردن، عمان :
- دار أسامة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٢م.
- محمد مصطفى بلال :
١٧٦. هداية الطالبين في إحكام تلاوة الكتاب المبين شرح متن الجزرية. القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير.
- محمد مولود ولد أحمد فال اليعقوبي :
١٧٧. إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النحو من الأخبار والآثار، تحقيق عبد الله ولد اخيار. الدار البيضاء : مطبعة النجاح. بدون تاريخ.
- محمد منصف القماطي :
١٧٨. الأصوات ووظائفها. ليبيا : منشورات جامعة الفاتح ١٩٨٦م.
- محمد مصطفى بلال :
١٧٩. هداية الطالبين في إحكام تلاوة الكتاب المبين شرح متن الجزرية. القاهرة : دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير.
- محمد يوسف مقلد :
١٨٠. شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون. بيروت : ١٩٦٢م.
- مجهول :

١٨١. الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة.
الدار البيضاء : دار الرشاد الحديثة. بدون تاريخ.

- المختار بن محمد الأمين بن الجيلاني التنوажوي الأستاذ :

١٨٢. الخطاب الشعري الحدائثي في موريتانيا - دراسة في أجرومية النص.
الإمارات، موريتانيا : دار يوسف بن تاشفين، ومكتبة الإمام مالك، الطبعة
الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

- مركز أحمد بابا بتيمةكتو :

١٨٣. قائمة المخطوطات النحوية بمركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتيمةكتو.
لندن : مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي. الأجزاء : الأول : ١٩٩٥م، تحقيق
سيدي عمر بن علي، تحرير حوليات يوهانسين، الثاني : ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الثالث :
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، الرابع : ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الخامس : ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
إعداد مجموعة من المكتبيين بالمركز، تحرير عبد المحسن العباس.

- مسعود عمر محمد علي :

١٨٤. تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي فيما بين القرنين
الثامن والعاشر الهجريين. ليبيا، طرابلس : منشورات كلية الدعوة الإسلامية
العالمية، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

- الإمام مسلم :

١٨٥. صحيح مسلم، بشرح الإمام النووي . بيروت : دار القلم، الطبعة
الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. ج ١٩.

- مصطفى السقا :

١٨٦. مختار الشعر الجاهلي، شرح وتحقيق السقا. المكتبة السلفية، الطبعة
الثالثة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م. ج ٢.

- معاذ السرطاوي :

١٨٧. ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية. الأردن : دار محمد لاوي، الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- المكودي، أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح :

١٨٨. شرح المكوّدي على ألفية ابن مالك، ضبط إبراهيم شمس الدين. بيروت : دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- مكّي، أبو محمد بن أبي طالب القيسي :
١٨٩. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان. الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م. ج ٢.
١٩٠. مشكل إعراب القرآن، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامر. بيروت : مؤسّسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. ج ٢.
- المنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم :
١٩١. الجمهورية الإسلامية الموريتانية (دراسة مسحية شاملة). القاهرة : ١٩٨٧م.
- مهدي المخزومي الدكتور :
١٩٢. في النحو العربي نقد وتوجيه. بيروت : دار الرائد العربي، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الشيخ موسى كمرا :
١٩٣. تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى ، تحقيق د - حمّاه الله ولد السالم. بيروت : دار الفكر العلمية، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
- الميداني ، أبو الفضل، أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري :
١٩٤. مجمع الأمثال، تعليق سعيد محمد اللّحّام. بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٢هـ-١٩٩٢م. ج ٢.
- النديم أبو الفتح محمد بن إسحاق :
١٩٥. الفهرست . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر.
- النّسائي :
١٩٦. سنن النسائي ، ضبط صدقي جميل العطار. بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥هـ-١٩٩٥م. ج ٨.
- وزارة الشؤون الإسلامية :
١٩٧. كتاب التهذيب. طبعة الوزارة. بدون تاريخ.
- ولد ابنو بدّي الدكتور :

١٩٨. ديوان : مدائن الإشراقات الكبرى. باريس : القلم للنشر ١٩٩٦م.
- ولد بديوه بتهاء الدكتور :
١٩٩. ديوان : أنشودة الدم والسنا. القاهرة : مكتبة الآداب، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
- ولد بزيد سيدي محمد بن محمد عبد الله :
٢٠٠. معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي. انواكشوط : طبعة تجارية ١٤١٤هـ.
- ولد عبدي محمد :
٢٠١. ديوان : الأرض السائبة. أبوظبي : ١٩٩٥م.
- ياقوت الحموي :
٢٠٢. معجم الأدباء. نشر وطبع الحلبي.
٢٠٣. معجم البلدان. بيروت : دار صادر، الطبعة الثانية ١٩٩٥م. ٧ج.
- يحيى بن البراء الدكتور :
٢٠٤. المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوي ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب غرب الصحراء. انواكشوط : نشر الشريف مولاي الحسن بن المختار، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م. ١٢ج.
- يحيى بن محمد الهاشمي الدكتور :
٢٠٥. شعر المقاومة الموريتانية ضد الاستعمار الفرنسي من ١٨٥٤ إلى ١٩٦٠م). القاهرة :
- دار التوزيع والنشر، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
٢٠٦. محاضرات في اللسانيات العربية. انواكشوط : دار الفكر، منشورات اتحاد الأدباء والكتّاب الموريتانيين.
- يونس بحري :
٢٠٧. هذه جمهورية موريتانيا الإسلامية. لبنان : مؤسسة الحياة ١٩٦١م.
- يوهارفك :
٢٠٨. دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، نقله إلى العربية وحقّقه وفهرس له الدكتور عبد الحليم النجار. الناشر مكتبة الخانجي بمصر، القاهرة : مطبعة دار الكتاب العربي ١٣٧٠هـ-١٩٥١م.

- ثانياً - المصادر المخطوطة :
- أحمد بن حَبَّ القلاوي :
٢٠٩. أنساب قبائل موريتانيا، ٢٠١١م. مودَع بمخطوطات المعهد الموريتاني للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. اواكشوط/ بوحديدة، تحت رقم ١١٩.
- أحمد بن كذاة الكمليلي :
٢١٠. الكداهية : (أنظام نحوية). مودعة بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٥٩٣.
- ابن حامدن وهيموسكي :
٢١١. المؤلفون الموريتانيون ومؤلفاتهم. مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي. بدون رقم.
- ابن عقيل بهاء الدين بن عبد الله العقيلي :
٢١٢. المساعد على التسهيل. مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٣٢٣١.
- ابن مالك، أبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجيائي :
٢١٣. شرح التسهيل. مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٣٢٣١.
- أنجُبْنَان، المختار بن محمّذ، الحَيْبَلِي :
٢١٤. شافي الغليل في علوم الخلاصة والتسهيل (شرح لألفية ابن مالك)، مخطوط، مودَع بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة. تحت رقم ١٢٠.
- البرتلي الطالب محمد بن أبي بكر الصديق الولاتي :
٢١٥. فتح الربّ الرؤوف في شرح قصيدة معاني الحروف، للطالب محمّد بن أبي بكر الصديق الولاتي. مخطوط تحت رقم ١١٣، بقسم مخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة.
- الثّاء بن محمّد ابن أجْمَد الدكتور :
٢١٦. حياة أحمد بن أجْمَد اليدي وأثاره. مخطوط، مودَع بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة. تحت رقم ١٢١.
- السالك بن أحمدو السالم :

٢١٧. أعلام المؤلفين وشيوخ المحاضر في ولاية الأعصاب من القرن الحادي عشر حتى دخول الاستعمار. رسالة تخرج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية سنة ٩٠ - ١٩٩١ م، مودع بقسم الرسائل بالمعهد تحت رقم ١٠٩.

- شعراء وعلماء شناقطة :

٢١٨. مجموعة شعرية ونظمية. مخطوطة، مودعة بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠٩.

- عبد الله بن أحمد بن الحاج حمى الله القلاوي :

٢١٩. الرباني في الإعراب، مع شرحه. مخطوط، بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط / بوحديدة. تحت رقم ١١٠.

٢٢٠. نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه المالكي، مع شرحه. مخطوط، مودع بمخطوطات المعهد الاتحادي والدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط / بوحديدة. تحت رقم ١٢٢.

- عبد الودود بن عبد الله بن انجنان الألفغي :

٢٢١. روض الخرون على مقابل الأصح من طرة ابن بون. توجد منه نسخ بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام: (٥٩٨، ناقصة البداية والنهاية)، (٢٥٩٤، ناقصة النهاية)، (٣٠٢٦، ناقصة، غير منطمة)، ونسخة بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمةكتو تحت رقم ٣٥١١.

- علماء شناقطة :

٢٢٢. أنظام نحوية. مخطوطة، مودعة بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠٤.

- الشيخ محمد تقي الله بن الشيخ ماء العينين :

٢٢٣. تبين ما يعنون من الألفية وابن بون. مخطوط، مسجل تحت رقم ١١٤، بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط / بوحديدة.

- محمد الحافظ بن المجتبى :

٢٢٤. الحديث الشريف علومه وعلماءه في بلاد شنقيط. مخطوط، مودع بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط - بوحديدة.

تحت رقم ١٢٣.

- محمد المختار ولد السيّد :

٢٢٥. حرب شربّة. انواكشوط : المعهد الموريتاني للبحث العلمي. بدون رقم.

- محمد النابغة القلاوي :

٢٢٦. نظم بوطليحية على ما اعتُمد من الكتب والأقوال، تحقيق وشرح الدكتور يحيى

ولد البراء. مودع بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم

الشرعية. انواكشوط / بوحديدة، تحت رقم ١١٧.

- محمد يحيى ولد سيد أحمد :

٢٢٧. الأزهار الشذية بأعلام وأخبار المجلسية. مخطوط، مودع تحت رقم (١٠٨) بالمعهد

الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة. ج ٤.

- محمد اليدالي بن المختار بن محمد بن سعيد اليدالي :

٢٢٨. تعليق في الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس وعلم الجنس. مخطوط تحت

رقم ١١٦، بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط /

بوحديدة.

- محمّذن بن أحمد بن المحبوبي الدكتور :

٢٢٩. أدب الرحلة في بلاد شنقيط خلال القرنين الثالث والرابع عشر الهجري (١٩ / ٢٠ م)

مقارنة وتنظير. بحث مخطوط، مودع بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية

والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠٥.

٢٣٠. الجملة العربية. بحث مخطوط، مودع بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية

والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠٦.

٢٣١. حضور العلماء المغاربة في الدرس الشنقيطي. بحث مخطوط، مودع بالمعهد

الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم

١٠٧.

- المختار بن المحبوب الشنقيطي :

٢٣٢. أنظام نحوية. مخطوطة، مودعة بقسم المخطوطات بالمعهد الاتحادي للدراسات
القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠٣.

- المرواني بن سيدي محمد :

٢٣٣. تاريخ مدينة ولالة. مودع ب (ميكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت
رقم ١١٩٤.

٢٣٤. ٢٣٤- مجموعة وثائق تاريخ ولالة. (ميكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي،
رقم ١٢٢٣.

٢٣٥. قائمة المخطوطات النحوية الموريتانية، المسجلة تحت أرقام : ١٠٢- ٣٥٥٦
بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي.

٢٣٦. فهرس مكتبة (الميكرو فلم) للمخطوطات الموريتانية بالمعهد الموريتاني للبحث
العلمي.

٢٣٧. فهرس مكتبة أهل إباه بن محمد الأمين على (ميكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث
العلمي، رقم ١٣٧٧.

- مَمَّ بن عبد الحميد الجكني :

٢٣٨. نظم حياة يحظيه بن عبد الودود ، تحقيق محمد يحيى بن سيدي أحمد. مودع بالمعهد
الموريتاني للبحث العلمي تحت رقم ٣٤٩٢.

- النَّابغة القلاوي محمد :

٢٣٩. نظم بوطليحية على ما اعتمد من الكتب والأقوال، تحقيق وشرح الدكتور يحيى
ولد البراء. مودع بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم
الشرعية. انواكشوط- بوحديدة. تحت رقم ١١٧.

- نحاة شناقطة :—

٢٤٠. مجموعة أنظام نحوية ولغوية. مودع بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات
القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط- بوحديدة. تحت رقم ١٠٤.

- يحظيه بن عبد الودود بن أوبك الجكني :

٢٤١. أمّ الحواشي (طُرّة). توجد على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت
رقم ٥٥٠.

٢٤٢. إقراء يحظيه (مجموعة أنظام). مخطوط، مودع بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢١٩١.

٢٤٣. فهرس مخطوطات مكتبة أهل الشيخ سيديا - بوتلميت. بدون رقم.

٢٤٤. فهرس مخطوطات مكتبة أهل متالي بن محمد المختار - بوتلميت. بدون رقم.

٢٤٥. فهرس مخطوطات مكتبة الفقيه محمد حمى الله - أوقاف تشيت. بدون رقم.

٢٤٦. فهرس مخطوطات مكتبة كركل - امبود. بدون رقم.

ثالثاً - الأطروحات :

- أحمد بن محمد فال بن إدومو :

٢٤٧. تحقيق (كشف الأستار عن بعض ما في القرآن من الإضمار) للبشير بن عبد الله

امباركي اليدمسي. بحث لنيل درجة الماجستير من جامعة أم درمان بالسودان

سنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.

- يحفظ عمرو ولد إنجييه :

٢٤٨. وجوه الإعراب والقراءات بين الفراء والزجاج دراسة وصفية تحليلية موازنة

لكتائيهما معاني القرآن. رسالة الماجستير من جامعة الفاتح، بطرابلس / ليبيا سنة

١٩٩٨م.

رابعاً - الدوريات :

- أحمد محمود بن الدنبجة الدكتور :

٢٤٩. ٢٤٩- المحظرة الموريتانية والدراسات الصوتية. (بحث) منشور ضمن الأعمال

الكاملة للندوة العلمية (الثقافة العالمية في بلاد شنقيط من أهلية المحظرة إلى آفاق

الجامعة)، في مجلّة المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، مركز البحوث

الإسلامية والحضارية. انواكشوط : ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

- عمار ربيع :

٢٥٠. نظرية النظم في مفهوم عبد القاهر الجرجاني (مقال). منشور بمجلّة الآداب

واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد الرابع، مايو ٢٠٠٥م.

- محمد بن بتار ابن الطلبة :

٢٥١. النحو في النوادي الشنقيطية. (بحث) صادر في حولية جامعة شنقيط العصرية، السنة الأولى، العدد الأول ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م. انواكشوط.

- محمد عزّام :

٢٥٢. نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني (مقال). منشور بمجلة الموقف الأدبي. الناشر : اتحاد كتّاب العرب / دمشق، العدد ٣٤٧، آذار ٢٠٠٠م.

- محمد يحيى ولد سيد أحمد :

٢٥٣. حضور الألفية في الثقافة الموريتانية. (بحث) منشور بمجلة المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. انواكشوط : مطبعة المنار ١٤٢٨هـ-٢٠٠٦م، العدد ١.

- محمدو بن المراتب :

٢٥٤. الحوليات كمصدر من مصادر التاريخ الموريتاني. (بحث) صادر في مجلة المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. انواكشوط : مطبعة المنار ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

- محمد بن أحمد بن المحبوبي الدكتور :

٢٥٥. النحو الشنقيطي بين دروس التعمق ومباحث التخصص. (بحث) منشور في مجلة المنهل بجدة، العددان : ٥٤٧ شوال، ٥٤٨ ذو الحجة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

- المختار ولد محمد موسى :

٢٥٦. المحاضر الإسلامية في موريتانيا (بحث). منشور في مجلة الجماهيرية العربية للتربية والعلوم والثقافة. العدد ٣٢، ديسمبر ١٩٨٧م.

- يحيى بن محمد الهاشمي الدكتور :

٢٥٧. العلاقة بين الضاد والظاء. منشور في ثلاث حلقات بمجلة (التعليم) التي يصدرها المعهد التربوي بانواكشوط، الأعداد : ٣٢ / سنة ٢٠٠١م. و ٣٣ / سنة ٢٠٠٢م. و ٣٤ / ٢٠٠٣م.

خامساً - الرسائل الجامعية :

- إبراهيم بن إسلمو :

٢٥٨. الزّمن في رواية : الأسماء المتغيّرة، البنية والدلالة. بحث لنيل الإجازة في الأدب العربي، من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية ٢٠٠٩ / ٢٠١٠ م. مودّع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٥٢٩٨.

- إبراهيم بن يحظيه :

٢٥٩. الأخطاء اللّغوية في الإعلام الموريتاني. بحث لنيل الإجازة في الإعلام، من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة الدراسية ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩ م. مودّع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه، تحت رقم ١٩.

- أبوبكر بن طالب جالو :

٢٦٠. تأثر المجتمع الفلّاني باللّغة العربية لساناً وأدباً. بحث لنيل الإجازة في اللّغة العربية وآدابها، من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ م. مودّع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٤١٠٢٨.

- أحمد بن محمّد عبد الله :

٢٦١. تحقيق بابي الحال والتميز. رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. السنة الدراسية ١٩٩٣ / ١٩٩٤ م. مودّع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه تحت رقم ٥٩٠.

- ابن عمر بوسم :

٢٦٢. تأثير الإسلام واللّغة العربية في اللّغة الفلّانية. بحث لنيل الإجازة في الآداب واللّغة العربية، من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ م. مودّع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٢٩٧٨.

- الشيخ بن أحمد الشنقيطي :

٢٦٣. مدخل إلى البناء المعجمي عند الشاعر محمّد بن الطالب - دراسة لديوان اللّيل والأرصفة. بحث لنيل الإجازة في اللّغة العربية وآدابها. من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ م. مودّع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٤١٦٨.

- محمّد معمّر بن محمّد عبد الرحمن :

٢٦٤. تحقيق (تيسير الورود إلى تحفة المودود لابن مالك). لعبد الله العتيق بن محمد بن ذي الخلال اليعقوبي. لنيل شهادة المتريز من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة الجامعية ٩٦/١٩٩٧ م. مودَع بقسم الرسائل بالمعهد تحت رقم ٩٧.

- فاطمة بنت بابا :

٢٦٥. الشعر التعليمي في موريتانيا من خلال الألغاز في القرآن الكريم، ابن حنبل، والنّها، وابن العاقل نموذجاً. بحث لنيل الإجازة في اللّغة العربية من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية ٢٠٠٧/٢٠٠٨ م. مودَع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٤١٤٨.

- محمد بن أحمد بن بابا :

٢٦٦. معجم المؤلفين ومؤلفاتهم في ولاية اترارزة. رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ٩٠ - ١٩٩١ م. مودَع بقسم الرسائل بالمعهد تحت رقم ١١١.

- محمّد بن بلال :

٢٦٧. الوصف الصوتي والصوّاتي في الحسانية. بحث لنيل الإجازة من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية ١٩٨٨/١٩٨٩ م. مودَع بقسم الرسائل، بقسم اللّغة العربية، تحت رقم ٧٠٠٤٤٣.

- محمد حامد (الشيخ بابّاه) بن آلاء الحسني الأعمري :

٢٦٨. الأنظام النحوية، تحقيق فاطمة بنت يسلم، في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ٢٠٠٦/٢٠٠٧ م. مودعة بقسم الرسائل بالمعهد نفسه، تحت رقم ٢٩.

- محمد سالم بن عبد الحي :

٢٦٩. محمّدو السالم بن الشين الإيدكّوجي حياته وآثاره. رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ١٩٩٩ م. مودَع بقسم الرسائل بالمعهد تحت رقم ١٣٦.

- محمد سالم بن المختار (ألمّا) :

٢٧٠. الأنظمة النحوية واللغوية، تحقيق سيدي بن آتاه، في رسالة تخرج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. السنة الدراسية ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ م. مودع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه، تحت رقمي ٤٦ / ٢٦.

- محمد ولد محمد يحيى ولد الدوة :

٢٧١. الإسهام الشنقيطي في درس أصول النحو- التعقيبات على جامع ابن بونا وشروحه نموذجاً. بحث لنيل شهادة الماستر من جامعة شنقيط العصرية ٢٠٠٧-٢٠٠٨ م.

- محمد بن محمد (ميّمة) بن المحبوب :

٢٧٢. الأنظمة النحوية واللغوية، تحقيق محمد بن أبوه، في رسالة تخرج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية / السنة الدراسية ٢٠٠١ / ٢٠٠٢ م. مودع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه، تحت رقم ٧٣.

- محنّص بابا بن اعبيد الديباني :

٢٧٣. نظم قواعد مغني اللبيب، تحقيق ودراسة محمد بن أحمد بن المحبوب، في رسالة تخرج من المدرسة العليا للأساتذة ١٩٨ / ١٩٨٦ م.

- المصطفى بن أحمد معاوية :

٢٧٤. لغة الإعلام بين قيود الفصاحة ومعوّقات المهنة - مقارنة للصحة اللغوية في نشرات الأخبار الرئيسة لإذاعة موريتانيا، بحث لنيل الإجازة من شعبة الحضارة والإعلام، من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. مودع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه، تحت رقم ٤٢.

- معي محمد عالي بن سيدي بن سعيد :

٢٧٥. تنبيه الصغار بشرح الاحرار، تحقيق اميريكة بنت محمد محمود، للحصول على الإجازة من جامعة انواكشوط سنة ١٩٩١ م. مودع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٠٢٤١. وحققت منه أبواب عديدة في رسائل تخرج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. مثلاً قام أحمد بن محمد عبد الله بتحقيق بابي الحال والتميز، في رسالة تخرج من المعهد نفسه. السنة الدراسية ١٩٩٣ / ١٩٩٤ م. مودع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه تحت رقم ٥٩٠.

- ملىكة بنت المهابة :

٢٧٦. الصِّيغُ الفِعْلِيَّةُ فِي اللُّغَةِ الحَسَّانِيَّةِ. بحثٌ لنيل الإجازة من قسم اللُّغة العربيَّة، من كَلِيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، بجامعة انواكشوط، السنة الدراسيَّة ١٩٨٨/١٩٨٩ م. يوجد بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٠٠٦٣.

- يحيى بن احریمو :

٢٧٧. معجم المؤلفين في ولايتي العصابة وتكانت. رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. بدون رقم.

- يحيى بن البراء الدكتور :

٢٧٨. ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية. رسالة تخرّج من المدرسة العليا للأساتذة، السنة الدراسيَّة ١٩٨١/١٩٨٢ م. مخطوط، مودّع بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠١.

سادساً - المواقع الألكترونية :

٢٧٩. مقال بعنوان : الأصول الأنطولوجية والإبستمولوجية الموجهة لالتجاهات المدارس اللسانية في القرن العشرين. الموقع :

www.shatharat.net/vb/showthread.php

- حسن منديل حسن العكيلي :

٢٨٠. مقال بعنوان : (النحو بين المنطق والاستعمال اللغوي). موقع شبكة صوت

العربية : www.shatharat.net/vb/showthread.php

- العربي اسليمان :

٢٨١. إشكالية المنهج في اللسانيات الحديثة. بحث على موقع أنفاس نت :

www.maamri-ilm2010.yoo7.com

- محمد محمد يونس علي الدكتور :

٢٨٢. مقال بعنوان : الكفاية اللغوية والكفاية التخاطبية. الموقع

www.takhatub.blogspot.com.

- مهدي بن علي بن مهدي آل ملحان الدكتور :

٢٨٣. الترتيب الصرفي في المؤلفات النحوية والصرفية إلى أواخر القرن العاشر الهجري.

موقع دهشة : www.dahsha.com/53035

٢٨٤. تاج العروس - الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة :
shamela.ws/index.php/book/7030
٢٨٥. موقع جامعة أمّ القرى : www.ummulqura.org.sa
٢٨٦. الكفاية ومفاهيمها. الموقع : www.moontada.net/forum. والتعريف أصلاً
منقول عن الدكتور محمد الدريج المغربي، من كتابه : الكفايات في التعليم من
أجل تأسيس علمي للمنهاج المندمج.
٢٨٧. لسان العرب - الموسوعة الشاملة :
islamport.com/w/lqh/Web/1156/1.htm
٢٨٨. موقع أ. د. محمد سعيد ربيع الغامدي : www.mohamedrabeea.com
٢٨٩. المكتبة الشاملة : www.shamela.ws
٢٩٠. منتدى اللّغة العربية : www.mbrarabic.com
٢٩١. موقع الموسوعة الحرّة : www.wikipedia.org
٢٩٢. الموسوعة العالمية للشعر العربي. الموقع :
www.adab.com/world/index.php
٢٩٣. موسوعة ملتقى أهل الحديث. على موقع إسلام ويب :
www.ahlalhdeeth.com/vb
٢٩٤. مجلس اللّغة العربية وعلومها، الشواهد الشعرية في كتاب : أضواء البيان في
إيضاح القرآن بالقرآن. الشبكة المعلوماتية. الرابط
(http://majles.alukah.net).

المقابلات :

٢٩٥. مقابلة مع الدكتور أحمد بن اميريك، الأستاذ بجامعة شنقيط، بتاريخ
١٧/١١/٢٠١٤م.
٢٩٦. مقابلة مع الدكتور سيدي عبد القادر بن الطفيل، الشاعر النحوي، الأستاذ
بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. بتاريخ ١٣/٠٦/٢٠١٤م.
٢٩٧. مقابلة مع الأستاذ محمد لَقْظَف بن الدّاه بن أيّده الولاّتي، في مكتبته بوزارة التعليم
الأساسي، انواكشوط ٢٠١٢م.

٢٩٨. مقابلة مع الدكتورة مريم بنت الشيخ، الأستاذة بجامعة انواكشوط، بتاريخ ٠٦ /
١١ / ٢٠١٤ م.
٢٩٩. مقابلة مع الدكتور يحيى بن البراء، الأستاذ بجامعة انواكشوط، بتاريخ ٢٧ /
١٠ / ٢٠١٤ م.
٣٠٠. مقابلة مع الدكتور يحيى بن محمد الهاشمي، الأستاذ بجامعة انواكشوط، بتاريخ
٢٥ / ١٠ / ٢٠١٤ م.
٣٠١. مقابلة مع الأستاذ يسلم بن حمدان، الأستاذ بجامعة انواكشوط، بتاريخ ٢٧ /
١٠ / ٢٠١٤ م.

هذا الكتاب

يعمل مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية على تعزيز خدماته في المجالات المتنوعة لخدمة اللغة العربية وعلومها، إذ ينطلق من رؤية موحّدة في أعماله عامة - ومنها برنامج النشر - وذلك بأن يطلق برامج ودراساته في المجالات التي تقتدر إلى جهود نوعية، أو التي تحتاج إلى تكثيف العمل فيها.

ويجتهد المجمع في انتقاء الكتب التي تصدر ضمن هذه السلسلة، بأن تكون مضافة إلى حقلها المعرفي، ومفتاحاً للمشروعات العلمية والعملية، ومحققة لتراكم معرفيٍّ مثريٍّ.

ويسعد المجمع بالعمل مع المؤسسات والأفراد المختصين والمهتمين في خدمة لغتنا العربية، وتكثيف الجهود والتكامل نحو تمكين لغتنا، وتحقيق وجودها السامي في مجالات الحياة.

